

الكرد والمسألة الأرمنية

١٨٧٧-١٩٢٠

الكرد والمسألة الأرمنية

١٨٧٧ - ١٩٢٠

هوكر طاهر توفيق



دار اراس للطباعة والنشر

أربيل - إقليم كردستان العراق

جميع الحقوق محفوظة ©
دار اراس للطباعة والنشر
شارع گولان - اربيل
اقليم كردستان العراق
البريد الإلكتروني aras@araspess.com
الموقع على الانترنت www.araspublishers.com
تأسست دار اراس في (٢٨) تشرين (٢) ١٩٩٨

هوگړ طاهر توفيق
الكرد والمسألة الأرمنية
منشورات اراس رقم: ١٣٢٠
الطبعة الأولى ٢٠١٢
كمية الطبع: ٢٠٠٠ نسخة
مطبعة اراس - اربيل
رقم الايداع في المديرية العامة للمكتبات العامة ٢٠١٢/٥٦٨
الاخراج الداخلي: زياد طارق
الغلاف: آراس أكرم

ردمك:

ISBN: 978-9966-487-90-4

فهرست الكتاب

- 7..... تقديم
- 9..... مقدمة
- الفصل الأول:
- 21..... علاقة الكُرد بالأرمن حتى ظهور المسألة الأرمنية عام ١٨٧٧
- 23..... أولاً- الأرمن في ظل الإمارات الكُردية حتى بداية القرن التاسع عشر.....
- 45..... ثانياً- تغلغل الدول الكُبرى في كُردستان وأثره في علاقة الكُرد بالأرمن ١٨٠٠-١٨٤٧.....
- 65..... ثالثاً- حقبة الانحسار الكُردى والتقدم الأرمني ١٨٤٨-١٨٧٧.....
- الفصل الثاني:
- 81..... موقف الكُرد من المسألة الأرمنية حتى اندلاع الأزمة الأولى ١٨٧٧-١٨٩٤.....
- 83..... أولاً- الكُرد ونشوء المسألة الأرمنية ١٨٧٧-١٨٧٨.....
- 112..... ثانياً- الإصلاحات الأرمنية الأولى ١٨٧٨-١٨٨١.....
- 142..... ثالثاً- الكُرد وتطورات المسألة الأرمنية في ثمانينات القرن التاسع عشر.....
- 183..... رابعاً- تشكيل الفرسان الحميدية والمخاوف الأرمنية ١٨٩١-١٨٩٤.....
- الفصل الثالث:
- 209..... موقف الكُرد من الأزمة الأرمنية الأولى وتطوراتها حتى الانقلاب العثماني ١٨٩٤-١٩٠٨.....
- 211..... أولاً- المرحلة الأولى من الأزمة الأرمنية (انتفاضة ساسون أب - أيلول ١٨٩٤).....
- 242..... ثانياً- الإصلاحات الأرمنية الثانية.....
- 251..... ثالثاً- المرحلة الثانية من الأزمة الأرمنية الأولى ١٨٩٥-١٨٩٦.....
- 303..... رابعاً- تغيير الإستراتيجية الأرمنية تجاه الكُرد ١٨٩٧-١٩٠٨.....
- 320..... خامساً- جريدة كُردستان والمسألة الأرمنية ١٨٩٨-١٩٠٢.....
- الفصل الرابع:
- 345..... الكُرد والأرمن إبان حكم الإتحاديين حتى انتفاضة وان ١٩٠٨-١٩١٥.....
- 347..... أولاً- الكُرد في حقبة التحالف الأرمني التركي ١٩٠٨-١٩١٤.....
- 387..... ثانياً- الوضع في شمال كُردستان ورد الفعل الكُردى ١٩١٢-١٩١٤.....
- 420..... ثالثاً- الكُرد والأرمن في العام الأول من الحرب العالمية الأولى.....

الفصل الخامس:

- 453..... عمليات التهجير والتطورات الأخيرة للمسألة الأرمنية ١٩١٥-١٩٢٠.....
- 455..... أولاً-تهجير الأرمن والكرد من شمال كردستان.....
- 488..... ثانياً-الاحتلال الروسي لشمال كردستان ١٩١٦-١٩١٧.....
- 499..... ثالثاً-الكرد والأرمن في العام الأخير من الحرب.....
- 517..... رابعاً-الكرد والأرمن في مؤتمر السلام في باريس.....
- 533..... خامساً- موقف الدول الكبرى من المسألتين الأرمنية والكردية.....
- 548..... سادساً-نشوء الحركة الكمالية وتطورها في شمال كردستان ونهاية المسألة الأرمنية.....
- 563..... الخاتمة.....
- 567..... الملاحق.....
- 593..... قائمة المصادر والمراجع.....

تقديم

كونت العلاقات الإثنية بين شعوب الشرق الأوسط بقومياته المتعددة الأعراق، والمختلفة الديانات، والمتنوعة العقائد والمتفرعة المذاهب، سجلاً مهماً في التاريخ الحديث والمعاصر؛ لعمقها التاريخي، أولاً وقبل كل شيء، ولما اكتنفها من تعقيدات وأزمات وصراعات محتدمة وصلت حد محاولة إلغاء هوية إحداها للأخرى، وإنهاء وجود لا سيّما، وأن حالات الصراع تلك أخذت وتيرتها تنمو وتتصاعد ضمن المعادلة السياسية التي استمرت طيلة القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين القائمة على ضعف الدولة العثمانية، وتقلص نفوذها، وانحسار سلطاتها في مقابل ازدياد نفوذ الدول العظمى، لا سيّما بريطانيا، وفرنسا، وروسيا، واتساع مصالحتها في منطقة الشرق الأوسط.

وتعدّ علاقة الكرّد بالأرمن إحدى أهم الأمثلة التاريخية الحيّة على إشكالية العلاقة بين الشعوب الشرق أوسطية من حالة التعايش السلمي الآمن القائم على روابط اجتماعية واقتصادية إلى حالة التوتر والتصادم والصراع المحموم، فقد عاش الكرّد والأرمن سوياً لقرونٍ خلّت وقبل ظهور المسألة الأرمنية عام ١٨٧٧ في مدنٍ وقرىٍ مختلطة، أو منفصلة قريبة بعضها عن بعض ضمن مناطق تسودها الدولة العثمانية سمّاها الكرّد بـ: (كردستان) والأرمن بـ: (أرمنستان) تزامناً من نشوء الفكر القومي لكلا القوميتين حتى وجد الشعبين الكردي والأرمني نفسيهما وجهاً لوجه في ساحة صراع دامي وقفت فيه الدولة العثمانية خلف الكرّد ووقفت روسيا وبريطانيا خلف الأرمن فزادت الدول العظمى من حدة الصراع وشحن أحدهما ضد الآخر، ووجهتهما باتجاه يخدم مصالحها؛ ليأخذ الصراع الكردي-الأرمني أشكالاً من التهجير والتهجير العرقي، والقتل، والاعتصاب، والمذابح الجماعية لكلا الطرفين أحدهما بيد الآخر، ولكن كل ما حدث اختزل في كتب التاريخ تحت عنوان (مذابح الأرمن).

فقد كتبت العديد من المؤلفات والدراسات والبحوث التاريخية عن مذابح الأرمن ولكن غلب على معظمها العاطفة، وعدم الموضوعية، والافتقار إلى تلمس الحقيقة والمصادقية الكامنة في المصادر الأصلية التي رصدت الأحداث وقيمتها بشكل محايد؛ لذا لا غرو أن

نجدُ معظمَ الكتابات عن المسألة الأرمنية قد تمحورت حول فكرة راسخة روج لها الأرمن، ودعمتها وسائلُ الدعاية الأوربية مفادها أن مذابح الأرمن ما وقعت لولا: "ظلم الدولة العثمانية، واستبداد سلطاتها، وتطرف الدين الإسلامي، وتشدده مع الديانات الأخرى، وبربرية الشعب الكردي وهمجيته في التعامل مع القوميات غير الكردية".

والكتاب الذي بين أيدينا والذي يحمل عنوان: (الكرد والمسألة الأرمنية ١٨٧٧-١٩٢٠) للباحث الدكتور هوكر طاهر توفيق التدريسي في قسم التاريخ/ هيئة العلوم الإنسانية/ في جامعة زاخو يعدُّ دراسة أكاديمية استثنائية، ومحاولةً جادة؛ لكشف حقيقة العلاقة الكردية بالمسألة الأرمنية. فقد أوضحت المصادر الأصلية المتعددة والمتنوعة - لا سيما الوثائقية منها والتي شغلت حيزاً كبيراً في إعداد هذه الدراسة - رؤيةً جديدةً لحقيقة الصراع الكردي-الأرمني الذي استمر لعقود من الاقتتال الدامي قدمها الباحثُ بموضوعية تامّة ومنهجية رصينة، وبلغة سلسة، وواضحة حاول فيها عرض الحقائق، وتحليل الأحداث تحليلاً منطقياً مستنداً فيه إلى المصادر التي رصدت الوقائع عن قرب. كما فنّد الباحث الكثير من الحجج والأكاذيب، والإحصائيات المبالغ فيها والتي تضمنتها المؤلفات المتخصصة بالمسألة الأرمنية، وتناقلتها على أساس كونها أموراً مسلم بها.

فقد تحمل الباحث مسؤولية فكّ اتهام مطبق على أعناق الشعب الكردي من الدم الأرمني، وهي مسؤوليةٌ كبرى تتطلّب المزيد من الجهد والصبر، ونكران الذات، ونبذ العاطفة، وتلمس الموضوعية والاستقراء الصحيح والدقيق للأحداث، وقد توفر كل ذلك في الباحث الدكتور هوكر طاهر توفيق الذي كشف وبشكل واضح وجلي أن الكرد هم أيضاً كانوا ضحايا لعمليات القتل والذبح والتهجير التي قام بها الأرمن ضدهم،

والأنكى من ذلك فإن المسألة الكردية راحت ضحية المسألة الأرمنية، وتم تسويقها، وإنهائها من الواقع السياسي، كما توصل الباحث إلى حقيقة الفكرة التي كتبت من أجلها هذه الدراسة ومفادها لا أحقاد، ولا ضغائن بين الشعوب والقوميات المختلفة، وإن وجدت فهي من صنيع السياسة، وأن على الكرد والأرمن والقوميات الأخرى المتعايشة في الشرق الأوسط نبذ الأحقاد، والتطلع إلى المستقبل، واستنباط العبر والدروس من التاريخ القريب؛ لأن المسألة الأرمنية خير دليل على أنها لم تكن سوى بؤرة من بؤر الصراع القائم بين القوى العظمى التي لا تتوانى إلى يومنا هذا من رفع الورقة الأرمنية بين الحين والآخر؛ للضغط السياسي تارةً، والمساومة تارةً أخرى.

د.سعاد حسن جواد

المقدمة

شكلت المسألتان الكردية والأرمنية بُعداً خطيراً في العلاقات الإثنية بعضها ببعض، عند ظهور الفكرة القومية الحديثة وانتشارها في الشرق الأوسط أواخر القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين، وتعد تطورات تلك المسألتين، داخلياً في شمال كردستان وفي الدولة العثمانية بشكل عام، وخارجياً في أوروبا وأمريكا، من أكثر الوقائع التاريخية تفاعلاً في العصر الحديث. فشاعت الصيرورة التاريخية في صراع الشعبين الكردي والأرمني على نفس البقعة الجغرافية، التي سماها الكرد (كردستان) وأطلق عليها الأرمن (أرمينيا)، وان بدأ من الوهلة الأولى مجرد أزمة أو مشكلة يمكن حلها، ولكن بعد ذلك تبين أن الصراع ليس نابغاً من مشكلة اجتماعية، أو من مشكلة اقتصادية، كما حاول أن يصورها البعض، بل كان الصراع على الهوية، وعلى التاريخ، وعلى الأصل، والأهم من كل هذا كان الصراع على الأرض، هل هي كردستان بلاد الكرد، أم أرمينستان الموطن الأصلي للأرمن؟

نشأت المسألة الأرمنية في شمال كردستان (أرمينيا الغربية)، أو ما تعرف بالولايات الست (أرضروم، وان، بتليس، معمورة العزيز(خربوط)، سيواس، دياربكر)، لذلك فإن علاقة المسألة الأرمنية تمس تاريخ الكرد في الصميم، إذ إن الأرمن بعد اندلاع الحرب الروسية العثمانية في عام ١٨٧٧، طالبوا بالولايات الست، ليؤسسوا دولتهم القومية عليها، بدعم من الغرب، الذي كان ظهيراً للأرمن على الدوام، ولكن كل ذلك اصطدم بالكثافة السكانية العالية للكرد في تلك الولايات، بالمقارنة مع النسب السكانية المتدنية للأرمن فيها، وفي أحيان أخرى كان الكرد يستندون إلى الأتراك، للدفاع عن حقوقهم المشروعة في تلك الولايات الست.

لا يمثل عنوان (الكرد والمسألة الأرمنية) مجرد الخوض والبحث في علاقة الكرد بالأرمن، بل إن فهم تلك العلاقة يمر عبر ثلاثة مستويات أو إشكاليات، المستوى الأول: علاقة الكرد بالأرمن في شمال كردستان، فقد اختلط الشعبان أحدهما بالآخر في تلك

المناطق-الولايات الست- بشكل واضح، وان برزت الأغلبية الكردية إلا أن الأرمن في جميع الأماكن التي تواجد فيها الكرد، كانوا يعيشون معهم في مدن وقرى مختلطة أو منفصلة قريبة بعضها من بعض. المستوى الثاني: علاقة الأتراك بكل من الكرد والأرمن على حدة، فان الأتراك عُرفوا وعلى الدوام باستغلالهم الكرد والأرمن في مرات عدة، كلُّ حسب قوته وضعفه لفرض أجندته السياسية على المنطقة. أما المستوى الثالث: سياسة الدول الكبرى تجاه المسألة الأرمنية وتبعاتها على الكرد والأتراك في المنطقة. لذلك فانه من غير الممكن فهم علاقة الكرد بالمسألة الأرمنية ما لم تفهم العلاقات أو المستويات الأخرى المرتبطة بها، وإذا ما تم دراسة كل موضوع على حدة فستكون الحقيقة التاريخية مبتورة، وعلى الرغم من صعوبة الوصول إلى الحقيقة التاريخية على وجه الجزم والقطع أو تكوين صورة متكاملة عن هذا الموضوع كما هو معروف في البحث التاريخي، إلا أن دراسة المستويات الثلاث السابقة معاً تقرب الباحث والقارئ بشكل كبير إلى الحقيقة التاريخية، وكانت المعضلة التي واجهت الكرد في علاقتهم بالمسألة الأرمنية، ووضعهم في دائرة الاتهام حتى عند العديد من الكرد أنفسهم، هي دراستها ضمن منظور واحد فقط، وهذا ما شوه إلى حد بعيد حقيقة تلك العلاقة.

ألقت هذه الإشكالية بظلالها على خطة الدراسة ونوع المواضيع والمباحث التي يجب التفصيل في ذكر أحداثها، وعلى تلك المواضيع التي يجب بحثها في أثناء هذه الدراسة وان كانت بصورة مختصرة، وذلك لتشكيل صورة أكثر وضوحاً عن تلك الوقائع التاريخية، وللتقرب إلى ماهية حقيقة المشكلة: أسبابها، تطوراتها، نتائجها، تبعاتها على مستقبل علاقة الكرد بالأرمن في المنطقة.

والسؤال الذي يطرح نفسه أولاً وقبل كل شيء هو: كيف كانت علاقة الكرد بالأرمن قبل ظهور المسألة الأرمنية في عام ١٨٧٧؟ في منطقة غلبت عليها الكثرة العددية الكردية، مع وجود تجمعات سكانية أرمنية لا بأس بها، كان الحكم فيها للأمرء الكرد في بوتان، وبتليس، وموش، وبايزيد مثلاً، وكان الاقتصاد بيد الأرمن إلى حد كبير، فكيف تعايش الكرد والأرمن؟ هل كان أحدهما مكملاً للآخر؟ رغم كون أحدهما مسلماً والآخر مسيحياً؟ هل أثر اختلاف الديانة على الحياة اليومية للكرد والأرمن؟ وهل كانت فصول المسألة الأرمنية انعكاساً حقيقياً لتاريخ الشعبين معاً، منذ ظهورهما في الشرق الأوسط في الألف الأول قبل الميلاد؟ في مقارنة بين حياة المجتمع السكاني في شمال

كُردستان-الولايات الست- إبان حكم الإمارات الكُردية وبعد انهيارها ما هي الملامح التي تغيرت؟ ثم كيف أثر تغلغل نفوذ الدول الكبرى وخاصة روسيا وبريطانيا على علاقة الشعبين أحدهما بالآخر؟ أسئلة كثيرة حاولت محاور الفصل الأول قدر الإمكان الإجابة عنها ضمن عنوان (علاقة الكُرد بالأرمن حتى ظهور المسألة الأرمنية عام ١٨٧٧)، بما توفر من مصادر قليلة جداً عن تلك الذكريات الجميلة والطيبة، إذا جاز التعبير، التي اشترك فيها بحلوها ومرها الشعبان الكُردى والأرمنى معاً.

تناول الفصل الثاني المعنون (موقف الكُرد من المسألة الأرمنية حتى اندلاع الأزمة الأولى ١٨٧٧-١٨٩٤)، إشكالية وظروف نشوء المسألة الأرمنية، والدور الكُردى في ظهورها، وهل كان للانعكاسات الإصلاحات الأرمنية الأولى تأثير في نشوء الفكر القومي لدى الكُرد؟ يبدو أن كُلاً من الكُرد والأرمن ما إن بدأ تطبيق سياسة الإصلاحات الأرمنية في المنطقة، اصطف في معسكر متضاد للآخر في أول مرة في تاريخهما الطويل؛ ثم كيف أثرت نتائج الإصلاحات الأرمنية على مستقبل علاقة الكُرد والأرمن في ثمانينات القرن التاسع عشر؟ والذي شهد لأول مرة في تاريخ الأرمن ظهور أحزاب وجمعيات سياسية قومية اشتراكية تدعو إلى تحرير الولايات الست-أرمنيا الغربية- من الهيمنة العثمانية، وبالتالي كانت للحكومة العثمانية في عهد السلطان عبد الحميد الثاني (١٨٧٦-١٩٠٩) مواقف شديدة القوة تجاه تلك التطورات التي شهدتها الساحة السياسية الأرمنية، ولعل أبرزها في هذا المجال، كما هو معروف، تشكيله للفرسان الحميدية في عام ١٨٩١، التي خلقت جدلاً واسعاً بين مختلف السياسيين والباحثين حول أهدافها الحقيقية.

ربما كانت محاور الفصل الثالث، الذي بُحث فيه (موقف الكُرد من الأزمة الأرمنية الأولى وتطوراتها حتى الانقلاب العثماني ١٨٩٤-١٩٠٨)، من أكثر فصول هذه الدراسة تشابكاً، وذلك لأن سمعة الكُرد في تلك الأزمة التي امتدت رحاها خلال أعوام (١٨٩٤-١٨٩٦) شوهدت بدرجة كبيرة خارجياً لدى العالم الغربي، ووصفوا بأبشع الصفات، حتى سميت هذه الأزمة في المصادر الغربية بـ(المذابح الحميدية)، وعلّق اسم الكُرد بشكل كبير بها، لان القوات الحميدية كان جُلّها من عشائر الكُرد. لذلك كان من الحري هنا البحث عن الدور الكُردى الحقيقي في هذه الأزمة، وهل كان الكُرد سبب الأزمة؟ وأنهم هم من قادوا زمامها بعد ذلك وقاموا بقتل الأرمن؟ ثم هل درس اغلب

الباحثين والمؤرخين هذه الأزمة بشكل حيادي، أم أن المصادر التي اعتمدوا عليها لا تكاد تخرج من تلك التي دونها الأرمن فقط لوحدهم عن تلك الأزمة وتطوراتها؟ ثم ما هو الدور الفعلي والواقعي لكل من الأتراك والدول الكبرى في هذه الأزمة؟ وأخيراً كيف أثرت نتائج الأزمة الأرمنية الأولى على تطورات المسألة الأرمنية خلال أعوام (١٨٩٧-١٩٠٨)؟ وهل كانت نظرة جريدة كُردستان (١٨٩٨-١٩٠٢) إلى المسألة الأرمنية نظرة محايدة حول الدور الكردي في الأزمة الأرمنية الأولى؟

أما الفصل الرابع الذي حمل عنوان (الكرد والأرمن إبان حكم الإتحاديين حتى انتفاضة وان ١٩٠٨-١٩١٥)، فقد شهد تبادل الأدوار بين الكرد والأرمن خلال المدة ١٩٠٨-١٩١٤، فبعد الانقلاب العثماني في تموز ١٩٠٨، دخل الأتراك مع الأرمن في حلف بدا وثيقاً حتى عام ١٩١٤، ووجد الكرد في شمال كُردستان أنفسهم وحيدين، ليس لديهم أصدقاء لا في الخارج ولا في الداخل. لذا ولإلقاء نظرة سريعة على طبيعة الصراع الكردي الأرمني في تلك المدة تظهر دلائل وحقائق عديدة تخص المسألة الأرمنية، والموقف الكردي منها، وخاصة صراعهم على الأرض وعلى نفوذ الإقطاع الكردي هناك، إذ كان السبب الأساسي لتوحيد الكرد جهودهم في اتحاد خاص بهم عام ١٩١٣، هو الوقوف بوجه الأرمن، ومحاولاتهم لتحويل بلاد الكرد وهي كُردستان إلى أرمنستان. وأخيراً بحث في الفصل الرابع الإجابة عن عدد من الأسئلة الأخرى، منها كيف كان موقف الكرد من الأتراك ومن الروس عند بدء الحرب العالمية الأولى؟ وهل تعرض الكُرد إلى المذابح التي جرت أولاً أم الأرمن؟ وماذا كان الدور الكردي والأرمني في تلك المذابح؟ وما هي مغزى وأهداف انتفاضة وان الأرمنية في عام ١٩١٥؟

شهدت سنوات الحرب العالمية الأولى بداية النهاية للمسألة الأرمنية، ففي تلك السنوات طبق الأتراك، نتيجة لظروف وتطورات الحرب، معادلة قومية (إثنية) جديدة على معظم أنحاء شمال كُردستان، ربما تفوق تلك المعادلة نظريتها الألمانية في بولندا والفرنسية في شمال أفريقيا. وهنا تطرح بعض الأسئلة نفسها منها، هل هُجر الأرمن وحدهم من المنطقة أم هُجر الكُرد أيضاً؟ وهل كانت المذابح في الحرب العالمية الأولى في شمال كُردستان، متعلقة فقط بالأرمن ولم تكن هناك قط مذابح بحق الكُرد؟ وفي موضوع آخر هل كان الأرمن قرييين من تأسيس دولتهم في شمال كُردستان لولا

اندلاع ثورتين في روسيا القيصريّة ثورة آذار وثورة أكتوبر عام ١٩١٧؟ وهل كان اندلاع ثورة أكتوبر في مصلحة المسألة الأرمنية، أم أنها أدت إلى وأد تلك المسألة على حد قول بعضهم؟ ثم كيف كانت الأوضاع في شمال كردستان بعد انتهاء فصول الحرب العالميّة الأولى؟ يقول البعض أن الكرد لأول مرة بعد عهد الإمارات، وجدوا أنفسهم مستقلين إلى حد بعيد في تلك المناطق، التي تحولت إلى كردية خالصة بعد انتهاء الحرب، ولأول مرة وجد الكرد ممثلاً لهم في مؤتمر عالمي وهو مؤتمر السلام المنعقد في باريس ١٩١٩؟ وما هي حظوظ الدولة الكردية أمام الدولة الأرمنية في نفس المناطق شمال كردستان، أمام سياسة ومصالح الدول الكبرى المنتصرة في الحرب؟ ربما يشفي جواب هذا السؤال غليل السياسيين البريطانيين آنذاك، والمؤرخين الذين تبعهم بعد ذلك حول سر تأييد الكرد للحركة الكماليّة، التي نشأت وترعرعت في شمال كردستان المحور الحيّاتي بالنسبة للمسألة الأرمنية؟ كل هذه المواضيع نوقشت في الفصل الخامس تحت عنوان (عمليات التهجير والتطورات الأخيرة للمسألة الأرمنية ١٩١٥-١٩٢٠) الذي بيّن نهاية فصول المسألة الأرمنية، وأظهرت للجميع أن الكرد كانوا هم الرقم الأصعب في معادلة المسألة الأرمنية، الذي استخف به الأرمن والدول الكبرى.

بخصوص المصادر التي اعتمدها هذه الدراسة واستقت منها معلوماتها فيأتي في مقدمتها تلك الوثائق والتقارير الأصليّة العائدة إلى حقبة المسألة الأرمنية، وعلى المذكرات والدراسات التي ألفها أشخاص عايشوا تلك الأحداث؛ وعلى الصحافة العائدة إلى تلك المدة، وقد تم الاعتماد كذلك على عدد من المؤلفات والكتب التي استخدم مؤلفوها عدداً من الوثائق والتقارير لم يتسنّ العثور عليها. ومن المفيد هنا الإشارة إلى أن بعض المصادر، أغنت فصلاً أم مبحثاً من هذه الدراسة، كما كانت هناك بعض الوثائق والمؤلفات حاضرة في جميع فصول الدراسة، سواء أكان ذلك بقصد أخذ معلومة موثقة منها، أو مناقشة بعض الآراء التي وردت فيها ونقدها، أو دعم تلك المعلومات المهمة التي أوردها مؤلفها بوثائق وردت في مصادر أخرى.

قبل الإشارة إلى الوثائق الأجنبية، من الجدير بالذكر أنه توجد عدة دراسات بحثت عن علاقة الكرد بالأرمن في حقبة المسألة الأرمنية، أو مست جانباً من تلك العلاقة، واغلب هذه الدراسات الأولى أجراها الساسة والمتقفون الأرمن أنفسهم، ومن المهم

الإشارة إلى بعض منها، مثل مؤلف (هاكوب شاهبازيان-Hagop şahbazyan) المعنون (تاريخ الكُرد والأرمن - Kürt-Ermeni Tarihi)، فقد كان هاكوب من المثقفين الأرمن في الدولة العثمانية، وحاصل على شهادة الحقوق، وقد عايش حقبة المسألة الأرمنية، واطلع على دور الكُرد فيها، لذلك يعد مؤلفه من أوائل الدراسات في هذا المجال، ومن المعروف أن هاكوب كان قد أصدر مؤلفه هذا باللغة الأرمنية في استانبول عام ١٩١١. ولا يمكن الاستغناء عنه للمعلومات النادرة التي فيه نتيجة لقرب مؤلفه تاريخياً من أحداث المسألة الأرمنية، رغم تفسيره للعديد من الأحداث التاريخية حسب وجهة النظر الأرمنية. أما الكتاب الآخر فهو للسياسي والمؤرخ الأرمني، ومن الداعين إلى عقد الصداقة بين الكُرد والأرمن هو (كارو ساسوني - Garo Sasuni) صاحب كتاب (الحركة القومية الكُردية وعلاقة الأرمن بالكُرد - Kürt Ulusal Hareketleri ve Ermeni-Kürt İlişkileri)، فإن كارو ساسوني قد عاصر تلك الأحداث وشارك في بعض منها، خصوصاً في المدة ما بين (١٩١٣-١٩٣٠)، ففي هذا المصدر المهم وردت معلومات نادرة جداً، كما نوقشت بعض المعلومات الأخرى التي وردت فيها مع معلومات وأحداث تاريخية جاءت في مصادر قريبة منها. إن ما يميز هذا الكتاب هو أنه يمثل المذكرات الشخصية لكارو ساسوني وفي نفس الوقت يمكن عدّها دراسة أكاديمية رائدة ومتميزة في مجال الدراسات الكُردية الأرمنية، ويختلف كارو ساسوني عن المؤلفين الأرمن الآخرين، على الرغم من عدم خروجه عن الخط العام في دعم الرواية الأرمنية، بتوجيه أصابع الاتهام إلى الساسة الأرمن أنفسهم وتحميلهم توتر علاقة الكُرد بالأرمن في بعض المواقف.

ومن المهم في هذا الصدد أيضاً التنويه إلى مؤلف (م. كالمان - M.Kalman) المعنون (الغرب-أرمنستان علاقة الكُرد والجينوسايد Bati-Ermenistan Kürt İlişkileri Ve Jenosid)، وكذلك إلى مؤلف (مايفسراي في.تي Mayévsriy V.T) المعنون (البيئة الاجتماعية والثقافية في كردستان خلال القرن التاسع عشر: علاقة الكُرد-الأرمن - 19.Yüzyıld Kürdistan'ın Sosyo- Kültürel Yapısı: KürtErmeni İlişkileri). فرغم مكانة هذين المؤلفين في شرح أبعاد علاقة الكُرد بالأرمن خلال حقبة المسألة الأرمنية، إلا أن الأول (م.كالمان) يدافع عن الأرمن ويتهم الكُرد باضطهادهم، والثاني (مايفسراي) يدافع عن الكُرد، ويتهم الأرمن لكونهم هم من بدأوا بالتحريض وعمليات القتل أولاً، ولكل منهما بطبيعة الحال حججه في دعم رأيه في المسألة الأرمنية وعلاقة الكُرد بها.

ويمتاز كلا المؤلفين بإيراد معلومات تاريخية غاية في الأهمية والندرة بشأن علاقة الكُرد بالأرمن، إلا أن ما يؤخذ على مؤلف (م. كالمان) هو محاولته مثل المؤرخين الأرمن اتهام الكُرد بشدة في العديد من المواقف في تاريخ المسألة الأرمنية، وإلقاء تبعات تطوراتها فقط على عاتق الكُرد، وذلك يعود ربما إلى تأثره ببعض المصادر الأرمنية التي استقى منها معلوماته تلك.

يظهر أن الوثائق المتعلقة بالمسألة الأرمنية سواء أكانت أجنبية أم عثمانية قد نشر منها مجموعة كبيرة جداً، وإذا كانت قد بقيت هناك مجموعة من الوثائق لم يطلع عليها بعد الباحثون والمؤرخون المختصون بالمسألة الأرمنية، فتكاد لا تخرج من الإطار الفكري والمعلوماتي العام الذي كونه الوثائق المنشورة منها، وذلك لسببين، الأول: انه قد مرّت مدة لا بأس بها على المسألة الأرمنية حيث انتهت فصولها في عام ١٩٢٠، ثانياً: أن الجانبين الأرمني والتركي قد كشفوا ونشروا كل ما بحوزتهما من الوثائق لإدانة أحدهما الآخر، ولتوثيق حجته قدر الإمكان أمام الرأي العام العالمي، لان المذابح الأرمنية في الحرب العالمية الأولى، وكما هو معروف في تاريخ الإبادة العرقية في القرن العشرين، تعد أول تلك الإبادات التي تدرس حتى الآن في الجامعات والمعاهد العالمية وخصوصاً الغربية منها.

تبرز الوثائق البريطانية، كمادة خام في أغلب حقب المسألة الأرمنية، فهناك عدداً كبيراً من تلك الوثائق، خصوصاً بين سنوات ١٨٧٠ إلى ١٩٠٧، لأن بريطانيا في تلك المدة كانت الدولة العظمى الراعية للمسألة الأرمنية، لقد نشرت مجموعة كبيرة من تلك الوثائق في مصادر عدة، لعل أبرزها هي تلك التي نشرها المؤرخ التركي (بلال شمشير- Bilâl N.Şimşir) في أربعة أجزاء، والمعنونة بـ(الوثائق البريطانية عن الأرمن العثمانيين- British Documents on Ottoman Armenians) فإن أغلب الوثائق البريطانية عن الأرمن وعن مسألتهم في الدولة العثمانية ما بين سنوات (١٨٥٦-١٨٩٥) موجودة في هذا المؤلف، الذي يعد المصدر الوثائقي الأول عن المسألة الأرمنية، وقد اعتمد عليه أغلب الباحثين والمؤرخين المختصين في شأن المسألة الأرمنية، إن الملاحظة التي تؤخذ على هذا المصدر الوثائقي هي أن بلال شمشير لم ينشر مع الوثيقة البريطانية صورتها الأصلية، ولكن بعد مقارنة هذه الوثائق بوثائق بريطانية أخرى ثبت بأن بلال شمشير نشر نص تلك الوثائق ولم يقم بحذف أو تبديل أي كلمة في نصوصها، وفي هذا المجال

يمكن مثلاً مقارنة هذه الوثائق بما ورد في مؤلف (أرمان جي. كيراكوسيان - Arman J.Kirakossian المعنون بـ) السياسة البريطانية والمسألة الأرمنية من ١٨٣٠ إلى ١٩١٤ - British Diplomacy and the Armenian Question: From the 1830s to 1914 ، فان الباحث الأرمني أرمان قد اعتمد في مؤلفه على الوثائق البريطانية بشكل كبير وهي نفس الوثائق التي أوردها المؤرخ التركي بلال شمشير. لقد أكمل نشر الوثائق البريطانية عند المدة التي توقف عندها بلال شمشير المؤرخ التركي (معمر ديمريل - Muammer Demirel) وذلك ضمن كتابه الوثائقي (الوثائق البريطانية عن الأرمن ١٨٩٦-١٩١٨ - British Documents on Armenians 1896-1918 ثم أكمل نشر الوثائق البريطانية المتعلقة بالمسألتين الأرمنية والكردية المؤرخ الكردي (احمد عثمان أبو بكر) في مؤلفه المعنون (كردستان في عهد السلام)، حيث ضم بين دفتيه الوثائق البريطانية التي تعود للسنوات الثلاث ١٩١٨-١٩٢٠ .

إن الملاحظة التي يجب أخذها بنظر الاعتبار عند البحث في الوثائق البريطانية عن الحقيقة التاريخية في حقبة المسألة الأرمنية، هي ضرورة أخذ الحذر عند قراءة تلك الوثائق المقربة زمنياً إلى أية حادثة وعدم التسليم بها ومقارنتها بغيرها، لان المعلومات الأولية عن كل حادثة أو واقعة متعلقة بالمسألة الأرمنية، اعتمد عليها القناصل والساسة البريطانيون في الدولة العثمانية كان مصدرها الأرمن وحدهم، ولكن البريطانيون أنفسهم في عدة مرات قد فندوا تلك المعلومات، التي وردت في تقاريرهم السابقة، بعد أن تمضي مدة زمنية معينة على تلك الحادثة.

ربما أن الوثائق العثمانية ليست أقل أهمية من الوثائق البريطانية في هذا المجال، ولكن الوثائق البريطانية تمتاز بكونها أكثر حرفية من حيث ذكر تفاصيل الموضوع وتحليله ودقة تواريخه، وقد عمدت الحكومات التركية المتعاقبة إلى نشر تلك الوثائق وذلك لدعم حجتها في المسألة الأرمنية، ومن تلك الكتب الوثائقية مثلاً الكتاب الوثائقي لـ (محمد فخرالدين كرزي اوغلو - M.Fahrettin Kirzioglu)، المعنون بـ (الأعمال الوحشية الأرمنية في قارص وجوارها ١٩١٨ - ١٩٢٠ -

Atrocities Committed by the Armenians in Kars and its Vicinity 1918-1920).

أو تلك السلسلة من الكتب التي أصدرت تحت عنوان (الوثائق)، وقد ترجم الجزء الثالث منها إلى اللغة العربية، كما ينبغي في هذا الصدد الإشارة إلى الكتاب الوثائقي المهم لبلال

شمشير الصادر في أربعة أجزاء والمعونة بـ(الوثائق الدبلوماسية العثمانية: الشؤون الأرمنية- Documents Diplomatiques Ottomans: Affaires Armeniennes) حيث يضم هذا الكتاب بين دفتيه معظم التقارير الدبلوماسية العثمانية عن المسألة الأرمنية، وأغلب التقارير التي نشرت في الصحافة الغربية وردود الحكومة العثمانية عليها ما بين سنوات (١٨٨٦-١٩٠٠)، وهذا المصدر لا يمكن الاستغناء عنه في المواضيع المتصلة بالمسألة الأرمنية.

ربما لا تضاهي الوثائق الروسية في هذا المجال نظيرتها البريطانية والعثمانية، من حيث كثرتها وتفصيل معلوماتها، ولكن ما يميز هذه الوثائق أنها قد ضمت خلال حقبة المسألة الأرمنية بعض التقارير عن قناصل روس في شمال كردستان كانت أكثر حيادية من العديد من الوثائق البريطانية، ومما يجدر ذكره هنا أن الوثائق الروسية في كثير من المصادر الوثائقية كانت مدونة باللغتين الروسية والفرنسية، ومن المهم في هذا الصدد الإشارة إلى تقرير القنصل الروسي (مايوسكي-Mayewski) في وان وأرضروم في تسعينيات القرن التاسع عشر، الذي يحمل عنوان (إحصائيات ولاية وان وبتليس-Statistique des Provinces de Van et de Bitlis). وكذلك كتاب (تطلعات ونشاط اللجان الثورية الأرمنية قبل وبعد إعلان الدستور العثماني - Aspirations et Agissement Révolutionnaires des Comités Arméniens, avant et après la proclamation De la Constitution Ottomane) .

الذي يضم وثائق روسية عديدة باللغة الفرنسية، فضلاً عن الكتاب الوثائقي للباحث الكردي افراسيياو هورامي، الذي يحمل عنوان (الكردي في الأرشييف الروسي والسوفييتي- كورد له ئه رشيفد رويسيا وسؤثيهت دا). وما دام الحديث عن الوثائق الروسية فلا بد هنا من الإشارة إلى كتاب الضابط الروسي (أفريانوف-Avyarov) الذي ألف في بداية القرن العشرين، والذي حمل عنوان (الكردي في الحروب العثمانية- الروسية والإيرانية ١٨٠١-١٩٠٠-1801-1900 Osmanli-Rus ve Iran Savaşlar'nda Kürtler)

حيث لا يمكن الاستغناء عنه، وذلك لمعرفة ثقل الكردي في السياسة الروسية تجاه الدولتين العثمانية والإيرانية، خاصة بعد تشكيل الفرسان الحميدية، الذي كان موجهاً بالدرجة الأولى، حسب الروس، إلى سياسة روسيا القيصرية وأطماعها في المنطقة.

فضلاً عن ذلك استعانت الدراسة بوثائق أمريكية، ويبرز في هذا المجال الكتاب الوثائقي (السجلات الرسمية الأمريكية عن الإبادة الجماعية الأرمنية ١٩١٥-١٩١٧-

1915-1917 (United States Official Records on the Armenian Genocide) للباحث (أرا سارافيان- Ara Sarafian)، ووثائق ايطالية التي أوردها الباحث (ماوريزو روسو- Maurizio Russo) في بحثه الموسوم (تشكيل أفواج الفرسان الكردية الحميدية - La formation des regiments de cavalerie kurde hamidié) فضلاً عن الوثائق الفرنسية التي نشرها الباحث التركي (حسن ديلان- Hasan Dilan) والمعونة بـ(الأحداث الأرمنية في الوثائق الدبلوماسية الفرنسية ١٩١٤-١٩١٨ - Fransiz Diplomatiik Belgelerinde Ermeni Olaylari 1914-1918) ضمن عدة أجزاء.

كما أفادت الدراسة من الصحافة الكردية التي صدرت في تلك المدة، مثل جريدة كردستان (١٨٩٨-١٩٠٢)، ومجلة كرد تعاون ترقى (١٩٠٨-١٩٠٩)، ومجلة كردستان (١٩١٩-١٩٢٠)، التي شكلت رافداً مهماً للدراسة، لان الآراء التي وردت فيها كانت تمثل وجهة النظر الكردية من المسألة الأرمنية.

وأخيراً في مجال عرض وتحليل المصادر تجدر الإشارة إلى بعض المؤلفات التي أغنت هذه الدراسة وأثرتها في جوانب عديدة، وهي دراسات عدة كان أصحابها رواداً في بحث تاريخ المنطقة بشكل عام، ويأتي في مقدمتها مؤلف (م.س. لازاريف) المعنون بـ(المسألة الكردية ١٨٩١-١٩١٧)؛ إذ يعد هذا الكتاب، بجانب مؤلفات جليلي جليل وخاصة (نهضة الأكراد القومية والثقافية في أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين) و(انتفاضة الشيخ عبید الله النهري ١٨٨٠)، من أهم المؤلفات التي تناولت علاقة الكرد بالأرمن من وجهة نظر الوثائق الروسية، فان المؤرخين قد اعتمدوا على عدد من الوثائق ليس من السهل الحصول عليها. ولكن الملاحظة التي تؤخذ على مؤلفاتهما، رغم قيمتهما العلمية المتميزة والرائدة في مجال الدراسات الكردية، هي أنهما تجنباً في عديد المرات عدم الخوض في سياسة الأحزاب الأرمنية تجاه الكرد، وإلقاء كل اللوم والتبعات، في تطورات المسألة الأرمنية، على الإقطاع الكردي ومن خلفهم الحكومات العثمانية. وأيضاً كانت لمؤلفات (جستن مكارثي- Justin McCarthy) وقعها المتميز بالنسبة لهذه الدراسة، وخاصة مؤلفه (التمرد الأرمني في وان - The Armenian Rebellion at Van) الذي اشترك في تأليفه مع مجموعة من المؤرخين الآخرين. هذا الكتاب يخوض في تفاصيل المسألة الأرمنية من وجهة نظر الوثائق العثمانية، مع اعتماده على نسبة متميزة من الوثائق البريطانية أيضاً، ويعد

كتاباً فريداً في بابه، من حيث كثرة المعلومات فيه التي تدحض الحجة الأرمنية، ويؤكد مكارثي أن أي حادثة في حقبة المسألة الأرمنية، بدأها الأرمن أولاً، كما أن المذابح التي ارتكبتها الأرمن ضد المسلمين والكرد في وان في عام ١٩١٥ هي حقائق تاريخية لا يمكن إنكارها.

إن استعراض المصادر المهمة للتحليل هنا لا تنتهي عند هذا الحد، فقد كانت لمؤلفات (رجب مرعشلي-Recep Marşali)، و(كونتر لوي-Guenter Lewy)، و(ديفيد كانت-David Gaunt) و(صلاحي سونيل-Salâhi Sonyel)، و(كريستوفر جي. والكر-Christopher J. Walker)، و(ادوين مونسيل بليس-Edwin Munsell Bliss)، و(موسى شاشماز-Musa şaşmaz)، و(ستانفورد شو-Stanford Shaw)، و(ديفيد مكول) ومؤلفين آخرين، ضمتها قائمة المصادر والمراجع، أهمية متميزة بالنسبة لهذه الدراسة، لا تقل عن تلك التي مرّت الإشارة إليها سابقاً، وستبين أهمية جميع هذه المصادر عند متابعة فصول الكتاب.

أما بخصوص الصعوبات التي واجهت طريق هذه الدراسة، فلا تكاد توجد دراسة تخلو من مجموعة من الصعوبات والعوائق، كانت سبباً في إخراج الدراسة بشكل مغاير سلباً أو إيجاباً. ففيما يخص (الكرد والمسألة الأرمنية) كانت أكبر صعوبة واجهتها هذه الدراسة هي مشكلة الترجمة، فمن المعروف أن الدراسات العربية والكردية والمترجمة إليها فيما يخص هذا الموضوع تكاد تكون محدودة جداً، أو تعبر فقط عن وجهة نظر واحدة، لذلك كان من المفروض ترجمة كل ما له علاقة بـ(الكرد والمسألة الأرمنية)، من اللغات الأجنبية وخاصة (الانكليزية، والفرنسية، والتركية)؛ لأن المسألة الأرمنية إنما دونت بهذه اللغات الثلاث، لذلك تم ترجمة أغلب ما حصل عليه من مادة بهذا الشأن إلى اللغة العربية، وفي مرات عدة ترجم النص المستخدم في الدراسة مرتين، ومن لغتين مختلفتين فقط للحصول على المعنى الدقيق للنص المترجم، ومن أجل الوصول إلى المعلومة الأصلية.

وفي الأخير لا بد من توجيه كلمة شكر وامتنان إلى كل من ساهموا بتقديم مساعدة وبأي شكل كان في سبيل اتمام هذه الدراسة، وأخص بالذكر هنا والدتي ووالدي، وزوجتي (سولاف) وأولادي، وإخوتي الاعزاء وأخواتي العزيزات، وأخص بالذكر هنا أخي (توفيق) الذي كان خير سند لي أثناء فترة البحث والدراسة. ومن جميل الوفاء

هنا تقديم شكري إلى الاستاذة الفاضلة الدكتورة سعاد حسن جواد، لما ابدتها من توجيهات علمية دقيقة، ومساهماتها القيمة في تصويب وتقويم هذه الدراسة، فان هذه الدراسة بالأصل كانت أطروحة دكتوراه وتفضلت الدكتورة سعاد حسن جواد بالإشراف عليها مشكوراً. كما ازجي شكري وامتناني إلى كل من الدكتور خليل علي مراد، والدكتور عبدالله محمد علي العلياي، والدكتور بيار مصطفى سيف الدين، والدكتور صباح حسين محمد، والدكتور خطاب اسماعيل أحمد، والدكتور طارق احمد شيخو، لمساعدتهم القيمة في تصويب الدراسة وتزويدهم العمل بمصادر قيمة، ولا انسى ان اذكر فضل السيد عبد الرزاق كرمافي لمساعدته في طبع هذا الكتاب ومتابعته لهذا الامر مشكوراً. والله ولي التوفيق

هوكر طاهر

تشرين الأول ٢٠١٢

الفصل الأول

علاقة الكُرد بالأرمن حتى ظهور المسألة الأرمنية عام ١٨٧٧

- أولاً- الأرمن في ظل الإمارات الكُردية حتى بداية القرن التاسع عشر.
- ثانياً- تغلغل الدول الكُبرى في كُردستان وأثره في علاقة الكُرد بالأرمن ١٨٠٠-١٨٤٧ .
- أ- الكُرد والأرمن في الحرب الروسية العثمانية ١٨٢٨-١٨٢٩ .
- ب- الأرمن في ظل حكم الأمير بدرخان بك.
- ثالثاً- حقبة الانحسار الكُردية والتقدم الأرمني ١٨٤٨-١٨٧٧ .

أولاً: الأرمن في ظل الإمارات الكردية حتى بداية القرن التاسع عشر

كان النظام الإماراتي في كُردستان أهم سمات المجتمع الكردي الحديث، حيث تكونت في كُردستان إمارات كُردية عديدة، وقد اختلفت المصادر التاريخية في ذكر عددها، وحدودها، وسنوات تأسيسها، إلا أن هناك ما يشير إلى أن تأسيس النظام الإماراتي في كُردستان في العصر الحديث يعود بجذوره إلى القرن الرابع عشر الميلادي، لتصل في القرنين السابع عشر والثامن عشر إلى عصرها الذهبي؛ ثم لتسير بعد ذلك إلى مصيرها النهائي بالزوال على يد الدولة العثمانية في منتصف القرن التاسع عشر^١.

يبدأ تاريخ الكُرد الحديث، كما ذهب إليه أغلب الباحثين والمؤرخين المهتمين بتاريخ الكُرد، من بداية القرن السادس عشر، وبالتحديد عند وقوع معركة جالديران، في شمال شرق بحيرة وان عام ١٥١٤، بين الدولتين الكبيرتين آنذاك، الدولة الصفوية والدولة العثمانية، حيث قُسمت كُردستان بين هاتين الدولتين، العثمانية التي احتفظت بالقسم الأكبر منها، والصفوية التي اكتفت بالشريط الشرقي من بلاد الكُرد^٢، وكان للأمرء والقادة الكُرد آنذاك دورٌ كبير في رجحان كفة الدولة العثمانية على الدولة الصفوية، ويأتي على رأس هؤلاء القادة ملا إدريس البتليسي^٣، الذي

١. ينظر: شرفخان البديسي، شرفنامه في تاريخ الدول والإمارات الكُردية، ترجمة: محمد علي عوني، مراجعة وتقديم: يحيى الخشاب، ج١، ط٢، دمشق، ٢٠٠٦، ص٥٧ وما بعدها؛ جليلي جليل، من تاريخ الإمارات في الإمبراطورية العثمانية، ترجمة: محمد عبدو النجاري، بيروت، ١٩٨٧، ص٤٩ وما بعدها.

٢. ديفيد مكدول، تاريخ الأكراد الحديث، ترجمة: راج آل محمد، بيروت، ٢٠٠٤، ص٦٤-٦٧؛ فهيسه لدهباغ، كوردستان لهچاپکراوه عوسمانلييه كاندا، ههولتير، ٢٠٠٤، ل٥٦.

٣. تعد شخصية (ملا إدريس البتليسي) واحدة من أهم الشخصيات الكُردية جدلاً في العصر الحديث، فإن هناك من الباحثين من يرونه السبب الرئيسي في احتلال الدولة العثمانية لكُردستان، حيث عمد البتليسي إلى عقد اتفاقية بين أمرء الكُرد والدولة العثمانية تعترف فيها هذه الإمارات بالتبعية الاسمية للسلطان العثماني، مقابل الحفاظ على استقلالها، في =

تمكن من حشد الأمراء الكُرد وتعبئتهم، ليخوضوا المعركة ضد العدو (الصفوي الشيعي) آنذاك، وقد عقد ملا إدريس البتليسي بعد ذلك اتفاقية بين هذه الإمارات الكُردية والسلطان العثماني سليم الأول (١٥١٢-١٥٢٠)، مكنت بموجبها الإمارات الكُردية من الحفاظ على استقلالها مقابل إعرافها بالتبعية للسلطان العثماني^١.

شهدت الإمارات الكُردية تعايش المجتمع الكُرد مع قوميات وطوائف متعددة، كان أبرزها المسيحيين، الذين كانوا يتكلمون بلغات مختلفة، ويدينون بعقائد ومذاهب مختلفة^٢، فكان منهم: النساطرة (الآشوريون)، والكلدان، ولكن الغالبية العظمى من مسيحي كُردستان كانوا من الأرمن، الذين كان لهم كنيستهم الخاصة بهم، وتدعى بـ(الغريغورية - Gregorian)^٣، وانتشر غالبية الأرمن بين الكُرد وعاشوا ضمن إماراتهم، أو بالقرب منها في جيوب صغيرة مستقلة، في (كُردستان تركيا-الحالية-) أو (الأناضول الشرقية).

= حين يرى آخرون على انه من ابرز الشخصيات التي حافظت على استقلال الكُرد، وجنب بعمله هذا كُردستان لموجة ثانية من الغزوات المدمرة، كالتى اجتاحتها أثناء الغزو المغولي لها، ويؤكد أصحاب هذا الرأي بأن الاحتلال العثماني لكُردستان كان لا مفر منه، وانه بهذه الإتفاقية قد حافظ على هذه الإمارات الكُردية، التي عمرت حتى منتصف القرن التاسع عشر. للتفاصيل ينظر: محمهد بايرقدار، ئيدريس بتليسى، وهركيران: شكور مستهفا، ص٢، ههولير، ٢٠٠٩، ل٧٥-٨٤؛ سعدي عثمان هروتي، كُردستان والإمبراطورية العثمانية: دراسة في تطور سياسة الهيمنة العثمانية في كُردستان ١٥١٤-١٨٥١، اربيل، ٢٠٠٨، ص٧٣-٧٩.

١. بله ج شيركوه، القضية الكُردية: ماضي الكُرد وحاضرهم، مصر، ١٩٣٠، ص٧-١٠.
٢. مارتن فان برونسن، المجتمع الكُرد: العرق القومية ومشاكل اللجوء، ترجمة: صدقي عز الدين البيرموسي، دهوك، ١٩٩٨، ص١٩.
٣. سميت الكنيسة الأرمنية القومية بـ الغريغورية، نسبة إلى القديس كريغور ابن الأمير اناك، الذي تمكن من نشر الديانة المسيحية بينهم في القرن الثالث الميلادي. للمزيد، ينظر: بول اميل، تاريخ أرمينيا، ترجمة: شكري علاوي، بيروت، د.ت، ص١٤-١٨؛ مروان المدور، الأرمن عبر التاريخ، ط٢، دمشق، ١٩٨٠، ص١٦٧-١٨٥.

وكان هناك ميل لدى الباحثين الغربيين إلى إطلاق تسمية (أرمينيا الغربية)، على تلك المناطق التي يكثر فيها العنصر الأرمني^١، وبالتحديد ولايات (وان أو فان-Van)، و(بتليس-Betlis)، و(معمورة العزيز-Mamurtul Aziz) أو(خربوط-Harput)، و(ارزروم-Erzerom)، و(سيواس أو سيفاس-Sivas)، و(ديار بكر-Diyarbakir)، حتى بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى^٢، وكانت غالبية أراضي هذه الولايات تقع ضمن نفوذ الإمارات الكردية حتى سقوطها. وأبرز الإمارات الكردية التي عاش فيها الأرمن جنباً إلى جنب مع الكرد هما إمارتي بتليس، وبوتان^٣. ومن المفيد هنا القول: إن مصطلح (أرمينيا الغربية) وظفته إثنياً وسياسياً الدول الكبرى وبتأثير الأرمن، في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، بعد أن تغلغت في شمال كردستان^٤.

وبالتالي كان الاختلاط بين الكرد والأرمن، فقط ضمن ما يعرف الآن بكردستان تركيا، وفيها نشأت (المسألة الأرمنية)، في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، ضمن مسألة أكبر منها أطلقت عليها الدوائر السياسية الغربية مصطلح (المسألة الشرقية^٥).

١. يحيد الأتراك إطلاق اسم الأناضول الشرقية على شمال كردستان، التي نشأت فيها المسألة الأرمنية، واطلق عليها الأرمن والمؤرخون الغربيون مصطلح أرمينيا الغربية، لتمييزها عن أرمينيا الشرقية، التي كانت تحت السيطرة الإيرانية ثم الروسية، أما المؤرخون الكرد فكانوا يطلقون عليها المصطلحات المختلفة من دون تمييز فيما بينها، ربما لتأثرهم بالمصادر الغربية، ولهذا نحن في دراستنا هذه سنستخدم مصطلح شمال كردستان، اعتقاداً منا أنه الأقرب إلى الصواب في العصر الحديث. وسيأتي الحديث عن تلك المصطلحات لاحقاً ضمن هذا البحث.
٢. ينظر: عثمان علي، دراسات في الحركة الكردية المعاصرة ١٨٣٣-١٩٤٦: دراسة تاريخية وثائقية، تقديم: محمد الهماوندي، اربيل، ٢٠٠٣، ص ١٣.
٣. ينظر: جليلي جليل، المصدر السابق، ص ٧٣-٧٦ و ١١٥-١٤١.
٤. ينظر البحث الثالث من الفصل الثاني.
٥. المقصود بالمسألة الشرقية: هو النزاع الذي اشتد بين الدول الأوروبية الكبرى، في المدة من أواخر القرن الثامن عشر حتى إنتهاء الدولة العثمانية في عام ١٩٢٣، حول النفوذ في تلك الدولة، وصراع هذه الدول من أجل اقتسام ممتلكاتها. ومعنى ذلك أن المسألة الشرقية ظهرت نتيجة للأزمة العامة، التي كانت الدولة العثمانية تعاني منها من جهة، واشتداد التوسع الاستعماري للدول الأوروبية في الشرق الأوسط من جهة أخرى. أما مصطلح (المسألة الشرقية) نفسه فقد استخدم لأول مرة في مؤتمر فيرونا، الذي عقده المحفل الأوربي عام ١٨٢٢ عقب الإنتفاضة اليونانية ضد السيطرة العثمانية عام ١٨٢١. ينظر: هاشم صالح التكريتي، المسألة الشرقية: المرحلة الأولى ١٧٧٤-١٨٥٦، جامعة بغداد، ١٩٩٠، ص ٢١-٢٤.

هناك أمران لا بد من بحثهما، قبل التطرق إلى تفاصيل علاقة الكُرد بالأرمن في الإمارات الكُردية، الأول: ما هي أصول الشعبين الكُرد والارمني؟ والثاني: أين تقع بالتحديد مناطق سكنى كل منهما؟ أو بالأحرى بيان الحدود الإثنية أو الجغرافية الدقيقة لكُردستان وأرمنستان (أرمينيا)، حيث كان الخلاف على أشده بين الشعبين في نهاية القرن التاسع عشر حتى ما بعد الحرب العالمية الأولى.

أمّا بخصوص الأمر الأول فيجمع الباحثون والمؤرخون على أن أصول كليهما ترجع إلى الشعوب الهندوأوربية، التي هاجرت في الألف الأول قبل الميلاد، من سهول آسيا الوسطى إلى منطقة آسيا الصغرى^١، فالكُرد استقروا في المنطقة الحالية التي تعرف بكُردستان، والتي تقع في وسط أو قلب الشرق الأوسط كما يحلو للبعض تسميتها حالياً^٢، ويشير (برنارد لويس-Bernard Lewis) في كتابه (تشكيل الشرق الأوسط الحديث) إلى أن الكُرد هم من بين جميع المكونات اللغوية والإثنية ذو أهمية، فهم وحدهم الباقون في الأراضي الوسطى للشرق الأوسط، وان هناك ما يدل على أن وجودهم هناك يعود إلى أزمان موعلة في القدم^٣. أما الأرمن فإنهم هاجروا في البداية

١. ينظر: جمال رشيد احمد، ظهور الكُرد في التاريخ: دراسة شاملة عن خلفية الأمة الكُردية ومهداها، ج١، اربيل، ٢٠٠٣، ص٥٣-٨٥.

- Leon Dominian, The Peoples of Northern and Central Asiatic Turkey, Bulletin of the American Geographical Society, Vol47 No,11. 1915. P. 853-855

٢. ينظر، مثلاً: يوسف ملك، كُردستان أو بلاد الأكراد، مراجعة وتقديم: عزالدين مصطفى رسول، ط٢، السليمانية، ٢٠٠٦، ص٤٤؛ جليلي جليل، انتفاضة الأكراد ١٨٨٠، ترجمة: سيامند سيرتي، بيروت، ١٩٧٩، ص١٦.

٣. ماريا أوشي، التصورات والتصورات الخاطئة عن التاريخ الكُرد المبكر، في: فالح عبد الجبار وآخرون، الاثنية والدولة: الأكراد في العراق وإيران وتركيا، ترجمة: عبد الإله النعيمي، بغداد-بيروت، ٢٠٠٦، ص١٩٤. من المفيد هنا القول بأن هناك نظريتين حول أصل الكُرد، لاقت قبولاً بين المؤرخين والباحثين في تاريخ الكُرد القديم، النظرية الأولى تلك التي قدمها العالم الروسي (مار) في عام ١٩١١، عندما ذكر بأن أصول الكُرد إنما ترجع إلى الشعوب القوقازية القديمة، التي سكنت كُردستان منذ الالف الثالث قبل الميلاد، أمثال: (الكاشيون، واللولوبيون، والكوتيون، والخالديون، والميتانيون...الخ)، وانها تأثرت بعد ذلك بثقافة ولغة الشعب الميدي الذي هاجر إلى كُردستان في بداية الالف الأول قبل الميلاد. اما النظرية الثانية: فهي تلك التي اطلقها العالم والمستشرق الروسي =

إلى البلقان، ولكن بسبب حدوث صراعات وصدامات بين شعوب المنطقة هناك، فانهم هاجروا إلى أرمينيا، وتذكر الأساطير الأرمنية أنه في تلك الأثناء قام جداهم الأعلى (هايك أو هايرنك - Hairenik) بقيادتهم إلى أرمينيا الحالية، لذلك يحبذ الأرمن إطلاق تسمية (هايكستان) على بلادهم^١، كما تتحدث روايات التاريخ القديم للأرمن على أن هايرنك هو من أحفاد النبي (نوح) الأسطوريين^٢.

أما بخصوص السؤال أو الأمر الثاني، ألا وهو تحديد الحدود الاثنية أو الجغرافية لكل من القوميتين؟ فإن الخلاف ما زال على أشده بين الطرفين، حول مناطق سكنهما خاصة في كردستان تركيا، فتؤكد المصادر الأرمنية على أن كردستان تركيا الحالية كلها تدخل ضمن الأراضي الأرمنية التاريخية، وان الكرد زحفوا نحو الشمال والشرق باتجاه أعالي نهر الفرات والهضبة الأرمنية، مع الفتوحات الإسلامية في شمال كردستان^٣، في حين تؤكد المصادر الكردية أن الكرد الميدين استقروا في تلك المنطقة وكانت ضمن حدودهم الاثنية في الألف الأول قبل الميلاد، كما هو معروف في تاريخ الإمبراطورية الميديّة^٤، وإذا كان الأرمن يعدون أنفسهم ورثة الاورارتيين القدماء الذين حكموا تلك المنطقة، فالكرد أيضاً يعدون الميدين أجدادهم الأقربين، ودولة ميديا هي

= (مينورسكي) في عام ١٩٣٨، عندما أرجع أصول الكرد إلى الميدين الذين ينتمون إلى سلالة الهندوأوربيين الذين هاجروا إلى كردستان، في بداية الألف الأول قبل الميلاد، حيث قامت باحتواء شعوب المنطقة، وكونت بعد ذلك الشعب الذي عرف في المنطقة بالشعب الكردي. ينظر: ف.ف. مينورسكي، الأكراد ملاحظات وانطباعات: الأكراد أحفاد الميدين، ترجمة وتعليق: معروف خزندهار وكمال مظهر احمد، بيروت، ١٩٨٧، ص ١٢٣ - ١٤٠؛ باسيل نيكيستين، الكرد: دراسة سوسيوولوجية وتاريخية، تقديم: لويس ماسينيون، ترجمة: نوري طالباني، دهوك، ٢٠٠٨، ص ٤١-٥٧ .

١. موسيس خوريناتسي، تاريخ الأرمن: من البداية حتى القرن الخامس الميلادي، ترجمة: نزار خليبي، دمشق، ١٩٩٩، ص ٣٨-٤٧ .

2. JEREMY SALT, Imperialism- Evangelism and Ottoman Armenians 1878-1896, London, 1993, P.55.

٣. حول هذا الموضوع ينظر: مارتن فان بروينسن، الأغا والشيخ والدولة: البنى الاجتماعية والسياسية لكردستان، ترجمة: امجد حسين، ج ١، بغداد- بيروت، ٢٠٠٧، ص ٢٤٢؛ ارشاك بولاديان، الأكراد: من القرن السابع إلى القرن العاشر الميلادي، ترجمة: مجموعة مترجمين، دمشق، ٢٠٠٤، ص ٣٣ وما بعدها.

٤. عن الكرد الميدين، ينظر: ف.ف. مينورسكي، المصدر السابق، ص ١٢٣ - ١٤٠ .

دولة الكُرد، ووجودهم التاريخي في كُردستان وجود واقعي لا يمكن نفيه^١. صحيح أن الأرمن أسسوا دولاً وإمارات أرمنية في شمال كُردستان، حتى وصلت حدودهم لمدة محدودة من الزمن إلى شمال سوريا وبلاد الرافدين في عهد ملكهم الأبرز (تيكران الثاني - Tigranes II) (٩٤-٥٥ ق.م)^٢؛ ولكن بالمقابل أسس الكُرد فيها عدداً كبيراً من الدول والإمارات، ابتداءً بالدولة الميدية في تاريخهم القديم، ومروراً بالدولة المروانية في التاريخ الوسيط الإسلامي، وانتهاءً بالإمارتين القويتين البتليسية والبوتانية في العصر الحديث، بل كان للكُرد الدور الحاسم في أحداث هذه المنطقة خلال معظم العهود التاريخية.

إن لا يستطيع الباحث إيجاد حدود دقيقة لأرمينيا في معظم عصور التاريخ، وربما يرجع ذلك إلى انه ليس لأرمينيا حدود طبيعية، فهي كانت دائماً تتغير تبعاً لأحداث التاريخ المتعاقبة^٣، بعكس كُردستان؛ فإن الكُرد وجدوا وبشكل مستمر في وطنهم، بفضل وجود الدول والإمارات الكُردية في كُردستان خلال أغلب حقبة التاريخ. وبتعبير أدق وفرت تلك الكيانات أرضية اجتماعية وسياسية متينة منعت عموماً من تشتت الكُرد تحت وطأة اشد الضغوط الخارجية، كالغزوات، وهجرات القبائل البدوية الغربية، برزت كُردستان، وبفضل وجود هذه الكيانات كحقيقة سياسية، ديموغرافية، جغرافية، ثقافية متميزة^٤.

أُلقت هذه الإشكالية بظلالها على القوميتين في العصر الحديث، فيذهب العديد من الباحثين والمؤرخين يتقدمهم المؤرخ كمال مظهر أحمد إلى ان تقسيم كُردستان تم في عام ١٥١٤ إثر معركة جالديران، وهذا الأمر متفق عليه، ولكن هؤلاء يذكرون أن أرمينيا قسمت هي الأخرى مثل كُردستان إثر عقد معاهدة زهاب بين الدولتين العثمانية والصفوية عام ١٦٣٩، وعند النظر إلى هذا التقسيم يقع الباحث في معضلة ألا وهي: ان تقسيم المناطق بين الدولتين العثمانية والصفوية في الأناضول

١. محمد الملا احمد، جمعية خوييون والعلاقات الكُردية-الأرمنية، اربيل، ٢٠٠٠، ص ١٠٥.
٢. ينظر: جورج قرم، تاريخ الشرق الأوسط من الأزمنة القديمة إلى اليوم، بيروت، ٢٠١٠، ص ٧٧-٧٨.
٣. نجلاء عدنان حسين العكلي، الدولة العثمانية والمشكلة الأرمنية ١٨٩٤-١٩١٦، رسالة ماجستير مقدمة إلى قسم التاريخ، كلية التربية، جامعة المستنصرية، بغداد، ٢٠٠٣، ص ٣.
٤. سعد بشير اسكندر، قيام النظام الإماراتي في كُردستان وسقوطه: ما بين منتصف القرن العاشر ومنتصف القرن التاسع عشر، بغداد، ٢٠٠٥، ص ١٣.

الشرقية - شمال كُردستان- هي نفسها، أي هي نفس المناطق التي قسموها فمرة يقولون إنها كُردستان، وتارة يضعونها تحت اسم أرمينيا^١، فإذا كانت حدود كُردستان من جهة الشمال الشرقي تصل إلى بتليس، ووان، واردهان، وباتوم، وقارص، وبايزيد، التي تقع في أقصى شمال كُردستان، فاين هي حدود أرمينيا التي تقع على الجانب العثماني، هل هي نفس المناطق بايزيد، ووان، واردهان؟ هذه إشكالية واضحة تخص هذا الجانب وتلامس التاريخ الحديث لكلا القوميتين المتجاورتين.

لا يمكن حل هذه الإشكالية إلا بالرجوع إلى تلك المدة التاريخية، التي قسمت فيها كُردستان أو أرمستان بين الدولتين العثمانية والصفوية، أي: إلى القرن السادس عشر الميلادي، لمعرفة تبعية هذه المناطق أكانت كُردستان أم أرمستان؟.

يضع شرفخان البتليسي، مؤرخ الكُرد الأول، الذي انتهى من تأليف كتابه (الشرفنامه) عام ١٥٩٦، هذه المناطق ضمن حدود كُردستان، أو بلاد الكُرد، بل ان عائلته كانت تحكم جزءاً كبيراً من شمال كُردستان، إمارة بتليس، التي كان يتواجد فيها عدد كبير من الأرمن، فيقول بشأن حدود كُردستان: "ويبتدىء حد بلاد الكُرد (كُردستان) من ساحل بحر (هرمز- الخليج الفارسي) المتفرع من المحيط على خط مستقيم، ممدود من هناك إلى آخر ولايتي ملاطية ومرعش، فيكون الجانب الشمالي لهذا الخط ولايات: فارس، والعراق العجمي، وأذربيجان، وأرمينيا الصغرى، وأرمينيا الكُبرى^٢، ويقع في جنوبه العراق العربي، وولايات الموصل، وديار بكر^٣، ويورد

١. ينظر: كمال مظهر احمد، كُردستان في سنوات الحرب العالمية الأولى، ترجمة: محمد الملا عبدالكريم، ط٢، بغداد، ١٩٨٤، ص٢٣٥-٢٣٦ وص٢٤٤-٢٤٩؛ محمد خليل أمير، علاقة الأكراد بمذابح الأرمن، د.م، د.ت، ص٣.

٢. مملكة أرمينيا أو أرمينيا الكُبرى، كانت مملكة مستقلة ما بين ١٩٠ ق.م - ٣٨٧م، ومن ثم خضعت للإمبراطورية الرومانية والإمبراطورية الفارسية حتى عام ٤٢٨م، وقد شملت مناطق واسعة في الأناضول. اما أرمينيا الصغرى، وتعرف كذلك بمملكة كليزيا (قلقيليا) أسست على الساحل الجنوبي الشرقي للأناضول، وذلك في القرن الثاني عشر، وانتهى وجودها بغزو المماليك لها عام ١٣٧٥. للتفاصيل، ينظر: بول اميل، المصدر السابق، ص٢٩-٣٢؛ فهراهاد پيربال، كورد لهيدي رۆژهه لاتناسه كانه وه، ههولير، ٢٠٠٦، ل١٠٢.

٣. ينظر، مؤلفه: المصدر السابق، ص٥٩.

شرفخان مصطلحي أرمينيا الصغرى وأرمينيا الكبرى، وعلى ما يبدو إنهما مناطق جغرافية وليست لها دلالة سياسية، أو قومية، أو إثنية.

وقد أدخل هذه المناطق ضمن حدود الكُرد الجغرافية في تلك المدة الرحالة التركي أوليا جلبي أيضاً، فيقول بهذا الصدد: " يصل الطرف الشمالي لهذه البلاد[أي: كُردستان] إلى ارضروم وفيها وان، وهكاري، والجزيرة، والعمادية، والموصل، وشهرزور، وحرير، واردلان، وبغداد، ودرتنك، ودرنة، إلى أن تصل إلى البصرة، فهي بلاد يبلغ طولها (٧٠) مرحلة سير، وكُردستان هذه هي بلاد صخرية، تقع بين العراق العربي وبلاد عمان، وينتشر بين جبالها وفي مدنها ستة آلاف عشيرة وقبيلة... أما عرض كُردستان فليس بقدر طولها، يحدها من الشرق حدود العجم، ومن حرير واردلان وحتى بلاد الشام وحلب يتراوح عرضها بين (٢٠-٢٥) مرحلة، والجزء الضيق من هذا العرض يكون بخمس مراحل، ويوجد في هذا الإقليم خمسمائة ألف مقاتل من حملة البنادق وجميعهم شافعيون، ولهم مجموع (٧٥٠) قلعة وجميعها عامرة"^١، كما أن الادارة العثمانية نفسها كانت تطلق منذ نهاية القرن السابع عشر، اسم ولاية كردستان على(دياربكر، وجزيرة بوتان، ودرسيم، وموش، ووان، وهكاري)^٢، وكانت التقارير بينها وبين العاصمة استانبول توقع باسم (والي كُردستان) حتى منتصف القرن التاسع عشر^٣.

كذلك أشار إلى هذه المنطقة كل من زارها من الرحالة الغربيين، على أنها بلاد الكُرد بالدرجة الأولى، مثل: الراهب الايطالي (جيوسبي كامبانلي-Giuseppe Campanile) الذي عاش في كُردستان حوالي عشر سنوات في بداية القرن التاسع عشر، وزار أغلب المدن والمناطق الكُردية في شمال كُردستان، وعندما غادرها كتب ملاحظاته عن هذه البلاد ضمن كتاب طبع في نابولي عام ١٨١٨، وكان كتابه يحمل عنوان: (تاريخ كُردستان- Histoire Du Kurdistan)^٤، بل حتى ان المصادر الأرمينية نفسها أشارت إلى منطقة الاشكرت او الشکرد، التابعة لباشا بايزيد الكُرد، التي تقع في أقصى شمال شرق

١. رحلة اوليا جلبي في كُردستان عام ١٠٦٥هـ-١٦٥٥م، ترجمة: رشيد فندي، دهوك، ٢٠٠٨، ص ٩٩.

٢. باسيل نيكيتين، المصدر السابق، ص ٦٦؛ عبدوللا غفور، سنووري كوردستان، چاپي سييهم، ههولير، ٢٠٠٦، ل ١٦-١٧.

٣. ينظر: عثمان علي، الكُرد في الوثائق العثمانية، اربيل، ٢٠١٠، ص ١١٩-١٢٢.

4. Giuseppe Campanile, Histoire Du Kurdistan, Traduite: Thomas Bois, Libnan, 1953.

كُردستان على أنها دولة الكُرد في القرن الثامن عشر^١. وفي عام ١٨٦٣ وضع القنصل الروسي في ازمير (سي.موستراس - C. Mostras) (المعجم الجغرافي للامبراطورية العثمانية)، تحدث فيها عن الأقاليم العثمانية في تركيا الأوربية، و تركيا العثمانية، كما صنفها هو بنفسه، وعندما عدّ ولايات تركيا الاسيوية أشار إلى ولاية باسم كُردستان؛ حيث يقول ما نصه: "ولاية كُردستان: مركزها مدينة دياربكر، وهي ثلاثة ألوية: ماردين، واسعد (سعد)، ودياربكر"^٢، وقد كان لقب والي ارضروم (اسماعيل حقي باشا) في سبعينات القرن التاسع عشر، هو (والي كُردستان)، كما ورد ذلك في أغلب المصادر التاريخية التي تناولت تاريخ الكُرد حينذاك^٣، والاكثر من هذا كله هو عندما باشرت بريطانيا بتطبيق سياسة الاصلاحات الأرمنية بعد الحرب الروسية العثمانية ١٨٧٧-١٨٧٨، وبالتحديد في عام ١٨٧٩ قامت بتعيين قنصل عام في شمال كُردستان وأسندت إليه هذه المهمة، اطلقت بريطانيا على هذا القنصل، الذي اتخذ من مدينة ارضروم مركزاً له، اسم قنصل كُردستان، على الرغم من أن مهمته الأساسية هناك كانت تتعلق بـ(تطبيق الاصلاحات الأرمنية في المنطقة)^٤.

كما أن هناك دلالات أخرى تدل على انها كانت ضمن نطاق الحدود الجغرافية الكُردية، فضلاً عن ان الكُرد كانوا هم الذين يحكمون هذه المنطقة، كان غالبية السكان من الكُرد، وحتى بعد سقوط النظام الإماراتي في كُردستان بحلول النصف الثاني من القرن التاسع عشر ظل الكُرد أصحاب النسبة السكانية الأعلى في المنطقة، مقارنة بالأرمن أو الأتراك الذين حاولوا زيادة نسبة نفوسهم في هذه المنطقة، من خلال احصائياتهم التي قدمت إلى الدول الكبرى في عدة مناسبات؛ بل يذهب العديد من

1. Garo Sasuni, KÜRT ULUSAL HAREKETLERI ve ERMENI-KÜRT İLİŞKİLERİ

(15.yy.dan Günümüze), Stockholm, 1986, S.54.

٢. ينظر، مؤلفه: المعجم الجغرافي للامبراطورية العثمانية، ترجمة وتعليق: عصام محمد الشحات، بيروت، ٢٠٠٢، ص ٢٤.

3. JAMES CREAGH, ARMENIANS-KOORDS AND TURKS, SOUTHAMPTON,1880, P.273;

- ن.أ.خالفين، الصراع على كُردستان: المسألة الكُردية في العلاقات الدولية خلال القرن التاسع عشر، ترجمة: احمد عثمان ابو بكر، بغداد، ١٩٦٩، ص ٩١.

٤. ينظر: المبحث الثاني في الفصل الثاني.

الباحثين والمؤرخين إلى أن الأرمن لم يكونوا أغلبية ظاهرة، يمكن أن تكون نواة لدولة مستقلة منفصلة، في أغلب مناطق شمال كُردستان^١، وان كل هذا يدل على أن اسم كُردستان كان يطلق على معظم أراضي الولايات الستة، التي يسميها الأرمن بـ(ارمينيا الغربية)، وكان يطلق على هذه المنطقة اسم (كُردستان) من جهات عدة ولم تكن منحصرة بالكُرد فقط بل تجاوز ذلك أيضاً إلى الاجانب، والسلطة الحاكمة، وحتى الأرمن أنفسهم في العصر الحديث، حتى ما قبل ظهور الفكرة القومية الحديثة، وهذا كله ينفي الادعاءات الأرمنية، التي ذكرت بان السلطات العثمانية بدأت ومنذ ثمنينات القرن التاسع عشر بتحويل ارمنستان إلى كُردستان، كما سيأتي الحديث عنه لاحقاً.

بالاستناد على ما سبق، ورغم التفوق الكُرد في شمال كُردستان، سواءً من ناحية الحكم، أو عدد السكان، فإن القوميتين الكُردية والأرمنية اشتركتا، وخلال القرون العديدة بالأرض التي اعتبرتتها كل منهما جزءاً من أرض الآباء، وخلال القرون الخمس الأخيرة خضعت الأمتان للإمبراطورية العثمانية، التي شكلت الملامح الرئيسية لتاريخهما، وشارك الشعبان كذلك في الأبعاد الحضارية التي استطاعت الصمود بوجه التأثيرات الغربية عليهما، وخلال هذه المدة الطويلة من التاريخ لم تنقطع الاتصالات الاجتماعية والاقتصادية القوية بين الكُرد والأرمن^٢.

حكمت الإمارات الكُردية شمال كُردستان، في معظم عهود العصر الحديث حتى منتصف القرن التاسع عشر، وكانت أبرز هذه الإمارات هي: أمارة بتليس، وإمارة بوتان، في حين كانت هناك إمارات أصغر منها مثل موش، وبايزيد، وكانت تتخلل هذه الإمارات مدن كُردية كبيرة تناوبت هذه الإمارات على حكمها مع ولاية الدولة العثمانية، حسب قوة وضعف أي منهما، مثل: مدينة وان، وارضروم، وديار بكر^٣.

١. ينظر: فؤاد حسن حافظ، تاريخ الشعب الأرمني منذ البداية حتى اليوم، القاهرة، ١٩٨٦، ص١٩٣-١٩٤. من الجدير بالذكر هنا ان المصادر تستخدم مصطلحي الأناضول الشرقية، وأرمينيا الغربية بدلاً من شمال كُردستان.

2. ANDRÉ MANDELSTAM, LE SORT DE L'EMPIRE OTTOMAN, PARIS, 1917, P187-188;

- جيرارد ليارديان، قضايا في دراسة العلاقات الأرمنية- الكُردية، مجلة دراسات كردية، العدد(٣-٧)، باريس، ١٩٩٢، ص١٢.

٣. مارتن فان بروينسن، الأغا...، ج١، ص٢٨٨-٢٢١ و٣٤٦-٣٩٥؛ سعدي عثمان هروتي، المصدر السابق، ص٢٠-٣٠.

وفضلاً عن الأرمن الذين تواجدوا في هذه الإمارات والمدن كانت هناك بعض الجماعات الأرمنية تتمتع بحكم ذاتي، كذلك التي تواجدت في منطقتي زيتون وساسون، إلا أن السمة الاجتماعية البارزة في شمال كردستان كانت العشائر الكردية الرحل ونصف الرحل، حيث تهاجر في الصيف إلى أقصى شمال كردستان، وفي الشتاء تنزل إلى السهول والوديان، وتسكن القرى الأرمنية في أغلب أوقات الشتاء^١، وكانت هذه العشائر تمارس تربية المواشي، ويذكر المؤرخ الأرمني (انجيجيان) أن هذه العشائر تنقسم إلى مجموعتين كبيرتين، إذ أن كرد موش، وبتليس، وساسون، والمناطق المجاورة كانوا يعرفون باسم روژكيين، لأنهم كانوا يشغلون المنطقة المعروفة باسم روژكان، أما الكرد القاطنون في بايزيد، الاشكيرت، ديادين وغيرها فقد كانوا يعرفون باسم سليفاني^٢، وكانت أكبر العشائر الكردية الرحالة في وان والمناطق المجاورة هي اتحاد عشيرة (الحيدران)، وقد تشكلت من العشائر التي سكنت منطقة السهول الشاسعة المرتفعة، التي امتدت على جنوب ارضروم وشمال وان وصولاً إلى إيران، من بايزيد شمالاً وبارانتوس غرباً وصولاً إلى إيران، وقد قطنت عشيرة الشيفلي المنتمية إلى ثاني أكبر اتحاد عشائري في وان (الشكاك) بين باجيرى (باژيرى) ومدينة وان^٣، فضلاً عن ذلك سكنت عشائر كردية أخرى عديدة في تلك المناطق، مثل: الهرتوشي، والهيريكي، والاتمانيكان، والغويان، والميران، والجلالي، وهاسنان، ودنبلي، وسيبكي، التي كانت تنتشر في وسط وجنوب شمال كردستان^٤.

وعلى العموم فإن أبناء العشائر الكردية في منطقة ارارات، أو في (الهضبة الأرمنية)، كما هو معروف في المصادر الحديثة، كانوا يتخذون اتجاهين في هجرتهم الموسمية، جماعة تذهب باتجاه الشمال من خلال (اتشميادزين-Echmiadzin) واسكندربول، ويستقر بها الحال في مرتفعات اخاليسك واخالكالاي، أما المجموعة

1. JAMES CREAGH, Op. Cit. P.67-68.

٢. جليلي جليل، من تاريخ الامارات...، ص ٢٢ .

3. Justin McCarthy and others, The Armenian Rebellion at Van, Salt Lake City, 2006, P.11.

٤. للتفاصيل عن التركيب العشائري الكردي في المنطقة، ينظر: جليلي جليل، من تاريخ الامارات...، ص ٢٢-٢٣ .

الثانية: فتذهب باتجاه الجنوب وتستقر في أراضي ولاية قارص^١. وعلى هذا الأساس، ونتيجة اختلاط الشعبين الكردي والأرمني في شمال كردستان، نشأت علاقات متينة بينهما، قلما يوجد لها مثيل عند الشعوب الأخرى، بحيث أصبح الواحد منهما مكملاً للآخر في العصر الحديث، فمثلاً يقول باسيلي نيكتين عن البكوات الكرد، الذين كانوا يحمون حدود الدولة العثمانية من الهجمات الإيرانية: "انه بقدر ما كانت صفات المقاتلين نامية لديهم-إي الإقطاعيين والبكوات الكرد- كانوا يفتقرون لأدنى استعداد لممارسة الأعمال الاقتصادية، لذلك كانوا يلجأون في جميع أعمالهم المالية والتجارية إلى الأرمن، فإذا كان مطمح الكردي الأعلى أن يصبح باشا، فإن مطمح الأرمني الأقصى هو ان يصبح مصرفياً لهذا الباشا، وهكذا كان أحدهم يكمل الآخر"^٢.

إن أبرز الأمثلة، التي يمكن ملاحظتها في علاقة الكرد بالأرمن، يظهر بين العشائر الكردية نصف الرحل والأرمن المستقرين في قرى منطقة أرارات^٣، فإن العشائر الكردية وهم رعاة المواشي، يتميزون بوجه خاص بقضائهم فصل الشتاء القارص مع

1. H.F.B.Lynch, The Armenian Question I- In Russia, in: THE ARMENIAN MASSACRES 1894-1896 British Media Testimony, Edited and with an Introduction by: ARMAN J.KIRAKOSSIAN, Foreword by: LORD SHANNON, University of Michigan-Dearborn, 2008, P.111.

٢. نقلاً عن مؤلفه: المصدر السابق، ص ١٢٥-١٢٦.

٣. يناقش مارتن فان برونسن نسيج المجتمع الكردي في العصر الحديث، ويعود بأصول العديد من العشائر والطوائف الكردية، خاصة في منطقة أرارات، إلى أصول أرمنية أو تركمانية أو عربية، وهو في نظره تلك مجرد الكرد من العديد من الأسس البشرية التي شكلت هذه القومية في العصر الحديث، ومن هؤلاء الكرد الذين يرجعهم برونسن إلى أصول غير كردية، وبالتحديد إلى أصول أرمنية، هم كرد درسيم المتعصبون لقوميتهم الكردية، الذين قاموا بعشرات الحركات والانتفاضات ضد الدولة العثمانية والجمهورية التركية الحديثة، لعل أشهرها حركة قوجكيري في عام ١٩٢٠-١٩٢١، وحركة درسيم عام ١٩٣٧-١٩٣٨، ولا يستند مارتن فان برونسن إلى أي أدلة تاريخية دامغة، يمكن للباحث الركون إليها، وإنما فقط يعتمد على بعض الملاحظات التي دونها المستشرقون أو الضباط الأجانب، الذين زاروا كردستان خلال القرنين التاسع عشر والعشرين، ليستنتج منها وبأسلوبه الرائع نظرياته تلك. ينظر: مارتن فان برونسن، الأغانى...، ج١، ص ٢٤٢-٢٧٩: مارتن فان برونسن، طرق الكرد إلى بناء الأمة، في: فالح عبد الجبار وآخرون، المصدر السابق، ص ٢٥-٧٥.

الفلاحين الأرمن في منازلهم تحت الأرض، فبينما كان يقضي الكرد الذين يعيشون في جبال طوروس هذا الفصل، في مقاتلة بدو سوريا وبلاد ما بين النهرين، الذين كانوا ينافسونهم على المراعي، كان سكان أرارات مختبئين بسبب قسوة الجو، في منازل مغلقة مدة ستة أشهر تقريباً، حيث كان الكرد يتعرفون خلال هذه المدة بصورة أفضل على الأرمن، الذين كانوا ينازعونهم على وسائل العيش^١. وقد أشار ملا محمود البايدي (١٧٩٩-١٨٦٧) إلى أن هذه العلاقة كانت مستمرة في شمال كردستان، حتى النصف الثاني من القرن التاسع عشر^٢، وقد نشأت بين الأسر الكردية والأرمنية على مر الزمن علاقات صداقة أصبحت تقليدية، فكان لكل أرمني تقريباً صديق كردي عرف في تاريخهما بـ(الكريف)^٣، كان يعده صديقاً عزيزاً للأسرة الأرمنية^٤، يقول أ.يرميان في هذا الشأن: "...والجدير بالذكر ان أي زعيم إقطاعي كردي، كان يدافع بكل إمكاناته حتى آخر رمق عن صاحبه الأرمني، ويحميه من جشع موظفي الدولة المتوحشين...في ثلاثينيات وأربعينات القرن الماضي-أي التاسع عشر-، في عهد سلطة الكرد الذاتية، كان الكثير من الأرمن يشغلون مناصب المستشارين أو المساعدين لزعيم العشيرة أو للبك، وكانت تربطهم علاقات وثيقة، وعاشوا في أمان تام..."^٥.

وهنا لا بد من التذكير أن القبائل الكردية، التي كانت تسكن القرى الأرمنية، لم تكن تفرض نفسها على الأرمن بقدر ما كان هناك نوع من التكافل بين الطرفين، حيث إن إيواء القرويين الأرمن لتلك العشائر الكردية كانت لقاء أجر مادي أو عيني، وخير دليل على ذلك تلك الأحاديث التي تبادلها القنصل البريطاني في أرضروم (جيمس برانت-James Brant)، مع رئيس عشيرة حيدران الكردية (سلطان أغا)، عندما تجول في المنطقة الكردية وأواخر العقد الرابع من القرن التاسع عشر، حيث كتب برانت ما نصه: "...قال لي سلطان أغا: إن عشيرته [حيدران] تسكن شتاءً في قرية مع الأرمن، غير أنهم يهيئون التبن والعلف لأغنامهم ومواشيهم. وان زودهم القرويون الأرمن بذلك،

١. باسيلي نيكيتين، المصدر السابق، ص ١٢١-١٢٢.

٢. ينظر مؤلفه: عادات ورسوماتنامة ئهكراديه، فهگوهاستن: رشيد فندي، دهوك، ٢٠٠٦، ص ١٨٣-١٨٤.

٣. سيأتي الحديث أكثر تفصيلاً عن الكريف في المبحث الثالث من الفصل الثالث.

٤. صالح زهرالدين، الأرمن شعب وقضية، بيروت، ١٩٨٨، ص ٣٨-٤٠.

٥. نقلاً عن: جليلي جليل، من تاريخ الامارات...، ص ١٢٢.

فان ذلك كان مقابل مبلغ من المال متفق عليه بين الطرفين...^١.

لا تشير المصادر التاريخية إلى أوضاع الأرمن وعلاقتهم بالكرد، في ظل الإمارات الكردية الا في نصوص قليلة وقصيرة، خاصة في القرون الأولى من العصر الحديث، الا ان المعلومات تزداد عنهم في النصف الأول من القرن التاسع عشر، عندما بدأت الدول الكبرى وعلى رأسها روسيا وبريطانيا بالتغلغل في المنطقة، خاصة بعد أن ضمت روسيا جزءاً من كردستان، إثر الحروب الروسية الإيرانية، والروسية العثمانية التي امتدت تقريباً طوال القرن التاسع عشر^٢.

لقد تحدث شرفخان البتليسي عن الأرمن، على أنهم من رعايا الإمارات الكردية، وأن جميع الأملاك في الإمارة وخاصة تلك التي لا تعود لعشائر قوية، وعلى رأسها القرى الأرمنية، انما هي ملك للأمير الكردي، فيشير شرفخان إلى صراع وقع بين الأمير محمد والأمير عزيز، على كرسي الإمارة في بوتان في أواخر القرن السادس عشر، فتدخل الصدر الأعظم آنذاك فرهاد باشا لصالح الأمير عزيز، بشرط: "إفراز ثلاثين قرية من قرى الأرمن في ولاية الجزيرة، وإدخالها في إدارة أملاك السلطانية الخاصة، وأن يتعهد بدفع ستين ألف فلوري [دينار ذهبي] قيمة محصولات تلك القرى إلى الخزينة العامة"^٣، وكثيراً ما عد الأمراء والبكوات الكرد هذه الأرض داخلة ضمن نفوذهم، وإن كانت لفلاحين أو لأشخاص أقل نفوذاً منهم فهي من ممتلكاتهم الشخصية، وأشار إلى هذه الحالة أيضاً خورشيد باشا، الذي كان ضمن اللجنة المقررة لتحديد الحدود بين الدولتين الإيرانية والعثمانية عام ١٨٤٣، حيث قال: "لقد اعتادوا أخيراً [يعني البكوات الكرد] على اعتبار القرى الواقعة تحت سيطرتهم، من ممتلكاتهم الشخصية التي توارثوها أباً عن جد، مثل بقية الأراضي والممتلكات"^٤، كما تحدث شرفخان في موضع آخر عن الأرمن، ضمن معارك وصدامات وقعت بين والد الأمير شرفخان أمير بتليس آنذاك و(اوله بك تكلو) و(فيل يعقوب)، الذين قادوا حملة عسكرية لخلع الأمير

١. رحلة المستر جيمس برانت إلى المنطقة الكردية عام ١٨٣٨، ترجمة: حسين احمد الجاف، بغداد، ١٩٨٩، ص ١٥٦.

٢. للمزيد عن التغلغل الأجنبي في كردستان في القرن التاسع عشر، ينظر: ن.أ.خالفين، المصدر السابق، ص ٢٧ وما بعدها.

٣. ينظر، مؤلفه: المصدر السابق، ص ١٦١.

٤. نقلاً عن: جليلي جليل، من تاريخ الامارات...، ص ٣٥.

البتليسي، بأمر من السلطان العثماني سليمان القانوني (١٥٢٠-١٥٦٦) بين عامي ١٥٣٣-١٥٣٤، وعندما اشتد الأمر على الأمير البتليسي، أراد أن يطلب المساعدة من الشاه الصفوي طهماسب الأول (١٥٢٤-١٥٧٤)، إلا أن هذا الأمر لم يعجب حاشية الأمير البتليسي وعلى رأسهم (سيدي علي) أغا البرتا الذي قال: "...إذا تسامح الروزكيون^١ وتساهلوا في قتال اوله وبطانته، فإني أجمع النصارى والأرمن في ولاية بتليس، وأحارب بهم المغيرين"^٢.

وفي تحليل بسيط فيما جاء عن الأرمن في كتاب الشرفنامه يتبين أن الأرمن كانوا من رعايا الأمراء الكرد آنذاك، كما لا يشير شرفخان ولو برواية واحدة عن حادثة وقعت بين الأرمن والكرد، في حين يشير إلى عشرات المعارك والحروب بين الكرد والترك، مما يوحي إلى أن الأرمن كانوا إلى حد ما منسجمين مع الكرد ضمن النسيج الاجتماعي الإماراتي.

شهدت بداية عهد سيطرة الدولة العثمانية نوعاً من التعاون الكردي في مواجهة المعتدين على شمال كردستان، فبعد أن سيطر العثمانيون على هذه المنطقة، قاموا بتشكيل قوة مشتركة من الكرد والأرمن في مدينة وان، أطلقت عليها اسم (تشكيلات بحيرة وان)، لغرض مواجهة الهجمات المتكررة للقوات الصفوية على المنطقة^٣، ويذكر (غارو ساسوني-Garo Sasuni) أن بعض القادة من الكرد والأرمن ذهبوا معاً في عام ١٦٠٥ إلى اصفهان، عاصمة الدولة الصفوية لمقابلة الشاه عباس الأول (١٥٨٧-١٦٢٩)، بهدف توحيد الجهود لإخراج قوات الدولة العثمانية من كردستان وارمنستان^٤.

يشير (داراناكتسي-Daranagtsi) الأرمني إلى أن أحد الكرد من عشيرة جلالي، كان يدعى (ازيج-Azic) قد تمرد على الدولة العثمانية بالقرب من سيواس، في أواخر القرن

١. وهي العشيرة التي ينتمي إليها العائلة الأميرية في بتليس.

٢. ينظر، مؤلفه: المصدر السابق، ص ٤٠٠.

3. Garo Sasuni, A.G. E. S 73-74 .

4. Garo Sasuni, A.E., S.47.

٥. هو ارمني عاش في كردستان ما بين أواخر القرن السادس عشر حتى منتصف القرن السابع عشر.

السادس عشر وبداية القرن السابع عشر، فقام باشا سيواس على إثرها بتجهيز جيش كبير ليؤدب هذا المتمرد ويقضي على عصيانه، ولكن تمكن أزيج من هزيمة باشا سيواس المذكور، وطارده حتى حاصره بمدينة سيواس نفسها، وهنا أوعز الباشا العثماني إلى الأتراك والأرمن في المدينة بوجوب الدفاع عنها، وتقديم العون لجيشه المدافع، وقد أطاع الأرمن في المدينة الباشا، وتصادموا مع الكرد المحاصرين، وفي النهاية تمكن أزيج من دخول المدينة، وقد تعاملت قواته بحد السيف مع الأتراك والأرمن المتعاونين مع قوات الباشا، ولكن بالمقابل يذكر داراناكتسي أن قوات أزيج لم تتعرض للنساء والأطفال، وذلك لأن أزيج كان قد انذر قواته بعدم الإقدام على هذا العمل، ويضيف بان هذا التأثير الكردي أزيج لم يكن يتعرض بأي أذى للأرمن والأهالي الفقراء والمسافرين، وكان يحارب فقط الانكشاريين وموظفي الدولة العثمانية^١.

يفهم من هذا النص بأن الكرد في شمال كردستان لم يكونوا ينظرون إلى الأرمن على أنهم أعداء، وإنما كان حالهم مثل حال الكرد من سكان البلاد الأصليين، وكانت مشكلة الكرد مع الأتراك، الذين احتلوا أرضهم وباتوا يتحكمون في شؤونهم، أما بخصوص الأرمن فانهم انضموا إلى الجانب التركي في هذه الحادثة، ربما لإدراكهم وقناعتهم أن الأتراك أقوى، وفي مصلحتهم أن يكونوا مع القوي، أو بسبب بعض التصرفات الكردية التي استفزتهم، ولكن لا يشير داراناكتسي إلى ذلك، أو لأنه لم يكن لدى أرمن مدينة سيواس خيار آخر، سوى الوقوف بجانب الدولة العثمانية، إلا أن داراناكتسي يذكر أن الأرمن في سيواس، قد القوا باللائمة في خسارة الباشا العثماني على أنفسهم بسبب "كثرة ذنوبهم"^٢، وهذا ما يؤكد أن الأرمن قد حاربوا بإخلاص إلى جانب الأتراك ضد الكرد في تلك الحادثة، وأخيراً لا بد من التنويه إلى أن مضامين هذه الحادثة تعطي دلالات عديدة، اتضحت معالمها بشكل أوضح في القرن التاسع عشر، وهي أن الأرمن من سكان المدن في شمال كردستان، كانوا دائماً يقفون مع الأتراك ضد الكرد، وكانوا يعدون الكرد من مثيري القلق في البلاد، الأمر الثاني، ان هذه الحادثة بينت انه في الحركات الكردية ضد الأتراك، عوقب الكرد فقط الذين

1.Garo Sasuni, A.G.E, S.36-38.

٢. ينظر:

- A.E.

شاركوا فيها، ولم يعاقب أبداً أهل المدن أو أقربائهم من النساء والأطفال والعجزة، كما حدثت في الازمة الأرمنية أواخر القرن التاسع عشر وفي أثناء الحرب العالمية الأولى. لقد زار الرحالة التركي أوليا جلبي المنطقة الكردية في عام ١٦٥٥، ودون ملاحظات عديدة عن أحوال ساكنيها من الكرد والأرمن والطوائف الأخرى، ومن يقرأ رحلة أوليا جلبي يُفاجأ بمدى التقدم الثقافي في الإمارات الكردية آنذاك وخاصة إمارة بتليس، حيث كان الكرد أكثر تقدماً آنذاك مقارنة بأواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين^١، فقد كان هذا النظام -الإقطاعي الإماراتي الكردي- محترماً من الطرفين التركي والكرد، حتى بداية القرن التاسع عشر، وعاش القسم الأكبر من كردستان العثمانية، المفتتة إلى إمارات وسناجق حياة مستقلة، وكننتيجة ايجابية لهذا الاستقلال يمكن ملاحظة، انفتاح الأدب والثقافة الكردية على الآخرين، وازدهارها بصورة عامة. ففي المجال الأدبي نجد صوفية (باتي)، وروحانية (ملا جزيري)، ووطنية (خاني) وثورية (فقي تيران)^٢، كانت بعض المدن الكردية مثل: بتليس، والجزيرة، وهكاري، وموش، عواصم أقوى الإمارات الكردية، كانت مركزاً ثقافياً مهماً، حيث كان يلقي الشعراء والعلماء والموسيقيون الحماية والتشجيع، وكان الأكثر طموحاً من هؤلاء يذهب في بعض الأحيان إلى استانبول ليقدم فيها مواهبه مثل (نالي)، كان الملوك الكرد الصغار ينشؤون بلاطات تضاهي من حيث العظمة والبذخ بلاطات معاصريهم تماماً^٣، وهذا ما بينه أوليا جلبي في رحلته تلك، وبخصوص الأرمن لا يشير هذا الرحالة التركي ولو إلى حادثة واحدة كانت قد وقعت بين الكرد والأرمن، حيث كان الأرمن من رعايا هذه الإمارات، ويفهم من النصوص التاريخية التي أوردها أوليا جلبي أن أرمن الإمارات الكردية كانوا يعيشون حياة مستقرة وهادئة نوعاً ما، بل انهم كانوا أغنياً جداً ومعيشتهم أفضل من أغلب الكرد، ما عدا الأسر الأميرية والبكوات الكرد، فمثلاً ذكر

١. لقد أشار أوليا جلبي إلى هذا التقدم في الإمارات الكردية أثناء رحلته. ينظر مؤلفه: المصدر السابق، ص ١١٣-١٨٩.

٢. للتفاصيل عن هؤلاء الأدباء والشعراء الكرد، ينظر: توماس بوا، تاريخ الأكراد، ترجمة: محمد تيسير خان، دمشق، ٢٠٠١، ص ١٦٦-١٧٠؛ مارف خهزندهار، ميژووي ئهدهبي كوردی، بهرگی دووم: سهدهكاني چواردهم- ههژدهم، ههولير، ٢٠٠٢، ل ٣٩-٤٠.

3. Kendal, The Kurds under the Ottoman Empire, in: A.R.Ghassemilou and Others, People Without a Country, Translated by: Michael Pallis, London, 1980, P.23-24.

أوليا جلبي عن أرمن بتليس ما يلي: "تتبع الخان [أي خان بتليس] سبعون قبيلة وعشيرة... ويستطيع الخان في أي وقت يشاء جمع (٧٠٠) ألف مسلح من هؤلاء، ويوجد داخل مدينة بتليس (٤٠) ألف مسلح تابعين لعشيرة (روژكى)... وحسب سجل الخان يوجد في بتليس (٤٣) ألفاً من الرعايا المسيحيين، وتقسم الجزية المأخوذة منهم بالتناصف، نصف إلى القوة العسكرية، ونصف إلى عبدال خان [أمير بتليس آنذاك]... ويتصف المسيحيون فيها بكونهم تجاراً كباراً وأغنياء^١، وعندما زار قلعة وان قال عن الأرمن فيها: "وهناك ثلاثة محلات للأرمن فيها، وهم يقومون بخدمة القلعة بدلاً من دفع الجزية عنهم، إذ يقومون بتصليح أي جزء يتهدم من القلعة، ومن غير هؤلاء لا يوجد المسيحيون هنا، والأرمنيون فيهم تجار أغنياء^٢."

وعلى هذا الأساس يتبين أن أوضاع الأرمن كانت على ما يرام، في ظل الإمارات الكردية، بل ان حياتهم يمكن ان تكون هي الأفضل بالنسبة لعامة الناس، من الكرد والطوائف الأخرى داخل الإمارات، صحيح أنهم كانوا يدفعون الجزية آنذاك، إلا أنهم كانوا لا يخدمون في جيش الإمارة، وهذا ما ساعد نسبة لا بأس منهم على التفرغ لمزاولة أعمالهم وحرفهم، وثمّ إثراءهم.

وردت معلومات مهمة في رحلة المبشر فرنسيس بيكت إلى كردستان وبلاد أرمينيا، ليعبر من خلالها إلى بلاد فارس، كتب مرافقه ومترجمه السيد (اثناسيوس سفر العطار السرياني)، أسقف ماردين بعض الملاحظات عن مشاهداتهما في هذه الرحلة عام ١٦٨١، حيث مرا في أغلب المدن الكردية بدءاً من دياربكر وانتهاءً ببايزيد، ولم ترد في هذه الرحلة ما يشير إلى وجود حالة عدم استقرار بين الكرد والأرمن في مناطق تواجدهما معاً، حيث كانت الحياة الطبيعية بين مختلف أطياف كردستان، وما يلفت النظر في هذه الرحلة هو الحديث الذي جرى بين السيد اثناسيوس والأمير محمد أمير بايزيد، والتي تبين نظر الأسر الأميرية الكردية إلى المسيحيين بشكل عام، وفيما يلي نص الحوار الذي جرى بينهما:

يقول اثناسيوس: "وسألني قائلاً [باشا بايزيد]: أنت ما أنت فرنجي؟ قلت: لا بل أنا من بلاد الترك. قال: وكيف استخدمت عند هذا المطران؟ قلت: إنني كنت اعرفه، ولأجل

١. ينظر مؤلفه: المصدر السابق، ص ١١٨ و ١٢١ .

٢. المصدر نفسه، ص ٢٤٢ .

فضائله خدمت عنده. قال: أرمني أنت أم سرياني؟ قلت: انا سرياني. قال تعرف تقراً السرياني وتكتب؟ قلت: نعم. فاحضر لي دواة وقلماً وقال لي: اكتب لي ألف باء باللسان السرياني فكتبت؛ ثم قال لي: هل تعرف الكلداني؟ قلت: نعم فكتبت له بالكلداني. قال تعرف العربي. قلت: نعم. فكتبت له بالعربي والتركي والفارسي. قال أتعرف الأرمني؟ قلت: لا. قال ما لنا حاجة إلى الأرمني، لأنه عندنا أرمن كثيرون. ولكن اقعدي عندي، وعلمي السرياني والعربي فأعطيك كل شهر عشرة غروش وكسوتك. وأعطيك خادماً وفرساً، وتكون عندي كواحد من خواصي معززاً مكرماً. ولا تخف؛ لأنني أنا أحب النصارى كثيراً...^١.

يؤكد هذا النص على الدور الأبوي الذي مارسه أمراء الكُرد مع رعيتهم سواءً أكانوا كُرداً أم أرمناً، مسلمين أم مسيحيين، فالأمير كان ينظم مختلف العلاقات الداخلية، مثل الإجراءات المتعلقة بحقوق الرعي وتوزيع المراعي على جانبي خطوط الترحال، ويقوم برعاية المدارس والمساجد والكنائس والعلوم، وهو مسؤول عن تطبيق العدالة، وديمومة النظام الاجتماعي، فبالنسبة إلى الفلاح فالأمير يحميه من الاستغلال الاقتصادي المفرط من قبل سيده، ولغير المسلم الحماية من الاضطهاد الديني، وللتاجر توفير الأمن وسبل الراحة على الطرق التجارية، بالتوافق مع مهامه المختلفة، استمد الأمير شرعية حكمه من مصادر متنوعة اجتماعية، وسياسية، ودينية، وتاريخية، ان الاستمرارية التاريخية للإمارة الكُردية أدت دورها في توثيق روابط الحاكم بالمحكوم.^٢

وقد شغل الأرمن في هذه الإمارات الكُردية جميع المناصب، بل وحتى كانوا مرافقين لأفراد الأسرة الحاكمة في الإمارة نفسها، كما أشار إلى ذلك القنصل البريطاني في أرضروم عندما زار إمارة بتليس أواخر العقد الرابع من القرن التاسع عشر^٣. ويكفي هنا قول الأمير البايدي الكُرد للمترجم السرياني: "ولا تخف؛ لأنني أنا أحب النصارى كثيراً"، في معرفة العلاقة الطيبة بين الكُرد والأرمن،

١. الخوري اسحق ارملة السرياني، أخبار سفر المونسنيور فرنسيس بيكيت إلى بلاد أرمينيا والعجم ١٦٨١-١٦٨٤، كتبها السيد اثناسيوس سفر العطار السرياني أسقف ماردين، مجلة المشرق، بيروت، السنة الثانية والثلاثون، كانون الثاني- آذار ١٩٣٤، ص ١٣٠.

٢. سعد بشير اسكندر، المصدر السابق، ص ١٢٧.

٣. يذكر جيمس برانت أن مرافق ابن الامير البتليسي كان ارمنياً عندما زار هذه الإمارة عام ١٨٢٨. ينظر رحلته: المصدر السابق، ص ٩٤.

في شمال كُردستان والمناطق الخاضعة لنفوذ هذه الإمارات.

كانت المؤسسات الدينية المسيحية بشكل عام، والأرمنية بشكل خاص موضع احترام الكُرد، وكانت نظرتهم إلى الكنيسة كنظرتهم إلى الجامع، وكان رجل الدين الأرمني في شمال كُردستان، موضع احترام لدى الجميع سواءً أكانوا من الحكام أم العامة، وهذا ما أكده العالم والرحالة (تورنفورت-Tournefort) أثناء سرده لحادثة وهو في الطريق من الدير الأحمر، الذي يقع بالقرب من مدينة ارضروم، إلى أعالي نهر الفرات عام ١٧٠٢، لإجراء بعض البحوث العلمية هناك، فقد ذكر تورنفورت أنه في أثناء رحلته تلك ونظراً للظروف غير الآمنة في المنطقة، بسبب هجمات بعض القبائل الكُردية على المسافرين ونهبهم لممتلكاتهم، أنه أُجبرَ على طلب المساعدة من كبير الرهبان في الدير الأحمر ويدعى (بسكوبوس الثالث-Biskopos III) لكي يرافقهم في رحلتهم هذه، نظراً لتقدير الكُرد واحترامهم له في تلك المنطقة، حيث كان لهذا الشخص تأثير كبير لدى الكُرد، وفي أثناء الطريق شعروا بخطر محقق بهم من جانب بعض الكُرد، فذهب الراهب الأرمني للقائهم، وبعد طول انتظار عرضوا على الراهب بعض الخبز مع الجبن، وذكر أحد الرجال المسنين في القافلة لتورنفورت بأن الكُرد أناسٌ خطرين، ولكنه لا يوجد شيء يدعو إلى الخوف منهم، خاصة أن هناك علاقات صداقة قديمة قائمة بين الكُرد والأرمن، وكذلك الاحترام الكبير الذي يكونه لكبير الرهبان سوف يجعلوهم يكونون في أمان، على حد قوله^١، ويعقب المؤرخ الأرمني غارو ساسوني على مسألة احترام الكُرد للمؤسسة الدينية الأرمنية بالقول: "وحقيقةً فإن الكُرد عموماً، يكونون كامل الاحترام للمؤسسات الدينية الأرمنية، وانهم كانوا يعدون تلك الأماكن مثل الأديرة والكنائس مناطق مقدسة، وان أسباب هذا السلوك هو آتٍ من احترامهم للأديان، وكذلك لرجال الدين التابعين لهذه المؤسسات الدينية والاعتراف بهم كقادة... وفي النهاية فإن تقديرهم واحترامهم لرجال الدين الأرمن آتٍ أيضاً من احترامهم للقومية الأرمنية"^٢.

ليست هناك معلومات تاريخية كثيرة عن أوضاع الأرمن في شمال كُردستان خلال القرن الثامن عشر، الا ان هناك ما يشير إلى أن عدداً من الكُرد والأرمن عملوا سوية

1. Garo Sasuni, A.G.E., S.38-39.

2. A.E., S.38.

في عدة مواقف؛ للتخلص من السيطرة العثمانية والإيرانية، فمثلاً في عام ١٧٠١ قامت الشخصية المعروفة في حركة التحرر الأرمني إسرائيل اوري بتسليم رسالة إلى بطرس الأول (١٦٧٢-١٧٢٥) في موسكو، من أمراء الأرمن يطالبون فيها بضم أرمينيا إلى روسيا ومساعدتهم في النضال ضد المضطهدين الإيرانيين والأتراك، ووردت في هذه الرسالة إشارة إلى أن حلفاء الأرمن في النضال هم الجورجيين، والعرب، والكرد، واليونانيون، وغيرهم^١، كما قام الكرد في بايزيد بالتحالف مع الأرمن، وبمساعدة أحد أمراء جورجيا في عام ١٧٦٣ بحركة ضد السلطات العثمانية هناك، ولكن المصادر التاريخية لم تُشير إلى طبيعة هذه الحركة^٢، وعبر الأرمن في يريفان، في نداءهم إلى هيراقل الثاني-أحد أمراء الجورجيين- عن استعدادهم للوقوف الى جانب روسيا وجورجيا ضد الدولة العثمانية، وأعلن (جوبان أوغلي) أحد زعماء الكرد في بايزيد في رسالته إلى هيراقل الثاني، بتاريخ ٢٣ أيلول ١٧٧٠ عن دعمه لهذه المطالب^٣.

تدل هذه الإشارات جميعها على أن الكرد والأرمن كانوا في خندق واحد ضد الدولة العثمانية، ربما لالتقاء مصالح الطرفين آنذاك، فالكرد دائماً كانوا من محبي الاستقلال، ولم يكونوا يحبذون من يتدخل في شؤونهم الداخلية أياً كان، خاصة إذا ما علمنا بان الدولة العثمانية كثيراً ما كانت تلجأ إلى تطبيق سياسة فرق تسد في كردستان، لكي تضعف من سلطة هؤلاء الأمراء، وبالتالي تسيطر على زمام المبادرة هناك^٤، أما الأرمن فتدل أغلب المؤشرات التاريخية على أنهم كانوا في تلك المرحلة، خاصة الذين كانوا يعيشون في المدن، قد تخطوا عند منعطف القرن السابع عشر، عصر الإصلاح في السلطنة إلى التحرر للخروج من القرون الوسطى، بإحداث نهضة كانت في أساس تاريخ الأرمن^٥.

أما بخصوص الأوضاع الأمنية في شمال كردستان، فهناك ما يدل على أنها كانت

١. خاليت مرادوفيج جتوييف، من تاريخ العلاقات الروسية-الكردية، في: موضوعات من الكردولوجيا السوفيتية، ترجمة: اسماعيل حصاف، اربيل، ٢٠٠٨، ص ٨-٩.

2.Garo Sasuni, A.G.E., S.53-54.

٣. خاليت مرادوفيج جتوييف، المصدر السابق، ص ٩-١٠.

٤. للمزيد عن هذه السياسة ينظر: سعدي عثمان هروتي، المصدر السابق، ص ٩٤-١٠٢.

٥. جان شرف، أزمة الأقليات في السلطنة العثمانية: الحالة الأرمنية، في: مجموعة باحثين، الأقليات والقوميات في السلطنة العثمانية بعد ١٥١٦، لبنان، ٢٠٠١، ص ١٤٢.

على ما يرام، إن لم تكن في أحسن أحوالها، وذلك بالاستناد إلى شهادة (جوزيف أمين- Hovseb Emin) (١٧٢٦-١٨٠٩)، أحد الشخصيات القومية الأرمنية؛ إذ ذكر أنه كان في ارضروم في احد المرات، وينوي الذهاب إلى القوقاز، فتصادف هناك مع بعض الأرمن العائدين من موش وبتليس، حيث ابدوا شكواهم عن بعض الأعمال الإدارية التي تقوم بها الإمارات الكردية، وهم يشعرون أنهم مغدورون في بعض الاحيان، ولكن بخصوص الأوضاع الأمنية في داخل الإمارات الكردية فانها كانت أمنة بشكل كبير، حتى ذكروا لجوزيف بأن المرء يمكنه في تلك المناطق: " أن يضع على رأسه ذهباً، ويتجول بدون خوف"^١.

وهذه شهادة من أرمني عاصر حياة الأرمن ضمن الإمارات الكردية، تدل على المستوى العالي والطيب الذي وصلت اليه إدارة تلك الإمارات الكردية في تطبيق أسس الأمن في المنطقة، وهنا يجب عدم تضخيم الأمر، وتصوير هذه المناطق على أنها كانت جنة، وانه ليست هناك اعتداءات، أو عمليات غدر وقتل، أو سرقة، ولكن لا بد من التذكير هنا ان الحياة في هذه الإمارات كانت طبيعية، ولم تكن بذلك السوء الذي صورته المصادر الغربية، خصوصاً التي تم تأليفها بعد سقوط تلك الامارات، وكأن الحياة كانت أشبه بالجحيم في كردستان، وان عامة الكرد هم سراق، وقتلة، وغدارون إلى آخره من الصفات التي لا تمت إلى الحقيقة وواقع المنطقة بصلة، سوى التحامل والتعصب المقيت ضد الكرد، وتزييف الحقائق التاريخية بما يشوه سمعة الكرد.

1.Garo Sasuni, A.G.E., S.39.

ثانياً- تغلغل نفوذ الدول الكبرى في كردستان وأثره

في علاقة الكرد بالأرمن ١٨٠٠-١٨٤٧

شهدت المدة من أواخر القرن الثامن عشر، وحتى منتصف القرن التاسع عشر، ظهور عوامل عدة أثرت بشكل كبير في علاقة الكرد بالأرمن، حتى وصل بهما الأمر إلى قتال بعضهما في أواخر القرن التاسع عشر.

تمثل العامل الأول في وقوع كردستان، ولأول مرة تحت تأثير المصالح السياسية للإمبراطورية البريطانية وروسيا القيصرية في الشرق الأوسط^١، فبوصول روسيا إلى حدود أرمينيا وكردستان بدأ بعض الأرمن يتصرفون كمساعدين للسياسة الروسية والجيش الروسي مُبكرًا، حيث بدأ اتكال الأرمن على روسيا في سبيل تحقيق وطن قومي لهم، على الأراضي التي عدوها حسب ظنهم أرضهم التاريخية، بما فيها معظم شمال كردستان، وادعوا انها أرضهم، وقد كانت هذه الفكرة، هي التي جعلتهم يتحالفون مع الروس، حيث كان الأرمن يدركون أنهم ومن دون مساعدة الروس لهم لا يستطيعون تحقيق فكرتهم في إقامة وطن قومي خاص بهم^٢، كان هذا العامل الأبرز الذي أدى إلى توتر علاقة الكرد بالأرمن في شمال كردستان، فقد عدَّ الكرد الأرمن خونةً خاصة بعد الحرب الروسية العثمانية ١٨٢٨-١٨٢٩^٣.

اما العامل الثاني الذي عقَّد علاقة الكرد بالأرمن فكان عمل المبشرين الاجانب في الدولة العثمانية، وكذلك وصول موظفي الدول الأجنبية إلى كردستان، وفتح قنصليات لها في أغلب مدنها، وتدخلهم في شؤون الكرد والأرمن، وكان بالإمكان مشاهدة عملاء هذه الدول، وعلى رأسها بريطانيا، وروسيا، وفرنسا، والمانيا، والنمسا يتجولون ويقيمون في مختلف أرجاء كردستان.

١. جليلي جليل، انتفاضة الأكراد...، ص ١٦.

٢. جستن مكارثي، الطرد والإبادة مصير المسلمين العثمانيين ١٨٢١-١٩٢٢، ترجمة: فريد الغزي، دمشق، ٢٠٠٥، ص ٥١-٥٣.

٣. سيأتي الحديث عن هذه الحرب وتأثيرها على علاقة الكرد بالأرمن ضمن هذا البحث.

لقد قامت أُسس العمل التبشيري في الدولة العثمانية، مع بداية العصر الحديث، وتوسعت دائرتها شيئاً فشيئاً، لتصل إلى حد الضغط على الدولة العثمانية، عن طريق حكومات دولها بشأن مصالحها في المنطقة، منذ بداية القرن التاسع عشر^١، وتنافست في ذلك الإرساليات المسيحية الأرثوذكسية، والكاثوليكية، والبروتستانتية الأمريكية والبريطانية، بهدف كسب المسيحيين في كُردستان إلى جانبهم، وإدخالهم ضمن دائرة نفوذهم، وعلى رأسهم الأرمن، ولم يكن ظهور التبشير المسيحي في كُردستان سبباً لبت العداوة بين الكُرد والأرمن فقط، بل كانت سبباً في بث العداوة بين الأرمن أنفسهم بصورة خاصة، والمسيحيين بصورة عامة في جميع أرجاء كُردستان. فمن المعلوم ان الأرمن كانوا على المذهب الأرثوذكسي الكريغوري القومي الخاص بهم، وكانت لهم كنيسة رئيسية يتبعها اغلب الأرمن في كُردستان، الأولى في مدينة اتشمادين، التي كانت تقع في الجانب الإيراني ثم الروسي من أرمينيا؛ والثانية كانت في استانبول العاصمة، حيث المركز العام للبطريركية الأرمنية التي أعترفت بها الدولة العثمانية منذ عهد السلطان محمد الفاتح (١٤٥١-١٤٨١)، الذي اعترف بهم (ملة)، لها الحرية الكاملة في إدارة شؤونها الدينية^٢. إلا أن الدولة العثمانية اضطرت بعد دخول الإرساليات التبشيرية، وتحت ضغوط الدول الكبرى، إلى الاعتراف بالكنيسة الأرمنية الكاثوليكية في عام (١٨٣١)^٣، والأرثوذكسية الأرمنية الرومانية التابعة لموسكو في عام (١٨٣٥)^٤، والأرمنية البروتستانتية في عام (١٨٥٠)^٥. وأصبحت كل طائفة منهم تكفّر الأخرى، مما دفعت الدولة العثمانية في مرات عدة، إلى التدخل لصالح هذا الطرف أو ذاك، تبعاً لقوة الدولة الخارجية الكبرى التي تدعمها، بل حتى وصل الأمر إلى قتل وإبعاد أصحاب هذه الطائفة أو تلك إذا لزم الأمر^٦. وكثيراً ما اتسم نشاط هؤلاء

١. ن.أخالفين، المصدر السابق، ص ٣١-٣٢.

2. LES ARMÉNIENS ET LA QUESTION ARMÉNIENNE, CONFÉRENCE FAIT PAR M. ANATOLE LEROY-BEAULIEU, PARIS, 1886, P14.

٣. محمد رفعت الإمام، الأرمن في مصر ١٨٩٦-١٩٦١، القاهرة، ٢٠٠٣، ص ٢٦.

٤. يوسف ابراهيم الجهماني، تركيا والأرمن، دمشق، ٢٠٠، ص ١٦-١٧.

٥. محمد رفعت الإمام، المصدر السابق، ص ٢٦.

٦. إن قراءة وصول هذه الإرساليات التبشيرية إلى كُردستان، ودعوة هؤلاء المبشرين للمسيحيين المحليين إلى تغيير مذاهبهم، والأعمال التي رافقت تلك العملية، يأخذ بالقارئ فعلاً إلى أجواء العصور الوسطى، عندما كانت المسيحية في بداية انتشارها. ينظر:

المبشرين بسمة الاستفزاز، مما أدى إلى تصادم بين المسيحيين والمسلمين، وهناك أمثلة معروفة عن ذلك، منها تطور استياء السكان المحليين من تدخل المبشرين الأمريكيين، إلى اضطرابات جدية في شمال كردستان، ففي ارضروم مثلاً هجم السكان المحتجون صيف ١٨٤٦ على دار احد المبشرين الأمريكيين وضربوه^١، كما أنه مما لا يخفى على احد الدور السلبي، الذي مارسه هؤلاء المبشرين في الإيقاع بين المسيحيين النسطوريين (الأشوريين)، وبين الكرد في إمارتي هكاري وبيوتان، في أربعينات القرن التاسع عشر^٢.

لم يكن دور عملاء الدول الكبرى يختلف عن دور هؤلاء المبشرين، ولفهم مدى الحقد والكراهية التي ولدها هؤلاء العملاء بين الكرد والمسيحيين في كردستان بصورة عامة، نكتفي بإيراد المثال الآتي:

"بيروي (انسورث-Ainsworth)، وهو عميل بريطاني...أنه في عام ١٨٤٠ سافر في كردستان الوسطى، وفي صحبته جماعة من المسيحيين الأشوريين (الكلدان)، والتقت الجماعة بزعيم قبلي كردي خاطبهم قائلاً: ماذا تفعلون هنا؟ ألا تعلمون بأن الفرنجة لا يسمح لهم بالوجود في هذا البلد؟ وبلا موارد! يجب أن أعرف من انتم؟ وما شأنكم؟ من جاء بهؤلاء الناس إلى هنا؟ فتلفت احد الكلدان حوله بأسلوب متعال ومتعجرف وقال: (أنا)، فنظر الزعيم القبلي الكردي، الذي كان وحيداً تماماً، إلى أفراد الجماعة

-Walter B.Harris, An Unbiased View of the Armenian Question in: THE ARMENIAN MASSACRES...,P.281.

وينظر كذلك: رواية لشاهد عياني نشرها الأب لويس شيخو، الكتكلة في ماردين، مجلة المشرق، العدد (٨)، بيروت، اب ١٩٠٩، ص٥٨٩-٦٠٤؛ انكه لهارد، تاريخ الإصلاحات والتنظيمات في الدولة العثمانية، ترجمة: محمود علي عامر، دمشق، ٢٠٠٨، ص٢٠٨-٢١٣ .
١. ن.أخالفين، المصدر السابق، ص٦٩ .

٢. ينظر: محمد امين زكي بك، خلاصة تاريخ الكرد وكردستان من أقدم العصور التاريخية، ترجمة وتعليق: محمد علي عوني، القاهرة، ٢٠٠٩، ص٢٣٢-٢٣٣؛ صلاح هروري، إمارة بوتان في عهد الأمير بدرخان ١٨٢١-١٨٤٧: دراسة تاريخية سياسية، اربيل، ٢٠٠٠، ص١١٠-١٢٩ . قال جيرارد جالديان عن بدرخان بك والمبشرين في الإمارة أثناء الهجوم العثماني: "وبما أنه [أي بدرخان بك] كان من المؤمنين بحرية الأديان، فقد عامل المسيحيين واليهود معاملة حسنة...ويطلب من السلطان، مارس المبشرون الانكليز والأمريكان نفوذهم على المسيحيين، فرفضوا مقاتلة جيوش السلطان...". ينظر مؤلفه: المأساة الكردية، ترجمة: عبد السلام النقشبندي، اربيل، ٢٠٠٧، ص٤٩ .

وقال بهدوء وتأن: انتم الممهدون لهؤلاء الذين سيأتون للاستيلاء على هذا البلد، وعليه فمن الأفضل أن نأخذ أولاً ما لديكم، لأنكم ستأخذون أملاكنا فيما بعد"^١.

وكانت سياسة الدولة العثمانية في المنطقة هي العامل الثالث التي أثرت بشكل كبير في العلاقة الايجابية بين الكرد والأرمن، فقد عمدت الدولة العثمانية، وتحت ضغوط الدول الكبرى، إلى القضاء على الإمارات الكردية، التي كانت ولمدة ما يقارب ما بين أربعة إلى خمسة قرون صمام الأمان بالنسبة لعلاقة الكرد بالأرمن، فهي التي كانت تنظم هذه العلاقة على الدوام، فقد أشار م.ف.فرونشيكو مؤلف الكتاب الجغرافي الشامل عن تركيا إلى البكوات الكرد، وعلاقاتهم بالشعب في كردستان في ثلاثينات القرن التاسع عشر: "أن الشعب يرى في البكوات الكرد، ليس قضاته وأسياده الأبويين فحسب، بل والحماة له من مضايقات المدراء المحليين، بل وحتى يرى أنهم السلطة والزعامة اللتان تركزت فيهما قوة العشيرة، التي تجبر أولئك المدراء على احترامها"^٢.

كانت الاستراتيجية دافعاً قوياً وراء تفكيك الإمارات الكردية بالقوة على يد الدولة العثمانية، لأنها بدأت تحتل موقعاً استراتيجياً مهماً، يفصل الأقاليم الداخلية للدولة العثمانية عن روسيا القيصرية، فالاحتلال الروسي للمناطق القوقازية أضفى أهمية إستراتيجية جديدة على كردستان، وذلك لأنها أصبحت تشكل حزاماً أمنياً جديداً للدولة العثمانية المهددة بالتوسع الروسي، فكان من المنطقي أن تلجأ إلى وسائل الإلحاق القسري، في سبيل منع حصول أي تحالف أو تقارب، ما بين الإمارات الكردية والإمبراطورية الروسية، فقد كانت هناك بعض الدلائل التي تشير إلى تقديم دعم عسكري كردي للمجهود الحربي الروسي مادياً وبشرياً، ما بين أوائل العقد الأول ونهايات العقد الثالث من القرن التاسع عشر، كما تعرضت تركيا العثمانية إلى ضغوط متزايدة، من جانب القوى الأوروبية الغربية لفرض حكم مباشر على المناطق الكردية المستقلة وشبه المستقلة، كانت دوافع تلك القوى الغربية، تكمن في منع روسيا من بسط سيطرتها، على شواطئ البحر الأبيض المتوسط ومنطقة الخليج العربي"^٣.

١. نقلاً عن: مارتن فان بروينسن، الأغا...، ج٢، ص٤٨٦-٤٨٧ .

٢. نقلاً عن: م.س. لازاريف، المسألة الكردية ١٨٩١-١٩١٧، ترجمة: اكبر احمد، السليمانية، ٢٠٠١، ص ٥٥ .

٣. سعد بشير اسكند، المصدر السابق، ص٢١-٢٢ .

إن من أبرز الأحداث التي شارك فيها الكُرد والأرمن، والتي أثرت في علاقاتهما سلباً آنذاك، هي الحرب الروسية العثمانية ١٨٢٨-١٨٢٩، والحملات العثمانية على الإمارات الكُردية في كُردستان بشكل عام، وعلى شمالها بشكل خاص.

أ- الكُرد والأرمن في الحرب الروسية العثمانية ١٨٢٨-١٨٢٩ :

لم تكن روسيا لتقف عند حدود القوقاز، عندما تمكنت من ضم أغلب أجزائها في القرن الثامن عشر، ولم تكن تقف في طريقها للوصول إلى حلمها في المياه الدافئة، في الخليج العربي والبحر الأبيض المتوسط، سوى الدولتين الإيرانية والعثمانية، اللتين بدأت عليهما علامات الضعف والفوضى الداخلية، لذلك دخلت روسيا في حروب مستمرة معهما، طيلة القرن التاسع عشر، فدخلت في حرب ضد إيران من عام ١٨٠٤ وحتى إبرام معاهدة غولستان في عام ١٨١٣، غير انها بقيت غير راضية عن ترسيم حدودها مع إيران، فنشأت نتيجة لذلك نزاعات أدت إلى نشوب حرب ثانية، دامت من عام ١٨٢٦ وحتى عام ١٨٢٨، تمكنت روسيا من خلالها الوصول إلى حدود نهر آراس التي طالما كانت تتطلع إليه، واستولت على أرمينيا الإيرانية بموجب معاهدة تركمانجاي^١، وقد سمحت إيران بموجب هذه المعاهدة لجميع الأرمن الذين كانوا يعيشون فيها بالانتقال منها والذهاب إلى المناطق الأرمينية، التي أصبحت خاضعة للسيطرة الروسية بعد الاستيلاء عليها، وقد انتقل ما بين (٢٥٠٠٠-٣٥٠٠٠) شخص من الأرمن إليها^٢، حيث أمر القيصر الروسي نقولا الأول (١٨٢٥-١٨٥٥) بإنشاء (المقاطعة الأرمينية) في تلك المناطق عام ١٨٢٨، وأعلن لاحقاً في عام ١٨٣٣ نظامها الأساسي^٣.

بخصوص كُرد يريفان يذكر الضابط الروسي (أفريانوف-Avyarov)، أنه بعد الاحتلال الروسي ليريفان لم تكن علاقتنا مع مواطنينا الكُرد هناك على ما يرام، وذلك يعود إلى تأثير القس الأرمني هناك (نرسيس-Nersis) الذي استغل منصبه الديني،

1. A.O.SARKISSIAN, HISTORY OF THE ARMENIAN QUESTION TO 1885, THE UNIVERSITY OF ILLINOIS PRESS, URBANA, 1938, P.30.

- مالكولم ياب، نشوء الشرق الأدنى الحديث ١٧٩٢-١٩٢٣، ترجمة: خالد الجبيلي، سوريا، ١٩٩٨، ص ٦٩.

٢. بول اميل، المصدر السابق، ص ٣٩: محمد الملا احمد، المصدر السابق، ص ١٠٧-١٠٨.

٣. جان شرف، المصدر السابق، ص ١٤٣.

ليؤثر على قرارات الجنرال الروسي (فراسوسكي-Ferasoski) المسؤول عن الإقليم الأرمني، وقد كان هذا القس الأرمني السبب الأساسي في تردي أوضاع الكُرد في يريفان^١، وفي رسالة نائب الملك في القوقاز (گراف باسكفيچ-Graf Paskevic)، إلى أمر الجيش الإمبراطوري الروسي في ٢ نيسان ١٨٢٨ تطرق فيها إلى أوضاع الكُرد في يريفان بهذه الكلمات: "لقد تم تعيين الموظفين الأرمن، لإدارة شؤون المسلمين الذين عانوا من الضيق على يد هؤلاء الموظفين، وكان هؤلاء الموظفين لا يأخذون الضرائب من الأرمن، وان ثقل هذه الضرائب كانت تقع على أكتاف المحمدين المسلمين، وكان جُلهم من الكُرد في يريفان، والذين كان عددهم قليلاً، وانه أخذ منهم [في أشهر قليلة من العام ١٨٢٨] (٨٠٠ روبل)، كضريبة أخذت منهم، في حين أن الأرمن لم يدفعوا شيئاً. وفي مجمل القضايا التي كانت تقع بين الكُرد والأرمن، كانت تقضى لصالح الأرمن، وكان القس الأرمني نرسييس وراء ذلك"^٢.

لا يمكن لهذه الأحداث في يريفان أن تكون قد غابت عن أذهان الكُرد في شمال كُردستان، حتى وان لم يكونوا قد تأثروا بالحرب هم أنفسهم، لذا فربما انهم لاحظوا وسمعوا هذه القصص عن النشاطات الأرمنية في الحرب، من اللاجئين الكُرد وغيرهم، الذين أجبرتهم حروب القوقاز على ترك مدنهم وقراهم، واللجوء إلى كُردستان التي أصبحت على مشارف مواقع الجيوش الروسية^٣.

بخصوص الموقف الكُردى والأرمني من الحرب الروسية العثمانية ١٨٢٨-١٨٢٩، فإنه لم يكن موحداً سواء بالوقوف مع الروس أو ضدهم، فبخصوص الكُرد فقد كان موقفهم في البداية من الروس يتأرجح ما بين الحيادية والتحالف، ويبدو ان القوات الروسية قليلة العدد، لم تلق أي مقاومة من القبائل الكُردية، التي دخلت المناطق الجبلية الحصينة والوديان العميقة، ويعزو الباحثون الموقف الكُردى هذا إلى جهود

1. Avyarov, Osmanli-Rus ve Iran Savaşları'nda Kürtler 1801-1900, Osmanlıcadan Tercüme eden: Muhammed(Hoko) Varli(Xanı), Basım yılı, Ankara, 1995, S.28.

٢. پ.ی. ئەفیریانوڤ، کورد لهجهنگی روسیا لهکهه لئیران وتورکیادا، وەرگیتران: ئەفراسیوا ههورامی، سلیمانی، ٢٠٠٤، ل٥٨ .

٣. جستن مکارثی، المصدر السابق، ص٥٧ . يبحث جستن مکارثی أوضاع القوقاز والأناضول الشرقية -كُردستان تركيا- على أنها منطقة واحدة، فما كان يحدث في القوقاز من حروب ومعارك فانها كانت تلقي بظلالها على الأناضول الشرقية.

الجنرال باسكفيج الذي وضع خطة لاحتلال شمال كردستان، وضمها إلى الإمبراطورية الروسية، وكان ضمن تفاصيل هذه الخطة اعطاء اهتمام كبير للقبايل الكردية الواقعة على الحدود، ومحاولة دراسة أحوالهم اجتماعياً وسياسياً، لكسب ودهم عن طريق عقد تحالفات ثنائية دفاعية بينهم، وإعطاء المناصب الفخرية والهدايا والنقود لرؤساء العشائر المنتفذة، ومعاقبة البعض منهم معاقبة شديدة، وحرق قراهم، وسلب ممتلكاتهم، ونهبها؛ ليكونوا عبرة لغيرهم^١، وكان من أبرز القادة الكرد الذين تحالفوا مع الروس هم: سليم باشا الاخاليسي، وبهلول باشا البازيدي، وأمين باشا الموشي، لقد أدت الهزيمة العسكرية التي تعرضت لها القوات العثمانية في هذه الحرب إلى تحرر جميع المناطق في شمال كردستان من السيطرة العثمانية، وتركزت جميع السلطات بالدرجة الأولى بيد الإقطاعيين والبكوات الكرد^٢. إلا أن هذا الموقف قد تغير كثيراً، بعد ان أوشكت الحرب على نهايتها، فإن العديد من القادة الكرد قد قاتلوا ضد القوات الروسية، لعلمهم مسبقاً عن انسحابها من مناطقهم^٣.

اما بالنسبة للموقف الأرمني من الحرب فقد إتسم على الدوام بدعم القوات الروسية والتحالف معها، للتخلص من الإقطاعيين الكرد والسلطة العثمانية، وبالتالي الإنضمام إلى أرمينيا الروسية وتأسيس أرمينيا الكبرى^٤.

ويمكن عد هذه الحرب البداية الحقيقية للتنافر الكردي-الأرمني، صحيح ان هناك وقائع معروفة من العمل المشترك بين الأرمن والكرد اليزيديين عشية هذه الحرب، وحول واحدة من هذه الوقائع كتب (أبو الأدب الارمني) (ابوفيان-Abovyan) (١٨٠٥-): "ان الكرد

١. عثمان علي، الحركة الكردية...، ص١٦. يورد عثمان علي برقية لباسكفيج، يظهر فيها مدى اهمية العامل الكردي في تقدم القوات الروسية في عمق الأراضي العثمانية. والبرقية تعود إلى تشرين الأول من العام ١٨٢٩ جاء فيها: "إذا لم نستطع أن نكسب ود الكرد، فإن كل مكاسبنا في المعارك الجارية ستتعرض للخطر، لأن هذا الشعب الشجاع يملك خيرة مقاتلي الشرق، وأنه بإمكانهم أن يقطعوا خطوط اتصال قواتنا الخلفية، ويمكن ان يهاجمونا من جميع الجهات، وإلحاق أمدح الخسائر بقواتنا". ينظر: المصدر نفسه.

٢. م.س. لازاريف، المصدر السابق، ص٤٧.

3. Avyarov, A.G.E., S.43-44

4. christopher J.walker, ARMENIA: The Survival of a Nation, second edition, n.p, 2005, P.54;

- كرسام اهارونيان، القضية الأرمنية أمام الرأي العام العربي، بيروت، ١٩٦٥، ص١٥.

اليزيديين بقيادة ميرزا أغا، والأرمن بقيادة الكاهن بوغوص (كشيش بولو)، قاوموا الأتراك وتمكنوا بفضل قواتهم المتواضعة قرب قلعة رادوفان...من إبادة الجيش التركي بشكل كامل تقريباً، والذي كان قوامه ثلاثون ألفاً^١. وعلى الرغم من المبالغة في عدد الأرقام في هذا النص، إلا أنه يؤكد ويشير إلى تعاون كردي أرمني في هذا المجال، وأيضاً فقد أرسل أمين باشا الموشي ممثله، الذي كان أرمنياً إلى تفليس في بداية الحرب، إلى قيادة الجيش الروسي هناك، لغرض تعاونه مع القوات الروسية، بشرط الاحتفاظ بكرسي الباشاوية، وبعض المساعدات من الجانب الروسي^٢.

رغم هذا التعاون الأرمني الكردي الصغير جداً فقد حدثت وقائع أدخلت العلاقات الكردية الأرمنية مرحلة الشك والترقب-منها أيضاً ما ذكر بشأن أوضاع الكرد في يريفان كما مر- في بداية الحرب مثلاً، عندما كان باسكفيج في تبريز، أرسل له بهلول باشا الباييزيدي رسالة بهدف عقد اتفاق بين الطرفين، فبعدما أدرك بهلول باشا أنه لا يستطيع مقاومة القوات الروسية، التي كانت على أعتاب بايزيد، وكان يدرك ضعف الأتراك، حاول أن يعقد معاهدة مع الروس، ولهذه الغاية أرسل أحد اتباعه بشكل سري إلى باسكفيج، ولكن دون نتيجة تذكر، وبعد شهر من هذه الحادثة طلب بهلول باشا من القس الأرمني نرسييس، الذي كان يعيش في اتشميادزين، أن يساعده في مسعاه هذا -عقد اتفاق مع باسكفيج- ولكن القس نرسييس الأرمني، ودون أن يبلغ أحداً أجاب (من تلقاء نفسه) بهلول باشا: انه لم يحن الوقت لمثل هذا العمل، وأخفى نرسييس هذا الأمر عن باسكفيج^٣، وفي حالات عدة وعندما كانت الحرب تلفظ أنفاسها الأخيرة حارب بعض قادة الكرد هناك إلى جانب القوات العثمانية، وقاموا بمهاجمة القوات الروسية، وعند انسحاب تلك القوات الكردية، أو عدم تمكنها من الظفر بالنصر، كانت تقوم بطرد الأرمن، الذين كانوا يقعون على طريقهم، باعتبارهم حلفاء للروس، كما فعل أمين باشا الموشي، عندما لم يتمكن من السيطرة على اخاليس، وفي طريق انسحابه قام بطرد الأرمن من اردهان وارضروم^٤، يقول جيمس برانت: "وفي أيام الحرب

١. نقلاً عن: خاليت مرادوفيج جتوف، المصدر السابق، ص ١٥.

2. Avyarov, A.G.E, S.36

3. A.E, S.29.

4. Hagop Şahbazyan, Kürt-Ermeni Tarihi, Ermenice_den Çeviren: Ferit M.Yüksel, İkinci Basım, Ankara, 2005, S.48.

الروسية [١٨٢٨-١٨٢٩]، وصل جيش الروس إلى موش...وفي تلك المدة اعتبر الكُرد الأُرمن منحازين لقوات الغزو الروسي...لذلك لم يترددوا في نهب ممتلكاتهم، وحتى قتلهم بسبب موالاتهم للروس المحتلين^١، ويؤكد (هاغوب شاهبازيان Hagop şahbazyan) ما ذهب إليه برانت بالذكر: انه حتى هذه الحرب لم تكن بين الكُرد والأُرمن في شمال كُردستان أية عداوة، بالرغم من حدوث بعض التوترات من حين لآخر^٢.

انتهت الحرب الروسية العثمانية بعقد اتفاقية أديانبول أواخر عام ١٨٢٩، وعند انسحاب القوات الروسية من شمال كُردستان لحق بها ما بين (٥٠٠٠٠) إلى (١٠٠٠٠٠) أرمني، جميعهم من: قارص، وارضروم، وبايزيد، والتجوا إلى يريفان واسكندر بول، ورغم المبالغة في الأرقام إلا أنه مع ذلك يدل على حدوث وقيام هجرة واسعة من الأُرمن إلى أرمينيا الروسية^٣.

إذا كانت الحرب الروسية العثمانية بداية التنافر الكُردى الأرمني في شمال كُردستان فانها أبداً لم تكن لتقضي على العلاقات الكُردية الأرمنية ذات الجذور العميقة، وهذا ما ظهر جلياً في أحداث إمارة بوتان، حيث تحالف أغلب أرمن بوتان وبتليس مع الأمير بدرخان بك (١٨٢١-١٨٤٧)، وحاربوا ضد القوات العثمانية، ولكن المشكلة هنا لم تكن في أرمن الإمارات الكُردية، بل كانت في أرمن المدن الكبرى في كُردستان وغيرها، وأرمن استانبول الذين قاموا بدعم القوات العسكرية العثمانية ضد قوات إمارة بوتان.

ب- الأُرمن في ظل حكم الأمير بدرخان بك :

عمدت الدولة العثمانية إلى إنهاء حكم الإمارات الكُردية، وإلحاق كُردستان مباشرة باستانبول، نتيجة لظروف عديدة ذُكرت فيما سبق، فجردت الدولة العثمانية حملتين على كُردستان، الأولى: بقيادة (رشيد باشا) الذي تمكن من القضاء على الإمارات الكُردية في جنوب كُردستان، مثل: إمارتي سوران، وبادينان، وحاول حافظ باشا الذي تولى قيادة الحملة بعد ذلك القضاء على إمارات شمال كُردستان، إلا أنه لم يتمكن من ذلك،

١. ينظر مؤلفه: المصدر السابق، ص ٢٥ .

2. Hagop Şahbazyan, A.G.E., S.48 .

3.Christopher J.Walker, Op.Cit., P.54; Petite encyclopédie du génocide arménien, 285-Arméniens et Kurdes, Via at:(www.denisdonikian.blog.lemonde.fr).

وانتهت حملته في أواخر عقد الثلاثينات، ولهذا قامت الدولة العثمانية بتجريد حملة ثانية على إمارات شمال كردستان، بقيادة (عثمان باشا)^١، الذي تمكن من القضاء على هذه الإمارات بحلول عام ١٨٤٧، وأبرزها إمارة بوتان التي كانت تحت حكم الأمير بدرخان^٢.

ولكن قبل الدخول في تفاصيل حملة رشيد باشا الحملة الأولى وإجراءات بدرخان بك أمير إمارة بوتان للتصدي لها، وعلاقة الكرد بالأرمن في هذه الإمارة، من المفيد هنا القول: إن القنصل البريطاني في أرضروم (جيمس برانت)، قام بزيارة المنطقة الكردية في عام ١٨٣٨، وكان هدفه الأول الاطلاع على أوضاع الأرمن آنذاك، وعلى الرغم من تحامله على الكرد إلا أنه لم يتمكن من إثبات مظلومية الأرمن في هذه البلاد، أو أن العلاقة لم تكن جيدة بين الطرفين، وكان برانت كلما دخل مدينة أو قرية في تلك المنطقة يقوم بإجراء عملية تعداد للنفوس ولل منازل، لكل من الكرد والأرمن، وفي أغلبها كانت الكثرة والغلبة للكرد^٣، ويمكن الجزم أن سياسة العد والفرز حول نسبة كل من الكرد والأرمن قد بدأت بوصول المبشرين وهؤلاء العملاء والساسة الأجانب إلى كردستان في النصف الأول من القرن التاسع عشر، فقد أشار أيضاً المبشر الإيطالي جيوسيبي كامبانلي الذي زار كردستان في العقد الأول من القرن التاسع عشر إلى هذا الأمر، وأورد احصائيات عن سكان دياربكر، وماردين^٤.

بالعودة إلى علاقة الكرد بالأرمن، في عهد الحملات العثمانية العسكرية على الإمارات الكردية، فإن العلاقات بينهما على ما يبدو لم تتأثر كثيراً على الرغم من الأوضاع السيئة التي كانت تمر بها المنطقة؛ فقد دافع الأرمن عن الإمارات الكردية شأنهم في ذلك شأن الكرد أنفسهم، أثناء حملة رشيد باشا، فعندما قام الأخير بمهاجمة جزيرة

١. توفي عثمان باشا في استانبول عام ١٨٤٨ اثر إصابته بمرض الكوليرا، وعين رشيد باشا خلفاً له.

٢. للتفاصيل عن هذه الحملات العسكرية العثمانية على كردستان ينظر: ديفيد مكدول، المصدر السابق، ص ٨٩-٩٧؛ كاميران عبد الصمد احمد الدوسكي، كردستان العثمانية في النصف الأول من القرن التاسع عشر، دهوك، ٢٠٠٢، ص ١٣٠-١٤٩.

٣. للتفاصيل عن تلك الأمثلة التي أوردها برانت ينظر مؤلفه: المصدر السابق، الصفحات (١٠-١١، ٢٢، ٣٢، ٤٧، ٩٢).

4. Giuseppe Campanile, Op.Cit., P.45 and P56.

بوتان، عاصمة بدرخان، واحتلالها بعد حصار طويل في عام ١٨٣٨، حاول خان محمود (محمود خان)، أمير بتليس ان يأتي لإنقاذها بجيش كبير يتألف، استناداً إلى سافراستيان^١ من (٢٠٠٠) كُردي وأرمني وأشوري، لكن حيل بينه وبين عبوره نهر بوتان، بعد ان نسف الأتراك الجسور، فاضطر بدرخان وخان محمود إلى الانسحاب إلى معاقلهما في الجبال^٢، وقد كتب بهذا الصدد الاديوثان روزين فرانسيل، لأحد القديسين الأرمن قائلاً: "لولا مساعدة الأوربيين لقوات رشيد باشا بمدربين متمكنين، وبتعدد العمليات، وتحركات جيشه وبالأطباء والمهندسين، لما استطاعت قوات رشيد باشا أن تسيطر على القوات الأرمنية والكردية"^٣.

كان بدرخان بك أمير بوتان حسب قول سافراستيان حاكماً عادلاً، ومن أشجع المحاربين وأكثر رجال السلطة حكمة وبصيرة^٤، وضمن حدود إمارته سادت عدالته الجميع، الكُرد، والأرمن، والنساطرة، وتمتع المسيحيون بحرية دينية غير محدودة تحت سلطته، وهذا ما شجعهم لبناء كنائسهم وممارسة شعائرتهم فيها، حمى بدرخان مواطنيه المسيحيين ولم يسمح أن يلحق الأذى بهم، هذا التعامل مع المسيحيين كان شيئاً مختلفاً عن السياسات العثمانية أو الفارسية نحو المسيحيين (الكُفار)، التي كانت مبنية على التمييز الديني^٥.

وسع بدرخان حدود إمارته، بعد عام ١٨٤٢، وتمكن من ضم أغلب المناطق في شمال كُردستان، سواءً بالتهديد وخوض المعارك أو بالتحالفات، فانضم إليه أمراء موكنس، وموش، وبتليس، وهكاري، وأغلب العشائر الكُردية، بدءاً من مركز إمارة بوتان وحتى بحيرة وان، وان انضموا هؤلاء القادة والأمراء إلى جانب بدرخان بك، قد ضمن له إدخال أغلب الأرمن تحت حكمه، وصار أغلبهم من حلفاء بدرخان بك^٦.

١. مؤرخ ودبلوماسي بريطاني من أصل أرمني.

٢. مارتن فان برونسن، الأغا...، ج ١، ص ٣٨٩؛ صلاح هروري، المصدر السابق، ص ٩٠.

٣. نقلاً عن: محمد خليل أمير، المصدر السابق، ص ١٦.

٤. سعد بشير اسكندر، المصدر السابق، ص ٣٠٦.

5. Garabet K.Moumdjian, Armenian Kurdish Relations in the Era of Kurdish National Movements (1830-1930). Via at: (www.armenianhistory.com-Nyuter-HISTORY-GMoumdjian-kurd_2.htm).

٦. محمد امين زكي بك، المصدر السابق، ص ٢٣٢؛ صلاح هروري، المصدر السابق، ص ٧٤-٩٧.

وبحسب هاكوب شاهبازيان فإن خطة عمل بدرخان احتوت ضم الولايات الشرقية، وشملت: وان، موش، بتليس، دياربكر، تصل حتى بحيرة أورمية، علاوة على ذلك، كانت خطة بدرخان بأن هذه الأقاليم يجب الدفاع عنها ضد كل الأعداء الخارجيين، لهذا السبب فضّل الأمير إجراء مفاوضات مباشرة مع شاه إيران، وطلب مساعدته ضدّ العثمانيين، أما بالنسبة إلى الأرمن فكان عليهم أن يحصلوا على مساعدة من روسيا وجورجيا، يمكن أن تكون هذه خطة ناضجة، طبقاً لتطورات تلك الأيام، ومن خلالها فإن بذور إتحاد أرمني كردي ضد الحكم العثماني كان قابلاً للظهور^١، ان ازدياد قوة بدرخان وقيامه بضم المناطق والأراضي الكردية والأرمنية، جعلته يتخطى بذلك الحدود السياسية الكردية إلى تعاون كردي أرمني، يكون بدرخان على رأسها^٢.

كان بدرخان قد خصص في برنامجه السياسي مكاناً هاماً للعلاقات المتبادلة مع الشعوب، التي عاشت قروناً طويلة مع الكرد وخصوصاً الأرمن، ورأى بدرخان بك أهمية جذب السكان الأرمن إلى النضال المشترك ضد الأتراك، واعتقد أنه بذلك سيحظى بتأييد جارتها الشمالية روسيا^٣، وكذلك إيران التي أوفد إليها ملك زاديان الإيراني الأرمني الأصل، حيث التقى بالأمراء الإيرانيين في قصر الشاه^٤، وخصص مكاناً كبيراً للأرمن في دولته المستقبلية، وأخذ بالحسبان تأثير التجار والحرفيين الأرمن في الحياة الاقتصادية، ووعدهم أن يسلمهم إدارة الأمور الاقتصادية، وقد كان جيش بدرخان بك يضم إلى جانب الكرد، عدداً كبيراً من الأرمن أكثرهم من سكان (ديخ-ديه)، ويقال: ان بدرخان بك شجع التزاوج بين الأرمن والكرد وقد كتب شاهبازيان عن موقف بدرخان بك من الأرمن ما يلي: "ان بدرخان بك، الذي أعار مهمة القيادة السياسية جل اهتمامه، نظر إلى الأرمن نظرتهم إلى الكرد، معتمداً على وجهة النظر المقنعة أو غير المقنعة، القائلة ان الأرمن والكرد هم من أصل واحد؛ ثم انقسموا إلى عشائر وديانات"، ولكن ثمة حقيقة ثابتة فيها ان العديد من الأرمن قد انضموا إلى جانب بدرخان بك، وحازوا على ثقته وعملوا مستشارين له، ويشير كل من شاهبازيان والبويادجيان إلى أسماء أولئك الناس، وكان بينهم بعض الأرمن

1. Hagop Şahbazyan, A.G.E, S.70; Garabet K.Moumdjian, Op.Cit.

2. Garo Sasuni, A.G.E., S.67.

٣. جليلي جليل، من تاريخ الإمارات...، ص ١٢١ .

4. Hagop Şahbazyan, A.G.E., S.70

المسؤولين، ممن كانوا يفتخرون بأصلهم العريق، الذي حرمهم منه الأتراك، لقد كان الأرمنيين ستيبان مانوغليان واوغانيس تشالكزيان مستشارين لدى بدرخان بك، أعلن س.مانوغليان انه ينحدر من أصل ماميكونيان العريق، وقد حصل على تعليمه في المدرسة الايطالية في استانبول، كان يتقن الفرنسية والايطالية والتركية وغيرها من اللغات، وكان الأرمني مير مارتو من باشقالا قائداً لإحدى فصائل بدرخان بك^١، وبحسب ما جاء في أقوال مسافر ارمني يدعى ستيان، برهن بدرخان بك عن عدل ليس حيال الكرد فحسب، وإنما أيضاً حيال الأرمن، والأشوريين، والكلدانيين، وقوميات أخرى: "وأفاد المسيحيون من الحرية الدينية، فكان لهم أماكن عبادة حتى في الجزيرة، ولم يكن لهم أي تمييز حيال الكرد"^٢.

حتى تلك المرحلة التاريخية لم يكن من المؤلف بشكل عام أن يسمح أمير كردي (كبقية الحكام المسلمين) للمسيحيين بحمل السلاح، أو الانضمام إلى قواته في حالة نشوب حرب، لقد منعت القوانين الإسلامية غير المسلمين من حمل السلاح، أو الانضمام إلى الجيوش الإسلامية، لكن الإمارة الكردية استطاعت وبفضل مواقفها المتسامحة أن تحصل على تأييد ومساندة الأهالي، الذين جاؤوا من خلفيات دينية وعرقية واجتماعية متعددة، وبالتالي ضمت القوات الكردية إلى صفوفها افراداً ينتمون إلى أعراق وأديان وفئات اجتماعية متنوعة^٣.

لم ينظم معظم الأرمن إلى جانب بدرخان بك في مواجهة الأتراك العثمانيين عندما جردوا عليه حملة بين عامي ١٨٤٦-١٨٤٧، فكان الأرمن ينقسمون إلى قسمين مختلفين، القسم الأول: هم مقام البطرياركية في استانبول، والقادة الروحانيين والميسورين الذين يعيشون في المدن، وكان هؤلاء يقفون إلى جانب الدولة العثمانية، أما القسم الثاني: فهم الأغوات الأرمن، الذين كانوا يسكنون المناطق الجبلية، وهؤلاء كانوا يوالون الكرد مع احتفاظهم بشبه استقلالهم^٤.

لقد دافع أرمن بوتان مثل كُردها عن استقلال إمارتهم وواجهوا القوات التركية بكل

1. A.E., S.65-71.

- جليلي جليل، من تاريخ الإمارات... ص ١٢١-١٢٣ .

2. Kendal, Op.Cit, P.29.

٣. سعد بشير اسكندر، المصدر السابق، ص ٣٢٩ .

4. Garo Sasuni, A.G.E., S.71.

قوة، وقد واجه الأرمن المدافعون مصير الكُرد، في القتل والإبعاد، وتدمير قراهم، يأتي على رأسهم سكان ديخ الذين أصبحوا هدفاً للقوات العثمانية، وان أولى هجرات الأرمن من إمارة بوتان، تلك التي أعقبت الهجمات العثمانية وكانت من ديخ، حيث هاجر العديد من عوائلها إلى استانبول، ومناطق أخرى في الدولة العثمانية وخارجها^١، وتذكر المصادر الأرمنية أنه عندما سلم الأمير بدرخان نفسه إلى القوات العثمانية، المحاصرة لقلعة اروخ، آخر معاقل بدرخان كان جل حراسه من الأرمن، من منطقة جاتاك وديخ وكان يبلغ عددهم (٢٥) فرداً^٢.

هذا بخصوص موقف الأرمن في إمارة بوتان من حملة (عثمان باشا)، إلا أنه كان بالمقابل هناك موقف أرمني آخر قوي معادي للإمارة الكُردية، ربما لا يمكن مقارنته بالأرمن المدافعين عن الإمارة، وهؤلاء هم سكان المدن ومقام البطريركية الأرمنية في استانبول، الذي كان له تأثير شديد على اغلب الأرمن ضمن حدود الدولة العثمانية، ويتبنى في سياسته عدم معارضة الدولة العثمانية والتحالف معها؛ وكان السلاطين العثمانيين يشيرون إلى الأرمن، حتى سبعينات القرن التاسع عشر، على انهم (الأمة المخلصة) أو (الملة الصادقة)^٣.

لقد تمنى قادة الكنيسة المسيحية الأرمنية، سواء في استانبول أم في الأقاليم انتصار الجيوش التركية في حروبها ضد الإمارات الكُردية، فقد دعا كبير أساقفة الكنيسة الكاثوليكية الأرمنية في استانبول الأرمن في كُردستان إلى تقديم العون للجيوش التركية، في غزوها للإمارات الكُردية، وعلى ما يبدو فقد اعتقد أولئك القادة الدينيون بان تقديمهم الولاء مجدداً للسلطان التركي سيعود عليهم بامتيازات مهمة، تعزز من مكانة الجماعات المسيحية اجتماعياً وقانونياً ومادياً، ويعني ذلك إعلاء شأن الأقلية الأرمنية، على حساب الأغلبية الكُردية في المناطق الكُردية الملحقة، والجدير بالذكر انه حدث تحالف في المدن الكُردية التي كانت خاضعة لحكم تركي مباشر، مثل: وان، ودياربكر، وارضروم، بين العائلات الأرمنية الثرية والسلطات التركية

1. Hagop Şahbazyan, A.G.E., S.71.

2. Garo Sasuni, A.G.E., S.75.

٣. ينظر مثلاً: ريتشارد ج. هوفانيسيان، المسألة الأرمنية ١٨٧٨-١٩٢٣، في: نخبة من الباحثين والعلماء، جريمة الصمت: جريمة إبادة الجنس الأرمني، ترجمة: هوري عزازيان، اللانقبة، ١٩٩٥، ص٣١؛ محمد رفعت الإمام، المصدر السابق، ص٢٥ .

الإقليمية^١، وذكر هاكوب شاهبازيان أن أرمن موكس قد باركوا انتصار عثمان باشا على قوات بدرخان بالأهازيج والأغاني باللغة الكردية، والتي ما تزال ترد إلى يومنا هذا-إي: في العقد الأول من القرن العشرين-^٢، وفعلاً فإن قسماً من الأرمن قد ساعدوا الاتراك العثمانيين في حربهم على امارة بوتان، وعلى إلقاء القبض على بعض الأمراء الكرد، ولذلك نظر الكرد إلى الأرمن بعد ذلك، رغم علاقات الجيرة الطويلة بين الطرفين على أنهم أعداء وخونة^٣.

واستقبلت أخبار انتصارات عثمان باشا، في استانبول بكل فرح، في الأوساط الأرمنية، وبأمر من البطريركية الأرمنية أُقيمت الدعوات في الكنائس وشكروا ربهم لأجل ذلك، وقد بارك الباب العالي هذه الحركة من جانب الأرمن، وقد ذكر في كتاب (افديس بربريان-Avedis Berberyan) المعنون (تاريخ الأرمن) ان بطريك الأرمن (بدرماتوس-Peder Matteos) قام بإرسال تميم إلى كل الأرمن في ٩ كانون الأول ١٨٤٧، بتقديم الشكر إلى السلطان عبد المجيد الأول (١٨٣٩-١٨٦١) وإلى دولته القوية، بعد الانتصار على بدرخان بك وحلفائه، الذين استبدوا بالبلاد، كما تضمنت رسالته تلك هجوماً عنيفاً على الكرد، حيث ورد في بدايته قول بدرماتوس: "هذا هو اليوم الذي تم فيه القضاء على وحشية واستبداد الكرد، من قبل السلطان العثماني العظيم"^٤. ان انحياز بطريركية الأرمن في استانبول، وأصحاب المقامات الروحانية المهمة، في المدن إلى الجانب العثماني، هي مسألة معروفة في المصادر الأرمنية، حيث استفاد هؤلاء من عهد التنظيمات العثمانية (١٨٣٩-١٨٧٦)، التي كانت من أبرز سمات التاريخ العثماني في القرن التاسع عشر^٥، وفضل الأرمن

١. سعد بشير اسكندر، المصدر السابق، ص ٤٢٥-٤٢٦.

2. Hagop Şahbazyan, A.G.E., S.66.

3. Garo Sasuni, A.G.E., S.76.

٤. ينظر النص الكامل لهذه الرسالة في الملحق رقم (١). من المهم القول هنا: إن السلطان عبد المجيد الأول قد منح وساماً سمي بـ(وسام كردستان)، للقادة العثمانيين الذين كان لهم دور في الانتصار على جيش الامير بدرخان. ينظر: مالميسانز، بدرخانيو جزيرة بوتان ومحاضر اجتماعات الجمعية العائلية البدرخانية، ترجمة: شكور مصطفى، اربيل، ١٩٩٨، ص ٥٩-٦٣.

٥. وجدت الدولة العثمانية نفسها متأخرة مقارنة بأوروبا، التي اجتاحت معظم أجزائها الغربية نهضة حضارية متميزة، لذلك عمدت الدولة العثمانية، مرة تحت ضغط داخلي، وأخرى تحت ضغط خارجي إلى إصلاح نفسها، ووضعها في مصاف الدول الأوروبية الغربية آنذاك، وسميت الحقبة الزمنية منذ =

البقاء تحت حماية الأقوى ودعمه بكافة السبل، حتى انهم مهدوا الطريق لعثمان باشا في حملته على كُردستان، وقاموا بتأمين قوات مسلحة أيضاً للجيش العثمانية، وأصبحوا أداة عمياء في يد السلطات التركية العثمانية^١.

عند متابعة العلاقات الكردية الأرمنية في عهد الإمارات الكردية، حتى سقوط إمارتي بوتان وبتليس، تظهر في هذا الموضوع إشكاليات عدة، منها ان الكرد حسبما يبدو لم يكن لديهم هذا الحس القومي العنصري، أو حتى الديني لدرجة الوصول إلى أن ينبذ الأرمني أو الأشوري أو حتى التركي المعتدي، وإذا ما كانت تتحكم في الكرد مثلاً الحس الديني، فقد أشارت المصادر الأرمنية، وليست الكردية^٢ إلى أن الكرد كانوا يكونون كامل الاحترام للمؤسسات الدينية ولرجال الدين المسيحيين، وان المسافر في كُردستان إذا ما أراد ان يعبر منطقة ما خلالها، فمن الأفضل له ان يصطحب معه رجل دين مسيحي، لأنه الضامن الأول والأساسي لسلامته^٣، بل ان نظرة الكرد إلى

= أواخر القرن الثامن عشر إلى العقود الأخيرة من القرن التاسع عشر بعهد الإصلاحات في الدولة العثمانية، ومن ابرز لوائح الإصلاح التي أصدرتها كان خط شريف كولخانة عام ١٨٣٩، وخط شريف همايون عام ١٨٥٦ في عهد السلطان عبد المجيد (١٨٣٩-١٨٦١)، إلا انهما لم تأتيا بنتائج ملموسة لإنقاذ الدولة العثمانية من وضعها المتردي. للتفاصيل ينظر: محمود رثيف افندي، التنظيمات الجديدة في الدولة العثمانية، تقديم وتحقيق: خالد زيادة، لبنان، دت، ص ٢٥ وما بعدها؛ انكه لهارد، المصدر السابق، ص ٢١ وما بعدها.

1. Hagop Şahbazyan, A.G.E., S.66-69.

٢. بخصوص التاريخ الكردي المدون فان مما يؤسف له ان الكرد لم يدونوا تاريخهم مثل الأمم الأخرى، ففي العصر الحديث، لا تقع عين الباحث الا على كتاب الشرفنامه للأمير شرفخان البتليسي الذي انتهى من تأليفه عام ١٥٩٦، وليس هناك ما يستحق الذكر بعد ذلك، حتى بداية القرن العشرين. ينظر: هوكر طاهر توفيق، الالفباء الكردية بالحروف العربية والحروف اللاتينية نشؤها وتطورها، دهوك، ٢٠٠٥، ص ١٧-٢٢.

٣. يورد غارو ساسوني رواية طريفة عن سبب احترام الكرد للكنيسة الأرمنية، نقلها من مصادر ارمنية قديمة، وهي: انه قام في أحد الأيام جماعة من الكرد الأشقياء بالدخول إلى احد الأديرة في جبال كُردستان ونهبوا ممتلكاتها والحقوا الضرر بها وبالمتزهدين فيها، بعد ذلك أصاب مرض عضال حيوانات القرية التي كانوا ينتمون اليها، وعند البحث والتحقيق توصل وجهاء القرية الكردية بان سبب البلاء والمرض الذي أصاب حيواناتهم، هو بسبب هؤلاء الأشقياء الذين هجموا على الدير الأرمني، الذي هو مكان مقدس عند الله، لذلك اجبر الأشقياء على الاعتراف بجريمتهم وإعادة الأشياء المنهوبة إلى الدير، واعتذروا من كبير رجال الدين في الدير وطلبوا منه العفو. ومنذ تلك اللحظة والكُرد ينظرون إلى الدير ورجال الدين المسيحي على انهم مقدسون ولهم كامل الاحترام. ينظر: - Garo sasuni, A.G.E., S.38.

الكنيسة المسيحية لا تختلف عن نظرتهم تجاه الجامع، وهي ان كلا المكانين مقدسين، وان اختلفت عبادتهما، بل وجد في تاريخ علاقة الكُرد بالارمن من الكُرد من قاموا ببناء الكنائس للأرمن كقيامهم ببناء المساجد، فمثلاً يذكر (سعد الدين باشا)، في ذكرياته التي دونها عندما جاء في لجنة تحقيق عثمانية بعد الأزمة الأرمنية الاولى في عام ١٨٩٦ أنه قد زار موكس، حيث ان هناك مجاميع من الكُرد والأرمن يعيشون في المنطقة، وقد زار كنيسة ارمنية على سفح جبل في موكس، وكانت الكنيسة تحمل اسم (شيربار-şirbar)، نسبة إلى اسم الكُرد الذي بنى هذه الكنيسة^١.

هنا يطرح سؤال نفسه، وهو هل كان الأرمن يشعرون انهم مضطهدون؟ والجواب عن هذا التساؤل وفقاً للمدونات التاريخية الأرمنية القديمة التي دونها الأرمن في عهد الإمارات الكُردية هو: لا، واذا ما كان احد من الأرمن قد اضطهد أو سُرق منه أشياء أو حتى قتل، فان هذا لم يكن تحت باب؛ لأن هذا (أرمني)، لم يكن هذا الأمر معروفاً في شمال كُردستان، وتم التذكير سابقاً بان الحياة فيها كانت طبيعية، حيث كان الكُرد يعيش مثل الأرمني والأشوري، واذا ما وقع ظلم على احد ما، فلأنه وجد في المكان والزمان غير المناسبين، أي كان ليس لأنه من هذه القومية أو من هذا الدين أو ذاك، وقد كتب المستشرق الالماني (جوهان ليبسيوس - Johannes Lepsius) في مقاله (الكُرد والأرمن) المنشور عام ١٩٠٤ في مجلة الشرق المسيحي، عن علاقات الصداقة بين الكُرد والأرمن ما يأتي: "كانت تسود بين الأرمن والكُرد حتى عام ١٨٤٨ علاقات صداقة حميمة، وتم العديد من حالات القران بينهما، كان الكُرد يحترمون جداً شعائر وطقوس الأرمن الدينية"^٢؛ أي: أنه فعلاً، ووفقاً للأحداث التي جرت في كُردستان بين الأرمن والكُرد، أثبتت الإمارات الكُردية أنها كانت صمام الأمان في كُردستان.

وتعد شهادة خاجاتور أبوفيان خير دليل على أن علاقة الكُرد بالأرمن كانت على ما يرام أثناء حكم الإمارات الكُردية، فقد كتب ابوفيان مقالتين عن الكُرد نشرتا في عام ١٨٤٨ في جريدة (القوقاز) تحت عنوان (الكُرد) و(اليزيديون)، ففي مقالة (الكُرد) كتب ما يلي: "من الصعب في الوقت الراهن إيجاد علاقات أبوة بجميع ايجابياتها،

1. SAMI ÖNAL, Sadettin Paşa'nın Alnilari: Ermeni-Kürt Olayları (Van, 1896), Istanbul, 2003, S.147.

٢. محمد خليل امير، المصدر السابق، ص ١٥-١٦ .

وسلبياتها، وفضائلها، ونواقصها، في جميع أنحاء العالم، كالتي نجدها عند الكُرد، فحياتهم لن تتغير على مدى عدة مئات من السنين، كان من الممكن تسمية الكُرد بفرسان الشرق بكل معنى الكلمة، فيما إذا كانوا يمارسون حياة أكثر تحضراً، فالشجاعة، والصراحة، والإخلاص، والوفاء بالعهد، والكرم، والاحترام للامحدود للنساء، كل هذه الخصال صفات عامة لكل الشعب^١. وعلى الرغم من ابداء مينورسكي بعض الملاحظات على مقالة أبوفيان، الا إنه يقول: إنه يظن أن علاقة الكُرد بالأرمن في الازمنة القديمة كانت جيدة، وخير دليل على ذلك هي أن أب الأدب الارمني الحديث- يقصد أبوفيان- كان يحب الكُرد من أعماق قلبه^٢.

يُلام الكُرد كثيراً على أنهم كانوا أداة بيد حكامهم الأتراك لضرب الأرمن، ولكن التاريخ أثبت أن الذي كان أداة بيد الأتراك أولاً هم الأرمن، الذين استُخدموا لضرب الإمارات الكُردية، بل ان قسماً منهم كانوا اليد الطولى للأتراك العثمانيين، لضرب الحركات الكُردية حتى ستينات القرن التاسع عشر، فمثلاً بعد سقوط الإمارات الكُردية مباشرة، أي في عام ١٨٤٩، أُستخدم الأتراك الأرمن لضرب الحركة الكُردية، في منطقة اقجاداغ الواقعة في شمال زيتون، والتابعة لولاية بتليس، فبعدها قام الكُرد بحركة ضد الدولة العثمانية، مطالبة بعدم تدخل الدولة في شؤونهم جرد العثمانيون جيشاً لضرب هذه الحركة، وبعد مناوشات ومعارك عديدة خسر العثمانيون المعركة، ولم يتمكنوا من فرض إرادتهم على كُرد اقجاداغ، لذلك التجأ الأتراك العثمانيون إلى السكان الأرمن في زيتون، طالبين مساعدتهم لضرب الحركة الكُردية، وبعد مفاوضات بين الطرفين أعلن الأرمن موافقتهم على المشاركة في الهجوم على اقجاداغ، ولكن بشرطين، الأول: الحفاظ على استقلالهم، وعدم دخول الدولة العثمانية في شؤون حكمهم الذاتي، أما الشرط الثاني فهو: أن تكون القوات الأرمنية، المشاركة في الهجوم، تحت قيادة قائد من الأرمن أنفسهم، وبالفعل هاجم الجيش التركي- الأرمني اقجاداغ، وتمكنوا معاً من إنزال ضربات قوية بالحركة الكُردية، التي لم تتمكن من الصمود أمامها، ثم دخلت هذه القوات اقجاداغ وقد

١. نقلاً عن: خاليت مرادوفيج جتويف، المصدر السابق، ص ٢٠. للمزيد عن مقالة أبوفيان عن الكُرد ينظر، كذلك: ن.أ.خالفين، المصدر السابق، ص ٢٥؛ ب.ليرخ، دراسات حول الكُرد الإيرانيين

وأسلافهم الكلدانيين الشماليين، ترجمة: عبيد حاجي، دهوك، ٢٠٠٨، ص ٣٣.

٢. ينظر مؤلفه: المصدر السابق، ص ١١٤-١١٥.

تسببت في تدميرها بشكل تام^١، بل أكثر من هذا أن المؤرخين الأرمن ذكروا بعد ذلك، وبكل افتخار؛ ليعلوا من شأنهم أمام الدولة العلية العثمانية، أن الأرمن كانوا السبب في دفع الدولة العثمانية؛ لإنهاء حكم هذه الإمارات الكردية في شمال كردستان، وانهم قد ساعدوها كثيراً حتى تمكنت من السيطرة على المنطقة، بل وان الأرمن هم الذين القوا القبض على كل من بدرخان بك وخان محمود^٢ وسلموهما للقوات العثمانية، وقد قُتل في أثناء هذه الحملات العديد من الكرد فضلاً عن أن قسماً كبيراً منهم هاجر إلى إيران وروسيا، هذا ما جاء في كتاب المؤرخ الأرمني افديس بربريان نفسه (تاريخ الأرمن) المنشور في استانبول عام ١٨٧١^٣.

إن ما ورد في هذا الكتاب لا يمت بصلة إلى الحقيقة، فيما عدا مساعدة الأرمن القوات العثمانية عند تجريدها تلك الحملة العسكرية على شمال كردستان، فلم يكن الأرمن أبداً هم من اقنعوا الدولة العثمانية بمهاجمة الإمارات الكردية، نعم ربما أبدوا شكواهم مرات عدة منها، ولكن الدولة العثمانية ولاعتبارات سياسية وعسكرية واقتصادية مرّ الحديث عنها سابقاً قامت بهذه الحملة على الإمارات الكردية، وفيما يخص إلقاء الأرمن القبض على كل من بدرخان بك وخان محمود فإن هذا الأمر أيضاً غير صحيح، لأن جميع المصادر تؤكد أنهما وبعد محاصرة القوات (التركية- العثمانية) لهما أُجبرا على تسليم نفسيهما، بل أن اغلب رجال بدرخان بك المخلصين آنذاك، والذين استخدمهم بدرخان بك لحراسته، كانوا من الأرمن الذين سلموا أنفسهم مع بدرخان بك للقوات العثمانية، وعددهم (٢٥) فرداً كما مرّ ذلك.

وعلى هذا الأساس كثيراً ما تُنتقد (الفرسان الحميدية) الكردية- سيأتي الحديث عنها لاحقاً- التي أسسها السلطان عبد الحميد الثاني (١٨٧٦-١٩٠٩) في عام ١٨٩١، على أنها كانت العصا التي ضرب الأتراك بها الأرمن أواخر العقد الأخير من القرن التاسع عشر، واستخدمها الاتحاديون أثناء الحرب العالمية الأولى، ولكن يمكن

1. M.Kalman, Bati-Ermenistan (Kürt ILiŞkileri) Ve Jenosid, Istanbul, 1994, S.59; Garo Samsuni, A.G.E., S.58-59.

٢. يذكر ارشاك سافراستيان أن خان محمود كان يلقب محلياً بـ (أمير-أغا- الكرد والأرمن). ينظر مؤلفه: الكرد وكردستان، ترجمة: احمد محمود الخليل، دمشق، ٢٠٠٨، ص١٥٣.

3. Hagop Şahbazyan, A.G.E., S.67-68.

تطبيق الحالة نفسها على الأرمن أواخر عهد الإمارات الكُردية، صحيح أن القوات الأرمنية التي ساعدت العثمانيين الأتراك لم تسمى بأية أسماء، ولكن الأرمن قاموا بنفس هذا الدور أولاً، وإذا ما كان هناك أرمن عملوا في السلك العسكري والاقتصادي في الإمارات الكُردية وقاتلوا بجانب الكُرد، فإن هناك بالمقابل مئات الحالات التي ساعد فيها الكُرد الأرمن، في أواخر القرن التاسع عشر وأثناء الحرب العالمية الأولى، ولم يدرك الأرمن إلا متأخراً، وبعد فوات الأوان، أن عدو الكُرد كان في صميمه هو عدو الأرمن أيضاً وهم الأتراك، وهذا ما أكده أيضاً (م.كالمان - m.Kalman) بأن الاتراك أولاً ساقوا الأرمن ضد الكُرد؛ ثم بعد ذلك ساقوا الكُرد ضد الأرمن^١، وقد كتب العقيد د.يا.لازاريف كراسة غنية بالمعلومات عن المسألة الأرمنية يقول فيها: " يمكن القول: بأن الأرمن من حيث المقارنة، عاشوا أحسن أيامهم في ظل أمراء المقاطعات الكُرد، وأفضل من الأعوام السبعة والأربعين من الحكم التركي والفوضوي..."^٢.

1. M.Kalman, A.G.E., S.29.

٢. نقلاً عن: م.س.لازاريف، المصدر السابق، ص ٧٠.

ثالثاً- حقبة الانحسار الكردي والتقدم الأرمني ١٨٤٨-١٨٧٧

عمت الفوضى والقلق كردستان كلها، خصوصاً في شمالها، إثر القضاء على الإمارات الكردية شبه المستقلة، ولم يكن من الصعب معرفة علة هذه الحالة، وللتذكير فإن التُرك كانوا قد صمموا على إتباع سياسة القضاء على أمراء الكُرد، وفرض الإدارة المركزية، وفي الوقت الذي حققوا النجاح في المرحلة الأولى فقد أخفقوا في الثانية عموماً، إذ أن عجز الحكومة على مد نفوذها إلى المناطق الوعرة من كردستان، وفشلها في ممارسة سيطرة حقيقية عليها أصاب النظام الإداري الجديد بالعمق^١.

فالكيانات الكردية ذات الحكم الذاتي كانت تتسم بتوزيع المتاح من الموارد على أفرادها، رغم وصفها في بعض المرات على أنها كيانات ذات طابع (قمعي)، بيد أن الإدارة الجديدة التي حلت محلها كانت أيضاً قمعية وبالغة الفساد على السواء، فتسببت في تفاقم المشاكل الناجمة عن انعدام الأمن بدلاً من معالجتها، وأسفر عن فراغ السلطة الذي أوجده تدمير الكيانات الكردية ذات الحكم الذاتي، عهد من الفوضى الأمنية لم يكن له نظير من قبل، وكانت القبائل تشكل القوة المنظمة الوحيدة في مواجهة هذه التحديات، فأصبحت (فضاءات جديدة، لمقاومة المركزية الإدارية، والسياسية)، فضلاً عن ذلك فإنها كادت تكون الإطار الطبيعي لإحلال الأمن، وتوزيع الموارد على أفرادها ومحاسبيها، فلا غرو أن يتعاضم بأس العديد منها، بشمول مجموعات هامشية بحمايتها، وبذلك تكون سياسة المركزية قد أفضت إلى ما وجدت لمنعه، وطبقاً للرحالة الفرنسي اوبيتشيني فإن زهاء (ألف كيان مستقل)، حل محل بضع عشرات من الكيانات الكردية، ذات الحكم الذاتي أو شبه المستقل سابقاً^٢.

في تلك المرحلة ونتيجة للفوضى الإدارية والأمنية، التي عانت منها كردستان، أدت

١. وديع جويده، ثورة الشيخ عبید الله النهري، في: جرجيس فتح الله، مبحثان على هامش ثورة الشيخ عبید الله النهري، ط٢، اربيل، ٢٠٠١، ص١٧.

٢. حميد بوز ارسلان، العصبية والسياسة الكردية من منظور اجتماعي-اقتصادي، في: فالج عبد الجبار وآخرون، المصدر السابق، ص٢١٩-٢٢١.

عوامل عدة إلى توسيع الفجوة بين الكُرد والأرمن في شمال كُردستان، من هذه العوامل ما هو ذاتي مرتبط بالأوضاع الداخلية في الدولة العثمانية، وأخرى خارجية، جلبتها حروب الدولة العثمانية مع روسيا القيصرية، في النصف الثاني من القرن التاسع عشر.

إن أحد أهم تلك العوامل تمثل في (الإستييطان والإستقرار)، فحتى القرن التاسع عشر كانت الغالبية العظمى من الكُرد، من البدو الرحل أو شبه البدو، إذ كانوا يسمحون للفلاحين الأرمن زراعة الأراضي التي كانوا يعدونها أراضيهم، وهي المراعي الشتوية، وكانوا يحصلون لقاء ذلك على جزء من المحصول، ويطلبون إيواءهم في القرى الأرمنية خلال فصل الشتاء، وعندما بذل العثمانيون جهداً كبيراً لوقف هذا الأسلوب من العيش، من خلال بدء عملية تخطيط الحدود بين الدولتين العثمانية والإيرانية، بعد عقد معاهدة أرضروم الثانية ١٨٤٧، ومن ثم انهيار النظام الإماراتي في كُردستان؛ سوَّغ الكُرد غاراتهم تلك على القرى الأرمنية، بعد ذلك، بأنها تدخل ضمن حقوقهم القديمة في الحصول على المُن^١.

ومما زاد الطين بلةً صدور قانون الأراضي في عام ١٨٥٨ في الدولة العثمانية، فقد أوجع هذا القانون الصراع على الأرض بين الكُرد والأرمن في شمال كُردستان^٢، حيث شكلت مسألة حقوق الملكية نقطة خلاف مركزية بين الأطراف هناك، في بعض المناطق،

١. مالكولم ياب، المصدر السابق، ص ١٤٦.

٢. صنفت الأراضي وفق هذا القانون إلى خمسة أنواع: ١- الأراضي المملوكة. ٢- الأراضي الأميرية. ٣- الأراضي الموقوفة (الوقف). ٤- الأراضي المتروكة. ٥- الأرض الموات. ان هذا القانون منع من ان يضع اي شخص يده على قرية بأكملها. ولكن قانون منع امتلاك شخص واحد لقرية بأكملها، لم يكن يؤخذ بنظر الاعتبار ولم يطبق أساساً، الا ان رؤساء العشائر والبيكات كانوا يسجلون القرى بأسمائهم عن طريق الرشاوى وشهادة الزور من قبل عدد من الشهود. وابتغاء تنفيذ هذه العمليات الرسمية بشكل مؤثر، كجمع الضرائب ذات العلاقة، كان لا بد من ان يكون ثمة قوة نافذة. وفي آخر الأمر ظهرت مجموعة من مالكي الأرض، الذين لم يكن أبائهم يملكون هذه الأراضي من قبل. واستخدم قانون الأراضي من قبل أشخاص على نطاق أسوء مما كان في عهد الآباء. وكان أفضل طريق لمنع هذا الأمر هو اللجوء إلى التهديد. ينظر: إسماعيل بيشيكجي، النظام في الأناضول الشرقية: الأسس الاجتماعية-الاقتصادية والبنى القومية، ترجمة: شكور مصطفى، ج ١، اربيل، ٢٠٠٠، ص ١٢٥؛ زي.هرشلاغ، مدخل إلى التاريخ الاقتصادي الحديث للشرق الأوسط، ترجمة: مصطفى الحسيني، بيروت، ١٩٧٣، ص ٥٤-٦٤.

كان زعماء القبائل الكرديّة منذ مئات السنين بمثابة أسياد إقطاعيين، وكان الأرمن المتواجدين على أراضيهم يدفعون لهم نسبة معينة من حصاد السنة، كما أنهم كانوا يعملون في خدمة الزعماء، في المقابل حصلوا على الحماية من سائر الزعماء الكرديّين. وفي ظل التغييرات والإصلاحات التي طرأت على الساحة العثمانية أراد الأرمن بطبيعة الحال وضع حد لهذا الوضع، في حين أراد زعماء العشائر الإبقاء عليه، ويمكن قلب الإشكالية في ملكية الأراضي من منطلق نظري محض كانت أكثرية الأراضي ملكاً للسلطان الذي أجراها إلى المسؤولين عن جباية الضرائب الزراعية، أما من الناحية التطبيقية فكانت الأراضي (ملكاً) للزعماء، وقد بدأت القوانين الجديدة تنص على تسجيل الأرض باعتبارها ملكية خاصة، فهل يتم تسليم الصكوك للمزارعين أم للزعماء، الذين كانوا يعدون أنفسهم دوماً أسياداً لهذه الأراضي؟ جرت محاولات إصلاحية عدة، وسجّلت بعض الأراضي باسم المزارعين، لكن عدداً كبيراً من الملكيات بقيت خاضعة للنظام القديم، ودارت سجلات كثيرة قانونية وغير قانونية حول تضارب آراء الجهات المطالبة بملكية الأراضي، ولم تكن هذه الظاهرة غريبة عن السلطنة العثمانية، ولا عن أي بقعة في العالم آنذاك، لكنها زادت من حدة التوتر بين الكرديّين والأرمن^١، وكانت السلطات التركية عاملاً مساعداً في الوقت ذاته في تأجيج هذا الصراع في كردستان، من خلال تطبيق هذا القانون، فكانت مراراً تعطي الحق لاستخدام قطعة أرض واحدة للإقطاعي أو الفلاح الأرمني، وفي الوقت ذاته للبك الكردي^٢.

أما العامل الثاني: فتمثل بهجرة المسلمين الشركس والألبان واللاز إلى كردستان، خلال الحروب الروسية العثمانية، في النصف الثاني من القرن التاسع عشر؛ فنتيجة لحرب القرم ١٨٥٣-١٨٥٦، هاجرت أعداد غفيرة من الشركس والقبائل المسلمة الأخرى، من القوقاز إلى الدولة العثمانية واستقرت العديد منها في شمال كردستان، وبما أنه سمح لهؤلاء باختيار بعض المراعي في كردستان، فقد دخلوا في صدام مباشر مع القبائل الكرديّة، التي عدت تلك الأرض هي ميراث لها ومنذ قرون عديدة مضت،

1. Justin McCarthy and others , Op.Cit., P.49-50.

2. JAMES CIMENT, The Kurds: State and Minority in Turkey-Iraq and Iran, New York, 1996, P89.

- جليلي جليل، انتفاضة الأكراد...، ص ١٨

ونتيجة لذلك قامت الحكومة العثمانية باتخاذ إجراءات كفيّلة باستقرار المهاجرين الشركس، بين القبائل الكرّدية الرعوية (الكوچر)، في مستوطنات مستقرة، وخلال هذه المدة استقرت أعداد كبيرة من أولئك المهاجرين في مجتمعات زراعية، وبصورة رئيسية في الأراضي التي كان من المفترض أنها أملاك الدولة (الأميرية)^١، وقد تم توطين الشركاسة على الخط الجغرافي الذي يبدأ من ميناء سينوب على البحر الأسود حتى منطقة ريحانلي في الأسكندرونة قرب البحر الأبيض المتوسط، أي المنطقة الفاصلة بين الأتراك والكرّد، وذلك لمنع الاحتكاكات والمصادمات التي كانت تقع بين الطرفين^٢، وقد انتشروا بالتحديد من سيواس وعلى طول سواحل البحر الأسود^٣، ولم يكن الشركس ناطقين باللغة التركية، ولا كانوا مزارعين في المقام الأول، وكان أكثرهم يعيش بأسلوب الحياة البدائية، اتّخذ البعض الآخر منهم، من الذين جرى توطينهم في أمكنة لا يتيسر العيش فيها الإغارة وسيلة للرزق، وشمل نهبهم كل من كان حولهم، مسيحيين ومسلمين على السواء^٤.

من الواضح أن وجود الشركس في شمال كرّديستان كان مثيراً للفضوى وقد تم التوصل إلى تسوية، ولكنها كانت مؤقتة ومضطربة بين الأطراف الثلاث الكرّد والأرمن والحكومة العثمانية، وبدخول عنصر جديد على المسألة غير قادر على الدخول بسهولة في المنظومة الإقتصادية والإجتماعية التقليدية في شمال كرّديستان وهو العنصر الشركسي، ومن أجل البقاء وإثبات وجودهم فإنهم هاجموا قرى المسلمين والمسيحيين على حد سواء، وأقدموا على نهبها، على الرغم من كونهم لاجئين إلى المنطقة، حتى إن الكرّد أصبحوا يخشونهم كما قيل^٥، يقول (ي.م. بليس - E. M. Bliss) احد الرحالة والكتاب الذين زاروا كرّديستان في النصف الثاني من القرن التاسع عشر بأن:

١. ارشاك سافرستيان، المصدر السابق، ص ٨٥ .

LES ARMÉNIENS ET LA QUESTION ARMÉNIENNE, Op.Cit., P 17.

٢. خيرى ارسوي وايصون قاماجي، تاريخ الشركاسة (الأباضية)، ترجمة: فؤاد احمد كامل، مراجعة: الصفصافي احمد مرسى، القاهرة، ٢٠٠٦، ص ١١٦ .

3. EDWIN MUNSELL BLISS, TURKEY AND THE ARMENIAN ATROCITIES, NEW YORK, 1896, P.100.

٤. جستن مكارثي، المصدر السابق، ص ٦٦ .

٥. المصدر نفسه، ص ٧٦ . هناك مثل كرّدي كان دارجاً حتى وقت قريب، وهو انه اذا سُرّق احد أطفال الكرّد، فإنهم دائماً كانوا يقولون وبدون أي تحقيق: إن القوقازيين سرقوه.

الشركس أصبحوا مصدراً للربح للجميع من المسيحيين والمسلمين لعدة سنوات... وبشكل طبيعي جلبوا معهم بشكل أقل أو أكثر من أساليب اللصوصية في الحياة ومن التعامل معها^١، ولم تذكرهم الرسائل الرسمية القنصلية الأجنبية كذلك، إلا من مثيري المتاعب ولم يرغب أحد، مسلماً أو مسيحياً، بمستوطنة شركسية في منطقتهم، حين كان يجري التخطيط لواحدة منها، أو حتى عندما يشاع ذلك، كان زعماء القرية المسلمين يحتجون عند الموظفين المحليين، وكان الأرمن يحتجون أكثر إلى القناصل الأوربيين، وحتى إلى السفارات الأجنبية^٢.

وما يشبه الشركس هم اللازيون، الذين استوطنوا بشكل رئيسي في ولاية طرابزون على البحر الأسود، ولكنهم كانوا أقل عدداً من الشركس، وأكثر وحشية، وأقل أمانة، وسهلي الانتقال إلى العنف والاعتداء، من أي عنصر آخر في المنطقة، على حد قول أحد الكتاب^٣. وقد اعتمد الأتراك على هؤلاء الموفدين الجدد كثيراً، وقد جند العديد منهم في الجيوش التركية، حيث زرع الأتراك في كل مقاطعة من شمال كردستان تقريباً ثكنة عسكرية، كانت تضم غالباً وحدة البانية وشركسية منظمة، عرفت الوحدات الألبانية بـ (باشبوزق)، حيث كانت تتحول في حالة وقوع الحرب إلى قوات خفيفة تنضم إلى الجيش التركي النظامي، في حين كانت تستخدم في الأحوال الاعتيادية في بعض المناطق بديلاً غير مكلف للقوات النظامية. لقد زرع الأتراك الوحدات الألبانية والشركسية واللازية بشكل خاص في المناطق الكردية، التي صعبت عليهم السيطرة عليها، خاصة في أقاليم: وان، وأرضروم، كانت عدة ثكنات البانية توجد في مقاطعتي كراسو وماكو إلى الشرق من وان، وكذلك في مقاطعة خنس إلى الغرب منها. ولم يخف أحد قادة الباشبوزق الألبان عن السفير البريطاني في الدولة العثمانية آنذاك (أوستن هنري لايارد - Austen Henry Layard)^٣ (١٨٧٧-١٨٨٠) عدم اعتماده على راتبه الضئيل

1. EDWIN MUNSELL BLISS, Op.Cit., P.100.

٢. جستن مكارثي، المصدر السابق، ص ٧٧.

3. EDWIN MUNSELL BLISS, Op.Cit., P.100-101.

٣. سياسي بريطاني زار العراق وكردستان في منتصف القرن التاسع عشر، وله مؤلفات عدة في مجال الآثار، تقلد وظائف عديدة لعل أبرزها شغله لمنصب سفير بريطانيا في استانبول بين أعوام ١٨٨٠-١٨٧٧، للمزيد ينظر: هنري لايارد، البحث عن نينوى، ترجمة: مخائيل عبد الله، دم، ١٩٩٨، ص ٩-١٦ و ص ٧٠-٧١.

من الدولة التركية في معيشتته، وإنما على انتزاع الإتاوة من سكان القرى الكردية والمسيحية، واستناداً إلى الضابط البريطاني (فردريك ميلينغن - Frderick Millingen) الذي كان متواجداً في كردستان في ستينات القرن التاسع عشر، بأن إسماعيل آغا أحد القادة الألبان للباشبوزق قد كدس ثروة كبيرة، من عمليات فرض الضرائب، والسلب، والنهب، وضعته في: "مصاف مليونير كردستان"^١.

كما أنه مما لا يخفى أن اغلب هؤلاء المهاجرين من الشركس والألبان واللاز كانوا من المسلمين الذين هاجروا من بلدانهم هرباً من القوات الروسية، التي احتلتها أثناء الحروب الروسية العثمانية، وخاصة في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، ودون شك فإن هؤلاء عملوا في الدولة العثمانية، للإضرار بالعناصر المسيحية في المنطقة، انتقاماً لما تعرضوا له على أيدي مسيحي مناطقهم، بل ربما أنهم كانوا أشد عنفاً، خصوصاً ضد المسيحيين الذين ناصروا روسيا القيصرية في حروبها ضد الدولة العثمانية، ويأتي على رأسهم في المنطقة الأرمن، الذين أعلنوا صراحة، في كل حادثة أو حرب بين الطرفين، على دعم روسيا؛ بكونها المنقذ الوحيد لهم، والمؤسس لدولتهم القومية المستقبلية؛ فيذكر م.كالمان بأن أوضاع الأرمن قد ساءت أكثر بكثير، بعد توطین الشركس في شمال كردستان^٢.

أما العامل الثالث الذي أثر في العلاقات الكردية الأرمنية فكان: عامل (الثروة)، ففي مرحلة ما بعد سقوط الإمارات الكردية كان الكرد هم الخاسر الوحيد من جراء هذه العملية، ففضلاً عن تبعثر الشعب الكردي سياسياً وإدارياً فقد أصاب اقتصاد المجتمع الكردي ضربات قوية أيضاً، جراء الحروب التي لم تنته بين الجيش العثماني والكرد، حتى الحرب الروسية العثمانية عام ١٨٧٧-١٨٧٨، وقد تحولت شمال كردستان إلى ثكنة شبه عسكرية^٣، أما الأرمن فعلى العكس من الكرد فقد كان مجتمعهم أكثر المستفيدين من سقوط الإمارات الكردية على المدى القريب، فقد تحسنت أوضاعهم

١. سعد بشير اسكندر، المصدر السابق، ص ٤٠٦-٤٠٨ .

2. M.Kalman, A.G.E., S.32.

٣. ينظر:

-Garo Sasuni, A.G.E., S.85-86.

-عبد الله العلياوي، كردستان في عهد الدولة العثمانية من سنة ١٨٥١-١٨١٤: دراسة في التاريخ السياسي، السليمانية، ٢٠٠٥، ص ٦٧-٩٣ .

الاقتصادية وأغتنوا كثيراً، وذلك يرجع لسببين، أولهما: هو عدم دفع الأرمن الضرائب إلى الإمارات الكردية بعد سقوطها، وبالتالي احتفظوا بتلك الأموال لأنفسهم لمدة من الزمن، أما السبب الثاني: فكان دعم الإرساليات التبشيرية المسيحية لهم والاهتمام بهم، حيث شهدت كردستان تدفق الإرساليات إليها بعد سقوط الإمارات الكردية بشكل سريع وواسع^١.

وفضلاً عن ذلك فقد شهد مسار المجتمعين الكردي والأرمني خطين متعاكسين في شمال كردستان، الأول، وهو المجتمع الكردي الذي شهد تراجعاً من كافة النواحي؛ فقد أدى انهيار النظام الإماراتي إلى ترك أجزاء كبيرة من المناطق، التي كانت من أملاك الإمارات الكردية، نهباً لعدد من شيوخ القبائل الصغار، من الذين كان الأمراء الأقوياء قد حدوا من سلطانهم ونشاطهم تحديداً شديداً، فقد انطلقوا بعد ذلك وبكل حرية يرتكبون كل ما يخطر في الذهن من تجاوزات وأعمال الشقاوات، ولم يطل الأمر بالفوضى لتغدو وباءً مستشرياً في كثير من هذه البقاع، أزيح أمراء الكرد إلا أن مراكز السلطة التي خلت منهم لم تملأ، وبدأ الحل الوحيد المتاح للحكومة العثمانية لمعالجة الوضع هو تجريد حملات تأديبية بين الفينة والأخرى، معززة بقوات من متطوعي العشائر، كانت تمنى بالفشل في معظم الأحيان، ولا تتم السيطرة على الوضع عادة، وفي أحيان كثيرة لا يولد هذا الحل إلا مزيداً من العنف وسفك الدماء، واحتدام الصراع العشائري الداخلي^٢.

لقد منحت الدولة العثمانية العديد من الموظفين عديمي الخبرة والمؤهلات مناصب إدارية وعسكرية سامية، في المناطق الكردية الملحقة، مع أنهم كانوا يجهلون التقاليد والثقافة واللغة الكردية، وكان العديد من حكام الولايات والمقاطعات الكردية والقادة العسكريين فيها من الأجانب الذين لم يأبهوا بمصالح الأهالي الغربيين عنهم. إن من أبرز العوامل الرئيسية، التي جعلت هؤلاء الحكام والقادة العسكريين، لا يأبهون بمصالح ورفاهية الأهالي هي حقيقة أنهم كانوا على علم بأن مدة بقائهم في مناصبهم قصيرة زمنياً، لهذا كان هؤلاء يعملون وبسرعة على تكديس الثروة، قبل

١. للمزيد عن إرساليات التبشير في كردستان، ينظر:

-M.Kalman, A.G.E., S.22.

٢. وديع جويده، المصدر السابق، ص ١٧.

إزاحة السلطات المركزية لهم من مناصبهم، لقد كان والي ولاية وان الجديد محمد باشا، وهو قائد عسكري تركي يجهل كل شيء عن الكُرد، وعن مناطقهم، وفي المقابل كان حاكم مقاطعة كولي في ولاية أرضروم مهاجراً داغستانياً^١، وقد أثار التجنيد الإجباري لجيش الإمبراطورية العثمانية، بالأخص الاحتجاج في كُردستان، ولغرض قمع كل تذمر محتمل فقد عينت استانبول والياً خاصاً لكُردستان، في سبعينات القرن التاسع عشر، وهو إسماعيل حقي باشا، واصله من كُرد منطقة قارص، ويرتبط اسمه كثيراً بالحملات العسكرية على بوتان والجزيرة وهكاري، وقد قضت قوات الإمبراطورية العثمانية بوحشية على الحركة التحررية الكُردية، واضطر قسم كبير من السكان إلى الاحتماء بالجبال حفاظاً على أرواحها وبعض ممتلكاتها^٢.

بالمقابل فقد سلك المجتمع الأرمني منحاً آخر، فقد أثر عهد التنظيمات العثمانية كثيراً في مجتمعهم، وخصوصاً في استانبول العاصمة، التي اتخذها الأرمن مركزاً لنهضتهم القومية^٣، فبحلول النصف الثاني من القرن التاسع عشر كان في استانبول وحدها ما يقرب من (٥٠٠٠) تلميذ وتلميذة من الأرمن، الذين كانوا يذهبون إلى حوالي (٤٠) مدرسة، وقد نشر الأرمن حوالي (١٤) مجلة وجريدة في استانبول بين عامي ١٨٤٠-١٨٦٦، من أهمها (ماسيس- جبل ارارات)، و (هايرينيك- الوطن)^٤.

كان الأرمن من بين الأقليات الناشطة، التي دخلت بكثافة في مؤسسات الدولة العثمانية ووظائفها العالية، كمجلس القضاء الأعلى والوزارة، وفي السلك الخارجي، فبين العامين ١٨٥٦ و ١٨٦٦، كان العديد من سفراء السلطنة في العواصم الكبرى هم من الأرمن، كما تولى هؤلاء قلم الترجمة في الباب العالي بنسبة (١٣٪)، ووزارة الخارجية بنسبة (٦٩٪)، وغيرها من الوظائف التي تتطلب إتقان اللغات الأجنبية، يضاف إلى ذلك أن انفتاح الأرمن على العلوم الغربية مثل: الهندسة، والزراعة، والإدارة وغيرها من الاختصاصات، التي أهلتهم لتولي الوظائف التقنية المستجدة في عصر

١. سعد بشير اسكندر، المصدر السابق، ص ٤٠٦ .

٢. ن.أ.خالفين، المصدر السابق، ص ٩٠-٩١ .

3.Garo Sasuni, A.G.E., S.88-89.

٤. محمد رفعت الإمام، المصدر السابق، ص ٢٦ .

الإصلاحات في العاصمة، وعلى صعيد الإدارات المحلية في المقاطعات^١، حتى قيل: إن قوام الدولة العثمانية اثنان: السيف، والقلم، فالسيف للألبانيين، والقلم للأرمن^٢.

في عام ١٨٦٣ أقر السلطان عبد العزيز (١٨٦١-١٨٧٦) (الدستور الوطني الأرمني)، وهو عبارة عن وثيقة مرتبطة بتطور نظام الملة العثماني، وتأثيره الكبير في نمو المؤسسات الاجتماعية الأرمنية في عموم الدولة العثمانية، تألفت الأنظمة والقواعد الخاصة بالملة الأرمنية من (٩٩) مادة^٣، ووفقاً لهذا الدستور أصبح البطريرك الأرمني في استانبول الزعيم الديني والسياسي للجالية الأرمنية في الدولة العثمانية^٤، كما أن الدستور الصادر منح سلطة تشريعية عالية لنواب الجمعية العامة المؤلفة من (١٤٠) نائباً، (٢٠) عضواً يُنتخبون من بين القساوسة في استانبول، و(٤٠) عضواً يُنتخبون من بين القساوسة في المقاطعات، و(٨٠) عضواً يُنتخبون من بين المنظمات النقابية، للصناع والتجار في استانبول، هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن الدستور لم يسمح إلا بأدنى حد ممكن من التدخل العثماني في شؤون الأرمن، وكان هذا الدستور مستوحى من الدستور الفرنسي الذي شرع عام ١٨٤٨^٥.

تمثلت النهضة الأرمنية بشكل خاص على صعيد التربية والتعليم، فقد فرض الدستور الأرمني على كل فرد واجب الإسهام، كل حسب قدرته، في "سد احتياجات الأمة"، والمساعدة على تحسين أوضاع أفرادها، بغية تأمين تقدمها كوحدة عضوية متماسكة وملتصامنة. ولم تكن المصاعب التي تعرضت لها الأمة إلا لتؤكد على هذا الاتجاه، وتعتمد التربية والتعليم إلى جانب الجمعيات الخيرية وسيلة للتحرير من الفقر والعوز^٦.

١. جان شرف، المصدر السابق، ص ١٤٧.

٢. احمد فؤاد رسلان، ارمينيا: الامة والدولة، مصر، ١٩٩٧، ص ٥٠.

3. ANDRÉ MANDELSTAM, Op.Cit., P.190

-نجلاء عدنان حسين العكيلي، المصدر السابق، ص ١٥.

4.Garabet K Moumdjian, Op.Cit.

٥. نجلاء عدنان حسين العكيلي، المصدر السابق، ص ١٥.

٦. جان شرف، المصدر السابق، ص ١٤٨.

أما في شمال كُردستان فلم يكن الأرمن قد أحسوا بعد بالهياج القومي ما عدا مسألة أنه في عام ١٨٥٦ كان أسقف وان (خرميان هايريك-Khrimian Hairik) الملقب بـ(الأب الصغير)، قد بدأ بإصدار النشرة المحلية الشهرية الأولى، باسم (ارزيف قاسبوراگان-Arziv Vaspuragan)، وتعني (نسر وان) والتي دعا فيها إلى مقاومة الطغاة، وتكلم عن موضوع (الحرية القومية)، لكن جهوده لم تجد صدى لها بين الأرمن في العاصمة^١.

لقد منح الدستور أرمن إستانبول حق تأسيس الروابط وخطوط الاتصال، مع الجاليات الأرمنية في شمال كُردستان، حيث تأسست شبكة جديدة من الأسقفيات، وأصبح كل أسقف على رأس كل أسقفية، وهكذا، وبعد قرون من الاختلاء والعزلة بدأت الجاليات الأرمنية المختلفة في الإمبراطورية العثمانية بالاتصال بعضها ببعض، تحت مظلة هذه الشبكة الدينية، وأصبح أرمن إستانبول نشيطين في إدخال المشاريع بين الجاليات الأرمنية البعيدة وفي كُردستان، وبدأت المدارس تعمل بهدف جلب التعليم للجماهير الأرمنية الأمية، وعبر تنوير التعليم فإن الأفكار الوطنية بدأت بالازدهار بين الأرمن، وهكذا ظهرت للوجود صورة أخرى جديدة للأرمن^٢.

لقد ربط الأرمن مصيرهم بالأتراك بعد سقوط الإمارات الكردية في شمال كُردستان، وكان قمة التعاون بينهما في الدولة العثمانية يتمثل بتوقيع الدستور الوطني الأرمني، بحيث شكل الأرمن وفق مواده دولة داخل دولة، ومن جانب آخر فإن الخاسر الوحيد في هذه العملية كان هو الكرد، فمن جهة أسقطت إماراتهم المتوارثة منذ العصور الوسطى، وأصبحوا متشتتين بلا قيادة سياسية تجمعهم تحت ظل واحد، وزادت الحملات العثمانية من تدهور أوضاعهم الاقتصادية، بالمقابل فإن المجتمع الأرمني الذي كان من رعايا الأمراء الكرد أخذ يقفز قفزات هائلة بين ليلة وضحاها في شمال كُردستان، وصار فيما بعد هو صاحب قيادة موحدة مركزية، اتخذت من مدينة استانبول مركزاً لها، وربطت جميع الأرمن بواسطة شبكة من الأسقفيات المنتشرة في كافة أنحاء الدولة العثمانية، وخصوصاً في شمال كُردستان؛ ويذكر (كارابيت

1. SALHI R. SONYEL, MINORITIES AND THE DESTRUCTION OF THE OTTOMAN EMPIRE, ANKARA, 1993, P.209.

2. JEREMY SALT, Op.Cit., P.56; Garabet K.Moumdjian, Op.Cit.

ك. مومدجيان-Garabet K. Moumdjian) أن الكرد في شمال كردستان نظروا بعد هذه الانجازات الأرمنية، والدستور الوطني إلى الأرمن نظرة سلبية، وكان صدوره سبباً آخر لتصاعد حدة العداوة بين الكرد والأرمن، لأن الكرد ببساطة كانوا محرومين من مثل هذا التنظيم، بسبب طبيعة مجتمعهم العشائري^١، أما كارو ساسوني فيذكر: بأن صدور الدستور الأرمني قد قرب الأرمن والأتراك أكثر من ذي قبل، إلا أنه خلق في الوقت نفسه جواً ملتهباً في المنطقة^٢.

ومن المفيد هنا التنويه إلى قضية أشارت إليها المصادر الأرمنية والأجنبية، خاصة بعد إعلان الدستور الأرمني، وتشكيل الجمعية الوطنية الأرمنية في استانبول، ألا وهي الشكاوى الأرمنية الآتية من كردستان وغيرها من المناطق، عبر أسقفياتها إلى البطريركية الأرمنية في استانبول، فإنه ما بين أعوام ١٨٦٠-١٨٧٠ وصلت إلى البطريركية الأرمنية في استانبول حوالي (٥٢٩) شكوى، ليست جميعها من كردستان، بل من باقي أجزاء الدولة العثمانية، فإن (٦٥) منها جاءت من أرضروم و(٧٩) من ديار بكر، وان هذه التقارير كانت ترفع ضد الكرد، والشركس، وضد الإدارة العثمانية هناك، والملاحظة اللافتة للنظر هي عندما كانت ترسل هذه الشكاوى إلى استانبول لم تكن تلقى الاهتمام المطلوب من البطريركية الأرمنية هناك، وان هذه التقارير في أغلبها كانت لا ترفع إلى الباب العالي، وان ما كان يرفع منها بعد مرور مدة طويلة كانت تفقد روحيتها، وبدوره كان الباب العالي يهملها، كما أن هذه الشكاوى لم تكن تحمل أسماءً أو تواريخ^٣.

لقد شكلت الجمعية الأرمنية في استانبول لجنة لتقصي الحقائق لمعرفة أسباب هذه الشكاوى، وإيجاد حلول ناجعة لها في ٨ تشرين الثاني ١٨٧١، وبعد إجراء التحقيقات اللازمة رفعت اللجنة تقريرها إلى بطريرك الأرمن في استانبول، الذي رفعه بدوره إلى الباب العالي، بعد إجراء بعض التنقيحات عليه في عام ١٨٧٢، أهملت الدولة العثمانية بدورها هذا الأمر برمته، وخلصت اللجنة إلى أن أهم أسباب الشكاوى الأرمنية هي البديل النقدي العسكري المفروضة على الأرمن في شمال كردستان، وأفردت اللجنة أغلب صفحات تقريرها لبحث هذا الأمر، وقد هاجم ذلك التقرير بشدة ولاية ومدراء

1.Garabet K.Moumdjian, Op.Cit.

2.Garo Sasuni, A.G.E., S.88.

3.A.E.,S.88-89 .

الدولة العثمانية، ومن ورائهم العديد من الأغوات الكرّدي، الذين لم تتدخل الدولة العثمانية لوضع حد لفسادهم في المنطقة، وكذلك الشركس الوافدين الجدد إلى المنطقة، كان لهم نصيبهم في هذا الاضطهاد، الذي كان يعاني منه الأرمن في كردستان، وقدمت اللجنة ثلاثة مقترحات لإصلاح الوضع هناك وهي: نزع سلاح الكرّدي وإجبارهم على إعطاء الضرائب للدولة، أو تسليح القرى الأرمنية بالمقابل، وكذلك نفي الزعماء الذين تثبت مشاركتهم في عمليات الفساد، واضطهاد الأرمن في تلك المناطق، وأخيراً بناء ثكنات عسكرية على طول حدود الدولة العثمانية مع إيران، وفي مناطق محددة داخل كردستان¹.

وعند النظر إلى هذه القضية تتبادر إلى الذهن عدة أسئلة وهي: لماذا لم تكن البطريركية الأرمنية تهتم بهذه الشكاوى؟ وحتى بعد ما قدمت اللجنة تقريرها قامت بتتقيق التقرير بحيث أفقدته روحيته كما يقول كارو ساسوني، ومن جهتها أين كانت مصلحة الدولة العثمانية في عدم متابعة هذه القضية؟ ثم هل كان رد فعل البطريركية والباب العالي على هذا النحو؟ إن هذه الشكاوى فعلاً لو كانت ضد الكرّدي؟

يشير كارو ساسوني إلى أن أسماء الأشخاص، لم تكن تدون تحت الشكاوى، التي كانت ترفع إلى استانبول، أي: إن هذه الشكاوى لم تكن تحمل أية أسماء، سوى الجهة التي بُعثت منها، أما لماذا لم تكن تكتب أسماء المشتكين، وذلك حسب ساسوني بسبب تخوفهم من الانتقام والملاحقة².

بالاستناد إلى هذه العلة تطفو إلى السطح عدة أمور منها أولاً: إن تلك الشكاوى في أغلبها كانت ضد الإدارة العثمانية في كردستان، ومن ورائها الفرق الشركسية والألبانية، وكذلك بعض الأغوات الكرّدي الذين التزموا جانب الحكومة العثمانية هناك، وإلا لماذا لم تكن البطريركية الأرمنية تثير هذه الشكاوى؟ ولو أنها كانت فعلاً ضد الكرّدي فقط، لأخذتها بجدية وضغطت على الدولة العثمانية، كما فعلت في الثمانينات من القرن التاسع عشر، وحتى بداية الحرب العالمية الأولى، من جهة أخرى لماذا لم تكن الدولة العثمانية تتابع هذه الشكاوى؟ فلو كانت ضد الكرّدي فعلاً، لجردت عليهم حملات عسكرية خاصة إذا ما عَلِمَ أن اللغة الوحيدة التي كانت تجيدها الدولة العثمانية مع

1. M.Kalman, A.G.E., S.30-32; SALAH RAMSDAN SONYEL, THE OTTOMAN AR-MENIANS: VICTIMS OF GREAT POWER DIPLOMACY, LONDON, 1987, P.35-37.

2. Garo Sasuni, A.G.E., S.94.

الكرد حتى تلك المدة هي القوة العسكرية، مما يوحي بأن أغلب هذه الشكاوى، وإن لم تكن بهذه الكمية، كانت ضد المسؤولين الأتراك في كردستان، ولم تكن البطيركية الأرمنية ترغب في إثارة هذا الموضوع، لكي لا تتدهور علاقاتها الممتازة مع الباب العالي، وبالتالي فإن الباب العالي من جهته كان يهمل هذه الشكاوى؛ ثم إن عدم تدوين أصحاب هذه الشكاوى أسماءهم عليها هو خير دليل على أن هذه الشكاوى كانت ضد إدارة الدولة العثمانية في كردستان، ذلك أن الكردي المعتدي على الأرمني، من أين كان سيعرف من الأرمن قدم شكوى بحقه لأنها من الأشياء السرية؛ إلا إذا كان الشخص في موقع المسؤولية، ثانياً: هناك اضطراب واضح في تقرير اللجنة المرفوعة إلى الباب العالي، فلم ترد فيه أية أسماء أيضاً رغم عدم رضاها الواضح عن الحياة في كردستان، بل كانت اقتراحات اللجنة لإصلاح هذا الوضع هو فقط فرض الضرائب على الكرد، وإجبارهم على النزول من الجبال، ونشر الثكنات العسكرية في كردستان، ونفي الزعماء الذين تسببوا بهذا الأمر، ولم يرد في مقترحاتهم مثلاً تبديل هذا الوالي بذلك، أو أن قائمقام هذه المدينة مرتش مثلاً، ولم يرد في مقترحاتهم أي إصلاح للنظام الإداري المعروف بعدم أهليته في المنطقة، مما يوحي إلى أن اللجنة الأرمنية المكلفة بالتحقيق والمتابعة، وكذلك البطيركية الأرمنية لم تكن تريد إغضاب الحليف العثماني، وإن كان على حساب الأهالي في كردستان.

من جهة أخرى عدّ المراقبون الأوروبيون أيضاً في تلك المدة، أن مصائب القرى المهاجمة مشكلة تعني الأرمن، إلا أن ذلك مخالف للواقع، إذ اختار اللصوص والعشائر أهدافهم، نظراً لسهولة المهمة وحجم الغنائم، لا إلى الانتماء الديني، لكن الأرمن تمكنوا من إيصال شكاويهم إلى القنصليات الأوربية والإرساليات الأميركية، وغالباً ما بالغوا في وصف معاناتهم، أملاً في الحصول على المساعدات أو التعويضات، التي وصلت إليهم في بعض الحالات، وفي المقابل لم ينقل الكرد شكاوهم إلى الغربيين، لذا غابت معاناة الكرد عن معظم الأوربيين والأميركيين، فكتبوا عن (الكرد) بصيغة الجمع، كما لو كان الكرد كمجموعة يهاجمون الأرمن، في الواقع، كانت مواجهة تدور بين العشائر والمستقرين، كتبت طائفة من القناصل ذوي الفكر الثاقب والمنفتح تقارير حول هجمات العشائر على القرى الكردية، ويتبين من هذه التقارير ومن السجلات العثمانية أن المعاناة لم تميز بين طائفة وأخرى، فنُهبت المساجد كما نهبت الكنائس، وتعرض

المسلمون مثل المسيحيون إلى النهب والقتل على حد سواء^١، وخير دليل على ذلك، ما كتبه ملا محمود الباييزيدي (١٧٩٩-١٨٦٧) في مؤلفه المعنون (عادت ورسوماتنامهئي ئهكراديه) الذي ألفه في أواخر خمسينات القرن التاسع عشر، نزولاً عند رغبة المستشرق الروسي الكسندر ژابا (١٨٠٣-١٨٩٤)، فإن هذا المؤلف يبحث في الحياة الإجتماعية والإقتصادية الكرّدية في تلك المدة، وأغلب أفكاره تدور حول الظروف غير الأمانة في كُردستان، وكيف كان الكرّدي يلجأون إلى حماية أنفسهم، فمثلاً ذكر في إحدى صفحاته: "إن معظم الأغنياء من الكرّدي (الرحالة) يسلمون أموالهم وأشياءهم الثمينة إلى أصدقائهم وأصحابهم، الذين يثقون بهم في المدن، وعندما يحتاجونها يذهبون لجلبها، فهم لا يأمنون على أموالهم في الخيام من اللصوص والأعداء ومن السلب والنهب، إذ يقول الكرّدي: إن دولتهم ليست صارمة، وهي لينة في هذه الأمور، ولا هيبة لها[أي: الدولة العثمانية] وهم يقولون عن أموالهم التي تتكون من الأغنام والحيوانات: إنها يمكن أن تباد وتهلك في شتاء قارص، أو يُقضى على تلك الأموال والحيوانات في عملية نهب يأخذها أحد الأعداء"^٢. وهنا يتساءل المرء: ممن كان الكرّدي يخافون آنذاك؟ هل من القبائل الكرّدية المعادية لهم؟ أو من الفرق الشركسية والألبانية؟ أم من بطش المسؤولين الفاسدين في كُردستان؟ وأرجع الكرّدي أنفسهم سبب سوء الأوضاع في كُردستان إلى الدولة العثمانية؛ فإن تصرفات إدارة السلطات مثلاً هي التي أدت؛ لأن يضطر الكرّدي الرحل في وادي وان إلى أن يقوموا بما عبر عنه القنصل الروسي في أرضروم: "بأعمال سلب صغيرة... والنهب جنباً إلى جنب مع السلطات التركية... فإذا لم تقم السلطات بطلب الدفع نقداً، لما قام الكرّدي بأعمال نهب صغيرة، أو لم يقوموا بها أبداً"^٣. وأخيراً لا بد من الإشارة إلى الرحلة التي قام بها القنصل الانكليزي في أرضروم (تايلور-Taylor) في عام ١٨٦٩، إلى معظم مناطق شمال كُردستان، حيث زار ولايات: أرضروم، ووان، وبتليس، وهكاري، وقارص، وبايزيد؛ ليكتب عن أوضاع السكان فيها، وقد أورد في تقريره إحصائيات كثيرة عن سكان هذه المنطقة، ولا يشير تايلور في تقريره المطول هذا إلى أي أجواء احتقان بين الكرّدي والأرمن في شمال كُردستان، سوى حديثه في بعض الأحيان عن عمليات لصوصية

1. Justin McCarthy and others , Op.Cit., P.37.

٢. نقلاً عن مؤلفه: ژيدهرئ بهرئ، ل١٣٧-١٣٨ .

٣. نقلاً عن: ن.أ.خالفين، المصدر السابق، ص ٨٩ .

صغيرة تجري هنا وهناك، وبين الفينة والأخرى^١. وعلى الرغم من هذا الوضع المتردي في كُردستان لم يكن العديد من الكُرد والأرمن قد تأثروا بتلك الأوضاع المستجدة على الساحة فيها، وكانت علاقاتهم ما زالت على أحسن ما تكون، بل إن القلة القليلة من الطرفين ربما باعدت بينهما هذه الأحداث، فمثلاً: قام في عام ١٨٦٠ لفيف من الشخصيات الأرمنية وعلى رأسهم الكاتبان الاجتماعيان المعروفان، غاريغين سفادجيان، ومومدجيان، بتشكيل جمعية تحت اسم (جمعية الثقافة الشرقية)، وكانت أهدافها الرئيسية هي: نشر التعليم بين صفوف الكُرد، وساهمت أعمال هذه الجمعية في تقوية علاقات الصداقة بين الكُرد والأرمن^٢. ومن أعمالها في هذا المجال هي محاولتها القيام بنشر الحروف الأرمنية بين الكُرد، وتعليم الكُرد القراءة والكتابة باللغة الكُردية معتمدين على الحروف الارمنية بدل الحروف العربية، التي كانت متداولة بين الكُرد، وقد نشرت هذه الجمعية أولى ألفباء كُردية في تاريخ الكُرد الحديث مبنية على أساس الحروف الأرمنية من قبل (مكرديج فارتابيت ديكرانيان - Migirdiç Vartabet Dikranyan)^٣.

كما قاتل الكُرد مع الأرمن جنباً إلى جنب ضد القوات التركية العثمانية، عند محاولتها السيطرة على ساسون عام ١٨٦٤، التي كانت تتمتع بشبه حكم ذاتي آنذاك، ووقعت بالقرب من جسر (باتمان) أقوى المعارك بين الطرفين، ولم تتمكن القوات التركية من الظفر بالنصر، إلا من خلال الامدادات، وكثرة عدد جنودها مقارنة بخصومها من المقاتلين الكُرد والأرمن في ساسون^٤.

1. No.25, Consul Taylor to the Earl of Clarendon, ERZERROOM, March 19, 1869, IN: BILAL N.ŞİMŞİR, BRITISH DOCUMENTS ON OTTOMAN ARMENIANS, VOLUME: I (1856-1880), ANKARA, 1989, P.54-70.

- من الجدير بالذكر هنا، أنه سيشار إلى هذا المصدر الوثائقي فيما بعد باختصار التالي، وهو الأحرف الأولى من اسم المعد واسم الكتاب: (B.Ş.B.D.O.A)

٢. جليلي جليل، انتفاضة الأكراد...، ص ٥٨.

3. M.Malmısaniç, TÜRKIYE VE SURIYE'DE KÜRTÇE KİTAP YAYIMCILIGININ DÜNÜ VE BUGÜNÜ, İstanbul, 2006, S. 33-35.

4. Ramazan ÇALIK, Alman Kaynaklarına Göre II.Abdülhamid Döneminde Ermeni Olaylari, Ankara, 2000, S.161; Garo Sasuni, A.G.E., S.85-86.

الفصل الثاني

موقف الكُرد من المسألة الأرمنية حتى اندلاع

الأزمة الأولى ١٨٧٧-١٨٩٤

- أولاً- الكُرد ونشوء المسألة الأرمنية ١٨٧٧-١٨٧٨ .
- أ- الكُرد والأرمن خلال الحرب الروسية-العثمانية.
- ب- معاهدتا سان ستيفانو وبرلين.
- ثانياً- الإصلاحات الأرمنية الأولى ١٨٧٨-١٨٨١ .
- ثالثاً- الكُرد وتطورات المسألة الأرمنية في ثمانينات القرن التاسع عشر.
- أ- انتفاضة الشيخ عبید الله النهري والأرمن.
- ب- ظهور الأحزاب الأرمنية.
- ج- التقارب التركي الكُردى وقضية موسى بك الموتكى.
- رابعاً- تشكيل الفرسان الحميدية والمخاوف الأرمنية ١٨٩١-١٨٩٤ .

أولاً- الكُرد ونشوء المسألة الأرمنية ١٨٧٧-١٨٧٨

أ- الكُرد والأرمن خلال الحرب الروسية-العثمانية :

اندلعت الحرب الروسية العثمانية اثر أزمة البلقان ١٨٧٥^١، وقد أدت تطورات تلك الأزمة إلى إعلان روسيا القيصرية الحرب على الدولة العثمانية في ٢٤ نيسان ١٨٧٧، وقامت باكتساح أراضيها على جبهتين، جبهة في البلقان، أو كما كانت تسمى بـ(تركيا الأوربية)، وجبهة ثانية في القوقاز على حدود كُردستان الشمالية^٢، لم يصمد الجيش العثماني طويلاً في جبهة شمال كُردستان أمام زحف الجيش الروسي الأكثر عدداً وعدة، والأحسن تنظيمياً، ففي تشرين الأول ١٨٧٧ سحق الروس جيش أحمد مختار باشا، القائد العام للجيش العثماني في جبهة كُردستان، والذي شرفه السلطان عبد الحميد الثاني(١٨٧٦-١٩٠٩) بلقب الغازي بعد ذلك، سحق الروس جيشه حول مدينة أرضروم، وفي تشرين الثاني من العام نفسه، سقط حُصناً (حافظ باشا) و(قره طاغ)، وكانا بمثابة مفتاح مدينة قارص وتلاههما سقوط المدينة، وتم أسر (١٧٠٠٠) عسكري عثماني بينهم (٨٠٠) ضابط، واستولت على(٣٠٠) مدفع وكميات هائلة من المؤن، كما

١. الأزمة البلقانية ١٨٧٥-١٨٧٨: اندلعت هذه الأزمة بإعلان إحدى مقاطعات الهرسك في تموز ١٨٧٥ الثورة على الأتراك العثمانيين، وامتد بعد ذلك لهيب الثورة إلى البوسنة في شهر آب، لتصل إلى بلغاريا في عام ١٨٧٦. ولتتطور المسألة إلى إعلان الصرب الحرب على الدولة العثمانية؛ ثم تبعتها الجبل الأسود الذين شكلوا تحالفاً ضد الدولة العثمانية، واثراً لخسارة هذا الحلف حربيها تدخلت روسيا، وأعلنت بدورها الحرب على الدولة العثمانية في ٢٤ نيسان ١٨٧٧، بعد فشل المفاوضات بينها وبين الدول الأوربية الكبرى، ولم تنته هذه الحرب إلا بعقد معاهدتي سان ستيفانو وبرلين. ينظر: عبد الرؤوف سنو، العلاقات الروسية العثمانية (١٦٨٧-١٨٧٨) مسألة البحر الأسود والأزمة البلقانية، الحلقة الرابعة، مجلة تاريخ العرب والعالم، العدد (٧٩-٨٠)، بيروت، ١٩٨٥، ص٢-٢٦.

JEREMY SALT, Op.Cit., P.45-48.

٢. ينظر: هـ.أ. ل. فيشر، تاريخ أوروبا في العصر الحديث ١٧٨٩-١٩٥٠، ترجمة: احمد نجيب هاشم ووديع الضبيع، ط٦، مصر، ١٩٧٢، ص٣٧٠؛ محمد أمين زكي بك، المصدر السابق، ص٢٤٦-٢٤٧.

سقط (٢٥٠٠) قتيل من العثمانيين^١، وسقطت أرضروم في ٣١ كانون الثاني ١٨٧٨، وهكذا هزمت القوات العثمانية على نحو كامل في الشرق مع بداية عام ١٨٧٨^٢، وما أن اقتربت الجيوش الروسية من استانبول العاصمة سارعت الدولة العثمانية بطلب عقد هدنة، وتحت ضغوط الدول الأوروبية، وعلى رأسها بريطانيا اضطرت روسيا إلى القبول بوضع نهاية للحرب، بعقد هدنة أدرنة بين الطرفين في ٣١ كانون الثاني ١٨٧٨^٣.

بخصوص الموقفين الكردي والأرمني من هذه الحرب فقد كان لكل منهما نظرتيه المختلفة عن الأخرى، حول دعم الجيوش الروسية، أو الوقوف بجانب الدولة العثمانية.

ففي الجانب الكردي نرى موقفين مختلفين من الحرب، مثلاً الموقف الأول أغلب الكرد السنة بقيادة الشيوخ الدينيين هناك^٤، وقد كان الكرد دائماً قبل حرب ١٨٧٧ يصطفون مع الروس ضد القوات العثمانية، أو على الأقل يأخذون موقف الحياد منها، ولكن في هذه الحرب تغير موقف الكرد بدرجة كبيرة، حيث انضموا إلى جانب القوات العثمانية؛ فبمجرد إعلان السلطان عبد الحميد الثاني فرمان خاص "الجهاد المقدس ضد روسيا"، شرع فائق باشا إلى تنظيم فرقة (وان)، التي كانت غالبية أفرادها من الكرد، وكانت المهمة الأساسية لهذه الفرقة هي غزو متصرفية يريفان، وقطع خط مواصلات فرقة يريفان الروسية في حالة زحفها على أرضروم^٥، وكان من بين القادة الكرد الذين انضموا إلى هذه الفرقة العثمانية الشيخ عبيد الله النهري، الذي تسلم قيادة القوات الكردية غير النظامية فيها، والشيخ جلال الدين، والابن الأصغر للشيخ عبيد الله الشيخ عبد القادر^٦، وشيخ بكر من فاستقان، وفاهم أفندي، ومحمد بك جوليريكي، وشيخ تل، وابن أخيه عثمان، وهم من سيرت، وكذلك طاهر

١. محمد ابو عزة، عصر السلطان عبد الحميد، بيروت، ١٩٩٧، ص ٢٥٥.

2. No.42. Mr.Layard to Earl of Derby, THERAPIA, November 6, 1877, in (B.Ş.B.D.O.A), VOL: I, P.95-96.

٣ - جستن مكارثي، المصدر السابق، ص ١٢٧-١٢٨.

3.SALHI R. SONYEL, MINORITIES AND THE DESTRUCTION...P.234.

٤ . للتفاصيل عن دور الشيوخ الدينيين في هذه الحرب ينظر:

-Avyarov, A.G.E., S.90-121.

٥ . أن.خالفين، المصدر السابق، ص ١٠٢.

6. Garo Sasuni, A.G.E., S.94-95;

- وديع جويده، المصدر السابق، ص ١٩.

بك من وان^١، والشيخ سعيد الحفيد من السليمانية^٢، خاضت القوات الكردية غير النظامية عدة معارك ضد الجيش الروسي في جبهة بايزيد، إلا أنها تعرضت إلى هزيمة مذلة، واضطرت إلى الانسحاب والتقهقر إلى وان^٣، وكانت هناك خلافات شديدة بين فائق باشا قائد فرقة وان، والشيخ عبید الله النهري حول تزويد القوات الكردية بالمؤن والسلاح، وعدم فاعلية هذه القوات في المعارك، مما كانت لها الأثر الأكبر في انهزام هذه القوات الكردية من الحرب^٤.

وعن هذا الموقف يذكر المؤرخ جليلي جليل أن إعلان تركيا الجهاد ضد الروس أجبر الشيخ عبید الله النهري على الدخول إلى جانب العثمانيين؛ لكونه أكبر شخصية دينية موجودة في المنطقة^٥، ويذكر افریانوف أن هذه العائلة لم تقا تل قط، الجيوش الروسية في المنطقة، خلال حروبها ضد الدولة العثمانية إبان القرن التاسع عشر، فلم يحاربها والده ولا جدّه^٦.

كما شاركت شخصيات كردية أخرى في الحرب إلى جانب الدولة العثمانية، ولكن ضمن قواتها النظامية من أبرزهم: علي شامل بدرخان، الذي كان يقود (٣٠٠٠) متطوع من الكرد، من استانبول، ويشترك برتبة قائممقام (مقدم) في الحرب، ضمن جيش عثمان باشا المدافع عن استانبول، وكذلك حسين بدرخان، الذي ما لبث أن قاد حركة كردية في مسقط رأسه، جزيرة بوتان بعد انتهاء الحرب مباشرة^٧.

أما الموقف الكردي الآخر فتمثل بموقف الكرد العلويين في درسيم، ففي بداية الحرب قدم هؤلاء الكرد في درسيم مساعدة فعالة للجيش الروسي، إذ استولوا على الطريق المؤدي إلى قارص، وتوكات، وسيواس، وأرضروم، لعرقلة تقدم القوات العثمانية إلى الجبهة لبعض الوقت؛ ثم حصلوا على السلاح من القيادة الروسية، عن طريق الأرمني

1. G.B.NORMAN, ARMENIA AND THE CAMPAIGN OF 1877, LONDON, n.d, P.273.

٢. عبد الله العليايوي، المصدر السابق، ص ٩٩ .

3. G.B.NORMAN, Op.Cit., P.273-274.

٤. ن.أ.خالفين، المصدر السابق، ص ١٠٦-١٠٧؛ عبد الله العليايوي، المصدر السابق، ص ٩٩ .

٥. ينظر، مؤلفه: انتفاضة الأكراد...، ص ٣٣ .

6. Avyarov, A.G.E., S.94.

7. Mehmet Firat Kiliç, Sheikh Ubeydullah's role in 1877-1878 Ottoman-Russian War, Via at:(www.pen-kurd.org);

- بله ج شيركوه، المصدر السابق، ص ٤٦ .

حاجي جرك أوغلي؛ لمحاربة الأتراك، وقد حارب الكُرد في درسيم مع الأرمن فعلاً القوات النظامية العثمانية، وكان أغلب معاركهم ضد الجيش العثماني الرابع^١، وقد استمرت انتفاضة كُرد درسيم حتى إلى فترة ما بعد الحرب بمدّة وجيرة، تمكن بعدها الجيش العثماني من القضاء عليها^٢.

وفيما يخص موقف الأرمن من الحرب الروسية العثمانية فإنه قد تآرجح بين مؤيد ومساند للدولة العثمانية، في مواجهة روسيا القيصرية في بداية الحرب، ومعارض ومحارب ضدها وموالي للجيش الروسي بعد اكتساحها شمال كُردستان. ففي بداية الحرب أكدت البطريركية الأرمنية في استانبول، ولمرات عدة إخلاصها للسلطان عبد الحميد الثاني، فعندما أعلنت الحكومة العثمانية في مجلس المبعوثان العثماني^٣ في ١٨٧٧/٤/٢٥ أن روسيا أعلنت الحرب على الدولة العثمانية فإن جميع النواب ومن بينهم تسعة نواب من الأرمن طالبوا بالإجماع بدعم السلطان العثماني ومقاومة الروس، ولم يكن أحد أكثر تحمساً من نواب الأرمن كما قيل، وأعلن النائب الأرمني من ولاية حلب (مانون افندي- Manon Efendi): نحن المسيحيون الأرمن نرغب بأن نعلن بأننا لا نحتاج إلى حماية روسيا، ونحن لا نتخلى مطلقاً عن أصدقائنا المسلمين، فلم نهجرهم سابقاً ولا نهجرهم الآن^٤، وبينما كانت الحكومة العثمانية تتباحث المهلة الروسية قبل الحرب قال البطريرك الأرمني (نرسييس - Nersis) (١٨٧٤-١٨٨٤): "إذا كُتِبَ لهذه الدولة العظيمة أن تنهار فإننا نعتبر من واجبنا أن نُدفن تحت أنقاضها، ومن الأفضل لنا أن نموت بشرف وبكرامة من أن نعيش في عار"^٥.

١. خاليت مرادوفيج جتوفيف، المصدر السابق، ص ٣٣ .

٢. جليلي جليل، انتفاضة الأكراد...، ص ٣٦ .

٣. تكون مجلس المبعوثان العثماني عند إعلان الدستور العثماني لأول مرة في ٢٣ تشرين الثاني ١٨٧٦، وكان قائد الحركة الدستورية العثمانية هو مدحت باشا (١٨٢٢-١٨٨٣)، إلا أن الحرب الروسية العثمانية، وعدم جدية السلطان عبد الحميد الثاني في تطبيق هذا الدستور أدى إلى إلغائه بعد مدة وجيزة، وسميت هذه المدة بالعهد الدستوري الأول، وسمي مدحت باشا ب(أبو الدستور العثماني)، للمزيد ينظر: موفق بني المرجة، صحوة الرجل المريض أو السلطان عبد الحميد الثاني والخلافة الإسلامية، ط٩، عمان، ١٩٩٩، ص ٥٣-٦٨؛ ساطع الحصري، البلاد العربية والدولة العثمانية، ط٣، بيروت، ١٩٦٥، ص ٩٧-١٠٣ .

4. SALAHI RAMSDAN SONYEL, THE OTTOMAN ARMENIANS..., P.43.

5. Ibid.

كما عارضت الكنيسة الأرمنية في ارضروم التعاون مع القوات الروسية، عندما طلب من رئيس الأساقفة فيها (اوجكيليساه-Utchkilissah) إبداء تعاونه في تموز ١٨٧٧، وقد اختطفه بعد ذلك الروس؛ لأنه رفض دعوة مجموعة من الأرمن للتمرد ضد السلطان، كما أُحرقت كنيسته، واتفقت الوثائق والكتب الدينية فيها. وأكد بطريك الأرمن العام في استانبول نرسييس للسفير البريطاني لايارد أن هذا العمل قد زاد من عزم الأرمن على عدم الانضمام إلى الروس، أو حتى التعاطف معها^١، وفي رسالة من لايارد إلى وزير خارجيته (ديربي-Derby)، بتاريخ ١٨/٢٤/١٨٧٧، قال فيها بأن: "صاحب الجلالة السلطان قد استقبل السيد نرسييس البطريرك العام للأرمن في استانبول بحرارة، وبعد أن تحدث معه بأسلوب مهذب منحه السلطان وسام الدولة، المعروف بالوسام (العصماتلي) من الدرجة الأولى"^٢.

كما استقبل لايارد في ١٨/٢٧/١٨٧٧، في مقره باستانبول البطريرك (حسون-Hassoun)، بطريك الأرمن الكاثوليك، وفي حديثهما مدح حسون كثيراً القائد العثماني مختار باشا، الذي قام بحماية الأرمن من الكُرد، في المعارك الجارية على الحدود الشرقية للدولة العثمانية؛ ثم عقب لايارد على هذا المدح بالقول: "وقد أدهشني ما ذكره لي حسون، واعتقدت بأن ذلك كان ثناءً مبالغاً فيه لمختار باشا وللقاطعات العسكرية النظامية، التي كانت تحت أوامره، الذين تم اتهامهم بالأعمال الوحشية التي قام بها الكُرد..."^٣.

وجواباً على طلب السلطان عبد الحميد الثاني فيما يخص تجنيد المسيحيين في الحرس المدني اجتمعت الجمعية العامة للملة الأرمنية برئاسة البطريرك نرسييس، في ٧ كانون الأول ١٨٧٧، وقررت بالإجماع انخراط الأرمن في الحرس المدني العثماني، من أجل حماية حدود البلاد من الغزو الروسي^٤، وقد اجتمع أكثر من خمسة آلاف أرمني

1. No.34, Mr.Layard to the Earl of Derby, THERAPIA, July 24, 1877, in: (B.Ş.B.D.O.A), VOL: I, P.86.

2. No. 39, Mr.Layard to the Earl of Derby, THERAPIA, August 24, 1877, in: (B.Ş.B.D.O.A), VOL: I, P.92.

3.No. 40, Mr.Layard to the Earl of Derby, THERAPIA, August 24, 1877, in: (B.Ş.B.D.O.A), VOL: I, P.92.

4. No.46, Mr. Layard to the Earl of Derby, TUNIS, November 27, 1877, in: (B.Ş.B.D.O.A), VOL: I, P.102; MUSA ŞAŞMAZ, BRITISH POLICY AND THE APPLICATION OF REFORMS FOR THE ARMENIANS IN EASTERN ANATOLIA 1877-1897, ANKARA, 2000, P.3-4.

حول نوابهم، وبعد الاجتماع صلى نرسييس من أجل الحياة الثمينة للسلطان ووزرائه، إلا انه لم تمض أيام قليلة، حتى ألغت الجمعية قرارها السابق بالقتال إلى جانب الدولة العثمانية، وأكدت انحيازها إلى روسيا القيصرية، بعد اقتراب جيوشها من العاصمة استانبول نفسها^١.

استمر الأرمن في دعم العثمانيين حتى سقوط بلفنة، وقارص، وبايزيد، وأردهان، وبعض أجزاء مقاطعة أرضروم بيد الروس، هنا بدأ الأرمن بالتوجه صوب روسيا، ودعم قواتها المسلحة في شمال كردستان، طمعاً في تأسيس دولة قومية لهم في تلك المناطق^٢.

فبمجرد اكتساح القوات الروسية لأغلب أراضي شمال كردستان انحاز الأرمن إلى الجانب الروسي، وقد انخرط الأرمن في تلك المناطق المحتلة بالقوات الروسية، وحدثت هجرة أرمنية من المناطق الأخرى في الدولة العثمانية، وخصوصاً في الأناضول الغربية، التي لم تخضع للروس، إلى شمال كردستان بهدف طرد الجيوش العثمانية من المنطقة كلها^٣، وكان للجنرالات الروس من الأصول الأرمنية دور كبير في التأثير على الأرمن المحليين، وكسبهم إلى جانبهم، فقد كان قائد الجيش الروسي في جبهة القوقاز من أصل أرمني، ويدعى (لوريس ميلكوف-Loris Melikoff)^٤، وكذلك الجنرال (تيركوكاسوف-Tergukasoff)، الذي عد من أبرز القادة الميدانيين في الحرب، فضلاً عن الضابط المشهور (تارناييف-Tarnnaieff)، الذي قاد الهجوم على منطقة اريزي في جبهة أرضروم^٥، كما لا ينسى دور كل من الميجر (كامساراگان-Kamsaragan)، والجنرال (لازاروف-Lazaroff)، فقد تم تعيين كامساراگان بمنصب رئيس الشرطة في أرضروم، خلال الاحتلال الروسي لها، وقدم مساعده الملازم (نيكولوسوف-Nicolosoff) من الأصل الأرمني أيضاً دوراً كبيراً في تجنيد الأرمن في أرضروم، ضمن هذه الشرطة الحديثة، أما الجنرال لازاروف فقد عين بمنصب رئيس الشرطة في قارص^٦، كما كان

1. SALAHI RAMSDAN SONYEL, THE OTTOMAN ARMENIANS..., P.44-46.

2. MUSA ŞAŞMAZ, Op.Cit., P.5.

3. Ibid.

٤. صار بعد ذلك رئيساً للوزراء في روسيا. ينظر: هراج داسبندان، القضية الأرمنية: عرض تاريخي مقتضب للقضية الأرمنية، ترجمة: جوزف كالوستيان، بيروت، ١٩٨٤، ص ٩.

5. Krikor Behesnilian, Armenian Bondage and Garnage: Being the Story Christian Martyrdom in Modern Times, London, 1903, P.52-53.

6. Mehmet Firat Kiliç, Op.Cit.; MUSA ŞAŞMAZ, Op.Cit., P.5.

أغلب عناصر شرطة الحدود الروسية، التي شكلت للحفاظ على الأمن ومراقبة الكُرد هناك من الأرمن^١.

في أثناء الحرب وقعت أحداث بين الكُرد والأرمن، أثرت بشكل كبير على مستقبل علاقاتهما بعد ذلك، واتخذ الأرمن من الاعتداءات الكُردية المزعومة باباً لها تحتج بها روسيا أولاً والدول الكبرى الأخرى ثانياً وتستند إليها في الدعوة إلى تأجيج القضية القومية وتأسيس دولة أرمنية في شمال كُردستان، فخلال عنف المعارك اشتكى الأرمن كثيراً من هجمات الكُرد وسلبهم لأموالهم وممتلكاتهم، وحتى قتلهم إذا لزم الأمر في أحيان أخرى، فقد رفع الأرمن شكوى ضد الكُرد إلى بطريركهم في استانبول، وكذلك إلى أغلب القنصليات الأجنبية العاملة في شمال كُردستان، وقد قُدمت أغلب هذه التقارير ضد الشيخ جلال الدين، الذي كان ضمن فرقة وان العثمانية، حيث أشارت إلى أن الكُرد يتقدمهم هذا الشيخ الكُردى، قد عمل فضائع كثيرة ضد السكان الأرمن، وخصوصاً على الحدود العثمانية في مدينة بايزيد، عندما كانت هذه القوات الكُردية تدافع عنها بوجه الروس الذين حاصروها، ومن ثم تمكنوا من إسقاطها وطرد الجنود العثمانيين والقوات الكُردية منها، التي فرت إلى مدينة وان^٢.

وقد وردت في رسائل القنصليات البريطانية في شمال كُردستان أمر تلك الهجمات الكُردية، وقد اعتمدت السفارة البريطانية في استانبول بشكل خاص على تقارير قنصلها في ارضروم (زوهراب - Zohrab)، في نقل أحداث الاعتداءات الكُردية على الأرمن أثناء الحرب، ففي ١٨٧٧/٨/٢١ ذكر القنصل تفاصيل مروعة حول أعمال قام بها الكُرد في مدينة بايزيد ضد الأرمن، من سرقة وقتل، واغتصاب وخطف نسائهم؛ ثم يقول القنصل زوهراب إن مصدره عن وقائع بايزيد هو شخص أرمني مقرب منه كثيراً، وأنه كثيراً ما اعتمد عليه في نقل الأخبار^٣.

يظهر هنا بان القنصل البريطاني زوهراب لم يقيم بزيارة مدينة بايزيد للإطلاع على العنف الكُردى هناك، وأنه لم ير بعينه ولو حادثة واحدة فقط من الحوادث التي أوردتها

1. Krikor Behesnilian, Op.Cit., P.52; Justin McCarthy and others , Op.Cit., P.46.

2. No.29, Mr.Layard to the Earl of Derby, THERAPIA, July 10, 1877, in: (B.Ş.B.D.O.A), VOL: I, P80-81.

3. No.38, Consul Zohrab to the Earl of Derby, ERZERROOM, August 21, 1877, in: (B.Ş.B.D.O.A), VOL: I, P.91.

في تقاريره عن الاعتداءات الكرديّة على الأرمن، كما يظهر وبمتابعة وقراءة دقيقة لهذا الموضوع أن القنصل زوهراب نفسه ينتمي إلى أصول أرمنية، وكانت مصادر معلوماته عن وقائع بايزيد هو جواسيسه من الأرمن، كما يذكر ذلك هو بنفسه، وكذلك المبشرين العاملين في الإرساليات المسيحية في بتليس ووان، حيث أكد في تقارير عدة له بان مصدر معلوماته هم هؤلاء المبشرون وخاصة الأمريكيان منهم¹.

يبدو أن تقارير القنصل زوهراب لم تكن ذا مصداقية حتى عند سفير بلاده في استانبول، أوستن هنري لايارد، حيث قام الأخير بإرسال (رسام-Rassam) في شهر آب ١٨٧٧ إلى كردستان؛ للتحقق من أمر تلك الأعمال الكرديّة التي تشاع ضد الأرمن^٢، وبعد رحلة دامت حوالي شهرين لم ينف رسام الهجمات الكرديّة على السكان المسيحيين في كردستان في تقريره المرسل إلى لايارد بتاريخ ١٥/١٠/١٨٧٧، ولكنه كان أكثر دقة في إيراد معلوماته حول تلك الأعمال الكرديّة، فقد ضيق أولاً: هوية هؤلاء الكرّد، أي أخرجها من معناه العمومي، حيث قال إن الذين يرتكبون أعمال السلب والنهب هي فقط بعض العشائر الرحالة من الكرّد، ووصفهم في تقريره مرة أخرى بـ(الكرّد المتطرفين) عكس تقارير زوهراب الذي عمم تسمية الكرّد على تلك الأعمال، ولم يقدّم بتحديد هوية هؤلاء الكرّد، وثانياً: بيّن رسام أن هجمات تلك القبائل الكرديّة لم تستهدف فقط المسيحيين، وإنما استهدفت المسيحيين والمسلمين على السواء، هذا إذا أخذنا بنظر الحُساب أن رسام أيضاً لم يقدّم بزيارة مدينة بايزيد، وجميع المناطق التي طالتها شرارة الحرب الروسية العثمانية، وإنما فقط تجول في وسط وجنوب كردستان^٣.

1. No.37, Mr. Layard to the Earl of Derby, THERAPIA, August 8, 1877, in: (B.Ş.B.D.O.A), VOL: I, P.89-90.

- هذه الوثيقة الأخيرة تتضمن ملحقين، الملحق الأول هي رسالة القنصل زوهراب يتحدث فيها عن الانتهاكات الكرديّة كما سمعها من المبشرين الأمريكيين في بتليس، والملحق الثاني: هو نص لرسالة من المبشرين في بتليس إلى القنصل زوهراب، يتحدثون فيها عن الشيخ جلال الدين وانتهاكاته ضد المسيحيين الأمنيين حسب قولهم. حول هذا الموضوع، ينظر أيضاً:

Bilâl N. Şimşir, KÜRTÇÜLÜK 1787-1923, 2.basım, İSTANBUL, 2007, S.116-125.

2. Inclosure in No.36, Mr.Layard to Mr.Rassam, THERAPIA, August 6, 1877, in: (B.Ş.B.D.O.A), VOL: I, P.87-89.

3. Inclosure in No.43, Mr.Rassam to Mr.Layard, VAN, October 15, 1877, in: (B.Ş.B.D.O.A), VOL: I, P.97-101.

- يمكن هنا أن نوجز أهم الأسباب التي تناولها رسام، والتي كانت وراء انتشار عهد من الفوضى في كردستان، وحقيقة الادعاءات حول الهجمات الكردية على الأرمن:
- ١- يقول رسام: "إن ضعف السلطات المحلية، وفساد جباة الضرائب في تلك المناطق كان السبب الرئيس للمشاكل الحالية".
 - ٢- بعض القبائل الكردية الخارجة عن القانون، وتهاون السلطات بخصوصها، وأنهم يأخذون ما يريدون.
 - ٣- فساد الشرطة المحلية، ومشاركتهم في عمليات السرقة، والسلب، والنهب، يقول رسام: "وقد ذكر لي عدد من المسلمين، أن قسماً من الضبطية والشركس كانوا معروفين بأنهم قطاع طرق، ويشاركون في عمليات النهب، عندما تسنح لهم الفرصة بذلك، وقد استغلوا مهنتهم وهي نقل المُن إلى الجيش للتغطية على أعمالهم، ومن المعروف أن رواتب الشرطة كانت قليلة جداً، وأنه من المستحيل عليهم أن يعيشوا عليها؛ ولذلك كانوا ينتهزون أية فرصة لارتكاب عمليات النهب".
 - ٤- فساد المجالس المحلية التي تضم الأرمن والمسلمين.
 - ٥- ظروف الحرب الروسية العثمانية^١.

إن ما يميز تقرير رسام هو أنه بيّن أن هجمات القبائل الكردية الرحالة لم تكن موجهةً ضد طائفة، أو دين، أو عنصر محدد، بل إن هذه الهجمات موجهة في أغلبها ضد السكان الضعفاء في المنطقة، ومن الطبيعي، كما يقول إن المسيحيين يمثلون هؤلاء الضعفاء، في حين لم ينفِ الهجمات على المسلمين والكرد أنفسهم، وأنهم كذلك ضحايا تلك الظروف، يقول رسام: "ولا أريد أن أحذف من الذكر بأن المسلمين عانوا كثيراً مثلما عانى المسيحيون من عمليات النهب التي قام بها الكرد...وعندما كنت في ديار بكر تم قتل ثلاثة من الشيوخ المسلمين من قبل سراقهم"، وأن المتمردين قتلوا في حادثة واحدة فقط كما يقول رسام حوالي (٤٥) كردياً في ديار بكر^٢.

كما لا ينفي رسام وفي عدة مرات بأنه هو والسلطات المحلية في كردستان لم يتمكنوا من التحقيق بخصوص حوادث كثيرة، نظراً للمبالغة فيها، حيث قال مثلاً: "ومن دون شك هنالك بعض المسيحيين، الذين يبالغون وفي بعض الشواهد

1. Inclosure in No.43. Mr.Rassam to Mr.Layard, VAN, October 15, 1877, in: (B.Ş.B.D.O.A), VOL: I, P.97-101.

2. Ibid

يميلون إلى خلق قصص، وذلك لكسب التعاطف"^١.

وفضلاً عن تقارير القنصليات البريطانية في كُردستان كان لبعض الرحالة والصحفيين الأجانب دورهم في نقل ما سمعوه عن الانتهاكات الكُردية إلى أوروبا، وكانت لمؤلفاتهم أثر كبير في تشويه سمعة الكُرد، وإظهارهم بمظهر مخيف ومتوحش في أوروبا، ويأتي على رأس هؤلاء الأجانب الذين واكبوا الحرب الروسية العثمانية، مراسل جريدة التايمز الانكليزية (جي.بي. نورمان-G. B.Norman)، وقد ذكر في كتابه المعنون (Armenia and the Campaign OF 1877) عشرات الأعمال الكُردية ضد الأرمن خصوصاً في بايزيد، وأتهم الشيخ جلال الدين بأنه كان أقسامهم في تلك الهجمات، ولكن وبمنظرة فاحصة إلى هذا الكتاب يظهر أن صاحبه لم يزر أيضاً بنفسه مدينة بايزيد إلا بعد انتهاء العمليات العسكرية فيها، وأنه اعتمد في جمع معلوماته على تقارير رجال الدين الأرمن، والبعثات التبشيرية المسيحية هناك، وكذلك على بعض ما شاهده أثناء الحرب، يقول نورمان حول مصادر معلوماته هذا: "...وهذه حقيقة واقعية انقلها ليس كشاهد فقط، وإنما ما ورد في التقارير، التي تم إرسالها من قبل البعثات التبشيرية الأمريكية، في أرمينيا الذين يستلمون يومياً شكاوى من المجموعات المسيحية، حول الأعمال الشنيعة والاضطهاد، اللذين يعانون منه، على يد الكُرد الذين أطلقت الحكومة العثمانية العنان لهم في بلاد الأناضول"^٢.

وبمقارنة معظم التقارير والرحلات التي تحدثت عن دور الكُرد في حرب ١٨٧٧-١٨٧٨ وهجماتهم المزعومة على الأرمن، يظهر أن مؤلف كتاب Armenians-Koords and Turks (جيمس كراج-James Creagh) كان هو الأكثر حيادية في تناول الدور الكُرد في تلك الحرب، فإنه، أي: جيمس كراج كان في المنطقة الكُردية عند اندلاع الحرب، وتجوّل في كُردستان، وقابل الكُرد والأرمن، وزار قراهم، واطلع على أحوالهم عن قرب، رغم أنه أكد في الوقت نفسه على كونه قد اعتمد إلى جانب ذلك على تقارير البعثات التبشيرية الأمريكية في وان وبتليس، عندما كان يتحدث عن الهجمات الكُردية على الأرمن خلال الحرب، يقول كراج: "وأخبرتنا تقارير القناصل التابعين للبعثات الأمريكية المقيمة في هذه الأماكن وتقارير الرحالة...أخبرونا بخصص لا

1.Ibid

2.G. B. NORMAN, Op.Cit., P.250.

نهاية لها، حول عنف الكُرد واضطهاد الأرمن...¹.

وبعد ما يتطرق كراج إلى بعض الأمثلة من اعتداءات الكُرد على الأرمن يقارن مع ما رآه أثناء رحلته تلك من الكُرد، ويذكر انه لا يصدق تلك الأعمال، إلا إذا كان وراءها دافع من الانتقام، خاصة من الأرمن الذين تعاونوا مع بطرسبيرغ خلال الحرب، وأصبحوا عملاء لها في المنطقة، وهذا ربما يفسر الغضب الكُردى على المسيحيين²، ويصف كراج الكُرد بالوصف الآتي، هذا الوصف تشكل عنده أثناء الحرب: "خلال عدة أيام قمت برحلة في الأراضي المرتفعة بين قارص وبايزيد، وقد نمتُ في عدة مخيمات للكُرد، وهنا لا بد من أن اذكر: الاحترام، والانتباه، والاهتمام، الذي لاقيته حيث إن معاملتهم كانت مليئة بالاحترام، وهكذا فإنهم يمدون أيديهم وبضيافة كريمة جداً، ولا أجد أي واحد منهم ألحق بي أذى، وخلال مدة اكتسبت سمعة طيبة، إذا كان الكُرد يتمتعون بمثل هذه الصفات فإنه من المؤكد يتحلون بسمات نبيلة وحسنة، حيث إنهم يحترمون احتراماً عميقاً شيوخهم بالوراثة، وكذلك مفاهيمهم الدينية، فقد كانوا يوصون في واجباتهم الدينية احترام جيرانهم، ويتمتعون بنظام عسكري صارم، وهكذا نجد أن خلال سنوات قليلة طرأ تغيير كبير على هذا الشعب، فبدأت تظهر عندهم صفات عديدة منها: النظام، والانتظام، والفضيلة، بعد أن كانوا يعدون أناساً متوحشين، إن هذه الصفات الوحشية والبربرية وغيرها أصبحت من الماضي"³؛ ثم يتحدث كراج في موضع آخر عن (كذب) العديد من الناس في رواياتهم عن مصيبتهم في الحرب، فيذكر أنه قد وجد العديد من المعلومات التي سمعها متضاربة، لذلك فإنه وقبل قبول أي رأي وعده صحيحاً كان من الضروري تقديم الدليل على ذلك، حيث إن جميع الناس تقريباً هم من (الكذابين) - كما يقول - وسوف لا يترددون في إرباك مستمعهم، وذلك بإنكار الحقيقة الواقعية، ويضرب مثالا على ذلك، بقوله: "فإن الناس البسطاء في (زيدبخان-Zedikhan) [قرية ارمنية] مقتنعين بان الكُردى إسماعيل حقي باشا-والي كُردستان- قد اشترى رؤوس المسيحيين، كما لو أنه اشترى البيض...وعلى الرغم من أن الحقيقة التي كان يكررها لي كريببت[مترجمه الأرمني] بان هذا القائد كان على بعد مئة ميل من منطقة

1. JAMES CREAGH, Op.Cit., P.179

2. Ibid, P.178 and 263.

3. Ibid, P.201-202.

الاضطرابات، فإن ذلك لا يمكن مناقشته، وإن هنالك الكثير من الذي نسب إليه^١، وفي سرده لأحداث تلك الحرب يتهم كراج الروس والأتراك على أنهم هم المسؤولون عن العديد من هذه الأحداث، وأن الأرمن كثيراً ما اشتكوا على الجنود الأتراك، وأنهم قاموا بقتل الأرمن المدنيين في الحرب^٢.

إن الرابط المشترك في معلومات كل من القناصل البريطانيين والرحالة الأجانب الذين قاموا بنقل معلومات عن هذه الحرب، والاعتداءات الكردية على الأرمن، هم هؤلاء المبشرون الأمريكيان العاملين في الإرساليات التبشيرية المسيحية في وان وبتليس، ولا يمكن القول بأن بعضاً من هذه الاعتداءات لم تحصل خصوصاً في معركة بايزيد، ولكن إلقاء الذنب كله على الكرد، وأنهم هاجموا فقط الأرمن في هذه الحرب يعد انحرافاً عن الحقيقة، وهي أن هجمات العشائر الكردية، إن حدثت فكان ضد الجميع دون استثناء، وليست فقط ضد طائفة معينة، كما قال الأرمن بأنها موجهة لهم فقط، وأكد رسام هذا القول، والشيء الآخر المؤكد كما بينه رسام وكراج هو: المبالغة الواضحة والكبيرة في هذه الروايات، التي تتحدث عن الاضطهاد الكردي للأرمن، حتى أن كراج نفسه لم يكن يصدقها؛ لأنه كما قال اختلط بالكرد وعاشرهم في بايزيد وقارص، ولم يكونوا هكذا بل انه وجد أن العديد من هؤلاء الكرد مذعورين، ويمتلكهم خوف شديد من ويلات الحرب^٣، ومن جانب آخر يجب إلقاء اللوم كله على الروس والأتراك، لأنهم هم الذين تسببوا بقيام الحرب في كردستان في أرض ليست للروس وليست للأتراك، ومن السذاجة القول بأن الأرمن هم وحدهم فقط ممن تضرروا في هذه الحرب، في بايزيد أو في أي مكان آخر التي كانت حتى بالأمس القريب مركزاً أو تابعاً لإمارة كردية.

وفضلاً عن هذا كله لا تختلف الرواية العثمانية التركية عن الرواية الأجنبية الغربية في اتهام الكرد في تلك الاعتداءات، فيذكر المؤرخ التركي (موسى شاشماز- Musa şaşmaz) الذي اعتمد على الوثائق العثمانية بأن الجنود الكرد غير النظاميين في الجيش العثماني قاموا بقتل المسلمين والمسيحيين والعزل في تلك المنطقة، وكما ذكره الأرمن البروتستانت- كما يقول- فإن المسلمين من أهالي بايزيد قد حاولوا حماية

1. JAMES CREAGH, Op.Cit., P.278-279.

2. Ibid, P.292.

3. Ibid, P.286-287.

المسيحيين من غضب وثورة الكُرد، وبالنتيجة فإن بعض المسلمين أنفسهم كانوا من بين الضحايا، وعند مغادرة القوات الكُردية غير النظامية بايزيد قصد المسيحيون وبمرافقة المسلمين معسكر فائق باشا، وقد تم الاعتناء بهم، وأخيراً أرسل فائق باشا بعض القوات لملاحقتهم، وقد تمكنت من تدمير ثكناتهم وقتل ستة وثلاثين منهم، أما البقية فإنهم قد جردوا من أسلحتهم، وأرسلوا إلى بيوتهم وقراهم¹.

من الغريب في هذا الأمر أن الروايات الثلاثة الأرمنية، والغربية، والتركية تتفق على أن أحد أهم المشاكل الأساسية في حرب عام ١٨٧٧-١٨٧٨ كان سببه الكُرد، وليس غيرهم، ويظهر انه حتى في تلك اللحظة، أي لحظة الهجوم الروسي على بايزيد، كان الأرمن والأتراك متفقين نوعاً ما، على أن عدوهم الأساسي بعد الروس طبعاً هم هؤلاء الكُرد مثيري الاضطراب والشغب في المنطقة.

إن أهداف الرواية الأرمنية واضحة، وهي أنهم كانوا أبداً ودائماً خلال القرن التاسع عشر يبحثون عن كل فرصة لتأسيس كيان قومي لهم، وقد واتتهم الفرصة في الحرب الروسية العثمانية؛ لذا لم يألوا جهداً، لعمل كل ما من شأنه لجذب أنظار القوى العظمى إليهم، وقد تمثل ذلك بإتهام الكُرد وليس الأتراك، على أنهم كانوا السبب في تعرضهم للضغط والاضطهاد، كما سيتبين هذا الأمر في بنود معاهدي سان ستيفانو وبرلين. أما الرواية التركية، والتي تعتمد على الوثائق العثمانية وبعض الاستنتاجات المعاصرة، المتحيزة بطبيعة الحال للأتراك، تلقي باللوم في نهب وسرقة المسيحيين الأرمن على الكُرد، وذلك لتبرئة الأتراك من أية مسؤولية عن سبب ظهور المسألة الأرمنية، عقب انتهاء حرب ١٨٧٧ مباشرة، والرواية التركية ضعيفة من حيث الأساس؛ لأنهم هم من كانوا يحكمون شمال كُردستان، وهم الذين كانوا السبب الأساسي في تدهور الأوضاع الأمنية فيها، بعد القضاء على الإمارات الكُردية، وعدم تمكنها من ملئ الفراغ، الذي تركه زوال تلك الإمارات، ومن ناحية أخرى تورد الوثائق العثمانية، كما ذكرها موسى شاشمان: "إن الكُرد هاجموا بايزيد، وان مسلميها وأرمنها، دافعوا عن المدينة من هجماتهم"²، ترى ما هي جنسية هؤلاء المسلمين المدافعين عن المدينة؟ فقد أوردتها المصادر التركية على أنهم مسلمين فقط، ولماذا يستبعد احتمال أن هؤلاء

1. MUSA ŞAŞMAZ, Op.Cit., P.2.

2.Ibid.

المسلمين كانوا كُرداً في الأساس؟ خاصة إذا ما علمنا أن بايزيد كانت مركزاً لأحد أهم الإمارات الكُردية، حتى منتصف القرن التاسع عشر، ولذلك يبدو أن المدافعين عنها كانوا من الكُرد، وان هؤلاء المسلمين في معظمهم كانوا كُرداً، ومن جهة أخرى لماذا يذكر دائماً جنس القوم المهاجم والسارق، والناهب، والقاتل؟ ودائماً هم هؤلاء الكُرد، ولا يذكر جنس المعتدى عليهم إلا بصفتهم أرمناً أو مسلمين؟!

وبخصوص الجنود الكُرد غير النظاميين في الجيش العثماني فقد كان السبب الأساسي في سلوكهم هذا هو إهمال الدولة العثمانية لهم، وعدم تجهيزهم بالمتطلبات اللازمة، فالروح القتالية للمحاربين الكُرد كانت معدومة، وكانت الطاعة مفقودة فيما بينهم تقريباً، فالفرسان الكُرد كانوا قليلي الطاعة لرؤسائهم، ولم ينفذوا أبداً أوامر الضباط الأتراك، ويعود سبب هذا الموقف على وجه التحقيق إلى أن القيادة التركية تركت المحاربين الكُرد: "ليقوموا بتموين أنفسهم بأنفسهم"، دون أن تكلف نفسها بإعطائهم أية ذخيرة، ولم يظهر الكُرد بالرغم من وجودهم في صفوف الجيش العثماني أية رغبة في القتال لصالح الإمبراطورية العثمانية، التي كانوا يرونها السبب في مشاكلهم، وترك قسم كبير منهم الجيش ببساطة حاملين معهم البنادق من نوع مارتيني الانكليزية وكذلك الذخائر^١.

كما أنه لا يجب أن لا يغفل أن هذه الأعمال حدثت أثناء الحرب، وان المنطقة كلها دخلت في مرحلة عدم الاستقرار، فهناك مثال جيد للوضع في جميع أنحاء شمال كُردستان نجده في منطقة مديات في أثناء الحرب وبعدها، وصفه القنصل البريطاني في أرضروم (هنري تروتر-H. Trotter) مباشرة بعد الحرب، بحسب القنصل: كانت منطقة مديات مقسمة إلى معسكرات مسلحة متنوعة، دافعت كل قرية عن نفسها، بما في ذلك القرى المسيحية، لم يكن أحد آمناً بعيداً عن قريته، كان المسيحيون والمسلمون على السواء مسلحين؛ للدفاع عن أنفسهم، أشار تروتر إلى قرية (تلمن) الأرمنية على نحو خاص، قرية -مؤلفة من مئة منزل تقريباً وتقع في سهل جنوبي غربي ماردين- وصفت القرية بأنها (مسلحة جيداً، وتصمد وحدها بين جيرانها العرب والكُرد والشركس)، كانت قرى الكُرد المستوطنين مماثلة تماماً، بكلمة أخرى (مسلحة جيداً وقد صمدت وحدها) وطبعاً، فإن حالة التأهب المتواصلة للحرب أدت إلى معارك بين المسلم

١. أن.خالفين، المصدر السابق، ص ١٠٦ .

والمسلم، وبين المسلم والمسيحي، في معرض دفاعهم عن الحاجة إلى تسليح أنفسهم أعلن الأعوات الكُرد لأحدى القرى: "كانت قوة الشرطة المكلفة بحماية المنطقة مؤلفة كاملة من أربعة رجال، وهو عدد غير كاف على نحو واضح ومضحك، كونهم يسيرون بمحاذاة إقليم حلب، وهم على احتكاك بالعرب والكُرد والشركس".^١

وقد عبر عن المزاج العام للسكان فلاح من قرية واقعة بين كوبري قبيم وزيوينز، في كُردستان إيران الواقعة على الحدود الإيرانية العثمانية، ففي مناقشات مع أحد مراسلي الروس، الذي كان عائداً من ميدان الحرب إلى قارص التي سلمها الأتراك، سأل هذا الفلاح الذي كان مهتماً فيما إذا كان السلم سيعود قريباً: "يعني أن الحرب شيء سيء؟ سأله المراسل:

-اوه، يامان يامان جاء عثمان [القائد العام للقوات العثمانية في الحرب] وأخذ حمزة، وأخذ الجميع والخيول والمال، وجاء الروس فأخذوا الشعير وأخذوا الحنطة، فماذا يمكن عمله.

-نعم لكن الروس يدفعون مبلغاً كبيراً لقاء الشعير...

-ما قيمة الفلوس؟ لم الفلوس؟ الشعير ضروري! القطعان تريد الأكل..الله الله ثم حاد إلى جانب، هازاً رأسه باستياء".^٢

لذلك من الخطأ الظن أن الأرمن، كانوا الأهداف الوحيدة للكُرد خلال الحرب، ولم يَكُن الكُرد انتقائيين إلى هذه الدرجة في اختيار ضحاياهم^٣، وقد وصف (كراتان كيري-Grattan Geary) الذي سافر إلى شمال كُردستان عام ١٨٧٨ وصف الكُرد بـ: "أنهم لطيفون وناس أشداء، ولديهم ملامح مميزة، حيث إن تعبيرهم يدل على الشر، أما نظرتهم فإنها نظرة ماكرة، ولكن ليس من السهل معرفة هذا العرق الجبلي، الذي لم يركع لأية عبودية، ويتصفون عادة بالخدا ع والقسوة"، وخلال رحلته وجد المستر كيري إن القرى المسيحية والإسلامية قد نهبت من قبل الجبليين الكُرد^٤.

وقد أورد الرائد تروتر صورة واضحة للتعايش المشترك للطوائف، التي كانت

١. جستن مكارثي، المصدر السابق، ص ٧٢-٧٣ .

٢. نقلاً عن: أن.خالفين، المصدر السابق، ص ١٠٥ .

3. MUSA ŞAŞMAZ, Op.Cit., P.5-7;

- وجستن مكارثي، المصدر السابق، ص ٧٤ .

4.G.F.DIXON-JOHNSON, THE ARMENIANS, NORTHGATE-BLACKBURN, 1916, P.17.

تسكن شمال كُردستان قبل الحرب، وماذا حدث أثناءها، ففي ٥ كانون الثاني ١٨٧٩ زار إحدى القرى الأرمنية حيث قال: "توقفت عدة دقائق في قرية مادراك في منطقة (جبججور - Chabakachur) وإذا تجمهر حولي عدد من الأرمن، واشتكووا من المعاملة السيئة لهم من الكُرد، القاطنين في المناطق المجاورة، واعترفوا بأن علاقات جيدة كانت تربطهم مع الكُرد، الموجودين في قريتهم، وكان الإمام الكُردي يقف دائماً بجانبهم، وبجانب رجل الدين الأرمني، الذي كان دائماً يتحدث باسمهم، ومن دون شك فإن المسيحيين والكُرد على حد سواء كانوا يعانون كثيراً من العصابات الكُردية المتمردة في المناطق الجبلية المجاورة، ولكن هناك العديد من القرى، التي عانى سكانها الأرمن من الاضطهاد العنيف، الذي يقوم به الأعوات من الكُرد، الذين يعدون أنفسهم السادة الإقطاعيين على الأرض، وعلى كل حال فإن الأرمن كانوا حريصين على حماية أنفسهم من أي عنف خارجي".^١

يصف هاكوب شاهبازيان أن كثيراً ما التجأ الكُرد إلى السلب والنهب، لكي يحققوا ما نسميه الآن (العدالة الاجتماعية)، فإن الكُرد الذي كان يتمرد على الدولة ويصبح شقياً ينظر إلى الكُرد والترك والأرمن نظرة واحدة، ولا يفرق بينهم على أساس العرق، أو الدين، والمذاهب، التي ليست بذى أهمية كبيرة عنده، وان ما يسلبه الكُرد يبيعه على الحدود، ثم يقوم بإرسال ثمنه إلى القرية الكُردية والأرمنية، لكي توزع هذه الأموال على الشباب، الذين يعانون من ضائقة مادية، وخاصة في مسألة الزواج، أما أموال المسروقات التي كانوا يحصلون عليها جراء هجماتهم على الكنائس، ومصادرة الأشياء الثمينة فيها، فيرسلون ثمنها إلى البيوت الفقيرة المعدمة، ليشتروا بتلك النقود الحنطة والذرة، وللتأكد من أن المبالغ المرسله وصلت إلى أصحابها كانوا يحضرون مراسم الزواج التي كانت تقام في الكنيسة، التي استعادت زينتها مجدداً، وكانوا يشاهدون آثار السعادة على وجوه الذين كانوا يتضورون جوعاً، وقبل ربع قرن من هذا الزمان - أي في منتصف ثمانينات القرن التاسع عشر - كان المدعو حمزو يتجول كشقي في مناطق كارتني، ووان، وبتليس.^٢

وعلى هذا الأساس فإن الأدلة عن حقيقة الأوضاع في هذه المرحلة ضعيفة، ولا تكفي في إثبات دعوة أن الكُرد فضلوا مهاجمة المسيحيين على المسلمين، مع كون هذا الأمر

1. Christopher J. Walker, Op.Cit., P.123.

2. Hagop Şahbazyan, A.G.E., S.113-114.

واضحاً في أنهم فضلوا اللقطة من الغني عليها من الفقير، وفضلوا أن يهاجموا الضعيف، ربما يفسر الغنى التقريبي للمجتمع الأرمني، لماذا بدا الأرمن أنهم كثيراً ما كانوا أهدافاً لحماية الأرمن من الكُرد فحسب، كما يجب ألا يظن المرء أن الكُرد هم وحدهم، الذين اشتركوا في السرقات والفوضى المدنية، فقد نقل القنصل البريطاني في طرابزون (بيليوتي-Biliotti)، في رحلة تحري عام ١٨٧٩، أن الهجمات الأرمنية على المسلمين ليست مجهولة^١، وكانت الجالية الأرمنية في زيتون معروفة بغاراتها على نحو خاص^٢.

في المقابل عندما بدأ الاندحار العثماني في شمال كُردستان خضعت المنطقة برمتها لاحتلال الروس، الذين اعتمدوا على الأرمن بشكل كبير لإدارة هذه المنطقة، الذين استغلوا هذه الفرصة، للانتقام من الكُرد ومن سكانها المسلمين عامة، وقد انتفض سكان مدينة قارص سريعاً ضد الإدارة المحلية في كانون الأول ١٨٧٨، التي كانت قد وضعتها القوات الروسية بعد احتلالها لقارص^٣.

وعند دخول القوات الروسية إلى بايزيد أُلقت القبض على مجموعة من الكُرد، يقدرهم نورمان بثلاثين فرداً، وقد مثلوا أمام محكمة عرفية حكمت بالإعدام حتى الموت على عشرين شخصاً منهم، وكان من بين هؤلاء الكُرد: أيوب أغا ابن جعفر أغا، رئيس عشيرة (زيلان) الكُردية، التي كانت تسكن الضفة اليسرى من نهر أراس^٤.

وعند احتلالها أردهان قتلت القوات الروسية عدداً كبيراً من الأهالي، تحدثت البرقيات الروسية عن (٨٠٠) جثة (تركية)^٥ على الأرض في المدينة، وعملت (اردميش) بطريقة مماثلة، كما نهبت القرى خارج اردهان، وحين استولى الروس على أرضروم استغل أرمن المدينة الحكم المسيحي للإساءة إلى المسلمين والكُرد، أدرك الروس ذلك، وبذلوا جهداً في أن يعاقبوا الأرمن المذنبين، وحقيقة أن قائد قوة شرطة أرضروم، الذي عينه الروس كان أرمينياً، لا بد من أنها سببت خشية معينة عند الكُرد

١. جستن مكارثي، المصدر السابق، ص ٧٥.

٢. المصدر نفسه، ص ٧٦.

3. MUSA ŞAŞMAZ, Op.Cit, P.6.

4. G. B. NORMAN, Op.Cit., P.251-252.

٥. من الجدير بالذكر هنا بان مصطلحات (التركي، والعثماني، والمسلم) كان يطلق على سكان الإمبراطورية العثمانية بغض النظر عن قومياتهم.

والمسلمين. كتب القنصل البريطاني في طرابزون أن (٦٠٠٠) أسرة مسلمة فرت من أرضروم مع نهاية صيف عام ١٨٧٨، وأنه إذا بقي الروس فسوف يفر المسلمون المتبقون أيضاً، علق السفير لايارد: " كما انه ليس هناك شك في أن الأرمن استفادوا من الحماية التي تلقوها، حين احتل الروس أرضروم، ليتحرشوا بالسكان المحمديين، ويعاملوهم بقسوة ويهينوهم، فانه ليس من المألوف أن [لا] يلجأ المسلمون إلى الثأر لأنفسهم بعد رحيل حماتهم"، وبالتالي كان هناك من الأسباب ما يكفي للظن بأن مسلمي أرضروم سيثأرون حينما عادت المدينة إلى العثمانيين بعد معاهدة السلام، وقد قدرت المصادر العثمانية أن (٦٠٠٠٠) من الكرد كانوا قد فروا إلى عمق الأراضي العثمانية نحو الغرب أثناء الحرب^١.

كما أثبت التحقيق الذي قام به اللورد (سالسبوري-Salisbury)، وزير خارجية بريطانيا أن هجمات الكرد أثناء الحرب لم تكن منظمة وموجهة ضد الأرمن فقط، عكس الأعمال الأرمنية عند احتلال الروس لشمال كردستان حيث أثبتت أن الأعمال الأرمنية كانت أكثر دقة وتنظيماً، وفي أغلبها كانت ضد الكرد^٢.

يظهر في هذه الحرب، أن الكرد والأرمن حارب بعضهم بعضاً لأول مرة كمجموعات كبيرة، فقد ترك الأرمن انحيازهم المعروف للدولة العثمانية منذ القدم، وولوا وجوههم صوب الإمبراطورية الروسية، التي عقدوا عليها الآمال لتأسيس دولة لهم في شمال كردستان^٣؛ وتعد هذه الحرب الخطوة الأولى في التقارب الكردي التركي، هذا إذا ما علم أن الكرد والأتراك لم يكونوا أبداً مقربين من بعضهما، يقول كراج: "ولأشهر طويلة، ولربما لسنوات أعلن الرؤساء الكرد حالة حرب مفتوحة ضد الباشاوات الأتراك"^٤؛ لذا فإن موقف الأرمن هذا قد أجبر الكرد على الانحياز إلى الأتراك بعد ذلك، لتوقعهم بأن روسيا ستفضل الأرمن على الكرد، إذا ما وقعت كردستان تحت السيطرة الروسية، كما فعلت في القوقاز باعتمادها على العناصر المسيحية هناك، وقد أثبتت وقائع الحرب بعد الاحتلال الروسي لشمال كردستان صواب وبعُد نظرة الكرد إلى الأمور المحيطة بهم.

١. جستن مكارثي، المصدر السابق، ص ١٣٠-١٣٣.

2. MUSA ŞAŞMAZ, Op.Cit, P.5.

3. Garo Sasuni, A.G.E., S.95.

4. JAMES CREAGH, Op.Cit., P.175.

ب- معاهدتا سان ستيفانو وبرلين ١٨٧٨ :

انتهت الحرب الروسية العثمانية، بعقد هدنة أدرنة في ٢١ كانون الثاني ١٨٧٨؛ ثم أجرى الطرفان مفاوضات سرية تكلفت بعقد معاهدة عرفت بـ(سان ستيفانو-San Stefano) وقعا عليها في ٣ آذار ١٨٧٨، وقد حرص الأرمن عن طريق بطريكهم في استانبول نرسييس، الذي زار القائد الأعلى للجيش الروسي في سان ستيفانو الدوق نيقولا، وأرسل عريضة إلى القيصر الروسي الاسكندر الثاني نفسه في ١٣/٢/١٨٧٨، على كسب التعاطف الروسي لتحقيق الهدف الأرمني، بإقامة دولة لهم في الأناضول^١، ولكن أقصى ما أعطاه قيصر روسيا للأرمن هو إدراج مادة خاصة بهم، في معاهدة سان ستيفانو، هي المادة السادسة عشرة، وقد تضمنت حقوق الأرمن في الدولة العثمانية^٢، وهكذا ظهرت المسألة الأرمنية كجزء لا يتجزأ من المسألة الشرقية^٣.

وبموجب بنود معاهدة سان ستيفانو احتفظت روسيا بمناطق: باطوم، واردهان، وقارص، والاشكيرد، بحسب (المادة ١٩ ب)، وقد تقرر ألا تجلو القوات الروسية عن سائر الأراضي المحتلة في شمال كردستان، إلا بعد تنفيذ الإصلاحات المنصوص عليها في المادة السادسة عشرة، ونصها يقول: "بما أن جلاء القوات الروسية عن المقاطعات التي تحتلها في (أرمينيا)، والتي ستعاد إلى تركيا، قد يؤدي إلى نشوب نزاعات وتعقيدات تضر بالعلاقات الطيبة القائمة بين الدولتين، لذلك يتعهد الباب العالي، دونما تأخير، بإجراء التحسينات والإصلاحات، التي تقتضيها الظروف المحلية في المقاطعات التي يقطنها الأرمن، وبضمان سلامتهم من خطر اعتداءات الشراكسة والكرد"^٤.

لكن ردة فعل الدول الغربية على انتصارات روسيا سرعان ما بددت الأمل الروسي في السيطرة على هذه المناطق، عن طريق المادة السادسة عشر، فكادت أن تدخل

1. SALAHI RAMSDAN SONYEL, THE OTTOMAN ARMENIANS..., P.47-48.

٢. ارنولد ج. توينبي، من الملخص التاريخي: معاملة الأرمن في الإمبراطورية العثمانية في عامي ١٩١٥-١٩١٦، في: مجموعة مؤلفين، مختارات من بعض الكتابات التاريخية حول مجازر الأرمن عام ١٩١٥، ترجمة: خالد الجبيلي، سوريا، ١٩٩٥، ص٢٦؛ ك.ل. استارجيان، تاريخ الأمة الأرمنية، الموصل، ١٩٥١، ص٢٧٧.

3. Garabet K. Moundjian, Op.Cit.

٤. نقلاً عن: هراج داسبنديان، المصدر السابق، ص ١٠.

بريطانيا في حرب ضد الروس، على خلفية إعلان نبأ معاهدة سان ستيفانو^١، حيث أكد لايارد لحكومته مراراً بأن سيطرة روسيا على مدن ومناطق بايزيد، وباطوم، واردة، وأرضروم، سيعرض المصالح البريطانية في الهند إلى خطر كبير، من خلال سيطرة روسيا على الطرق البرية المؤدية إلى الهند، وسيترك الاحتلال الروسي لها أثراً سلبياً على المسلمين في آسيا الوسطى والهند، كما أن سيطرة روسيا على بعض المدن في شمال كردستان، وعلى السواحل الجنوبية للبحر الأسود، سيعرض كل آسيا الصغرى إلى خطر كبير، ويجعلها تحت قبضة روسيا القيصرية عند اندلاع أي حرب مستقبلية^٢، لذلك بادرت بريطانيا إلى وقف التوسع الروسي، باتجاه كردستان وقلب الأناضول، باستخدام جميع السبل لمنع مثل هذا التوسع^٣، ولكن دخول (بسمارك-Bismark) مستشار ألمانيا (١٨٧١-١٨٨٩) على الخط، وتمكنه من إقناع الطرفين بعقد مؤتمر دولي لحل هذه الإشكالية، حال دون تلك الحرب، وبالفعل عقد من أجل ذلك مؤتمر في برلين، بحضور الدولة العثمانية و أغلب الدول الأوروبية الكبرى وهي: (ألمانيا، وبريطانيا، وفرنسا، وإيطاليا، وروسيا، والنمسا-هنغاريا)^٤، وفيه تم إدراج مادة بخصوص الأرمن، وضرورة القيام بإصلاحات في المناطق التي يقطنونها في الدولة العثمانية^٥.

كان لوضع المادة (١٦) في سان ستيفانو أن أعطت الأرمن تشجيعاً كبيراً، خصوصاً عندما سمعوا بان بنود سان ستيفانو، ستعاد مناقشتها في مؤتمر برلين، ولهذا قاموا بدعاية كبيرة لإقناع الدول الأوروبية، وعلى رأسها بريطانيا أن تتبنى قضيتهم، وان يضعوها على مستوى قضية مسيحي البلقان، وقد هدد البطريرك الأرمني نرسييس السفير البريطاني في الدولة العثمانية هنري لايارد في ١٧ آذار ١٨٧٨، بأن الأرمن سيضعون أنفسهم بأيدي الروس، إذا لم يحصلوا على ما قد طلبوه من خلال تدخل

1. SALAHI RAMSDAN SONYEL, THE OTTOMAN ARMENIANS..., P.47-48.

2. No.50, Mr. Layard to the Earl of Derby, CONSTAINPLE, December 4,1877, in: (B.Ş.B.D.O.A), VOL: I, P.135-140.

3. TAHA NIYAZI KARACA, ERMENI SORUNUNUN GELIŞİM SÜRECİNDE YOZ-GAT'TA TÜRK ERMENI İLİŞKİLERİ, ANKARA, 2005, S. 77.

٤. لقد وصف قيصر روسيا اسكندر الثاني (١٨٥٥-١٨٨١) هذا المؤتمر، بأنه: "تحالف أوروبي تحت زعامة الأمير بسمارك ضد روسيا". ينظر: هـ.أ.ل.فيشر، المصدر السابق، ص ٣٨٩.

5. SAMUEL M. ZWEMER, THE MOSLEM WORLD, VOL:I, New York, 1920, P.341-342;

- جان شرف، المصدر السابق، ص ١٤٩.

أوروبا، وقد أيد نرسييس نفسه علناً انفصال (أرمينيا) عن الإمبراطورية العثمانية، ووجه رسالة بهذا المعنى إلى بسمارك وزعماء آخرين، وأخبر السفير البريطاني لايارد بمخططه، لكن لايارد أخبره بأن في أرمينيا أكثرية سكانية ساحقة من المسلمين، لكن نرسييس طمأنه بأن المسلمين سيكونون سعداء إذا حكمهم الأرمن¹.

في الوقت الذي كان البطريرك نرسييس يلح على لايارد وسالسبوري، ليقوموا بخطوة جريئة في دعم الأرمن، بدأ بحملة في العواصم الأوروبية، ليحرك المتعاطفين مع الأرمن، لكي يؤثروا على مقررات مؤتمر برلين، ولذا قرر أن يرسل وفداً مؤلفاً من البطريرك الأرمني خرميان هايرك، و(هورين ناربي-Horen Narby)، و(منيز سيراز-Minez Ceraz)، و(استفان بابازيان-Istephan Papazian) مترجماً، وكاتب إلى العواصم الأوروبية، وزار الوفد سانت بطرسبيرغ، وروما، وباريس، ولندن، وبرلين، واستقبلوا رسمياً في جميع هذه العواصم، وتم الاستماع إليهم، وأخذوا وعوداً في دعم قضيتهم في المؤتمر المزمع عقده في برلين، وكان الوفد الأرمني في سفراته تلك إلى العواصم الأوروبية يحاول كسب الرأي العام الشعبي في تأييد قضيته²، ففي بريطانيا مثلاً وصل وفداهم إلى عاصمتها لندن في ٩ نيسان ١٨٧٨، وبقوا فيها حتى قبل أيام قليلة من عقد مؤتمر برلين³، قاموا خلالها بكتابة المقالات في الصحف البريطانية، وحاضروا في أماكن عديدة، لبيبنوا معاناة هذا الشعب في الدولة العثمانية، وما يلاقه من معاملة سيئة على يد الشركس والكرد⁴، وقد تمت مناقشة المسألة الأرمنية لأول مرة في مجلس العموم البريطاني في جلسات شهر حزيران ١٨٧٨، وكان من أبرز المساندين لقضيتهم هو عضو المجلس (جيمس برايس-James Bryce)⁵.

إن نظرة أولى إلى تحركات الأرمن، على الصعيد الدولي للتأثير على مقررات مؤتمر

1. No.64, Mr. Layard to the Earl of Derby, CONSTAINPLE, March 18,1878, in: (B.Ş.B.D.O.A), VOL: I, P.159-161; ALIŞAN AKPINAR, EUGENE L.ROGAN, AŞİRET MEKTEP DEVLET, ISTANBUL, 1996, S.63-64.
2. NURŞEN MAZICI, ULUSLARARASI REKABETTE ermeni sorunu'nun kökeni 1878-1920, 3 Baski, Istanbul, 2007, S.13; MUSA ŞAŞMAZ, Op.Cit., P.7-9.
3. SALAHI RAMSDAN SONYEL, THE OTTOMAN ARMENIANS..., P.51.
4. MUSA ŞAŞMAZ, Op.Cit., P.7-9
5. ARMAN J.KIRAKOSSIAN, British Diplomacy and the Armenian Question: From the 1830s to 1914, Princeton and London, 2003, P.75; MUSA ŞAŞMAZ, Op.Cit., P.7-9.

برلين، وجعل الدول الكبرى تتبني فيها المسألة الأرمنية، وزيارة الوفد الأرمني لأغلب العواصم الأوروبية الكبرى، واجتماعهم بالساسة الأوربيين، وعقدتهم للمؤتمرات، وقيامهم بنشر قضيتهم في الصحافة العالمية آنذاك، يمكن عدّه أكبر حملة تشهير بالشعب الكردي في تاريخهم الحديث والمعاصر، فلم يكن الكرّد قد تعرضوا لهذا النوع من التشهير، على مر تاريخهم الطويل في المنطقة، والغريب أن هذا التشهير حدث على يد الأرمن، الذين عاشوا مع الكرّد أزمانٍ طويلة من التاريخ، وكان من البديهي أن الوفد الأرمني في زيارته تلك لم يهاجم المسؤولين الأتراك أو الدولة العثمانية، بقدر مهاجمتهم للكرّد ووصفهم بأنهم بعيدون عن كل ما يمت إلى الإنسانية بصله، بدليل ما ورد في نص المادة الواحدة والستين، من معاهدة برلين- التي سيأتي الحديث عنها لاحقاً- من أن الإصلاحات الأرمنية في شمال كردستان، أو (أرمينيا الغربية) استندت على أساس الخوف من الكرّد والشركس، وليس أي شيء آخر، وبالتالي كان الأرمن بمثابة البوابة، التي عرّفت الكرّد للعالم المتحضر في أوربا، لذلك فإن الساسة الأوربيين كانوا يحكمون مسبقاً على تصرفات الكرّد، في أية قضية بعد ذلك حتى ما بعد الحرب العالمية الأولى، على أنهم من أهم عناصر الشغب والقلق في المنطقة.

ومن المفيد قبل الدخول في تفاصيل مشروع الأرمن الذي قُدّم إلى مؤتمر برلين، القول هنا إن بريطانيا قد عقدت معاهدتين سريتين مع كل من روسيا والدولة العثمانية، حيث سمحت بريطانيا لروسيا في المعاهدة التي وقعت بينهما في ١٨٧٨/٥/٣٠، بأن تحتفظ بمدن باطوم، واردةهان، وبايزيد، على أن تنسحب من الأراضي المحتلة الأخرى^١، ومن جانب آخر وقعت معاهدة سرية مع الدولة العثمانية في ١٨٧٨/٦/٤، سميت بمعاهدة قبرص أو (الحلف الدفاعي بين بريطانيا والدولة العثمانية)، تعهدت فيها بريطانيا بالدفاع عسكرياً عن الدولة العثمانية ضد أي خطر يهدد آسيا الصغرى مستقبلاً، وإجبار روسيا على الانسحاب من جميع الأراضي التي احتلتها في شمال كردستان، بما فيها باطوم، واردةهان، وبايزيد، مقابل إعطاء الدولة العثمانية جزيرة قبرص لبريطانيا، لتقوم هي بدورها بتحويلها إلى قاعدة عسكرية تكون بمثابة الخط الدفاعي الأول ضد التوسع الروسي في المنطقة^٢، فقد نصت المادة الأولى من حلف

1. SALAH RAMSDAN SONYEL, THE OTTOMAN ARMENIANS..., P.38

2. ARMAN J. KIRAKOSSIAN, Great Britain and the Armenian Question, in: THE AR-MENIAN MASSACRES 1894-1896..., P.26.

الدفاع المشترك (قبرص) ب:" إن احتفظت روسيا بباطوم وقارص واردةان أو بأي واحدة منها، وان جرت أية محاولة في المستقبل من قبل هذه الدولة للاستيلاء على أي مساحات أخرى في آسيا، تعود تابعيتها لصاحب الجلالة الإمبراطورية السلطان، وبالشكل الذي تم تحديده وتثبيتته في معاهدة السلام فان بريطانيا تتعهد بالانضمام إلى جلالة السلطان في الدفاع عنها بقوة السلاح، وبمقابل ذلك فإن صاحب الجلالة الإمبراطورية السلطان يتعهد لبريطانيا بمباشرة الإصلاحات الضرورية التي سيتفق عليها فيما بعد بين الدولتين، ومن أجل مساعدة بريطانيا على إتخاذ التدابير الضرورية لتنفيذ تعهداتها الدفاعية فإن صاحب الجلالة الإمبراطورية السلطان يقبل أيضاً بالسماح لبريطانيا بإشغال جزيرة قبرص وإدارتها"¹، وهذا يدل على أن القضية هنا في الأساس هي صراع دولي على مناطق النفوذ في الشرق الأوسط، وليس الاهتمام بمصالح شعوب المنطقة، فمن جهة وعدت بريطانيا الدولة العثمانية بإرجاع كافة مناطقها التي احتلتها روسيا، مقابل التخلي لها عن جزيرة قبرص، ومن جهة أخرى وافقت بريطانيا على الاحتلال الروسي لمناطق اردهان وقارص وباطوم على أن تنسحب من الأراضي الأخرى.

قدم الأرمن إلى مندوبي مؤتمر برلين، الذي عقد في ١٣ حزيران ١٨٧٨، مشروعين بشأن مسألتهم في الدولة العثمانية، أو الحكم الذاتي الأرمني في شمال كردستان، كان المشروع الأول هو الذي قدمه خرميان هايريك رئيس الوفد الأرمني إلى برلين، وكان يتكون من سبعة بنود:

في البند الأول: تناول الممثلون الخريطة السياسية لـ(أرمينيا التركية) التي تبدأ من ولايتي أرضروم ووان شرقاً لتصل إلى نهر الفرات غرباً، ومن ميناء (ريزه-Rize) بين طرابزون وباطوم شمالاً، حتى سيرت وخربوط جنوباً، وبهذا أُدخلت معظم شمال كردستان إلى هذا الكيان الأرمني، كما حدد هذا البند أيضاً وجوب أن يكون والي أو محافظ (أرمينيا التركية) (أرمنياً) يعينه الباب العالي، على شرط موافقة الدول الكبرى عليه، ويكون مقر والي أرمينيا في مدينة أرضروم. وتناول هذا البند بعد ذلك صلاحيات والي أرمينيا، الذي يجب أن يتمتع بصلاحيات كاملة، مثل: حفظ النظام، وجمع

1.Ibid;

- وديع جويده، المصدر السابق، ص ٥٥ .

الضرائب، وتعيين الضباط، والإداريين والقضاة، ويكون هو على رأس الجمعية العامة التي سينتخبها سكان الإقليم، وعلى أن تخصص مدة خمس سنوات لمن يشغل هذا المنصب. كما بحث هذا البند أيضاً التقسيم الإداري لـ(أرمينيا التركية) والجمعية العامة^١.

أما البند الثاني: فقد أكد على أن عائدات الإقليم الأرمني المالية ستعود (٨٠٪) منها إلى الإقليم نفسه، أما (٢٠٪) الباقية فستقدم إلى استانبول، وذلك لان جميع الالتزامات، والواجبات في الإقليم ستكون من مهمة الإدارة فيها، وليست من مهمة السلطات العثمانية. وتناول البند الثالث: مؤسسة القضاء وتعين المشرف العام عليها من قبل حكومة استانبول، كما يحق للوالي الأرمني أيضاً تعيين قضاة حسب حاجة الإقليم^٢.

وتحدث البند الرابع: عن إعطاء الحريات الدينية، وحرية المعتقد لكافة الطوائف فيها. وتناول البند الخامس: (قوة الأمن العام) وجاء فيها: "إن قوة الأمن العام يجب أن تتشكل من الجندمة والمتطوعين[الميليشيا]. الميليشيا يجب أن تتشكل من الأرمن، والأفراد الذين عاشوا في المنطقة لمدة خمس سنوات، وتستثني من هذه القوات الكرد، والشركس، والعشائر البدوية الأخرى"، وتكون الجندمة-القوة العسكرية التابعة لاستانبول- مسؤولة عن حفظ النظام والأمن، في جميع أنحاء الإقليم الأرمني، ويجب أن يترأسهم قائد يعينه المحافظ أو الوالي العام مع موافقة قائد القوات العسكرية العثمانية. أما الجنود المتطوعون (الميليشيا) فيجب أن تكون تحت قيادة قائد القوة العسكرية التابعة للإقليم، ومهمتهم دعم وإسناد قوة الجندمة، وأما فيما يخص قوات الشرطة فيجب أن تتكون من (٤٠٠٠) شرطي، وان الحكومة العثمانية ليس لها الحق في إرسال هذه القوات إلى أي من المناطق الأخرى البعيدة عن الإقليم^٣.

أما البند السادس: فَحُصَّصَ للجمعية العامة للإقليم الأرمني، ووردت فيها تفاصيل حول كيفية انتخاب هذه الجمعية، ونسبة الأرمن والمسلمين التي ستُكوّن هذه الجمعية. وذكر البند السابع: أن على الدول الكبرى تشكيل لجنة دولية خلال ثلاثة أشهر من توقيع الاتفاقية لتنفيذ الإصلاحات الواردة في المقترحات الأرمنية السابقة، وأخيراً أرفق الممثلون الأرمن إحصائية لسكان الإقليم وكانت نسبة المجاميع السكانية فيها على النحو

1. KAMURAN GÜRÜN, THE ARMENIAN FILE, ISTANBUL, 2007, P.127-128.

2. Ibid .129.

3. Ibid, P.130-131.

الآتي: الأرمن (١٣٣٠٠٠٠)، الأتراك (٥٣٠٠٠٠)، الكرد (١٢٠٠٠٠)، أخرى (٨٢٠٠٠).^١ إن مجرد إيراد هذه النسب السكانية في المقترحات الأرمنية يظهر مدى الغبن الذي كان الأرمن يريدون إلحاقه بالكرد، فقد أبعد برنامجهم الكرد عن الإدارة والشرطة والجيش، وعن كل شيء في هذا الإقليم، الذي حاول الممثلون الأرمن فيها رفع نسبتهم السكانية مقارنة بالكرد، وإذا كان الكرد فعلاً صاحب هذه النسبة السكانية الصغيرة جداً مقارنة بالأرمن، فكيف لهم أن يضطهدوا الأرمن بالأشكال والصور التي وصفتها شكاويهم للدول الكبرى. ولم تمر إلا مدة قصيرة من الزمن، لا تتجاوز عدة أشهر حتى عرف القناصل والساسة البريطانيون، في شمال كردستان والدولة العثمانية، المبالغة الكبيرة لتلك الإحصائية التي قدمتها البطريركية الأرمنية إلى مؤتمر برلين^٢، وإلقاء الضوء على المساحة التي ضمها الممثلون الأرمن إلى إقليمهم نورد هنا مساحة كل ولاية على حدة، وإن مساحة البعض منها تساوي مساحة بعض الدول الأوروبية الصغيرة في غرب القارة الأوروبية، وقد كانت على هذه الشاكلة:

١- ولاية ارضروم: (٥٢٠٠٠ كم مربع).

٢- ولاية وان: (٣٧٠٠٠ كم مربع).

٣- ولاية بتليس: (٢٧٠٠٠ كم مربع).

٤- ولاية دياربكر: (٤٢١٠٠ كم مربع).

٥- ولاية معمورة العزيز (خربوط-الازيغ): (٣٢٩٠٠ كم مربع).

٦- ولاية سيواس: (٦٠٣٠٠ كم مربع).

المجموع: (٢٥١٤٠٠ كم مربع)^٢.

والمشروع الثاني هو الذي قدمه (نوبار باشا-Nubar Paşa) الذي كان أحد مستشاري

1. Ibid, P.131-132.

٢. أكد هنري تروتر قنصل كردستان في رسالة له إلى وزير خارجية بريطانيا سالسبيري، بتاريخ ١٨٧٩/٧/١٥، على أن هناك اختلافاً كبيراً بين الإحصائيات التي قدمتها البطريركية الأرمنية إلى مؤتمر برلين، وبين الإحصائيات التي أوردها القنصل البريطاني السابق في ارضروم تايلور والتي تعود إلى عام ١٨٦٩. حول هذا الأمر ينظر:

-No.235, Major Trotter to Marquis of Salisbury, ERZEROUM, July 15, 1879,in:

(B.Ş.B.D.O.A), VOL: I, P.483-485.

3. Bilâl N.ŞimŞir, KÜRTÇÜLÜK 1787-1923..., S.155.

خديوي مصر آنذاك، وهو والد بوغوص باشا الذي مثّل الأرمن في مؤتمر الصلح في باريس عام ١٩١٩- وكانت تشبهه في مضامينها أغلب فقرات مشروع خرميان للحكم الذاتي الأرمني، إلا أن الاختلاف بين المشروعين ينحصر في أن نوبار باشا ذكر بوجود مشاركة الجميع في القوات التي ستتشكل لحفظ النظام والأمن في هذا الكيان الجديد، ومن ضمنهم الكرّد والشركس، باعتبارهما غالبية المسلمين هناك، ويجب أن تؤسس هذه القوات على أساس وطني، دون التفرقة بينهما لاعتبارات دينية، أو عرقية^١.

إلا أن الدول الكبرى المجتمعمة في برلين لم توافق على إدراج أي من المشروعين الأرمنيين ضمن بنود معاهدة برلين، التي وقّع عليها في ١٣ تموز ١٨٧٨، بل اكتفت فقط بتخصيص بند للمسألة الأرمنية في الدولة العثمانية، وهو البند الواحد والستون، وقد نص على أن: "يتعهد الباب العالي القيام ودون إبطاء بتحقيق الإصلاحات التي تقضيها ظروف المقاطعات المحلية، التي يقطنها الأرمن، وضمان سلامتهم ضد الشركس والكرّد، وسيقدم الباب العالي إلى الدول التي كلفت بمراقبة عملية تنفيذ هذه النصوص بيانات دورية بالخطوات التي ستنفذ بهذا الخصوص"^٢.

وقد دافع المندوب العثماني (صفوت باشا) عن الأرمن في المؤتمر، ووعد الدول الكبرى بحماية الأرمن من الكرّد والشركس، وقد أظهر صفوت باشا الأتراك على أنهم القوة الثالثة إلى جانب روسيا، والدول الغربية المدافعة عن الأرمن، وأنه ليس هناك شيء ما بين الأرمن والأتراك، وأن علاقاتهم على خير ما يرام^٣.

إن الفرق بين هذه المادة الجديدة (٦١) عن المادة القديمة (١٦)، في سان ستيفانو يتبين من ثلاث نقاط رئيسة أولها: إن انسحاب القوات الروسية لم يعد مشروطاً بتحقيق الإصلاحات. ثانيها: إن تحقيق هذه الإصلاحات لم يعد خاضعاً للرقابة الروسية فقط، بل لمجموعة من الدول. وثالثها: هذا الفارق الأخير ليس متأتياً من نص المادة، بل من الأشغال التمهيديّة في حين كانت الإصلاحات المنصوص عنها في المادة (١٦) من معاهدة سان ستيفانو تقتصر- بناء على طلب الأرمن- على المقاطعات التي يشكلون فيها الأكثرية- حسب قولهم- وهي موش، ووان، وأرضروم مثلاً، فإن المادة

1. MUSA ŞAŞMAZ, Op.Cit., P.15; SALAHI RAMSDAN SONYEL, THE OTTOMAN AR-MENIANS..., P.51.

٢. بول أميل، المصدر السابق، ص ٤٣-٤٤.

3. Garo Sasuni, A.G.E., S.96-97.

(٦١) من معاهدة برلين لم تتضمن أي تخصيص من هذا القبيل، ولما كان ثمة أرمن يقطنون في معظم أنحاء الأناضول فقد كان للأتراك الحق قانونياً بالإدعاء بأن انجاز الإصلاحات المقترحة، من شأنها أن تهدد سيادتهم، في أهم قسم من إمبراطوريتهم^١. لم يكن الوفد الأرمني الذي حضر إلى مؤتمر برلين سعيداً بهذه النتيجة، وخرجوا وهم يحملون أفكاراً أنهم لم يحققوا إلا الشيء القليل، وان المسألة الأرمنية لم تحظ إلا بانتباه واهتمام قليل. كما عدّ الوفد الأرمني المادة (٦١) غير ملبية لتطلعاتهم القومية، وفي نفس يوم توقيع المعاهدة، في ١٣ تموز نشروا احتجاجاً رسمياً ضد مقررات المؤتمر بخصوص مسألتهم، جاء فيها: "يعبر الوفد الأرمني عن أسفه بان طلباته المشروعة والمعتدلة...لم تتم الموافقة عليها من قبل المؤتمر، وقد أدرك الأرمن بأنهم خدعوا، وان حقوقهم لم يتم الاعتراف بها، لأنهم كانوا مسالمين..."^٢.

ولما عاد خرميان هايريك (أبو الأرمن)، رئيس الوفد الأرمني من مؤتمر برلين قال: "لقد طبخت الحرية في برلين، ولكننا لم نتمكن من أكلها بملعقة من الورق، لا ترجوا يا أولادي أي أمل من الأجانب، ودبروا أموركم بأنفسكم"، فكان هذا القول نذيراً للثورة عند الأرمن^٣، وعندما سألت الجمعية الوطنية الأرمنية البطريرك نرسيس، عن توضيح نتائج مؤتمر برلين، وأسباب عدم الموافقة على مقترحات الوفد الأرمني؟ أجابهم ببلاغ مكتوب تم قراءته في مقر الجمعية في استانبول بتاريخ ٢١ تموز، وجاء فيه: "إذا لم يكن هنالك أي شيء يؤسف له حول المادة (٦١) من معاهدة برلين، فإنها تؤجل حل مشكلاتنا، وإنها لا تحقق آمال الشعب، ولا تعطينا أية مكافئة للمستقبل، ولكن أي شعب حصل على تطلعاته؟ دعونا نواصل عملنا الذي بدأناه، وان هذا العمل لا يمكن انجازه في يوم واحد، أو من قبل شخص واحد، دعونا نتهياً للمستقبل، دعونا نذهب إلى أرمينيا، ودعونا نرسل أولئك المثقفين ورجال الدين إلى أرمينيا، لندعوا معلمينا وشبابنا للذهاب إلى أرمينيا..."^٤، كما أن نرسيس نفسه قدم استقالته من منصب البطريرك العام للأرمن، بسبب أن الأرمن، وكما قال بنفسه للسفير البريطاني لايارد، يدعونه الآن بالخائن، لان الوفد الأرمني لم يستطع إدراج

١. بول أميل، المصدر السابق، ص ٤٤ .

2. SALAH RAMSDAN SONYEL, THE OTTOMAN ARMENIANS..., P.55.

٣. ك. ل. استاريجيان، المصدر السابق، ص ٢٧٩ .

4. SALAH RAMSDAN SONYEL, THE OTTOMAN ARMENIANS..., P.56.

المقترحات الأرمنية ضمن بنود مؤتمر برلين، ولم ترد اسم أرمينيا في المعاهدة أصلاً، إلا أن لايارد أقنعه بالعدول عن هذا الأمر وسحب استقالته^١، وفعلاً لم يستقل نرسييس من منصبه وبقي بطيريكاً عاماً للأرمن حتى عام ١٨٨٤ كما هو معروف. أما منير سيران الذي رافق خرميان إلى برلين، وكان له أثرٌ لا بأس به في البطيركية الأرمنية وجماعته الدينية فقد نشر كراساً بعنوان (مدح معاهدة برلين)، وكتب أن المعاهدة كانت أكثر تحقيقاً لمنافع الأرمن من معاهدة سان ستيفانو، لأنها قد وضعت أسس الدولة القومية الأرمنية المستقبلية، وإن الإصلاحات التي ستقدم في تركيا الآسيوية ستكون في يوم من الأيام مؤدية إلى الحكم الذاتي الأرمني، وفي الختام قال إن المادة (٦١) من معاهدة برلين هي: "منجم ذهب قد أعطي إلى الأرمن، وأن عليهم استخراج الذهب"^٢.

وقال المؤرخ الأرمني بصطرمجيان في كتابه (تاريخ أرمينيا)، عن المادة الواحدة والستين بأنها تمثل: "حقاً بالنسبة للأرمن، والتزاماً بالنسبة لتركيا، وواجباً بالنسبة لأوروبا"^٣.

وقد شبّه عدد من الأرمن بعد ذلك الجهد الأرمني الكبير للترويج لمسألتهم، وكيفية استجابة الدول الكبرى في برلين لمطالبهم بـ(الجبل الذي ولد فأرة)^٤.

وبهذا شكلت هذه المادة والمحادثات التي أجريت في برلين مرحلة أخرى من مراحل ازدياد الهوية والفجوة بين الشعبين الكردي والأرمني، وجعلهما في المستقبل القريب في مواجهة بعضهما ولأول مرة في تاريخهما.

يذكر هاكوب شاهبازيان أن الانفصال العام بين الكرد والأرمن في النصف الثاني من القرن التاسع عشر كان سببه التفكير القومي للأرمن، وقد فهم الكرد هذا الأمر على أنه خيانة^٥. أما عن المادة (٦١) فيقول شاهبازيان: "...كان الكرد مهمشين فيها، وإن هذا التهميش أحدث تغييرات [خلافات] فيما بينهم، وعند النظر إلى هذه المادة يتبين أنها كانت منحازة إلى الأرمن، وكانت في الأساس لعبة دبلوماسية أوربية، وإن هذه الدبلوماسية أدت بمرور الوقت إلى مواجهة شعب لآخر في المنطقة [أي: الشعبين الكردي والأرمني]"^٦.

1.No.138, Sir A. H.Layard to Marquis of Salisbury, PERA, January 7, 1879, in:

(B.Ş. B.D.O.A) VOL: I, P.297-298.

2. SALAHI R.SONYEL, MINORITIES AND THE DESTRUCTION..., P.286-287.

٣. نقلاً عن: هراج داسنايديان، المصدر السابق، ص ١٢.

4.Bilâl N.Şimşir, KÜRTÇÜLÜK 1787-1923..., S.157.

5.Hagop Şahbazyan, A.G.E., S.84-85.

6. A.E., S.114-116.

كما أن أبرز ملاحظة تؤخذ على معاهدة برلين هي تصنيفها للسكان الذين يعيشون في كُردستان، فقد صنفتهم إلى صنفين، الصنف الأول: وهم الطيبون والصالحون والمساكين وهم الأرمن، أما الصنف الثاني: فهم السيئون واللصوص والمعتدون وهم الكُرد والشركس¹؛ وكان من الأجدر بالدول الكبرى المجتمعة في برلين بتحديد (الكُرد المعتدون) على الأرمن بشكل أدق وأعمق، وإبعادها عن صفة العمومية، فانه بمجرد إيراد حمايتهم من الكُرد، حتى وضعت الكُرد في كُردستان، جميعهم من الشرق إلى الغرب ومن الشمال إلى الجنوب، جميع الكُرد (الكرمانج، والسوران، واللور، والزازا)، كلهم على أنهم أشرار ومعتدون، وصنفت الأرمن على أنهم كلهم صالحون ويتعرضون لهجمات الكُرد، في حين يعلم الجميع أنه ليست هناك أمة على وجه الأرض سيئون كلهم أو مجرمون كلهم، وليست هناك بطبيعة الحال امة ليس بينهم سيء أو صالح!!؟

1. Bilâl Nşimşir, KÜRTÇÜLÜK 1787-1923..., S.154.

ثانياً- الإصلاحات الأرمنية الأولى ١٨٧٨-١٨٨١

لم يبحث في مؤتمر برلين عن الخطوط العريضة والأساسية الخاصة بمرافق الحياة العامة، التي تحتاج إلى الإصلاح في المناطق التي يعيش فيها الأرمن، لذلك ترك هذا الأمر للاجتهادات العثمانية وبمشورة الدول الكبرى وعلى رأسها بريطانيا، حسب ما نص عليه بروتوكول معاهدة قبرص بين الدولة العثمانية وبريطانيا؛ لذا طلب اللورد سالسبوري وزير خارجية بريطانيا من الحكومة العثمانية المباشرة في تطبيق الإصلاحات الواردة في معاهدة برلين، وقد جاء هذا الطلب في مذكرة أرسلها إلى لايارد السفير البريطاني في استانبول في ٨ آب ١٨٧٨ تضمنت:

١-تشكيل جندرمة في المحافظات الآسيوية، ينظمها ويقودها الأوربيون.

٢-إنشاء محاكم مركزية في عدد معين من المدن المهمة، يكون لها سلطة قضائية على المحاكم الدنيا، وعلى أن يكون في واحد منها أوربي متخصص في القانون، والذي تعد موافقته ضرورية في كل قرار.

٣-يعين السلطان جامعاً للضرائب في كل ولاية أي: موظفاً، يقوم بحساب العوائد للمحافظة، ويقوم أيضاً بإلغاء ضريبة العشر، وتقديم خطة للبناء لمدة عشر سنوات ويجب أن يكون هذا الموظف من الأوربيين^١.

ولكن لم يتفق العثمانيون والبريطانيون على صيغة نهائية حول نظام الإصلاحات الأرمنية، وبقي الجدل بين الطرفين على أشده، حتى تم إهمال الإصلاحات بشكل تام بحلول عام ١٨٨١، ولم يبت في أمرها مرة أخرى إلا بعد أحداث الأزمة الأرمنية الأولى ١٨٩٤-١٨٩٦. وقد سارعت بريطانيا وروسيا بعد التوقيع على معاهدة برلين مباشرة

1. No. 81, The Marquis of Salisbury to Sir A. H.Layard, FOREIGN OFFICE, August 8, 1878, in: (B.Ş.B.D.O.A) VOL: I, P.190-195;

- محسن حمزة حسن حسين، الأزمة البلقانية ١٨٧٥-١٨٧٨: دراسة في السياسة العثمانية والدبلوماسية الأوربية، أطروحة دكتوراه، مقدمة إلى قسم التاريخ، كلية التربية، جامعة الموصل، ٢٠٠١، ص ٣٠٥.

إلى إرسال قناصلها إلى كردستان بهدف متابعة الشكاوى الأرمنية، ومدى جدية السلطات المحلية واللجان المختصة في تطوير مرافق الحياة المختلفة في المناطق التي يسكن فيها الأرمن^١.

انتشرت شائعات في شمال كردستان تثير القلق حول اعتزام الدول الكبرى وضع الأرمن في مرتبة سياسية تعلو عن مرتبة الكرد، إشاعات لقيت صدى واسعاً وأثارت الكثير من المخاوف، وكان لوصول قناصل عسكريين بريطانيين إلى كردستان أن ضاعف وزاد من درجة هذا التوجس والقلق، زادت المخاوف الكردية من أخطار متوقعة، وقد كتب (كلايتن-Clayton) نائب القنصل البريطاني في وان استناداً إلى ما أنهى إليه بعض النساطرة الأثوريين: "سرت رجة عنيفة بين الكرد عند قدوم القناصل الأوربيين إلى وان، وكانت ردة فعلهم من هذا الحدث مزيجاً من الاستياء والخوف، إذ لم يكونوا يعرفون ماذا خُبي لهم"، لا سبيل للإنكار أن هناك دلائل كانت تشير إلى احتمال تحول في حالة الخوف الكردية إلى تحديات منذرة بأسوأ العواقب، وفي هذا يذكر كلايتون: "يقول الكرد في أنحاء موش وبتليس، للذين اعتدوا عليهم ونهبوهم: اذهبوا فاعرضوا شكاؤكم عن أفعالنا، إلى القناصل الأجانب"^٢، كما اعتقد الأرمن أن الانكليز سوف يقومون بدعم وإنشاء حكم أرمني في المنطقة، ولذا سادت أجواء فرح واسعة بين مختلف شرائح المجتمع الأرمني في كردستان بوصول القناصل، فقد قال خان آزاد أحد الثوريين الأرمن في مذكراته عن تلك المدة إنه: "لدى كل واحد منهم [أي: الأرمن] فكرة واحدة فقط مهيمنة عليه، وقد تم دقها كما يدق المسمار، وهي: أن بلغاريا حررت بتدخل روسيا، لماذا لا يتم تحرير أرمينيا بمساعدة انكلترا؟"^٣، وعندما عُيّن كلايتون نائباً لقنصل بريطانيا في كردستان أستقبله سكان موش في ٣١ تموز ١٨٧٩، بفرحة كبيرة، وضمن احتفالية واسعة، وقد خطب أحد رجال الدين الأرمن بهذه المناسبة قائلاً: "...إن هذا الشعب يقوم الآن بواسطتي بالترحيب بكم، والتصفيق لكم احتراماً وتقديراً، حيث إن قدومكم هو أمر ومصدر سرورنا، إن شعبنا ومنذ أمد بعيد يغرق تحت ضغوطات وكوارث

١. سيأتي الحديث عن قنصلية كردستان، والقنصليات الأجنبية الأخرى في كردستان، لاحقاً ضمن محاور هذا الفصل.

٢. وديع جويده، المصدر السابق، ص ٢٨-٢٩.

3. SALAH RAMSDAN SONYEL, THE OTTOMAN ARMENIANS..., P.62.

واضطرابات مخيفة، ومنذ (٦٠٠) عام ونحن نهذي تحت نيران الطغاة...^١.
وقام رجال الدين الأرمن باستقبال هؤلاء القناصل وكأنهم هم أصحاب السلطة
الإدارية في المناطق التي كان القناصل يزورونها، وفي بعض المرات قام رجال الدين
الأرمن بإقامة حفلات لهم تقدّم خلالها عروض مسرحية ابتهاجاً بوصولهم، كما فعل
رئيس الأساقفة الأرمن في وان (اريمياه - Eremiah)، عندما قام نائب القنصل
البريطاني كلايتون مع القنصل الروسي كامسكاران بزيارة مدينة وان في بداية شهر
أيار ١٨٨٠، حيث قدم مسرحية بتلك المناسبة، وكان أحد مشاهد المسرحية كما يرويها
كلايتون هو مشهد كاريكاتيري، يصور أحد الكرّد أو من الباشبوزق، يضرب القرويين
الأرمن في إحدى قراهم قائلاً: (عاش السلطان)^٢.

وفي خضم هذه الأحداث رفع الأرمن عشرات الشكاوى إلى القناصل البريطانيين
في كُردستان، بشأن اعتداءات مزعومة عليهم من جانب الكرّد^٣، كما قام البطريرك
نرسييس بعقد عدة لقاءات مع السفير البريطاني لايارد بالغ فيها كثيراً بالحديث عن
الخطر الكرّدي على الأرمن بعد قيام الجيوش الروسية بالانسحاب من شمال
كُردستان، وقد اقترح نرسييس في لقاءه مع لايارد في ١٨/٩/١٨٧٨ مرة أخرى، بأن
البريطانيين إذا ما أرادوا وضع حد للانتهاكات الكرّدية ضد الأرمن، وعدم إصغاء
الأرمن إلى الروس بالهجرة معهم إلى روسيا، وذلك لما تشكّله من إحراج لبريطانيا،
فان: "...الشيء الوحيد الذي يمكن أن يمنع الأرمن من الإصغاء إلى نصيحة روسيا
بالهجرة هو أن يتم تعيين حاكم ارمني كوالي في أرمينيا، فان ذلك يعتبر ضماناً لبقاء
الأرمن تحت حكم السلطان..."^٤، ولكن لايارد نفسه كان قد ذكر في مرات عدة، في
رسائله إلى وزير خارجيته اللورد سالسبيرري بأن هناك مبالغة واضحة في الشكاوى

1. Bilâl N.ŞimŞir, KÜRTÇÜLÜK 1787-1923..., S.161.

2. No.30, Captain Clayton to Major Trotter, VAN, May 14, 1880, in: (B.S.B.D.O.A), VOL: II, P.5-6.

٣. ينظر مثلاً:

-No.88, Sir A.H. Layard to The Marquis of Salisbury, CONSTANTIOPLE, September 14,
1878, in: (B.Ş.B.D.O.A), VOL: I, P.206-207; No. 91.Sir A. H. Layard to The Marquis of
Salisbury, THERAPIA, September 16, 1878, in:(B.Ş.B.D.O.A), VOL: I, P.208-209.

4. No. 96, Sir A.H.Layard to The Marquis of Salisbury, THERAPIA, September 19, 1878, in:
(B.Ş.B.D.O.A), VOL: I, P.215-216.

الأرمنية ضد الكُرد^١، وفي رسالة من لايارد إلى سالسبيرى بخصوص هذا الموضوع في ١٨٧٨/٩/١٩ جاء فيها: "بعد مقابلي للسلطان...تم إرسال أوامر صارمة باسمه إلى إسماعيل باشا[والي ارضروم] يأمره باتخاذ كل الإجراءات من أجل حماية المسيحيين الأرمن، وقد أجاب الباشا على ذلك بإعطائه كل الضمانات للباب العالي بأن يسود السلام، أما بالنسبة للتقارير التي أرسلت فإنها مليئة بالمبالغة، ولا أساس لها حول المجازر، وانه قدم نفسه مسؤولاً عن سلامة المسيحيين، ولدي الأسباب التي تجعلني اقتنع بان هنالك مخططاً يهدف إلى خديعة أوروبا، حول ما يجري في أرمينيا، وذلك لحث الأرمن وتحريضهم ضد سلطان الباب العالي"^٢. وعلى حد قول المؤرخ التركي (بلال.ن. شمشير-Bilal N. şimşir) فإن الأرمن كانوا يبحثون عن شيء يستندون إليه؛ لإقامة دولتهم فكان (الظلم الكُردى) ضالتهم في ذلك^٣.

هنا لا بد من الوقوف قليلاً عند موضوع الهجرة الأرمنية من شمال كُردستان، فكثيراً ما تناولت المصادر الأرمنية والغربية هذه المسألة في القرن التاسع عشر، وأن النسبة السكانية للأرمن قلت في المنطقة نتيجة هذه الهجرة المستمرة للأرمن، صحيح أن الأرمن هاجروا من شمال كُردستان في القرن التاسع عشر، وكانت هجرتهم نحو الأراضي الروسية في أغلب الأحيان، ولكن كانت هجرتهم بسبب الحروب الروسية العثمانية في المنطقة، ولم يكن الكُرد العامل المؤثر في تلك الهجرات، فإن الهجرة الأرمنية في الحرب الروسية العثمانية ١٨٢٨-١٨٢٩ والحرب الروسية العثمانية ١٨٧٧-١٨٧٨، كانت خوفاً من الانتقام العثماني لهم، وذلك لمولاتهم للقوات الروسية، عند احتلالها لشمال كُردستان، وكذلك كانت مخاوف الأرمن من الإنتقام الكُردى منهم في حرب ١٨٧٧-١٨٧٨ في محلها، وذلك لقيام الأرمن بموالة القوات الروسية أثناء الحرب، وحدثت عمليات إنتقام ضد الكُرد في تلك المناطق، التي سيطرت عليها القوات الروسية، وهجرة العديد من العوائل الكُردية في بايزيد ووان والاشكيرد إلى داخل عمق الأراضي العثمانية باتجاه الغرب، فإذا ما كانت هناك هجرة أرمنية من المنطقة فلا

1. No. 91, Sir A H.Layard to The Marquis of Salisbury, THERAPIA, September 19, 1878, in: (B.Ş.B.D.O.A), VOL: I, P.208-209.

2. No. 94, Sir A H.Layard to The Marquis of Salisbury, THERAPIA, September 19, 1878, in: (B.Ş.B.D.O.A), VOL: I, P.213

3. Bilâl N.Şimşir, KÜRTÇÜLÜK 1787-1923..., S.116.

يتحملها الكُرد وإن كانوا جزءاً منها، بل يتحملها الروس والأتراك والأرمن أنفسهم بموالاتهم للروس في حروبهم المستمرة طيلة القرن التاسع عشر، هذا من جهة ومن جهة أخرى لا تتطرق المصادر نفسها إلى الهجرة الكُردية من شمال كُردستان، حيث ابتدأت هجرة كُردية واسعة ولأول مرة في تاريخ الكُرد الحديث بهذا الكم إلى خارج كُردستان، وإذا ما اتجه الأرمن إلى الأراضي الروسية بحثاً عن الأمان، فإن الكُرد اتجهوا في هجرتهم إلى استانبول بحثاً عن الأمان ولقمة العيش. ويبين الباحث روهات الاكوم الذي قام ببحث شامل عن المناطق التي هاجر منها الكُرد أن المناطق التي هاجروا منها هي (وان، وأرضروم، وبتليس، وموش ومعصورة العزيز)، أي: من نفس المناطق التي هاجر منها الأرمن^١.

المهم في الأمر أن الحكومة العثمانية، وبعد المشورة مع بريطانيا قررت إرسال لجنتين إلى شمال كُردستان، للتحقق من مظالم المسيحيين، وتطبيق الإصلاحات في شباط ١٨٧٩^٢، لجنة سارت إلى: وان، وأرضروم، وبتليس، ولجنة إلى ديار بكر و حلب، على أن يكون على رأسهما الأتراك والأرمن وعلى نفس الدرجة من الصلاحيات^٣، وكانت لجنة أرضروم برئاسة كل من المفوضين يوسف باشا، والأرمني (سركيس أفندي-Serkis Efendi)^٤ ولجنة ديار بكر كانت برئاسة عابدين بك، الذي كان يُعد من رجال بريطانيا المخلصين، وكذلك الأرمني (ماناس افندي-Manas Efendi)^٥.

بخصوص لجنة أرضروم كان من المقرر لها أن تزور مركز الولاية وتبقى فيها لعدة أشهر، ثم تقوم بزيارة الألوية والأقضية التابعة لها مثل: خنيس، وجيغي، وملانكُرد، والاشكيرد، وبايزيد، وارجيش، وتزور بعد ذلك وان، وبتليس، وجولميرك، وارزنجان، وبايبورت، وكان من المخطط لها أن تنهي مهمتها قبل شتاء ١٨٨٠-١٨٨١^٦.

١. للتفاصيل عن هذا الموضوع ينظر: روهات ئەلاكۆم، كوردهكانى ئەسته مبولى كۆن، وهركيران، ئەحمەد تاقانە، هەولێر، ٢٠٠٥، ل٢٧-٥٣.

2. No.152, Sir A.H.Layard to The Marquis of Salisbury, CONSTANTIOPLE, February 3, 1879, in: (B.Ş.B.D.O.A), VOL: I, P.323.

3. No.153, Sir A.H.Layard to The Marquis of Salisbury, CONSTANTIOPLE, February 3, 1879, in: (B.Ş.B.D.O.A), VOL: I, P.323-325.

٤. جليلي جليل، انتفاضة الأكراد...، ص٤١.

5. MUSA ŞAŞMAZ, Op.Cit., P.45-56.

6. Inclosure in No.216, Major Trotter to Sir A.H.Layard, ERZEROUM, June 12, 1879, in: (B.Ş.B.D.O.A), VOL: I, P.457-459.

لقد كان العثمانيون والبريطانيون متفقون إلى حد ما على تطبيق البرنامج التالي في ارضروم، وهو: تشكيل مفوضية فرعية في ارضروم، بهدف رسم الإصلاحات وتشكيل الجندمة الحديثة، والاستماع إلى الشكاوى ورد الحقوق، وتأسيس مجلس محلي في ارضروم يتكون عدد أعضائه من (٣٨) عضواً، ويتوزعون على النحو الآتي: (١٠) منهم من الأرمن على اختلاف مذاهبهم، و(٢٨) من المسلمين^١.

إلا أن الأرمن لم يقبلوا بتأسيس مثل هذا المجلس، وطالبوا بوجوب إبعاد الكُرد عن هذا المجلس المحلي؛ لأنهم لا يدفعون الضرائب، وأن على الأرمن أن يشغلوا نصف مقاعده، وقدموا برنامجهم على النحو الآتي:

كان عنوان مشروعهم هو (مشروع الإصلاحات الأرمنية)، وكان المشروع يحمل تاريخ ١٩ تموز ١٨٧٩. سيتم التركيز هنا فقط على الحقوق الكردية التي أوردها المشروع الأرمني في ارضروم:

جاء في مقدمة المشروع عن الكُرد ما يلي: "إن المسلمين المتعصبين يرون أن الضرر والأعمال السيئة هي مناسبة وملائمة للمسيحيين، وعندما يُقبَض عليهم يخرجون من السجن بسهولة، وبعد خروجهم يقومون بالانتقام من الشخص الذي بلغ عنهم، وحيث إن هؤلاء السادة والزعماء يقومون باستخدام أملاك الأرمن، كما يحلو لهم، وينظرون إلى الأرمن على أنهم عبيد، أما الحكومة فلا تريد منع هذه الأمور. إن زعماء العشائر الكردية يملكون سلطةً وحكماً مطلقاً على عشائرتهم، وإن هذه الوضعية التي لا توجد في أي دولة أو مكان آخر أصبحت على شكل نظام في تلك المنطقة، يرفعون أحصنتهم وماشييتهم في المكان الذي يريدونه، ويأخذون حيواناتنا بدون تردد، ويقومون بحرق منازلنا، ولا تظهر على هؤلاء أية آثار لسلطة الحكومة. في عام ١٨٦٩ وبعد التدقيق في الشكاوى الأرمنية قام والي ارضروم إسماعيل باشا بتهجير ما يقارب (١٠٠) زعيم، حيث أمر السلطان بتهجير أسر وأطفال هؤلاء الزعماء أيضاً، وبعدما عُرِل الوالي من منصبه لم يتم تطبيق أوامر السلطان، ورجع الزعماء المهجرين إلى مناطقهم القديمة، وأظهروا كل استيائهم للأرمن، وفي عام ١٨٧٥ قام أحمد مختار باشا بحبس زعماء كُرد موش في ولاية ارضروم، وبعد أن عُرِل أحمد باشا أُفْرِج عنهم، وكما حدث في

1. No. 249, Major Trotter to The Marquis of Salisbury, ERZEROUM, August 8, 1879, in: (B.Ş.B.D.O.A), VOL: I, P.516-519; MUSA ŞAŞMAZ, Op.Cit., P.45-56.

١٨٥٤-١٨٥٦، قام الكُرد في الأعوام ١٨٧٧-١٨٧٨ أثناء الحرب العثمانية، وبحجة تقوية ومساعدة الجيش العثماني، قاموا بحرق وتدمير كل مكان دخلوا إليه، وقتلوا سكانه، وعلى الرغم من أفعال الشيخ جلال الدين، الذي قام بتدمير البيوت الأرمنية وحرقها، وأخذ النساء والفتيات إلى الجبال، لكنه لم يعاقب على هذه الأعمال، وان المهجرين القادمين من جلدز وقارص، الذين هم من الأتراك والكُرد والشركس، كانوا بلاءً جديداً لولايتنا، وكان سيتم تسكينهم في مناطق بانيس، وكوميش، والاشكيرد، وترجان، وهي مناطق يسكنها الأرمن، وفي الحرب الأخيرة قام الجيش والشركس بالتزود بجميع احتياجاته وبالقوة، من القرى الأرمنية وقاموا بالعديد من المظالم تحت إمرة قائدهم الذي كان يغض الطرف عن كل تلك الأعمال...^٢.

- وبين الأرمن وجهة نظرهم بخصوص الإصلاحات في ارضروم على النحو الآتي:
- إن ولاية ارضروم مكونة من أربعة ألوية: اللواء المركزي، ولواء ارزنجان، ولواء بايزيد، ولواء بايبورت.
 - يجب أن يأخذ رأي البطريرك أو القس في حالة عزل الوالي.
 - يجب أخذ رأي البطريرك عند تعيين المتصرفين.
 - يجب أن يكون متصرفي بايزيد، وارزنجان، من الأرمن.
 - يجب تعيين قائمقام في كل من الأفضية التالية، على أن يكونوا من الأرمن: (بانيس، خنيس، كيغي، ترجان)، في مركز لواء ارضروم، (كيماه، قورجاي، قوزوجان، اوفاجيك، وملازكرت)، في لواء ارزنجان، (ديادين، قرهكليس، الشكيرد)، في لواء بايزيد، (اسبير، كوئيس كوئيم، كلكيت، سيران)، من لواء بايبورت.

١. في رسالة موجهة من أهالي بايزيد الأرمن إلى لجنة الإصلاح التابعة لارضروم، بتاريخ ١٠/٩/١٨٧٩، يروون فيها تفاصيل الحرب في بايزيد-حرب ١٨٧٧- قبل وبعد احتلال الروسي لها، ويذكرون فيها أن الجنود الأتراك هم من قاموا بالذبحة في بايزيد، أما الشيخ جلال الدين فكان يتحرك بإمرتهم، وكانت لديه اتصالات مع جواسيس الأتراك. للاطلاع على النص الكامل للرسالة، ينظر:

-No.266, Petition addressed to the Commissioners, BAYAZID, September 10, 1879, in: (B.Ş.B.D.O.A), VOL: I, P.564-567.

٢. نص العريضة الكاملة منشورة في:

-Bilâl N.Şimşir, KÜRTÇÜLÜK 1787-1923..., S.166-169.

- وبعد أن يصادق الوالي على ما مرَّ يجب تعيين هؤلاء القائماًميين في مجالس إدارة الولاية، ويجب أن يتكون مجلس إدارة الولاية من ثلاثة أعضاء أترك مسلمين، وثلاثة أعضاء من الأرمن. (لا يوجد عضو كُردي!).^١
- مجلس اللواء يجب أن يتكون من عضوين أترك مسلمين، وعضوين من الأرمن. (لا يوجد عضو كُردي فيه!).
- وان أعضاء مجلس الولاية العام، الذين سيرشحهم الشعب يجب أن يكون نصفهم من الأترك المسلمين، والنصف الآخر من الأرمن. (لا يوجد عضو كُردي!).
- ويجب أن تتكون محكمة استئناف الولاية المرتبطة بمعاون الوالي من: رئيس مسلم، وستة أعضاء ثلاثة منهم أترك مسلمين، وثلاثة أعضاء أرمن. (هنا أيضاً لا يوجد عضو كُردي!).
- يجب أن تتكون محكمة البداية في الولاية من: رئيس أرمني، وستة أعضاء، ثلاثة أترك مسلمين، وثلاثة من أرمن (لا يوجد عضو كُردي!). ويجب أن تحوي كل الألوية على محكمة بداية، على أن تشكّل كما هو مذكور فيما مرَّ.
- يجب أن تكون المحاكم الألوية للأقضية متكونة من: أربعة أعضاء، اثنان من الأترك، واثنان من الأرمن، وإذا كان قائمقام القضاء أرمنياً فإن رئيس المحكمة يكون تركياً وبالعكس.
- وستكون في الولايات محاكم أو محكمة تجارية مرتبطة بمعاون الوالي، ويجب أن يعين رئيسها حكومة الباب العالي، وسيكون عدد أعضائها أربعة، اثنان منهم أترك، واثنان منهم من الأرمن.
- سيتم تشكيل فرقة من الجيش (الجندرمة) في الولاية من الأشخاص الموثوق بهم؛ لتأمين الأمن والأمان. نصف هذه الفرقة سيكونون من الأترك المسلمين، والنصف الآخر من الأرمن، ويجب أن لا يكون ضمن صفوف هذه الفرقة أشخاصاً أو أفراداً من الكُرد والشركس البرابرة، ويجب أن لا تضم هذه الفرقة أو التشكيلات الأفراد المنتسبين في الشرطة أو الجيش في هذا الوقت (١٨٧٩)، ولحين إكمال تدريب ضباط الجيش يجب أن يكون الضباط في هذه التشكيلات من الذين رتبتهم هي: عقيد، ورائد، ونقيب من الأجانب، أما الضباط الأصغر رتبة فيكون نصفهم

١. التعليق الأخير (لا يوجد عضو كُردي)، يعود إلى المؤرخ التركي بلال شمشير.

من المسلمين الأتراك، والنصف الآخر من الأرمن.

- يجب أن يكون الموظفون في الدوائر الحكومية... نصفهم من المسلمين الأتراك والنصف الآخر من الأرمن.

- يجب نزع السلاح من الكُرد والشركس، ويجب منع حمل السلاح بدون ترخيص، والتجوال في المدن والقرى بشكل مسلح، وان كانت هناك صعوبة في تطبيق هذه الفقرة فيجب السماح للأرمن بحمل السلاح، ويجب كسر الزعامة الكُردية وبشكل مطلق، وفي المناطق التي يسهل تطبيق سلطة الحكومة فيها يجب أن يترك الكُرد بكسب حياتهم بالزراعة والحصاد حالهم كحال الأرمن، وفي بعض القرى يوجد زعماء وسادة أو ملك في كل قرية، يحكمها كما يشاء بظلم وجور، حيث إن على الدولة نزع هؤلاء الأشخاص من أماكنهم، ويجب إبعاد الأشخاص الذين يقومون بالظلم والأعمال السيئة في المدينة بشكل رسمي وغير رسمي، وتهجيرهم من ولايتنا إلى مناطق أخرى، وعدم السماح لهم بالرجوع وبشكل كلي، ويجب إسكان الكُرد، والشركس، والتركمان، المهجرين من قارص وجلدر في مناطق بعيدة، وليس في المناطق أو القرى والأقضية التي يسكنها الأرمن¹.

لم يكن القنصل البريطاني في كُردستان هنري تروتر، وكذلك السلطات العثمانية موافقين على المقترحات الأرمنية للجنة ارضروم، ففي رسالة من تروتر إلى لايارد بتاريخ ١٨٧٩/٧/٢٩، ذكر فيها: "...لقد أكد يوسف باشا أن عدد الممثلين المسيحيين والمسلمين في اللجنة [البرلمان المحلي] سوف يكون بموجب نسبة مئوية، تتناسب مع العدد الكلي للمسلمين، بمن فيهم الأتراك والكُرد، والعدد الكلي للمسيحيين، ومن جهته أكد سركيس أفندي، أن عدداً كبيراً من الكُرد، لا يدفعون الضرائب للدولة، كما أنهم لا يساهمون في تعزيز الجند، وان قسماً منهم ليس لديهم حق في التمثيل، ويجب استبعاد البدو الكُرد المتمردين أيضاً مثل سكان درسيم من الحسابات، وأنا شخصياً [يقول تروتر] أرى الموضوع كما يأتي: إذا نُفِذت التعليمات الأصلية، وشُكِّلت اللجنة المحلية فإن ذلك سوف يكون بمثابة برلمان محلي... وإذا ما نظرنا إليه باعتباره برلماناً صغيراً فإن الكُرد ومن دون شك سوف يطالبون بحصتهم في التمثيل... وليس من العدالة أيضاً أن يكون هناك برلمان من الأتراك، يمكن تمييزه عن برلمان من الكُرد،

1. Bilâl N.Şimşir, KÜRTÇÜLÜK 1787-1923..., S.167-169.

وفي الحقيقة فإن مثل هذا التمثيل لن يكون واقعياً...^١، وكتب تروتر في مذكرته إلى سالسبيري الموقعة بتاريخ ١٨٧٩/٨/٨ قائلاً: "سوف يطلع سيادتكم على أن المبدأ الأساسي في المشروع الأرمني أن الأرمن في هذه الولاية سوف يتبواؤن على الأقل نصف المناصب القضائية والرسمية، وان طلبهم هذا يستند إلى أن الكُرد الرحل لا يحق لهم التمثيل لأي حال من الأحوال، وقد أرسلت في برقيتي السابقة السجل الرسمي للسكان من الذكور وكما يأتي: المسلمون (١٩٧٧٦٨) غير المسلمين (٥٥٠٤٣)، ويدعي الأرمن بأن هنالك: المسيحيون (١٩٥٥٠٠)، والأتراك والشركس وغيرهم (١٨٥٠٠٠)، أما الكُرد الرحل وغير الرحل (١١٢٥٠٠)، واليزيدية (٣٠٠٠) -تتضمن هذه الأرقام الذكور والإناث على حد سواء-؛ ثم يضيف: "لقد عقدت لجنة الإصلاح عدة جلسات، وقدم المسلمون مشروعهم للإصلاح بصورة مكتوبة، وفي الاجتماعات التالية جرت مناقشات مهمة، فإن الأرمن تحت بعض الذرائع حاولوا الابتعاد عن الاجتماعات ورفضوا مشروع المسلمين وعددهم ولم يشاركوا في الاجتماعات المقبلة...الأرمن وضعوا أنفسهم في الطريق الخاطئ..."^٢.

من جانبه اعترض سركيس على نسبة المسلمين في المجلس المحلي، والذي دون شك كان سيمثل فيه الكُرد، وطلب إبعاد الكُرد جميعهم مدعياً: "أن الكُرد لم يدفعوا أي ضريبة للدولة، كما فشلوا في أن يشاركوا في تجهيز الجنود، ولذا فإن مثل هؤلاء الناس ليس لهم الحق في التمثيل"، ولكن يوسف باشا اعترض بدوره على رؤية سركيس للمسألة، وبعد استفحال الصراع بينهما تم طلب رأي الباب العالي حول هذا الأمر - أي أحقية الكُرد من عدمه في التمثيل في المجلس المحلي والمشاركة في إدارة الولاية - فأصدر الباب العالي رأيه وأمره باعتماد رأي يوسف باشا في هذه المسألة، وضرورة إشراك الكُرد في المجلس المحلي وفي الإدارة.^٣

لم تستطع لجنة ارضروم من إنجاز أي تقدم بخصوص الإصلاحات في الولاية، نتيجة التعنت الأرمني ومطالبتهم بالسيطرة على أغلب مرافق الإدارة فيها، وإذا ما

1. No.221, Major Trotter to Sir A.H.Layard, ERZEROUM, July 7, 1879, in: (B.Ş.B.D.O.A) VOL: I, P.466-468.

2. No.249, Major Trotter to The Marquis of Salisbury, ERZEROUM, August 8, 1879, in: (B.Ş.B.D.O.A)VOL: I, P514-519.

3. MUSA ŞAŞMAZ, Op.Cit., P.45.

احتسبت عدد نفوس الأرمن بشكل دقيق فإنهم كانوا وبإنصاف سيكونون من الأقليات في المنطقة-سيأتي الحديث عن بعض الإحصائيات لاحقاً-، وكذلك البطء التركي، فلا تشير الوثائق البريطانية والمصادر القريبة من الحدث عن أي تطور في المنطقة ككل، ولإلقاء نظرة سريعة على برنامج الإصلاح الأرمني يتبين أن الأرمن حاولوا الظفر بكل أراضي ولايتي ارضروم ووان، وإبعاد الكرد عن جميع مرافق الحياة والإدارة فيها، ولكن لكثرة الكثافة السكانية الكردية في تلك المناطق، وكذلك لعدم موافقة البريطانيين والباب العالي على اقتراحاتهم تلك فشل المشروع الأرمني هذا.

اختلف عمل لجنة الإصلاح التي أرسلت إلى دياربكر، والتي كانت برئاسة كل من عابدين باشا، والأرمني ماناس أفندي، عن عمل لجنة ارضروم، فقد اتفق كل من عابدين باشا وماناس أفندي على تفريغ المنطقة من الكرد، وإبعاد جميع زعمائهم، حتى الذين يشتهر بإنهم قاموا بعمليات ضد الأرمن، وجاء في أول تقرير من تروتر إلى سالسبيرري عن أعمال لجنة ديار بكر بتاريخ ١٨٧٩/٨/٨ أنه: "يجد أن عمل اللجنة في ارضروم يختلف عن عمل اللجنة في دياربكر؛ حيث إن لجنة دياربكر بدأت بالعمل منذ عدة أسابيع، وقد علمت بأنه في ليلة الخامس من هذا الشهر [أي شهر آب ١٨٧٩] تم إبعاد (٢٣) شيخاً من شيوخ الكرد من ولاية ديار بكر، وتم نفيهم إلى ألبانيا، وان على عوائلهم أن يتبعوهم، ومن بين هؤلاء الشيوخ هناك أسماء لعدة أشخاص معروفين لسيادتكم مثل: حميد أغا في سيرت، وسلطان تيلوا في كارزان، وعثمان تيمور في مديات وآخرين، وقد علمت أيضاً بأن شيوخاً آخرين سوف يتبعونهم وهذا يؤكد إخلاص عابدين بيك".^١

تولت لجنة دياربكر إلقاء القبض على الزعماء والشيوخ الكرد في أنحاء الولاية، ونفيهم حتى بدون محاكمة، بمجرد أن يقدم أحد من الأرمن شكوى ضده، وفي بعض الأحيان كانت الحادثة لا تتعدى أن تكون مشكلة بسيطة جداً، ففي برقية متصلة بهذا الشأن من تروتر إلى سالسبيرري بتاريخ ١٨٧٩/٨/١٥، ذكر فيها انه استلم برقية من نائبه في دياربكر (بوياجيان-Boyajian) يعود تاريخها إلى ١٤ آب، قال فيها بوياجيان انه تم نفي (٢٣) من الشيوخ الكرد المشهورين من المنطقة، وهذا يجعل عدد الشيوخ الذين نُفوا من

1. No.249, Major Trotter to The Marquis of Salisbury, ERZEROUM, August 8, 1879, in: (B.Ş.B.D.O.A)VOL: I, P514-519.

ولاية دياربكر (٤٣) زعيماً حتى الآن؛ ثم أضاف تروتر: "ومن الطبيعي فإن عملية إبعاد الشيوخ من ولاية دياربكر سوف تؤدي إلى وجود مشاعر الاحتقان لدى شيوخ وان وولاية الموصل، والتي من الممكن أن تؤدي إلى تمرد، لأنهم لا يريدون أن يلقوا مصيراً مرعباً، فإن التمرد العام في كردستان في الوقت الحاضر ربما يسبب انفجار الوضع في تركيا، وأشار بوياجيان [يقول تروتر] بأنه سينظر في أمر احتمال مصادرة عقارات أولئك الذين تم إبعادهم؛ ثم يكمل تروتر حديثه لسالسييري حول هذه المسألة بالقول: "وعلى الرغم من أن الذين أبعادوا لا يستحقون إلا التعاطف القليل، ولكن يجب أن نضع في بالنا بأن سنوات الاضطهاد وسوء الحكم الذي أدى إلى سقوطهم كان بسبب الفساد، وعدم الكفاءة بالنسبة للضباط العثمانيين، واعتقد بأن الباب العالي سوف يفكر بجدية بخصوص هذا الموضوع، وقبل اتخاذ أية إجراءات بخصوص الإبعاد والمصادرة".¹

المهم في الأمر أن عدد زعماء الكرد المقبوض عليهم وصل إلى (١٣١) زعيماً كُردياً، وقد قبضت عليهم لجنة دياربكر بهدف نفيهم إلى حلب؛ ثم ترحيلهم إلى ألبانيا مع أسرهم، ومصادرة أملاكهم وعقاراتهم، وقد تم إبعاد هؤلاء الزعماء جميعاً إلى حلب لحين صدور الأوامر بترحيلهم إلى ألبانيا.²

أثار هذا العمل استياء وغضب الكرد في ديار بكر، بل وفي المنطقة عموماً، لأنهم قد أدينوا بدون محاكمة، وقد أبدى المفوض السلطاني العام إلى أرضروم ووان يوسف باشا امتعاضه من هذا الإجراء الصادر بحق الزعماء الكرد من جانب لجنة ديار بكر، وقد ذكر يوسف باشا أنه إذا ما أُطلق سراح هؤلاء الزعماء الكرد بعد مدة قصيرة، ورجعوا إلى أماكنهم فأنهم سيقومون بلا شك بالانتقام من هؤلاء الذين قدموا شكواي ضدهم، وسيفرضون على المسيحيين المبالغ التي لم يسددوها عندما كانوا في المنفى، وقد اعترضت على هذا الحكم أيضاً البعثة التبشيرية الأمريكية في خربوط، التي رأت بأن مثل هذا الأمر يتطلب نفي أكثر من مئة زعيم قبيلة كُردية مع عوائلهم إلى خارج ديار بكر، مما سيؤثر بلا شك على الأوضاع في المنطقة، كما أن قرار هذه اللجنة لم يفرق بين الزعماء الكرد من الذين كانوا قد صنفوا فعلاً على أنهم من أشقياء المنطقة، وبين الزعماء الكرد الآخرين من الذين لم يتسببوا بهذه المشاكل، ومع ذلك عوملوا

1. No.253, Major Trotter to The Marquis of Salisbury, ERZEROUM, August 8, 1879, in: (B.Ş.B.D.O.A)VOL: I, P527-528.

2. MUSA ŞAŞMAZ, Op.Cit., P.56-57.

معاملة واحدة غير عادلة ولا منصفة لأن هذه اللجنة لم تقم بالتفريق بينهم^١، وبين تروتر في رسائله اللاحقة أن الأرمن في ارضروم وفي بعض المدن الأخرى يثيرون روحاً من الاستقلال يثير دهشة الذين كانوا يعرفونهم قبل ذلك، ويبدو أنهم غيروا طبيعتهم منذ الحرب الأخيرة^٢، وان هذه الروح الأرمنية وعمل اللجان في دياربكر والمدن الكردية الأخرى كلها دفعت الكرد أيضاً بتحدي السلطة وعمل تلك اللجان، وعلى حد قول كلايتون نائب القنصل البريطاني في وان في ١٦/٨/١٨٧٩، بان الكرد في بتليس يقولون للأرمن اذهبوا واشتكووا للأوروبيين الذين سوف يأتون لإنقاذكم^٣.

وأراد عابدين باشا الحصول على مرسوم (فرمان سلطاني) آخر خاص، بحيث يستطيع وبصورة مشابهة أن ينفي شيوخ عشائر خربوط أيضاً، إلا أن هذا الأذن لم يعط له في هذه المرة بل لقد أنبئه رسمياً على حماسته الزائدة عن اللزوم السلطان عبد الحميد نفسه. أراد ماناس أفندي تطبيق الأمر نفسه في مديات ونصيبين بخصوص الزعماء الكرد، إلا أن والي خربوط (نافي أفندي) وقف ضد إجراءاته، وقام بإطلاق سراح (٢٨) من الزعماء الكرد في سجن خربوط، حيث كان عابدين بك قد سجنهم في وقت سابق، وقد اعترض ماناس أفندي على هذا الأمر، واعترض لدى الباب العالي بخصوص أفعال نافي أفندي، إلا أن الباب العالي أيد أعماله، وقام بإستدعاء ماناس أفندي إلى استانبول، وكانت معارضة نافى أفندي أول معارضة فعلية لقرارات لجنة المفوضين الإمبراطورية، تم بعدها معارضة أعمالهم في مناطق أخرى، وبناءً على هذه المستجدات أرسل السلطان عبد الحميد بمذكرة إلى المسؤولين في شمال كردستان يهاجم فيها عابدين أفندي ويبطل قراراته، وذكر فيها أنه واقع تحت تأثير البريطانيين والأرمن، مضيفاً أن إجراءاته تلك سببت ضرراً كبيراً لعدد من أعيان المسلمين وأسرههم في ديار بكر^٤.

بعد زيادة الضغوط الأرمنية على السياسة البريطانيون، وإستمرارهم في رفع الشكاوى إلى قناصلها في كردستان ذاكرين أن السلطات العثمانية ليست جادة في

1. Ibid, P.57-58.

2. No.253, Major Trotter to The Marquis of Salisbury, ERZEROUM, August 8, 1879, in: (B.Ş.B.D.O.A)VOL: I, P527-528.

3. No.262, Major Trotter to The Marquis of Salisbury, ERZEROUM, August 8, 1879, in: (B.Ş.B.D.O.A),VOL: I, P.560.

4. MUSA ŞAŞMAZ, Op.Cit., P59-60.

تطبيقها، ضغط لايارد كثيراً على السلطان عبد الحميد الثاني بهدف تعيين الجنرال البريطاني (بيكر باشا-Baker Pasha) لكي يقوم بالإشراف على عملية الإصلاحات الأرمنية في كردستان، وتشكيل قوة جندرية يعتمد عليها في حفظ الأمن، وافق الباب العالي على هذا التعيين في ١٨٧٩/٧/٣٠، ولكن لم يتم منح بيكر باشا أي سلطات تنفيذية، وإنما أعطيت له فقط سلطات استشارية لتقييم الوضع في كردستان ومدى تطور عملية الإصلاح فيها^١، وشكّلت لجنة برئاسة بيكر باشا واسكندر بك، وكان يدخل في عداد حاشية بيكر باشا أيضاً سعيد باشا (متصرف طرابلس سابقاً)، سليمان باشا (نقيب من الدرجة الأولى)، العقيد شاكر بك الخادم في الجيش الفرنسي، العقيد طاهر بك (خدم ست سنوات في قوات الشرطة في الهند، وسنتين في الصين)، والنقيب مافروكورداتوس، الملازم يوسف بك، الانكليزي شيفر والسكرتير غ.بيرغيب^٢.

وصلت لجنة بيكر باشا إلى دياربكر في ١٨٨٠/١/١٩، والتقت هناك بقنصل كردستان الرائد هنري تروتر، وكذلك عابدين باشا المفوض الإمبراطوري في لجنة إصلاح دياربكر سابقاً، وفي هذا اللقاء أكد بيكر باشا لعابدين أنه يدعم قراراته بشأن الزعماء الكرد، ولكنه بيّن أن هناك بعض الأبرياء بينهم^٣.

أرسل بيكر باشا أول تقرير له من دياربكر إلى السفير لايارد في ١٨٨٠/٢/١، كتب فيه انطباعاته عن الأوضاع في كردستان، وكيفية سير الإصلاحات فيها، قال بيكر باشا في بداية تقريره: "من خلال المناقشات التي أجريتها مع العديد من القادة الأرمن فإنني متأكد أن لديهم أفكاراً طموحة للمستقبل، والتي لا تعتبر غير عملية فقط، وإنما تعد أيضاً خطيرة على مصالحهم، فإنه من الضروري معرفة هذا البلد، وذلك من أجل معرفة جدوى أي مشروع للاستقلال الأرمني وعبثيته، فالأرمن يشكلون أقلية، حيث إن عددهم لا يزيد عن ثلث إلى خمس السكان، وان أي استقلال لهم سوف يضعهم تحت رحمة الكرد، الذين يشكلون الأغلبية الساحقة من السكان...

1. No.240, Sir A.H.Layard to The Marquis of Salisbury, CONSTANTIOPLE, July 29, 1878, in:(B.Ş.B.D.O.A, VOL: I, P.506; No. 241, Sir A.H. Layard to The Marquis of Salisbury, THERAPIA, July 30, 1878, in: (B.Ş.B.D.O.A), VOL: I, P.507-511.

٢. جليلي جليل، انتفاضة الأكراد...، ص ٤١-٤٢ .

3. No.332, Major Trotter to The Marquis of Salisbury, DIARBKIR, January 31, 1880, in: (B.Ş.B.D.O.A), VOL: I, P.663-665.

وتذهب كل التحقيقات التي قمت بها إلى إثبات أن السكان المسلمين على الرغم من الحالة الإدارية في هذه المحافظات سيئة جداً يعانون أكثر من المسيحيين... ويبدو لي أن النظام الذي تتبّعه الحكومة، وخاصة جباية الضرائب أدى إلى مزيد من الدمار والاضطراب؛ ولذلك فإنه من العيب تماماً الحديث عن أية إصلاحات طالما استمرت هذه الممارسات¹.

ثم يضيف بيكر باشا بأنه يعد النقاط التالية، من أهم الملاحظات السلبية التي لاحظها، وهي:

- ١- الفساد من جانب الموظفين الحكوميين، ولا يشكل هذا الفساد عقبة أمام عملهم المستقبلي وترفيعهم.
- ٢- فقدان العوائد، واضطهاد السكان، خاصة عن طريق جمع الضرائب.
- ٣- إهمال واضح للطرق، والمواصلات، والأشغال العامة، التي يحتاجونها.
- ٤- الغياب التام لأية محاولة لتحسين التعليم العام.
- ٥- الحاجة إلى تنظيم فعال للجندرية، وهذا بدوره أدى إلى غياب الأمن العام.
- ٦- هنالك إرباك كبير ناتج عن عدم وجود إحصاء دقيق ومسح حكومي.
- ٧- المركزية المطلقة للسلطة الإدارية في القسطنطينية^٢.

ثم يتحدث عن نفي لجنة عابدين باشا في دياربكر لزعماء الكُرد إلى حلب بالقول: " قد وجدت أن قضاياهم تختلف مادياً، حيث إن هنالك من بينهم رجال يجب إعدامهم، في حين أن هنالك آخرين أبرياء، ولكن الأثر العام لعمليات الإبعاد على العموم كان ممتازاً"^٣.

مكثت لجنة بيكر باشا ثلاثة أسابيع في دياربكر؛ ثم توجهت إلى بغداد عن طريق الموصل، لإمداد أعضاء اللجنة بالأموال لمصاريف الطريق، وبشهادة نائب القنصل الروسي (ياكيمانسكي- Yakimanski) في دياربكر، فإن غالبية أعضاء هذه اللجنة لم يكن في نيتهم تحسين الوضع في هذه المنطقة على الإطلاق، ولكن كانت لهم

1. Inclosure in No.340, Baker Pasha to Sir A.H.Layard, DIARBEEKIR, February 1, 1880, in: (B.Ş.B.D.O.A), VOL: I, P.685-687.

2. Ibid.

3. Ibid.

وبإرشادات من الانكليز أهداف إستراتيجية كبيرة^١.

كان الشك يساور تروتر من أن الباب العالي لن يرسل المنفيين إلى ألبانيا، بل إنه يعمل من أجل إرجاع هؤلاء إلى مناطقهم، لذلك طلب تروتر والبطريك الأرمني نرسييس من ليارد أن يستخدم نفوذه لمنع مثل هذا العمل، فقد فكروا بأن أوضاع المسيحيين في ديار بكر ستتدهور بشكل خطير، إذا ما أُرْجِع الباب العالي المنفيين الكُرد إلى مناطقهم السابقة، ولكن رغم ذلك قرر الباب العالي في أيلول ١٨٧٩ إلغاء سياسة النفي والإبعاد بحق الزعماء الكُرد وإرجاعهم إلى كُردستان، وفعلاً رجع هؤلاء الزعماء الكُرد من حلب في صيف ١٨٨٠ إلى قراهم وأماكنهم السابقة^٢.

ولم تكن البرامج الأرمينية الأخرى للإصلاح، التي قدمت في المدن والمناطق الأخرى في شمال كُردستان مختلفة عن برنامج الأرمن الذي قدم إلى لجنة الإصلاح في ارضروم، فقد قدم الأرمن في سيواس وفي موش برنامجهم للإصلاح في أيار ١٨٨٠، والملاحظة المشتركة بين جميع مشاريع الأرمن للإصلاح كانت تتركز وتتخلص في إبعاد الكُرد عن الإدارة في تلك المناطق، ومحاولة نفيهم منها، وعدّهم من المهاجرين حالهم حال الشركس^٣.

يظهر جلياً مما سبق أن المشكلة في كُردستان لم تكن تتعلق بالكُرد وهجماتهم المزعومة على الأرمن، فقد تناول بيكر باشا سبع ملاحظات رآها السبب في تردي الأوضاع في كُردستان، لا تتعلق أي من هذه الملاحظات السلبية بالكُرد، وإنما جميعها متعلقة بطبيعة الإدارة، وهنا يجب ملاحظة أمر غاية في الأهمية وهو: أن الأرمن قد خلقوا انطباعاً عند البريطانيين في بادئ الأمر بأن الكُرد هم قلة في المنطقة، وأن حالهم مثل حال الشركس، واللاز، والألبان، ليسوا من سكان المنطقة الأصليين، ولكن بعد توغل البريطانيين شيئاً فشيئاً في كُردستان رأوا وتوصلوا إلى خلاف ما نقل إليهم؛ فوجدوا أولاً: إن الغالبية العظمى من السكان هم من الكُرد، وثانياً: أن الكُرد من

١. جليلي جليل، انتفاضة الأكراد...، ص ٤٢.

2. MUSA ŞAŞMAZ, Op.Cit., P.60.

٣. للتفاصيل عن مشروع الإصلاح الذي قدمه الأرمن في سيواس وموش ينظر على التوالي:
-No.40, Lieuten-colonel Wilson to Sir A.H.Layard, SMYRANA, May 15, 1880, in:
(B.Ş.B.D.O.A), VOL: II, P.7-11; No.80, Captain Clayton to Major Trotter, VAN, May 25,
1880, in: (B.Ş.B.D.O.A), VOL: II, P.25-33.

سكان هذه المنطقة الأصليين، وان كانت الصفة الاجتماعية لديهم هي العشائر الرحالة، إلا أنهم يعدون تلك الأراضي ملكاً لهم ولأجدادهم منذ مئات السنين.

ويبدو أن هذه اللجان عملت جاهدة في محاربة كل ما هو كُردي في المنطقة، حتى كانوا ضد الموظفين الكُرد الذين عينتهم الحكومة العثمانية، في سلك الإدارة في شمال كُردستان، ففي ذلك الوقت أيضاً عُزل احمد جميل باشا^١ تحت ضغط القنصليات الأوربية هناك، من متصرفية سيرت نتيجة للشكاوى الأرمنية ضده^٢.

إن وقوف الإدارة العثمانية ضد إجراءات لجان الإصلاح في شمال كُردستان لم يكن سببه أن هذه الإدارة كانت تفضل الكُرد على الأرمن، أو من باب حماية أعيان المسلمين كما ورد في مذكرة السلطان عبد الحميد الثاني إطلائاً، وإنما يعود السبب في ذلك إلى أن هذه اللجان كانت قد أزعجت كثيراً ولاة الأقاليم الأتراك في شمال كُردستان بأن حدثت من صلاحياتهم، وكانت دائماً تقوم بتفتيش سجلات الضرائب العائدة للولاية، وهذا ما أدى إلى نفرة الإدارة العثمانية منها، وأدى هذا الأمر إلى أن تتوحد مصالح كل من الإقطاعيين الكُرد مع هؤلاء المسؤولين الأتراك، وهذا ما حدث لأول مرة في التاريخ الكُردي الحديث، ربما وجد في أماكن عديدة وفي أزمان تاريخية مختلفة بعض الأغوات الكُرد يتحالفون مع الأتراك، بوجه الكُرد أنفسهم، كما حدث عندما اجتاحت الجيوش العثمانية كُردستان، في النصف الأول من القرن التاسع عشر، ولكن بهذه الصورة لم يشهد له التاريخ في المنطقة مثيلاً، والمفارقة هنا أن الأرمن كانوا السبب الأول والرئيسي في هذا التقارب الكُردي-التركي، فمن جهة لم يكن بوسع السلطان عبد الحميد أن يعفو عن الأرمن؛ بسبب أنهم حاربوا مع القوات الروسية عند اكتساحها شمال كُردستان في أواخر عام ١٨٧٧، وكذلك مطالبتهم بالحكم الذاتي في مؤتمر سان ستيفانو وبرلين، ومن جهة أخرى حاولت هذه اللجان التي كان العنصر الأرمني أحد أركانها تفرير المنطقة من سكانها الكُرد، ومحاولة إبعادهم إلى خارج كُردستان،

١. احمد جميل باشا ١٨٣٧-١٩٠٢: يعد من أبرز الشخصيات الكُردية في ديار بكر، تقلد مناصب عديدة في الدولة العثمانية، من أبرزها متصرف سيرت ووالياً على اليمن، وكانت لأسرته في النصف الأول من القرن العشرين دور بارز في الحركة التحريرية القومية الكُردية. ينظر: مالميسانج، عائلة جميل باشا الدياربكري والنضال القومي الكُردي، ترجمة: فيض الله خان ودلشا يوسف، مراجعة: فدان ادم، ط٢، ديار بكر، ٢٠٠٧، ص ١٥-٢٤ .

٢. المصدر نفسه، ص ١٩ .

لأهداف معينة منها زيادة النسبة السكانية للأرمن في شمال كردستان، وتهيئة أرضية مناسبة لإقامة دولة أرمنية عليها، هذا الأمر جعل الكرد والأتراك يشعرون معاً لأول مرة بأن عدوهم الأول في المنطقة هم الأرمن، ولذلك نجد أن كل ما ينسب إلى الإقطاعيين الكرد من جرائم وأعمال سرقة ضد الأرمن تعود إلى عقد الثمانينات وما بعدها، وإذا جاز لنا القول: إن الكرد إذا ما قاموا بقتل أو سرقة أرمني قبل هذه المدة فلأنه كان غنياً أو لسبب آخر لا يمكن إخراجه عن السبب المادي، وليس لواقع ديني وقومي كونه أرمنياً، أما بعد الحرب فإن العديد من الأرمن قتلوا أو سلبوا فقط لأنهم أرمن، وكان غالباً ما يتم هذا الأمر بإيعاز تركي.

إن الدولة الوحيدة، التي أصرت على إجراء الإصلاحات الأرمنية كانت بريطانيا؛ ولذا لم تكن الدولة العثمانية والدول الموقعة على معاهدة برلين راغبة في إجراء هذه الإصلاحات، وكان لكل منها أسبابها الخاصة، ورغم تقديم سفراء الدول الستة (ألمانيا، وبريطانيا، وفرنسا، وإيطاليا، وروسيا، والنمسا-هنغاريا)، تحت ضغط الحكومة البريطانية مذكرة احتجاج شديدة اللهجة إلى الدولة العثمانية في ٧/١١/١٨٨٠، مطالبين فيها بالإسراع في تطبيق الإصلاحات، فإنه لم يتم إنجاز أي من الإصلاحات في المنطقة، بل إن الوضع صار من سيء إلى أسوأ، ورغم ذلك فإنه بحلول عام ١٨٨١ كانت الإصلاحات التي نصت عليها المادة الواحدة والستون من معاهدة برلين قد توقفت بصورة فعلية كلياً، وتركت الساحة للدولة العثمانية، لتفرض على المنطقة من جديد إرادتها وقراراتها دون الخوف من العامل الخارجي^١.

فقد وقعت منذ عام ١٨٨٠ أحداث عالمية حولت أنظار أوروبا إلى اتجاهات ومناطق أخرى من العالم، فالنشاطات السلافية في النمسا والمجر، واحتمال قيام تحالف

١. للإطلاع على نص هذه المذكرة باللغتين الفرنسية والانكليزية ينظر:

-No.32, Collective Note addressed to the Porte, CONSTANTINOPLE, le 7 September, 1880, in: (B.Ş.B.D.O.A), VOL: II, P.113-124.

2. Annexe au No.30, Séance de la Ghambre des Gommunes du 28 Mai 1889, GRUELTIES IN ARMENIA, IN: BILAL N.ŞİMŞİR, DOCUMENTS DIPLOMATIQUES OTTOMANS: AFFAIRES ARMENIENNES, VOL :I (1886-1893), ANKARA, 1993, P36-37.

- سنشير إلى هذا المصدر الوثائقي فيما بعد بالاختصار التالي، وهو الأحرف الأولى من اسم المعد واسم الكتاب.(B.Ş.D.D.O.A.A)

فرنسي-روسي، قد أسفر عن اتفاق ألمانيا والنمسا مع الدولة العثمانية واستعدادهم لمساعدتها^١، وقد عبر مستشار ألمانيا بسمارك نفسه في ٢٨/١/١٨٨١ لبريطانيا بأنه من الأفضل تأجيل الضغط على الباب العالي، بخصوص الإصلاحات الأرمنية^٢، كما أن روسيا منذ حكم قيصرها اسكندر الثالث (١٨٨١-١٨٩٦)، قد عدلت عن سياسة حمايتها شعوب دول البلقان المسيحية، التي استقلت آنذاك عن الدولة العثمانية، وحماية كافة الشعوب المسيحية العثمانية، زد على ما مرَّ أن التوسع الاستعماري في أفريقيا وجنوب شرق آسيا والصين قد أشغل الدول الكبرى وحولت نظرها عن متابعة المسألة الأرمنية^٣، في حين رأت فرنسا وإيطاليا أن المسألة ذات أهمية خاصة لبريطانيا فقط، وبقيت روسيا معادية لفكرة الإصلاح، لا لأنها لا تستسيغ فكرة تجديد حيوية تركيا فحسب، بل لأنها تخشى كذلك أن يؤدي المشروع، الذي رعاه البريطانيون إلى زيادة خطيرة في نفوذهم في تلك المنطقة الحساسة، التي تتاخم أقاليمها القوقازية^٤.

وفي تقرير أعده الضابط البريطاني (سي.أف.دكسون جونسن C.F. Dixon Johnson) لبحث المسألة الأرمنية بعد حرب البلقان عامي (١٩١٢-١٩١٣)، والذي حمل عنوان (المسألة الأرمنية: معناها لبريطانيا العظمى)، يشير إلى أن روسيا كانت السبب الرئيسي في افتعال وتطور المسألة الأرمنية، لأنها لم تحبذ منذ البداية إجراء الإصلاحات في شمال كردستان، فالكل يعلم حسب صاحب التقرير أن بريطانيا والدولة العثمانية وألمانيا قد دعموا الإصلاحات الأرمنية، إلا أن روسيا وقفت ضد هذه الإصلاحات، وقامت بتشجيع هجرة الأرمن إلى اذنة وطرابزون، وذلك من أجل خلق أرضية مناسبة، للسيطرة على موانئ البحر الأسود والمتوسط^٥.

ويتابع صاحب التقرير في بيان أسباب الاعتراض الروسي على الإصلاحات الأرمنية بالقول: إن هناك أسباباً عدة وراء ذلك، من أهمها:

١- عندما يستقر الموظفون البريطانيون على طول حدود كردستان فإن تسهيلات السرقة

١. محمد رفعت الإمام، المصدر السابق، ص ٣٠.

2. A. O. SARKISSIAN, HISTORY OF THE ARMENIAN..., P.109.

٣. محمد رفعت الإمام، المصدر السابق، ص ٣٠.

٤. وديع جويده، المصدر السابق، ص ٥٤؛

-M.Kalman, A.G.E., S.38-39.

5.C .F. DIXON JOHNSON, THE ARMENIAN QUESTION: ITS MEANING TO GREAT BRITAIN, n.p, n.d, P.1-2.

- بالسلاح، وكذلك إرسال الوكلاء أو العملاء المحرضين لإثارة الاضطرابات ستتقلص.
- ٢- سيكون البلد على اتصال أقرب مع الصحافة الأوربية، كما أن البريطانيين المتواجدون في الميدان سوف يبعثون بتقارير يُدَوّنون فيها الحقائق الصحيحة من دون خوف.
- ٣- في ظل حكومة جديدة ستتعلم المحافظات برحاء كثير، كما أن الدولة العثمانية نفسها ستكون بوضع عسكري ومالي أقوى.
- ٤- سوف لا تكون هنالك أية ذريعة لأي تدخل أجنبي^١.

ويتابع ديكسون أن روسيا حتى بعد موافقة الدولة العثمانية على الإصلاحات الأرمنية أملت بتمرد كُردي على الإصلاحات، مما يعطي ذريعة لغزو مباشر، وهنا يؤكد صاحب التقرير على أن الروس هم الذين دفعوا الأرمن إلى سلوك هذه السياسة، ويضيف بأن الأرمني الحقيقي يهتم كثيراً بالجانب السلمي، لجمع الثروات سواء أكان مزارعاً بسيطاً، أم صاحب دكان، أم تاجراً، أم مرابياً، أفضل بالنسبة له من التدخل بالأمور السياسية.

وعلى الرغم من الأخطاء المعترف بها لعرقه فإنه مزارع جيد، ورجل أعمال ناجح، وصناعي، كما انه ملتزم بعقيدته ويتميز أيضاً بقدرة على التكيف مع الظروف، وبخصوص علاقة الكُرد بالأرمن، يذكر دكسون أنه حتى عام ١٨٧٧-١٨٧٨ لم تكن العلاقات بين الأرمن وجيرانهم الكُرد غير ودية، فإن هجمات الكُرد لم تكن سياسية ولا طائفية، حيث كان المسلمون والمسيحيون يعانون من ذلك بصورة متساوية، وحتى اغتيال القيصر الروسي اسكندر الثاني عام ١٨٨١، كانت هنالك دعاية نشيطة يبثها ويشجع عليها القناصل الروس، حيث إن هؤلاء الوكلاء أسسوا المدارس، وشجعوا اللغة الأرمنية وحاولوا زرع اعتقاد حول الملكة الأرمنية المستقبلية تحت حماية روسية، ويقول كاتب التقرير: إن هذه السياسة الروسية أدت فيما بعد إلى حدوث تباعد بين العنصرين الكُردي والأرمني^٢.

1. Ibid, P.4.

2. Ibid, P.5-7

- ذكر القنصل الفرنسي السابق الميسيو زارزيكي في وان أن العلاقات بين الكُرد والأرمن كان يسودها التسامح قبل عهد عبد الحميد الثاني، إلا أن هذه العلاقات سمّتها -حسب قوله- السلطان الأحمر، ينظر:

ANDRÉ MANDELSTAM, Op.Cit., P.188.

أما المعارضة الشديدة التي أبدتها الدولة العثمانية تجاه هذه الإصلاحات المفروضة فإنها لم تكن بسبب رغبتها في إنقاذ الولايات الشرقية من المصير الذي آلت إليه أملاكها في البلقان فحسب، بل إن موقفها من الجزئين-أي البلقان وشمال كُردستان- من الأملاك كان يختلف إلى درجة كبيرة، فإنها إن سلمت بخسارة أملاكها في البلقان ذي الأغلبية المسيحية، عدت منطقة الأناضول ذي الأغلبية المسلمة جزءاً لا يتجزأ من ديار الإسلام، وهي تعد نفسها وصية قيمة عليها بلا نزاع، لذلك بدأ الأمر وكأن بريطانيا وحدها من بين جميع الموقعين على معاهدة برلين كانت تنزل الإصلاحات منزلة كبرى، وتعلق على تنفيذها أهمية قصوى، في إصرارها على أفراد مادة خاصة في اتفاق الحلف الدفاعي، الذي وقعته مع تركيا سراً في الرابع من حزيران ١٨٧٨، أي قبل شهر واحد تقريباً من التوقيع على معاهدة برلين^١.

إن هذا الاتفاق يُعدّ مفتاحاً هاماً جداً، لتفهم موقف تركيا من الإصلاحات، فمما يفهم من نص الاتفاق أن يتعهد السلطان العثماني بالقيام بالإصلاحات، ويتنازل للبريطانيين عن جزيرة قبرص، مقابل تعهدهم بالمقاومة بقوة السلاح بوجه أية محاولة روسية للاحتفاظ بباطوم واردهان وقارص، إذا ما حاولت هذه الدول أن تستولي على أراضي أخرى تعود للدولة العثمانية، زيادة على تلك الأقاليم، فمع موقف بريطانيا الصلب الحدي في مؤتمر برلين الذي أرغم روسيا على صرف النظر عن ضبط أرضروم وبيازيد ووادي الاشكيرد، فضلاً عن المناطق السفلى من باطوم، لا نجدها تحاول منع روسيا من الاحتفاظ بباطوم واردهان وقارص! ولا حاجة إلى القول: إن خيبة السلطان هنا كانت كبيرة، فقد بدا واضحاً أن فشل بريطانيا في رفع يد روسيا عن هذه المناطق الثلاث المذكورة صراحة في الاتفاق زلزلت ثقته في مقدرة بريطانيا، أو ربما رغبتها في الحرص على تنفيذ تعهداتها المقطوعة، وليس ببعيد أن السلطان شعر- بسبب نكوص بريطانيا عن القيام بواجبها كما نص في المعاهدة- بأنه لم يعد بعدها ملزماً بتنفيذ الجزء الخاص به من الصفقة^٢، هذا وكان بسمارك قد نصح السلطان عبد الحميد الثاني بعدم الإسراع في تنفيذ الإصلاحات الأرمنية حرصاً على هيئته^٣، وهكذا يظهر

١. وديع جويده، المصدر السابق، ص ٥٣-٥٤ .

٢. المصدر نفسه، ص ٥٥ .

٣. فؤاد حسن حافظ، المصدر السابق، ص ٢٠٦ .

أن الدولة العثمانية التي كانت ضد الإصلاحات من البداية، زادت معارضتها لها باطراد تردي علاقاتها ببريطانيا، ومعارضة الترك الشديدة للإصلاح، كانت إلى حد كبير مسؤولة عن موقفها المتساهل مع انتفاضة الشيخ عبید الله-التي سيتم التطرق إليها لاحقاً^١.

ولذلك فإن الدولة الوحيدة التي كانت متحمسة لإجراء هذه الإصلاحات هي بريطانيا، لكن ما لبثت هي الأخرى أن تخلت عنها، فلم يكن سراً أن بسمارك مستشار ألمانيا، والذي رأس مؤتمر برلين، قد رفض طلب (غلاستون-Gladstone) رئيس وزراء بريطانيا إثارة مسألة عدم تنفيذ الإصلاحات الأرمنية دولياً من جديد، أوائل عام ١٨٨١، بل واقترح عليه تركها حتى لا تخلق مبدأً تستند إليه فرنسا في طلب إصلاحات مماثلة في إقليمي الالزاس واللورين الفرنسيين، اللذين استولت عليهما ألمانيا من فرنسا وضمتهما إثر حرب السبعين في عام ١٨٧٠-١٨٧١، واستجاب غلاستون وأمر سفيره في الدولة العثمانية اللورد (غوشن-Goschen) في ١٠ شباط ١٨٨١، بعدم إثارة هذه المسألة، وسحب قناصل بريطانيا العسكريين من شمال كردستان، وذلك لأن بريطانيا كانت قد بدأت تسترضي كل من الدولة العثمانية وألمانيا، لكي لا تعارضا تدخلها في مصر الذي بدأ في عام ١٨٨١، إثر قيام الثورة العرابية، وبقيائها فيها بعد احتلالها في عام ١٨٨٢^٢.

من جهة أخرى يظهر أن بريطانيا قد فقدت ثقتها بالأرمن في تلك الآونة، فقد تبين أن كل الإحصائيات والمعلومات التي حصل عليها البريطانيون منذ عقد مؤتمر برلين، وحتى ما بعد انتهاء انتفاضة الشيخ عبید الله النهري في أواخر العام ١٨٨٠ من الأرمن، كانت غير صحيحة في أغلب الأحيان، وان الهالة التي كونها الأرمن لأنفسهم في شمال كردستان لا تستند إلى حقائق واقعية، فقد كان البريطانيون في بادئ الأمر جادين في تطبيق الإصلاحات الأرمنية في شمال كردستان، إلا أنهم وقعوا في حيرة من أمرهم بخصوص إحصائيات السكان هناك، وكانت العقبة الأكبر التي اعترضتهم هي التناقض الكبير الذي وجدوه ما بين الإحصائيات التي قدمها لهم الأرمن أثناء

١. وديع جويذة، المصدر السابق، ص ٥٨ .

-SALAH R.SONYEL, MINORITIES...,P.287-288.

٢. فؤاد حسن حافظ، المصدر السابق، ص ٢٠٦ .

مؤتمر برلين وبعد ذلك، وبين إحصائياتهم هم أنفسهم عن السكان بعد مجيئهم إلى كُردستان، ولو كان عدد نفوس الأرمن يعادل نصف عدد السكان أو اقل منها بقليل لأنشأ البريطانيون دولة أو كيانياً لهم في شمال كُردستان، إلا أنهم اصطدموا بواقع أن الغالبية العظمى من السكان هم من الكُرد، وليسوا من الأرمن كما كانوا يتوقعون.

مر سابقاً أن تروتر كان قد ذكر في تاريخ ١٨٧٩/٧/١٥ أن هناك تناقضاً واضحاً بين الإحصائية التي كان قد قدمها تايلور، القنصل البريطاني السابق في ارضروم عام ١٨٦٩، وبين إحصائية الوفد الأرمني التي قدمت إلى مؤتمر برلين^١، كما ذكر الجنرال بيكر باشا أن غالبية السكان في المنطقة هم من الكُرد^٢، وها هو لا يارد نفسه يعترف بهذا الأمر في رسالته المؤرخة بتاريخ نيسان ١٨٨٠ إلى وزارة الخارجية البريطانية؛ إذ يقول فيها: "إن أي محاولة من جانب الأرمن لتحقيق الاستقلال أو الحكم الذاتي، في ظل الظروف الحالية، سوف تؤدي إلى عواقب وخيمة، وإلى كوارث للأرمن أنفسهم، ويجب أن لا ننسى أن الأرمن يشكلون أقلية، وأنهم في العديد من المناطق يشكلون أقلية جداً من السكان، ومن العبث والخطورة أن نبحث عن إنكار هذه الحقيقة مع إنكار الكُرد"^٣، وفي رده على الإحصائيات التي تداولها الأرمن والأتراك في تلك المدة بين أنها بعيدة عن الحقيقة والواقع في كُردستان، إذ يقول تروتر في مذكرته إلى اللورد (دوفرين - Dufferin) وزير خارجية بريطانيا، بتاريخ ١٨٨١/٧/١١: "إن النتائج العامة التي توصلت إليها كانت في إقليم ارضروم ووان وبتليس، إن السكان المسيحيين ومن ضمنهم النساطرة يبلغون حوالي (٣/١) بنسبة السكان، وان النسبة الباقية (٣/٢) هم من المسلمين، والنسبة الأكبر من المسلمين هم من الكُرد، لذلك فإن الأرمن الذين يشكلون (٤/١) من السكان، وعلى الرغم من إنهم أكثر من الأتراك، إلا أنهم أقل عدداً من الكُرد، وإذا ما أخذت كل منطقة كُردستان، أي ولايات ديار بكر، وخربوط فضلاً عن الولايات الثلاث التي ذكرتها سابقاً، فإني أقدر عدد السكان المسيحيين حوالي (٧/٢) من نسبة السكان الكلية..."، كما وجه تروتر في تقريره هذا انتقادات شديدة

1. No.230, Major Trotter to The Marquis of Salisbury, ERZEROUM, July 15, 1879, in: (B.Ş.B.D.O.A), VOL: I, P.483-485.

2. Inclosure in No.340, Baker Pasha to Sir A.H.Layard, DIARBEEKIR, February 1, 1880, in: (B.Ş.B.D.O.A), VOL: I, P685-687.

3. No.354, Sir A.H..Layard to Her Majesty's Secretary of State for Foreign Affairs, CON-STANTINOPLE, April 27, 1880, in: (B.Ş.B.D.O.A), VOL: I, P721-730.

اللهجة إلى إحصائيات البطيركية الأرمنية، بأنها تجنبت ذكر قرى كاملة للكرد في إحصائياتهم، كما أنها لم تتطرق إلى سكان منطقة درسيم^١.

وقد أثبتت وقائع انتفاضة الشيخ عبید الله النهري- والتي سيأتي الحديث عنها لاحقاً- أن أغلب التقارير الأرمنية التي رفعت للبريطانيين آنذاك عنها كانت غير صحيحة وربما كان لهذا العامل أيضاً دوره في إهمال البريطانيين للمسألة الأرمنية في شمال كردستان، حيث تبين لهم أن الأرمن لا يشكلون إلا نسبة محددة من السكان هناك.

قنصلية كردستان :

في خضم صراع الإصلاحات الأرمنية في شمال كردستان نشأ خلاف شديد بين الأرمن والبريطانيين، عندما قام الساسة البريطانيون بإطلاق اسم كردستان على قنصليتهم في ارضروم، التي أصبحت المرجع الرئيسي للسياسة والضباط البريطانيون في معظم مناطق كردستان، فمن خلالها فقط كان يتم مخاطبة سفير بريطانيا في استانبول.

فبعدما كلفت الدول الموقعة على معاهدة برلين الحكومة البريطانية بمتابعة سير الإصلاحات قام السفير البريطاني لايارد، بالتشاور مع السياسيين والضباط البريطانيين العاملين في الدولة العثمانية، بالبحث عن أفضل السبل الكفيلة لمتابعة سير تطبيق هذه الإصلاحات، وفي أول رد فعل أرسل السفير البريطاني السير هنري لايارد برقية إلى وزير خارجيته اللورد سالسبيري بتاريخ ١٩/١٠/١٨٧٨، جاء فيها ما يلي: "أعلنت الصحف التركية تعيين السيد (م.ماكسيموف-M. Maximoff)، قنصلاً روسياً لكردستان، وان يقيم في دياربكر، واقترح لسيادتكم بأنه في غاية الأهمية تسمية قنصل بريطاني في كردستان، ومن دون أي تأخير، وكما هو معروف فإن المؤامرات الروسية سوف تنجح"^٢.

يتبين من هذا النص المار الذكر أن روسيا قامت بتعيين قنصل لها في كردستان

1. Inclosur in No.81, Major Trotter to the Earl of Dufferin, CONSTANTINOPLE, July 11, 1881, in: (B.Ş.B.D.O.A), Vol:II,P249-251. Ramazan ÇALIK, A.G.E., S. 20-22 .

2. No.107. Sir A.H. Layard to The Marquis of Salisbury, THERAPIA, October 19, 1878, in: (B.Ş.B.D.O.A), VOL: I, P232.

سُمي بـ(قنصل كُردستان)، واتخذ من مدينة دياربكر، التي تقع في كُردستان الشمالية، مركزاً دائماً لهذه القنصلية، لذلك بادرت الحكومة البريطانية على الفور بتعيين قنصل عام لها في كُردستان، لمتابعة سير الإصلاحات، ولسد الطريق أمام روسيا القيصرية، والحيلولة دون تطبيق أجندتها السياسية هناك، إلا أن الملاحظة التي تُوخَذ بنظر الاعتبار هنا هي أن كلتا الدولتين روسيا وبريطانيا كانت في نيتهما متابعة الإصلاحات في (أرمينيا)، كما توقعها الأرمن، إلا أن كلا الدولتين روسيا وبريطانيا قد أطلقتا اسم (كُردستان) على قنصليتها، مع العلم أن الإصلاحات هي باسم (أرمينيا)، كما هو معروف، وهذا خير دليل على إن اسم (كُردستان) كان متأسلاً في جذور المنطقة، وإنها فعلاً كانت كُردستان، وليس كما ادعى الأرمن بعد ذلك أن الدولة العثمانية استبدلت اسم (أرمينيا) بـ(كُردستان)، في ثمانينات القرن التاسع عشر، كما سيأتي الحديث عنه لاحقاً. لقد عيّنت بريطانيا الرائد البريطاني (هنري تروتر) أول قنصل لها في قنصلية كُردستان، في أواخر شهر تشرين الأول عام ١٨٧٨، ويمكن عد تاريخ ٢٢/١٠/١٨٧٨ التاريخ الرسمي لفتح قنصلية بريطانيا في كُردستان، ففي هذا التاريخ أرسل هنري لايرد برقية إلى تروتر أوضح فيها بأنه تم تعيينه قنصلاً عاماً لكُردستان (Consul for Kurdistan)، واختيرت مدينة ارضروم، الواقعة في شمال شرق كُردستان، لكي تكون مقراً لهذه القنصلية البريطانية الجديدة، وقد بين لايرد لتروتر مهام عمله، التي لخصها: في متابعة الإصلاحات الأرمنية، ومتابعة الشكاوى الأرمنية والتهديد الكردي، وأيضاً متابعة السياسة الروسية في المنطقة^١.

بناءً على اقتراح تروتر اختيرت مدينة ارضروم، لكي تكون مقراً لقنصلية كُردستان في الصيف، ومدينة دياربكر، مقراً لها في الشتاء، وذلك لأن شتاء ارضروم القارص جداً كان يعيق عمل القنصل، وخصوصاً فيما يتعلق بالبرقيات العاجلة، كما تم تعيين وكلاء لقنصل كُردستان، الذين كانوا بمثابة نواب القنصل، في مدن وان، وخربوط، وبتليس، وموش، لكي تكون الحكومة البريطانية قريبة جداً من وقائع سير الإصلاحات هناك، كانت العملية على هذا النحو: عند وقوع أي حادثة يقوم نواب القنصل بكتابة

1. Inclosure in No.108, Sir .H.Layard to Captain Trotter, THERAPIA, October 22, 1878, in: (B.Ş.B.D.O.A), VOL: I, P233-234.

2. Inclosure in No.145,Captain Trotter to Sir A.H.Layard, DIARBKIR, December 21, 1878, in: (B.Ş.B.D.O.A, VOL: I, P.308-311; Inclosure in No.201, Major Trotter to Sir A. H. Layard, KATERBUL, May 10, 1879, in: (B.Ş.B.D.O.A), VOL: I, P.402-405.

تقرير عن هذه الحادثة أو الشكوى التي وردتهم، وترسل نسختين منه، نسخة إلى القنصل العام في كُردستان، ونسخة إلى سفير بريطانيا في استانبول، ولكن يجب مخاطبة سفير بريطانيا في استانبول فقط من خلال قنصلها العام، ولكن مع ذلك وجدت حالات خاطب فيها نواب قنصل كُردستان، مباشرة السفير البريطاني في استانبول، كما كان لقنصل كُردستان الحق في مخاطبة وزير خارجية بريطانيا مباشرة^١.

وقد قامت الحكومة البريطانية بتعيين العقيد (ولسن-Wilson)، قنصلاً للأناضول، وكانت مهمته تقتصر على متابعة الإصلاحات الأرمنية الواقعة في الأناضول الغربية، بدءاً من سيواس وانتهاءً بمشارف السواحل الشرقية للبحر الأبيض المتوسط^٢.

لم يكن البريطانيون يتوقعون بأنهم بمجرد إطلاق اسم (كُردستان) على قنصليتهم سيتلقون هجوماً عنيفاً من الأرمن، فما أن شاع اسم قنصل كُردستان وان هنري تروتر كان يكتب أسفل كل تقرير يبعثه إلى السفير في استانبول (قنصل كُردستان)، حتى قاد الأرمن هجوماً عنيفاً على السياسة البريطانية في الدولة العثمانية، ففي رسالة من بطريك الأرمن نرسييس إلى لايارد بتاريخ ١٨٧٩/٧/١، جاء فيه: "...إن الأرمن الذين يعيشون في أراضي أرمينستان العليا، تلك الأراضي التي سقيت بعرق الأجداد وبدمائهم، وان إراقة الكُرد لدماء الأرمن هو أمر في غاية البشاعة، وان مسألة بقاء الأرمن الذين تعرضوا لظلم جماعات الكُرد، وبقائهم بعيدين عن العالم الخارجي ومجهولين، هو أمر في غاية الحزن... لذلك لدي سبب يجعلني أن اعترف بوجود خطأ واضح بالطريقة التي أعلنت فيها الجرائد تسمية القنصل الإنكليزي في ارضروم[أي: تسميته قنصل كُردستان]، وكما هو معروف فإن ارضروم مثل بقية المدن: وان، وموش، وخربوط، تقع في أرمينيا، ولذلك فانه ليس من الممكن أن نستبدلها بكلمة كُردستان، أي أن نضع كُردستان بدلاً من أرمينستان، فإن ذلك سوف يجرح مشاعر الأرمن

١. ينظر مثلاً، نص الأوامر التي أرسلها تروتر إلى كلايتون، عندما عيّن نائباً لقنصل كُردستان في وان بتاريخ ١٨٧٩/٧/٢٤ في:

-Inclosure in No.237, Major Trotter to Captain Clayton, ERZEROUM, July 24, 1879, in:

(B.Ş.B.D.O.A), VOL: I, P496-499.

2. No.203, Major Trotter to The Marquis of Salisbury, ERZEROUM, June 4, 1879, in:

(B.Ş.B.D.O.A), VOL: I, P409-411.

كثيراً...واكرر القول ثانية: إن ذلك لا يمكن أن يكون نتيجة خطأ، فان حقيقة تسمية قنصل انكليز عديدين في أرمينيا، هو بحد ذاته يشكل بداية للحماية^١.

كما قامت جريدة (منار البسفور – Phare du Bosphore) الأرمنية بنشر خبر احتجاج البطريرك الأرمني، وعلى النحو الآتي: "نعلم بان الحكومة الانكليزية قد حددت أخيراً اسم كُردستان على المحافظات، التي تضم أرمينيا، وقد علمنا بان صاحب الغبطة البطريرك الأرمني قد احتج بقوة ضد هذه التسمية الخاطئة"^٢، كما نشرت جريدة ترجمان الأفكار العثمانية في عددها (٥٨٣) الصادر في تاريخ ٢٤ حزيران ١٨٧٩ الخبر نفسه^٣.

أرسل ليارد رسالة إلى سالسبيرى بتاريخ ١٨٧٩/٧/٨ يتناول فيها هذه المسألة التي أثارها الأرمن بخصوص اسم القنصلية التي أنشأها البريطانيون؛ لمتابعة عمل لجان الإصلاح العثمانية، ويقول ليارد فيها بأنه: "يعتقد انه ليس من الضروري الإجابة عن رسالته [أي: رسالة البطريرك نرسييس]^٤"، وأضاف أن نرسييس ذكر له بان السلطة القضائية للقنصل تروتر تمتد إلى المنطقة التي هي في الواقع تحمل اسم (أرمينيا) وليست (كُردستان)، ويتابع ليارد حديثه لسالسبيرى بأنه وفي مناسبات عديدة، قدم ملاحظات حول محاولة خلق أرمينيا في تركيا الآسيوية، التي سوف تشكلها أوروبا أو روسيا، والتي ستنتهي إلى دولة مستقلة، ولا أستطيع أن أتوقع والقول للليارد-أن الباب العالي سوف يوافق على ذلك، أو على أقل تقدير، أن يشجع هذه المحاولة، بعد التجربة التي مرت بها تركيا الأوروبية، حيث إنها لا تعترف بوجود ولاية مثل أرمينيا، وهو اسم معروف عندها، وعلى كل حال لقد حذرت الباب العالي، مرات ومرات، بأنه إذا لم تُدخل الإصلاحات فإن مسألة الجنسية أو القومية الأرمنية سوف تُثار^٥.

لم تقف المحاولات الأرمنية عند هذا الحد، بل إن الضغط الأرمني سلط في هذه المرة

1. Inclosure 1 in No.219, Monsignor Nercès to Sir A.H.Layard, Le 1er Juillet 1879, in: (B.Ş.B.D.O.A), VOL: I, P.464; Bilâl N.ŞimŞir, KÜRTÇÜLÜK 1787-1923...,S.175.
2. Inclosure 2 in No.219, Extract from the "Phare du Bosphore" of July 1, 1879, in: (B.Ş.B.D.O.A), VOL: I, P465.
3. Bilâl N.ŞimŞir, KÜRTÇÜLÜK 1787-1923..., S.174.
4. No.219, Sir A.H.Layard to The Marquis of Salisbury, THERAPIA, July 1, 1879, in: (B.Ş.B.D.O.A), VOL: I, P.463.
5. Ibid.

على القنصل تروتر نفسه، والذي اقترح في رسالته التي بعثها إلى سالسبيرى بتاريخ ١٨٧٩/٧/١٥، الإذعان لمطالب الأرمن بخصوص اسم القنصلية، يقول تروتر في رسالته: إنه قد حصل على جريدة ارمنية تصدر في استانبول، تتحدث عن حالة اضطراب بين الأرمن في ولايات: (ارضروم، ودياربكر، وخربوط، وموش، ووان)، منذ أن عُيِّن قنصلاً عاماً في كُردستان، وتتضمن هذه المقالة هجوماً عنيفاً على بعض السياسة البريطانيين؛ ثم يقول تروتر: "...وان هذه[المسألة] أثارت ضجة وسط الصحف الأرمنية في القسطنطينية، وإنني على بينة بان القنصلية التي أنا على رأسها في الوقت الحاضر، وهو شرف كبير لي، فأنتني اعترف بأنني اعلم قنصلاً في كُردستان، وإنني أقوم بواجبي هناك، وهنالك اقتراح تم تقديمه في هذه المقالة الطويلة[أي المقالة الأرمنية] ينص على أن يتم تسمية هذه القنصلية بأنها قنصلية أرمنية وكُردستان..."^١، ويجيب تروتر على هذا الاقتراح بأنه لا يجد ضيراً في إطلاق اسم (قنصلية أرمنية التركية وكُردستان)، على قنصليته، وانه سيخلق انطباعاً جيداً لدى الأرمن إن حدث هذا الأمر، ويختتم رسالته بالقول: "وعلى الرغم من أن تعبير أرمنية التركية وكُردستان سوف يكون من المحتمل أصوب كثيراً، أكثر من أن نقول كُردستان بكل بساطة...فهل إن سيادتكم تعتقدون أن التعبير غير مسموح به؟ واقترح تسمية قنصل المحافظات الشرقية من تركيا الأسيوية"^٢. يبدو هنا أن تسمية القنصلية باسم (كُردستان) لم يكن بضغط تركي أو ضغط من أي جهة أخرى عندما قامت بريطانيا بتسميتها لأول مرة، ولم يكن تروتر معترضاً على الاسم، ولكن بعد الضغوط الأرمنية اقترح تروتر تغيير اسم القنصلية إلى قنصلية أرمنية التركية وكُردستان، أو إلى قنصل المحافظات الشرقية، وذلك لكسب الأرمن إلى جانبهم، وإشعارهم أن بريطانيا جادة في متابعة الإصلاحات، التي نصت عليها معاهدة برلين في مادتها الواحدة والستين، بل إن البريطانيين حتى قبل ذلك كانوا يطلقون على قنصليتهم في ارضروم تسمية (القنصلية البريطانية في كُردستان)، في ستينات القرن التاسع عشر^٣.

1. No.230, Major Trotter to The Marquis of Salisbury, ERZEROUM, July 15, 1879, in: (B.Ş.B.D.O.A), VOL: I, P.483-485.

2. Ibid.

3. No.25, Consul Taylor to the Earl of Clarendon, ERZERROOM, March 19, 1869, in: (B.Ş.B.D.O.A), VOL: I, P52-70.

رغم هذا الاقتراح من جانب تروتر إلا أن لا يارد رفض هذا الاقتراح أيضاً، وفضل الإبقاء على اسمها (كُردستان) منعاً لوقوع أي شك لدى الدولة العثمانية تجاه نواياها في المنطقة، ففي رسالة من لا يارد إلى سالسبيرى بتاريخ ١٨٧٩/٨/١، يذكر فيها أن الرائد تروتر قد أوصى بالتنازل للأرمن في هذه المسألة، والتي هي ليست جديدة عليه، وعقب لا يارد على هذا الاقتراح بأنه من غير الممكن أن يقدم الباب العالي تنازلاً بهذا الخصوص، وان يقبل تحويل اسم القنصلية من (كُردستان) إلى (أرمينيا)، وهي محافظة لا وجود لها في التقسيم السياسي الحالي في الدولة العثمانية، وان تم الطلب من الباب العالي لتغيير اسم القنصلية فإنها ستشك بوجود مؤامرة، وهي أن أوربا تقف وراء استقلال أرمينيا؛ ثم يضيف لا يارد: إذا كان عنوان قنصل (كُردستان) عدائياً للأرمن فإن عنواناً آخر يمكن أن نجده من دون أي شك صحيح إن مصطلح كُردستان يستعمل ليبدل على البلاد التي يسكنها الكُرد، ولم يتم تطبيق هذا المصطلح أيضاً من قبل الباب العالي على أية محافظة خاصة، ثم ينهي لا يارد تقريره بالقول: "ويبدو لي بأنه تحت ظل هذه الظروف لا توجد هناك أية حاجة لإجراء أي تغيير".¹

لقد سلمت بريطانيا أن هذه المنطقة هي ذات أكثرية كُردية، كما مر بنا، وان اسم القنصلية يعبر فعلاً عن واقع المنطقة، ورغم أن الدولة العثمانية لا تطلق هذه التسمية على أي ولاية من ولاياتها، إلا أن الواقع كان هكذا عندما جاءت بريطانيا إلى هذه المنطقة، بل نجد أن اسم كُردستان جاء في أغلب تقارير القناصل البريطانيين في كُردستان حتى قبل الحرب الروسية العثمانية ١٨٧٧، وقد تخوف الساسة البريطانيون من أنهم إذا ما أقدموا على تقديم هذا الطلب للباب العالي فإنه سيشتك في أول لحظة بنوايا أوربا، وإنها لا تختلف عن روسيا بخصوص سياستها تجاه المسألة الأرمنية، لذلك فضل لا يارد الإبقاء على اسم كُردستان على قنصليتها، التي ستتابع سير الإصلاحات الأرمنية في المنطقة.

لا تشير المصادر المعتمدة بدقة إلى المدة التي بقي اسم كُردستان عنواناً للقنصلية البريطانية في أرضروم ودياربكر، ولكن يبدو من خلال الإطلاع على الوثائق البريطانية أن اسم قنصل كُردستان قد تم تداوله في برقيات ورسائل القناصل في كُردستان،

1. No.247, Sir A.H..Layard to The Marquis of Salisbury, THERAPIA, August 1, 1879, in: (B.Ş.B.D.O.A), VOL: I, P.513-514.

حتى بداية الحرب العالمية الأولى، كما أن القنصل هنري تروتر كان قد بقي في منصبه لأكثر من عامين، حيث بقي قنصلاً لكُردستان حتى أواخر العام ١٨٨١.^١ وأخيراً من المفيد القول أن القنصليات البريطانية في كُردستان، في مدة تطبيق الإصلاحات الأرمنية لم تكن القنصلية الوحيدة الموجودة، بل كانت هناك فضلاً عنها قنصليات أجنبية أخرى تعمل في كُردستان، وهي كالاتي:

١-روسيا: كانت لها قنصلية في دياربكر، وأرضروم، ووان.

٢-فرنسا: لديها قنصلية في أرضروم، وديار بكر.

٣-إيران: كانت لها قنصلية في أرضروم، ودياربكر، ووان.^٢

-
1. Inclosure to No.201, Major Trotter to Sir A.H.Layard, KATERBUL, May 10, 1879, in: (B.Ş.B.D.O.A), VOL: I, P402-405.
 2. Inclosure to No.40, Memorandum, in: (B.Ş.B.D.O.A), VOL: II, P.148-151.

ثالثاً- الكُرد وتطورات المسألة الأرمنية في ثمانينات القرن التاسع عشر

تميّز عقد الثمانينات من القرن التاسع عشر بثلاثة أمور مهمة شكلت نقاط محورية في علاقة الكُرد بالأرمن في شمال كُردستان. الأمر الأول: تمثل باندلاع انتفاضة الشيخ عبيد الله النهري التي أرجعها بعض المؤرخين والباحثين إلى أنها كانت من أبرز إفرزات الإصلاحات الأرمنية في المنطقة.

أما الأمر الثاني: فكان بظهور الأحزاب السياسية الأرمنية، لأول مرة في تاريخها الحديث، كنتيجة حتمية لفشل سياسة الإصلاحات الأرمنية في شمال كُردستان. وأخيراً: شهد هذا العقد بروز العديد من الإقطاعيين الكُرد الذين قاموا بعمليات سلب ونهب وحتى قتل بعض الأرمن، وذلك بتوجيه من السلطان عبد الحميد الثاني، وكان من أبرز هؤلاء الإقطاعيين الكُرد من الذين ذاع صيتهم في تلك المرحلة موسى بك موتكي. وفيما يأتي أبرز محطات علاقة الكُرد بالأرمن في عقد الثمانينات:

أ- انتفاضة الشيخ عبيد الله النهري والأرمن :

سببت الحرب التركية الروسية ١٨٧٧-١٨٧٨ دماراً كبيراً في شمال كُردستان، إذ أن الحرب ذاتها فضلاً عن ما نتج عنها من مجاعة وطماعون أهلكت أعداد كبيرة من السكان سواء الكُرد أو المسيحيين، وقد أشعلت هزيمة الترك النيران الكامنة في نفوس الكُرد من أجل الاستقلال، لكن كانت هذه المرة موجهة ضد الفرس، على الأقل في بدايتها^١.

١. ارشاك سافراستيان، المصدر السابق، ص ٨٧ .

فقد اندلعت في شهر تشرين الأول ١٨٨٠، انتفاضة كُردية كبيرة بقيادة الشيخ عبید الله النهري، في منطقة شمدينان، التابعة لولاية هكاري، جنوبي ولاية وان على الحدود العثمانية الإيرانية، شاركت فيها أغلب العشائر الكُردية في شمال كُردستان، ما عدا كُرد درسيم، استمرت أحداث هذه الانتفاضة لمدة شهرين لم يستطع قائدُها أن يحقق الأهداف التي وضعها صوب عينه، وهي توحيد شطري كُردستان، العثماني والإيراني، وتأسيس دولة كُردية يكون هو على رأسها، حيث ما لبثت هذه الانتفاضة أن انهارت بسبب عوامل عدة، منها: ما هي ذاتية تتعلق بخطة وسير وقيادة الانتفاضة، التي تم توجيهها من كُردستان العثمانية صوب كُردستان إيران، ومنها ما يتعلق بالعوامل الخارجية، فلم يتمكن قادة الانتفاضة من كسب ولو واحدة من الدول الكبرى إلى جانبها، لدعمها مادياً ومعنوياً وعلى رأسها بريطانيا، التي حاول كثيراً الشيخ كسب عطفها، لكن دون جدوى^٢.

وتعد هذه الانتفاضة من أهم الحركات والانتفاضات الكُردية التي اندلعت ضد الدولتين العثمانية والإيرانية في القرن التاسع عشر، وحتى نهاية الحرب العالمية الأولى، ولعل مرد ذلك إلى أسباب عدة، منها:

١- ظهرت في تلك الانتفاضة، ولأول مرة في تاريخ الحركة التحررية الكُردية بوادر

١. هناك اختلاف بين الباحثين، حول المصطلح الذي يجب أن يطلق على انتفاضة الشيخ عبید الله النهري، فان جليلي جليل قد أطلق عليها (انتفاضة)، واتخذها عنواناً لأطروحته للدكتوراه، أما ديفيد مكحول فيطلق عليها اسم (الثورة)، وعثمان علي مثلاً يطلق عليها اسم (الحركة)، ربما كان مصطلح الثورة هو الأفضل لإطلاقه على ما قام به الشيخ عبید الله النهري، إلا انه ونظراً لقصر مدتها لا يحبذ الباحثون إطلاق هذا المصطلح عليها، حيث لم تتجاوز أحداثها الشهرين، ولكن يمكن القول إن تأثيرها بقي في الحركة التحررية القومية الكُردية إلى وقت قريب من القرن العشرين، ويكفي القول: إنها كانت أول ثورة كُردية حملت في ثناياها أسس الفكرة القومية الحديثة، ولكن مع هذا سنطلق عليها مصطلح (الانتفاضة) في دراستنا، ربما لأنها الأقرب إلى الواقع، ولوضعها في إطارها الحقيقي، كما أن الأطروحة الأكاديمية الوحيدة التي اختارت موضوع الشيخ عبید الله النهري عنواناً لدراستها، قد اختار صاحبها مصطلح الانتفاضة لقناعته بها وهو جليلي جليل. ولا حاجة لنا إلى الخوض في معاني المصطلحات الثلاث (الحركة)، و(الانتفاضة)، و(الثورة).

٢. للتفاصيل عن هذه الانتفاضة، ينظر: جليلي جليل، انتفاضة الأكراد...، ص ٦٧ وما بعدها؛ ديفيد مكحول، المصدر السابق، ص ١٠٥-١١٤.

الفكرة القومية الحديثة^١، وظهر ذلك علانية في مراسلات الشيخ عبيدالله النهري مع القناصل الأوربيين في كُردستان، فقد كان الهدف الأساسي لهذه الانتفاضة هو توحيد الكُرد، وإقامة دولة كُردية، وهذا ما لا نلمسه في الحركات الكُردية السابقة.

٢- لعل الشيء الأبرز في انتفاضة الشيخ عبيد الله النهري هو تمكن قائدها ولأول مرة بعد انهيار الإمارات الكُردية، في منتصف القرن التاسع من جمع شمل معظم الشعب الكُرد، عندما دعا زعماء القبائل والعشائر الكُردية إلى اجتماع شمدينان في تموز ١٨٨٠، حيث شاركت في المؤتمر أغلب العشائر الكُردية الكبيرة في شطري كُردستان العثمانية والإيرانية.

٣- شكلت هذه الانتفاضة رقماً صعباً في المعادلة السياسية للمنطقة ككل، فقد أجبرت وقائعها الدول الكبرى وخصوصاً بريطانيا وروسيا على إعادة النظر في حساباتهما، ووضع الكُرد على رأس اهتماماتهما في المنطقة سواء سلباً أم إيجاباً، لا التعامل معهم، أي: مع الكُرد باستخفاف كما حدث في سان ستيفانو وبرلين. وعلى حد قول الأسقف (كريميان) فإن حركة الشيخ عبيد الله ساعدت بشكل ما، على إحباط عملية الإصلاحات الأرمنية، وحولت الاهتمام بدل قضية الأرمن إلى الاهتمام بالكُرد^٢.

١. إن أسس الفكرة القومية هي: العرق أو الأصل الواحد، واللغة، والأرض والتاريخ المشترك، إن الفكرة القومية الحديثة هي مدينة بالدرجة الأولى للثورة الفرنسية التي اندلعت في عام ١٧٨٩، فإن اندلاع هذه الثورة ضد النظام الملكي فيها وما تبعها من أحداث، وقيام الجمهورية الفرنسية الأولى عام ١٧٩١، ودخول فرنسا وأوروبا بعد ذلك إلى العهد النابليوني ١٧٩٩-١٨١٥، قد بذرت بذور هذه الفكرة في جميع أنحاء أوروبا، وأولى دولتين اتخذتا من هذه الفكرة أساساً لوحدهما في القرن التاسع عشر هما ألمانيا وإيطاليا. ينظر: اريك هويسباوم، الامم والنزعة القومية، ترجمة: عدنان حسن، مراجعة وتحضير: مجيد الراضي، سوريا، ١٩٩٩، ص ٢١ وما بعدها.

٢. وديع جويده، المصدر السابق، ص ٥٨ .

اجتمعت أسباب عدة أدت إلى اندلاع الانتفاضة الكردية، منها ما هو اقتصادي^١، ومنها ما هو متعلق بسياسة حكم الدولتين العثمانية والإيرانية للكرد، ومنها ما هو متعلق بالمسألة الأرمنية، وانتشار خبر معاهدة برلين بين الكرد هناك؛ فإن خوف الكرد من غلبة الأرمن، وما ستجره يقطتهم القومية على كردستان كان واحداً من أقوى الأسباب في محاولة الشيخ النهري توحيد كردستان، إن معاهدة برلين أطلقت الحديث عن الآمال الأرمنية في السيطرة على شمال كردستان، وهي أنسب موقع لإقامة دولة كردية، وانتشرت شائعات تثير القلق حول اعتزام الدول الكبرى وضع الأرمن في مرتبة سياسية تلو عن مرتبة الكرد، هذه الإشاعات لقيت صدىً واسعاً وأثارت المخاوف، وقد أشار تروتز إلى هذا الأمر بقوله: هناك غضب في نفوس الكرد بسبب ما كثر الحديث عنه وهو منح الحكم الذاتي للأرمن^٢.

وعكست هذه الحالة النفسية المتوترة ملاحظة صدرت عن الشيخ النهري، فقد أثار عنه قوله لأحد الضباط الأتراك: "ما هذا الذي سمعته عن قرب إنشاء دولة مستقلة لهم[أي: للأرمن] في وان، وأن النساطرة الأشوريين سيرفعون العلم البريطاني، ويعلنون أنفسهم رعايا بريطانيين، إني لن أسمح بهذا حتى لو اضطررت إلى وضع السلاح بيد

١. فقد أدت المجاعة التي انتشرت عام ١٨٧٨-١٨٨٠ إلى تقويض اقتصاد المناطق الكردية بصورة نهائية، وقد نشرت جريدة التايمز في ٥ آذار ١٨٨٠ ذلك ووصفته بالقول: "الكوارث في ديار بكر والموصل كبيرة جداً، وفقد سكان المقاطعة الأخيرة وسائل البقاء تماماً، وقد مات في هكاري وحدها أكثر من (عشرة آلاف) شخص جوعاً، وكتبت جريدة مشاك الأرمنية أن: "المجاعة تشد، والناس في كل مكان يرتدون الثياب الرثة، وقد خارت قواهم بسبب الجوع والمرض، وحولوا إلى هياكل ضامرة يهيمنون على وجوههم في الطرقات دون هدف، يئنون ويتضورون من الجوع، ويطلبون على الدوام العون والمساعدة، لقد مات عدد كبير منهم بسبب الجوع"، كما مست المجاعة اقتصاد الكرد الرحل وشبه الرحل، وتوجه آلاف الناس الذين كانوا في حالة يائسة نحو الشمال إلى الحدود الروسية، على أمل أن يجدوا مأوى وطعاماً في روسيا، وكتب شهود عيان أن جميع الطرقات حول جبال أرارات كانت مكتظة بالفقراء والجياع من الكرد، ولقد مات الكثير منهم على الطرقات، بعد أن أصابهم الوهن والضعف نتيجة الجوع، وانه مات (٤٥) كردياً في بايزيد من الجوع في بداية عام ١٨٨٠، ينظر: جليلي جليل وآخرون، الحركة الكردية في العصر الحديث، ترجمة: عبيد حاجي، بيروت، ١٩٩٢، ص ٣٢؛

-No.93, The Earl of Dufferin to Earl Granville, THERAPIA, August 23, 1881, in:

(B.Ş.B.D.O.A), VOL: II, P.270-278.

٢. وديع جويده، المصدر السابق، ص ٣٤.

النساء". ليس من الصعب فهم موقف الشيخ النهري هذا المعارض لتلك الإصلاحات، لأنها نذير للقضاء على فكرة إقامة الدولة الكردية كان يحلم بها، لذا عارضها، لأنه رآها جنيئاً يتمخض عنه دولة أرمنية في المستقبل، ينزل الكرد فيها إلى مرتبة أدنى منهم^١.

كان معظم وجهاء الكرد ورؤسائهم يشاركون الشيخ عبید الله هذا الشعور، حيث كتب حاجي قادر كويي (١٨١٥-١٨٩٧) قصيدة شعرية تعد انعكاساً حقيقياً للشعور السائد في كردستان آنذاك ومنها الأبيات الآتية المترجمة إلى العربية:

أرض الجزيرة وبوتان أعني بلاد الكرد
وا أسفاه مئة مرة سيَجْعَلُونَهَا أرمنستان
المسجدُ سيتحولُ إلى ديرٍ، ويحلُّ الناقدُ مكان المؤذن
المطرانُ سيصبحُ قاضياً، والمفتي سيصبحُ راهباً
لم تبقَ هناك غيرُة، قسماً بالقرآن مئة مرة
إن تظهر أرمنستان فلن يبقى أحدٌ من الكرد^٢

١. المصدر نفسه، ص ٢٩.

٢. ديوانى حاجى قادرى كويى، ليكۆلئينه وه وليكدانه وهى: سهردار حميد ميران وكهريم مستهفا شارهزا، پيداچوونه وهى: مسعود محمد، بغداد، ١٩٨٦، ل ٨٥-٨٩. لا يعلم بالضبط التاريخ والزمن الذي قال الحاج قادر كويى فيها هذه الأبيات الشعرية، إلا أن المؤرخ (كمال مظهر احمد) يؤكد بناء على ما لحقه من أبيات أخرى على أن الحاج قادر قال هذه الأبيات الشعرية في أواسط ثمانينات القرن التاسع عشر، أو قبل المذابح-الأزمة-الأرمنية الأولى (١٨٩٤-١٨٩٦) بمدة قصيرة؛ ولكن يبدو بالنظر إلى محتوى الشعر الذي يغلب عليه طابع الحماسة القومية الشديدة، وكذلك إلى تقدير الحاج قادر كويى لنضال الأرمن ضد الدولة العثمانية، كما ذكره الباحث إحسان فؤاد، بالاستناد إلى هذه الأمور أن الحاج قادر كويى قال هذه الأبيات الشعرية في زمن قريب جداً من إعلان بنود معاهدة برلين، فإن نوايا الدول الكبرى خلال سنوات ١٨٧٩-١٨٨١ كانت معروفة عند الكرد، بأنها ستقوم بالإصلاحات التي نصت عليها معاهدة برلين فقط، لتهيئة أرضية مناسبة لقيام دولة أرمنية، أو حتى إعطاهم حكماً ذاتياً في شمال كردستان، التي يعدها الكرد على مر الزمان والعصور مهدهم الأول، ولكن بعد عام ١٨٨١ خفت حدة هذا الصراع على أرض الواقع حتى منتصف تسعينات القرن التاسع عشر-كما سيأتي الحديث عنها لاحقاً-، وربما اختار الحاج قادر كويى اسم (أرض الجزيرة وبوتان) عنواناً لشعره، لأن أغلب إجراءات لجان الإصلاح تعسفاً في شمال كردستان وقعت وجرت في تلك المنطقة بالذات، لذلك فإن أغلب =

بخصوص موقف الشيخ عبيد الله النهري من الأرمن فإن موقفه كان منذ البداية ضد التوجهات التي تدعو إلى إقامة مذابح بحقهم، أو طردهم من البلاد، ففي أواخر تموز ١٨٨٠ افتتح في شمدينان مؤتمر الزعماء الكرّدي، الذي كان أكثر المؤتمرات حضوراً وتمثيلاً في تاريخ الكرّدي، فقد وصلت إلى شمدينان وفود من: السليمانية، والعمادية، وهورامان، وبوتان، ومن جبال ساسون، وسيرت، وموش، ووان، ومن كرّديستان إيران، كما حضر المؤتمر كرّدي قدموا من مناطق بعيدة ونائية مثل: سيواس وأماسية، وقد عد الشيخ النهري أن الهدف الرئيسي من هذا المؤتمر هو: إقامة اتحاد بين العشائر الكرّدية، والإعداد للانتفاضة أيضاً؛ لذا جرى المؤتمر في جو عاصف للغاية؛ إذ برزت فيه خلافات شديدة في الرؤى، فقد عرض عدد من الزعماء الكرّدي الموالين للأتراك منذ البداية مسألة استخدام اتحاد العشائر الكرّدية ضد الأرمن وغيرهم من المسيحيين^١.

لقد وقف الشيخ عبيد الله موقفاً حازماً ضد هذه التوجهات، وأوضح عواقبها الوخيمة على مصير الكرّدي مستقبلاً، وذكر أن: "الباب العالي وإن كان يؤيد الكرّدي حتى الآن فقد كان ذلك لهدف مواجهتهم فقط للعناصر المسيحية في الأناضول، ولكن إذا قضى الكرّدي على الأرمن هنا فسيفقدون [يعني: الكرّدي] أهميتهم في نظر الحكومة التركية"^٢، فضلاً عن ذلك فإن هذا الأمر سيؤدي إلى وقوف الدول الأوروبية ضد الكرّدي^٣، وقد لاقت كلمة الشيخ النهري واقتراحاته بخصوص إنشاء كرّديستان مستقلة، والموقف من الأرمن تأييداً أكثرية المشاركين في المؤتمر^٤.

هنا لا بد من الوقوف قليلاً عند مؤتمر شمدينان، والبحث عن أسباب هذا التوجه الداعي إلى قتل الأرمن في المنطقة، ومن المفيد القول: إن معلومات أغلب المصادر التاريخية التي تناولت هذا الموضوع اعتمدت على ما جاء في كتاب افريانوف السابق الذكر، وهو في حديثه عن هذا المؤتمر لا يشير إلى أسماء رؤساء القبائل الكرّدية الذين دعوا إلى هذا الأمر، لذلك من المرجح انه كان يقف وراء هذه الدعوة، الزعماء الكرّدي،

= الظن أن الحاج قادر كويي انما نطق بهذه الأبيات ما بين سنوات ١٨٧٩-١٨٨١ . للتفاصيل

حول شرح كمال مظهر لهذا الأمر ينظر مؤلفه: المصدر السابق، ص ٢٦٦-٢٧١ .

١. جليلي جليل وآخرون، المصدر السابق، ص ٣٤ .

2. Avyarov, A.G.E., S.123.

٣. ن.أخالفين، المصدر السابق، ص ١٢٨؛ جليلي جليل وآخرون، المصدر السابق، ص ٣٤ .

٤. جليلي جليل، انتفاضة الأكراد...، ص ٦٤ .

الذين عادوا من منفاهم في حلب، فقد رجع هؤلاء في صيف ١٨٨٠ بأمر من السلطان عبد الحميد الثاني نفسه، أي إنهم عادوا إلى كردستان، في نفس المدة التي عُقد فيها مؤتمر شمدينان، وربما كان هؤلاء الزعماء وبتوجيه وتشجيع الدولة العثمانية هم من كانوا وراء هذه الدعوة، وهو أمر لا يستبعد.

كان الشيخ عبید الله النهري يدرك أن حالة المسيحيين غير المستقرة والأمنة كانت السبب وراء فرض الدول الكبرى لتلك الإصلاحات، لكنه كان يكره أن يعاقب الكرد نتيجة الأوضاع السيئة، وكان يدين ويستنكر أعمال المعتدين من (الكرد) على المسيحيين والكرد أيضاً سواء بسواء في كل مناسبة، وكان يشعر دوماً بأن مسؤولية القضاء على العنف وتطبيق القانون تقع على عاتق الحكومتين التركية والفارسية معاً، وليست هي مسؤولية الكرد، على أن الإخفاق المتواصل الواضح لقبض الحكومتين التركية والفارسية على ناصية الحال أفضته بان نشدان العون منهما أو الاعتماد عليهما لحل ما أمر لا طائل منه، وان السبيل الوحيد للخروج من هذا الأمر الشديد هو القضاء على النفوذ التركي والفارسي، بتعاون كردي-مسيحي وثيق، وفي الوقت الذي استقر رأيه على إحباط مساعي الإصلاحات حاول أن يجعلها تبدو غير ضرورية، ومن بين محاولاته قيامه في مناسبات عديدة بالتقرب من زعماء المسيحيين المحليين^١. فقد أقام الشيخ عبید الله من أجل ذلك اتصالات مع العديد من رؤساء الكنائس الأرمنية المحلية، وذلك لجذب السكان الأرمن إلى جانبه، كما أرسل الشيخ مبعوثيه مرات عدة إلى الارشيمندريت اوهانيس فرتابيت -الزعيم الديني للأرمن المحليين- في باشقالا، باقتراح ملح للقاء، والتحدث معه عن الأحداث الجارية في البلاد، وعن الإجراءات التي يجب اتخاذها، وكما اعترف اوهانيس نفسه بأنه كان يتذرع كل مرة بحجة؛ ولذا لم يتم اللقاء بينهما^٢.

أما مكانة الأرمن في دولته المستقبلية، التي كان يهدف إلى تأسيسها فتركز بالدرجة الأولى في إعطائهم الحرية التامة في الدولة، فعندما سأله القنصل البريطاني في تبريز وليم أبوت عن موقع الأرمن في دولة الشيخ المستقبلية، خصوصاً أن هذه الأقلية كانت تحظى بحماية بريطانية ردّ الشيخ على الفور بأنه إذا أصبح مسؤولاً عن كردستان فإنه

١. وديع جويده، المصدر السابق، ص ٣٠.

٢. جليلي جليل، انتفاضة الأكراد...، ص ٦١.

سيقدم الضمانات الكفيلة بحسن معاملة الأرمن، ولن يكون هناك أي عائق في وجه من يريد من الأرمن الهجرة إلى أماكن أخرى^١. وعلى حد قول ولسن القنصل البريطاني في سيواس فإن الشيخ كرر دائماً أن المسيحيين سيتمتعون بنفس الحقوق التي يتمتع بها المسلمون^٢، وقد قال الشيخ في ٢ آب ١٨٨٠ لكلايتون بأنه لا يعترض على تشكيل دولة أرمنية بشرط أن يكون للكرد الحق نفسه، وتعهد له في حالة تأسيسه الحكومة الكردية بأن يحسن معاملتهم، ويسمح لهم ببناء الكنائس بكل حرية، ويضمن لهم حرية العقيدة، وسلامة ممتلكاتهم^٣.

من الجدير بالإشارة هنا إلى أنه لم يكن هناك تناقض بين نية الشيخ المعلنة في مقاومة أية عملية تفضيل تمنح للأرمن والنساطرة، وبين محاولته كسبهم إلى جانبه، فباتباعه هذه السياسة كان يرمي إلى تحقيق عدة أهداف: منها أنه بتعاون من الأرمن والنساطرة سيضمن جبهة داخلية موحدة، وقوة بشرية ومادية إضافية في المنطقة، وفضلاً عن هذا فإن ارتباطه الوثيق بالمسيحيين المحليين، وظهوره بمظهر الحليف والهامي، سيجعله أهلاً لنيل عطف ومساندة دول أوروبا المسيحية لقضيته، وسيكون بناءً على هذا في موقف يسهل له إثبات السيادة الكردية على سائر المنطقة بقيادته، ويستفاد مما سبق بيانه بأن تعهده بحماية المسيحيين، ثمه زهيد في مقابل الفوائد التي كان يأمل بتحقيقها^٤.

عند اندلاع الانتفاضة، وتحرك القوات الكردية صوب كردستان إيران أصدر الشيخ عبید الله النهري فتوى بتحريم مهاجمة الأرمن والنساطرة الأشوريين، وبأمر منه أوعز للأرمن بأن يرفعوا فوق سطوح منازلهم أعلاماً زرقاء سماوية اللون، لكي يتم التعرف عليهم ولا يتعرض لهم احد^٥، وهنا يعقب كارو ساسوني على هذه الحادثة بأن هذه الفتوى قد فعلت فعلتها لدى القوات الكردية، وأنه فعلاً لو وجه الشيخ قواته إلى الأرمن لكانت قد حدثت مذابح، ربما كانت تكون أشد هولاً وفتكاً من مذابح عام ١٨٩٤-

١. من وليم ابوت إلى ايرل اوف كرانفل، لقاء تاريخي فريد مع الشيخ عبید الله النهري، تبريز

١/١٠/١٨٨١، في: عثمان علي، الكرد في الوثائق البريطانية، اربيل، ٢٠٠٨، ص ٧٩.

٢. جليلي جليل، انتفاضة الأكراد...، ص ٦١.

٣. عثمان علي، دراسات...، ص ٨٣.

٤. وديع جويده، المصدر السابق، ص ٣٠-٣١.

5. Garo Sasuni, A.G.E., S.104.

١٨٩٦، وانه فعلاً لم يتعرض المسيحيون لأي أذى أثناء انتفاضة الشيخ عبيد الله النهري^١. ومما يدل أيضاً على حسن تعامل الشيخ مع المسيحيين بصورة عامة في أثناء الانتفاضة انه في عشية الهجوم على مدينة أورمية، التي أراد الشيخ أن يحولها إلى قاعدة له، لإخراج جميع القوات الإيرانية من كردستان، أبلغ وليم أبوت في ٢٣ تشرين الأول ١٨٨٠، عن الاستعدادات للعمليات الحربية، وذلك لكي يعطي الفرصة اللازمة، للسكان المسيحيين الآمنين لمغادرة المدينة مسبقاً، كما اقترح على أبوت الذهاب إلى المدينة وبصحبه الأرمني سيمون أغا لإخلائها من السكان، كتب أبوت في مذكراته بخصوص ذلك: "وافقت على هذا الاقتراح، وفي الساعة التاسعة صباحاً، وصلت ومعني الدكتور كوجران^٢، وسيمون أغا، واثنين من الحرس الإيراني، إلى المداخل الرئيسية للمدينة"^٣، كما أن ك. اراكليان الذي سافر في ذلك الوقت، إلى أذربيجان كمراسل صحفي خاص بجريدة (الصوت)، كتب مؤخراً: "لم يتضرر الأرمن من حركة الشيخ عبيد الله، ولكن قتل عدد كبير من الفرس، وكانت خسارتهم في الأموال فادحة"^٤.

كما دلت الوثائق التاريخية على أن احد أهم المقربين للشيخ عبيد الله كان الأرمني كيوردوتشي سيمون تشيليجيان، الشهير بـ(سيمون أغا)، وقد حضر عدة لقاءات بين الشيخ عبيد الله والمسؤولين الأوربيين في كردستان، وحسب رأي ولسون فإن الهدف الرئيسي لسيمون أغا هو الدفاع عن مصالح المسيحيين، ومن مصادر أكثر دقة تبين أن سيمون أغا كان المستشار الرئيسي لدى الشيخ عبيد الله في مراسلاته الدبلوماسية، وهناك بعض المصادر تقول: إنه كان بمثابة وزير الخارجية لدى الشيخ عبيد الله^٥، بل تؤكد بعض المصادر الأرمنية على أن الشيخ وبناءً على نصيحة سيمون أغا ولكي لا يتضرر أرمن كردستان الدولة العثمانية غير من سير خطط الانتفاضة ووجهها إلى كردستان إيران، غير أن كارو ساسوني يفند هذا الأمر، ويذكر بأنه مبالغ فيه كثيراً^٦.

1. A.E.,S.104-105.

٢. طبيب ومبشر أمريكي، كان يعمل ضمن الإرسالية التبشيرية الأمريكية في أورمية في كردستان إيران، وكان كوجران محل ثقة كبيرة عند الشيخ عبيد الله النهري.

٣. جليلي جليل، انتفاضة الأكراد...، ص ٧٣-٧٤ .

٤. ف.ف مينورسكي، المصدر السابق، ص ٤٢-٤٣ .

٥. ينظر: جليلي جليل، انتفاضة الأكراد...، ص ٧٣ .

-Garo Sasuni, A.G.E., S.102.

6. Garo Sasuni, A.G.E., S.104.

حتى ما بعد انهيار الانتفاضة الكُردية في تشرين الثاني ١٨٨٠ لم يتغير موقف الشيخ من الأرمن، بل رأى أن أحد الأسباب الرئيسية لانهيار انتفاضته هو عدم تمكنه من كسب الأرمن إلى جانبه، ومن هذه الزاوية فإن لرسالة الشيخ عبيد الله إلى شيخ الأشكير الخليفة صاحب النفوذ أهميتها القصوى، لقد أعار في هذه الرسالة اهتماماً كبيراً للمسألة الكُردية-الأرمنية، وأشار عبيد الله إلى أنه أثناء الاستعداد للانتفاضة أعار الانتباه الرئيسي للكُرد، عاقداً الأمل على مساعدتهم فقط في تأسيس دولة كُردية، إلا أن التجربة أثبتت أن الموقف المعادي لبعض زعماء الكُرد ضد الشعب الأرمني المضيف، والمحب للسلم ألحق ضرراً بالغاً بالانتفاضة، ولهذا السبب فمن الضروري الوحدة مع الأرمن في أثناء خوض النضال التحرري، وقد وصف الشيخ عبيد الله جانباً من ذلك بقوله: "...رغم كل شيء فإني أثق بالأرمن أكثر من ثقتي بالأتراك والفرس، فالأفضل بالنسبة لنا الاتحاد مع الأرمن بدلاً من الفرس والأتراك، إذ أن الفرس يكرهوننا، والأتراك يرغبون في أن يجعلوا منا أداة لسياستهم"؛ ثم اقترح على الشيخ الاشكيري وقف كل اضطهاد ضد الأرمن، وعدم الانخداع بالوعود التركية^١.

وبعد هروب الشيخ عبيد الله من استانبول في عام ١٨٨٢، ورجوعه إلى كُردستان توقف في طريقه، بدعوة من الارشمنديت اوهانيس كادجوني في كنيسة ارمنية الواقعة قرب وان، وصرح الشيخ في الكنيسة قائلاً: "أشكركم على استقبالكم لي، فمنذ وقت بعيد معروف لدينا إخلاص وطيبة قلب الأرمن، ومعروف لدينا بأن أجدادنا ومنذ القدم كانت بينهم صداقة وعلاقات جيدة، وأمنيتنا عدم نسيان ذلك، وأؤكد من الآن فصاعداً بأن شعبنا لن يلحق بالأرمن أي ضرر"، وقد طلب الشيخ من الكُرد المرافقين له في الكنيسة عدّ الأرمن إخوة لهم، وان لا يلحقوا بهم أذى أبداً، لأنه في أسوأ الأحوال يحسبها كإهانة شخصية له^٢.

أما فيما يخص موقف الأرمن من انتفاضة الشيخ عبيد الله فإنهم قابلوا عروض الشيخ للتعاون بكثير من الشك والتوجس، فالإلى جانب خشيتهم من توريث أنفسهم في حركة عصيان رأوا في مشروعه خطة موحاة من الأتراك، ترمي إلى سلبهم تلك الامتيازات التي وعدتهم بها في معاهدة برلين^٣، وقد نسبت الصحف الأرمنية لتركيا

١. جليلي جليل، انتفاضة الأكراد...، ص ٨١.

٢. المصدر نفسه، ص ٨٤-٨٥.

٣. وديع جويده، المصدر السابق، ص ٣١.

دوراً غير قليل في تنظيم انتفاضة الشيخ النهري^١، ويذكر سيمون أغا بأنه وقبل بدء الانتفاضة الكردية سرت أقاويل وهواجس خوف بين الأرمن تحولت إلى تساؤلات، منها: هل إن الشيخ النهري سيبدأ هجماته أولاً ضد الأرمن أم السريان؟^٢

وقفت البطريركية الأرمنية ضد توجهات الشيخ عبید الله النهري، وربما الموقف الأرمني المحايد من الانتفاضة الكردية كان مبنياً على موقف البطريركية الأرمنية في استانبول من الانتفاضة، ففي تقرير أرسله (كريميان هايرك) إلى بطريك الأرمن في ٢٠ حزيران ١٨٨٠، الذي أرسله بدوره إلى المسؤولين البريطانيين ألقى ولأول مرة الضوء على أن هناك عصبية كردية ستتشأ في المستقبل للوقوف بوجه الطموحات الأرمنية في المنطقة، ومدعومة بشكل قوي من الباب العالي، وكان هذا التقرير قبل بدء الانتفاضة المصدر الرئيسي لمعلومات البريطانيين، عن الشيخ عبید الله النهري وتحركاته في كردستان.

فقد كانت الحكومة البريطانية هي الأخرى قلقة من تبعات انتفاضة الشيخ عبید الله، ففي البداية كانت الحكومة البريطانية، وفقاً للتقارير التي أرسلها لها سفيرها في استانبول مستر جورج. جي. كوشن، والقنصل أبوت في تبريز تعتقد أن الحكومة العثمانية هي وراء انتفاضة الشيخ عبید الله، من أجل تفادي التزاماتها المنصوص عليها في اتفاقية برلين، اعتمد المسؤولون البريطانيون في الدولة العثمانية، على تقارير المصادر الأرمنية في هذا الموضوع، وأبرزها تقرير كريميان هايرك، والذي جاء فيه: "إن بعض الشخصيات الكردية، وبتشجيع من الحكومة العثمانية، سيشكلون قريباً عصبية كردية؛ لإثارة المسألة الكردية حتى تضيع المسألة الأرمنية... ليس هناك شك في أن الحكومة العثمانية هي وراء العصبية الكردية لإثارة المسألة الكردية، للقضاء على المسألة الأرمنية، إن هذه العصبية هي انعكاس للسياسة العثمانية وامتداد لها إن الشيخ عبید الله يقودها اسماً، أما الرئيس الفعلي فهو بحري بك ابن الأمير بدرخان بك، المقرب من الحكومة العثمانية، علماً أن بحري بك قد استخدم نفوذه، والهدايا، والمال، وحتى التهديد لترغيب الكرد، ليس فقط في الدولة العثمانية، بل الكرد في إيران لدعم العصبية"^٣.

١. جليلي جليل، انتفاضة الأكراد...، ص ٨٩.

2. Hagop Şahbazyan, A.G.E.,S.116.

٣. نقلاً عن: عثمان علي، دراسات...، ص ٨٩.

والدور العام الذي أسنده التقرير لـ(بحري بك) بوصفه موفد الحكومة العثمانية هو أمر عظيم الدلالة؛ لأنه يؤيد طروح المطران (كريميان)، الذي يؤكد رعاية العثمانيين للحلف، وبحري بك هو ابن للأمير الكبير بدرخان، كان على ما قيل دائم الاتصال بمختلف الزعماء الكُرد: "مستخدماً الوعد والوعيد، والاستعطاف والتذلل" -بتعبير التقرير- لغاية توحيدهم جميعاً تحت زعامة الشيخ عبيد الله، ويعرّف التقرير بحري بك بأنه مبعوث الحركة العثمانية إلى شمال كُردستان، والحامل الرسمي للوسام الذي أنعم به السلطان على الشيخ عبيد الله النهري، إلا أنه يوضح طبيعة الدور الذي أسند إليه: فأحياناً يتحدث وكأنه ممثل للحكومة مزود بصلاحيات واسعة، وأحياناً يتصرف وكأنه وكيل الشيخ وداعيته، مع هذا واستناداً إلى المصدر عينه فإن بحري بك هذا ما أن اجتمع بالشيخ النهري حتى راح يستقدم زعماء الكُرد من أرمينيا ومن فارس، عدداً كبيراً من هؤلاء، ذكر التقرير أنهم أعلنوا تحالفهم، مع عدم رغبة بعضهم في ذلك: "رغم كل الجهود التي بذلها بحري بك معهم"، على أن الكاتب يستخلص من الظروف ما ملخصه: "إن هؤلاء الزعماء لا سبيل لهم غير الانضمام إلى الشيخ في خاتمة المطاف"، يقول جويده: "حقاً إنها صدفة عجيبة أن تختار الدولة العثمانية ممثلاً لها عند الشيخ، هو ابن الأمير الخطير بدرخان، الذي لا تدانيه مكانة وشهرة أي شخصية في كُردستان"، كما أكد التقرير نفسه أن الحلف الكُرد كان يملك (٤٠٠٠) بندقية من طراز مارتيني، منها (٢٠٠) من مصدر فارسي والبقية تركية المصدر^١.

ويشكك مكحول حتى في أمر العصبة الكُردية، هو أن الوثائق الانكليزية ولا الروسية لم تشر إلى هذه العصبة، ولذلك يقول: "...يجب النظر إلى المضامين القومية (للعصبة) بشيء من الحذر؛ إذ ليس لدينا ما نستند إليه، سوى اتهامات البطريركية الأرمنية. فالعصبة إذا كانت موجودة فعلاً لم تقم بإصدار أي بيان ولم تقم بأي عمل تحت ذلك الاسم، ولكن ادعت البطريركية بذلك بأن الباب العالي نفسه كان يدعم العصبة من أجل إخماد المسألة الأرمنية، وهو تفسير معقول جداً، فقد وضعت الخطة في استانبول التي قدمت للشيخ كفالة رسمية غير معلنة، من أجل تشكيل حركة يمكن أن تقوم بدور قوة مقابلة للتهديد الأرمني"^٢.

١. ينظر: وديع جويده، المصدر السابق، ص ٣٥-٣٦ و ص ٤٢-٤٣ .

٢. ينظر مؤلفه: المصدر السابق، ص ١١٢-١١٣ .

هنا لا بد من الوقوف على مسألة موقف الشيخ النهري من الأرمن، وبالمقابل الموقف الأرمني من انتفاضة الشيخ النهري، فإن الشيخ عبّيد الله النهري أكد مرارا وتكراراً، سواء للمسؤولين البريطانيين أو للأرمن، حُسن نيته تجاه المسألة الأرمنية، حتى انه لم يعارض قيام دولة أرمنية على شرط عدم المساس بالحقوق القومية الكرّدية، وانه يجب أن تقام أيضاً دولة كرّدية، كما أكد المطران الأرمني في باشقالا أن الشيخ النهري قد دعاه عدة مرات للالتقاء به، بخصوص أمر الانتفاضة إلا أن المطران، وكما قال بنفسه انه كان يتحجج دائماً بحجج مختلفة ولم يتم هذا اللقاء بين الطرفين، ورغم الشكوك الأرمنية في البداية إلا أن الشيخ النهري بيّن حسن نواياه ليس تجاه الأرمن فقط، بل تجاه المسيحيين في المنطقة بشكل عام، وان الشيخ النهري وكذا الكرّد عموماً لو كانوا يريدون بالأرمن شراً لفعّلوا ذلك، ولكانت الفاجعة أهول من المذابح التي حدثت بين عامي ١٨٩٤-١٨٩٦، كما قرب الشيخ النهري سيمون أغا وهو أرمني إليه ووفقاً لما سبق فقد كان من احد مستشاري الشيخ، كما عهد الشيخ لبعض وجهاء الأرمن الذين رافقوه في حملته بمهمة الارتباط لتأمين الحماية للأرمن القاطنين على طريق الجيش الزاحف؛ وكذلك رافق الشيخ عدد من التجار الأرمن^١، كما أن قيامه بإصدار الفتوى ورفع الأعلام السماوية للون على سطوح البيوت يثبت بصورة واضحة حسن نواياه تجاه الأرمن.

بالمقابل وقبل أن تبدأ الانتفاضة رفع الأرمن التقارير إلى القناصل الأوربيين متهمين الكرّد بقيادة الشيخ عبّيد الله النهري، وبدعم من شخص السلطان نفسه بأنهم سيقومون بحركة ضد الأرمن في المنطقة، لإبراز القضية الكرّدية على حساب القضية الأرمنية، وان هذا الهجوم موجه بالدرجة الأساس ضد الأرمن، وان السياسة البريطانية في المنطقة اعتمدوا على هذه التقارير، التي اتضحت لهم فيما بعد بأنها عارية عن الصحة، فان الوثائق البريطانية وحتى المؤرخين الغربيين يشككون ليس فقط بالدعم التركي للانتفاضة، بل بوجود العصبية الكرّدية أساساً، نعم كانت هناك شكوك روسية أيضاً بخصوص دعم السلطان العثماني للشيخ عبّيد الله النهري، إلا أن أيّاً من الطرفين البريطاني والروسي لم يتمكن من إثبات أن الشيخ عبّيد الله النهري إنما تحرك بأمر من السلطان عبد الحميد، فهذا الرائد تروتر يفند الآراء الأرمنية تلك بقوله:

١. ينظر:

- Garo Sasuni, A.G.E., S.101.

ليس بوسعي الاعتقاد أن الحكومة التركية متورطة في مثل هذه الحماقة، بتنظيمها حلفاً كُردياً ما إن يتألف حلف كهذا فإنه سيوجه ضد الحكومة نفسها^١. ولذلك تكاد تجمع المصادر الأرمنية، التي تناولت هذا الموضوع فيما بعد على أن السلطان انتقم من الشيخ عبيد الله النهري، لأنه لم يقم بضرب الأرمن، لذلك فقد نفاه السلطان إلى مثنواه الأخير في الحجاز^٢، ولكن قبل ذلك وبعد انهيار الانتفاضة مباشرة، وبهدف التقرب إلى السلطات القاجارية في إيران، وبيان أن الكُرد هم أعداء الفرس والأرمن معاً، قام الأرمني اسكندر غوريانس بتأليف كتاب عن انتفاضة الشيخ عبيد الله النهري في عام ١٨٨١، وقدمه إلى ناصر الدين شاه (١٨٤٨-١٨٩٦)، يهاجم المؤلف الأرمني المار الذكر فيه الانتفاضة الكُردية والشيخ عبيد الله النهري بشدة، ويبرز الدور البطولي للقوات الفارسية، وكيفية تغلبها على هذا (التمرد) الكُردى، ويكفي القول إنه أطلق اسم (تاريخ طغيان الأكراد) على مؤلفه هذا^٣.

وقد حدا هذا الأمر بنا إلى الرجوع إلى موقف الأرمن من حركة بدرخان بك، في أربعينات القرن التاسع عشر، ولأن التاريخ يعيد نفسه، وهو أن الأرمن قد ربطوا مصيرهم في تلك المدة بعجلة الدولة العثمانية، ووقفوا في غالبيتهم ضد بدرخان بك، وأدوا في انتفاضة الشيخ عبيد الله النهري الدور نفسه، إلا أنهم في هذه المرة ربطوا مصيرهم بالغرب، الذي خذلهم بعد ذلك وتنصل عن إثبات أي حقوق أرمنية في الدولة العثمانية، حتى ما بعد المذابح الأولى، كما خذلهم الأتراك سابقاً.

١. نقلاً عن: وديع جويده، المصدر السابق، ص ٣٤ .

٢. ينظر مثلاً:

-Hagop Şahbazyan, A.G.E., S.114.

٣. ينظر: ئەسكەندەر غۆريانس، شۆرشى شىخ عوبەيدۆللاى نەهرى له بەلگەنامەى ئەرمەنى دا، وەرگيرانى: محەمەد حەمە باقى، هەولير، ٢٠٠٧، ل ٥٥ ويا پاشتر؛ ئەسكەندرى قوربانسى ئەرمەنى، ديرۆكا زىدەگافى يا كوردان، وەرگيران: لەزگينى چالى، هەولير، ٢٠١٠ .

ب- ظهور الأحزاب الأرمنية :

منذ بداية الثمانينات كانت هناك مؤشرات قوية خاصة بين الأرمن في أرضروم ووان، للقيام بحركة مسلحة بوجه السلطات العثمانية من أجل تحقيق استقلال أرمينيا، واعتقد نائب القنصل البريطاني (وليام إيفرت-W.Everett) في أرضروم أن الحركة الأرمنية قد انبعثت من أرمينيا الروسية، وشجعته بصورة سرية روسيا، وقد انتشرت الفكرة بين الأرمن: "بأنه إذا ما أرادوا أن يتخلصوا من الظلم والطغيان فعليهم أن يتطلعوا إلى روسيا وحدها للمساعدة"، وإن الميجور كامساركان-ذا الأصول الأرمنية- وهو القنصل الروسي في وان، كان له الدور الفاعل في نشر هذه الفكرة، وكان هناك عديد من العملاء الروس يتنقلون على الدوام في أنحاء البلاد، ويحثون الأرمن على الثورة^١، مما بدد الأوهام التي كانت تساورهم حيال حسن نية أوروبا إزاء قضيتهم، إذ أدركوا في آخر المطاف: "أن لا خلاصَ للأرمن إلا بقوة السلاح"، كما جاء في إحدى الأغاني المنتشرة حينذاك، وأخذ الشبان ينظمون في صفوف الأحزاب السرية وفرق الفدائيين، استعداداً للمقاومة، ومعارك التحرير^٢.

وقد أرسل إيفرت بهذا الخصوص رسالة إلى قنصل كُردستان تروتر في ١٨٨٠/٦/٢٥، يخبره فيها عن مخاوفه من قيام الأرمن بعمليات في المنطقة، فبعد يأسهم من سياسة الإصلاحات بدأوا يعدون العدة لتحرير أنفسهم من الطغاة، وأنهم لن يصبروا أكثر من ذلك، حسب نائب القنصل، وأنهم سيسلكون السبل الآتية لتحقيق أهدافهم:

١- إدخال عملاء موثوقين وكفويين، إلى أرمينيا الغربية (شمال كُردستان)، لبث الروح والشعور القومي.

٢- استيراد الأسلحة بشكل سري.

٣- التحالف مع رؤساء العشائر الكُردية القوية، الذين كانوا ينوون التخلص من القمع التركي^٣.

1. SALHI SONYEL, THE GREAT WAR AND THE TRAGEDY OF ANATOLIA: TURKS AND ARMENIANS IN THE MAELSTROM OF MAJOR POWERS, ANKARA, 2001, P.20.

٢. كرسام اهارونيان، المصدر السابق، ص ٢١-٢٢ .

3. No.16, Captain Everett to Major Trotter, ERZEROUM, June 25, 1880, in: (B.Ş.B.D.O.A), VOL: II, P.67-71.

بات وضع الأرمن أكثر تعقيداً، بعد أن أسقط وصول القيصر اسكندر الثالث في العام ١٨٨١ مشروع مليكوف القاضي بإقامة دولة أرمنية مستقلة، تضم كل الأراضي الأرمنية في روسيا والسلطنة وفارس، وكان أخطر ما في سياسة القيصر الجديد هو محاولة استيعاب كل الأقليات غير الروسية وتذويبها، مما كان يعني القضاء على كل التيارات القومية، والحركات الثورية بين هذه الأقليات داخل روسيا، يضاف إلى ذلك أن تخلي دول الغرب عن القضية الأرمنية، أو وضعها على هامش الاهتمامات الدبلوماسية، دفع بالأرمن إلى المخاطرة وبتجاهين، أحدهما: العمل الثوري الذي نظمته الأحزاب الأرمنية داخل السلطنة وفي أوروبا، وقد تضاعفت بالاشتراكية التي أعطت (الثورية) أبعادها الاجتماعية والاقتصادية، وتخطت يقظة القوميات إلى (الأممية الاشتراكية)، والاتجاه الثاني: تمثّل بسعي الأعيان الأرمن في العاصمة والمدن الكبرى إلى وضع برنامج عمل لإثارة الرأي العام في الغرب بما يحمل الدول الكبرى تجاه الضغط على الباب العالي، لإيجاد حل للمسألة الأرمنية على غرار ما حدث في البلقان^١.

إن تقاعس الدول الأوروبية الكبرى، الموقعة على معاهدة برلين، عن تنفيذ الإصلاحات المنصوص عليها في المادة الواحدة والستين، وانتهاء وتطبيق الدولة العثمانية، بعد أن خلت لها الساحة في شمال كردستان، لسياسة فرق تسد سواء بين الأرمن أنفسهم، أو بينهم وبين الكرد، دفعت بالأرمن بعد ذلك إلى إنشاء وتأسيس الأحزاب السياسية لأول مرة في تاريخها، والتي كانت تهدف إلى إخراج القوات العثمانية من شمال كردستان، وتوحيدها مع أرمينيا الشرقية وإنشاء الدولة القومية الأرمنية الكبرى. وقد مثل ظهور هذه الأحزاب السياسية انعطافاً كبيراً في تاريخ الحركة التحررية الأرمنية، فحتى ذلك الوقت، أي في أواسط الثمانينات، كانت القيادة القومية الأرمنية بيد البطريركية الأرمنية، في استانبول ومن ورائها مجلسها الوطني، الذي أنشأ حسب نظام عام ١٨٦٣، ولكن ظهور الأحزاب السياسية، وتبنيها لأفكار قومية ليبرالية، وأخرى اشتراكية شيوعية، أدى إلى تحويل أنظار الأرمن إلى هذه الأحزاب، والاعتماد عليها والوثوق بها أكثر من أي جهة أخرى في إنشاء وطن قومي للأرمن؛ يقول مالكولم ياب

١. جان شرف، المصدر السابق، ص ١٥٠؛ محمد رفعت الإمام، المصدر السابق، ص ٣٠-٣١؛ روبرت نولسن، راپه ييني شيوخ سه عيدي پيران، وهرگيراني: نهبوبه كر خوشناو، ج ٢، سليمان د، ١٩٩٩، ل ٢٥.

" وجدت دلائل من وان توحى بأنه يمكن أن تكون القومية الأرمنية، إيديولوجية ملائمة لظهور مجموعة أرمنية جديدة، مناوئة من النخبة ترغب في تحدي هيمنة النخبة الأرمنية القديمة، التي لجأت إلى سياسة الوفاق مع العثمانيين"^١.

قبل تأسيس الأحزاب الأرمنية الكبيرة كانت هناك جمعيات أرمنية عدة تعمل في شمال كردستان وفي الدولة العثمانية، وإن أولى هذه الجمعيات كان يحمل اسم (الاتحاد الخيّر) الذي تأسس في استانبول عام ١٨٦٠^٢، وظهر في عقد السبعينات عدة جمعيات منها: جمعية (ارارتيان) في وان، و(أصدقاء المدارس)، وجمعية (الشرق) في موش، و(المرأة الوطنية) في ارضروم، ولاحقاً اتحد كل من جمعية (أصدقاء المدارس) و(الشرق) لتكوّن جمعية واحدة تحت اسم (الجمعية المتحدة للأرمن)، إلا أن عمل هذه الجمعيات لم يكن ليتخطى الطابع السلمي في النضال القومي الأرمني، وكانت في معظمها جمعيات تثقيفية تعليمية، هدفها الأساس هو الارتقاء بالمجتمع الأرمني^٣.

لقد تأسست الجمعيات الثورية الأرمنية، بموازاة هذه الجمعيات الثقافية الاجتماعية، ففي عام ١٨٧٨ تأسست جمعية (الصليب الأسود) في وان، وفي عام ١٨٨١ تم تأسيس جمعية (المدافعين عن وطن الآباء) في ارضروم، وكان هدفها تسليح الأرمن ليحموا بها أنفسهم من الهجمات، وقد اكتشف نشاط هذه الجمعية في عام ١٨٨٢ واعتقل أبرز أعضائها^٤، ولكن خلال منتصف ثمانينات القرن التاسع عشر ظهرت الأحزاب الأرمنية، ليصل عددها في بداية التسعينات إلى ثلاثة أحزاب قومية واشتراكية، قادت النضال ضد الدولة العثمانية، وفيما يأتي نبذة مختصرة عن هذه الأحزاب وبرامجها السياسية:

١- حزب الأرمنيكان - ١٨٨٥ Armenakan :

أسس هذا الحزب في خريف ١٨٨٥، في مدينة وان بمبادرة من (مجريديتش بورتقاليان - Migirdich Portakalian) (١٨٤٨-١٩٢١) واتخذ الأرمنيكان في بداية تشكيله

١. نقلاً عن مؤلفه: المصدر السابق، ص ٢٢١ .

2. KAMURAN GÜRÜN, Op.Cit.,P.153.

3. Ibid, P.153-154; M.Kalman, A.G.E., S.40-41.

4. KAMURAN GÜRÜN, Op.Cit., P.154;

- ديفيد مكدول، المصدر السابق، ص ١١٧ .

طريق التمرد والقتال، سبباً لنيل الاستقلال القومي الأرمني في الدولة العثمانية، وسعى إلى ضمان دعم أرمن الخارج لأرمن الداخل، وخصوصاً من الناحية المادية، وكذلك جلب اهتمام وعناية الدول الكبرى بقضيتهم^١.

ارتكز حزب الأرمنيكان على التنظيمات الثورية السائدة في القرن التاسع عشر، أي: موجبات وقانون داخلي، وتنظيم داخلي، وفروع محلية في مدن ثانوية، فضلاً عن التدريب العسكري، وصحيفة ثورية (أرمينيا)، ومجموعة من المسؤولين الثوار، المدعومين من عدد من الأعضاء المساعدين. استحدث حزب الأرمنيكان مكاتب خاصة لها في إيران، لتسهيل تهريب الأسلحة إلى وان، وقد أصبح هذا الإجراء سمة ضرورية لكل حزب أو حركة ثورية أرمنية، لم يستطع حزب الأرمنيكان أن يتحول إلى حزب ثوري هام، واقتصر نشاطه على بعض المعارك المحدودة مع الجيش العثماني والكرد^٢.

إن أبرز حادثة لهذا الحزب في عقد الثمانينات هي تلك التي عرفت في التاريخ الأرمني الحديث بـ(قضية سالماس-Salmas affair)^٣، هو قيام ثلاثة من أعضائه في عام ١٨٨٩، من الذين كانوا يعيشون في مدينة سالماس، وكانوا بالأصل من أهالي وان، وهم: (كراييد كولاكسزيان-Garabed Kulaksizian)، و(اوهانيس اكريسيان)- (Ohannes Akribesian)، و(فارتان كولوشيان-Vartan Koloshian)، وكان اثنان منهم معلمين، بالتتكر بلباس كُردي^٤، واجتياز الحدود الإيرانية التركية، بهدف تجنيد بعض المتطوعين للقيام ببعض العمليات، غير أنهم وقعوا في الطريق في كمين للجيش العثماني، فقتل اثنان منهم وألقت القبض على الثالث وهو فارتان كولوشيان إلا أنه

1. M.Kalman, A.G.E., S.42;

- احمد فؤاد رسلان، المصدر السابق، ص ٥١ .

2. Justin McCarthy and other , Op.Cit., P.41-42;

- كرسام اهارونيان، المصدر السابق، ص ٢١-٢٢ .

٣. وهي مدينة كُرديّة تقع في شمال كُرديستان إيران الحالية.

٤. تم استخدام اللباس الكُردي في عمليات عدة، من قبل الأرمن والروس والأتراك في شمال كُرديستان، وذلك لإصاق الجريمة بالكُردي، بحجة ان مرتكبيها كانوا يلبسون اللباس القومي الكُردي، وربما شكل هذا اللباس نقطة يجب الوقوف عندها طويلاً، لأنه ما زال يستخدم في هذا الاتجاه. وسنأتي بأمثلة أخرى في الفصول اللاحقة، عن كيفية استغلال الأقوام المجاورة للكُردي لهذا اللباس.

تمكن بعد ذلك من الهرب، وقام بكتابة مذكراته التي أشار فيها إلى هذه العملية، التي تركت أثراً واضحاً على الأرمن في تلك الآونة^١.

٢- المنجاق- Hunchaks (الناقوس) ١٨٨٧ :

تأسس هذا الحزب في أب ١٨٨٧ في مدينة جنيف، بمبادرة من الطالب افديتس نزار بك (نزاربكيان-Nazarbekian)^٢، الذي كان إلى جانب هدفه التحرري الوطني، معتقاً الفكرة الاشتراكية، وكانت صحيفة (المنجاق)- ناقوس- الصادرة في جنيف لسان حال هذا الحزب، الذي أخذ ينظم فرقا له في المدن الرئيسية من شمال كردستان^٣.

كان المنجاق حزباً ماركسياً، وبمبادرة تنم عن احترام عميق للعقيدة الشيوعية، بدأ حزب المنجاق بترجمة البيان الشيوعي إلى اللغة الأرمنية^٤، تشكل المؤسسون من الطلاب الأرمن من منطقة القوقاز الروسية، وقد تشبعوا بفلسفة الثورة السائدة وقتذاك، كما ربطتهم علاقة وثيقة بالأحزاب الثورية الروسية، وصف المعارضون برنامجهم بأنه (اشتراكي، وملحد، وتقدمي)، وقد أعلن الحزب بفخر انتمائه الاشتراكي والإلحادي وكذلك القومي، وحاول تحقيق أهدافه من خلال إطلاق ثورة في (القسم الأرمني من تركيا)، نظراً لوجود عدد كبير من الأرمن، ولسهولة إطلاق الثورة في تلك المنطقة، مقارنة بـ (القسم الأرمني من روسيا)، وبعد وقوع تلك الثورة ارتأى الحزب إرساء دولة شيوعية^٥.

وأصدر المنجاق جريدة ثورية أشرف على تحريرها (نزاربكيان)، الذي نشر رسالة

1. No.63, Rustem Pacha Ambassadeur à Londres à Saïd Pacha Ministre des Affaires Etrangères Ottoman, LONDRES, le 22 février 1890, IN: (B.Ş.D.D.O.A.A), VOL: I, P.73-74; Christopher J.Walker, Op.Cit., P.127.

2. M.Kalman, A.G.E., S.42.

٣. كرسام اهارونيان، المصدر السابق، ص٢٢؛ محمد رفعت الإمام، المصدر السابق، ص٣١-٣٢ .
٤. أصدر البيان الشيوعي كارل ماركس (١٨١٨-١٨٨٣)، وفردريك انجليس (١٨٢٠-١٨٩٥)، إثر نشوب ثورة ١٨٤٨ في فرنسا وانتشارها في أوروبا. ولم يكن لهذا البيان-الذي أصبح فيما بعد يتمتع بشهرة كبيرة- أي تأثير يذكر حين صدوره. وفي البيان الشيوعي تقدم ماركس بفلسفة جديدة للتاريخ، وبرنامج جديد للإصلاح الثوري، ونداء جديد للعمل الدولي. للتفاصيل، ينظر: هل.فيشر، المصدر السابق، ٣٢٩-٣٣٠؛ رونالد سترومبيرج، تاريخ الفكر الأوربي الحديث ١٦٠١-١٩٧٧، ط٣، القاهرة، ١٩٩٤، ص٤٣٦ .

5. Justin McCarthy and other , Op.Cit., P.42.

في عام ١٨٨٩ يقول فيها: " من الواضح قبل كل شيء أننا فوضيون، وأن لنا رغبةً وطيدة مبيّنة في لوائنا، وهي نشر مبادئ الفوضى في بلاد الأناضول، هذا هو الهدف الأساسي، وأن هدفنا أيضاً إنشاء حكومة مستقلة في تلك البلاد، والحصول على الحرية السياسية في أوسع نطاق"^١.

أشارت (لويزا نالبانديان-Louise Nalbandian) وهي من أهم الذين أرخوا بداية الثورة الأرمنية، في وصفها لنهج حزب الهنجاك بأنه يدعو إلى "الحرب الدعائية، والتوتر، والترهيب والتنظيم، ونشاطات الفلاحين والعمال"، وكان الهدف من هذا النهج إطلاق الثورة الأرمنية، فقد جاء في بيان الحزب: "من الضروري إعادة قولبة ملامح التنظيم الاجتماعي، وتبديلها في القسم الأرمني من تركيا، وأن عنوة من خلال الدعوة إلى الثورة الشعبية"، وكان الترهيب لهم سببياً، كان لا بد من ترهيب المسؤولين العثمانيين، ومن قتل الأعداء من الأرمن والأتراك: "القضاء على أخطر الأفراد الأتراك والأرمن، في الحكومة والقضاء على الجواسيس والخونة"-بيان الحزب- خصص أحد فروع الحزب لتنفيذ العمليات الإرهابية^٢، جاء في المادة السادسة من لائحة هذه الجمعية: "يجب على كل لجنة أن تعين رئيساً للجواسيس من بين أعضائها، على شرط أن يكون من موظفي الحكومة، أو تكون له رابطة وعلاقة بموظف أرمني في الحكومة؛ ليتمكن من نقل أسرارها وتفاصيل ما يدور داخلها إلى اللجنة، ويشترط في تعيين ذلك الرئيس أن يكون تحت إدارته عشرة جواسيس، ينتخبون من أصدق رجال الجمعية، ليقوموا بإخبارنا أولاً بأول، بما يكتنفها من المخاطر وعليهم أن يدخلوا في كل مكان متكرين، بحيث يكون زيُّ التنكر للواحد منهم مختلفاً عنه للآخر، ويعدوا مشروعاتهم في الخفاء، وتكون المداولات المختصة بهم منحصرة بين اللجنة وبين رئيسهم"، وتقضي المادة (السابعة) بتعيين خطباء بين الجماهير، لحتُّهم على الثورة والإخلال بالأمن، أما المادة (الثامنة) من لائحة هذه الجمعية الأرمنية فتقول: "يجب أن تكون لكل لجنة منفذ، يكون تحت إمرته جماعة من المساعدين، والواجب المفروض على هذا المنفذ وعلى مساعديه، أن يقوموا بإعدام من ترى فيهم اللجنة أنهم يضرّون بها، سواء كانوا من الأرمن أو غيرهم، وذلك متى صدر قرار اللجنة قاضياً باتخاذ هذه الوسيلة"، وتضيف هذه المادة أن أنواع العقاب ثلاثة: التوبيخ، والضرب بالعصي، والإعدام، وهذا النوع

١. نقلاً عن: السعيد رزق حجاج، الأكراد والأرمن في العصر الحميدي، القاهرة، ١٩٩١، ص ٩٦ .
2. Justin McCarthy and others , Op.Cit., P.42.

الأخير ينفذ: إما بالخنجر، وإما بالخنق، وإما بالسم. وخلال نسف المنازل والمباني يجب استعمال أولاً: القنابل الديناميتية، وثانياً: الديناميت السائل، وثالثاً: قنابل الحرق المملوءة بالبارود، وجاء في المادة (التاسعة): " يجب أن يكون لدى اللجنة أحد من أعضائها، تنحصر اختصاصاته في غرس بذور الفتن، وتحريض الضعفاء على الأقوياء، حتى تعم الفتنة وينتشر الاضطراب"^١، كما أكد برنامج الحزب على ضرورة كسب ولاء الكرد والسريان، أثناء القيام بالنضال ضد الدولة العثمانية^٢، وفي محاولة لتوقع مستقبل الثورة أعلن حزب الهنجاك أن أفضل وقت لإطلاق الثورة في السلطنة العثمانية، هو وقت خوض العثمانيين الحروب^٣.

٣- الصاشناق-Dashnaksutiun (الاتحاد) ١٨٩٠ :

أسس حزب الطاشناق على أنقاض جمعية (أرمينيا الشباب)، التي أسسها في عام ١٨٨٩ (كريستابور ميكائيليان - Kristapor Mikayelian)، وكان برنامجه هو القيام بالغزوات والغارات دائماً داخل الأراضي العثمانية، بغية معاقبة الكرد بسبب اضطهادهم للأرمن وعنهم، وهناك كلمة مهمة كانت تستعملها الجمعية وهي كلمة (فريزه vrezh) وتعني (الانتقام)، وكانت الجمعية تشك في كون الكرد ضحايا للنظام العثماني لأن هذا الأمر لديها ليس واضحاً تماماً، والأكثر من ذلك أنها كانت تؤمن بالتدخل الأجنبي مثلما تدخلت روسيا بعد أعمال العنف البلغارية^٤.

أسس الاتحاد الثوري الأرميني (F.R.A)، أو الطاشناق المشتق من كلمة (الطاشناكتسوتيون)، التي تعني (الاتحاد) باللغة الأرمينية رسمياً في تموز، أو آب من العام ١٨٩٠، في منطقة القوقاز الروسية، بزعامة كريستابور ميكائيليان نفسه، وقد عقد الطاشناق اجتماعه الأول في تفليس، عاصمة جورجيا الحالية في العام ١٨٩٢^٥، وما لبث أن نقل الحزب مركزه من تفليس إلى مدينة جنيف السويسرية، التي أصدر فيها جريدة (تروشاك - العلم) لسان حال الحزب^٦، وينقسم برنامج حزب الطاشناق إلى

١. السعيد رزق الحجاج، المصدر السابق، ص ٩٦-٩٧ .

2. M.Kalman, A.G.E., S.43.

3. Justin McCarthy and others , Op.Cit., P.42.

4. Christopher J.Walker, Op.Cit., P.130-131.

5.Justin McCarthy and others , Op.Cit., P.43.

٦. كرسام اهارونيان، المصدر السابق، ص ٢٢ .

ثلاثة محاور، الأول: الأهداف "يهدف حزب الطاشناق إلى تحقيق الحرية السياسية والاقتصادية، لأرمينيا العثمانية بوسائل التمرد والثورة". والثاني: الوسائل، الدعاية-تعليم ثوري للشعب، تنظيم الشعب وتسليحه للدفاع عن نفسه-أعمال التخريب- اغتيال الموظفين الفاسدين، وجميع المستغلين والخونة الأرمن. والثالث: التنظيم، تبنى الحزب مبدأ عدم المركزية الذي يعد نظاماً ملائماً لمنطقة العمليات الواسعة المزمع التنفيذ فيها، هذا وقد خلقت اللامركزية شبكة ديناميكية من الهياكل التنظيمية، أدارت العمل التنظيمي والثوري بحرية، استناداً إلى ظروف كل منطقة- في إطار أهداف الحزب- مما كفل للحزب نشاطاً وانتشاراً^١. وخلال الاجتماعات التأسيسية في عام ١٨٩٠ أعلن حزب الطاشناق انطلاق الحرب الشعبية ضد الحكومة التركية، وعلى غرار الهنجاك اعتنق حزب الطاشناق العقيدة الاشتراكية، وكان عضواً في منظمة الأحزاب الاشتراكية وأحزاب العمل، غير أنه كان أكثر مهارة في ترسيخ معتقداته الاقتصادية، وتدعيم أهدافه القومية^٢، وجاء في خطابه التأسيسي: "أخيراً نقتنع بأن القيود التي تمنع تطور ونشوء الأرمن في تركيا يجب كسرها، وان على الأرمن أن يحصلوا على استقلالهم بأي وسيلة كانت، وان كل شيء مسموح به لتحقيق هذا الهدف: الدعاية، والرعب، والإرهاب، والحرب التي لا هوادة فيها، وكذلك قتل الأتراك والكرد حيثما نجدهم وتحت أي ظروف، متى ما وجدتموهم اقتلوهم، اقتلوا الخونة والمخربين، وانتقموا فهؤلاء لا يمثلون شيئاً"^٣.

أما بخصوص الكرد فقد جاء في برنامج الحزب أن الكرد الذين يقفون باستمرار بوجه الحكومة العثمانية من جهة، ويعملون على القضاء على الأرمن والعناصر الأجنبية الأخرى في المنطقة مثل: السريان، واليزيديين، والكرد القزلباش(العلويون) من جهة أخرى ويستخدمون في سبيل ذلك كافة الوسائل، وأن هذه الازدواجية في موقف الكرد ستجعل الكرد يميلون للانحياز إلينا في المستقبل، أو على الأقل سيقفون موقف الحياد في صراعنا مع الحكومة العثمانية^٤، وقد تطرق ميكائيليان في إحدى خطبه إلى الكرد بالقول: "نحن الأرمن يجب أن نحاول معهم حتى يشاركونا حماسنا؛ لهذا ليس لدينا أية

١. محمد رفعت الامام، المصدر السابق، ص ٣١-٣٢؛ السعيد رزق الحجاج، المصدر السابق، ص ٩٧.

2. SALAHY SONYEL, THE GREAT WAR..., P.21; Justin McCarthy and other, Op.Cit., P.43.

3. JEREMY SALT, Op.Cit., P.61.

4. Garo Sasuni, A.G.E., S.112.

وسائل أخرى ماعدا حافظ الخارج، الذي به يمكن أن نقوي أنفسنا... ونبرهن بأننا الأرمن قادرون على الدفاع عن أنفسنا، وعن حقوق جارتنا أيضاً، إذا خلقنا هذه الحماسة، سيكون عندنا الحليف الكردي، وما عدا ذلك فإن الأرمن سيبقون أهدافاً لإغارة الكرد عليهم، وسلبهم ولن يقبلونا في أي وقت شركاء لهم في الكفاح ضد العدو المشترك".^١

اتحد الهنجاك مع الطاشناق بعد تأسيسه في عام ١٨٩٠، بيد أنهما انفصلا في العام التالي لاعتبارات شخصية أكثر منها إيديولوجية، إذ لم يتفق الثوار الأرمن على تحديد مسارهم.^٢

لقد جاء تأسيس الأحزاب الثورية الأرمنية استجابة للدوافع القومية في القرن التاسع عشر؛ فقد كانت الأحزاب الأرمنية الرئيسية الثلاث: (الأرمنيكان، والهنجاك، والطاشناق) شبيهة بالمنظمات اليونانية والبلغارية الثورية الناجحة في أهدافها القومية، واستعدادها للجوء إلى عنف جماعي أو اغتيال انتقائي، كلما كانت هناك حاجة إلى ذلك، كانوا متميزين في أن شعبهم كان يشكل أقلية واضحة، في أرض يخططون للاستيلاء عليها، لا يمكن معرفة درجة تأييد الأرمن الشرقيين التلقائية لهم؛ من غير المؤكد أن باستطاعة كثير من الأرمن أن يعارضوهم بنجاح سراً أو علناً، إذا أخذنا تقاليدهم القائمة على أساس العنف في الحسبان.^٣

رأى الهنجاك أن المظاهرات ضد الحكومة العثمانية سوف تكون بمثابة رسالة إلى الدول الأوروبية مفادها أن الأرمن لم ينسوا قط المادة (٦١) من معاهدة برلين، ولهذا نظم الهنجاك في ٢٠ حزيران ١٨٩٠ مظاهرات في أرضروم^٤، بعد مهاجمة القوات العثمانية لإحدى الكنائس على إثر وصول أخبار بوجود أسلحة فيها. ويعتقد أن قساوسة الأرمن الكاثوليك هم كانوا وراء تسريب هذا الخبر إلى السلطات العثمانية، إلا أن القوات العثمانية لم تعثر على شيء، ووقعت اشتباكات بعد ذلك بين القوات العثمانية والأرمن في أرضروم، ذهب ضحيتها عدد من الأرمن، وبعض الجنود

1. Garabet K.Moumdjian, Op.Cit.

٢. محمد رفعت الامام، المصدر السابق، ص٣٢؛

-Garo Sasuni, A.G.E., S.111.

٣. جستن مكارثي، المصدر السابق، ص١٣٨-١٣٩ .

٤. محمد رفعت الامام، المصدر السابق، ص٣٢ .

العثمانيين^١، وعلى إثر هذه الأحداث في أرضروم قامت مظاهرة أرمنية أخرى، نظمها الهنجاك في استانبول في الكاتدرائية الأرمنية، في (كوم كابي-Kumkapi)^٢، ففي ١٥ تموز ١٨٩٠، قام أحد أعضاء الهنجاك المدعو (هاروتيان جانكوليان-Harutyan Canguyan)، بالهجوم على بطريك الأرمن (عاشقيان-Ashikian) (١٨٨٤-١٨٩٤)، الذي كان يميل للأتراك ويهادنهم، عندما كان يلقي خطاباً في كاتدرائية كوم كابي، لتقاعسه في الدفاع عن الأرمن إثر مظاهرات أرضروم^٣، ثم اتجهت مظاهرة أرمنية من تلك الكنيسة نحو قصر السلطان عبد الحميد، إلا أن القوات العثمانية لم تتردد عن إطلاق النار عليهم، مما أدى إلى وقوع عدد من القتلى وجرح آخرين في صفوف المتظاهرين، بعدها تمكنت القوات العثمانية من تفريقهم، وألقت القبض على هاروتيان، وحكمت عليه بالسجن المؤبد^٤.

كما جهز أرمن روسيا في العام نفسه قوة مسلحة صغيرة، أعدها الطاشناق للقيام بغارة داخل الأراضي العثمانية^٥؛ فقد قام (١٢٥) شخصاً من أعضاء الطاشناق بقيادة (سركيس كوكونيان-Sarkis Kukunyan) بمحاولة الدخول إلى الأراضي العثمانية، بهدف القيام ببعض العمليات الفدائية، إلا أن العملية فشلت؛ فقد أحبطها الجيش الروسي المرابط على الحدود الروسية العثمانية بعد تصديه لها، وإلقاء القبض على المشاركين فيها وأودعوا في سجن قارص^٦، ورغم فشل هذه الإغارة، إلا أنها أوصلت رسالة واضحة مضمونها: "لم ينس أرمن روسيا قط القضية الأرمنية"^٧.

شكلت هذه العمليات البداية الأولى لعمل هذه الأحزاب في صدامها مع الدولة العثمانية، ولتتطور فيما بعد إلى مواجهات مسلحة، وعمليات إغتيال وكر وفر، ولتتعد الحالة أكثر فأكثر بين الطرفين، وتؤدي في نهاية المطاف إلى حدوث مذابح للأرمن بين عامي ١٨٩٤-١٨٩٦، ذهب ضحيتها العديد من الأبرياء، كما سيأتي الحديث عنها لاحقاً.

1. M.Kalman, A.G.E., S.52.

٢. محمد رفعت الامام، المصدر السابق، ص ٣٢ .

٣. فؤاد حسن حافظ، المصدر السابق، ص ٢٠٨-٢٠٩ .

4. M.Kalman, A.G.E., S.56-57.

٥. محمد رفعت الامام، المصدر السابق ص ٣٢ .

6. M.Kalman, A.G.E., S.34; Général Russe MAYEWSKI: Consul Général de Russie à Van-puis à Erzeroum, LES MASSACRES D'ARMIRIE, n.p, 1916, P.21.

٧. محمد رفعت الامام، المصدر السابق، ص ٣٢ .

وفي الختام لا بد من التطرق إلى موقف الأحزاب الأرمنية الثلاثة المارة من الكرد، الذين كانوا يعيشون معهم على نفس الأرض، التي يسميها الكرد كُردستان، ويسميها الأرمن أرمينيا. فعند النظر إلى منهاج الأحزاب الثلاثة بخصوص الكرد يظهر بوضوح الغموض الواضح في برنامجها بهذا الشأن، فحزب الأرمنيكان على الرغم من كونه الحزب الوحيد المؤسس في وان، أي: بين الكرد لم يشر في منهاجه أبداً إلى الكرد، وتجاهلهم، وأخرجهم تماماً من معادلتهم السياسية، بل كان هذا الحزب ينظر إلى الكرد نظرتهم إلى الأتراك، إذ لم يفرق بينهما، على الرغم من أن مؤسسهم قد أنشأ في السبعينات مدارس أرمنية قامت أيضاً بإيواء طلبه من الكرد. يبدو أن هذا الغموض يتبدد نوعاً ما في برنامجي كل من حزب الهنجاك والطاشناق، في محاولة كسب كل منهما الكرد لقيادة النضال ضد الدولة العثمانية، ولكن أياً من الحزبين مثل الأرمنيكان لم يقر ويعترف بوضوح بحقوق الكرد في الدولة المستقبلية، وإذا ما نجح في مسعاها، فما هو مكانة الكرد في دولة أرمينستان، ذي الأغلبية الكردية، التي ستؤسسها هذه الأحزاب الأرمنية؟

من هذا المنظور يظهر أن هذه الأحزاب الأرمنية الثلاثة لم تقم بوضع برنامج متكامل للمنطقة، وتجاهلت هذه الأحزاب الحقوق القومية الكردية، وكذا الحركة التحررية الكردية، التي هي أقدم بكثير من الحركة التحررية الأرمنية؛ إذ أنه ليس هناك مجال للمقارنة بين الحركتين في العصر الحديث، فحتى الأمس القريب كان الأرمن أصدقاء الأتراك، والكرد هم أعداء الأتراك في كُردستان، والآن انقلب الأمر رأساً على عقب، وكان من الأجدر لهذه الأحزاب الأرمنية أن تضع مكاناً للكرد سياسياً في برنامجها، للنضال ضد الدولة العثمانية، ولا تقوم بالتعامل مع القضية القومية الكردية باستخفاف، وتعمل على كسب الكرد إلى جانبها، لتأسيس دولة أرمنية، إن هذا التناقض في برنامج هذه الأحزاب دفعها ولأول مرة إلى تغيير نظرتها عن الكرد، بعد المذابح الأرمنية الأولى ١٨٩٤-١٨٩٦، حيث خلصت هذه الأحزاب إلى أهمية العامل الكردي في النضال ضد الحكومة العثمانية، وأن العلاقات الأرمنية على مستوى النخبة ابتدأت فعلياً بعد هذه المذابح الأرمنية، كما سيأتي الحديث عنها لاحقاً، والملاحظة الأخرى التي تؤخذ على هذه الأحزاب الأرمنية هي أن حزبا الهنجاك والطاشناق حاولا في بعض منشوراتهما الحزبية كسب الكرد على الأقل إلى جانبهما، إلا انه يظهر أنهما

لم يقوما بخطوة في هذا الاتجاه في المرحلة الأولى من تأسيسهما، ولم يقوما بمثل هذا العمل إلا بعد المذابح الأولى، بل على العكس من ذلك قامت بضرب القرى الكرديّة واستفزاز الكرّد، ولم تحاولا مجابهة طغيان الأعوات الكرّد، المدعومين من الحكومة العثمانية، وكسب الكرّد وهؤلاء الأعوات إلى جانبهم، على الأقلّ التأثير على التاريخ الطويل لكلا القوميتين معاً، والضرب على وتر أن الأتراك غرباء عن هذه البلاد، التي هي فقط للكرّد وللأرمن.

ج- التقارب التركي الكردي وقضية موسى بك الموتكي :

هل شكلت الحرب الروسية العثمانية ١٨٧٧-١٨٧٨، نقطة البداية لالتقاء المصالح التركية بالمصالح الكرديّة؟ وهل ولدت هذه الحرب يأساً لدى الأتراك، بأنهم أجلاً أم عاجلاً سيجبرون على التخلي عن شمال كرّدستان، كما تخلوا عن العديد من المناطق العثمانية، خصوصاً في القرن التاسع عشر؟ ثم لماذا لم تقدّم الدولة العثمانية على إتخاذ موقف حازم من انتفاضة الشيخ عبّيد الله النهري، عكس الانتفاضات والحركات الكرديّة الأخرى؟ مع العلم أن أهداف انتفاضة الشيخ النهري كانت واضحة وضوح الشمس، ألا وهي تأسيس دولة كرديّة، وإخراج الأتراك والفرس من كرّدستان، ربما فكرت الدولة العثمانية ولو لبرهة أن شمال كرّدستان لن تكون لها في المستقبل القريب، لذا لن تكون لأعدائها الروس وحلفائهم الأرمن، وبعد كل هذا لا يهتم من يسيطر عليها، ما لم يسيطر عليها أحد العنصرين الروسي والأرمني، والذي عدت الدولة العثمانية العنصر الأخير خائناً، فقد كان الأرمن حتى الأمس القريب هم الملة الصادقة، وكان الكرّد هم المنبوذون على كافة الأصعدة، لأنهم لم يتركوا الدولة العثمانية تهنأ بكرّدستان أبداً، على مر حُقب التاريخ الحديثة. وربما هذا يفسر لنا سبب دعم الدولة العثمانية للكرّد، في انتفاضة الشيخ عبّيد الله النهري، ليس دعماً حقيقياً بل سكوتاً عما يجري هناك، لأنها وقفت في موقف الميئوس منه، إزاء جميع الأحداث التي عصفت في تلك المنطقة، منذ الحرب الروسية العثمانية، لذلك ولأجل محاربة الطموحات الروسية والأرمنية في شمال كرّدستان، ولعدم تمكنها من السيطرة على الكرّد، وجعلهم عنصراً مخلصاً لهم طوال العصر الحديث، اضطرت إلى مهادنتهم واستغلالهم، رغم كرهها لهم، وتكوين جبهة واحدة معهم ضد التطلعات الروسية والأرمنية في المنطقة.

بالاعتماد على ما سبق صار الكُرد رقماً صعباً في المعادلة السياسية، في المنطقة بصورة عامة بعد الحرب، وسارعت جميع الأطراف إلى كسب ودهم، وإمالتهم إلى جانبهم وحدثت نقاشات عديدة بهذا الخصوص، محاولات قام بها الأرمن والأتراك والروس كل من جهته، ولأول مرة يظهر للبريطانيين عندما بعثوا قناصلهم إلى كُردستان أن الكُرد هم العنصر الأكثر عدداً في المنطقة، بحيث ليس هناك مجال للمقارنة، بين الشعب الكردي والشعوب الأخرى.

فبخصوص الأرمن جرى في عام ١٨٨٠، نقاش حاد بين جريدتي (ميغوهايستان) و(مشاك) فيما يتعلق بالمسألة الكردية، فدعا أنصار ميغوهايستان الأرمن للصدقة مع الكُرد، منتقدين تناقضات جريدة مشاك في المسألة الكردية، وتسترعي الانتباه المقالة المنشورة في جريدة ميغوهايستان في شهر تشرين الثاني ١٨٨٠، أي في مرحلة إنهياري إنتفاضة الشيخ النهري، بعنوان (الأرمن والكُرد)؛ فلقد سعى كاتب المقال لبيان علاقات الصداقة المستمرة، بين الأرمن والكُرد على أساس تاريخي، وانتقد تلك الشخصيات البرجوازية، التي رأت في الكُرد فقط قوة معادية للأرمن، وأشار أيضاً إلى أن التباين في العقيدة الدينية، لا ينبغي أن يكون سبباً للعداوة، وفي الوقت ذاته حاول كشف الدوافع الاقتصادية والاجتماعية، التي أرغمت الكثير من الكُرد على القيام بأعمال النهب والسلب، وعبر كاتب المقال عن عطفه العميق حيال الفلاح الكردي البسيط، وفي الوقت ذاته وصف الإقطاعيين الكُرد والشيوخ والبكوات كأناس لا يمثلون الشعب الكردي ولم يمثلوه يوماً ما، كما دعا الأرمن إلى إقامة صداقة وطيدة مع الكُرد، مشيراً إلى الفائدة الكبرى التي تجلبها هذه الصداقة على الشعبين^١.

وفي سبيل ذلك قامت مجموعة من القيادات الأرمنية في استانبول في عام ١٨٨٠، بإرسال مبعوثين عنهم بشكل سري إلى المناطق الكردية في درسيم وشمال كُردستان، لتوطيد العلاقات مع الكُرد، وتكوين جبهة موحدة ضد الأتراك في المنطقة، وقد تمت الإشارة فيما سبق إلى تقرير نائب القنصل البريطاني في أرضروم ايفريت، المؤرخ ١٨٨٠/٦/٢٥، الذي ذكر فيه اتجاه الأرمن إلى المقاومة المسلحة ضد الدولة العثمانية، والاعتماد على أنفسهم في سبيل نيل حقوقهم القومية، ويذكر أن أحد أهم أهدافهم هو تنسيق الجهود مع الكُرد في تلك المناطق، ويعقب ايفريت حول هذه الحركة الأرمنية

١. جليلي جليل، انتفاضة الأكراد...، ص ٥٨-٥٩؛ م.س. لازاريف، المصدر السابق، ص ٦١.

ب: "...لقد بدا لي منافيا للعقل أن يكون هنالك أي تناغم بين عرقين، بديا على عدا وخصام بصورة جلية، ولكن من الواضح أن المفاوضات تحت ذريعة التجارة قد تم تنفيذها في الوقت الراهن مع كُرد منطقة (درسيم)، وأيضاً مع رئيس العشيرة القوي في المناطق المجاورة لمنطقة موش، الذي لا يمكن أن يكون أي شخص آخر غير (ميرزا بك) [وهو والد موسى بك أحد الأغوات الكبار لعشيرة جلاللي الكردية الكبيرة في موش] في حين أن العلاقات الأكثر شهرة من التي مضت كانت قد تحسنت مع الشيخ عبید الله^١، كما أشارت تقارير بريطانية أخرى عديدة ترجع إلى أوائل ثمانينات القرن التاسع عشر، إلى هذا التحرك الأرمني نحو الكُرد، وقد رأوا فيه-أي: البريطانيون- إستراتيجية غريبة جداً من ناحية الأرمن، فإن المهمة الأساسية لبريطانيا في شمال كُردستان كما نصت عليها معاهدة برلين وبروتوكول قبرص هي حماية الأرمن من الكُرد، فبعد أن يأس الأرمن من الإصلاحات أتجهوا للتحالف مع الكُرد ضد الأتراك؛ لطردهم من المنطقة، وربما أزال هذا التحرك نحو الكُرد من قبل الأرمن عند بريطانيا هالة الخوف من الكُرد والتي خلقها الأرمن في المنطقة ولم تكن لها أساس البتة، وأن هدفهم-أي: الأرمن- كان فقط الظفر بكل الأراضي في شمال كُردستان، وتأسيس كيان سياسي لهم عليها^٢.

وبعد رحلة المبعوثين الأرمن والتي دامت ست سنوات في شمال كُردستان رجع أحد هؤلاء المدعو (بليبيوس كجيان- Pilibos Keçeyan) إلى استانبول في عام ١٨٨٦، وأعطى لكبار القادة الأرمن خلاصة رحلته إلى كُردستان، بالقول: "كان الأرمن متفقين مع الكُرد في مبدأ مقاومة الأتراك، وعمل الأرمن على إيجاد علاقات طبيعية مع الكُرد، لكنهم لم يثقوا بهم على أنهم أصدقاء لنا، فقد طلب الكُرد من الأرمن العمل سوية، وطلبوا منهم المال والسلاح؛ لتأسيس دولة كُردستان المستقلة"^٣.

1. No.16, Captain Everett to Major Trotter, ERZEROUM, June 25, 1880, in: (B.Ş.B.D.O.A) ,VOL: II, P.67-71.

٢. ينظر مثلاً:

No.47.Extract from a private Letter from Colonel Wilson, dated Smyrna, December 23, 1880, in: (B.Ş.B.D.O.A), VOL: II, P.171-173; Inclosure in No.62, Captain Clayton to Major Trotter, VAN, February 15, 1881, in: (B.Ş.B.D.O.A), VOL: II, P.195-197.

3. Antranik Çelebyan, ANTRANIK PAŞA , Ermeniceden Türkçeye Çeviren: Mariam Arpi-Nairi Arek, Istanbul, 2003. S.138.

هنا يقع مكنم الخلل في علاقة الكُرد بالأرمن، فكثيراً ما يلام الكُرد على أنهم كانوا أداةً في أيدي الأتراك الذين استخدموهم ضد الأرمن بعد ذلك، في هذه المرحلة بالذات كان على القيادات الأرمنية التخلي عن فكرة أرمنستان الكبرى، فلا يعقل أن يحاول الكُرد في أرض ذي أكثرية كُردية تأسيس دولة أرمنستان، وكان بإمكان العنصرين الكُرد والارمني لو اتحدا في تلك المرحلة أن يؤسسوا دولة لهم، أو على الأقل إخراج الأتراك من بلادهم التاريخية، إذ بمجرد إخبار الكُرد لهؤلاء الأرمن المفاوضين بأنهم سيعملون معاً على تأسيس دولة كُردستان المستقلة، حتى وأن أدار الأرمن ظهورهم للكُرد، في حين سنجد قيادات كُردية في أواخر القرن التاسع عشر، وبداية القرن العشرين تؤيد فكرة إقامة دولتين في المنطقة، أو دولة مشتركة تضمن حقوق القوميتين، أمثال عبد الرحمن بدرخان، والشيخ محمد صديق، كما سيأتي الحديث عنهما لاحقاً.

بالمقابل نجح الأتراك في تلك المرحلة في كسب الإقطاعيين الكُرد إلى جانبهم، من خلال الدعوة إلى فكرة الجامعة الإسلامية^١، التي تبناها السلطان عبد الحميد الثاني^٢، كما عقدت الأوساط الحاكمة التركية العزم في الوقت نفسه على حل المسألة الكُردية: وذلك عن طريق مكافأة الإقطاعيين الكُرد، على حساب السكان الأرمن، وأما غضب جماهير الشعب الكُرد فسيتم توجيهه في مجرى الصراع القومي الديني ضد الأرمن^٣.

ولأول مرة ظهر الأتراك على أنهم هم المدافعون عن الكُرد في المنطقة، فمر سابقاً أن السلطان عبد الحميد وقف ضد إجراءات لجان الإصلاح الأرمنية، عندما قاموا بإيداع الأغوات والإقطاعيين الكُرد في سجون ديار بكر وخربوط، لنفسيهم بعد ذلك من كُردستان، فإن الذي عمل على إبطال هذا القرار هو السلطان عبد الحميد الثاني، كما أكد بعض المسؤولين العثمانيين الكبار أمثال منير بك، أمين خزانة السلطان عبد الحميد

١. طرح السلطان عبد الحميد الثاني شعار الجامعة الإسلامية عندما تدهورت أوضاع الدولة العثمانية كثيراً، وكان الهدف الأساسي لهذه الفكرة هو محاولة منه لربط الشعوب الإسلامية جميعها بالخلافة الإسلامية، ومجابهة الدول الأوروبية الكبرى الطامعة في أملاك الدولة العثمانية مثل بريطانيا وروسيا، وكان عبد الحميد يرى أن شعار الجامعة الإسلامية خير معين له لتنفيذ سياسته الداخلية والخارجية. ينظر: موفق بني المرجة، المصدر السابق، ص ٥٨-١١٨.

٢. هنري باركي وآخرون، القضية الكوردية في تركيا، ترجمة: هفال، اربيل، ٢٠٠٧، ص ١٥.

٣. م.س. لازاريف، المصدر السابق، ص ٨٩.

الثاني، مراراً بان الإصلاحات المنصوص عليها في مؤتمر برلين شملت الأرمن فقط، وهذا خطأ واضح، وكان من الأسلم والأفضل إدخال الكرد، الذين هم من (المتوحشين) على حد وصف منير بك، ضمن مخطط الإصلاحات، وعدم محاربتهم وإبعادهم من مناطقهم التاريخية^١.

كان للكرد أيضاً دوافعهم الخاصة، للانضمام إلى جانب الأتراك في تلك المرحلة التاريخية، فمن جهة وجدوا ولأول مرة الدولة العثمانية تفتح ذراعها لهم، بعد ما كانوا في تمرد مستمر وكانت ترسل عليهم حملة تلو الأخرى، فقد رأى الكرد بأنه قد أن الأوان لكي يهناؤا بوضع مستقر ولو لمدة قصيرة، ومن جهة أخرى كانت للأعمال الأرمنية، خصوصاً وقت تنفيذ الإصلاحات في أواخر سبعينات القرن التاسع عشر تأثير كبير في تقرب الكرد إلى الأتراك، الذين وجدوا أن لا مفر لهم غير ذلك، كما أن فكرة أرمستان مستقلة في شمال كردستان التي تبناها الأرمن قربت الكرد أكثر فأكثر من الأتراك، وهنا يجب التنويه إلى أن الكرد لم ينظموا كشعب إلى جانب الأتراك في هذا الصراع، وإنما دخل هذا الصراع الأغوات فقط من الكرد الذين تضرروا من عمل اللجان الأرمنية، أو الذين كانت لهم دوافع مادية.

إن كل ما ينسب إلى مساويء الإقطاع الكردي، وظلمه الواضح والصريح للأرمن إنما يعود إلى عقد ثمانينات القرن التاسع عشر وما بعدها، وإن معظم الأمثلة التي ذكرها أغلب الباحثين والمؤرخين أمثال: لازاريف^٢، وكمال مظهر أحمد^٣ إنما تعود إلى هذه المرحلة التاريخية وليس قبلها؛ وذلك لأن العديد من الأغوات الكرد وجدوا أن الدولة العثمانية تصدر المراسيم والقرارات للكرد، للضغط على الأرمن وبكافة الوسائل^٤. وذهب كارو ساسوني القول إنه بدءاً من عام ١٨٨٠ عملت الدولة العثمانية على إصدار القرارات، بهدف تحريض الكرد ضد الأرمن^٥.

فمثلاً تشير التقارير التي رفعها من أيار ١٨٧٧ حتى آذار ١٨٩٠، نائب قنصل

1. No.158, The Earl of Dufferin to Earl Granville, CONSTANTINOPLE, January 10, 1882, in: (B.Ş.B.D.O.A), VOL: II, P.383-388; Garo Sasuni, A.G.E.,S.99.

٢. ينظر مؤلفه: المصدر السابق، ص ٥٣-٦٧.

٣. ينظر مؤلفه: المصدر السابق، ص ٢٤١-٢٤٤.

٤. ينظر:

-Garabet K.Moumdjian, Op.Cit.

5. Garo Sasuni, A.G.E., S.110.

فرنسا في ديار بكر، فيلكس برتران إلى سفيره الكونت دي مونتبلو، إلى تدهور الهيئة الاجتماعية العثمانية ببطيء، والمجاعات، وإنعدام الأمن المتزايد، وكشف القنصل الأحداث التي مزقت البيئة الاجتماعية، والتي غيّرت شيئاً فشيئاً النظرة التي يحملها المسلمون عن المسيحيين: لقد انتقلت تلك النظرة من (الذمي) إلى (الغريب)، فعندما يتعرض المسيحي إلى امتناع القاضي عن الحكم تتوسل طائفته إلى القنصل الفرنسي برغبة أكثر من الحكومة، وهو إجراء ينمي شعور المسلمين، ويستبعد المسيحيين أكثر فأكثر من المجتمع، مع أنهم كانوا ينشطون الاقتصاد، وتزداد الرغبة في نزع ملكيتهم^١، وهنا يذكر هاكوب شاهبازيان أن العثمانيين كانوا يطلقون على الأرمن اسم (كاور) - أي: كافر- وأطلق عليهم الكرّد اسم (فلا)^٢، وذلك لتجريد الصفة السياسية عن هذا العنصر، وأنه قديماً كان يطلق على الأرمن أرمن في كردستان، أما الآن فتطلق عليه هذه التسميات^٣. وكتب القنصل الايطالي في طرابزون (فرانسييسكي-Francisci) في ١٨٩٠/٦/٢٠، بخصوص استعمال مفردات جديدة ضد المسيحيين، ما نصه: "إن إحدى العواقب المؤلمة لهذا كله هي توليد مشاعر الحقد عند المسلمين تجاه المسيحيين، ومن الآن فصاعداً فإن الاحتقار، واستعمال المفردات ضد المسيحيين، أصبحت كثيرة بعد أن ساد التسامح بينهم لمدة طويلة من الزمن"^٤، ومما يدعم أن هذه المصطلحات حديثة

١. ايف ترنون، ماردين: دراسة تحليلية لإبادة عام ١٩١٥، ترجمة: لطيفة عرنوف، لبنان، ٢٠٠٨، ص ٧٥.

٢. يتفق اغلب الباحثين والمؤرخين من أمثال هاكوب شاهبازيان، وكارو ساسوني، وباسيلي نيكيتين، ولازاريف، ومارتن فان برونسن، وآخرين، وبناءً على دراسات وبحوث علمية قاموا بها أن كلمة (فلا) التي اطلقت على المسيحيين في شمال كردستان وما زالت، تعود بأصولها إلى كلمة (فلاح)، لان المسيحيين في العصر الحديث قد استقروا في قرى بكردستان، واختار اغلبهم الزراعة كمهنة له لأعالة عوائلهم، وبما أن غالبية الكرّد كانوا من العشائر الرحل وشبه الرحل كان العديد من القبائل الكرّدية تنظر باستصغار إلى هذه المهنة (أي الفلاحة)، لان مهمة الرجل الأساسية عندهم في تلك الآونة كانت القتال والمصارعة، وليس القعود وغرس النباتات، وكانت نظرة هؤلاء الكرّد إلى معظم من يستقر من الناس في كردستان، ويعمل بعمل آخر غير القتال والنبالة هي هذه، وحتى كان يطلق على الكرّد المستقرين اسم (كرمانج) أو اسم (كوران) لأن هؤلاء الكرّد أيضاً استقروا واختاروا مهناً أخرى غير تلك التي كان أجدادهم يمارسونها.

3. Hagop Şahbazyan, A.G.E., S.76.

4. Maurizio Russo, La formation des regiments de cavalerie kurde hamidié, Revue d'histoire arménienne contemporaine I, 1995, P.31.

العهد في كُردستان هو أن المصادر القديمة التي تحدثت عن علاقة الكُرد بالأرمن في عهد الإمارات الكُردية، وحتى بعد ذلك لا تشير إلى هذه المصطلحات، وأغلب الظن وبناءً على ما سبق فإن هذه المصطلحات ظهرت في عهد السبعينات والثمانينات من القرن التاسع عشر، عند تغلغل الأتراك في النسيج الاجتماعي في شمال كُردستان، وخاصة مصطلح (كاور) الذي كان بعيداً كل البعد عن المجتمع الكُرد حتى وقت قريب^١.

في هذه المرحلة ساعدت السلطات التركية على زيادة ثراء الإقطاعيين الكُرد، ونالت منهم هدايا ثمينة عوضاً عن ذلك: "وأشار تيرمن [أحد المراقبين] إلى إن القرية كلها، تحولت عن هذا الطريق إلى يد الكُرد، وصار الأرمن في البداية (مريب)، بمعنى: إنهم يتسلمون من الكُرد الحبوب والمواشي لفلاحة الأرض، ويقدمون لقاء ذلك له نصف الحاصل، ومن بعد ذلك يفقدون الأرض ويصيرون مجرد عمال، أي: رقيق لدى الكُرد"^٢.

وقد شجعت الحكومة العثمانية بجميع الوسائل استيطان الإقطاعيين الكُرد، في القرى الأرمنية لاعتبارها واحدة من وسائل مكافحة حركة التحرر الأرمنية، وأعاد السلطان عبد الحميد الثاني الأغوات والبكوات الكُرد، الذين سبق وأن أبعدوا من شمال كُردستان في عهد الإصلاحات الأرمنية، إلى أماكن سكانهم السابقة، وساعدهم في الحصول على تلك الأراضي الزراعية وتملكها، وبالنتيجة فإن عملية الاستحواذ على الأراضي الزراعية الأرمنية قد تسارعت كثيراً منذ عقد الثمانينات من القرن التاسع عشر على يد الإقطاعيين الكُرد^٣، وأكد (هنري بنديه-Henry Binder) في رحلته إلى كُردستان في تلك المدة أنه قد التقى عديداً من الأرمن في وان وبتليس، قالوا له: إن السلطان عبد الحميد الثاني يقوم الآن بتحويل أرمنستان إلى كُردستان^٤، وهذا ما

١. ليس القصد هنا أن الكُرد لم يكونوا يعرفون معنى الكافر أو لم يكونوا قد سمعوا بها، بل القصد هنا أن الكُرد لم يستعملوا هذا المصطلح، ضد أبناء أي ديانة كانت، عبر تاريخهم الطويل في المنطقة.

٢. نقلاً عن: م.س. لازاريف، المصدر السابق، ص ٦٤ .

٣. المصدر نفسه، ص ٦٥ .

٤. سهفه رنامه‌ی هینری بیتنهر: کوردستان-میزۆبوتامیا-ئیران، وهرگێرانی: ئه‌بویه‌کر خۆشناو، سلیمانی، ٢٠٠٦، ل ١٩٤-١٩٥ .

أشار إليه هاكوب شاهبازيان أيضاً^١.

وكثيراً ما أشارت المصادر إلى الظلم الواقع على الفلاح الأرمني في تلك المرحلة التاريخية، حتى إنه كان كالعبد في مزرعة سيده الكردي، أو كان يباع ويشترى مع الأراضي الزراعية، إلا أن لازاريف يؤكد على أن وضع الفلاح الكردي لم يكن يختلف عن نظيره الأرمني، ويصف ذلك بالقول: "إن الفلاحين الأرمن وكذلك الحرفيين لم يكن يضطهدهم الشعب الكردي، بل الزعامة الإقطاعية الكردية بالتواطؤ مع الموظفين الأتراك، وفتنة تجارة الاستيراد الأرمن والبرجوازية المتوسطة، وفي نفس الوقت تنبغي الإشارة بصورة خاصة إلى أن الفلاحين المستقرين من الكرد عاشوا مع جيرانهم الأرمن بسلام ووفق، ولم تكن أية عداوة توجد بينهم"^٢.

ورغم هذه الأوضاع التي آلت إليها، بعد التدخل التركي في المنطقة، إلا أن الأرمن ظلوا يحركون إقتصاد أغلب المدن في شمال كردستان، فان المؤرخ الروسي لازاريف، المتابع للعلاقات الكردية الأرمنية في تلك المدة، يشير إلى إحصائيات تظهر التفوق الأرمني اقتصادياً في أغلب مدن شمال كردستان في تلك الآونة^٣، وفيما يلي بعض الإحصائيات التي أوردها لازاريف:

"في ولاية سيواس، التي يشكل الأرمن فيها نسبة (٣٥٪) من السكان، بلغ عدد تجار الأرمن فيها (١٢٥) تاجراً كبيراً من تجار الاستيراد من بين مجموع (١٦٦) تاجراً، ومن بين (٣٧) مصرفياً كان يوجد (٣٢) مصرفياً أرمنياً، ومن بين (٩٨٠٠) حانوت تجاري صغير كان يوجد (٦٨٠٠) حانوت أرمني منها، ومن بين (١٥٣) مؤسسة صناعية كان يوجد (١٣٠) مؤسسة تعود للأرمن، وفي ولاية وان كان بيد الأرمن (٩٨٪) من التجارة، و(٨٠٪) من الأراضي الزراعية، و(٢٠٪) فقط من قطعان الماشية

1. Hagop Şahbazyan, A.G.E., S.76;

- ينظر، كذلك:

- OHAN GAIDZAKIAN M.D., Illustrated Armenia and the Armenians, BOSTON, 1898, P.85-86.

٢. ينظر مؤلفه: المصدر السابق، ص ٦٨ و ٧٠-٧٢؛ ينظر كذلك: كمال مظهر أحمد، المصدر السابق، ص ٢٤١-٢٤٣.

٣. يورد لازاريف إحصائيات عن الأرمن والكرد تعود إلى أواخر القرن التاسع عشر، مع أنه لا يشير إلى التاريخ الدقيق للإحصائية، إلا انه ذكر أنها تقع ضمن المدة التي بحث عنها في أواخر القرن التاسع عشر.

والأغنام، وكان عدد المصدرين والمستوردين في الولاية نفسها (١٨) شخصاً كلهم أرمن، وكان يوجد (٥٠) مرابياً، (٣٠) منهم أرمن...و(٢٠) صرافاً كلهم أرمن، ومن بين(١١٠٠) حرفي كان(١٠٢٠) منهم أرمنياً...ومن بين(٨٠) بائع خضار كان(٥٠) منهم أرمنياً، وكان يوجد(٢٠٠) بائع فواكه نصفهم أرمن، وجميع الأشخاص الذين مارسوا الأعمال الحرة مثل: الأطباء والصيدلة، والمحامون، وغيرهم، كانوا من الأرمن^١.

وبناءً على ما سبق ظهر بشكل متزايد منذ الثمانينات من القرن التاسع عشر مجموعة من الإقطاعيين الكرّد، المدعومين من السلطان عبد الحميد الثاني، عملوا على الإضرار بالعلاقات الكرّدية الأرمنية، وقاموا في بعض المناطق بسلب ونهب ممتلكات الأرمن، وفي مناطق أخرى إلى قتلهم، وخطف بناتهم؛ يذكر كارو ساسوني أن عمليات النهب والسلب كانت موجودة في الماضي داخل مجتمع شمال كرّديستان، إلا أن الكرّد لم يكونوا يقبلون قتل الأرمني أبداً إلا في حالات نادرة^٢، وعلى الرغم من ذلك لم يكن الشعب الكرّدي راضياً عن تصرفات هؤلاء الإقطاعيين، الذين كانوا دوماً يجدون المعارضة ليس من الأرمن فحسب، بل من الكرّد أنفسهم، وفي مرات عديدة وجد الإقطاعي الكرّدي الظالم معارضة لأعماله من داخل بيته، أو من عشيرة مجاورة، ولنا في قضية الحاج موسى بك الموتكي خير مثال.

برزت أسماء العديد من الإقطاعيين الكرّد في الثمانينات من الذين كان الأرمن يشكّون منهم كثيراً أمثال (الشيخ أوسو والشيخ صدو) في دياربكر^٣، ولكن لم يبرز واشتهر اسم أحد في تلك المدة كما برز اسم الحاج موسى بك الموتكي، والذي أدت أفعاله في مرات عدة إلى حدّ افتعال أزمة حقيقية بين الدولة العثمانية وأمريكا أولاً، ثم بين الدولة العثمانية وبريطانيا ثانياً.

١. نقلاً عن مؤلفه: المصدر السابق، ص ٦٧ .

2. Garo Sasuni, A.G.E., S.112.

٣. ايف ترنون، المصدر السابق، ص ٧٥ .

ينتمي موسى بك إلى عشيرة جلالى الكردية، التي كانت تتواجد في سنجق موش التابع لولاية بتليس، وكانت عائلة موسى بك ومنذ القدم تحكم قضاء موتكى^١. كان والد موسى بك السيد ميرزا أحد السادة الإقطاعيين الذين كانت تثق بهم الدولة العثمانية؛ فقد استلم منصب قائمقام قضاء موتكى وقضاء أخلاط. ولد موسى بك في قرية جينيار في قضاء هويت التابع لمدينة موش في عام ١٨٥٤، وقد كان لوالده السيد ميرزا ثلاثة أبناء آخرين إلى جانب موسى بك، وهم: (قاسم، ونوح، وجيزو)، صار موسى بك رئيساً لعشيرته في أواسط ثمانينات القرن التاسع عشر إثر مقتل والده السيد ميرزا في حادثة ثار بين عشيرته وإحدى العشائر المجاورة، كان موسى بك يمشي على خطى والده ميرزا؛ فقد تمكن بدوره من إكتساب ثقة الإدارة العثمانية هناك، التي عينته في منصب مدير ناحية هويت، وقد بقي في هذا المنصب لسنوات عدة، واشتهر بأنه كان يجمع الضرائب هناك بالقوة، مما ساعد على زيادة إيرادات خزينة ولاية بتليس، وهذا الأمر أكسبه مزيداً من ثقة الإدارة العثمانية^٢.

كان موسى بك السيد الحقيقي لولاية بتليس، وكتب عنه ف.أ.غوردليفسكي: "لقد عمل في خدمته ما يصل إلى (٨٠٠٠٠) من الأكراد، الذين خضعوا له في كل شيء، ودانت له المنطقة كلها"، وكان موسى بك في الواقع مستقلاً عن رئاسة الولاية المحلية، التي كانت تتوارى دائماً في الظل أمامه^٣.

ويعود كره الأرمن لموسى بك إلى عهد إشغاله منصب قائمقام قضاء هويت، ففي بداية ثمانينات القرن التاسع عشر، أصدر أمراً بإلقاء القبض على أحد رجال الدين الأرمن، المدعو (بوغوص ناتانيان-Bogos Natanyan)، لثبوت علاقته بالتمرديين الأرمن آنذاك، وقد سلم موسى بك بدوره بوغوص إلى متصرفية موش، التي حكمت عليه بالحبس المؤبد، بتهمة تشجيع الأرمن على التمرد بوجه الدولة العثمانية^٤.

١. م.س. لازاريف، المصدر السابق، ص ٥٦؛

- Garo Sasuni, A.G.E., S.113.

- يذكر لازاريف أن موسى بك ينتمي إلى عشيرة جبران ولكن الصحيح كونه من عشيرة جلالى.

2. Recep Maraşli, Ermeni Ulusal Demokratik Hareketi ve 1915 Soykirimini, Istanbul, 2008, S.281.

٣. م.س. لازاريف، المصدر السابق، ص ٥٦.

4. Recep Maraşli, A.G.E., S.283.

برزت شهرة موسى بك لأول مرة في عام ١٨٨٣، وذلك بعد ضربه لمبشرين أمريكيين وهما: (د.رينولدس-Dr.Reynolds)، و(كناپ-Knapp)، إثر خروجهما من قريته، حيث كانا في ضيافة موسى بك نفسه، وقد اتهمت السفارتان الأمريكية والبريطانية في استانبول، والي بتليس ووالد السيد موسى ميرزا بك بأنهما شركاء في هذه العملية، إلا أن السلطات العثمانية نفت إشراك الأخيرين في عملية الاعتداء على المبشرين الأمريكيين، وافتعلت هذه الحادثة أزمة حادة بين الحكومتين العثمانية والأمريكية بين سنوات (١٨٨٣-١٨٨٥)^١.

فقد ذكر (والاس-Wallace)، سفير الولايات المتحدة الأمريكية في استانبول في مذكرة له إلى عارف باشا وزير خارجية الدولة العثمانية بتاريخ ٢٤ كانون الثاني ١٨٨٤ أن الحكومة الأمريكية بعثت حتى الآن أربع مذكرات إلى السلطات العثمانية، لغرض إعلامها بحادثة المواطنين الأمريكيين في موش، وإجراء اللازم ولكن دون جدوى، وبناءً على المعلومات التي وردت إلى السفارة الأمريكية، فإن المواطنين الأمريكيين وهما: (د.رينولدز، وكناپ) قد تعرضا للنهب والضرب، عند خروجهما من إحدى القرى التابعة لمدينة موش، وقد شرح التقرير أن الأمريكيين وبناءً على توصية من والي بتليس، الذي أكد لهما أن المنطقة آمنة، ذهبا إلى قرية موسى بك، الذي قام بدوره باستضافتهما، ولكن عند تناولهم الشاي، نسي المواطنان الأمريكيان تقديم كأس من الشاي إلى موسى بك أولاً، الذي عد ذلك إهانة له، وعند مغادرتهما القرية نصب موسى بك كميناً لهما وبصحبه أربعة من رجاله، حيث نهبهما وضربهما إلى درجة اعتقد أنهما قد ماتا، غير أن التحقيقات التي أجرتها القنصليات الأمريكية في المنطقة بخصوص هذا الأمر أكدت أن الذي قام بالعملية هو موسى بك ولكن الإدارة العثمانية هناك تحججت وقامت بحمايته، وحماية والده ميرزا بك، وقدمت للعدالة بدلاً من موسى بك، أربعة أشخاص آخرين متهمين إياهم بأنهم هم من كان وراء الحادث، إلا أن المواطنين الأمريكيين أكدوا على أنهم ليسوا الفاعلين، وإنما الفاعل هو موسى بك ورجاله فهم الذين من كانوا وراء الحادث، وبعد ضغوطات عدة أعيد قسم من المال، الذي نهبه موسى بك من الأمريكيين، إلا أنه بقي طليقاً في موش ولم يحاكم على فعلته هذه، وقد دعت الحكومة الأمريكية الإدارة

1. A.E., S.282.

العثمانية إلى إجراء اللازم، والقبض على موسى بك وتعويض المتضررين^١. وبناءً على هذه الضغوط قامت السلطات العثمانية في بتليس بوضع موسى بك مع عائلته تحت الإقامة الجبرية في موش، وتؤكد الباحثة ميلدا حمدي أوغلو في دفاعها عن موسى بك بوصفها تلك الحادثة بالقول: "كان البريطانيون والمبشرون الأمريكيان يرون في السيد موسى بك عائقاً أمام فعاليتهم في المنطقة، لذلك أرادوا التخلص منه، واستغلت اللجان الأرمنية في ذلك الوقت هذه الحادثة، لتضخيم الموضوع وإعطائه إطاراً أكبر من حجمه الحقيقي، وبناءً على الضغوط الأمريكية على الحكومة العثمانية بسبب هذه الحادثة والى جانب الشكاوى الأرمنية ضده اضطر العثمانيون إلى نقل موسى بك مع عائلته إلى مركز متصرفية موش، لكي يوضعوا هناك تحت الإقامة الجبرية، وعمدت الدولة العثمانية إلى إجراء هذا العمل، لكي لا تكبر هذه المسألة أكثر من ذلك"^٢، وعندما وضع الإدارة العثمانية موسى بك تحت الإقامة الجبرية، أسندت إليه فيها منصباً مهماً في مدينة موش، وذلك بمساعدة واليا بتليس السابقين عارف باشا وفكري باشا، بعد مصادقة الباب العالي على هذا الأمر، أي: إن أمر الإقامة الجبرية كان في مصلحة موسى بك، ففضلاً عن حماية الإدارة العثمانية لموسى بك قامت بمكافئته بأن أسندت إليه إحدى الوظائف المهمة في مدينة موش^٣.

في عام ١٨٨٩ أعيدت قضية موسى بك إلى الواجهة مرة أخرى، وتناولتها الصحف البريطانية (The Times, The Daily News)، وخلقت في هذه المرة ردود أفعال واسعة في أوروبا، وقام الأرمن في موش بمراجعة القنصليات الأجنبية فيها والبطيركية الأرمنية، تشكو من موسى بك، بل وصل الأمر إلى جمع التواقيع لإلقاء القبض عليه^٤.

فقد أشارت تقارير بريطانية عدة، تستند على شكاوى ارمنية إلى أن موسى بك قد قام بارتكاب جرائم عدة ضد الأرمن في موش^٥، وقد ردت الحكومة العثمانية على هذه

1. FREDERICK DAVIS GREENE, ARMENIAN MASSACRES OR THE SWORD OF MOHAMMED, PHILADELPHIA & CHICAGO, 1896, P.157-160.

2. Recep Maraşlı, A.G.E., S.283-284.

3.A.E., S.283.

4. A.E.

5. No.308, Sir W.White to Marquis of Salisbury, CONSTANTINOPLE, May 20, 1889, in: (B.Ş.B.D.O.A), VOL: I, P.483-485.

الاتهامات الموجهة ضده في مذكرة أرسلها وزير خارجيتها سعيد باشا^١ إلى سفيره في لندن، ليطلع الحكومة البريطانية على تفاصيل هذه القضية، وكانت المذكرة تحمل تاريخ ١٨ أيار ١٨٨٩، وجاء فيها: "إن الجنايات التي يقال إنها قد حدثت في المناطق المجاورة لموش، موجودة فقط في أسماع خصومنا وفي خيالهم، منها أن أحد الأرمن حُرِقَ حياً بعد أن صبَّ النفط فوقه، وبعد أن تُعَدِّي على عرض أحد الفتيات رُميت في قدر لحد الغليان، فكلما هذان الخبران اللذان نشرنا في بعض الجرائد الانكليزية، ليست لها أساس من الصحة، ولا يوجد أي مثال لهذه الجنايات في الإمبراطورية العثمانية... ووجد اوهانيس الذي يقال: إنه احد ضحايا السيد موسى مقتولاً في إحدى القرى، وفي ذلك التاريخ كان السيد موسى موقوفاً تحت سيطرة الشرطة في بتليس، ولم يعثر على القاتل لحد الآن، وبعد أن سمع السيد موسى أن الأرمن يتهموه ذهب بنفسه إلى الحكومة، وسلم نفسه للإدارة الرسمية في المنطقة..."^٢.

كانت المشكلة الأكبر التي افتعلها موسى بك هو قيامه باختطاف ابنة أخو أحد رجال الدين الأرمن في موش، واسمها (كوليزار)، حذرت أخت موسى بك الكبرى عائلة كوليزار من نيات أخيه السيئة، وحثتهم على الدفاع عن أنفسهم، إلا أن موسى بك أرسل رجاله إلى القرية، فقتلوا عدداً من أفراد عائلة كوليزار وخطفوا الفتاة، وحين تعرّف الخاطفون على هوية الفتاة، وكان عمرها لا يتجاوز الثالثة عشر، ندموا على فعلتهم تلك في الحال؛ ولذا فكروا بمساعدتها، ولكن يبدو أن خوفهم من معاقبة موسى بك لهم منعهم من القيام بمحاولة تهريبها، لذا فإنهم اكتفوا بمساعدتها بإخبار أبيها أنها ما تزال على قيد الحياة، وكذلك أخبروه بمكان وجودها، وقد عارض علماء الدين الكرّد تزويجها من موسى بك لصغر سنها، فأجبرهم على

١. سعيد باشا (١٨٤٣-١٩٠٧): هو ابن حسين باشا بن احمد أغا آل خندان، ويعرف بالكردي، ولد سعيد باشا في مدينة السليمانية، في كردستان-العراق الحالية، وتقلد عدة مناصب في الدولة العثمانية، لعل أبرزها كان منصب وزير الخارجية في الدولة العثمانية، حيث تقلده في أواخر ثمانينات القرن التاسع عشر وبقي فيه حتى منتصف تسعينات القرن نفسه، وصار رئيساً لمجلس شورى الدولة بعد ذلك. للتفاصيل، ينظر: محمد أمين زكي بك، مشاهير الكرد وكردستان (١-٢)، ترجمة: السيدة كريمته، ط٢، دمشق، ٢٠٠٦، ص٢٢٩-٢٣٠؛ مير بصري، أعلام الكرّد، لندن-قبرص، ١٩٩١، ص٥٩-٦٠.

2. Bilâl N.Şimşir, KÜRTÇÜLÜK 1787-1923..., S.201-202.

تزويجها من أخيه الأصغر جيزوا^١. وبعد مدة قصيرة تمكنت كوليزار من الهرب من بيت موسى بك، وذهبت مع عدد من الأرمن إلى استانبول، لتقديم طلبات وشكاوى للحكومة العثمانية ضد موسى بك، وأخذت البطريركية الأرمنية هناك على عاتقها إيوائهم، ومتابعة شكاويهم^٢.

قام موسى بك بقبول طلب السلطان عبد الحميد بالقدوم إلى استانبول، من غير أن يقبض عليه، في ٢٢ أيار ١٨٨٩، وحسب ما جاء في جريدة (الطريق) العثمانية فإن موسى بك قد أوضح للسلطان عبد الحميد بأن هذه الشكاوى التي يقدمها الأرمن ضده هي بسبب خدماته للدولة العثمانية، وان هذه الشكاوى لا سند لها من الصحة^٣.

وصلت قضية موسى بك إلى مرحلة بلغت أن أفرد مجلس العموم البريطاني جلسات خاصة لها؛ للاستماع إلى هذه القضية وبحث الموقف العام منها، وقد دارت إحدى هذه المناقشات بتاريخ ٢٥ تموز ١٨٨٩، وفيها أجاب (فيركسن-Fergusson) منسق الشؤون الخارجية عن أسئلة عديدة وُجّهت له من نواب المجلس حول آخر مستجدات هذه القضية^٤.

مثّل موسى بك أمام المحكمة في استانبول بتاريخ ٢٣ تشرين الثاني، وكانت المحكمة علنية، حضرها مجموعة كبيرة من الصحفيين، وممثلي الدول الأجنبية في العاصمة، ووجهت إليه ثمانية تهم، ووصل عدد الشهود الأرمن فيها إلى (٤٧) شاهداً من موش، ووان، وبتليس، وانتهت محاكمته في ٢ كانون الأول ١٨٨٩، وقررت المحكمة براءته من كل التهم الموجه إليه^٥، قام الأرمن إثر صدور القرار بحملة دعائية كبيرة ضد الدولة العثمانية، ونشرت الصحف الأوربية صوراً لكوليزار، ولوالدتها، وعمها الراهب، كما نُشرت تفاصيل المحاكمة في الصحافة الأوربية^٦، بعد ذلك سلّمت كوليزار إلى أهلها^٧.

١. هلكوت حكيم، كتابات مع الأحداث، أربيل، ٢٠٠٩، ص ٢٤-٢٥؛ صالح زهرالدين، المصدر السابق، ص ٤٥-٤٦؛

-NURŞEN MAZICI, A.G.E., S.34-35

٢. هلكوت حكيم، المصدر السابق، ص ٢٥.

3. Recep Maraşli, A.G.E., S.286 .

٤. ينظر نص هذه المناقشة في الملحق رقم (٢).

5. Bilâl N.Şimşir, KÜRTÇÜLÜK 1787-1923..., S.204,

- رؤيات نُه لاکۆم، سه رچاوهی پێشوو، ل ٥٨ .

6. Recep Maraşli, A.G.E., S.285.

7.Garo Sasuni, A.G.E., S.113.

ادعت السفارة البريطانية في ٣٠ كانون الثاني ١٨٩٠، بأنه كان هناك عدم انضباط، ووجود أخطاء واضحة في محاكمة السيد موسى، وطلبت السفارة البريطانية في استانبول من وزير العدلية جودت باشا استئناف المحاكمة مرة أخرى، لكنه رفض من جانبه إعادة المحاكمة، وأصر على أن محاكمته كانت عادلة وسليمة، وأصر على موقفه هذا، وتحت الضغوط البريطانية على الدولة العثمانية عُزل جودت باشا من منصبه في ١٢ أيار ١٨٩٠، وقد قال بنفسه عن ظروف إقالته وحادثة موسى بك، ما يلي: " حسب ما ورد في شكاوى البطريركية الأرمنية ضد السيد موسى، وهو أحد الزعماء أو الأمراء الكرّدي في موش، طلبت السفارة البريطانية عقوبته على الفور، وعلى هذا جُلب السيد موسى إلى المحكمة، وصدرت الأوامر بمحاكمته، حيث إن الصدر الأعظم كامل باشا، والمعروف عنه بأنه الخادم الدائم للسياسة البريطانية أرادنا نحن أيضاً أن نكون مثله، خادمين في هذا الطريق، ولكننا وقفنا ضده، وبناءً على ذلك فهو يعمل على عزلي من منصبي منذ أشهر، وبعد ذلك تمت الموافقة على عزلي من منصبي، بعد أن أجبرت السلطات العليا على اتخاذ هذا القرار"^١.

وفي ١٤ حزيران ١٨٩٠، ذكر الصدر الأعظم كامل باشا، للسفير البريطاني وليم وايت، بأن محاكمة السيد موسى لن تتم مرة أخرى، ولكن من المحتمل أن يتخذ قرار نفي بحقه^٢، وفعلاً تم نفيه إلى الشام، ومنها إلى الحجاز بعد محاولة عودته إلى موش^٣.

يذكر المؤرخون الأتراك أن الأرمن والانكليز استغلوا قضية موسى بك أكبر استغلال، للعمل ضد الدولة العثمانية، يقول (أسعد أوراس-Esat Uras) في هذا الصدد: " قبل العرض الأرمني في كوم كابو في استانبول، الذي قام به حزب الهنجاقي، كان الحزب قد نشر دعايات كثيرة في أوروبا حول المظالم التي يتعرض لها الأرمن في الدولة العثمانية، وكانت من ضمن تلك المظالم التي تطرق إليها الأرمن في الصحف الأوروبية هي قضية موسى بك، فقد كانت تلك القضية هي قضية ضمان الأرمن في الدولة العثمانية، من الناحيتين الحياتية والمالية، وتعاليت في أوروبا

1. Bilâl N.Şimşir, KÜRTÇÜLÜK 1787-1923..., S.204; ARMAN J.KIRAKOSSIAN, Op.Cit., P.155-156.

2. Bilâl N.Şimşir, KÜRTÇÜLÜK 1787-1923..., S.204.

3. Garo Sasuni, A.G.E., S.113.

صيحات، تنادي بضمان وتأمين حياة الأرمن في الدولة العثمانية"^١.
هنا يجب أن لا يغرب عن البال أن موسى بك كان محسوباً على رجال الدولة العثمانية، وكان مقرباً منها، وإلا كيف لم يعاقب أثناء هجومه على المبشرين الأمريكيين عام ١٨٨٣، بل كوفئ على فعلته تلك، وأُسندت إليه الدولة وظيفة مهمة في موش، عندما كان تحت الإقامة الجبرية؛ ثم كيف تبرؤه المحكمة من ثمانى تهمة وجهت إليه ما لم تكن الدولة العثمانية إلى جانبه، من جهة أخرى وحسب ما تشير إليه الوثائق البريطانية فإن السياسة البريطانيين لم يكونوا يثقون بأقوال الأرمن، ويشككون في كل تقاريرهم، ولم يحسموا هم كذلك أمر موسى بك، كما مر.

ولكن إذا لم تتهم الدولة العثمانية موسى بك، بل برأته من جميع التهم الموجهة إليه، ولم تستطع بريطانيا أن تضع يدها على الحقيقة الكاملة في قضيته، فإن الفلكور الكردي قد أدان موسى بك على الأقل في حادثة اختطافه للفتاة الأرمنية كوليزار، من خلال تأليف أشعار كانت تُغنى بخصوص هذه الحادثة، التي ما زال الكرد يتداولونها في موش حتى الآن، وهذه بعض الأبيات التي دونها شعراء الكرد آنذاك باللغة الكردية وهي هنا مترجمة الى العربية:

نادت گولي: فداك يا موسى بك
إني ضعيفة، إني ضعيفة
إني فتاة مسيحية، أنا لست بذي قيمة
أنا لا أليق بسيدي موسى بك
لو قُمتَ بذبحي ونزعتَ لحمي من جسدي
فلن أسلم يا موسى بك
أنتَ كردي وأنا مسيحية^٢

إن هذه الأبيات بعد معرفة قصتها وحادثتها لا تحتاج إلى تعليق، غير أن من يقرأها سوف يطلع فعلاً على النسيج الاجتماعي المعقد في شمال كردستان، وإن الكرد كشعب لم يكونوا يؤيدون الظالمين، حتى ولو كانوا من سادتهم.

1. Recep Maraşli, A.G.E., S.283.

٢. ينظر النص الأصلي باللغة الكردية في الملحق رقم (٣).

رابعاً- تشكيل الفرسان الحميدية والمخاوف الأرمنية ١٨٩١-١٨٩٤:

أصدر السلطان عبد الحميد الثاني في كانون الثاني ١٨٩٠، مرسوماً ينص على تشكيل فرسان (خيالة) من الكُرد في كُردستان^١، إلا أن التاريخ الفعلي لتنفيذ هذا المرسوم كان في كانون الثاني ١٨٩١^٢، لذلك يكاد أغلب المؤرخين والباحثين يجمعون على تحديد عام ١٨٩١ كونه العام الذي أُسست فيه تلك الفرسان، والتي سماها السلطان عبد الحميد الثاني بـ(الحميدية) تيمناً باسمه^٣ شكّل ظهورها في الواقع تردياً واضحاً في علاقة الكُرد بالأرمن، إلى حد لم تشهد المنطقة من قبل، حتى وصل الأمر إلى أن اسم الحميدية ارتبط ارتباطاً وثيقاً في المصادر الأرمنية والغربية بالمذابح الأرمنية، التي اجتاحت عموم الأناضول في أواسط تسعينات القرن التاسع عشر.

ويعد تأسيس الفرسان الحميدية من الكُرد واحداً من أهم الخطوات الذكية للسلطان عبد الحميد الثاني، إذ لم يستطع السياسيون الأجانب في تلك المدة، من وزراء خارجية، وسفراء، وقناصل دول، من تحديد الهدف الأساسي الذي تشكلت من أجله الفرسان الحميدية.

وامتدت هذه الحيرة بين اغلب الباحثين والمؤرخين من الكُرد وغيرهم، في الحقب التاريخية اللاحقة حول سبب تشكيلها، وقد طرحت عدة أسئلة بخصوصها، سواء من جانب السياسة في تلك المدة، أو المؤرخين الذين تناولوا هذا الموضوع بعد ذلك، ويمكن تلخيصها فيما يأتي:

ما هو السبب الأساسي الذي من أجله شكلت الفرسان الحميدية؟ هل شكلت فعلاً لضرب الحركة التحررية الأرمنية وحدها، أم لضرب جميع الحركات القومية التحررية المعارضة للسلطان آنذاك؟ أم أن السبب الأساسي لتشكيلها هو: الوقوف بوجه

١. م.س. لازاريف، المصدر السابق، ص ٩٠ .

2. Maurizio Russo, Op.Cit., P.34.

٣. ينظر، مثلاً: عبدالله العليوي، المصدر السابق، ص ١٧٢؛ ماجد محمد زاخوي، الفرسان الحميدية، دهبوك، ٢٠٠٨، ص ٦٧ .

الجيش الروسي وحفظ الأمن، كما صرح بذلك السلطان عبد الحميد الثاني نفسه في مذكراته السياسية^١؛ ثم هل اشترك الكُرد جميعهم في تلك الأفواج؟ أم كان لبعضهم رأي آخر؟ ولماذا عُممَ هذا الأمر على الكُرد وحدهم؟ وهل كان تشكيل الفرسان في صالح الكُرد، خصوصاً أنهم استفادوا مادياً منها، حتى سمي السلطان عبد الحميد بـ (باقى كوردان- أبو الكُرد)^٢، أم إن تشكيلها أضر بالحركة التحررية الكُردية، بحيث لم يقيم الكُرد بأي حركة واسعة ضد الدولة العثمانية من عام ١٨٩١ إلى ١٩٠٨، أي: حتى الانقلاب العثماني؟

لا يمكن التطرق إلى الفرسان الحميدية من منظور واحد أو من زاوية نظر واحدة، دون النظر إلى الزوايا الأخرى، وربما إن الكل كانوا محقين في إرجاع سبب تشكيلها إلى أمر مختلف عن الآخر، وبالنتيجة ربما كان الجميع على صواب؛ لأن سلاح الحميدية كان ذا استخدامات عدة، ولكن يجب التركيز في هذا الموضوع على ربط الأحداث التاريخية بالمدة التي حدثت أثناءها. فمثلاً إن أصحاب الرأي القائل: إن إنشائها كان بسبب الوقوف بوجه الجيش الروسي، مثلما كانت تفعل قوات (القوزاق) الروسية في هجماتها الأخيرة على الدولة العثمانية، كانوا محقين في ذلك، بدليل أن الجيش الروسي قد أوكل مهمة دراسة أمر الفرسان الحميدية، أواخر القرن التاسع عشر، إلى الضابط الروسي افريانوف لدراسة العلاقات الروسية الكُردية خلال القرن التاسع عشر، أي: إن تشكيل الفرسان الحميدية أجبرت العسكريين الروس على أخذ موقف الكُرد محمل الجد، في الحروب القادمة مع الدولة العثمانية، وهذا ما أكده الضابط افريانوف نفسه^٣، وهو الرأي الذي طالما تحججت به الدولة العثمانية في

١. يقول السلطان عبد الحميد الثاني بخصوص سبب تشكيله للفرسان الحميدية ما يلي: "إذا وقعت الحرب مع الروس فإن سرايا الأكراد المدربة تدريباً جيداً يمكنها أن تقوم بخدمات جليلة؛ ثم إن فكرة الطاعة التي يتشربونها ستفيدهم كثيراً، أما رؤسائهم الذين منحناهم رتباً عسكرية، فإنهم سيجعلونها مدار فخرهم واعتزازهم، وسيسعون إلى شيء من النظام والولاء، وسيأتي اليوم الذي تنتهي فيه حداتة السرايا الحميدية، وتصبح جيشاً له أهميته". ينظر مؤلفه: مذكراتي السياسية ١٨٩١-١٩٠٨، ط٢، بيروت، ١٩٧٩، ص ٣٣.

2. Fatih Ünal, REFLECTIONS OF THE SECOND PROCLAMATION OF THE OTTOMAN PARLIAMENTARY SYSTEM ON EASTERN ANATOLIA AND ITS EFFECT ON THE ARMENIAN-KURDISH RELATIONS, REVIEW OF ARMENIAN STUDIES, VOL:4, No. 10. ANKARA, 2006, P.50.

3. Avyarov, A.G.E., S.129-147.

السبب وراء تشكيلها لهذه الفرسان أيضاً^١. أما أصحاب الرأي القائل أن سبب تشكيلها كان لضرب الحركة التحررية الأرمنية، فإن أصحابها أيضاً كانوا على صواب، عندما اشتركت هذه القوات في ضرب الأرمن خلال الأزمة الأرمنية الأولى ١٨٩٤-١٨٩٦ كما سيأتي الحديث عنها لاحقاً، وكان أصحاب الرأي القائل أن سبب تشكيل تلك الفرسان هي للسيطرة على الكرد، كانوا مصيبين في قولهم أيضاً، فإن الدولة العثمانية وطيلة العصر الحديث وحتى بعد سقوط الإمارات الكردية لم تستطع من السيطرة على الكرد وتوجيههم ضمن السياق العثماني، فإن السلطان عبد الحميد أصاب في هذه السياسة بخصوص الكرد، رغم عدم بلوغها النجاح المؤمل^٢.

لذلك فإن من الواجب دراسة أمر الفرسان الحميدية ضمن سياقها التاريخي، وليس دراستها ضمن حقب متقطعة بحيث تكون كل حقة مستقلة عن الأخرى، وأخيراً يمكن القول إن الفرسان الحميدية كانت بمثابة الجيش الثاني الخفيف للدولة العثمانية في كردستان أيام الحروب، أو المعارك، أو التمردات الداخلية، وكانت بمثابة الشرطة في أوقات السلم.

ومن الآراء الأخرى التي تناولت الفرسان الحميدية الرأي الذي ذهب إليه بعض المؤرخين الأتراك، من أن الفرسان الحميدية قد حافظت على تركيز وجود الكرد مرة أخرى في كردستان، بعدما كانوا قد تشتتوا منذ سقوط إماراتهم في منتصف القرن التاسع عشر، وان من يلاحظ الوثائق العثمانية ما بين أعوام ١٨٩٦-١٩٠٨ يرى بوضوح أن الأرمن لم يكونوا ضد هذه الفرسان، بقدر السلطات العثمانية الإدارية والعسكرية في كردستان، ولم تتوقف خلال تلك المدة شكاوى المسؤولين الأتراك ضد هؤلاء الفرسان؛ يقول الباحث التركي (مصطفى اكيول-Mustafa Akyol): "الغريب في أمر الأفواج الحميدية أنها لاقت الكثير من النقد، في ما كانت تنشره القيادة العامة

١. ديفيد مكدول، المصدر السابق، ص ١١٥.

2. Vahakn N. Dadrian, The Armenian Question and the Wartime Fate of the Armenians as Documented by the Officials of the Ottoman Empire's World War I Allies: Germany and Austria-Hungary, International Journal of Middle East Studies, Vol.34, No.1, Feb, 2002, P.63; ARMAN J.KIRAKOSSIAN, Op.Cit., P.162.

٣. ينظر:

-MUSTAFA AKYOL, KÜRT SORUNUNU YENIDEN DÜŞÜNMEK, ISTANBUL, 2006, S.43-44.

لأركان الجيش، حيث بينت بان أفواج الحميدية تساعد بشكل ايجابي على خلق دولة كُردستان، وإظهار الهوية الكُردية، التي ليس لها اصل تاريخي^١، أي أن الفرسان الحميدية كانت عاملاً أفاد منه الكُرد أكثر مما أضر بهم على المنظور البعيد، ويقول الرحالة والباحث الانكليزي(والتربي. هاريس-Walter B. Harris) صحيح أن الأتراك استغلوا الكُرد الحميدية لضرب الأرمن، ولكن انقلب السحر على الساحر بعد ذلك، فلم يتجرأ الأتراك أنفسهم بعد ذلك على مواجهتهم^٢.

إلا أن ما يهم هنا في أمر الفرسان الحميدية، هو تطورها خلال الأعوام من ١٨٩١ إلى ١٨٩٤ وعلاقتها بالأرمن، ونظرة القناصل الأجانب في كُردستان إليها، واختلافهم في أمرها.

استدعى السلطان عبد الحميد الثاني، وبدءاً من كانون الثاني ١٨٩١ حتى أواخر صيف العام نفسه الأغوات والبيكات الكُرد من كُردستان إلى استانبول، وقد تجمعوا أولاً في مدينة ارضروم، التي عدها القناصل الأجانب في تلك المدة المحطة الأولى لتجميع هؤلاء الأغوات، وترتيب أمورهم، قبل لقاء السلطان في العاصمة استانبول، حيث توقفوا فيها لعدة أيام، وارتدوا ملابس مطرزة بالذهب، كان الخياطون الأرمن هم من قاموا بحياكلتها^٣.

لقد راقبت أربع دوائر أجنبية في الدولة العثمانية صدور بيان التشكيلات الحميدية وتنفيذه، وهي السفارات والقنصليات: الروسية، والبريطانية، والايطالية، وعلى درجة أقل منها الفرنسية، وقد كانت تقارير القنصليات الايطالية في ارضروم وطرابزون، هي الأكثر دقة وحياديةً، بخصوص رصد إنشاء تلك الفرسان، ونقل ردود الأفعال المحلية إلى روما. بخصوص الموقف الروسي فإنه كان واضحاً، من خلال علمها أن الفرسان الحميدية لم تتشكل إلا لعرقلة القوات الروسية عند وقوع أي حرب مستقبلية ضد الدولة العثمانية؛ فعلى حد قول السفير الروسي آنذاك في الدولة العثمانية أ.أي.نيليدوف إن

1. A.E., S.44.

- من المفيد هنا القول: إن الباحث الكُرد عثمان علي يذكر أن من أهم نتائج التشكيلات الحميدية على المجتمع الكُرد هي عودة الاعتبار للكُرد بصورة عامة ولقيادتهم التقليدية ينظر مؤلفه: دراسات في الحركة الكُردية...، ص١٢٨ .

2. Walter B. Harris, op.Cit., P.288-289.

3. Maurizio Russo, Op.Cit., P.35.

أفواج الحميدية تتلخص عملها في كونها: "مصدراً جديداً للتعاسة"، سواء بالنسبة للروس أو الأرمن^١، أما الضابط الروسي افريانوف، الذي كُف خصيصاً لدراسة تلك الأفواج أواخر القرن التاسع عشر، ورغم ذكره لاشتراك هذه الأفواج الحميدية في الأزمة الأرمنية ما بين عامي ١٨٩٤-١٨٩٦، إلا أنه توصل إلى أن الأفواج الحميدية إنما شكلت فعلاً للسيطرة على مواقف الكرد، عند اندلاع أي حرب مستقبلية مع روسيا القيصرية؛ لان الكرد اظهروا تذبذباً واضحاً في جميع الحروب، التي وقعت بين الدولتين طيلة القرن التاسع عشر^٢، وتوصل مينورسكي، الدبلوماسي والمستشرق الروسي، القريب من الأحداث في تلك المدة إلى النتيجة نفسها، وهي: أن الدولة العثمانية قامت بتشكيل الحميدية، لتكون بمثابة جيش ثانٍ خفيف^٣.

أما الموقف البريطاني من الحميدية فقد كان موقفاً مستحسناً، حتى أواسط التسعينات من القرن التاسع عشر، وعلى الرغم من قيام القنصل البريطاني في ارضروم (هامبسون-Hampson)، بإرسال برقية إلى السفير البريطاني في استانبول (وليم وايت-W. White) في ٢٨/٢/١٨٩١، يخبره فيها أن الأرمن يرون هذا الأمر، وهذه التشكيلات موجة إليهم بصورة أساسية، وبالتحديد لعدم تطبيق المادة (٦١) من معاهدة برلين، وذلك لأن العديد من الفرسان الحميدية-حسب قول الأرمن- قد صرحوا علناً أن هدفهم هو قمع الأرمن، وأنهم تلقوا تطمينات من الحكومة بعدم معاقبتهم في أي اعتداء يقع من جانبهم على الأرمن^٤، رغم ذلك فقد أجمع أغلب القناصل البريطانيين في كردستان على أن الهدف الأساسي من وراء تشكيل هذه الفرسان، هو تقسيم الكرد بهدف بسط السيادة عليهم، وتوجيههم الوجهة التي يريدونها^٥ وقد كتب السير وليم وايت السفير البريطاني إلى اللورد سالسبوري في ٢٤/٢/١٨٩١ بهذا الشأن ما نصه: "يتصور جلالته أنه بتنظيم الكرد عسكرياً سوف يدخل النظام بينهم، وأنه يقوم بتأسيس خيالة مخلصه وفاعلة، وهكذا يقوم بتعزيز الدفاع عن المحافظات الحدودية للإمبراطورية ضد أية قوة عسكرية مجاورة"^٦، وعلى حد قول الميجر (نوئل-Noel)، أن

١. م.س. لازاريف، المصدر السابق، ص ٩٠.

2. Avyarov, A.G.E., S.47-88.

٣. ينظر، مؤلفه: المصدر السابق، ص ٤٤.

4. ARMAN J.KIRAKOSSIAN, Op.Cit., P.162; Christopher J.Walker, Op.Cit., P.134-135.

٥. مارتن فان بروينسن، الاغا...، ج ١، ص ٤٠٥.

6. Christopher J.Walker, Op.Cit., P.134.

الغرض الدقيق وراء تشكيل الحميدية يكمن في: "استخدام النزاعات القبلية، لخلق نظام من شأنه أن يجعل من الصعب جداً تشكيل ائتلاف ضد الحكومة"^١.

المهم في الأمر أن نظرة بريطانيا حتى بعد الأزمة الأرمنية في أواسط التسعينات لم تتغير تجاه الفرسان الحميدية، حيث كتب الكابتن دكسون في تقريره المعنون بـ(الأرمن) والذي نشره عام ١٩١٦ عن الحميدية ما يلي: "ومن المهم أن نلاحظ أن من الوسائل المهمة لتمديد الكُرد، وتطبيعهم على النظام، وفي نفس الوقت استثمار صفاتهم القتالية، كحرس حدود ضد القوزاق، هو قيام السلطان عبد الحميد الثاني بتشكيل سرايا الفروسية المتكونة من هؤلاء الكُرد الذين بلغ عددهم (١٠٠٠٠) كُرد، وقد عرفوا باسم الفرسان الحميدية، وان شجاعة هؤلاء وتحملهم وطاقتهم جعلت منهم أناس مؤهلين لهذه العملية، وقد أثبتت التجربة النجاح الباهر، واثبتوا...أنهم أناس أشداء وجيودن وملتزمون"^٢. وربما تكمن نظرة الاستحسان البريطانية العامة لهذه الفرسان في علمها بأن هذه الفرسان ستعيق عمل الجيوش الروسية في المنطقة، عند اندلاع حرب مع الدولة العثمانية مستقبلاً، ولكن هذا كله لا ينفي أن بريطانيا نفسها قد انتقدت هذه الفرسان في بعض المرات، وخصوصاً عند بلوغها شكاوى أرمنية.

كانت القنصليتان الايطاليتان في ارضروم وطرابزون أكثر دقة في متابعة أمر تشكيل هذه الفرسان، بدءاً من مسيرتها من كُردستان نحو استانبول، حتى عودة هؤلاء البيكات إلى مناطقهم من جديد. ومتابعة ردود الأفعال الأرمنية حول ذلك، فقد رصد القنصل الايطالي (لافيني-Laviny) ردود الأفعال الأرمنية في ارضروم عندما اجتمع الأغوات الكُرد فيها، في تقرير كتبه بتاريخ ١٨٩١/٣/٧ وقال فيه: "إن الأرمن غزاهم الخوف والذعر، والذي سببه قدوم هؤلاء البيكات الكُرد، الذين سيذهبون إلى ارزنجان؛ ثم يواصلون رحلتهم نحو القسطنطينية، وإنهم يخشون أن يرتكبوا بعد عودتهم، أنواعاً شتى من السرقة والعنف..."^٣.

وبعد توقف في ارضروم وصل البيكات إلى ارزنجان، وهي المحطة الثانية للرحلة نحو استانبول، وبعد ذلك توجهوا إلى طرابزون على ساحل البحر الأسود الجنوبي، وهناك استقبلتهم السلطات المدنية والعسكرية العليا فيها، وقد جرت مراسيم استقبال تعطي

١. نقلاً عن:مارتن فان بروينسن، الاغا...، ج١، ص٤٠٦.

2. C.F.DIXON JOHNSON, THE ARMENIANS..., P.17-18.

3. Maurizio Russo, Op.Cit., P.35.

لرحلتهم صيغة رسمية، وكذلك تعد مقدمة لما سوف يجدونه في استانبول، وفي تقرير وجهه القنصل الايطالي فرانسيسكي في طرابزون إلى سفارته في استانبول في ٢٣/٣/١٨٩١، وصف فيه حالة وصول بعض هؤلاء البيكات؛ ثم الاستقبال الذي تم تحضيره لهم، والأهمية التي توليها الحكومة العثمانية لهم شخصياً، كما أن الوالي والوجهاء المدنيين والعسكريين في المدينة جاؤا لمقابلتهم على بعد عدة كيلومترات من المدينة، وبصحبة قوات نظامية مع جوق الموسيقى العسكرية، وقد نزلوا عند وجهاء المدينة، وكذلك الشيوخ الكرد الذين كانوا ينتظرون وصولهم بسفينة خاصة هيأتها الحكومة العثمانية لتقلهم إلى العاصمة، وكان في استقبالهم في طرابزون كذلك ممثلان عن السلطان عبد الحميد الثاني نفسه، وقبل الرحيل صعد الوالي بصحبة القائد العام للحامية على متن الباخرة ليحييهم مرة أخرى، وذلك مع صوت جوق الموسيقى العسكرية، الذي كان متواجداً على الرصيف، وهذا بدوره يعكس أهمية هذه المسألة بالنسبة للسلطة في استانبول، وأضاف القنصل الايطالي في برقيته بأنه: "...حسب المعلومات التي وصلتني فإن الكرد يعودون إلى ثلاثة عشائر من ولاية موش وبتليس، وجاءت إحداها من ارزجان، ومن بين هؤلاء (١٢) بيكاً يتقلدون مناصب عليا، في حين أن الآخرون يعدون من حاشيتهم"^١.

وعند وصولهم إلى استانبول استقبلتهم السلطات العثمانية وفق مراسيم رسمية، نُظمت على شرفهم، وقد استقبلهم السلطان عبد الحميد الثاني بنفسه، وقدمت لهم الملابس العسكرية والأوسمة، وبعد ما قضوا عدة أسابيع في العاصمة عادوا من نفس الطريق إلى ديارهم في كردستان، لكي يقوموا بواجبهم الذي أوكل لهم مقابل امتيازات عديدة^٢، وعلق الضابط الروسي افرانوف على الاستقبال الحار الذي جرى للرؤساء الكرد في استانبول، بقوله: "لقد أولت الحكومة التركية الرؤساء الكرد وأتباعهم عناية جيدة على مدى كل المدة التي قضوها في العاصمة، باحثة بذلك عن كل السبل الممكنة لإقناعهم"^٣.

إن هذه العملية كلها، حضرت لها الحكومة العثمانية بعناية، وقد سبقتها حملة نشيطة في الصحافة، هدفها إقناع المراقبين أن تشكيل هذه الأفواج، ليس له أي هدف سوى تعزيز السيطرة على الحدود الشمالية الشرقية للإمبراطورية العثمانية، ولم تتأكد

1. Ibid.

٢. كمال مظهر احمد، المصدر السابق، ص ٨٧؛ عبد الله العليوي، المصدر السابق، ص ١٧٣.

٣. نقلاً عن: كمال مظهر احمد، المصدر السابق، ص ٨٧.

المصادر الدبلوماسية الإيطالية من التنبؤ حول الهدف الحقيقي لتشكيل هذه الأفواج، وقد لخص القنصل فرانسيسكي الشائعات التي تدور في طرابزون حول الأسباب التي دعت إلى توجيه دعوة إلى البيكات الكردي في استانبول، بما يلي:

١- رغبة السلطان في إخضاع الكردي للخدمة العسكرية.

٢- رغبة السلطان في خلق ظروف مناسبة، لتشكيل أفواج من الفرسان الكردي، لكي تتمكن الدولة العثمانية عن طريقها الوقوف بوجه خيالة القوزاق والشراكسة في القوقاز، وصد هجماتهم.

٣- رغبة السلطان في إبعادهم عن أرمينيا، ووضع نقطة نهائية للإعمال التي كان الأرمن ضحية لها^١.

وقد اقتنع القنصل الإيطالي في طرابزون أن رحلة البيكات الكردي لم يكن لها هدف سوى التحضير لتشكيل أفواج من الفرسان الحميدية، لمعارضة قوة الفرسان الروسية، كما أن الأوساط الأرمنية في طرابزون اقتنعت بأن دعوة البيكات الكردي هذه كانت نتيجة مباشرة للاحتجاجات والضغط، التي مارستها القوى الكبرى، لدى الباب العالي لصالح الأرمن، وقد ذكرت التقارير القنصلية في طرابزون أن مجموع هؤلاء البيكات الكردي الذين زاروا العاصمة استانبول كان (٥٤) بيكاً كبيراً، إلا أن الساسة البريطانيين أكدوا على أنهم كانوا الوجبة الأخيرة منهم، من التي عادت إلى ديارها في صيف ١٨٩١^٢.

أما (بول كامبون-P. Cambon)، الذي شغل في بداية تسعينات القرن التاسع عشر منصب سفير فرنسا في استانبول فقد رأى أن السبب الأساسي لتشكيل الحميدية هو لنهب المسيحيين الأرمن؛ فقد قال بهذا الخصوص ما نصه: "عينت [أي: الحميدية] لما زعموه لموضوع مراقبة الحدود، إنما لم تكن هي أكثر من تنظيم حكومي، لنهب الأرمن المسيحيين"^٣.

ومن جانب الكردي فقد كانت هناك فوائد جمة من طرف الحكومة العثمانية لكل من الزعيم الذي طلب منه تجنيد فوج، وجنوده أيضاً، إذ كان الزعماء وضباطهم يرسلون إلى كلية عسكرية خاصة في استانبول، كما جهزوا بملابس أنيقة خاصة على الطراز

1. Maurizio Russo, Op.Cit., P.37.

2. Ibid.

٣. م.س. لازاريف، المصدر السابق، ص ٩٧.

القوزاقي لتليق بمكانتهم الجديدة، من جهة أخرى أعفيت القبائل الحميدية من واحدة من أكثر الإجراءات غير الشعبية في المركزية العثمانية، ألا وهي: التجنيد الإجباري، والتي أدخلت إلى المنطقة لأول مرة، وقد دعي زعماء الحميدية وأبنائهم إلى المدارس العشائرية^١ في استانبول وكردستان من أجل صهرهم في المؤسسة العثمانية، وفي بعض قرى الحميدية الرئيسية قامت السلطات بافتتاح مدارس للسكان، وبما أن كردستان كانت القسم الأكثر إهمالاً وفقراً وتخلفاً، فقد كان هذا العرض مغرباً جداً للكرد^٢، وقد أشارت بعض المصادر إلى أن دخول العديد من الكرد وخاصة من الناس البسطاء، إلى تلك التشكيلات الجديدة من الفرسان الحميدية كان سببه هو الملابس البراقة التي أغرت العديد منهم^٣.

١. قامت الدولة العثمانية بالتزامن مع تأسيس الحميدية، بمنح امتياز آخر لتلك العشائر المنضوية تحت لوائها، وهي فتح مدارس عشائرية لتربية وتعليم أبنائها؛ فقد أصدر إرادة سنوية في أيلول ١٨٩٠ بفتح تلك المدارس، وياشر العمل فعلياً بها عام ١٨٩٢، وقد افتتحت المدارس العشائرية في: استانبول، وبغداد، ووان، وفي أغلب المناطق الحدودية في كردستان، إلا إن هذه المدارس أغلقت بحلول عام ١٩٠٦، وذلك لأنها ساعدت على نشر الوعي القومي بين أبناء العشائر الكردية، ولم تحقق أهداف الدولة العثمانية من خلالها، وهي زرع ثقافة عثمانية إسلامية في نفوس أبناء العشائر الكردية. للمزيد، ينظر: جليلي جليل، نهضة الأكراد الثقافية والقومية في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، ترجمة: بافي نازي وولاتو، بيروت، ١٩٨٦، ص ١٨-٢١؛ عبد الله العلياوي، المصدر السابق، ص ١٨١-١٨٦؛ ومن المفيد ذكره هنا أن عبد الله أوجلان، رئيس حزب العمال الكردستاني في تركيا، قد علق على تأسيس هذه المدارس بأنها: "مثال على التجديد والإصلاح"، ينظر:

- MUSTAFA AKYOL, A.G.E., S.43.

٢. ديفيد مكول، المصدر السابق، ص ١١٤-١١٥ .

3. EDWIN MUNSELL BLISS, Op.Cit., P.97.

- من المفيد هنا القول أن الهيكل التنظيمي للفرسان الحميدية كان على النحو الآتي، أولاً: القوات الأحضارية ويدخل ضمن تشكيلاتها الأفراد الذين أعمارهم ما بين (١٧-٢٠) سنة. ثانياً: القوات النظامية وتضم تشكيلاتها الأفراد الذين أعمارهم تتراوح ما بين (٢٠ إلى ٣٢) سنة. ثالثاً: هي القوات الاحتياطية وتستدعى في حالات الطوارئ، ويدخل ضمن تشكيلها الأفراد ما بين (٣٣-٤٠) سنة. للتفاصيل ينظر:

- Avyarov, A.G.E., S.131-133;

- ماجد محمد زاخوي، المصدر السابق، ص ٧٨ .

لقد دلت الوقائع حسبما وصفت المصادر التاريخية على أن المشير زكي باشا، المكلف بتجنيد الكُرد في الأفواج الحميدية هو الأب الروحي لتلك الأفواج، وقد وجد صعوبات جمة في تجنيد الكُرد في السنوات الأولى من تشكيلها؛ لأنَّ البعض من هؤلاء الأغوات لم يفوا بوعودهم للسلطان؛ فقد هاجروا إلى الأراضي الروسية والإيرانية هرباً من أي ملاحقة للأتراك لهم. وبهذا الخصوص أشارت تقارير قنصلية ايطالية في تيريز إلى حالة عشيرة كُردية، كانت قد وعدت استانبول بتجهيز الرجال على لسان شيخها، إلا أن هذه العشيرة فضلت الهروب بعبورها الحدود إلى روسيا^١، والبعض الآخر لم يقدم ما طلب منه، وكان قد وافق عليه في استانبول، فمثلاً كان هناك من أعطى الوعد بتجنيد فوجين من عشيرته، لم يستطع إلا من تجهيز فوج واحد. ففي ٢٧ حزيران ١٨٩١ اعلم وكيل القنصلية الايطالية في ارضروم رؤساءه بأن الجنرال إبراهيم باشا قد أرسلته الحكومة العثمانية؛ للتأكد من السير الجيد لتجنيد الحميدية، وأكد بان البيكات الكُرد لم يكونوا قادرين على تجهيز خُمس ما وعدوا به^٢، بل وأكثر من ذلك قامت السلطات العسكرية في ارضروم باعتقال عدد من البيكات الكُرد؛ بغية إجبارهم على إيجاد الفرسان الذين وعدوا بهم، كما أن قسماً منهم أودعوا في السجن هناك^٣، فضلاً عن ذلك فإن كُرد درسيم لم يشاركوا في هذه التشكيلات أساساً، لذلك ما كان من المشير زكي باشا إلا أن يقوم بنفسه بالسفر إلى المناطق الكُردية، لتجنيد العشائر في تلك الفرسان عدة مرات^٤.

أما بخصوص العدد الدقيق للفرسان الحميدية من الكُرد حتى عام ١٨٩٤، فليست هناك إحصائيات رسمية يمكن الاستناد إليها، ورغم اهتمام الباحثين والمؤرخين بشكل كبير بهذه التشكيلات إلا أن أحداً من هؤلاء لم يتمكن من إيراد إحصائيات دقيقة تخص نسبهم في مدة ما قبل المذابح الأرمنية الأولى، ولكن على الرغم من ذلك يمكن معرفة العدد التقريبي للفرسان الحميدية، بالاستناد إلى تقارير القنصليات الأجنبية آنذاك.

1. Maurizio Russo, Op.Cit., P.38;

م.س. لازاريف، المصدر السابق، ص ٩١-٩٢ .

2. Maurizio Russo, Op.Cit., P.38.

3. Ibid.

٤. جليلي جليل واخرون، المصدر السابق، ص ٤٤-٤٥؛ كمال مظهر احمد، المصدر السابق، ص ٨٦-

فقد ذكر الباحث والرحالة (هـ. ف. ب. لينج—H. F. B. Lynch) في مؤلفه عن المسألة الأرمنية أنه كان في عام ١٨٩٢ في أرضروم، وشاهد بنفسه تشكيل الأفواج الكردية الحميدية، وقال في وصف عددها: "قامت مجموعة من كل فوج بإجراء استعراض في أرضروم، وقد علمت أن العدد الكلي لا يصل إلى (٢٠٠٠) رجل...^١، ووفقاً للوثائق البريطانية فإن الأتراك استطاعوا حتى منتصف عام ١٨٩٣ من تجنيد حوالي (٥٦) فوجاً، وإن كل فوج كان يحوي ما بين (٨٠٠) إلى (١٠٠٠) رجل^٢. في حين أكدت الوثائق الإيطالية، والتي كانت قريبة من وقائع عمليات التجنيد أن العدد الإجمالي الذي تم تجميعه من الفرسان الكرد وصل في تموز ١٨٩٣ بحدود (٢٣٥٠٠) رجل^٣، وقد أشارت مصادر إيطالية أخرى إلى أن العدد الفعلي للكرد الذين انضموا إلى الأفواج الحميدية في عموم كردستان قد بلغ في صيف ١٨٩٣ (٣٤٤٥٠)، موزعين على (٥٥) فوجاً، وتركز تشكيل أفواج الحميدية بالدرجة الأولى في منطقة كردستان المحاذية لمنطقة ما وراء القوقاز الروسية، وبالتحديد في أرضروم، وشمال ولايتي وان وبتليس^٤. بناءً على ما سبق بالاعتماد على وثائق الفصليات الأجنبية العاملة في كردستان، وعلى الرغم من اختلافها في سبب تشكيلها فقد ذكرت أغلبها أن السلطات العسكرية العثمانية لم تستطع تجنيد عدد كبير من الكرد في تلك الفرسان مقارنة بإعداد قبائلهم الغفيرة في شمال كردستان، حتى وقت قريب من الأزمة الأرمنية في عام ١٨٩٤، فقد تراوح عددهم ما بين (٣٠٠٠٠) إلى (٤٠٠٠٠)؛ كما أحكم الجيش العثماني قبضته على مفاصل هذه الفرسان، ولم تباشر بتدريبها إلا في عام ١٨٩٣^٥.

نظمت القيادة العسكرية العثمانية الأفواج الحميدية، بشكل يكون لها الكلمة العليا والفصل في تحريكها ومهامها، حيث عينت في كل فوج (٨) ملازمين و(٤) نقيباً، ورائد واحد، ومدرس واحد، لفتح مدارس جديدة. وقد سمي هؤلاء الضباط الذين انضموا إلى الفرسان الحميدية لتدريبها بـ(ضباط الصفوة)، وكان المقر العام للحميدية في

1. H.F.B.Lynch, The Armenian Question III.(Conclusion).In Turkey, in: THE ARMENIAN MASSACRES... P.147; Hagop Şahbazyan, A.G.E., S.118.

٢. مارتن فان برونسن، الاغا...، ج١، ص ٤٠٥ .

3. Maurizio Russo, Op.Cit., P.31.

4. Ibid, P.41.

٥. م.س.لازاريف، المصدر السابق، ص ٩٠ .

6. Avyarov, A.G.E., S.137.

ارزنجان، مقر الجيش الرابع العثماني، واعتقد (كوكليلمي-Guglielmi) وهو أحد الساسة الإيطاليين في الدولة العثمانية- أن الأتراك نظموا الأفواج الحميدية بهذه الطريقة، لأنهم كانوا لا يثقون مطلقاً بالكرد، وان الصفوة هم من الناحية المبدئية، جاؤا لتعليم الأفواج الكردية، علماً بأن الحكومة العثمانية، لا تثق كلياً بهذا العرق لأنه (متوحش)-حسب قوله- وان الحكومة العثمانية، وضعت تحت الرقابة خلال الحرب، لكي لا يتمرد، ولكي لا يرتكب خيانة ويلحق الضرر بسيادة السلطان، وهذه الاعتبارات المارة هي التي دفعت بوزير الحربية إلى اختيار ضباط أترك، لكي ينظموا إلى أفواج الفرسان الكردية الحميدية الجديدة¹.

الكرد واشتداد وتيرة الصراع التركي- الأرمني :

بالتوازي مع تأسيس التشكيلات الحميدية في كردستان حتى آب ١٨٩٤، عند اندلاع أزمة ساسون، دخل الأرمن، تتقدمهم الأحزاب الثورية الأرمنية، والأتراك في ما يمكن تسميته بحرب غير معلنة بين الطرفين، حرب دارت رحاها في منطقتين مختلفتين، الأولى هي الحرب الإعلامية في أوروبا، والثانية داخل الدولة العثمانية وبالتحديد في شمال كردستان، وفي خضم هذه الأحداث حاول كل طرف منهما استمالة الكرد، أو لفعل أو لارتكاب أعمال، تصب في مصلحة هذا الطرف أو ذاك، دون أن يكون هناك فعلياً أي مصلحة كردية؛ وقد عرفت المدة من ١٨٩٠ إلى ١٨٩٣ بعهد الإرهاب والإرهاب المضاد، فقد كانت هذه الأحزاب الأرمنية تقوم بأعمال انتقامية وفدائية ضد السلطات العثمانية، معتبرة أنها السبيل الوحيد لنيل استقلالهم القومي، وتتلقى في مقابل ذلك رداً قاسياً من الحكومة العثمانية، ويكون العامة من الأرمن هم الضحايا الأكبر في هذه العمليات^٢.

بخصوص الأحزاب الأرمنية، التي تأسست في ثمانينات القرن التاسع عشر، وكانت قد تبنت في مناهجها الكفاح المسلح كما مر بنا، فقد أعلنت الحرب ضد الدولة العثمانية، على الصعيدين الداخلي والخارجي، فقد اتبعت الأحزاب الثورية الأرمنية

1. Maurizio Russo, Op.Cit., P.42.

2.W. SMONROE, TURKEY AND THE TURKS, BOSTON, 1907, P.41-51; Robert T. Melson, Armenians in the Ottoman Empire: The Massacres of 1894-1896. Via at:(<http://www.h-net.org/fisher/hst373/readings/melson.htm1>)

إستراتيجية (الأسوء الأفضل)، وكانوا يعتقدون أنهم عندما يثيرون السلطان ويحرضونه على رد انتقامي شامل ضد الأرمن، فإن ذلك ربما يدعو إلى تدخل الدول الأوربية في المسألة، كما حدث مع المسألة البلغارية في سبعينات القرن التاسع عشر¹.

قام حزب الطاشناق، على غرار الهنجاك، بفتح فروع له في مدن: استانبول، وطرابزون، ووان، وقام بتأسيس مركزين اثنين، مركز غربي وآخر شرقي، كانت المهمة الأساسية للمكتب الغربي هي الدعاية للقضية الأرمنية في أوروبا، ومحاولة كسب الرأي العام فيها، بهدف الضغط على حكوماتها لحل المسألة الأرمنية في الدولة العثمانية، وقد كان أول الأمر مقر هذا المركز في باريس ثم انتقل إلى لندن، وانتشرت بعدها مكاتبها وفروعها في مدن: بروكسل، وبرلين، ولايبزك، وجنيف، وروما، وميلان، أما المركز الشرقي فقد كان مسؤولاً عن التخطيط للعمليات التي سيقوم بها الأرمن داخل أراضي الدولة العثمانية².

لقد وجدت الأحزاب الأرمنية أن الأوضاع في الدولة العثمانية، وخاصة في شمال كردستان، مهيأة تماماً للقيام بهكذا عمليات، وقد نبهت تقارير القنصليات البريطانية إلى حالة الغضب والهيجان الأرمني في تلك المناطق، حيث أشار نائب القنصل البريطاني في أرضروم (ديفي-Devey) في تقاريره المؤرخة في ١/١٤ و ١/٣١ و ٢/٩-١٨٩١ إلى القائم بإعمال القنصل هامبسون، إلى أن السخط الأرمني في هذه المناطق قد وصل إلى مستويات جديدة، نتجت عنها حالات ابتزاز للأرمن الأثرياء بهدف الحصول على تمويل للمتطلبات القومية، وقد أشار نائب القنصل في تقاريره إلى أسماء عدد من الأرمن الذين تسلموا رسائل من مصادر مجهولة، تتوعدهم بالعقاب إذا لم يقوموا بواجبهم الوطني، وتبعاً لنائب القنصل فقد قامت السلطات العثمانية في المقابل بعد علمها بهذه التهديدات، في تلك المناطق بحملة واسعة، أُلقت في أثناءها القبض على مجموعة من الشباب الأرمن، اتهمتهم بأنهم هم كانوا وراء تلك الرسائل المجهولة، وعلى أثرها قام أهالي المعتقلين في تاريخ ١٨٩١/٢/٤ بمظاهرة في وان، قابلتها السلطات الحكومية هناك بمزيد من الاعتقالات³، وفي ١٨٩١/٤/١٣ أرسل (بوياجيان-Boyajian) نائب القنصل البريطاني،

1. Robert T. Melson, op. cit; Mim Kemal ÖKE, THE ARMENIAN QUESTION, ANKARA, 2001, P.82.

2. Mim Kemal ÖKE, Op.Cit., P.81.

3. ARMAN J.KIRAKOSSIAN, Op.Cit., P.161-162 .

تقريراً من طرابزون ذكر فيه أن مفهوم الكفاح المسلح من أجل الحرية، قد انتشر وشاع بين الأرمن، وطبقاً لنائب القنصل اقتنع الأرمن تماماً بأن الروس وبريطانيا وفرنسا قد جاعوا لمساعدتهم، وانتشرت إشاعة مفادها أن حوالي (١٠٠٠٠٠) أرمني قومي سوف يأتون حالاً لإنقاذ أرمينيا الغربية، وأشار بوياجيان أن هذه الإشاعة، قد نشرها الشباب الأرمن، ويمكن لها أن تؤدي إلى عواقب خطيرة^١.

تجلى نجاح النشاط الثوري الأرمني في تزايد العداوة مع الكرد، فقد تولى على سبيل المثال، في شهر تموز من العام ١٨٩١، دركيان كُرديان من (باشقالا) حراسة ثوري أرمني يدعى (گوفند-Govand)، القي القبض عليه أثناء تهريبه كميات كبيرة من المناشير المطبوعة في (مرسيليا)، عبر الحدود مع إيران بهدف الدعوة إلى الثورة الأرمنية، ولدى وصول الدرकिन الكُرديين إلى جوار دير (فاراك) الأرمني نصب ستة من الأرمن لهما كميناً، فجرح أحد الدرकिन وقتل الثاني، لذا فقد شعر القنصل (ديفي) أن تلك الحادثة ستدفع الأرمن إلى القيام بنشاطات جديدة فقال: "من المتوقع أن تؤدي تلك الحادثة المحزنة إلى تأجيج العداوة بين الأرمن والكُرد، وإلى جعل الحفاظ على النظام والوئام والعدالة بين مختلف فئات الشعب أكثر صعوبة..."^٢.

في أيلول ١٨٩١ قامت اللجان الثورية الأرمنية بإثارة الأرمن في خربوط وديار بكر، وقد ذكرت رسالة من نائب القنصل بوياجيان في خربوط إلى القائم بأعمال القنصل هامبسون في ارضروم أن شخصاً أرمينياً يدعى (شيمافون-Schimavon) قام بالهرب من تلك المناطق واللجوء إلى جبال درسيم، لغرض إثارة الأرمن، ولكن سرعان ما اعتقله مع عدد من مساعديه الأرمن في جبال درسيم أحد زعماء الكُرد هناك، وجلب تحت حماية كبيرة من الكُرد إلى الوالي في خربوط، متهمين شيمافون والأرمن الذين كانوا معه بتحريض الناس في القرى للانضمام إلى حركتهم المتمردة، عن طريق الإعلان بأن الأرمن جاهزون للقيام بثورتهم، وقد كان في حوزتهم مبلغ كبير من المال، وضع تحت تصرفهم؛ ليتمكنهم من تحقيق مبتغاهم. ويتابع نائب القنصل في رسالته المارة أن شيمافون كان قادراً على صناعة البنادق، وجميع أنواع الذخيرة والأسلحة القاتلة، مثل القنابل حيث عرض اثنان منها للكُرد، ومن الطبيعي أن ينكر السجناء الأرمن-أي

1. Ibid, P.163.

2. No 38, From Vice-Consul Devey to Acting Consul Hampson, VAN, July 20, 1891, IN: (B.Ş.B.D.O.A), VOL: III, P.76-77; Justin McCarthy and other, Op.Cit., P.60.

شيمافون وأتباعه- كما يقول نائب القنصل، جميع هذه التهم قائلين: إنهم كانوا في طريقهم إلى ارضروم، حيث قام المشتكون (الكرّدي) بمهاجمتهم، وعاملوهم بشكل سيء، وسرقوا جميع الأموال والمقتنيات التي كانوا يحملونها، وأنهم لا يعرفون شيئاً عن القنابل، ويرد نائب القنصل على هذه الاتهامات بالقول: "يجب أن يلاحظ أنه من غير المنقح تماماً أن يقوم الكرّدي بتلفيق هذه التهم، مثل تصنيع القنابل، والتي يعتقد أنها الديناميت، ولا يعقل أن يقوموا بتسليم السجناء إلى السلطات إذا ما كانوا قد هاجمواهم من أجل السلب والنهب"^١.

كما هاجمت مجموعة من الأرمن مؤلفة من تسعة أشخاص، في بداية كانون الأول ١٨٩٢، أربعة كرّدي كانوا ذاهبين إلى منطقة سالاخانه، من أجل شراء الملح، وقد نشبت معركة بين الطرفين قتل فيها نقيب من الحميدية، وجرح واحد أو اثنين آخرين منهم، وفي المقابل قتل واحد من الأرمن وجرح ثلاثة منهم^٢.

يذكر القنصل الروسي في ارضروم (مايوسكي-Mayewski) أن الجمعيات الأرمنية في عام ١٨٩٢، بدأت بتشكيل عصابات لها، واختارت طريق بلاد فارس مسلكاً بهدف إجراء العمليات داخل الأراضي العثمانية، وأقام أعضاؤها مراكز لرصد الطرق، وتجمعوا بشكل أساسي في القرى على الجانب الإيراني؛ ثم كانوا يتحركون نحو قرى ارمنية داخل أراضي الدولة العثمانية، ويقررون الاختفاء لمدة من الزمن ثم يقومون بعملياتهم على شكل مجاميع صغيرة^٣.

وفي داخل الأناضول اختارت الجمعيات الأرمنية، وعلى رأسها الهنجاقي، في أواسط عام ١٨٩٢ ناحية مرزفون التابعة لقضاء أماسيا في ولاية سيواس، لتكون مركزاً للدعاية الأرمنية، ثم انتشر نشاطهم إلى مدن: قيصري، ويوزكات، واماسيا، وتوكات، ودياربكر، ومن هناك بدعوا يرسلون التقارير إلى الصحف العالمية حول الظلم العثماني على الأمة الأرمنية^٤.

1. Inclosure in No.47, From Vice-Consul Boyajian to Acting Consul Hampson, KHARPUT, September 26, 1891, IN: (B.Ş.B.D.O.A), VOL: III, P.85-86.

2. Inclosure in No.105, From Vice-Consul Devey to Acting Consul Fitzmaurice, VAN, December 8, 1892, IN: (B.Ş.B.D.O.A), VOL: III, P.145.

3. Général Russe MAYEWSKI, Op.Cit., P.23-25.

4. MAYÉVSRİY V. T., 19. Yüzyıld Kürdistan'ın Sosyo- Kültürel Yapısı: KÜRT-ERMEN-İLİKŞKLER, Osmanlıcaya tercüme eden: MEHMET SADIK, İstanbul, 1997, S.119-120.

امتازت أعمال حزب الهنجاق، حسب تقارير عثمانية، بكونها كانت على مستوى عالٍ من الدقة، وقد أربكت السلطات العثمانية كثيراً في كردستان، وكانت تطالب باستقلال أرمينيا الغربية (شمال كردستان) وتقف ضد تطلعات الكنيسة الأرمنية في الدولة العثمانية باعتبارها كنيسة عميلة. وقامت لجان هذا الحزب بتدريب العديد من الأرمن وتسليحهم، وأرسلتهم بالتحديد إلى كردستان، للقيام بعمليات نهب القرى والمدن، وإرهاب الناس فيها، وفي بعض الأحيان قاموا بعمليات قتل، وقد تمكنت الحكومة العثمانية من العثور على عدد من تقاريرهم ورد فيها أنهم كانوا يقومون بتلك الجرائم ثم يدعون في صحفهم، وخاصة التي تصدر في روسيا، بأن الكرد هم من كانوا وراء تلك الأحداث، وذلك من أجل التأثير على الرأي العام الأوربي، ومحاولة كسب تعاطفهم. وكانوا يروجون للأقاويل التي تذكر أن الكرد أصبحوا أكثر اضطهاداً للأرمن، وأنهم قد منحوا ترخيصاً من الحكومة العثمانية لترهيب الأرمن، وقد كانت من أحد أعمال الهنجاق هي القيام بعمليات ابتزاز أثرياء الأرمن، بهدف الحصول على الأموال لتمويل مخططاتهم في الدولة العثمانية¹.

كما أشارت تقارير عثمانية أخرى، إلى حوادث عديدة بين أعوام ١٨٩٠-١٨٩٣، قامت بها المنظمات الثورية الأرمنية في كردستان، فقد ذكرت تلك التقارير عشرات الحوادث التي عمد فيها الأرمن إلى ارتداء الملابس القومية الكردية، والقيام بأعمال فدائية بهدف إصاق التهم بالكرد، وكان هؤلاء الفدائيون الأرمن ينتمون بالأخص لحزب الهنجاق^٢، منها مثلاً قيام بعض الأرمن يرأسهم شخص يدعى (جيراغان جوج أغا- Çiragan Coc Aga) بقتل تسعة من الكرد، بصورة وحشية، في أحد الأديرة في وان، وتكررت هذه الحوادث في مناطق: بتليس، وموش، ووان، بشكل مستمر حتى إندلاع الأزمة الأرمنية في عام ١٨٩٤^٣.

كان الهدف الأساسي للمنظمات والجمعيات الأرمنية، في تلك المدة، هو استفزاز

1. Annexe au No.519. LIGH ON LIBERTYS DAWN. Little Sympathy with Methods of the Society, IN: (B.Ş.D.D.O.A.A), VOL: I, P.506.

2. ERMENI KOMITELERI(1891-1895)T.C. BASBAKANLIK DEVLET ARSIVLERI GENEL MÜDÜRLÜĞÜ Osmanli Arsivi Daire2 Baskanlskanligi Yayin Nu: 48, ANKARA, 2001, S.17.

3. A.E., S.22-23.

السلطات العثمانية في كردستان، من خلال تلك العمليات، كي تضطرها وتدفعها إلى القيام بأعمال وردود أفعال قاسية ضد الأرمن، تدعو الدول الأوروبية على إثرها بالتدخل لحل المسألة الأرمنية في الدولة العثمانية، وقد ظهر هذا الأمر جلياً في حديث أحد الثوريين الأرمن مع (د. هاملن-Dr. Hamlin)- مؤسس الجامعة الأمريكية في الدولة العثمانية (Robert College)- في عام ١٨٩٣ فقد أخبره الثوري الأرمني بأن عصابات الهنجاك، سوف تنتظر فرصتها لقتل أتراك أو كرد، وتشعل النار في قراهم؛ ثم تفر إلى الجبال، سوف يثور المسلمون الغاضبون بعدها، ويهاجمون الأرمن العزل ويقتلونهم بطريقة وحشية، إلى درجة أن روسيا سوف تتدخل باسم الإنسانية والحضارة المسيحية، وحين استنكر المبشر المذعور هذا المخطط؛ لأنه شنيع وشيطاني، أكثر من أي شيء عرفه، تلقى هذا الرد: "هكذا يبدو الأمر لك، من غير ريب؛ لكننا قررنا نحن الأرمن أن نصبح أحراراً، أصغت أوروبا إلى الأهوال البلغارية، وجعلت البلغار أحراراً، سوف تصغي إلى صيحتنا حين تدخل في صيحات ودماء ملايين النساء والأطفال، نحن يأسون، سوف نفعلها"^١.

اتبع الثوريون الأرمن، وبدءاً من عام ١٨٩٣ إستراتيجية جديدة في عملهم ضد الحكومة العثمانية، وهي التي سميت بسياسة (اليافطات-The Yaftas)، حيث قامت تلك المنظمات الأرمنية بالصاق يافطات-منشورات- ثورية، في معظم مدن الأناضول وكردستان، مكتوبة باللغة التركية تدعو المسلمين في كل مكان، حتى في الهند، بالتمرد ضد مضطهديهم، وان عبد الحميد الثاني غير قادر على الحكم؛ لأنه ليس كُفُءاً لذلك فهو مجرد (شايوش-Chavush) -أي شرطي أو عريف أو بواب- على إثر ذلك قادت السلطات العثمانية، وفي أغلب مدن الأناضول، حملة كبيرة ضد المشتبهين بهم، وألقت القبض على العديد منهم، وتمت محاكمتهم بتهم التحريض على الثورة في الأناضول، ووصلت أخبار إلى القنصليات والسفارات الأجنبية في الدولة العثمانية مفادها: أن هناك العديد من المحاكمات الصورية، تجري هناك في الأناضول، وان هناك أحكاماً بالجملة، أصدرت على عدد كبير من الأرمن، دون محاكمات عادلة أو حتى دون محاكمات شكلية^٢. حاول المحرضون الأرمن

١. نقلاً عن: جستن مكارثي، المصدر السابق، ص ١٣٩.

2. Christopher J. Walker, Op.Cit., P.135;

- كۆمهله وريكخراوه كوردبييه كان ١٩١٨-١٩٣٣ له بهلگه نامه كاني ههردوو وهزارهتي دهره وهی بریتانیا وفرانسادا، بهرگی یه کهم، وهرکییرانی: نه جاتی عهبدو لالا، پیتشه کیی: کهمال مه زههر نه حمهه، سلیمان، ٢٠٠٨، ل ٤٥.

من جهتهم إثارة القبائل الكردية العلوية المعارضة في درسيم، والفلاحين الكرّد في نواحي ساسون، وادعوا أنهم منحدرون من المرتدين الأرمن إلى الإسلام^١، لذلك أوعز السفير البريطاني في الدولة العثمانية، إلى قنصله في أرضروم (كرافيس-Graves)، بالقيام بتحقيق شامل حول تلك الأحداث الأخيرة، وبعد إجراء القنصل بعض التحقيقات، وقيامه بجولة في المناطق المتوترة توصل إلى نتيجة هي أن السبب الأساسي في الأحداث الأخيرة هم الثوريون الأرمن، حيث أكد بأنهم هم المسؤولون عن تلك الياфطات، التي الصقت وعلقت في عدد من المدن في الأناضول، والتي تدعو صراحة إلى الثورة ضد حكم عبد الحميد وتسخر منه، كما قام هؤلاء الثوريون في مناطق أخرى بقطع أسلاك التلغراف، وقصف بنايات حكومية، مما دفعت السلطات العثمانية إلى التصرف بحماقة وبحماس مفرط ضد هذه الأعمال، كما أنها عمدت-أي الحكومة العثمانية- إلى تأجيج المشاعر الدينية بين الأتراك والكرّد ضد المسيحيين، والتي سوف تؤدي في المستقبل إلى حدوث مذابح في المنطقة^٢.

وقد تنبأ السفير الفرنسي كامبون، وبناءً على معلوماته واستنتاجاته للأحداث، بأن أزمة أرمنية وشيكة ستقع في الدولة العثمانية، فقد جاء في تقريره الذي يعود تاريخه إلى بداية العام ١٨٩٤، تم نشره ضمن الكتاب الأصفر الفرنسي في عام ١٨٩٧، حول الأعمال الأرمنية قبل اندلاع أزمة ساسون، ما يلي: "إذا اندلعت حركات تمرد أرمنية عامة في كل مناطق تواجدهم في الدولة العثمانية، فهل ستؤدي النتيجة النهائية لهذه الحركات إلى استقلال الأرمن، وتكوين دولة مستقلة لهم؟ أم ستكون هناك أحداث ومؤشرات أخرى؟ بالنسبة لي شخصياً لا أتوقع أن تفضي هذه الأحداث إلى تشكيل دولة أرمنية في المنطقة، مثلما كان الأمر بالنسبة لليونان وبلغاريا، وذلك لأن الشعب الأرمني منتشر تقريباً في كافة أراضي الدولة العثمانية، ولا يشكلون أغلبية عرقية واضحة في أي مكان في المناطق التي يعيشون فيها، لذلك لا يمكن رسم حدود لها وتشكيل حكومة مستقلة، وحتى المنطقة التي سميت بأرمنستان [أي: شمال كردستان] لا تصلح لذلك لأن الكثافة السكانية للسكان المسلمين فيها أكثر من الأرمن، كما أن هناك واقعاً آخر لا يمكن تجاهله، بالنسبة للمسألة الأرمنية، وهو كون أراضي

١. ديفيد مكدول، المصدر السابق، ص ١١٧.

2. Christopher J. Walker, Op.Cit., P.135-136.

أرمنستان مقسمة بين ثلاث دول هي: إيران، وروسيا، والدولة العثمانية، ولذلك حتى إذا ما تعرضت الدولة العثمانية إلى ضغوطات أوروبية لتشكيل دولة أرمنية فإنها ستواجه معضلة بخصوص حدودها، بل حتى لو أعطي الأرمن حكماً ذاتياً في المناطق ذات الكثافة السكانية الأرمنية العالية فإنهم سوف يتعرضون لمشاكل جمّة، تظهر بين الفينة والأخرى، ولذلك يبقى هذا السؤال قائماً: يا ترى في أي مكان من الدولة العثمانية سوف تقام أرمنستان؟. إذن هذه هي الدولة العثمانية ذات التركيبة المعقدة، وإن صدور أي قانون سوف يؤدي إلى دمار وخراب المنطقة، ويجب هنا أن لا ننسى أن التمردات والحركات الأرمنية في المنطقة سوف لن تؤدي إلى إصلاح أوضاع الأرمن، وإرجاعها إلى ما كانت عليه قبل عشر سنوات، من حيث امتلاكهم للثروات، وتمتعهم بالحرية والمساواة، ورغد العيش في حياتهم الاجتماعية¹.

وفضلاً عما مرّ من أحداث في الداخل فقد قادت المنظمات الأرمنية في أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية حرباً إعلامية ضد الدولة العثمانية، كان الكُرد دائماً طرفاً فيها، على أنهم شكّلوا مع السلطات العثمانية تحالفاً ثنائياً لاضطهاد الأرمن في (أرمينيا الغربية)، فقد ملئت مقالاتهم صحف (الديلي نيوز-Daily News)، و(الواشنطن بوست-Washington Post)، و(نيويورك هيرالد-New York Herald) مثلاً بنشر ذلك والترويج له، وقد كانت الدولة العثمانية ترد على هذه الاتهامات بإرسال رسائل إلى رؤساء تحرير تلك الصحف، وكذلك إلى سفراء الدول الأجنبية في الدولة العثمانية، ترد فيها على تلك المقالات، وتتهم أصحابها بالتلفيق والتزوير، عند ذكر الأحداث في الدولة العثمانية والمتعلقة بالمسألة الأرمنية، ويظهر من تقارير سفراء الدولة العثمانية في أوروبا إلى وزير خارجيتها سعيد باشا، أن الشغل الشاغل لوزارة الخارجية العثمانية ما بين أعوام ١٨٩٢-١٨٩٤، كان يتركز على متابعة تلك الصحف ومحاولة الضغط عليها لئلا تنشر المقالات المؤيدة للمسألة الأرمنية، ففي معرض دفاعها عن الفرسان الحميدية مثلاً، بعدما نشر الأرمن عشرات المقالات في الصحف الانكليزية عن مساوئها، جاء في رسالة من سعيد باشا وزير خارجية الدولة العثمانية إلى سفيره في لندن رستم باشا بتاريخ ١٨٩٣/١/٤ بخصوص أولئك الفرسان ما يلي: "... فيما يتعلق بالخيالة الكُرد فإن مخاوفكم من أن الشيوخ الكُرد، الذين ورد ذكرهم قد اختيروا ضباطاً غير قادرين

1. MAYÉVSRİY V.T., A.G.E., S.119.

على منع رجالهم من إساءة معاملة الأرمن، وان تشكيل هذه الكتائب سوف يكون أكثر ضرراً، فإن هذه المخاوف ليس هناك ما يؤيدها، وطبقاً للسلطات العسكرية فإن روحية الضبط المتشدد وسط الجنود الكرد ورؤسائهم أمر مؤكد، ومنتج، وإيجابي، للحفاظ على الأمن العام في آسيا الصغرى، كما أنه يعمل على تعزيز العلاقات الجيدة بين الكرد والأرمن¹. كما وجه رستم باشا السفير العثماني في بريطانيا رسالة إلى وزير الخارجية سعيد باشا، بتاريخ ١٧/٤/١٨٩٤، ذكر فيها أن صحيفة الديلي نيوز الانكليزية نشرت في أحد أعدادها أن الأرمن في اتشماردين، يكتبون إلى الجمعية (الانكلو-أرمنية) -التي تأسست في بريطانيا في بداية تسعينات القرن التاسع عشر- بهدف متابعة أحوال الأرمن في الدولة العثمانية، الذين يتعرضون على الدوام للاضطهاد على يد الحكومة، كما نشرت نفس الصحيفة أخباراً مفادها أن جماعة من الكرد هاجموا قافلة من الأرمن، كانت في طريقها من الدولة العثمانية إلى روسيا².

بالمقابل يبدو أن الأتراك العثمانيين قد استعدوا جيداً لمواجهة أي حركة أو تمرد ارمني، سواء بتأليب بعض الأغوات الكرد عليهم، أو من خلال بعض الإجراءات التي قد تلجأ إليها السلطة الحاكمة في الولاية، كالوالي أو القائد العام للجيش فيها، وكان يقابل كل رد فعل ارمني برداً أقوى واعنف صرامة من جانب الأتراك، ويكون دائماً ضحيتها العامة من الأرمن، الذين ربما كانوا لا يعلمون شيئاً بخصوص تحركات تلك المنظمات الثورية الأرمنية، ولكنهم في الأعم الأغلب كانوا هم الضحايا الأكبر لتلك العمليات المتبادلة؛ وقد كان الأرمن، من جهتهم، على علم بالإجراءات التركية ضدهم، فقد اشتكى الأسقف الكريغوري مثلاً في ارضروم إلى القنصل البريطاني هامبسون في نيسان ١٨٩١ أن الدولة العثمانية قد وضعت نظاماً صارماً للتجسس على جميع الأرمن في المنطقة، وتجاوز هذا النظام التجسس تقريباً ليصبح حالة من الحصار³. من الوسائل التي اتبعتها السلطات العثمانية للوقوف بوجه الأرمن، أو إجبارهم على

1. No. 192, Rustem Pacha, Ambassadeur Ottoman à Londres, à Saïd Pacha, Ministre des Affaires Etrangères Ottoman, LONDRES, le 13 Janvier 1893, IN: (B.Ş.D.D.O.A.A), VOL: I, P.203-205.

2. No.56, Rustum Pach, Ambassadeur Ottoman à Londres, à Saïd, Ministre des Affaires Etrangères Ottoman, LONDRES, Le 17 Avril 1894, IN: (B.Ş.D.D.O.A.A), VOL: II, P.94.

3. Inclosure in No.21, From Acting Consul Hampson to Sir W.White, ERZEROUM, April 18, 1891, IN: (B.Ş.B.D.O.A), VOL: III, P.45.

الرحيل من أراضي الدولة العثمانية هي قيامها بدعم بعض الأغوات الكرّد، الذين كانت لهم عداوة مع بعض الأرمن ضمن مناطق نفوذهم، وكانت السلطات العثمانية تدعم هؤلاء الأغوات مادياً ومعنوياً، وتركز دائماً على الأخوة الإسلامية التركية-الكرّدية، فأولاً قامت السلطات العثمانية بدعم موسى بك موتكي كما مر، وقبل أن يتم نسيان قضية موسى بك، التي أصبحت مثار جدل واسع في أوروبا، ما لبثت السلطات العثمانية أن صنعت شخصية كُردية أخرى قامت بلعب دور موسى بك في المنطقة، وهو حسين أغا الحيدراني، فقد أشارت حتى قبل تأسيس الفرسان الحميدية، تقارير بريطانية إلى أن حسين أغا يمشي على خطى موسى بك، وان السلطات العثمانية تتعمد عدم ملاحظته، بل تقوم بالدفاع عنه والتستر على جرائمه، ففي مذكرة مقدمة من السير (اي.سانديسون- A.Sandison) سفير بريطانيا إلى وزير خارجيته في كانون الثاني ١٨٩٠، تطرق فيها السفير إلى اللقاء الذي تم بينه وبين الصدر الأعظم، وقد عرض الأخير له بعض القضايا المتعلقة بالأرمن على الصدر الأعظم ومنها قضية حسين أغا الحيدراني من باتنوس، يقول السفير بأنني أخبرته ما يلي: "حسين أغا من باتنوس: أخبرت سموه بأن هذا الشخص على ما يبدو حسب معلوماتنا سيصبح وحشاً كبيراً كموسى بك، وان هناك على ما يبدو محاولة أو رغبة من طرف السلطات المحلية في ارضروم، للمحاولة في التغطية على التهم العديدة الموجهة ضده، قال سموه: بأنه طبقاً لمعلوماته فإن هذا الشخص كان تحت مراقبة الشرطة في ارضروم، وبأنه أعلن استعداداه للإجابة على أي تهمة يتقدم بها المدعون"^١.

وفي موضوع متصل بقضية حسين أغا، الذي اعتقلته في أواخر عام ١٨٩٠ السلطات العثمانية في ارضروم أرسل هامبوسن، القنصل البريطاني في ارضروم رسالة إلى وايت بتاريخ ١٦ كانون الثاني ١٨٩١، يذكر فيها أن حسين أغا هو ليس من زعماء الكرّد العظام، بل هو مجرد زعيم فرعي لقبيلة الحيدراني في منطقة الاشكيرد، إلا انه ما زال شاباً يتراوح عمره بين ٣٠-٣٥ عاماً، ويوصفه قاطع طريق فقد جلب لنفسه سمعة سيئة لا نظير لها بسبب جرائمه المتهورة حتى أن السلطات العثمانية في وان كانت تهابه، فقد قال والي وان -كما صرح به نائب القنصل البريطاني في وان ديفي- إن حسين أغا بإمكانه استدعاء (٢٠٠٠) رجل إذا ما

1. Inclosure in No.6, Memorandum by Sir A.Sandison, CONSTANTINOPLE, January 31, 1891, IN: (B.Ş.B.D.O.A), VOL: III, P.8-10.

اقتضت الضرورة لذلك، ورغم عدم تصديق ديفي لذلك، إلا أن هناك ما يدل على امتلاكه لقوة كبيرة في المنطقة، وقد ارتكب كل أصناف الجريمة، يقول ديفي: إن أعماله في بداية الأمر كانت ضد الكُرد المنافسين له في منطقتهم، ومنهم على سبيل المثال شخص يدعى (أفاني) من كُرد الاشكيرد، وكان في كل مرة يعتقله حاكم بايزيد كاظم بيه، إلا انه ومن خلال دفع الرشاوى كان يُخلى سبيله من السجن، ويعود لارتكاب جرائمه من جديد، وكانت أول شكوى ضده من قبل ثلاثة أفراد كُرد، كان قد قام حسين أغا بنهب قراهم وممتلكاتهم، وقتل عدداً من أقربائهم، ويتابع السيد ديفي حديثه عن حسين أغا بالقول: "إن تاريخ جرائمه، وسجنه، وأفعاله اللاحقة رواه ثلاثة من كُرد الاشكيرد، كان أحدهم هو شقيق أفاني... وكما يلي: إن هؤلاء الكُرد الثلاثة جاءوا إلى ارضروم، من أجل تقديم شكوى ضد حسين أغا، ولكن الوالي رفضها مرتين، فمُنذ خمس أو ست سنوات، كان حسين أغا يشكل مصدر رعب لسكان الاشكيرد بمسلميها ومسيحييها... ومع ذلك فإن عالم الدين المسلم في بانتوس، الشيخ نوري قدم شكوى ضد تصرفات حسين، عند والي ارضروم وكذا عند متصرف بايزيد، وهناك إشاعة تقول إن حسين أرسل مجموعة من رجاله وقتلوه، وأرعبوا زوجة ابنه مما أدى إلى موتها، وبخصوص هذا الأمر قام شقيق المذكور (نوري) - وهو واحد من الكُرد الثلاثة، الذين سردوا القصة - بتقديم شكوى لدى قائمقام عينتاب، الذي قام بدوره باعتقال ثلاثين رجلاً من أتباع حسين، الذي استطاع من خلال تقديم الرشاوى أن يطلق سراحهم بعد عدة أشهر¹.

وعند إعلان الفرسان الحميدية سارع حسين أغا إلى الانضمام لهؤلاء الفرسان، لكي يبعد عن نفسه أي ملاحقة قانونية من جانب الولاة في المنطقة، لان هؤلاء الفرسان صاروا تابعين مباشرة للسلطان عبد الحميد الثاني، فقد أصبح حسين أغا الرئيس العام لوحدات الحميدية في الشمال، بالقرب من الحدود الروسية، وبسبب كون عشيرة حيدران من العشائر الكبرى فقد كونت لوحدها خمسة من وحدات الحميدية، وكان نفوذهم في الشمال في مناطق مرادية، وبانتوس، ووان، ومنطقة أغري من ضمنها².

1. Inclosure 3 in No.6, From Acting Consul Hampson to Sir W.White, ERZEROUM, January 16, 1891, IN: (B.Ş.B.D.O.A), VOL: III, P.10-13.

2. M.KALMAN, Belge ve taniklariyla DERSIM Direnişleri, ISTANBUL, 1995, S.75.

وبالتوازي مع تأسيس الحميدية أشارت تقارير روسية وعثمانية إلى أن عمليات السرقة والاعتصاب ضد السكان الأرمن في شمال كردستان، قد تضاعفت بعد تأسيس الحميدية، وليس من قبيل الصدفة وقوع هجمات لصوية بعد عام ١٨٩١ بالذات عندما بدأ تشكيل الفرسان الحميدية، في تموز ١٨٩١ قامت بها فصائل من الكرد على التجار الأرمن، في مناطق ارضروم، وبايزيد، وموش، وحصلت مثل هذه الاعتداءات في خريف العام نفسه، وكذلك في أوقات تالية لذلك، ولم تقم السلطات التركية عملياً بأي تحرك لإقرار النظام، وذلك لأن استانبول لا تنوي أن تتدخل وتحثك بالحميدية، فان ما تقوم به الحميدية يشكل نوعاً ما من دعائم السلطة، في شمال كردستان أو (أرمينيا الغربية)^١.

واصل فرسان الحميدية هجماتهم على السكان الأرمن وغيرهم من الكرد المعارضين لهم، مما أدى إلى تقديم التماس بعد التماس إلى الحكومة المركزية، ومع ذلك، لم تعر الحكومة لها أذناً صاغية، وفي عام ١٨٩٣ صدرت الأوامر من استانبول بمنع إرسال أي التماسات إضافية ضد هذه الفرسان^٢.

ومن الأساليب الأخرى التي اتبعتها الحكومة العثمانية للوقوف بوجه التطلعات القومية الأرمنية آنذاك، هو قيامها بمنع تداول الصحف الأرمنية داخل أقاليم الإمبراطورية منذ بداية التسعينات، وفي عام ١٨٩٢ منع الباب العالي رسمياً العمل في جميع المدارس غير المخولة، ومنعت تدريس مادتي التاريخ والجغرافية لأرمينيا في عموم مناطق الإمبراطورية، وصادرت الكتب التي تحمل مواضيع كهذه وأحرقت، في حين تمت محاكمة مؤلفيها علناً على أنهم مجرمين^٣.

وكانت الحكومة العثمانية تشكك إثر كل حادثة على أنها مدبرة من الأرمن، فتقوم بحملة اعتقالات واسعة في صفوفهم، وترجهم في السجون، وتصدر أحكاماً متنوعة بحقهم، حتى دون إجراء المحاكمات في بعض الأحيان؛ وكانت ذروة هذه الأحداث في منتصف عام ١٨٩٣، عندما قامت السلطات العثمانية في أنقرة بإلقاء القبض على

١. م.س. لازاريف، المصدر السابق، ص ٩٧-٩٨؛

-KEMAL SÜPHANDAG, BÜYÜK OSMANLI ENTRİKASI HAMIDIYE ALAYLARI
ARASTIRMA-INCELEME, ISTANBUL, 2006, S.175-184.

2. EDWIN MUNSELL BLISS, Op.Cit., P.351.

3. ARMAN J. KIRAKOSSIAN, Great Britain..., P.33-34.

العشرات من الأرمن، بتهمة المشاركة في اجتماعات سياسية محظورة، أصدرت بعد ذلك أحكاماً بالإعدام على خمسة منهم^١، تعاملت الدولة العثمانية بعد ذلك بكل حزم وقسوة ضد أي عمل تقوم به المنظمات الأرمنية في المنطقة، ولم تمر سوى مدة قصيرة حتى قام الأرمن بتمرد في منطقة يوزكات استمرت أحداثها لمدة أسبوعين، أدت إلى مقتل (٥٠٠) شخص حسبما أعلنته الحكومة العثمانية، وقد واكبت عملية القضاء على هذا التمرد أحداثاً مأساوية^٢.

وقد اشتكى سفير بريطانيا في استانبول السير (كلير فورد-Clare Ford) (١٨٩١-١٨٩٣)، لدى سعيد باشا وزير الشؤون الخارجية في الدولة العثمانية، وقدم احتجاجات شديدة اللهجة اثر تلك الأحداث، وذكر له أن هناك حالات عديدة ارتكب الأتراك فيها عمليات القتل العمد، والجرائم ضد الأرمن، والتي كان يترك الأتراك فيها أحراراً، أما في الحالات التي يقتل فيها الأتراك، فان الحكومة العثمانية تقوم بإلقاء وزج مجموعة غير مذنبية من الأشخاص الأرمن في السجن لأشهر دون أن تقدمهم إلى المحاكمة^٣.

في الأخير، وعند النظر إلى تطور وتسارع الأحداث بخصوص المسألة الأرمنية، في السنوات الأولى من تسعينات القرن التاسع عشر، يظهر أن المنطقة كانت مقبلة على مأساة حقيقية، أراها الأرمن أولاً، إن صح القول، لتأسيس دولتهم القومية؛ ثم الأتراك، الذين امتازوا بقسوتهم الشديدة، عند تعاملهم مع أي حركة معارضة لأي قومية داخلية ضمن الحدود السياسية للدولة العثمانية، وإذا ما كان الأتراك قد استغلوا الكُرد فعلاً لضرب الحركة التحررية الأرمنية من خلال تشكيلهم للفرسان الحميدية، فإن الأرمن، وخاصة الأحزاب والمنظمات، التي اتخذت شعار المقاومة المسلحة مبدأً لها للظفر بالحقوق القومية الأرمنية، عملت من جانبها على دفع الكُرد في سلك هذا الطريق، أي القيام بعمليات سرقة الأرمن ونهبهم وقتلهم، بدليل أن الأرمن لم يقوموا ولو بتصرف واحد ايجابي لكسب الكُرد إلى جانبهم، علماً أن غالبية السكان في تلك

1. Annexe au No.293, Extrait Morning Advestiser du 10 juin 1893, THE ANGORA TRIAL from an occasional correspondent, CONSTANTINOPLE, June 3, 1893, : (B.Ş.D.D.O.A.A), VOL: I, P.293-294.

2. MAYÉVSRIY V.T., A.G.E., S.119.

3. No.116, Sir Clare ford to Earl of Rosebery, CONSTANTINOPLE, March 26, 1893, IN: (B.Ş.B.D.O.A), VOL: III, P.157-160.

المناطق كانوا من الكُرد، وقاموا بالاعتماد على أنفسهم في مقاومة الدولة العثمانية، ومن أبرز الوسائل التي اتخذوها في سبيل ذلك هو القيام بعمليات نوعية استفزازية، ضد الكُرد والسلطات الإدارية، فيقوم العثمانيون برد فعل قاس ضدهم، بحيث تكون ذريعة لتدخل أوربا لحسم المسألة الأرمنية.

لقد كان الأرمن من أقرب القوميات في الشرق الأوسط، وأكثرها معرفة بطبيعة الحياة الاجتماعية الكُردية، باعتبار أنهما قد عاشوا معاً لقرون عديدة، ربما لا نجد مثلها عند بقية شعوب العالم، ومن خلال اختلاط الأرمن بالكُرد تعرفوا على الأخلاق الكُردية بخصوص الثأر، التي عُدت من أكثر المسائل حساسية وشراسةً عند الكُرد، لذلك قام الأرمن بالضرب على هذا الوتر، فما أن يقوم الأرمن بقتل واحد من الكُرد في مكان ما، حتى تدخل تلك المنطقة في صراع دموي ربما لا تحمد عقباه، وخاصة إذا ما كان هذا القتل من أحد بيكات الكُرد، وقد أشار مثلاً كل من ملا محمود البايدي^١، ومينورسكي^٢، إلى قوة الثأر لدى الكُرد.

وقد فطن البريطانيون أيضاً، إلى حساسية الثأر عند الكُرد، منذ بداية تواجدهم في كُردستان، وعدّ الكُرد الثأر بمثابة قانون للحفاظ على الأمن، ما دامت الحكومة العثمانية غير قادرة على إرجاع الحقوق، فمثلاً يشير الملازم (بينت-Bennet) في تقريره إلى (غوشن-Goschen) بتاريخ ١٨٨١/٦/٧، إلى هذه العادة القديمة في المنطقة، حيث يتطرق بينت إلى حادثة وقعت بين الكُرد والأرمن، في زيتون في تلك المدة، وهي: قيام أحد الأرمن بقتل كُردٍ كان ماراً بالطريق، وقام هذا الأرمني بالهروب إلى منطقة زيتون المتحصنة في الجبال ضمن ولاية بتليس، وأنه ومنذ (١٣) شهراً يحاول أقرباء الكُرد المقتول قتل الأرمني ولكنهم لم يفلحوا في ذلك، ولا يهدأ لهم بال إلا إذا ما قاموا بالثأر لقربيهم الكُرد، ويعقب بينت على هذه الحادثة بالقول: "الدم من أجل الدم هو قانون قديم هم يفهمونه، ولأنه لا توجد حكومة لذلك لا بد من تنفيذ هذه الشريعة"^٣.

١. ينظر، مؤلفه: ژيدهرئ بهرئ، ل ١٢٦ .

٢. ينظر، مؤلفه: المصدر السابق، ص ١٠١-١٠٢ .

3. No. 75, Lieutenant Bennet to Mr. Goschen, MARASH, June 7, 1881, IN:

(B.S.B.D.O.A), VOL: II, P.236-241.

الفصل الثالث

موقف الكُرد من الأزمة الأرمنية الأولى وتطوراتها

حتى الانقلاب العثماني ١٨٩٤-١٩٠٨

- أولاً- المرحلة الأولى من الأزمة الأرمنية (انتفاضة ساسون أب-أيلول ١٨٩٤).
- ثانياً- الإصلاحات الأرمنية الثانية.
- ثالثاً- المرحلة الثانية من الأزمة الأرمنية الأولى ١٨٩٥-١٨٩٦ .
- أ-انتشار الأزمة في معظم أنحاء الأناضول.
- ب- مسؤولية المرحلة الثانية من الأزمة الأرمنية الأولى.
- رابعاً- تغيير الإستراتيجية الأرمنية تجاه الكُرد ١٨٩٧-١٩٠٨ .
- خامساً- جريدة كُردستان والمسألة الأرمنية ١٨٩٨-١٩٠٢ .

أولاً- المرحلة الأولى من الأزمة الأرمنية^١ (أزمة ساسون أب-أيلول ١٨٩٤)

دخل الصراع بين الأحزاب والمنظمات الثورية الأرمنية، وعلى رأسها الهنجاك والطاشناق من جهة، والدولة العثمانية من جهة أخرى، مرحلة الاصطدام المباشر، فبعدما كان الصراع على أشده بين الطرفين أولاً: داخل الأراضي العثمانية، من خلال قيام تلك الأحزاب والمنظمات، بعمليات نوعية ضد أهداف معينة، تقابلها الحكومة العثمانية برد فعل قوي وعنيف، وتزج الأرمن في السجون، دون النظر إلى علاقتهم بتلك القضايا من عدمها، وثانياً: الصراع الإعلامي الذي شنته تلك الجمعيات الأرمنية، على الدولة العثمانية في أوروبا وأمريكا، بحيث أصبح الشغل الشاغل لوزارة الخارجية في الدولة العثمانية هي الإجابة ورد الاتهامات الأرمنية للسلطان وحكومته في الصحافة الأوربية والأمريكية، تطور الوضع فيما بينهما وبات واضحاً للسياسة الأجانب في الدولة العثمانية، أن لا مفر من اصطدام الطرفين عن قريب عسكرياً، لذلك كانت شمال كردستان هي الساحة التي تصارع فيها الطرفان، مستغلين المناطق الأرمنية التي كانت تتمتع بحكم ذاتي، منذ عهد الإمارات الكردية في كردستان مثل: منطقة ساسون التابعة لسنجق موش في ولاية بتليس، حيث اندلعت فيها وقائع الفصل الأول من الأزمة الأرمنية الأولى.

إن سكان قرى ساسون الواقعة جنوب موش، وتحديداً من الأرمن فيها، كانوا مقطوعين تماماً عن الحياة الحضرية، ويعيشون بطريقة تشبه إلى حد كبير حياة الكرد

١. لقد أُطلقت تسمية (الأزمة الأرمنية) على وقائع تطورات المسألة الأرمنية بين سنوات ١٨٩٤-١٨٩٦، في حين أُطلق عليها الأرمن وبعض الدوائر السياسية الأوربية مصطلح (المذابح الأرمنية)، والاختلاف بين التسميتين هو: أن مصطلح (الأزمة) تعني: أن الأحداث التي وقعت آنذاك يتحملها الطرفان وكذلك بعض الأطراف الأخرى وخاصة الدول الغربية، أما إطلاق مصطلح (المذابح) فتعني أن كل المسؤولية تعلق في رقبة الدولة العثمانية، ومن ورائهم الكرد بطبيعة الحال، وكأن الأمر كان مخططاً له ومدبراً، واعتقاداً منا أن المصطلح الأول (الأزمة الأرمنية) هو الأقرب إلى الحقيقة التاريخية لذلك سنستخدمه في دراستنا هذه لا المصطلح الثاني.

هناك، ويعيشون ضمن أسر كبيرة قد يصل عدد أفراد بعض منها بين أربعين إلى خمسين نفر في البيت الواحد، وكانت أرض الوادي الذي يسمى (تالوري-Talori)، وهو الوادي الأرمني، غنية وخصبة وجيدة للرعي. أما بخصوص المنطقة الواقعة إلى الغرب منها-أي من تالوري- فكانت تعرف باسم ساسون الكردية يسكنها المزارعون الكرد، وكان مجتمعهم يهيمن عليه الأغوات الذين هم بالحقيقة رجال الإقطاع، وإلى الجنوب منها قرى كردية، أما العنصر الثالث من السكان فهم الكرد الرحل الذين اعتادوا على الهجرة والتنقل، من منطقة ديار بكر في الصيف، وذلك بحثاً عن المراعي الصيفية^١.

وسكان هذه المنطقة من الأرمن والكرد كانوا معروفين بأنهم لم يخضعوا لسلطة أي دولة أو حاكم عبر تاريخها الطويل، ومرد ذلك إلى طبيعة تضاريس هذه المنطقة الوعرة جداً، ولهذا السبب بقيت هذه القرى منعزلة على حالها، ولم ترتبط بأي إدارة أو جهة رسمية، حتى أنهم لم يكونوا يعرفون شيئاً عن حال الحكم بالدولة أو الحكومات المتعاقبة التي حكمتهم، سواء في الحكومة العثمانية، أو في حكومات الإمارات الكردية، أو حتى عندما كان يموت سلطان عثماني ويأتي غيره، فلم يكونوا يهتمون بذلك كثيراً. والحقيقة أن الأرمن الموجودون في هذه المنطقة كانوا يحترمون ويطيعون الإقطاعيين الكرد، وكانت علاقتهم قوية جداً بالكرد هناك، وكانوا يعيشون مع بعضهم منذ مئات السنين في سلام دائم ومودة كالأقرباء، ولهذا كانت لديهم أسباب كثيرة لإدامة الصلح والسلام بينهم كل تلك العصور^٢.

قال السير (فيليب كيوري-P. Currie) سفير بريطانيا في استانبول (١٨٩٣-١٨٩٨)، في رسالة منه في ١٥ تشرين الأول ١٨٩٤ عن ساسون وسكانها: "إن منطقة ساسون حيث تقع تالوري، هي الجزء الذي تنتشر فيه الجبال، وغير مأهول بالشكل الأكبر من [ناحية] كينج، والذي يوصف بالجزء الأسوأ حكماً في متصرفيات الإمبراطورية، فالأرمن الذين يسكنونه على خلاف أولئك الذين يسكنون المناطق المنخفضة هم عرق نزاع إلى الحرب، وشرس إذ يتعذر تمييزهم عن جيرانهم الكرد، الذين يمارسون سلطة إقطاعية عليهم، ولكن من ناحية الحكم لا يتقنون كاهلهم بفرض الضرائب، بل يطلبون مساعدتهم كمستأجرين في اخذ الثأر، ومحاربة

1. Christopher J. Walker, Op.Cit., P.136-137.

2. MAYÉVSRIY V.T., A.G.E., S.132.

السلطات المحلية، هناك (٣٠٠٠) أرمني في المنطقة و (١٥٠٠) كُردي^١ .
وقعت أزمة ساسون في ١٩ آب ١٨٩٤، واستمرت حوالي ثلاثة أسابيع، حيث انتهت
وقائعها في ١٠ أيلول من العام نفسه، وقد اختلفت الروايات التاريخية في سرد
أسبابها، ووقائعها، ودور الكُرد فيها، وتميزت بين تلك الروايات، الرواية الأرمنية،
والبريطانية، والتركية العثمانية، وللتقرب إلى الواقع أكثر ولمعرفة الحقيقة التاريخية،
نورد أدناه الروايات الثلاثة، لنركز فيما بعد على دور الكُرد في أزمة ساسون بعد
المقارنة بين الروايات الثلاث، هذا إذا ما علمنا أن الرواية الكُردية مفقودة تماماً،
والبداية من الرواية الأرمنية:

اختلفت المصادر الأرمنية، سواء أكانت كُتاباً أم شهوداً على أحداث الأزمة، في
الاتفاق على جميع حيثيات الرواية الأرمنية، إلا أن روايتهم على العموم لم تخرج من
الإطار التالي:

في صيف عام ١٨٩٣، ألفت الحكومة العثمانية القبض على أحد الثوريين الأرمن،
ويدعى (داماديان-Damadian) قرب مدينة موش، لشكوكها في أن أصدقاء هذا الرجل
قد يكونون مختبئين في الجبال، الواقعة إلى الشرق من موش، وإنهم يحاولون القيام
بحركة هناك، وطبقاً لهذه المعلومات أرسلت الحكومة طلباً إلى أحد زعماء الكُرد من
عشيرة بكران، الذي جند رجاله في فرسان الحميدية، من أجل القيام بهجوم على
المنطقة، وبفضل معرفته الجيدة بطبيعة الجبال قام بالتحضيرات اللازمة، وقد حدثت
مناوشات طفيفة بين الطرفين، الأرمني والكُرد، تم فيها الاستيلاء على الحيوانات،
وكان يقتل رجل من حين إلى آخر، مرة من الكُرد وأخرى من الأرمن. وقد تكبد الكُرد
خسارة فادحة في إحدى المواجهات، إذ أنهم خسروا العشرات من رجالهم فيها، بحيث
إنهم لم يعاودوا الكرة مرة أخرى في عام ١٨٩٣، ليتأجل الحسم إلى ربيع عام ١٨٩٤،
حيث قام حاكم موش (تحسين باشا)، بصحبة قوات عسكرية مزودة بمدفعية ميدان
بالانتشار في الجبال، إلا أنهم لم يقوموا بأي هجوم، مفضلين على ما يبدو التفاوض
مع الأرمن، بعدها تقدم الكُرد من كل اتجاه، وقاموا تقريباً بفرض حصار على الوادي
كله؛ ثم قاموا بسرقة الحيوانات، كانت النتيجة عبارة عن معارك عرضية سقط فيها

1. No.277, Sir P.Currie to Earl of Kimberley, THERAPIA, October 15, 1894, IN:
(B.Ş.B.D.O.A), VOL: III, P.386-389.

رجل واحد أو أكثر من كل طرف، في إحدى الحوادث استطاع الكرّد سحب جثتين لاثنتين من رفاقهم قتلا في المعركة، وقاموا بحمل هاتين الجثتين إلى الحكومة في بتليس، وأبلغوها بأن المنطقة كانت مليئة بالرجال المسلحين، الذين يتحدثون سلطة الحكومة، قامت الحكومة بتعزيز الكرّد بالجنود والقوات النظامية، ولكنهم كانوا متخفين بشكل عام، أي يلبسون اللباس الكردي، لكي يبقوا قدر الإمكان على مظهر النزاعات الاعتيادية، التي استمرت لعدة سنوات بين القرويين الأرمن والزعماء الكرّد. وتذكر الرواية الأرمنية أن عدد الكرّد غير النظاميين، الذين ساندوا الجنود الأتراك بلغ حوالي (٣٠٠٠٠) رجلاً، وحدث في حزيران ١٨٩٤ أن قام الأرمن بضرب موظفي الحكومة، الذين جاؤوا لجمع الضرائب، بعد أن تلقوا إهانة منهم، وذكروا لهم بأنهم غير مستعدين لدفع الضرائب مرتين، للكرّد وللحكومة أيضاً، كما كان هناك بعض الجنود بصحبة هؤلاء الموظفين، لمحاولة القبض على بعض نبلاء الأرمن، إلا أنهم ردوا على أعقابهم، لذلك قادت القوات الحكومية العثمانية تصحبها قوات من الحميدية، هجوماً عنيفاً على وادي تالوري، بحيث سوت الكثير من القرى فيها بالأرض، ولم تفرق القوات المهاجمة بين رجل وامرأة وطفل، وقد قاموا بذبح الجميع وان العدد الإجمالي للقتلى الأرمن كان ما بين (٨٠٠٠) إلى (١٠٠٠٠) شخصاً^١.

هذه الرواية هي التي روّجتها، على وجه الخصوص الأحزاب الأرمنية في كل من أوروبا وأمريكا، كما أن هناك تفاصيل كثيرة في هذه الرواية بشأن الأفعال التركية والكرّدية في القرى الأرمنية، ويجب التذكير هنا أن هناك اختلافاً بسيطاً فيما يتعلق بالرواية الأرمنية من قبل الشهود الأرمن، والمقالات المنشورة في الصحافة العالمية، غير أنه يمكن عدّ هذه الرواية بمثابة الخط العام المتفق عليه من الأحزاب والمنظمات الأرمنية آنذاك، بل حتى الآن.

أما الرواية البريطانية فقد جاءت نوعاً ما مؤيدة للرواية الأرمنية، ومما يؤخذ على القناصل البريطانيين في كرّدستان عند إجراءهم التحقيق بشأن أحداث ساسون أنهم

1. AN ARMENIAN, ARMENIAN AND HER PEOPLE, HARTFORD, 1896, P.208-215 and 239-265; W. J. WINTLE, ARMENIA AND ITS SORROWS, LONDON, 1896, P.65-81; EDWIN MUNSELL BLISS, Op.Cit., P. 368-372; François Surbezy, Les Affaires d'Arménie et l'Intervention des Puissance Européennes (de 1894 à 1897), Université de Montpellier- Montane, 1911.

استمعوا للرأي الأرمني فقط، ولم يرد في تقاريرهم إلى سفارتهم في استانبول كونهم تحدثوا مع أي كُردي طيلة سنوات التسعينات من القرن التاسع عشر، في حين إنهم التقوا بعشرات الأرمن واستقوا منهم معلوماتهم، وقد قام البريطانيون بإرسال عشرات التقارير إلى سفارتهم في استانبول عن أزمة ساسون، ولكن التقرير الشامل، الذي بيّن تفاصيل تلك الأزمة حسب وجهة نظرهم، كان تقرير القنصل البريطاني في ارضروم غرافيس، الذي بعثه إلى السفير البريطاني في استانبول فيليب كيوري في ٢٧ كانون الأول ١٨٩٤، وفيما يلي النص الكامل للتقرير:

يقول غرافيس:

"على الرغم من أن الحكومة [العثمانية] لم تكن مدركة بوجود عدد من المحرضين السياسيين في منطقة ساسون، قبل أربع أو خمس سنوات، إلا أن اهتمامها الجدي تركز على حقيقة الأمر، في بداية حزيران عام ١٨٩٣ عندما لقت القبض على داماديان، المحرض الأرمني قرب موش وأرسلته إلى بتليس، حيث بقي هناك لعدة شهور؛ ثم أُرسِل لاحقاً إلى استانبول، إذ من المفترض أنه قدم اعترافات بخصوص التحريض على الفتنة والعصيان، في ساسون والأماكن الأخرى؛ ثم أُطلق سراحه بعد ذلك أو سُمح له بالهرب.

في تموز عام ١٨٩٣ حدثت عداوات بين الكُرد بتحريض من شيخ زيلان، والقرى الأرمنية في ناحية تالوري، ويبدو أن العشائر الكُردية المشتركة في هذا النزاع كانت بشكل رئيسي من العشائر البدوية من بوتان، ودياربكر، وبالتحديد قبائل (الباديكانلي-Badikanli)، و(البكرانلي-Bekiranli)، و(الراشكوتانلي-Rashkotanli)، الذين اعتادوا على قضاء فصل الصيف في جبال ساسون وموش، إلا أنهم قبل وقت مضى منعوا من القيام بذلك، بسبب تصرفهم غير القانوني والجامح، إذ اعتادت إحدى الكتائب العسكرية التركية على المرابطة في فصل الصيف عند منطقة (كاب الجيفس - Kab-il-Jevs) في ساسون لحفظ النظام.

انسحب الأرمن من تالوري إلى إحدى الحاميات، التي أعدوها لهذا الغرض، واستطاعوا أن يحموا أنفسهم بنجاح بوجه هجمات الكُرد، الذين انسحبوا في نهاية المطاف باتجاه الجنوب، إلى حيث ملاذهم الشتوي. قام حاكم (كنج-Gendj) مصطفى باشا- الذي وصل فيما بعد إلى موقع الحدث مع الضباط والجنود- باعتقال بعض

الأرمن البارزين وتسفيرهم إلى بتليس، وأبلغ بأن أهالي تالوري يقومون بتمرد ضد الحكومة، بقى القسم الأكبر من الأرمن داخل حاميتهم، حتى انتهى فصل الشتاء وانسحبت القوات. بعد مدة قصيرة من ذلك، أُقيل مصطفى باشا، ويعتقد أنها جاءت بعد مراسلة بين سوري باشا والي ديار بكر والباب العالي، بحيث عبر سوري باشا عن رأيه بكل حرية عن سلوكه السيئ، ثم جاء بعده ليخلفه إبراهيم كمال باشا من ماردين، الذي يتمتع بسمعة سيئة خلال عمله كحاكم لبايزيد قبل ذلك...

وقد كان من المفترض بعد هذه التجربة أن تقوم السلطات في بتليس بمنع دخول الكُرد والبدو إلى ساسون مخافة أن تتجدد هجماتهم على تالوري. ومع ذلك، سمحت لهم بالدخول وبعد مدة قصيرة من ذلك قاموا بإعمال عدوانية صغيرة ضد الأرمن، ومن المقرر أن تستفيد سلطات بتليس منهم، من أجل كسر قوة الأرمن في ساسون، والتي كانت إساءاتهم تتمثل بـ:

١-إنهم[أي: الأرمن] لم يدفعوا الضرائب إلى الحكومة، بل كانوا يدفعونها لجيرانهم الكُرد الذين كانوا عبيداً لهم في أراضيهم.

٢-إنهم كانوا ملاذاً لعدد من المحرضين السياسيين على التمرد والفتنة، من أمثال داماديان حيث من المحتمل أن قام الأخير بالوشاية بهم، على أنهم مستعدون للقيام بتمرد ضد الحكومة.

٣-إن الوجهاء منهم كانوا قد تملصوا من الحضور أمام والي بتليس، عن طريق رفضهم الدائم لدعوته المشددة للمثول أمامه في تلك المدينة، ومن المؤكد على ما يبدو أنها كانت لكسب الثقة، ولقمع أي تمرد خطير، وفي نفس الوقت من أجل تغطية آثار سوء إدارته، قرر تحسين باشا في البداية الضغط على الكُرد لتدمير القرى في ساسون، فإذا ما فشلوا بعد ذلك فإنهم سيطلبون المساعدة من القوات الإمبراطورية لإكمال دمارها.

في بداية هذا الصيف[صيف عام ١٨٩٤] أرسل قائمقام (كولب-Koulp) لجباية الضرائب من ناحية تالوري، عندما أعلن الأهالي أنهم مستعدون لدفع الضرائب الحكومية إذا ما قامت الحكومة بحمايتهم من الكُرد، الذين يفرضون عليهم الضرائب، إلا أن ذلك كان يبدو مستحيلاً عليهم للقيام به، وعندها انهال عليهم بالسب والشتم وإساءة المعاملة، مما أدى إلى فقدانهم ضبط النفس، فهجموا عليه وانهالوا عليه

بالضرب المبرح، وطردوه مع الضبطية الذين معه خارج المنطقة، فقام بالإبلاغ عن أن تمرداً مسلحاً قد حدث ضد الحكومة، وعليه يجب تهيئة قوة عسكرية كبيرة لتأديبهم، وبالفعل أرسل العثمانيون (٣٠٠) جندي وضابط إلى موقع الحدث، فانسحب الأرمن إلى حامياتهم، وامتنع ضباط القيادة من مهاجمتهم، ومن المحتمل في نفس الوقت أي في نهاية حزيران عام ١٨٩٤، تجاهل بعض وجهاء (غيليكوزان-Ghelieguzan) [ناحية ارمنية] دعوة الوالي تحسين باشا إلى بتليس، وقام قرويون مسلحون في الناحية نفسها بملاحقة قوة عسكرية صغيرة كانت قد اعتقلت خمسة من سكان الناحية واستطاعوا أن ينفذوا أربعة سجناء منهم.

إن الكُرد الرُّحل من الجنوب، الذين يمرون بهذه الظروف الحرجة، وغير المسموح لهم بالدخول إلى المنطقة، قاموا هذه السنة بإظهار عداواتهم، لا سيما للأرمن الذين كانوا قد تصدوا لهم في عام ١٨٩٣، وعلى ما يبدو فإن في بداية شهر آب قاموا بشن هجوم على قرى صغيرة، في منطقة (شاتاخ-Shatakh)، واختلفت في هؤلاء الكُرد هل هم من كُرد البكرنالي أو كُرد خيان في منطقة كينج. استولوا خلالها على ما يقارب (٢٠٠) رأس غنم، فقام الأرمن بملاحقتهم فقتل بعض الكُرد في معركة أعقبت ذلك، ثم جاء الكُرد إلى موش وقدموا شكوى إلى المتصرف، فقام والي بتليس على الفور باتخاذ إجراءات موسعة، وغير متكافئة مع ما ستواجهه بأكبر أشكالها من أجل الانتقام منهم، بحجة أن الأرمن في ساسون هم في تمرد مفتوح الآن، حسب ما تعتقده الحكومة المركزية وحسبما يظهر، فاستدعت بسبب ذلك الاحتياط من الفرقة السابعة، وتمركزت القوات في موش وبتليس قادمة من ارزنجان، وأرضروم، ووان، وخربوط، ومن حاميات أخرى، في حين قام الوالي بتشجيع الكُرد المعروف الشيخ محمد-أغا عشيرة البكران- على حشد جماعة من الكُرد غير النظاميين للتعاون مع القوات.

بدأت العمليات العسكرية الفعلية في التاسع عشر من شهر آب، يبدو أنها كانت محددة بشكل رئيسي على مجموعتين من القرى، التي يسكنها الأرمن بشكل كامل تقريباً في ناحية تالوري، وناحية شاتاخ... واجهت القوات العثمانية -على ما يبدو- مواجهة مقاومة شرسة في المنطقة المذكورة أولاً، في البداية اندفع الكُرد نحو الأمام للمهاجمة وتم صدهم، كما حصل لهم في السنة الماضية، عندها تدخلت القوات النظامية، فالأرمن الذين رأوا عدم الجدوى من أي مقاومة أخرى، حُوصروا وذُبحوا بدم بارد.

في منطقة شاتاخ، من ناحية أخرى، لم يكن هناك على ما يبدو أي مقاومة أرمنية تقريباً، للقوات التي دخلت إلى القرى بكل هدوء، بحجة حمايتهم من الكُرد، وبعد ذلك قامت بذبح السكان، بدون تمييز تحت حالات التمرد من التعذيب والانتهاك.

ويقال إن اثنتين وثلاثين قرية دُمّرت وقتل ما بين (٣٠٠٠) إلى (٤٠٠٠) شخص خلال مدة ثلاثة وعشرين يوماً، والتي انتهت في العاشر من أيلول عندما ظهر المشير زكي باشا على مسرح الأحداث، ووضع حداً لارتكاب مجازر أخرى، بتسلمه القيادة من العقيد توفيق بيه وإسماعيل بيه، اللذين توليا مسؤولية العمليات، واللذين كانت تقع على عاتقهما مع والي بتليس ومساعديه مسؤولية ما جرى، إلا إذا اتضح أنهم كانوا يتصرفون على وفق أوامر صادرة إليهم من جهات عليا^١.

إن السياسة البريطانية على ما يبدو اعتقدوا أن هذا التقرير هو الأقرب إلى الحقيقة، وفق ما آلت إليه تحقيقاتهم المستمرة حول أسباب وتطورات الأزمة في ساسون، إن الرواية البريطانية قد بينت جانباً من الحقيقة، ربما عند مقارنتها مع الرواية العثمانية الآتية قريباً تتبين الحقيقة الواقعية بشكل أفضل، وتوضّح دور الكُرد الفعلي في تلك الأحداث، جاءت الرواية العثمانية لتفسير وقائع الأزمة على لسان وزير خارجيتها سعيد باشا، في رسائله المتكررة إلى السفير البريطاني ووزير خارجيتها، وكان سعيد باشا قد استقى معلوماته من تقارير المسؤولين المدنيين، والعسكريين العثمانيين العاملين في كُردستان، والقرييين والمشاركين في أحداث ساسون.

قال سعيد باشا في رسالته المؤرخة بتاريخ ٢٠ تشرين الأول ١٨٩٤، للسفير البريطاني ما يلي:

"إن الثوري المشهور داماديان الذي لا يمكن نسيانه، والذي كان من أهالي هاتشيم ضمن ولاية أضنة قد حضر محاضرات في المدرسة المدنية للطب لمدة ثمان سنوات، وقد شارك في شجار كوم كابي، وعندما كانت الشرطة تبحث عنه نجح في الهرب إلى أثينا حيث ذهب من هناك إلى جنوا. وعن طريق التنكر...نجح فيما بعد في الوصول إلى تالوري، عن طريق الأسكندرون ودياربكر، التي اعتقل فيها أخيراً، عندما كان يتهيأ لارتكاب جرائم جديدة، تواصلت أعمال هذا الثوري من قبل شخص يدعى هامبارسم

1. Inclosure I in No.345, Consul Graves to Sir P. Currie, ERZEROUM, December 27, 1894, IN: (B.Ş.B.D.O.A), VOL: III, P.478-481.

اتخذ لنفسه لقب (مراديان-Mouradian)، فهو لم يكتف بتحرير الأرمين على التمرد بواسطة الكلام فقط، بل حثهم على مهاجمة مدينة موش، والاستيلاء على الأسلحة والذخيرة من المخازن العسكرية، وارتكاب مجازر بحق المسلمين الذين قد يواجهونهم في الطريق؛ ثم ادعى انه أوربي وتبجح بأنه يستطيع جلب قوات من انكلترا بواسطة مناطق لمساعدة أبناء جلدته، إذا ما وقفوا بوجه السلطات، مؤكداً لهم بأن تمردهم سوف يحظى بالمساندة في كل مكان، فقد نجح في تحرير السكان الأرمين في حوالي عشرة قرى، في جزء من البلد للقيام بثورة، وهكذا شكل عصاة مسلحة ببنادق البيردون ناعمة الماسورة، وبنادق ذات زناد مصون وخناجر... وفؤوس وأسلحة أخرى؛ ثم قام معهم بمهاجمة عشيرة فليكيان [الكردية] في نهاية شهر تموز الماضي [١٨٩٤]، إذ قتل بعضاً منهم ونهب وسلب آخرين؛ ثم انطلق بعد ذلك في هجومه نحو عشيرة بيكران وباديكيان [الكرديتان] ثم قام بأسر حاجين ابن أخت عمر آغا، أحد زعماء أول عشيرة من تلك الاثنتين [بيكران] فملاً معدته ببارود البنادق؛ ثم قام بإحراقه، أما النساء المسلمات فلم يسلمن منه في قرية غيليكوزان، الذي قام باغتصابهن ثم قتلهن بطريقة تقشعر لها الأبدان، كانت معاملته للرجال قاسية بشكل متساوٍ، إذ قام بلف الحبال على رقاب بعض منهم، وسلخهم في الشوارع كما قطع أذان بعضاً آخر.

وابتهجاً بإعمالها الوحشية هتفت هذه العصابات بأعلى أصواتها بإهانات ضد دين الدولة كما اخذوا يصيحون بالهتافات ابتهجاً بملكهم الملقب محلياً-وهو مراديان-.

في هذا الوضع الباعث على الأسف لم تقف الحكومة مكتوفة الأيدي لأداء واجبها، فبفضل الإجراءات الحكيمة التي تبنتها استطاعت من دحر هذه العصابات الثورية، فتم اعتقال كل من هامبارسم وميغيريكيان وقس كنيسة كيزل، الذي تبين انه كان مشتركاً في الجرم مع هامبارسم وداماديان، مع مساعدتهم وسلموا إلى السلطات القضائية. أما النساء والأطفال الذين اختطفوا، وسجنوا داخل أحد الكهوف، فقد أُطلقت سراهم، وأرسلوا إلى قراهم، باختصار أعيد الأمن، ولم يبق شيء سوى معاقبة الأشخاص المذنبين بعد أن تتم محاكمتهم^١.

١. ينظر، نص الوثيقة باللغتين الفرنسية والانكليزية، في:

-No. 278, Sir P.Currie to the Earl of Kimberly, THERAPIA, October 20, 1894, IN:

(B.Ş.B.D.O.A), VOL: III, P.390-392.

وفي موضع آخر يقول سعيد باشا في رسالة أخرى بعثها إلى السفير البريطاني تحمل تاريخ ١٥ تشرين الثاني ١٨٩٤، عن أزمة ساسون، ما يلي:
"قام بعض المتمردين الأرمن- المزودين بأسلحة من الخارج- بارتكاب اعتداءات، وقد انضموا إلى صفوف بعض الكرد المتمردين، فأحرقوا ودمروا قرى المسلمين الواقعة في هذه الأجزاء، ولإعطاء فكرة عن قساوة تلك العصابات الأرمنية فإنه يكفي القول إن من بين أعمالهم الأخرى هو حرق أحد المسلمين وهو حي بعد أن أدخلوا متفجرات في معدته.

جرى إرسال بعض القوات النظامية إلى مكان وقوع الحادث، ومعها أوامر بحماية السكان الأمنيين من كل أعمال النهب والسلب هذه، وعلى عكس الافتراءات التي أشيعت بخصوص الحملة العسكرية، فالجنود لم يقوموا فقط بحماية واحترام الجزء المطيع من السكان والنساء والأطفال، بل إنهم أعادوا الأمن والهدوء العام- في إطلاق الولاء للواجب- بحيث نال رضا السكان المسالمين. ويزعم أن الكرد استولوا على أثاث وحاجيات وماشية الأرمن الهاربين، ومثل هذه الأمور هي ليست القضية، فقطاع الطرق هم من قاموا بحملها إلى الجبال قبل مشاركتهم في التمرد، وحملوا مسؤوليتها أصدقاهم الكرد. ليس صحيحاً بأن عدداً من النساء الأرمنيات اختطفهن الكرد، فتلك النساء من أسر قطاع الطرق المذكورين آنفاً، ذهبن بأنفسهن طوعاً إلى الكرد المتمردين.

وفيما يخص قرى الأرمن، التي يقال إنها قد دُمرت، فالقرى المقصودة كانت في الحقيقة لأولئك المتمردين الأرمن، والتي كانوا قد أقاموا بإخلائها قبل التحاقهم بأعمال اللصوصية وقطع الطرق، وفيما يخص البيانات في أحد التقارير، والتي تقول إن الأرمن مضطهدين، ويسوء معاملتهم بعض الكرد من عشيرة (بكرانلي)، ما هي إلا محض افتراء، وعلاوة على ذلك فإن الرجل الذي قام الأرمن بإحراقه وتعذيبه هو من العشيرة المذكورة^١.

قبل الدخول في مقارنة بين الروايات الثلاث، واستخراج الدور الكردي منها، من الضروري هنا التطرق إلى تقرير اللجنتين العثمانية والأوروبية، بعد التحقيق في أمر أزمة ساسون، وما جاء فيهما، وما هي النتيجة التي توصلت إليها اللجنتان، بعدها

1.No.291, Sir P. Currie to the Earl of Kimberly, CONSTANTINOPLE, November 15, 1894, IN: (B.Ş.B.D.O.A), VOL: III, P.406-407.

مقارنة الروايات الثلاث مع نتيجة التحقيقات التي تمت بخصوص هذه الأزمة، للتوصل إلى الحقيقة التاريخية قدر المستطاع، وبيان الدور الكردي في تلك الأزمة. فإثر اندلاع أزمة ساسون قامت الأحزاب والمنظمات الأرمنية في أوروبا وأمريكا بإثارة ضجة إعلامية كبيرة وواسعة ضد الدولة العثمانية وسلطانها و ضد الكردي أيضاً، ونشرت الصحف الأوربية وخاصة الانكليزية منها وكذلك الصحف الأمريكية^١ مقالات عديدة تتناول مذابح ساسون، بل حتى أن بريطانيا كانت تريد أن تتدخل عسكرياً في الأمر، إلا أن روسيا وفرنسا حالتا دون ذلك- سيأتي الحديث عن الموقف الدولي لاحقاً- واثراً الضغط الأوربي على الدولة العثمانية اضطرت إلى تكليف لجنة تحقيق للبت في أزمة ساسون، ولمعرفة الحقائق والأسباب التي أدت إلى اندلاعها، وهل حدثت فعلاً مذابح بحق الأرمن فيها؟ ومن يتحمل مسؤوليتها؟ وكم هي حجم الخسائر البشرية والمادية؟ ولكن لمعرفة الدول الأوربية مسبقاً أن التحقيق العثماني سيكون بطبيعة الحال منحازاً. لذلك بادرت بريطانيا بعد الحصول على موافقة كل من فرنسا وروسيا، بالضغط على الحكومة العثمانية، بضرورة تشكيل لجنة تحقيق أوربية، بجانب لجنة التحقيق العثمانية، سيكون الدول الأعضاء فيها، هي الدول الأوربية الثلاث التي لها قنصليات في ارضروم، وهي (بريطانيا، وروسيا، وفرنسا)، وبعد جدال عنيف بين الطرفين وافقت الحكومة العثمانية، على تشكيل لجنة تحقيق أوربية، تحقق في أزمة ساسون وتبقى قدر الإمكان ملازمة للجنة التحقيق العثمانية، وقد سميت هذه اللجنة بـ(لجنة القناصل)^٢.

شكلت الحكومة العثمانية لجنتها للتحقيق برئاسة الجنرال عبد الله باشا، وهو قائد في الجيش العثماني، ومقرب إلى السلطان عبد الحميد الثاني، وكانت بعضوية كل من عمر بيك، وكان يشغل منصب مدير صندوق الادخار، ومجيد أفندي وهو السكرتير

١. حول تأثير وقائع الأزمة الأرمنية في مجمل سنوات التسعينات من القرن التاسع عشر، على العلاقات العثمانية الأمريكية، وأحوال الإرساليات التبشيرية الأمريكية في شمال كردستان أثناء تلك الأزمة ينظر:

-James Eldin Reed, American Foreign Policy: The Politics of Missions and Josiah Strong 1890-1900, Church History, Vol. 41.No. 2, Jun., 1972, P. 230-237.

٢. ينظر:

-KAMURAN GÜRÜN, Op.Cit., P.180-181; L'Abbè Eugène GRISELLE, UNE VICTIME PANGERMANISME L'Arménie Martyre, PARIS, 1916, P.19-22.

الأول لمكتب سكرتارية الوزارة الملكية الداخلية، وحافظ توفيق باشا قائد في رئاسة الأركان^١.

صاحبت لجنة القناصل اللجنة العثمانية للتحقيق، وكان الممثل البريطاني فيها هو (اتش.أس.شيلي-H.S.Shipley)، والممثل الفرنسي هو المسيو (م.فيلبرت-M.Vilbert) والممثل الروسي كان (م.بيرفالسكي-M.Prjevalsky)^٢، غادرت اللجنة العثمانية استانبول في ٢٧ تشرين الثاني^٣، ووصلت إلى موش في ١٩ كانون الأول ١٨٩٥^٤؛ ثم تبعتها لجنة القناصل بعد حصولها على الموافقة الرسمية من الباب العالي في ١٦ كانون الأول ١٨٩٤^٥.

قامت اللجنة العثمانية بإجراء بعض التحقيقات اللازمة، واستمعت إلى الشهود، وبعد عدة أشهر أصدرت تقريرها الذي اتهمت فيه الأرمن، بأنهم هم وحدهم المسؤولون عن أزمة ساسون، حيث اتهمتهم بصورة رسمية بأنهم هم من أحرقوا كنائسهم وقراهم، من أجل خلق صعوبات ومشاكل للدولة العثمانية، وأنهم يتحملون كل ما آلت إليه تلك الأزمة^٦، وقدرت اللجنة العثمانية عدد الأرمن الذين قتلوا في المواجهات مع الجيش العثماني بحوالي (٢٦٥) أرمنيا^٧.

1. No.209, Saïd Pacha, Ministre des Affaires Etrangères Ottoman, à Rustem Pacha, Ambassadeur Ottoman à Londres, CONSTANTINOPLE, le 26 November 1894, IN: (B.Ş.D.D.O.A.A), VOL: II, P.293-294.
2. Annexe 3 au No. 351, Extrait du "Standard" du 22 December 1894: THE ARMENIAN QUESTION(FROM OUR CORRESPONDENT)CONSTANTIOPLE, Friday Night, IN: (B.Ş.D.D.O.A.A), VOL: II, P.484-486.
- 3.No.211, Saïd Pacha, Ministre des Affaires Etrangères Ottoman, à Rustem Pacha, Ambassadeur Ottoman à Londres, CONSTANTINOPLE, le 27 November 1894, IN: (B.Ş.D.D.O.A.A), VOL: II, P.295.
- 4.No.209. Saïd Pacha, Ministre des Affaires Etrangères Ottoman, à Rustem Pacha, Ambassadeur Ottoman à Londres, CONSTANTINOPLE, le 26 November 1894, IN: (B.Ş.D.D.O.A.A), VOL: II, P.293-294.
5. Annexe 3 au No.318, Article de fond L' "Observer" du 16 december 1894, IN: (B.Ş.D.D.O.A.A), VOL: II, P.428-430.
6. REPONSE AU MEMOIRE DE LA SUBLIME-PORTE EN DATE DU 12 FEVRIER 1919, CONSTANTINOPLE, 1919, P.7; GUENTER LEWY, The ARMENIAN MASSACRES in OTTOMAN TURKEY: A Disputed Genocide, Salt Lake City, 2005, P.20.
- 7.GUENTER LEWY, Op.Cit., P.20.

هنا لا بد من التذكير بأن نتائج اللجنة العثمانية لم تخرج عن ما قاله وزير الشؤون الخارجية في الدولة العثمانية، سعيد باشا، في رسائله المتكررة إلى سفارات الدول الأجنبية في استانبول، وإلى وزرائها مباشرة بعد وقوع الأزمة، وكما تطرقنا إليها سابقاً.

يبدو أن التقرير الذي أصدرته لجنة القناصل الثلاث في ٢٠/٧/١٨٩٥، في موش، كان أكثر حيادياً من تحقيق اللجنة العثمانية، ولكن قبل سفر لجنة القناصل إلى ساسون، كانوا قد استلموا مهامهم في لجنة التحقيق، والتي كانت بمثابة خطة عملهم للوصول إلى الحقائق قدر الإمكان، فعلى سبيل المثال، وجه القنصل البريطاني في ارضروم غرافيس، تعليمات لممثل بريطانيا في لجنة القناصل المستر شبلي في ١٦ كانون الثاني ١٨٩٥، لغرض توجيهه، وكانت تنص على ما يلي:

١- لبيان ما إذا حدثت هناك مجزرة بحق السجناء والرجال غير المسلحين والنساء والأطفال، ومن الذي قام بارتكابها. أهى القوات النظامية، أم القوات غير النظامية الكردية؟
٢- إذا ما حدثت مثل هذه المجزرة فهل كانت بعلم وموافقة القادة العسكريين في موقع الحدث والسلطات المحلية؟ ومن هم أولئك القادة المذكورين. ومن كان يمثل السلطات المذكورة.

٣- إذا ما كانت القضية كذلك فمن الذي خول القادة والسلطات المحلية للقيام بذلك؟ وهل حصلوا على الأوامر من القائد المشير المسؤول أم من الحكومة المركزية؟

٤- إذا ما تم إصدار مثل هذه الأوامر العليا، فهل كانت تقارير السلطات المحلية والضباط العسكريين مبنية على حقائق، سواءً أنها أثبتت أن الأرمن في ساسون كانوا في تمرد مسلح ضد حكومة جلالة السلطان، أم كانت مجرد القيام بالدفاع عن النفس ضد الكرد.

٥- هل تصرف والي بتليس- بعد أحداث تالوري في العام الماضي- بالتعقل المطلوب، أم اتخذ الإجراءات الاحترازية المعقولة لمنع حدوث صراع بين الكرد والأرمن، وسفك الدماء التي لا ضرورة لها؟

٦- إذا ما كان سعاده قد سمح بجمع الحشود الكبيرة من الكرد المسلحين، باشتراكهم في قمع التمرد المزعوم، فهل كان لديه ما يسوّغ له ذلك؟...^١.

1. No.365, Sir P. Currie to the Earl of Kimberley, CONSTANTINOPLE, January 16, 1895, IN: (B.Ş.B.D.O.A), VOL: III, P.501-502.

عملت اللجنة الأوربية لحوالي ستة أشهر في التحقيق بشأن تلك الأزمة، وكانوا في تلك المدة يبعثون ببرقيات ورسائل إلى سفرائهم يتحدثون فيها عن سير التحقيقات الجارية، ومنها على سبيل المثال، والمتعلقة بالكرد، الخبر الذي نشرته جريدة نيويورك تايمز، في عددها الصادر بتاريخ ١٦/٣/١٨٩٥، والمتعلقة بشهادة القس الأرمني (هاشادور-Hatchdoor) وابنه للقناصل، حيث قالوا: "إن الجندمة قد أمرهم بتوقيع وثيقة، لإلقاء تبعة المذبحة على الكرد، وتبرئة الأتراك من أي نقد، إلا أن القس رفض القيام بذلك، مما دفع الجندمة بوضع مئذونات محمية حول رقبته"^١، وفي رسالة المندوبين الثلاثة إلى سفرائهم في ٢٠ نيسان ١٨٩٥، تم تأكيد هذا الأمر من شاهد أرمني آخر، قال القناصل: "...استدعينا في هذا اليوم (هيبو-Hebo) من (شينك-Shenik) وهي قرية [أرمنية] فذكر بأن رئيس الجندمة هدده بالموت إذا هو اتهم الجنود بدلاً من الكرد بقتل الأرمن، وأنه بواسطة نادر أغا، والمفتي الذي كان يقوم بدور المترجم استلم توصية مماثلة من المتصرف بحضور الباشا وسكرتير اللجنة، كما أنه سيعزو-في اعترافاته- حرق القرى إلى الكرد وليس إلى الأتراك"^٢.

عقدت لجنة القناصل مئة وسبعة جلسات، استمرت من ١/٢٤ ولغاية ٧/٢٠/١٨٩٥، وهو اليوم الذي أصدرت فيها تقريرها النهائي وانتهى رسمياً بذلك عمل تلك اللجنة^٣. سنحاول هنا قدر الإمكان اقتباس نصوص عديدة من هذا التقرير، والمتعلقة بالكرد، وذلك بسبب أن الحكومة العثمانية لم تأخذه على محمل الجد كثيراً، لأن التقرير قد اتهم السلطات العثمانية بأنها هي التي تتحمل جزءاً كبيراً من أحداث أزمة ساسون، وأيضاً هاجمته الأحزاب والمنظمات الأرمنية آنذاك، وكذلك الكتاب الأرمن فيما بعد، لأن

١. ينظر، النص الأصلي للخبر، في:

-Richard Diran Kloian, From The Armenian Genocide: News Accounts from the American Prss 1915-1922, Via at: (<http://www.teachgenocide.com.The%20New%20York%20Times%20>).

2.W. J. WINTLE, Op.Cit., P. 80.

٣. ينظر النص الأصلي لتقرير لجنة القناصل الأوربيين باللغتين الفرنسية والانكليزية في:

-Inclosure in No.-59, Reprt of the Consular Delegates attached to the Commission appointed inquire into the Events at Sasun, IN: (B.Ş.B.D.O.A), VOL: IV, P.73-102; L'Abbè Eugène GRISSELLE, Op.Cit., P.21-24.

٤. ينظر مثلاً:

- W. J. WINTLE, Op.Cit.,P.72-81.

التقرير لم يبرئ ساحة الأرمن تماماً، ولم يتحدث عنهم كأنهم كانوا مساكين وفقراء وبعيدين عن المشاكل وأنه بلمح البصر، ودون سابق إنذار قام الأتراك والكرد بمهاجمتهم وذبحهم، كما بينت تقاريرهم هذا الأمر في الصحف الأوربية في تلك الأوانة^١، ولذلك لا تكاد ترى في المصادر الأرمنية والغربية المنحازة، بطبيعة الحال إلى الأرمن، وحتى في المصادر التركية إشارات واضحة إلى تقرير هذه اللجنة، وإنما أشير إليه ضمن فقرات قصيرة جداً، وفيما يلي مختصر عن تقرير لجنة القناصل:

قسمت اللجنة تقريرها إلى فصلين اثنين، في الفصل الأول تناولت أربعة محاور وهي على النحو التالي:

- ١- مسح البلاد. (أي دراسة جغرافية ساسون).
 - ٢- علاقة الكرد والأرمن. (باعتبارهما العنصران الوحيدان فيها).
 - ٣- تقرير حول أحداث ساسون عام ١٨٩٤. (ويُبحث فيه عن تاريخ ساسون، وأهم الحوادث التي وقعت فيها بين الكرد والأرمن حتى اندلاع الأزمة).
 - ٤- ظروف التحقيق. (أهم الصعوبات التي واجهت اللجنة خلال التحقيقات).
- أما الفصل الثاني فحمل عنوان (حوادث القتل والعصابات والأعمال غير القانونية، التي تعزى إلى الأرمن خلال صيف عام ١٨٩٤)، وقد احتوت على المحاور الآتية:
- ١- أعمال السرقة والعصابات والقتل الموجه ضد الكرد.
 - ٢- أعمال العصيان والتمرد من جانب الأرمن تجاه الحكومة: الأعمال الأخرى باعتبارها تحضيرية للتمرد.

١. ينظر:

- No. 124, Rustem Pacha, Ambassadeur Ottoman à Londres, à Saïd Pacha, Ministre des Affaires Etrangères Ottoman, LONDRES, Le 25 Septembre 1894, IN: (B.Ş.D.D.O.A.A), VOL: II, P.200-201; No. 151, Rustem Pacha, Ambassadeur Ottoman à Londres, à Saïd Pacha, Ministre des Affaires Etrangères Ottoman, LONDRES, Le 12 November 1894, IN: (B.Ş.D.D.O.A.A), VOL: II, P.232.

في الفصل الأول وتحت عنوان (مسح البلاد) سلط القناصل الثلاثة الضوء على تفاصيل دقيقة بخصوص تضاريس منطقة موش وسكانها بشكل عام، ويتناول هذا المحور تفاصيل دقيقة فيما يخص تضاريس ساسون وأهم قرأها والتجمعات السكانية فيها¹.

وبعد ذلك درسوا العلاقات بين سكانها من الكُرد والأرمن في المحور الثاني والذي حمل عنوان (علاقات الكُرد والأرمن)، تحدث القناصل بشيء من التفصيل عن هذه العلاقة، فبعد الحديث عن المراعي الخصبة في هذه المنطقة، والزراعة ومناجم الحديد فيها، قالوا عن علاقة الكُرد بالأرمن: "إن السكان الأرمن الذين يسكنون هذا الجزء من ولاية بتليس يحيط بهم عدد كبير من القرى الكُردية، من جانب ساسون وخيان وكالب، وفي موسم الصيف تأتي العشائر الكُردية شبه المستقرة، وخاصة عشيرة بيكران وباديكان...يأتي هؤلاء الكُرد من اتجاه ديار بكر وسليمان، إلى جبال اتسوفاسار وانطوك وكورتيك داغ...وذلك لرعي قطعانهم، والفضل يعود إلى القرى الأرمنية، وإلى الأرض، وكذلك إلى الخصومة والتنافس الموجود بين الكُرد أنفسهم، من سكان كافار وتالوري، حيث كانوا قادرين على الإبقاء على علاقات جيدة مع جيرانهم وزوارهم الكُرد، وإنهم يعيشون-مثلما يستعمل التعبير لشاهد عيان- (كالإخوة في الأرض والماء)، وإن الصعوبات والمشاكل التي تنشأ بينهم تعزى إلى سرقات الماشية، وإلى الاختطاف الذي ينتهي دائماً بالتوصل إلى تسوية ترضي الطرفين"²؛ ثم يتناول التقرير ضريبة (الكريف-Hafir) التي سادت في المجتمع الكُرد، بعد سقوط الإمارات الكُردية، يقول القناصل: "ويجب أن نضيف إذا كانت علاقة الكُرد مع الأرمن ذات صفة مقنعة فإن سبب ذلك أن الأرمني، لكي يكسبوا جانب الأمان، والمساعدة، والحماية، من الأغوات الكُرد عند الحاجة، فإنهم كانوا يدفعون لهم مدفوعات سنوية، وذلك بنسبة تنسجم مع مواردهم، والتي تعرف بـ(هافير) [الصحيح هو كريف] حيث تتضمن نسبة معينة من الحبوب، والماشية، والفضة، فضلاً عن مواد أخرى مثل، الملابس، والمواد الزراعية، وعندما يتم زواج ابنة فلاح أرمني فإن الأغا وباسم (هالا-Hala) وهو اسم

1. Inclosure in No.59, Reprt of the Consular Delegates attached to the Commission appointed inquire into the Events at Sasun, IN: (B.Ş.B.D.O.A), VOL: IV, P.93-95.

2. Inclosure in No.59, Reprt of the Consular Delegates attached to the Commission appointed inquire into the Events at Sasun, IN: (B.Ş.B.D.O.A), VOL: IV, P. 95.

ضريبة] يدفع إليه نصف المبلغ الذي يدفعه العريس إلى والد العروس، وذلك حسب التقاليد"، ويتابع القناصل في إلقاء مزيد من الضوء على علاقة الشعبين في ساسون، بقولهم: "تعتمد كل قرية وبيت [أرمني] على أغا واحد أو أكثر، من الذين يستلمون الضرائب المختلفة التي أصبحت حق ملكية، وإذا رفض أرمني ولأي سبب كان أن يدفع فإن الأغا يجبره على القيام بذلك بالقوة بسرقة ماشيته أو إيدائه، ويعد أغوات قرية كافار وتالوري، بصورة رئيسية من أغوات الكُرد في ساسون (خارزان)، وهذا يعد وصفاً لما يعطيه الأرمن إلى الكريف، ولكنه فقط حق يضاف إلى الدليل المقدم الذي يبين، بان المتطلبات يمكن استعمال الضغط للحصول عليها في تالوري وخيان، ولكنها أقل قسوة في غليكوزان وشمال وشينيك، وقد أكد أحد سكان شينيك أن كريف لا تدفع هناك"¹، ويتابع القناصل الكلام في تقريرهم بان الكُرد وأغواتهم، الذين التقوا بهم، عندما سمعوا من اللجنة ضريبة الكريف أنكروا ذلك، وذكروا لهم بأنهم لا يعرفون كلمة (كريف) أو معناها، حيث لا يوجد هناك أية مدفوعات منذ خمسين سنة، وان الضرائب التي يستلمها بعض الأغوات هي في الحقيقة ديون مستحقة على الأرض والحراثة والزراعة. لم تتمكن لجنة القناصل من الوصول إلى الحقيقة الثابتة حول تلك الضريبة التي تسمى بـ(ضريبة كريف)، لذلك لم يقوموا بنفيها أو إثباتها².

أما لماذا تدهورت العلاقة بين الشعبين في ساسون، والتي كانت حسب قولهم مقنعة، يقول القناصل: "خلال السنوات الثلاثة أو الأربعة الماضية بدأت العلاقات بين القرى الأرمنية...والكُرد تتصف بصيغة عدائية، والتي تعزى إلى سببين، الأول: كان من جانب الكُرد والدعاية الدينية لشييوخهم والتي أدت إلى تسوية بين العشائر على شروط سيئة، ومنع كل أنواع الخصومات التي تنشأ من الحماية [أي: حماية الأرمن]، بحيث إنها لا تمتد إلى الأرمن"³، ومعناه أن الكُرد عملوا في الآونة الأخيرة على تذليل خلافاتهم، وتوصلوا وبتأثير شييوخهم الدينيين، إلى عدم الدخول في صراع من أجل الأرمن الذين هم تحت حماية هذا الأغا أو ذاك، ولكن هنا لا يتطرق القناصل إلى أسباب هذا الاتفاق الكُردية.

1. Ibid.

2. Ibid, P.95-96.

3. Inclosure in No. 59, Reprt of the Consular Delegates attached to the Commission appointed inquire into the Events at Sasun, IN: (B.Ş.B.D.O.A), VOL: IV, P.96.

أما السبب الثاني فهو كما يقولون: " من جانب الأرمن، فإن الهيجان الذي أحدثه رجال مثل داماديان، الذي يمثل خضوعهم للكرد بمثابة العبودية، والتي لا توفر لهم الحكومة أية حماية منها، وعلى العكس من ذلك ترمي بهم في هذه العبودية، وقد شهد عام ١٨٩٣ دليلاً على هذه الحالة المتمثلة بالعداء العلني، وذلك من خلال هجوم مشترك للعشائر الكردية على تالوري^١، هنا يبدو أن الاتفاق الكردي، المذكور في السبب الأول كانت وراءه الأعمال التي قام بها داماديان، وكما سيأتي الحديث عنه لاحقاً ضمن هذا التقرير.

يكتفي القناصل عند هذا الحد في البحث عن علاقة الكرد والأرمن في ساسون، لينتقلوا بعد ذلك إلى المحور الثالث والذي يعد الأطول من بين محاور هذا الفصل، وكان بعنوان (تقرير حول أحداث ساسون عام ١٨٩٤)، يفتح القناصل هذا المحور بالقول: " هكذا كانت حالة الأمور هناك، عندما وصل رجل ارمني اسمه همبارسوم بويادجيان، وهو من ولاية أضنة، درس الطب في القسطنطينية وجنيف، إلى تالوري، واتخذ له اسم مراد لكي لا يكشف عن هويته، وبصحبته عصابة مسلحة تضم رفيقاً قديماً هو داماديان، عبرا إلى قرى المنطقة، وكذلك قرى كافار وذلك لممارسة مهنة الطب، ولكن في الوقت نفسه يقنع الأرمن بأن يحرروا أنفسهم من العادة السيئة (كريف وهالا)، التي جعلتهم خاضعين للكرد، ولكن لم يستطع هو ورفاقه الخمسة، الذين كان لديهم بنادق إعطاء توضيحات مقنعة لإقامتهم في الجبال، وإن احدهم اعترف بأنهم جاؤا بسبب الاضطهاد، الذي عانوا منه مع أسرهم على أيدي الكرد"^٢.

هنا يتوصل القناصل الثلاثة إلى قناعة بأن السبب الأساسي في تعكير علاقة الكرد والأرمن في ساسون، هو داماديان ومراد، وليس الكرد كما تدعي معظم المصادر التي تناولت هذا الموضوع، وكما يفهم هنا أيضاً، لماذا لم تتطرق المصادر التاريخية بشكل تفصيلي إلى هذا التقرير المهم؟ والذي كان كاتبه يظنون قبل وصولهم إلى ساسون أن الكرد هم المعتدون، إلا أن سير التحقيقات أثبت غير ذلك، وكيف أن كل من داماديان ومراد، قد صوروا علاقة الكرد بالأرمن بعلاقة السيد بعبيده، لأنهم- أي داماديان ومراد- كانا متأثرين بطبيعة الحال بالفكر الاشتراكي، أي إن الكرد كلهم أسياد،

1. Ibid.

2. Ibid.

والأرمن كلهم عبيد، كما صور لهم داماديان ومراد، وهذا ما أنكرته اللجنة والعديد من الدراسات التاريخية، التي أكدت أن الفئة الأغنى في كردستان، والتي كانت تحت حماية الكرد ونشأت وتطورت في ظلهم هم الأرمن وليس الكرد، بل إن الفئة الفقيرة المعدومة في كردستان كانت من العامة من الكرد، وقد طبق هؤلاء، أي: الاشتراكيون الأرمن معايير النظام الإقطاعي في أوروبا على النظام الإقطاعي في كردستان، والتي أبغضتها الاشتراكية، ولكن الإقطاع الكردي في الحقيقة يختلف تمام الاختلاف عن الإقطاع الأوربي من حيث مرونته وعدالته، ولا يسع المجال هنا إلى الإطالة في هذا الموضوع.

يقول القناصل بعد ذلك: "وفي الحقيقة أن معظم شهود العيان الأرمن ينكرون معرفتهم باسم شخص يدعى مراد، أما الكرد فإنهم لا يعرفونه، وإنما سمعوا به، وتحت ظل هذه الظروف فمن المستحيل أخذ فكرة واضحة عن واقعه[أي: عن واقع مراد]، وإن الاستنتاج الوحيد الذي يمكن التوصل إليه هو أنه زار مناطق كافار وتالوري، وأقام فيهما وكذلك في القرى المحيطة بها، منتقلاً مع جماعته ولبث في الجبال، وكذلك يعطي استشارات بصورة مباشرة، تؤثر حسب اعترافه على العلاقات بين الأرمن والكرد، وحسب رأي الرجل تونوا من تالوري أنه شجعه...بجلب انتباه الحكومة وذلك من خلال رفض دفع الضرائب"، ويمضي القناصل في التحدث عن مراد بالقول: "والأكثر من ذلك فإن محتويات دفتر مراد الذي عُثر عليه يتضمن شعراً وطنياً باللغة الأرمنية...ويتضمن الكتاب بداية أحداث عام ١٨٩٤، حيث جاء مراد إلى البلاد لغرض سياسي مخفي، وذلك من أجل إثارة المواجهات بين الأرمن والكرد...حدث في صيف عام ١٨٩٤ هنالك سرقة ثورين لرجل اسمه احمي احنوا من نيدران وكذلك قُتل اثنان من الكرد... وحدث هنالك هجوم أيضاً على خيام اسمه حسن شوقي، وفي ١٨٩٤/٧/٢٨ على فليكان وهم الكرد الذين يسكنون موش، وحدث الهجوم بسبب شجار سابق حول الماشية التي سُرقت، يبدو أن هذه الجرائم ارتكبتها عصابة بصحبة مراد، والتي يبلغ عددها خمسة رجال، ومن بينهم أرمن من كافار وتالوري"^١.

يذكر القناصل بأنه لا يمكن نكران هذه الأحداث، وهي أن الكرد في ساسون شعروا

1. Inclosure in No. 59, Reprt of the Consular Delegates attached to the Commission appointed inquire into the Events at Sasun, IN: (B.Ş.B.D.O.A), VOL: IV, P.97.

فعلماً بأنهم محاصرين من الأرمن، الذين صاروا يفعلون ما يشاؤون، لذلك اجتمع الكُرد بقيادة شيخ زيلان محمد أغا، وبتشجيع حكومي لمواجهة هجمات الأرمن؛ ثم أثناء هجرات العشائر الكُردية حدث الصراع بين الكُرد والأرمن.

أنكر الجيش والكُرد، من الذين أخذت شهادتهم مشاركة الجيش العثماني في البداية في هذه الحركات، إلا أن الأرمن أكدوا أن الجيش شارك فيها منذ البداية؛ ثم يضيف القناصل بأنهم تأكّدوا من أن الأرمن بعد مهاجمتهم للكُرد مرات عدة، بدأ مراد وجماعته يخططون بمهاجمة القطعات العسكرية العثمانية، المرابطة بالقرب من موقع الأحداث، وإنهم خططوا لاغتيال قائمقام سوزان في شاتاخ فعلاً، وهذا ما اعتبرته الحكومة العثمانية تمرداً على سلطتها في المنطقة، ومن ثم بدأت قوات الجيش النظامية بالتدخل في أمر هذا التمرد، وقاد العمليات العسكرية في بداية الأمر العقيد توفيق بك، الذي استلم أمراً مباشراً من زكي باشا للقيام بالواجب، وكذلك ادهم باشا القائد العسكري في موش^١.

وبعد ما يتطرق القناصل إلى عدد الجيش العثماني وعدته، يقول القناصل إن هذا الجيش تحرك في ١٣/٨/١٨٩٤ باتجاه قرى الأرمن بعدها ترك الأرمن قراهم واحتموا بالجبال، وفي ١٤ آب حدث أول قتال بين المتمردين الأرمن وقوات توفيق بك؛ ثم يختصر القناصل الثلاث تطور الأحداث السابقة بهذا الشكل: "خلال السنوات القليلة الماضية شهدت العلاقات بين الأرمن في كافار وتالوري والكُرد تغييرات مهمة، وهناك محرض سياسي اسمه همبارسوم بويادجيان لقبه مراد، استفاد من هذا ليشكل عصابة ترتكب بعض الأعمال السيئة ضد الكُرد، الذين اغتاضوا وهاجوا، واجتمعوا، وهاجموا الأرمن وبدأ القتال، وعدت الحكومة تصرف الأرمن بأنه تمرد علني، وأرسلت القطعات التي أدت إلى تمزيقهم، وإلقاء القبض على مراد"^٢.

يذكر القناصل، بعد ذلك أن الجيش العثماني في أثناء هجومه على قرى تالوري، لم يستطع من إلحاق الأذى بهم، لأنهم كانوا قد احتموا في الجبال، إلا أنه في منطقة شاتاخ، ورغم عدم مقاومة الأرمن لهم فأنهم تعرضوا للقتل، ويضيف القناصل بخصوص الكُرد أثناء الهجوم، بأنهم كانوا مع قطعات الجيش العثماني، ولم يمارس

1. Ibid, P.99.

2. Inclosure in No. 59, Reprt of the Consular Delegates attached to the Commission appointed inquire into the Events at Sasun, IN: (B.Ş.B.D.O.A), VOL: IV, P. 100.

الجيش أي ضغوطات عليهم للانسحاب من ساسون؛ ثم يتساءل القناصل بأنهم لم يتأكدوا من انه، هل كان هناك هذا الأمر فعلاً تمرداً ضد الحكومة العثمانية؟ وهل أن القمع العسكري تناسب مع قوة التمرد؟ وإذا ما كان صحيحاً ما نسمع به من قسوة القمع فمن يتحمل المسؤولية عنه؟

قام القناصل في نهاية هذا المحور باختصار الحقائق المؤكدة، التي أدت بنظرهم إلى افتعال أزمة ساسون، ومن الذي كان وراءها، وهي كالآتي:

- ١- الدعاية التي أطلقها أشخاص من أمثال داماديان ومراد.
- ٢- تشكيل عصابات مسلحة منذ بداية شهر أيار ١٨٩٤ .
- ٣- حالة العداء العلني ضد الموظفين الحكوميين التي أظهرتها بعض الحوادث...
- ٤- تصنيع البارود وتوزيعه، وكذلك الرصاص.
- ٥- تجمع الأرمن في انتوك داغ، فقد جاؤا..من أجل مضايقة الكرد، والقيام بهجمات ضدهم.
- ٦- حرق أفراد -عصابة داماديان ومراد- لبعض قراهم، أي: قرى الكرد.
- ٧- التصميم على إبادة الجنود في المنطقة..^١.

واختتم القناصل هذا المحور بكلمات: "إن وجود الدعاية الأرمنية، وكذلك وجود مراد وجماعته بين سكان كافار وتالوري، ومشاركة مراد في القتال، وكذا الأرمن هي كلها حقائق لا يمكن نكرانها"^٢.

في المحور الرابع والأخير من الفصل الأول، والذي كتب تحت عنوان (ظروف التحقيق) تؤكد اللجنة أن السلطات العثمانية قد وضعت في طريقها العديد من العقبات وخاصة فيما يخص الشهود، وأن أغلب الشهود هم من الذين تختارهم السلطات، وإنهم طلبوا في مرات عدة بعض شهود معينين إلا أن السلطات المحلية كانت تمنعهم من الحضور أمام اللجنة، واختتم هذا المحور بان النتائج التي وصل إليها هذا التحقيق لا بأس بها، إلا أنها لا تكشف الحقيقة كاملة.

في الفصل الثاني، الذي كتب تحت عنوان، (حوادث القتل والعصابات والأعمال غير القانونية، التي تعزى إلى الأرمن خلال صيف عام ١٨٩٤)، قُسم إلى محورين اثنين كما مر بنا، المحور الأول حمل عنوان (أعمال السرقة والعصابات والقتل الموجه ضد

1. Ibid, P. 100-101.

2. Ibid, P.101.

- الكرد)، وفيما يلي ملخص عن هذه الوقائع، وهي:
- ١- جرت أعمال سرقة للممتلكات، التي تعود إلى الكرد من عشيرة باديكان في ١٨٩٤/٥/٥، وظهر أن من سرقهم هي عصابة ارمنية يقودهم كيركو. (لم تستطع اللجنة إثبات جميع وقائع هذه الحادثة، وشككت فيها).
 - ٢- الهجوم على قافلة لساعي البريد زاهبة إلى موش، طبقاً لشهادة خمسة من الكرد في ١٨٩٤/٥/١٠، سنه (١٥) ارمني يقودهم كيركو. (تم تثبيت هذا الادعاء).
 - ٣- سرقة الأغنام التي تعود إلى درويش أغا من خوشيكان، وجرح ابنه إبراهيم الذي توفي متأثراً بتلك الجراح. (إن التحقيق بخصوص هذه المسألة لم تتابعها اللجنة).
 - ٤- الاغتصاب والخروقات والقتل البربري في ١٨٩٤/٦/١٠، لهيدوا زوجة موسى عبد الله من ماميلكان. الشكوى كانت من زوج الضحية. (شككت اللجنة في هذا الأمر، ولم يتم التثبت منه، لأن بعضاً من الشهود أثبتته وأقره في حين أنكره بعض آخر فسقط دليل الإثبات والنفي؛ ولذا أهمل).
 - ٥- خطف الأرمن امرأة كردية، وكان المشتكي الكردي هو نادر أغا. (لم يتم إثباته).
 - ٦- القتل الوحشي لكُردي بين ١٤ و ١٧ تموز ١٨٩٤. (لم يتم التأكد منه).
 - ٧- مقتل أموا، وهو كُردي من خوشيكان على يد الأرمن. (وعلى الرغم من تأكيد الكرد لهذا الحادث والشرطة كذلك، إلا أن اللجنة ذكرت بأنها لا تستطيع إثبات هذا الأمر).
 - ٨- قتل الكُردي تيميش ابن محمد وقُطعت جثته. (تُبَّت من أمر هذه الجريمة، إلا أن اللجنة شككت أيضاً في أمر مرتكيها أكانوا من الأرمن أم الكرد أنفسهم).
 - ٩- مقتل سليم في تموز ١٨٩٤، والمشتكي كان ابنه عبد الله. (لم تحقق اللجنة في هذا الموضوع).
 - ١٠- الهجوم على الكُردي محمد بن تايك.
 - ١١- سرقة الماشية التي تعود إلى اكوا بن ابروا.
 - ١٢- الهجوم على موسى بن سادوا.
 - ١٣- قتل كُردي ونهب (١٥٠) رأس غنم منه. علق القناصل على الاتهامات الأربعة الأخيرة بالقول: "إن هذه الاتهامات الأربعة تبقي ضمن شهادات منفردة وغامضة، بحيث لا يمكن التوصل إلى أي استنتاج حولها".

- ١٤- سرقت عصابة من المسلحين الأرمن ثورين يعودان لأناس من الكُرد. (تؤكد من هذا الأمر).
- ١٥- القتل الوحشي لحسن ابن كالو من قرية ايني كان وهو كُرد. (وقد تؤكد من هذا الأمر).
- ١٦- مقتل الكُرد سيلاوا من كالي كانلي. (وقد تأكدت اللجنة منه).
- ١٧- هجوم بعض الأرمن على خيم حسن شوقي، صاحبه عمليات سرقة للماشية وجرح اثنين. (وقد تأكدت اللجنة منه).
- ١٨- هجوم بعض الأرمن على خيم اين ابن قاسوا في ١٥ آب ١٨٩٥، تبعه سرقة (٣٠٠) رأس غنم، وقتلهم أربعة من الكُرد، وجرح ثلاثة آخرين. (التأكد بنسبة كبيرة من هذا الحادث، رغم الاختلاف في التاريخ والدوافع).
- ١٩- الهجوم على خيم اموا محيون في لاشيكان. (عدم التأكد منه).
- ٢٠- سرقة لماشية تعود لفرحوا اغلوا وهو كُرد من اني كان. (التأكد منها).
- ٢٢- قام الأرمن بجمع أموال ومنتجات زراعية من المسلمين لمدة سنتين، وذلك باسم مستحقات للكنيسة الأرمنية. (تلفيق وافتراء، شبهها القناصل على أنها مثل ضريبة الكريف).
- ٢٣- الدخول القسري للمسيحية من قبل مراد وجماعته. (ادعاء باطل).
- ٢٤- مقتل حجي أغا وهو كُرد من بيكران، وقد جلبت جثته المقطعة إلى معسكر ميركيموزان. (اتهام غير جدير بالاعتناء).
- ٢٥- قطع وغلق الأرمن للطرق. (عبارة عن ادعاءات لا تدعمها حقائق بدرجة كافية).
- ٢٦- الهجوم على كُرد فليكان في ١٨٩٤/٧/٢٨ وقتل ثلاثة منهم. (تم تثبيته).
- ٢٧- التعابير الجارحة التي تلفظت بها العصابات الأرمنية ضد الديانة الإسلامية، إن هذه الحقيقة وردت في العديد من الشهادات، وأضاف الشهود في الوقت نفسه أن الأرمن كان يهتفون باسم مراد بعبارة ملكهم -رئيسهم- ولم ينكر مراد ذلك وإن الشيء ممكن، أخذين بنظر الاعتبار العادات والتقاليد في البلاد، وعلى الرغم من إن الدليل بخصوص هذا الاتهام جاء من جانب واحد، فانه من الممكن أن نقول-القناصل- إن الإهانات جاءت من جانب الأرمن خلال نزاعاتهم مع الكُرد^١.
- بهذا القدر والكيف يختتم هذا المحور لينتقل القناصل إلى المحور الثاني، والأخير في

1. Inclosure in No. 59, Reprt of the Consular Delegates attached to the Commission appointed inquire into the Events at Sasun, IN: (B.Ş.B.D.O.A), VOL: IV, P. 103-111.

هذا الفصل وفيه يذكرون العصيان والتمرد الأرمني ضد الحكومة العثمانية، ويذكرون فيه حوالي ثمانية أعمال أرمنية مثل اعتداء على القائمقامين، والموظفين الحكوميين، وعدم دفع الضرائب، وتنفي اللجنة بعضها ويتم التثبت من بعضها الآخر، وكان الموقعين على هذا التقرير هم على التوالي: (فلبرد، وشبلي، وبيرفالسكي)، وكان مكتوباً تحت أسمائهم (في موش ١٨٩٥/٧/٢٠).^١

الشيء اللافت للنظر هو أن القناصل الثلاثة لم يتطرقوا إلى حجم الخسائر الأرمنية، وخصوصاً عدد القتلى الأرمن في أزمة ساسون، مما يوحي بإمكان وجود اختلاف بينهم في هذا الخصوص، أو أن العدد الذي كانوا قد سمعوا به قبل مجيئهم إلى ساسون كان أكبر بكثير من الحقائق والأرقام التي تأكدوا هم أنفسهم منها في موقع الحدث؛ ولكن الممثل البريطاني شبلي، قال في مذكرته المؤرخة في ١٢/١٠/١٨٩٤ بأنه اخذ عدد المنازل كقاعدة، وعليه فمن المرجح وجود أكثر من (١٠٠٠٠) أرمني في المنطقة، والأخذ بنظر الاعتبار أولئك الذين كانوا أحياءً، فإن عدد الذين ماتوا لا يمكن أن يتجاوز الـ (١٠٠٠) شخصاً.^٢ ويتفق (ريتشارد ديفي-Richard Davey)-من الضباط البريطانيين الذي زاروا المناطق المنكوبة في ساسون بعد انتهاء الأعمال العسكرية فيها- في دراسته المعنونة (تركيا وارمينيا) يتفق مع السيد شبلي في أن عدد القتلى لم يتجاوز (١٠٠٠) شخص، ويذكر بان العدد (١٠٠٠٠) يتجاوز نفوس ساسون كلها.^٣

1. Ibid, P. 111-115.

- من المفيد هنا القول إن القنصل البريطاني في ارضروم غرافيس (قنصل كردستان)، ورغم تدوينه بعض الملاحظات على نتائج لجنة التحقيق، إلا أنه أكد للسفير البريطاني فيليب كيوري، موافقته التامة على تحقيقات ونتائج لجنة القناصل ينظر:

-Inclosure I in No. 89, Consul Graves to Sir P.Currie, ERZEROUM, August 12, 1895, IN: (B.Ş.B.D.O.A), VOL: IV, P. 157-158.

2. KAMURAN GÜRÜN, Op.Cit., P.180; Roy Douglas, Britain and the Armenian Question 1894-7, The Historical Journal, vol: 19, No. 1, Mar 1976, P.116-117.

3. Richard Davey, Turkey and Armenia, in: THE ARMENIAN MASSACRES 1894-1896..., P.171-172.

- يستهزأ ريتشارد ديفي في دراسته هذه من المعلومات التي نشرتها الصحف الأوربية والأمريكية عن عدد القتلى معتمدين على الروايات الأرمنية، يقول ديفي أن عدد القتلى في البداية كان (١٠٠٠) شخص؛ ثم ارتفع إلى (٢٠٠٠)؛ ثم إلى (١٠٠٠٠) شخص، وهو ما يتجاوز العدد الكلي لكل سكان ساسون؟! ينظر: - Ibid, P.171.

بناءً على ما سبق، في رصد الروايات الثلاث (الأرمنية، والبريطانية، والعثمانية)؛ ثم بعد ذلك التطرق إلى تقرير اللجنتين العثمانية والأوربية، يتبين بوضوح الدور الكردي فيها، وأنهم -وخالفاً لما ذكرته اغلب المصادر- كانوا هم الطرف المعتدى عليهم في ساسون، وليس الأرمن ولا الأتراك الذين استغلوا هذه الفرصة، بعد أن وحدت العشائر الكردية جبهتها للرد على اعتداءات داماديان ومراد، استغلت الحكومة العثمانية هذه الصراعات التي تندرج ضمن الصراعات العشائرية في المنطقة، لضرب الحركة الأرمنية فيها، التي تقوت كثيراً منذ أن ظهرت الأحزاب والمنظمات الأرمنية، على الساحة السياسية في كردستان عند بداية التسعينات من القرن التاسع عشر.

وبعد مقارنة الروايات الثلاث مع ما جاء في تقرير اللجنة الأوربية يتبين أن الأرمن والكرد في ساسون كانوا يعيشون بسلام منذ أزمنة قديمة معاً، وكانت تربطهم علاقات اجتماعية، واقتصادية مقنعة، حتى أن اغلب أرمن ساسون كانوا يتكلمون اللغة الكردية، والبعض منهم كانوا لا يعرفون حتى اللغة الأرمنية^١، هنا للمرء أن يتخيل كيف كانت مستوى هذه العلاقة بين الشعبين.

كانت هناك ثلاثة أنواع من التجمعات البشرية في ساسون هم: الأرمن المستقرين في القرى، والكرد القرويين الذين كانوا يسكنون قرى مجاورة، والكرد الرحالة الذين كانوا في الصيف يأتون من مناطق: بوتان، وديار بكر، ويقضون الصيف على تلال وجبال ساسون؛ ثم يهاجرون في الشتاء إلى مشاتهم في جنوب كردستان، بخصوص الكرد المستقرين فإنهم كانوا على الدوام مرتبطين بعلاقات طيبة مع أرمن ساسون، بل إن الكرد هم من حافظوا على استقلال ساسون، وحماتها منذ القدم وليست الدولة

١. يقول البارون فون ديركولتز، صاحب مجلة كولونيا الألمانية، في عددها (١٦٨)، الصادر في ١٨٩٥/٢/٢٤، معقياً على أزمة ساسون، أن جميع المعلومات عن هذه الأزمة إنما ترجع إلى مصدر واحد وهو المصدر الأرمني، وكلها أكاذيب-كما يقول-؛ ثم يذكر بأنه التقى برئيس اللجنة العثمانية للتحقيق في أزمة ساسون عبد الله باشا، وبين له: "انه خارج نطاق أي شيء، فان هؤلاء الأرمن الموجودين في هذه المناطق يتميزون كثيراً عن الأرمن المسالمين في المدن الكبرى، حيث إنه شعب صلب ومتوحش، مثل ما هو حال الرعاة الكرد، وهؤلاء لا يتكلمون اللغة الأرمنية وإنما الكردية". ينظر:

-No.471, Tevfik Pacha, Ambassadeur Ottoman à Berlin, à Saïd Pacha, Ministre des Affaires Etrangères Ottoman, BERLIN, Le 25 Fevrier, IN: (B.Ş.D.D.O.A.A), VOL: II, P.635-640.

العثمانية والمنظمات الثورية الأرمنية.

وبخصوص العشائر الكردية الرحالة إلى منطقة ساسون فيرد على الدوام سواء أكان ذلك في الوثائق البريطانية، أم العثمانية، أم في الروايات الأرمنية، اسم ثلاث أو أربع عشائر كردية هي: (زيلان، والباديكان، والبكران والراشكوتان)، وان المطلاع على تاريخ كردستان الحديث يرى أن تلك العشائر الرعوية الرحالة (الكوجر) كانت في تنقلاتها سواء في الصيف أو في الشتاء في عموم كردستان، تدخل في صراع ومعارك خفيفة دوماً، مع معظم السكان المستقرين على طريقهم، سواء كانوا أرمناً أو كرداً أو من أي طائفة أو قومية أخرى، ونرى ذلك بوضوح مثلاً في هجرة عشيرة البكران، وكذلك في هجرة عشيرة الحيدارن في مناطق وان وبتليس، وهجرة عشيرة الشكاك على الحدود الإيرانية العثمانية، وكذلك في هجرة عشيرة ملي في بادية الجزيرة الفراتية، وأيضاً في هجرة عشيرة الجاف في منطقة شهروزور، وبالتحديد في السليمانية على الحدود الإيرانية-العثمانية^١، فإنه بمجرد هجرة العشائر بحثاً عن المراعي في الصيف والشتاء كانت تصاحبها دوماً مشكلات سواء بين العشائر الكردية نفسها، وهي في التاريخ الكردي الحديث لا تعد ولا تحصى، أو مع السلطات العثمانية في الأقاليم التي كانت تمر بها، أو مع الأرمن في الآونة الأخيرة.

إن مسألة أمر هجرة عشيرة بيكران الكردية على أنها هي السبب الأساسي في هذا الصراع، ووصفت تلك الأحداث بأنها صراع كردي أرمني هو أمر مبالغ فيه، ويذكر أحد شهود العيان الأرمن في ساسون، في وصفه تلك العلاقة ويدعى (اسدادور كيراغوصيان-Asdadur Giragosian)، قائلاً: "لحد عام ١٨٩٤ كانت أسرتي غنية كباقي أسر منطقة ساسون، أما الكرد الذين كانوا يعيشون حولنا فكانوا بصورة عامة ودودين، على الرغم من قيامهم بشكل متكرر بأعمالهم المعتادة، من سرقة للمواشي والأغنام إلا أننا كنا قادرين على استرجاعها، أو تعويضها..."^٢، أما بخصوص العشائر الرحالة فهي الأخرى لم تكن لديها مشاكل كبيرة مع الأرمن، حتى قبل الأزمة بقليل، وقد عبرت امرأة أرمنية للجنة القناصل عن ذلك، كما مر، بقولها عن

١. عن هذه الهجرات الكردية والمشاكل التي صاحبته، ينظر مثلاً: باسيلي نيكيتين، المصدر السابق، ص ٨٩-١٠١ و١١٦-١٢٤؛ ديفيد مكدول، المصدر السابق، ص ٨٣-٨٨؛ عثمان علي، دراسات في الحركة الكردية...، ص ١٨٨-١٩٠.

2. EDWIN MUNSELL BLISS, Op.Cit., P.374.

علاقة الأرمن والكرد: "إخوة بالأرض والماء".

كما يذكر العقيد (شيرمسايد-Chermside) بخصوص علاقة الكرد بالأرمن قبل الأحداث قائلاً: "...هناك مرعى جيد [أي: في ساسون] ومساحة واسعة من الغابات، فالعلاقات الحميمة موجودة بين الأرمن في ساسون، والكرد أسيادهم الإقطاعيين السابقين"¹. وتصف الباحثة (جانيت كلاين-Janet Klein) علاقة الكرد بالأرمن في ساسون، حتى ما قبل الأزمة بقليل، على النحو الآتي: "...في منطقة ساسون قدم الكرد المساعدة اللازمة للأرمن من أجل الاستقرار، كما كان الكرد يساعدونهم في عمليات البذور والحصاد والحراثة، وباختصار فإن كلتا الطائفتين كانتا تبحثان عن الازدهار، وذلك بوضع ماشيتهم وحبوبهم تحت ظل ظروف سلمية، ويمارسون التجارة؛ ليحصلوا على الأرباح، وأن هذا الهدف لا يمكن تحقيقه إلا من خلال المساعدة المتبادلة والحكومة الجيدة"². وأثبت تقرير لجنة القناصل صحة هذا الادعاء، وأن العلاقة بين الشعبين في ساسون كانت مقنعة تماماً، وأن الذي عكر صفو هذه العلاقة كانت الأحزاب الثورية الأرمنية، كما مر بنا.

إن شيوع الاتفاق على العلاقة الطيبة بين الكرد والأرمن، بين الذين درسوا هذه العلاقة عن قرب يكفي دليلاً قوياً لتبديد الرأي القائل بأن الأرمن كانوا يدفعون ضريبة قاسية لأسيادهم الكرد، وأن ذلك أثقل كاهلهم، ففي الشهادة الأولى يقول الشاهد الأرمني (اسدادور كيراغوصيان) بأنهم كانوا أغنياء كباقي الأرمن في ساسون، أي إن الأرمن في ساسون على العموم كانوا أغنياء، وأن مسألة دفعهم للضرائب إلى الكرد لم تكن سوى مسألة شكلية أو لا تتعدى مسألة تعاونية بين الطرفين-سنتطرق إلى ضريبة الكريف بعد الأزمة الأرمنية الثانية-، ولا يمكن أمر استبعاد أنهم كانوا يرفضون إعطاء الضرائب للحكومة، ليس لأنهم لا يملكون المال بل إن ذلك راجع إلى سببين، الأول: إن دفع الضرائب للحكومة العثمانية لم يكن مألوفاً لديهم في السابق. وثانياً: إظهار المنظمات الأرمنية لهم أن فعل هذا الأمر، أي: دفع ضرائب للحكومة يمس كرامتهم، كما فعلوا بخصوص دفع الضرائب للكرد عندما وضحوا للأرمن في ساسون، أنه

1. No.277 , Sir P. Currie to the Earl of Kimberley, THERAPIA, October 15, 1894, IN: (B.Ş.B.D.O.A), VOL: III, P.386-389.

2. Janet Klein, CONFLICT AND COLLABORATION: RETHINKING KURDISH-ARMENIAN RELATIONS THE HAMIDIAN PERIOD 1876-1909, Int J. Turkish Studies, Vol: 13, Nos. 1-2. 2007.P.157.

بمجرد إعطاء ضريبة كريف للكرد هي تمثل لهم عين العبودية والذل.

بالاستناد على ما سبق يظهر أن السبب الرئيس في اندلاع أزمة ساسون هي الأحزاب الثورية الأرمنية، فقد دلت الأحداث على أن الأحزاب، قد فشلت في إحداث أي ثورة أو انتفاضة بين الأرمن في السهول، وخاصة في الأناضول الغربية، والتي كان فيها الأرمن قلة بالمقارنة بشمال كردستان، التي رأى فيها الثوريون الأرمن ضالتهم، حسبما ذكرته الروايات البريطانية والعثمانية، ومن خلال الإطلاع على تقرير اللجنة، وتقارير القنصليات البريطانية في كردستان، يبدو أنهم جميعاً قد توصلوا إلى قناعة تامة بأن داماديان قد أعطى للإدارة العثمانية معلومات قيمة، بخصوص انتفاضة أرمنية على وشك الوقوع في ساسون، وأن الذي استلم قيادة الثوار، والتي تقدرهم المصادر التاريخية بحوالي (٣٠٠) شخص، رغم تأكيد لجنة القناصل على أنهم خمسة فقط، هو بويادجيان هامبارسيان والذي اتخذ لنفسه لقب (مراد)، فبمجرد إلقاء القبض على داماديان، حتى قامت الحكومة العثمانية بتعزيزات عسكرية في ساسون، بدءاً من شهر تموز ١٨٩٣ وحتى صيف ١٨٩٤، وانتظرت الفرصة السانحة لضرب الحركة الأرمنية في ساسون، والتي كانت بامتناعهم-أي: الأرمن- عن دفع الضرائب للحكومة المركزية، وضرب الموظفين الحكوميين الذين أهانوا قروي ساسون من الأرمن، بل حتى أن الباحثين فيما بعد توصلوا إلى قناعة بأن الثوار الأرمن في ساسون كانوا السبب في اندلاع الأزمة الأرمنية فيها وليس الكرد، كما توصلت إليها لجنة القناصل، ومن جانبها ذكرت نالبانديان السبب أيضاً بالقول: "إن مراد بويادجيان وعصابته من أتباعه بدعوا هجمات صغيرة من الاعتداء ضد الكرد، الذين قاموا بدورهم بهجمات ضد الأرمن"^١، ويتهم القنصل الروسي مايوسكي العصابات الأرمنية، على حد قوله، وما قامت به من أعمال رعب في تعكير علاقة الكرد بالأرمن^٢.

كما يتهم أحمد ثريا بدرخان^٣، في تقريره المقدم إلى مؤتمر السلام في باريس عام

1. Louise Nalbandian, The Armenian Revolutionary Movement, California 1963, P.121.

2. Général Russe MAYEWSKI, Op.Cit., P.11.

٣. الأمير أحمد ثريا بدرخان (١٨٨٣-١٩٣٧): هو ابن أمين عالي بدرخان، حاز على شهادة الهندسة الزراعية من جامعة استانبول في بداية القرن العشرين، نفي عدة مرات لمعارضته للسلطان عبد الحميد الثاني، وكان من المؤسسين لعصبة استقلال كردستان بعد الحرب العالمية الأولى. للتفاصيل، ينظر: ماليسانث، بدرخانيو جزيرة بوتان...، ص ٨٢-٩٦؛ صلاح محمد سليم هروري، الأسرة البدرخانية: نشاطها السياسي والثقافي ١٩٠٠-١٩٥٠، دهورك، ٢٠٠٤، ص ٧٧-٩٠.

١٩١٩، والمعنون (كُردستان أو أرمينستان: طغاة أم شهداء) الأرمن الذين كانوا من أصل روسي، بأنهم هم من قاموا بإفساد علاقة الكُرد بالأرمن، ومن أعمالهم الكبيرة في هذا المجال، قيامهم في ربيع ١٨٩٣ بالهجوم على الكُرد في ساسون وتالوري، وقاموا بذبح المئات من الكُرد، فمنذ تلك اللحظة بدء الكُرد يدركون رغبات الأرمن، لذلك اندهش الكُرد من هذا العمل، ووجدوا أنفسهم أمام خيانة ضده، من قبل أولئك الذين يعدونهم إخوتهم ويقومون بذبحهم، كما قال احمد ثريا بدرخان^١، ولكن كل هذا لا ينفى بان السلطات المحلية في ساسون كانت هي الأخرى بشكل ما مسؤولة عن تكبير الموضوع وإعطائه حجماً أكبر، كما أنه لا يستبعد أنها قد دفعت بعشيرة بكران الكُردية، للهجوم على بعض القرى الأرمينية التي تحصن فيها الثوار الأرمن، الذين كانوا وراء قتل احد أقارب أغا بيكران (محمد أغا)، بطريقة وحشية كما وردت في الوثائق العثمانية، وأكدتها لجنة القناصل.

هناك أمر آخر لا تذكره المصادر التاريخية إلا نادراً، وهي أن عشيرة كُردية كانت متحالفة مع الأرمن عند وقوع الهجوم التركي على ساسون، وهي عشيرة (بالاك) الكُردية، وإنها قاتلت بجانب القرويين الأرمن ضد القوات الحكومية، والأكثر من هذا أن بعض الأرمن والقناصل الأجانب اتهموا الكُرد بأنهم في تلك المنطقة قاموا بعمليات سلب ونهب، إلا أن المسؤولين العثمانيين أكدوا بان هذا محض افتراء ليس إلا، وان الأرمن عندما تركوا قراهم وفروا إلى الجبال، كان لديهم الوقت الكافي لإيداع ممتلكاتهم ومدخراتهم وحيواناتهم عند أصدقائهم الكُرد، وقد اتهمت الحكومة

1. KURDISTAN ou ARMENIE: TYRANS ou MARTYRS, Le COMITE de L'IN-DEPENDANCE KURDE, LE CAIRE, 1919, P.20.

- من الجدير بالذكر هنا أن الباحث نجاتي عبد الله قد تمكن من العثور على هذا التقرير، بعد ما كان مفقوداً لمدة طويلة، وقد قام بنشره على صورته الأصلية مع ترجمته إلى اللغة الكُردية، وطبعته مؤسسة ژين للطباعة والنشر في السليمانية عام ٢٠٠٩ على شكل كتاب، ويحمل عنوان (كوردستان يا ئه رمنستان: شهيد هكان يا ملهورهكان)، وسيشير بعد ذلك إلى هذا المصدر إلى نص التقرير الأصلي باللغة الفرنسية. كما أنه من المهم القول هنا أن هذا التقرير لا يحمل اسم احمد ثريا بدرخان وصدر بأسم عصابة استقلال كُردستان، ولكن مقارنة نص هذا التقرير مع بعض التقارير الأخرى التي بعثها أحمد ثريا بدرخان إلى سياسي الدول الكبرى المنتصرة في الحرب العالمية الأولى يتبين بوضوح بصورة لا يدع المجال للشك أن احمد ثريا بدرخان هو كاتب هذا التقرير.

العثمانية بمساعدة الثوار الأرمن^١، وهذا ما ذكرته أيضاً لجنة القناصل، عند إشارتها إلى عدم وقوع أي حالة سلب ونهب، من جانب الكُرد في أزمة ساسون.

هذا من جهة ومن جهة أخرى تبين أن الهجوم على ساسون قامت به فقط القوات الحكومية، ولم يشترك فيها الكُرد سواء أكانوا من الكُرد الحميدية، الذين وان وصلوا إلى مشارف ساسون بقيادة حسين باشا، ولا من الكُرد الرحل مثل عشيرة بيكران، رغم تأكيد لجنة القناصل أن بعض الكُرد كانوا معهم أثناء الهجوم، فإن المسؤولين العثمانيين وبعد ذلك البريطانيين نفوا نفياً قاطعاً اشتراك الحميدية في أحداث ساسون، بل أنها أرسلت إليها الأوامر لترك مواقعها في ساسون بعد المعارك مباشرة، لانتشار الأمراض والأوبئة فيها، كما انه لم تشارك في الهجوم أيضاً العشائر الكُردية الرحالة وعلى رأسها بيكران، لأنها لم تستطع في مرات عدة من إلحاق أي هزيمة بـ(الثوار) والقرويين الأرمن فيها، وجاء في أحد التقارير العثمانية أن عدد الكُرد الذين كانوا مع قوات الجيش العثماني عند الهجوم على ساسون كانوا ما بين (٧٠ إلى ٨٠) شخصاً، وكانوا يعملون كإدلاء للقوات العسكرية، لكونهم أهل المنطقة^٢.

ويضاف إلى ذلك حسبما ذكره شهود عيان أن جنود القوات التركية عند هجومها على ساسون، كانوا يتنكرون بارتداء الملابس الكُردية، لكي يعطوا انطباعاً بأن هذه الصدمات لا تخرج عن كونها صدمات عشائرية تقليدية، وليس أكثر من هذا^٣، وأكد هذا الأمر مواطن أمريكي كان شاهد عيان على الحادثة، فقد ذكر بأنه رأى بأم عينيه الجنود الأتراك وهم يلبسون الملابس الكُردية^٤، وعند هجوم الجيش فر بعض من الأرمن

1. Annexe 3 au No.213, Extrait du Morning Post du 27 November 1894, THE STATE OF ARMENIA TO THE EDITOR OF THE MORNING POST, IN: (B.Ş.D.D.O.A.A), VOL: II, P298-300, No. 291, Sir P. Currie to the Earl of Kimberly, CONSTANTINOPLE, November 15, 1894, IN: (B.Ş.B.D.O.A), VOL: III, P406-407;

– م.س. لازاريف، المصدر السابق، ص ١٠٢.

2. No. 188. Saïd Pacha, Ministre des Affaires Etrangères Ottoman, à Zia Pacha, Ambassadeur Ottoman à Paris, CONSTANTINOPLE, le 23 November 1894, IN: (B.Ş.D.D.O.A.A), VOL: II, P.272-273.

3. Frederick Davis Greene, THE ARMENIAN CRISIS IN TURKEY: THE MASSACRE OF 1894 ITS ANTECEDENTS AND SIGNIFICANCE, NEW YORK-LONDON, 1895, P.20-21.

4.W. J. WINTLE, Op.Cit., P.66-67.

والتجاؤاً إلى القرى الكردية المجاورة بهدف حماية ومساندة الكرد لهم وبالفعل فقد دافعت عنهم بكل قدراتهم^١، وطبقاً لرسالة مؤرخة في ٩ تشرين الأول ١٨٩٤ أعلن بعض الجنود الأتراك، دونوا هم ما قاموا به حسب أهوائهم ووجهة نظرتهم الواحدة، وادعوا بأن الكرد هم الذين ارتكبوا أسوأ الجرائم بحق الأرمن، وذكر هؤلاء بأنه لم يكن هنالك أي عاطفة للعمر والجنس، حتى عندما كانت تتوسل الضحية عند أقدامهم^٢.

يظهر بالنظر إلى تفاصيل تقرير اللجنة الأوربية إن اللجنة احتارت في أمرها، بسبب أنه كانت مخططة لها الذهاب إلى ساسون للبت في أمر الشكاوى الأرمنية، كما بينه القنصل غرافيس لممثل بريطانيا المستر شبلي قبل ذهابه إلى ساسون^٣، وجدوا أنفسهم أمام عدد كبير من الشكاوى الكردية ضد الأرمن، والتي تثبتوا فيما بعد من صحة العديد منها عند التحقيق بشأنها، لذلك لا نرى في تقريرهم ما يشير إلى إساءة كردية ضد الأرمن بعكس ذلك، وكما مر بنا، ذكر التقرير عشرات الإساءات الأرمنية ضد الكرد.

1. EDWIN MUNSELL BLISS, Op.Cit., P.376.

2. J. CASTELL HOPKINS, THE SWORD OF ISLAM OR SUFFERING ARMENIA: ANALS OF TURKISH POWER AND THE EASTERN QUESTION, Brantford and Toronto, 1896, P.316-317.

3. No.365, Sir P. Currie to the Earl of Kimberley, CONSTANTINOPLE, January 16, 1895, IN: (B.Ş.B.D.O.A), VOL: III, P.501-502.

ثانياً- الإصلاحات الأرمنية الثانية

لا بد هنا من التطرق إلى الموقف الدولي من الأزمة في ساسون، ولو بشكل مختصر، لبيان تطور مواقف الدول الكبرى بخصوص المسألة الأرمنية، فالدول التي كانت حتى الأمس القريب، مع تكوين كيان سياسي للأرمن، ولو ضمن حدود الدولة العثمانية أصبحت في بداية التسعينات تحارب التطلعات القومية الأرمنية بكل قوتها، والدول التي كانت ضد التطلعات القومية الأرمنية عند ظهور المسألة الأرمنية باتت تحارب من أجل الحقوق القومية الأرمنية، طبعاً كل لأجل مصلحته الخاصة، وكان لهذا الموقف الدولي تداعياته في الإصلاحات الأرمنية الثانية، التي أجبرت الدول الكبرى الدولة العثمانية على البت فيها من جديد بعد أزمة ساسون.

بعد الحملة الإعلامية الأرمنية الكبيرة والناجعة عقب أزمة ساسون هاج الرأي العام الأوربي، وبشكل خاص في بريطانيا، التي لم يتردد رئيس وزرائها آنذاك (كلادستون- Gladstone)، في إرسال سفنه الحربية إلى البحر الأسود، بهدف التدخل عسكرياً لحل هذه الأزمة، لولا معارضة كل من روسيا وفرنسا¹، هنا يطرح سؤال نفسه، وهو: لماذا تغيرت سياسة الدول الكبرى، بخصوص المسألة الأرمنية في تسعينات القرن التاسع عشر، وانقلبت المواقف عكس ما كان متعارف عليه، في سبعينات وثمانينات القرن نفسه؟

إن تغير سياسة الدول الكبرى تكمن في تغيير الأرمن لوجهتهم السياسية، وكذلك لتغيير مصالح الدول الكبرى في المنطقة، فبعدما كان الأرمن في السبعينات والثمانينات يتطلعون نحو روسيا، التي رأوا فيها أنها الدولة الوحيدة القادرة على تحقيق آمالهم القومية، كما فعلت في بلغاريا في سبعينات القرن التاسع عشر، غير الأرمن وجهتهم

1. ARMAN J. KIRAKOSSIAN, Great Britain... P.39; STANFORD J. SHAW AND EZEL KURAL SHAW, HISTOPY OF THE OTTOMAN EMPIRE AND MODERN TURKEY, VOL:II Reform- Revolution- and Republic: The Rise of Modern Turkey 1808-1975, CAMBRIDGE UNIVERSITY PRESS, 1988, P.204.

نحو بريطانيا لاعتبارات عدة، منها أن روسيا قامت بالتشديد على الأرمن، في مقاطعة يريفان بعد وصول الأسكندر الثاني إلى الحكم فيها (١٨٨١-١٨٩٧)، كما أن القيادة القومية الأرمنية آنذاك كانت بيد رجال الدين الأرمن، الذين كانوا يحتفظون بعلاقات طيبة مع الروس، حتى وإن كانت روسيا لا تستجيب إلى مطالبهم، ولكن بعد ظهور الأحزاب الأرمنية، ودخولها في صراع مع المؤسسة الدينية الأرمنية، وتمكنها من قيادة الأرمن منذ بداية التسعينات، قامت هذه الأحزاب وعلى رأسها الهنجاك والپاشناق بنقل مراكزها إلى لندن، وعقدت في بداية تسعينات القرن التاسع عشر تحالفات مع الحكومة البريطانية، من خلال علاقاتهم مع وزراء ونواب في البرلمان البريطاني، أمثال كلادستون وجيمس برايس، الذين أيدوا السياسة الأرمنية في هذا المجال، وابتعد الأرمن بهذه الصورة شيئاً فشيئاً عن روسيا، التي قامت هي الأخرى بتغيير جذري في سياستها تجاه هذه المسألة، وأصبحت مدركةً للتوجهات الأرمنية^١.

من جانبها عزفت الدولة العثمانية على هذا الوتر وقامت باستغلال الاختلاف الدولي بخصوص المسألة الأرمنية لصالحها، وقد وجدت الدولة العثمانية نفسها في موقف موحد مع روسيا، بشأن المسألة الأرمنية^٢، وقد كانت للحكومة القيصريّة في ذلك الوقت أسبابها لمعارضة حل المسألة الأرمنية في الدولة العثمانية، فهي قد تخوفت من تصاعد حركة التحرر القومية الأرمنية، التي كانت ستمتد لتشمل حتماً منطقة ما وراء القوقاز، فليس من قبيل الصدفة أن الإدارة القيصريّة في ما وراء القوقاز، التي يرأسها في التسعينات من القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين المتعصب الروسي المتحمس الأمير غوليپسين، قد انقلبت بالاضطهاد آنذاك على الأرمن والثقافة الأرمنية، فضلاً عن أن الساسة في سنت بطرسبرغ قد خافوا في حالة نجاح الحركة الأرمنية في شمال كُردستان، من أن تكون روسيا أجلاً أم عاجلاً جارة لدولة أرمنية، واقعة تحت نفوذ أي دولة كبرى من الدول الأوربية المعادية لروسيا، وخاصة بريطانيا، التي كانت تساند طموحات الأرمن في هذا المجال، وإنها لمشهورة عبارة وزير خارجية روسيا في عامي ١٨٩٥-١٨٩٦ الأمير أ.ب.لوبانوف روستوفسكي أن: "روسيا لن تسمح بإقامة

١. للتفاصيل عن هذه المتغيرات ينظر:

-ARMAN J.KIRAKOSSIAN, British Diplomacy..., P.162-200; ANDRÉ MANDELSTAM,

Op.Cit., P.296-297.

2. MUSA ŞAŞMAZ, Op.Cit., P.184.

بلغاريا أخرى، وهي بحاجة إلى أرمنيا بدون أرمن^١.

كانت لألمانيا آنذاك مصالح اقتصادية مهمة في الدولة العثمانية، فلم تكن لتقف مكتوفة الأيدي في حال نشوب أي حرب مستقبلية ضدها^٢، أما فرنسا فقد وجدت أن لا مصلحة لها في هذا الصراع كله، لذلك لم تأخذه على محمل الجد، بل عملت فرنسا على إتباع رأي روسيا في هذه المسألة، خاصة إذا ما علمنا أن روسيا وفرنسا قد دخلتا في حلف مشترك منذ عام ١٨٩٢^٣.

إزاء هذا الموقف الدولي المعقد، الذي رافق المسألة الأرمنية في تسعينات القرن التاسع عشر، وعند عدم تمكن بريطانيا من التدخل عسكرياً عقب أزمة ساسون، قامت بريطانيا بمحاولة أخرى وهي إقناع كل من روسيا وفرنسا بإحياء الإصلاحات الأرمنية من جديد، التي كانت قد أهملت، وغض الطرف عنها منذ عام ١٨٨١. في البداية قدمت بريطانيا مشروعاً لهذه الإصلاحات، عن طريق سفيرها في استانبول فيليب كيوري في شباط ١٨٩٥، ومن أهم ما ورد فيه هو دمج الولايات الست ضمن إقليم واحد-أي معظم شمال كردستان- وتعيين حاكم عام عليها. وقبل عرض السفير البريطاني لهذه المشروع على كل من روسيا وفرنسا قام أولاً بعرضه على البطريرك الأرمني في استانبول (ازميرليان-Izmirlyan)، الذي أبدى موافقته المبدئية على خطة الإصلاح البريطانية، إلا أن البطريرك ذكر للسفير بأنه مقتنع أن القوى الأوروبية سوف تشارك في اختيار المحافظ، وان الترتيب الأفضل هو أن يكون المحافظ مسيحياً، والأفضل منه كونه (ارمنياً). وذكر أيضاً بأنه في عمليات أخرى، في الخطة البريطانية للإصلاح، سواء أكانت تتعلق بالتعيين أم أي عمليات انتخابية تخص هذا الإقليم الجديد يجب أن يؤخذ بنظر الحسبان إبعاد الكرد الريفيين عنها، وأكد البطريرك الأرمني وألح كثيراً على هذه الملاحظة للسفير البريطاني، وذكر له-أي للسفير- أن الكرد، وبالمقارنة

١. م.س. لازاريف، المصدر السابق، ص ١٠٦؛

- Rahmetli Babamin, BITLIS'TE ERMENILER VE ERMENI MEZALIMI, BITLIS, 1996, S.140.

2. MUSA ŞAŞMAZ, Op.Cit., P.184-185.

٣. للمزيد عن تطور العلاقات الروسية الفرنسية أواخر القرن التاسع عشر، ينظر: هـ.أ.ل. فيشر، المصدر السابق، ص ٣٩٩-٤٠٥؛ بيير رونوفن، تاريخ القرن العشرين، ترجمة: نور الدين حاطوم، ط٢، بيروت-دمشق، ١٩٨٠، ص ١٩-٢٣.

مع عام ١٨٨٠، أصبحوا مسلحين وأتباعاً للسلطات العثمانية، ويجب عليكم أخذ هذا الأمر بالحسبان^١.

ولكن بعد عرض خطة الإصلاح على روسيا أكدت من جانبها رفضها التام في جمع الأقاليم الستة ضمن إقليم واحد، ويعد مفاوضات عسيرة بين الطرفين وافقت بريطانيا على إلغاء هذا البند من خطة الإصلاح، ومقابل ذلك اتفقتا على تعيين شخصية عثمانية للإشراف على الإصلاحات، بعد التشاور مع الحكومة العثمانية، وكانت هذه القضية بمثابة ضربة قوية للمسألة الأرمنية آنذاك، وخيبت أمل الأرمن كثيراً^٢.

لقد قدم مشروع الإصلاحات الأرمنية، والتي تتضمن أكثر من تسعين مادة، إلى الحكومة العثمانية في ١١ أيار ١٨٩٥، سفراء ثلاث دول، وهي: بريطانيا، وفرنسا، وروسيا في استانبول، وطلبت الدول الثلاث من الحكومة العثمانية الإسراع في تنفيذ هذا المشروع. وكانت هذه المذكرة تتضمن تعيين مفتش عام لمراقبة تطبيق الإصلاحات، وتشكيل لجنة تفتيشية لإدارة أعمال المراقبة، وإعادة النظام في النواحي والأرياف، وتنظيم الجيش والشرطة، والقضاء، والضرائب، وما إلى ذلك من الأمور الإدارية والاقتصادية^٣، وقد سمي هذا المشروع باسم (مشروع أيار للإصلاحات)^٤. فيما يخص الكرد في مشروع أيار للإصلاحات فقد جاء ذكرهم في فصلين، هما: الفصل التاسع، والفصل العاشر، وفيما يأتي صورة مختصرة عن هذه المواد التي تحدثت عن الكرد:

في الفصل التاسع، وتحت المادة الرابعة والعشرين تناول مشروع الإصلاح (العشائر الكردية الرحالة)، حيث جاء فيها بأنه من غير الممكن تفويض أحد العشائر الكردية في أي ولاية كانت بمتابعة وإلقاء القبض على الخارجين على القانون والعصابات، وتسليمهم إلى الحكومة، هذا إذا علمنا بأنه من غير الممكن في الوضع الحالي - تقول المادة - إخضاع عشيرة كردية لأغا عشيرة أخرى، لذلك فإن أمر ملاحقة العصابات والمجرمين بين العشائر الرحل؛ ثم تسليمهم إلى المحاكم يجب أن يترك للجندرمة، بالاعتماد بطبيعة الحال على الأوامر التي يقدمها لهم الوالي؛ ثم تتابع المادة القول: إن

1. ARMAN J.KIRAKOSSIAN, British Diplomacy..., P.202.

2. Ibid, P.209-211.

3. BENGI KÜMBÜL, TERCÜMAN-I HAKIKAT GAZETESINE GÖRE: OSMANLI ER-MENILERI 1914-1918, Antalya, 2006, S. 45-46.

4. Garabet K. Moumdjian, Op.Cit.

الوسيلة الوحيدة للعيش لتلك العشائر هي تربية الماشية حيث يذهبون في الصيف إلى مراعيهم، ويعودون في الشتاء إلى بيوتهم في المدن والقرى الصغيرة، لذلك فإنه يجب تخطيط الطرق التي يمرون بها، لتفادي حدوث أي تجاوزات بحق الأشخاص الساكنين، أو المستقرين في تلك المناطق وبممتلكاتهم التي تقع فيها مراعيهم، ويتم تشكيل قوة مسلحة يختارها الوالي لهذه المهمة، ولتكون قوة طارئة عند الحاجة، أي يتم تدخلها عند حدوث أي حادثة، كما يجب أن تعهد هذه العشائر الرحالة لدى الحكومة بأحد أقاربها رهينة وكفيلًا ضامنًا لمنعاً لحدوث أي مشاكل لحين عودتهم إلى بيوتهم، ويجب على الحكومة العثمانية القيام بتشجيع هذه العشائر بالاستقرار، من خلال إعطائهم بعض الحوافز في المستقبل القريب، وجاءت في هذه المادة أيضاً أن على الولاة والقائمقامين، أن يولوا عناية فائقة لموضوع عدم تعرض رؤساء العشائر إلى أية إهانة أو مخاطر، من خلال مؤامرات أو اعتداءات قد يقوم بها أشخاص دنيئون. أما المادة الأخرى التي تحدثت عن الكُرد فكانت المادة الخامسة والعشرون، ضمن الفصل العاشر، وكانت تخص (الفرسان الحميدية)، وهي انه لا يجوز استخدام هذه الخيالة، إلا في أوقات الضرورة، كما انه لا يجوز لها حمل السلاح، وارتداء الأزياء الخاصة بها إلا في أوقات التدريب، وانه إذا حصل عكس ذلك، وخاصة عند حدوث أي مشكلة، فيجب إحالتهم إلى المحاكم¹.

إن الملاحظة التي تؤخذ على خطة الإصلاحات هذه هي أنها نظرت إلى شمال كردستان على أنها منطقة ذات أغلبية ارمنية، مع العلم أن الساسة والضباط الأجانب العاملين في القنصليات المنتشرة في أغلب مدن كردستان كانوا يذكرون ويدركون النسبة العالية للكُرد مقارنة مع أي عنصر آخر، ولكن مع ذلك همشت خطة الإصلاح دورهم وعاملتهم كأنهم غرباء عن هذه الأرض، فلم يأت ذكرهم إلا في المادتين السابقتين، وهي مواد تحمل في طياتها سمة الحذر والتهديد للكُرد، وقد فطن الساسة إلى ملاحظة مهمة هنا فيما يخص العشائر الرحالة، فبعدما تُخطط الطرق لها، وتُجهز قوة عسكرية تكون بمثابة قوة طوارئ، تحذر هذه المادة من عدم إهانة رؤساء العشائر، أو تعرضهم لأي عمل عدائي في أثناء هجراتهم الموسمية، وذلك لأن الساسة الأجانب بدأوا يدركون ما ستؤول إليه عمليات التآر في كردستان، والتي كانت في مرات عديدة مميتة للطرفين.

بعد مفاوضات بين الحكومة العثمانية وسفراء الدول الثلاث المارة الذكر، وفطنة

1. Inclosure I in No. 39, Observations on the Draft of Reforms Presented by the Ambassadors of the three Powers for certain Vilayets in Anatolia, IN: (B.Ş.B.D.O.A), VOL: IV, P.45-46.

السلطان عبد الحميد في استغلال الخلاف الأوربي قدم اعتراضات عديدة على خطة الإصلاح الأوربية في ١٧ حزيران ١٨٩٥، وكانت نقاط الاختلاف مع المشروع الأوربي للإصلاح، تنحصر في النقاط الآتية، كما بينها السفير فيليب كيوري:

١- إن المسيحيين في الولايات الست، سيعينون في الوظائف هناك حسب نسبهم السكانية.

٢- سيعين الموظفون ذوي المراتب العالية، مثل: الولاة، ونوابهم حكومة السلطان ولن تكون عن طريق عملية انتخابية يقوم بها سكان الولاية.

٣- إلغاء المواد القضائية التي تتعارض مع القضاء العثماني^٢.

أما فيما يخص الكُرد فيظهر أن الحكومة العثمانية لم تعترض على أي مادة تناولت الكُرد، وقد جاءت المواد المتعلقة بهم في نص المسودة العثمانية للإصلاحات، متفكّة على ما جاء في مسودة الإصلاح الأوربية، وخصصت للكُرد فيها المادة الرابعة والعشرون، والخامسة والعشرون، وعلى النحو الآتي:

"الفصل التاسع- (الرقابة على الكُرد)، (المادة ٢٤): سوف تحدّد مواقع هجرة الكُرد بصورة مسبقة، وسوف يرافق ذلك ضباط مع قوة مسلحة كافية، فضلاً عن قوة من الجندمة سترافق العشيرة في أثناء هجرتها، مع وجود مأمور للشرطة، وسيهرن الكُرد بعضاً من رجالها في أثناء هجرتهم. أما اللوائح التنظيمية الخاصة بالطرق، وحمل الأسلحة فسوف تطبّق عليهم أيضاً، وتكون من مهمة الحكومة اختيار تثبيت الأراضي للعشائر الرحالة التي يتجولون فيها، ولا يعطي حق الانتخاب إلا إلى الأفراد الذين يشكلون جزءاً من السكان الحضريين.

الفصل العاشر- (الفرسان الحميدية) (المادة ٢٥): سوف يمنع حمل الأسلحة وارتداء الزي العسكري بالنسبة للفرسان الحميدية خارج فترات التدريب، وسوف تطبّق اللوائح التنظيمية العسكرية بهذا الشأن، وفي حال المخالفة سوف يُقاضوا أمام المحاكم الاعتيادية"^٣.

1. No.39, Sir P. Currie to the Marquess of Salisbury, THERAPIA, August 3, 1895, IN: (B.Ş.B.D.O.A), VOL: IV, P.28-29.
2. No. 75, Sir P. Currie to the Marquess of Salisbury, THERAPIA, August 21, 1895, IN: (B.Ş.B.D.O.A), VOL: IV, P.130; Halil Metin, TÜRKİYENİN SiYASİ TARİHİNDE ERMENİLER VE ERMENİ OLAYLARI, İSTANBUL, 1997, S.77-78.
3. Inclosure I No. 75, Summary of Concessions embodied in the Turkish Draft of Reforms, IN: (B.Ş.B.D.O.A), VOL: IV, P.133.

يبدو هنا أن الحكومة العثمانية قد وافقت على كل ما جاء في الخطة الأوربية للإصلاح فيما يتعلق بالكرد، لأنها لا تتعارض مع سياستها، ويظهر أن الحكومة العثمانية أذعنت للأوروبيين، في أن حق الانتخاب لا يمنح إلا للسكان المستقرين، وستبعد العشائر الرحالة في أي انتخاب مستقبلي، وهذا ما كان يتمناه الأرمن.

لم توافق الحكومة العثمانية رغم تلقيها تنازلات كثيرة من جانب بريطانيا، على مسودة الإصلاح النهائية، وقد ماطلت كثيراً، لأنها علمت أن مجرد التوقيع على تلك الإصلاحات سيؤدي ذلك إلى زعزعة مكانتها في الأناضول كلها، ولكن بعد تجدد الأزمة الأرمنية اثر مظاهرة الباب العالي في أيلول ١٨٩٥، والتي سنتناولها لاحقاً. انتشرت أعمال القتل، والسرقه، والنهب في أغلب مناطق الأناضول، وهي الأزمة التي عرفت بـ(المذابح الأرمنية الأولى، أو المرحلة الثانية من الأزمة الأرمنية الأولى)–وستنطرق إليها لاحقاً–، اضطرت الحكومة العثمانية إلى الموافقة أخيراً على اللائحة النهائية، لمشروع الإصلاحات الأرمنية في ١٧/١٠/١٨٩٥، والتي لم يتغير شيئاً في المواد المتعلقة بالكرد فيها، وللأهمية التاريخية نورد هنا نص المواد المتعلقة بالكرد، التي جاءت في لائحة الإصلاح النهائية: الفصل الحادي عشر: " (السيطرة على الكرد) (المادة ٢٧): سوف تُثبّت مناطق تهجير الكرد بصورة مسبقة وبطريقة تتجنب أي ضرر تلحقها العشائر بالسكان، وان كل ضابط لديه أوامر وسيكون تحت أمرته قوة مسلحة، مع مصاحبة الجندرية، التي ستكون مع كل عشيرة أثناء التهجير، وينضم إليهم أيضاً مأمور بالشرطة، وستُقدّم الضيافة للكرد أثناء هجراتهم. أما اللوائح التنظيمية الخاصة بالطرق وحمل السلاح، فسوف تُطبّق على الكرد. أما بالنسبة للعشائر الرحل والبدو فيجب على الحكومة تخصيص أراضٍ لهم". الفصل الثاني عشر: "(الفرسان الحميدية) (المادة ٢٨) يمنع حمل السلاح وارتداء الزي بالنسبة للفرسان الحميدية خارج مدة التدريب، وسيخضعون خارج هذه المدة للمقاضاة أمام محاكم اعتيادية، وتقوم لائحة تنظيمية عسكرية بتحديد جميع التفاصيل لخدمتهم وبدون أي تأخير"^١.

بعد موافقة جميع الأطراف على القيام بالإصلاحات الأرمنية في شمال كردستان،

1. Inclosure in No. 273, Act embodying the Reforms for the six Vilayets inhabited by Armenians, as drawn up by the Delegates the three Embassies in conjunction with Munir Bey, the Secretary-General of the foreign Department, and revised by the three Ambassadors and Said Pasha, IN: (B.Ş.B.D.O.A), VOL: IV, P.326.

وفي مرحلة التنفيذ نشب خلاف بين بريطانيا والحكومة العثمانية، على اسم الشخص المسؤول والمشرف على عملية تنفيذ الإصلاحات، ولكن في النهاية آل الأمر إلى ترك هذا الأمر للحكومة العثمانية، عندما أصرت على اسم (شاكر باشا)، الذي لم تكن بريطانيا تريده، بسبب ميوله إلى روسيا^١، وقد عين العثمانيون كل من (دانش بك) رئيس القسم القنصلي في الباب العالي، و(إحسان بك) دبلوماسي في السفارة العثمانية في طهران، معاونين لشاكر باشا، كما عين (مافروكورداتو فندي Mavrogordato Efendi) معاوناً من المسيح لشاكر باشا^٢.

لم تحقق لجنة الإصلاح برئاسة شاكر باشا أي تقدم في شمال كردستان^٣، فمن جهة واكب حضور شاكر باشا إلى كردستان تجدد الأزمة الأرمنية، التي عصفت بمعظم مناطق شمال كردستان، وكذلك دخوله في صراع ضد الولاة والمسؤولين العسكريين في المنطقة، وضد زكي باشا نفسه، المشرف على الخيالة الحميدية، ومن جانب آخر أهملت الدولة العثمانية أمر هذه الإصلاحات في عام ١٨٩٧، لنشوب الحرب بينها وبين اليونان^٤، وأهمته كذلك الدول الكبرى المعنية بها، لانتقال الصراع فيما بينهم إلى مناطق أخرى في إفريقيا وجنوب شرق آسيا، كما أن الأوضاع الداخلية في أوروبا نفسها أصابها توتر شديد بسبب ظهور الأحلاف العسكرية فيها، كما شهدت الساحة الأوربية تسليحاً واسعاً بين معظم الدول الأوربية، مما كان يوحي بوقوع حرب كبيرة بين الدول فيها، كل هذه العوامل أدت إلى أن تلقى هذه الإصلاحات مصير الأولى، على الرغم من أن شاكر باشا بقي في منصبه لغاية ٢٠ تشرين الأول ١٨٩٩^٥.

1. MUSA ŞAŞMAZ, Op.Cit., P.185-186.

2. Ibid, P.188.

3. André Mandelstam, La Société des Nations et Les Puissances devant LE PROBLIME ARMÉNIEN, Via at: (<http://www.imprescriptible.fr/mandelstam>).

٤. للتفاصيل عن سير إصلاحات شاكر باشا، واهم المشاكل التي واجهتها بعد ذلك حتى اندلاع الحرب العثمانية اليونانية عام ١٨٩٧، ينظر:

-No. 245, Tefvik Pacha, Ministre des Affaires Etrangères Ottoman, aux Ambassadeurs Ottomans à Paris, Londres, Vienne, Rome, St-Petersbourg, Berlin, le 23 Novembre 1896, In: (B.Ş.D.O.A.A) 221-223; ARMAN J. KIRAKOSSIAN, Great Britain..., P.53-54; MUSA ŞAŞMAZ, Op.Cit., P.188-120.

5. BENGI KÜMBÜL, A.G.E., S.47.

ومن المفيد في الختام القول: أن بريطانيا طلبت من ساستها وضباطها العسكريين في أثناء قيام بريطانيا بدراسة أهم الإصلاحات الواجبة إجرائها في شمال كُردستان إبداء آرائهم في ذلك، برز هنا مقترح العقيد البريطاني (نورتون-Norton)، المفتش السابق للجندرية العثمانية، في بتليس في عهد الإصلاحات الأرمنية الأولى^١، وان لم يأخذ مقترحاته على محمل الجد الساسة البريطانيون، ورغم تحامل العقيد نفسه على الكُرد، في جوانب عدة في مقترحه هذا، إلا أن ما يهم من مقترحه هنا انه ذكر إنشاء إقليم في شمال كُردستان الحالية تحت اسم (إقليم أرمينيا الكُردية)، فان هذا الضابط البريطاني قد فطن إلى انه لا يمكن إخراج الكُرد من المعادلة العامة، لسياسة الإصلاحات في شمال كُردستان، لان الكُرد هم الأغلبية فيها، وكان قد قدم مشروعه في آذار ١٨٩٥.

١. للمزيد عن دور العقيد نورتون في كُردستان إبان عهد الإصلاحات الأرمنية الأولى، ينظر:
-Inclosure 2 in No.58, Captain Clayton to Major Trotter, VAN, December 29, 1880, in:
(B.Ş.B.D.O.A), VOL: II, P.190-191.

٢. ينظر نص مقترحات العقيد نورتون بخصوص إقليم (أرمينيا الكُردية)، في الملحق رقم (٤).

ثالثاً- المرحلة الثانية من الأزمة الأرمنية الأولى ١٨٩٥-١٨٩٦

أ- انتشار الأزمة في معظم أنحاء الأناضول :

لم تهدأ الأوضاع فيما يخص المسألة الأرمنية في الدولة العثمانية، وقد دلت تقارير القنصليات والسفارات الأجنبية، وكذلك تقارير السلطات المحلية العثمانية على أن أزمة ساسون ما هي إلا مجرد بداية لما ستشهده البلاد مستقبلاً، فبعد أزمة ساسون، اشتدت الحملة الإعلامية بين الطرفين العثماني والأرمني، وصارت أكثر عنفاً وتطرفاً، وغدت المسألة الأرمنية من إحدى أكثر المسائل اهتماماً بها في الصحافة الأوربية والأمريكية حينذاك^١.

وبعد ساسون لم تتوقف الحكومة العثمانية عن ملاحقة نشطاء ومحركي الأرمن وزجهم في السجون بتهم مختلفة، وقد عرضت السفارات الأجنبية، ولا سيما البريطانية والفرنسية مرات عدة وساطتها لغرض إعطاء عفو عن السجناء الأرمن في هذه الولاية أو تلك^٢.

في شمال كردستان تأزم الوضع كثيراً بين الكرد والأرمن، فمن جهة لم تتوقف الأحزاب والمنظمات الأرمنية وعلى رأسها الطاشناق والهنجاق بالهجوم على العشائر الكردية وخاصة الرحالة منها^٣، كما أن السلطات المحلية العثمانية شجعت بعض العشائر الكردية على القيام بهجوم على القرى الأرمنية أو التي تشتبه في أنها تحوي ثواراً من الأرمن، وقد أشارت تقارير القنصليات البريطانية إلى العديد من هذه الهجمات، التي يغلب عليها طابع السلب والنهب أكثر من طابع القتل وزهق الأرواح^٤.

١. ينظر مثلاً:

-No. 441, The Earl of Kimberley to Sir P. Currie, FOREIGN OFFICE, March 28, 1895, IN:

(B.Ş.B.D.O.A), VOL: III, P.594-596.

2. Ibid; No. 347, Mr. Herbert to the Marquess of Salisbury, THERAPIA, October 29, 1895,

IN: (B.Ş.B.D.O.A), VOL: IV, P.388-389.

3. MAYÉVSRIY V.T., A.G.E., S.128-129.

4. No.74, Sir P. Currie to the Marquess of Salisbury, CONSTANTINOPLE, August 21, 1895,

IN: (B.Ş.B.D.O.A), VOL: IV, P.127-129.

أما العامل الأبرز، الذي أوجَّ الصراع بين الكُرد والأرمن بشكل أكبر عما كان عليه قبل هي الإشاعات التي كانت تنتشرها كل من السلطات العثمانية المحلية والأحزاب الثورية الأرمنية، على أن الدول الأوروبية قد تابحتت مع السلطان عبد الحميد الثاني، وتوصلوا إلى قرار ينص على منح الحكم الذاتي للأرمن في الولايات الست، وهي تقريباً معظم شمال كُردستان، فمن جهة كانت الحكومة العثمانية تعبئ الكُرد على أن هذه الأرض هي أرضهم وأرض المسلمين، فكيف سيتخلون عنها بهذه البساطة للأرمن المسيحيين، وحاولت أن تبين للكُرد أن السلطان عبد الحميد الثاني لا يقدر دفع الأرمن عن أرض المسلمين نظراً للضغوط الدولية عليه، ولكن الكُرد يستطيعون ذلك، لأنهم أصحاب الأرض الحقيقيين هناك، ومن جهة أخرى كانت المنظمات الأرمنية توتر الأوضاع أكثر، بإشاعتها أن الأرمن قاب قوسين أو أدنى من الحصول على الاستقلال^١. ويذكر أن الثوار الأرمن هددوا بالعصيان إذا لم تطبق الإصلاحات، في الوقت الذي وقف المسلمون بالضد منها، إذ عدوها بمثابة شكل آخر للاستعمار الأوربي الذي سيؤدي في نهاية المطاف إلى استقلال الأرمن، وتدمير الإمبراطورية العثمانية. قال القنصل البريطاني في ارضروم في ١٠ تموز ١٨٩٥، إن جماعة واحدة من المسلمين أقسموا على (إراقة الدماء)، في حالة موافقة السلطان على مشروع الإصلاحات^٢، تعد هذه الأسباب من أهم العوامل المباشر التي أدت إلى اندلاع الأزمة الأرمنية الثانية، فضلاً عن الموقف الدولي منها، والتي سيأتي الحديث عنها لاحقاً.

بدأت فصول هذه الأزمة في استانبول؛ ثم انتشرت بعد ذلك إلى كافة المدن والقرى في الأناضول، ولكن أغلب وقائعها كانت بطبيعة الحال في شمال كُردستان، وقد اشترك فيها الجميع الأتراك، واللاز، والشركس، والكُرد، والأرمن، والعرب، ولكن الضحية الكبرى فيها كانت من العامة من الأرمن، الذين كانوا حتى وقت قريب بعيدين عن كل ما يمت إلى السياسة بصلة.

قامت المنظمات والأحزاب الأرمنية يقودهم الطاشناقيون بمظاهرة كبيرة في استانبول، للمطالبة بتسريع الإصلاحات الأرمنية في ٣٠ أيلول ١٨٩٥، وقد اتجهت المظاهرة إلى قصر السلطان عبد الحميد الثاني، لذلك سميت هذه المظاهرة بـ(مظاهرة

1. No.33, Sir P. Currie to the Marquess of Salisbury, CONSTANTINOPLE, August 1, 1895, IN: (B.Ş.B.D.O.A), VOL: IV, P.23-24.

2. EDWIN MUNSELL BLISS, Op.Cit., P.22.

الباب العالي)^١، وقد أرسل المتظاهرون طلباً يتضمن أهم مطالبهم، إلى سفارات الدول الكبرى^٢، وعندما كانت المظاهرة في طريقها إلى الباب العالي حدثت أعمال شغب فيها، بعدها عمدت الحكومة العثمانية إلى قمع المظاهرة بكل قسوة. وقد أكدت تقارير شرطة استانبول على أنها لم تكن سلمية، وان اغلب المتظاهرين كانوا يحملون سكاكين وأسلحة أخرى، بهدف نشر الفوضى في العاصمة، وإحراج الحكومة العثمانية، لذلك قُمت المظاهرة بقسوة بالغة حتى وإن حدث ذلك أمام أنظار سفراء الدول الأجنبية فيها^٣. كما انه ربما يرجع الرد القاسي للحكومة العثمانية على المتظاهرين الأرمن، إلى أن هذه المظاهرة تعد المظاهرة الأولى التي تشهدها استانبول، باعتبارها حاضرة الخلافة الإسلامية آنذاك، ومن عنصر غير مسلم وهم الأرمن، وهذا ما لم تكن تتحمله الحكومة العثمانية^٤.

شعرت المنظمات والأحزاب الأرمنية بعد قمع مظاهرة الباب العالي المرة أن الوقت قد حان لإشعال إنتفاضة عارمة في الأناضول، اعتقاداً منها أن الاستقلال الأرمني بات وشيكاً جداً، خاصة أن الأرمن كانوا يدركون الضغوط الأوربية على الحكومة العثمانية، لتطبيق الإصلاحات الأرمنية في الولايات الست، لذلك قادت تلك اللجان الأرمنية انتفاضة كبيرة في أغلب مناطق الأناضول، بهدف الحصول على الاستقلال أو الحكم الذاتي، كما صرح به بعض سفراء الدول الأجنبية في استانبول آنذاك^٥.

وبعد بضعة أيام جرت محاولة في طرابزون لاغتيال بحري باشا والي وان السابق، مما خلق للسلطات الحاكمة حجة جيدة للانقضاض على الأرمن في طرابزون وما حولها، وفعلاً كان الهجوم على الأرمن في يوم ٨ تشرين الأول الذي شهد أحداثاً مؤسفة للغاية، انتشرت بعده عمليات القتل والنهب والسلب في كل أنحاء الأناضول، فقد وقعت عمليات قتل وتشريد ضد الأرمن في مدينة بايبورت في يوم ١٢ تشرين الأول، وفي ولاية ارزنجان ، وبتليس في ٢٥ تشرين الأول، وفي ارضروم في ٣٠

1. M.Kalman, Bati-Ermenistan..., S.57-58.

2. NURŞEN MAZICI, A.G.E., S.39; ARMAN J. KIRAKOSSIAN, Great Britain...,P.41-42.

3. No.166,Tavik Pacha, Minister Ottoman des Affaires Etrangères, à Morel Bey, Chargé d'Affaires Ottoman à Londres, SUBLIME PORTE, le 9 Decembar 1895, IN: (B.Ş.D.D.O.A.A), VOL: III, P.171-175.

4. Halil Metin, A.G.E., S.78-80.

5. EDWIN MUNSELL BLISS, Op.Cit., P. 20-23.

تشرين الأول، وفي عين تاب وسيواس في ١٢ تشرين الثاني، وفي ماراش في ١٨ تشرين الثاني، وفي سرت في ١٩ تشرين الثاني، وفي ٢٨ كانون الأول في أورفا؛ ثم تبعتها بيردجيك، وموش، واماسيا، وميزفون، والاسكندرون، وقايسري، وادنة، ومرسين ويوزكات^١؛ لتقف في منتصف شهر كانون الثاني ١٨٩٦ بعد ضغوط من الدول الأوروبية، وإرسالها إنذاراً شديداً للهجرة إلى السلطان عبد الحميد وحكومته، بضرورة البدء بالإصلاحات، ووقف الهجمات، وحملات الاعتقال للأرمن، وبناء ما هدمته قواتها واعتقال المذنبين الحقيقيين^٢، وذكرت بعض المصادر أن المذابح الأرمنية وقعت في (٤١) موقعاً خلال السنوات الثلاث ١٨٩٤-١٨٩٦.^٣

لم تنته أحداث الأزمة الأرمنية عند هذا الحد بل ختمت بثلاثة أحداث، أحدها: هي الحركة الأرمنية في مدينة وان في ١٤ حزيران ١٨٩٦^٤، حيث قامت القوات العثمانية بالهجوم على الحي الأرمني فيها، بعد وقوعه بيد اللجان الأرمنية. وكانت السلطات العسكرية العثمانية في وان قد قامت بالتنسيق مع القنصليات الأجنبية قبل العملية العسكرية، وانتهت حركة وان بسرعة، بعد أن قصفت الحي بالمدافع، ودمرت العديد من أبنيتها، فهرب نتيجة ذلك العديد من أعضاء تلك اللجان الأرمنية إلى داخل الأراضي الإيرانية^٥.

أما الحدث الثاني فكان في يوم ٢٦/٨/١٨٩٦، عندما قامت مجموعة أعضاء من

1. PETER BALAKIAN, THE BURNING TIGRIS: The Armenian Genocide and America's Response, New York, 2004, P. 59-60; Guenter Lewy, Op.Cit., P.421-456.

- من الجدير بالذكر هنا أن الوثائق البريطانية، وأغلب الباحثين والمؤرخين الذين تناولوا تلك الأزمة، يختلفون في إيراد التواريخ الدقيقة لكل منطقة أو ولاية عند وقوع الحوادث، وذلك لان البعض منهم قد أرجع البداية إلى العملية الأرمنية، والبعض الآخر أرجعها إلى الرد العثماني، كما أن هناك اختلافات واضحة بين التواريخ فيما يتعلق ما بين مراكز الولايات واقضيتها وقراها، إلا أن المهم هنا هو أن مدة وقوع الحوادث في أي منطقة كانت لم تكن تتجاوز ثلاثة أو أربعة أيام.

2. Halil Metin, A.G.E., S.80.

3. Robert T. Melson, Op.Cit.

- للتفصيل عن بعض عمليات القتل، التي قال الأرمن إن الأتراك والكرد ارتكبوها بحقهم ونشرتها الصحافة العالمية ينظر:

-Les émigrés arméniens, La revue blanche, No. 82.novembre 1896, Paris, P.394-399; Hors de France, L'ARMÉNIE TURQUE, Une Mer de Sang, La Revue Forézienne, No. 44.Aout 1901, P. 630-635.

4. MAYÉVSRİY V.T., A.G.E., S.146.

5. Ibid, P.148-149.

الطاشناق بغارة على البنك العثماني في استانبول واحتلاله، وقد قتل في هذه العملية ما يفوق مئة من الجنود الأتراك، وأخذ الأرمن المهاجمون على البنك العديد من الموظفين، والمراجعين في البنك رهائن، وكان مطلبهم الأساسي هو الإسراع في تطبيق الإصلاحات في الأناضول، وبعد تدخل السفارة الفرنسية في الموضوع، حُلَّت هذه الأزمة، إذ توصلت الأطراف لتسوية بمغادرة المجموعة الأرمنية التي قامت بالعملية، ونفيهم إلى مرسليليا والحفاظ على حياة الرهائن^١.

وكان الحدث الثالث هو الحركة الأرمنية في (زيتون-Zeitoun)، التي تسمى الآن بالسليمانية، التابعة لسنجق موش، ويكاد الأرمن في زيتون لا يختلفون عن الكرد في تلك المناطق، ومنذ القديم كانوا يتمتعون باستقلال شبه ذاتي، ولا يدفعون أي ضريبة للدولة العثمانية، وكانت زيتون في حركة مستمرة ضد السلطات العثمانية المحلية منذ بداية التسعينات، إلا أنها اشتدت أواخر عام ١٨٩٥، لتبلغ ذروتها في العام ١٨٩٦^٢، وحدثت المواجهات العنيفة بين الطرفين في ٢٤ تشرين الأول ١٨٩٦، حيث حاصرت القوات العثمانية بشكل كامل زيتون، واضطر الهنجاقيون، الذين قادوا الحركة فيها إلى الانسحاب منها، واللجوء إلى الكنائس الموجودة في المنطقة، إلا أن أحداثها انتهت فعليا في ٢٨ تشرين الثاني ١٨٩٦^٣، عندما تدخلت الدول الغربية، واقترحت مذكرة تفاهم ترضي الطرفين؛ تقوم على الالتزام وتطبيق الأمور التالية:

- ١- يقوم أهالي زيتون بتسليم أسلحتهم للعثمانيين.
 - ٢- نفي خمسة من عناصر العصابات المسلحة الأرمنية إلى خارج الدولة العثمانية.
 - ٣- إصدار عفو عام عن الأرمن المشاركين فيها.
 - ٤- تخفيض نسبة الضرائب الحكومية عليهم^٤.
- أما عن عدد القتلى الأرمن في جميع تلك الأحداث التي وقعت بين سنوات ١٨٩٤-١٨٩٤

1. Guenter Lewy, Op.Cit., P.24.

- غسان وليد مصطفى الجوادي، المسألة الأرمنية في الدولة العثمانية ١٨٧٨-١٩١٨: دراسة تاريخية، أطروحة دكتوراه مقدمة إلى قسم التاريخ، كلية التربية، جامعة الموصل، ٢٠١٠، ص ٩٥-٩٦.

2. NURŞEN MAZICI, A.G.E., S. 41-42; SALAHİ R. SONYEL, MINORITIES AND THE DESTRUCTION..., P.293.

3. Guenter Lewy, Op.Cit., P.24.

4. PETER BALAKIAN, Op.Cit., P. 60; M.Kalman, Bati-Ermenistan..., S.60.

١٨٩٦، فهناك اختلاف كبير بين مختلف المصادر، سواء أكان ذلك متعلقاً بإحصاء قتلى الأرمن في القرى، أم مراكز المدن، أم على مستوى الولاية الواحدة، أم عند الإحصاء العام لعدد القتلى في عموم الدولة العثمانية، وربما يكون من العسير، إن لم يكن من المستحيل التوصل إلى العدد الحقيقي للقتلى الأرمن في هذه الأزمة، فقد قدرت لويزا نالبايديان أن عدد قتلى الأرمن هو بين (٥٠٠٠٠) إلى (٣٠٠٠٠٠) قتيلاً، في حين أكد ريجشارد.ج. هوفانيسيان-Richard.G. Hovannisian أن العدد هو بين (١٠٠٠٠٠) إلى (٢٠٠٠٠٠)؛ وأعطى هانس لوبوسيس، المبشر الألماني القريب من الأحداث آنذاك الرقم (٨٨٠٠٠)^١، وتعطي بعض الإحصائيات الأرمنية الأخرى الأرقام ما بين (٣٠٠٠٠٠) إلى (٤٠٠٠٠٠) قتيلاً، في حين أن الدولة العثمانية أعطت الرقم (١٤٠٠٠) فقط، وان حوالي (٣٠٠٠٠٠) قد هاجروا إلى القوقاز^٢.

ومن الجدير بالذكر أن أي إحصائية لا توجد بخصوص الكرد، الذين قتلوا أثناء الأزمة الأرمنية، وخاصة أن هناك ما يشير إلى أن عدد الذين قتلوا من الكرد ليس بالقليل، وذلك لأن أغلب هجمات اللجان الثورية الأرمنية كانت ضد الكرد في شمال كردستان، سواء أثناء أزمة ساسون، أو في المرحلة الثانية أواخر العام ١٨٩٥ وبداية العام ١٨٩٦ .

ب- مسؤولية المرحلة الثانية من الأزمة الأرمنية الأولى :

سؤال شغل بال العديد من الباحثين والمؤرخين، لغاية اليوم هو: من يتحمل مسؤولية الأزمة الأرمنية؟ فهل هو السلطان عبد الحميد الثاني(القاتل الأعظم) اللقب الذي أطلقه عليه كلادستون رئيس وزراء بريطانيا، بعد تلك الأحداث^٣، ومن ورائه حكومته والسلطات المحلية والعسكرية؛ أو تتحملها المنظمات الثورية الأرمنية، وخصوصاً الهنجاك والطاشناق، بقيامها بالتحريض ونشر بذور الكراهية ثم اشعال انتفاضة عارمة ضد الدولة العثمانية، في أغلب المناطق التي يتواجد فيها الأرمن؛ أو يتحملها

1. Robert T. Melson, Op.Cit.

2. SALHI R. SONYEL, MINORITIES AND THE DESTRUCTION..., P.292-293.

٣. ينظر: فؤاد حسين حافظ، المصدر السابق، ص ٢١٤ . من الجدير بالذكر هنا أن الوزير اليساري الفرنسي آنذاك جورج كليمنصو، الذي صار رئيساً لمؤتمر السلام الذي عقد في باريس بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى، قد أطلق عند اشتداد وقائع الأزمة الأرمنية الأولى على السلطان عبد الحميد الثاني لقب (السلطان الأحمر). ينظر: المصدر نفسه.

الكرد، والشركس، واللاز، المتهمون بأنهم كانوا هم اليد الطولى للسلطان في هذه الأزمة؛ أم تقع المسؤولية الأكبر في تطور المسألة الأرمنية، حتى وصلت إلى ما هو عليه، على الدول الكبرى وعلى رأسها بريطانيا وروسيا، اللتين اتخذتا من شمال كردستان ساحة لنفوذهما، وتصفية حساباتهما السابقة؟

٨- مسؤولية الأحزاب والمنظمات الأرمنية:

في البداية لا يمكن إغفال أن الأحزاب والمنظمات الثورية الأرمنية الهنجاك، والپاشناق، والأرمنيكان، كان في نيتها القيام بقيادة إنتفاضة كبرى في جميع الأناضول، وخصوصاً في شمال كردستان ذات الطبيعة الجبلية والتضاريس الوعرة، فلا يمكن الادعاء بالقول، كما جاء في العديد من المصادر الغربية والمتأثرة بالرأي الأرمني القائل: إن المسلمين المتعصبين قد قاموا فجأة بالهجوم على الأرمن المسيحيين، حيث تم ذبحهم وسلب ونهب أموالهم، وأنه لم يكن هناك أي سبب وراء ذلك؟! فقد استبعد هذا الادعاء لسبب منطقي سهل وهو أن المسيحيين الآخرين في الدولة العثمانية، وان تعرضوا إلى مضايقات في بعض المناطق، إلا أنهم كانوا بعيدين كل البعد عن الأزمة الأرمنية، في أواسط التسعينات مثل: النساطرة (الأشوريين) والكلدان في شمال كردستان، واليونانيون في غرب الأناضول، وفي استانبول، وطرابزون، وفي أغلب المدن العثمانية المطلة على البحر الأسود والبحر المتوسط، فإن الأحياء اليونانية مثلاً لم تتضرر على سبيل المثال في استانبول أو في أضنة، والتي كانت قريبة من الأحياء الأرمنية، التي كانت عمليات القتل والسلب والنهب على أشدها، ولكن السبب يعود في جميع أنحاء البلاد إلى الأحزاب والمنظمات الثورية الأرمنية التي تُشار أصابع الاتهام إليها في إشعال فتيل الانتفاضة في أغلب المدن الكبيرة في شمال كردستان والأناضول كلها، وكانت تأمل من ورائها تدخل الدول الأوروبية في المسألة وحلها لصالحهم، كما حدث ذلك في المسألة البلغارية أواسط سبعينات القرن التاسع عشر^١.

ووفقاً لتقارير الحكومة العثمانية فان كل الوقائع المتعلقة بالمسألة الأرمنية، بدءاً من ساسون وانتهاجاً بحركة زيتون كان الأرمن هم البادئون بالهجوم أولاً على المسلمين؛ ثم يأتي بعد ذلك الرد من المسلمين، ففي هذه المرحلة من الأزمة الأرمنية باشرت الحكومة

١. حول هذه المسألة، ينظر:

-Walter B.Harris, Op.Cit., P.282-284.

العثمانية بإرسال لجان تحقيق، للبت في تلك الأحداث التي عصفت بالأناضول كلها، فمثلاً أرسلت لجنة تحقيق إلى ديار بكر في كانون الأول ١٨٩٥، وبعد قيامها بإجراء التحقيقات اللازمة والانتهاء منها توصلت إلى اتهام الأرمن بأنهم كانوا السبب وراء اندلاع الأزمة فيها عندما قاموا بالهجوم على المسلمين وهم يصلون في أحد المساجد، وأدناه نص كلمة اللجنة عند الالتقاء بعدد من أهالي ديار بكر:

"نيابة عن مولانا السلطان قمنا بإجراء تحقيق بخصوص الاضطراب، الذي حدث في بعض أجزاء من الأناضول، مثل: ساسون، وسيواس، ومعمورة العزيز، ودياربكر، نتيجة للفوضى الأرمنية، وبناءً على طلب الرجال البارزين في أقاليم جلالته الإمبراطوري. لقد شاهدنا الأعمال الوحشية التي حدثت، والتي تجاوزت ما حدث في ديار بكر، لقد أحزننا ذلك الأمر كثيراً، ومن الواضح أن ما حدث كان نتيجة لمؤامرات، حبكتها دول أجنبية معينة، وبشكل رئيسي انكلترا، لقد نشروا أفكاراً هدامة في قلوب الأرمن، لقد تسببوا بالاضطرابات التي حصلت في العاصمة، وثاروا بوجه الباب العالي على أمل الظفر بالنوايا الشريرة، إن هذا الأمر لا يخدم مصالح الأرمن، بل يصب في مصلحة الانكليز، الذين يحاولون السيطرة على هذا البلد من أجل أنفسهم والتهامه.

إن هؤلاء الذين أصغوا إليهم سلكوا طريقاً حافلاً بالمخاطر، فقد نذروا أنفسهم لضرب عرش الدولة العالي، بإرادة مولانا السلطان، وإنجيل سيدنا المسيح، وكما هو مكتوب في كتبكم (إن من يقف بوجه قيصر فإنما يقف بوجه الرب)، إن أعداء الدولة قاموا باضطرابات موجهة ضد بعض أبناء شعبنا المحميين في الإمبراطورية، مما جلب الضرر لكل من الدولة، والمجتمعات الدينية المسلمة والمسيحية، على الرغم من حقيقة أن الدولة ترغب بالطمأنينة لكافة رعاياها، ومع ذلك فإن لجميع المواطنين من غير المسلمين حقوقاً، وليس -كما تنص عليه تقاليد السنة والشريعة الإسلامية- هناك فرق بين مسلم ومسيحي. وهذا الأمر المؤكد عليه، بدعم من جلالته مولانا السلطان عبد الحميد خان الثاني، قد منح المسيحيين مناصب عالية وسمات الشرف، لان المسلمين والمسيحيين -في نظره- متساوون، فليس ثمة فرق بين المسلمين والمسيحيين، فما نقوله كنا قد سمعناه من جلالته بشكل مباشر".¹

1.DAVID GAUNT, Massacres Resistance, Protectors: Muslim-Christian Relation in Eastern Anatolia During World War I, New Jersey, 2006, P.42-43.

وقد أصدرت الحكومة العثمانية تقريراً مطولاً عن نتائج تحقيقاتها عن أسباب تلك الأزمة، وتطورها، في تاريخ ٢ شباط ١٨٩٦، وفيما يأتي ملخص عن نتائج المحققين العثمانيين في شمال كردستان:

تناول التقرير الوقائع في كل ولاية على حدة، بدءاً من أقصى شرق الأناضول، وانتهاءً بولاية حلب وادنة والاسكندرونة، وقد تحدث المحققون العثمانيون عن ولاية (طرابزون) أولاً؛ لكونها الولاية الأولى التي ظهرت فيها الأحداث، بعد انتفاضة الباب العالي في أيلول ١٨٩٥، ومن طرابزون بدأت بالانتشار في معظم ولايات الأناضول، يذكر التقرير أن الأحداث بدأت فيها حتى قبل مظاهرة الباب العالي، ففي ١٨٩٥/٩/٢٠ تعرض بحري باشا وحلمي باشا، لمحاولة اغتيال هناك من جانب اللجان الثورية الأرمنية؛ ثم تبعته أحداث أخرى، ولكن هدأت بعض الشيء، حتى وصول أنباء مظاهرة الباب العالي.

وبدأت الأوضاع فيها تضطرب من جديد، وهاجم الأرمن السكان المسلمين، وقاموا بإطلاق النار من نوافذ بيوتهم على المارة من الناس، لينشر هذا التخريب بعد ذلك إلى اغلب الأقسية والنواحي التابعة لطرابزون، وقد اتهم المحققون العثمانيون اللجان الثورية الأرمنية، على أنهم كانوا وراء جميع تلك الأحداث^١.

في ولاية (ارضروم) ذكر المحققون أن السلطات العثمانية تمكنت فيها من الاستيلاء على تقارير عدة للأرمن، تدعوهم فيها للانتفاضة، بعضها مكتوب بحبر اعتيادي، والبعض الآخر بحبر غير مرئي (الحبر السري)^٢، كما عملت اللجان الأرمنية على إرهاب الأرمن، داخل ارضروم لكي لا يشاركون في لجنة الإصلاحات، التي كان يرأسها شاكر باشا، وقد مارس الأرمن في ارضروم عمليات تعذيب مرعبة، وارتكبوا جرائم حتى ضد أحد شيوخ الكرد، وهو الشيخ حيدر أفندي، كما جاء في نص التقرير، وعند وصول أخبار المظاهرة الأرمنية التي كانت قد حدثت في استانبول، بادر الأرمن بإطلاق النار في السوق العامة للمدينة

1. No. 290, Tavik Pacha, Minister Ottoman des Affaires Etrangères, aux Représentants Ottomans à L'Étranger, SUBLIME PORTE, Le 2 Février 1896, IN: (B.Ş.D.D.O.A.A), VOL: III, P.264-265.

٢. للمرء أن يتصور بمجرد إيراد هذه المعلومة (استعمال الحبر السري) إلى أي مدى وصل المستوى التنظيمي للجان الأرمنية!؟

على المرة، لذلك قام المسلمون بالرد عليهم ومهاجمتهم، بعد ذلك فإن المحققين عددوا عشرات الأعمال التخريبية-كما يقولون- التي قام بها الأرمن، في ارضروم والأقضية التابعة لها؛ ثم توصلوا إلى أن تحرك القوات الحكومية فيها وتحرك الكرّد أيضاً ضدهم جاء ذلك كله بسبب النشاطات الأرمنية هناك^١.

في (بتليس) وبعد أن حصل الأرمن على السلاح قاموا بمهاجمة الجوامع في ١٨٩٥/١١/١٣ ورد المسلمون على هذا الهجوم، وحسب شهود عيان فإن المبشرين المسيحيين البروتستانت، كانوا قد أخبروهم أن ست ولايات في الأناضول، قد تركت لهم ولهذا قاموا بهذا الهجوم، فضلاً عن هذه العمليات فقد ذكر التقرير عشرات العمليات التي قام بها الأرمن في بتليس، ضد الأرمن المواليين للسلطات العثمانية، وضد المسلمين والكرّد فيها^٢.

لا يخرج التقرير عن اتهام الأرمن في (سيواس) أيضاً، وعلى نفس المنوال^٣، أما في ولاية (ديار بكر)، فقد قام الأرمن فيها بمهاجمة أحد الجوامع، الذي كان مكتظاً بالمسلمين، فأوقعوا عدداً من القتلى؛ ثم قاموا بإحراق سوق المدينة، فكان رد فعل المسلمين هو التصدي لتلك الهجمات، وانتهت عمليات الشغب فيها، كما يذكر التقرير في ٢٣ تشرين الأول، لتنتشر بعد ذلك الاضطرابات، إلى أقضية ونواحي ديار بكر، وفي ٣١ تشرين الأول اندفع احد الأرمن في شوارع ديار بكر، كما يذكر المحققون، يصرخ بأعلى صوته: "إن مملكة أرمينيا على وشك التأسيس، وأن الأرمن سوف يكون لهم اليد العليا على المسلمين"^٤؛ ثم تطرق المحققون بعد ذلك إلى الاضطرابات في ولاية معمورة العزيز، وولاية وان، وولاية أنقرة، وأضنة، و حلب على التوالي، وفصلوا في ذكر عشرات الحوادث فيها، التي عمل الأرمن من خلالها على قتل المسلمين واستفزازهم.

وفي ختام التقرير أتهم المحققون اللجان الثورية الأرمنية، وكذلك الإرساليات التبشيرية المنتشرة في أغلب مدن الأناضول، وبعض القنصليات الأجنبية بأنها جميعاً كانت وراء اندلاع الأزمة الأرمنية، الذين روجوا للإشاعات التي تقول: إن الأرمن باتوا

1. No. 290, Tavik Pacha, Minister Ottoman des Affaires Etrangères, aux Représentants Ottomans à L'Etranger , SUBLIME PORTE, Le 2 Février 1896, IN: (B.Ş.D.D.O.A.A), VOL: III, P.266-269.

2. Ibid, P.269-271.

3. Ibid, P.271-275.

4. Ibid, P.275-276.

قريبين جداً من الاستقلال مقارنة بأي وقت مضى^١. فضلاً عن ما سبق فإن هناك عشرات الوثائق والتقارير العثمانية التي تتهم فيها الثوريين الأرمن، لقيامهم بالهجوم على السكان المسلمين، كما تقول، وخصوصاً الكرّد في شمال كردستان، مما يدل فعلاً على أن الأرمن قاموا بانتفاضة كبيرة آنذاك، إلا أنها باءت بالفشل^٢، ومن جانبها، لم تبريء السفارات، والقنصليات الأجنبية في الدولة العثمانية أبداً، تلك الأحزاب الأرمنية من محاولة خلق انتفاضة ارمنية، واستفزاز السكان المسلمين وقتلهم، لكي يلقوا رداً قوياً من قبلهم، بحيث يتطلب دخول الدول الأوروبية لحل المسألة الأرمنية، كما حدثت في المسألة البلغارية في سبعينات القرن التاسع عشر^٣.

٢-مسؤولية الحكومة العثمانية:

هذا من جانب الأرمن، أما فيما يخص الحكومة العثمانية فإن أغلب الدوائر السياسية الغربية، وكذلك الرأي العام العالمي، يكاد يتفق على أن المسؤولية الأولى لتلك الأزمة (المذابح)، التي اكتسحت أراضي الدولة العثمانية، في تسعينات القرن التاسع عشر، تقع على عاتق الدولة، وأرادت من خلالها تطهير المنطقة من الأرمن، لأنها رأت فيهم عنصراً خائناً، كان يعمل منذ معاهدة برلين ١٨٧٨، على استغلال الظروف، لفصل الأناضول الشرقية-شمال كردستان- عن الدول العثمانية.

لقد شاركت الحكومة العثمانية، في قمع الأرمن وقتل وتشريد العديد منهم، وسخرت كل طاقاتها في سبيل ذلك، وشجعت الأهالي في تلك المناطق، على الانخراط في أعمال العنف، والسلب، والنهب، وأصدرت لهم الفتاوى بذلك، وطبقاً لرأي لبيسوس فإن المذابح كان قد بادر بها الباب العالي من القسطنطينية، وقد أكد على أن المذابح الأرمنية

1. No.290,Tavik Pacha, Minister Ottoman des Affaires Etrangères, aux Représentants Ottomans à L'Etranger , SUBLIME PORTE, Le 2 Février 1896, IN: (B.Ş.D.D.O.A.A), VOL:III, P. 276-288.

٢. ينظر على سبيل المثال:

- No. 19,The Morning Advertiser, Thursday, October 24, 1895: The Stamboul Riots Turkish Police Report (FROM OUR CORRESPONDENT), CONSTANTINOPLE, Oct. 19.IN: (B.Ş.D.D.O.A.A), VOL: III, P.44-47.

3. KAMURAN GÜRÜN, Op.Cit., P.183.

ليست إلا إجراءً إدارياً، جاء أمره من الحكومة العثمانية باسم السلطان، وقد نفّذه بإرادة صلبة الموظفون في المحافظات، وحسب رأي لبيسوس فإن السلطات العسكرية والمدنية، أدّت أدواراً تكميلية ومختلفة في المجازر، وأن السلطات العسكرية كانت مسؤولة عن توزيع الأسلحة للكرد والشركس غير النظاميين، وكذلك السكان المسلمين الذين كانت الدولة بحاجة إليهم وضمن إطار المشاركة، فالحكومة العثمانية كانت تقوم بتحضير الجماعات المسلحة المسلمة لضرب الأرمن، وفي الوقت نفسه تقوم بتطمين الأرمن بأنه لا خطر عليهم؛ ثم تقوم الجماعات المسلحة برفقة الجيش والشرطة بالانقضاض عليهم^١، ومن جانبه ذكر نائب القنصل البريطاني، ورئيس المترجمين في السفارة البريطانية في استانبول (فتزموريس - Fitzmaurice)، الذي كانت السفارة قد أرسلته لتقصي الحقائق، أن الأوامر التي جاءت من الباب العالي بعد مظاهرة القسطنطينية، فسرها المسلمون هنا وفي أي مكان آخر على أنه إرادة سلطانية، ولا بدّ من تنفيذ أوامر الشريعة الإسلامية^٢، وكثيراً ما ذكر المسؤولون الحكوميون في الدولة العثمانية أن أحسن أرمني هو الأرمني الميت^٣.

إن القناصل الغربيين في جميع مناطق الأناضول رفعوا تقاريرهم بخصوص تلك الأحداث، وذكروا فيها أن السلطات المدنية والعسكرية في جميع المدن والأرياف قد شاركت في عمليات الذبح، والنهب، والسلب التي مورست بحق الأرمن^٤.

صحيح أن اللجان الثورية الأرمنية، بادرت هي بالهجوم على العديد من مرافق الدولة أولاً، وقامت بعمليات استفزازية ضد المسلمين، إلا أن رد الحكومة العثمانية كان عنيفاً وقاسياً، ولم يكن يتناسب مع مستوى الانتفاضة، فقد قام المسؤولون الأتراك بإخبار

1. Robert T.Melson, Op.Cit.

2. Ibid.

3. M.Kalman, Bati-Ermenistan..., S.63.

٤. ينظر مثلاً:

- No. 395, Mr. Herbert to the Marquess of Salisbury, CONSTANTINOPLE, October 31, 1895, IN: (B.Ş.B.D.O.A), VOL: IV, P.406-407; No. 398, Mr. Herbert to the Marquess of Salisbury, CONSTANTINOPLE, November 2, 1895, IN: (B.Ş.B.D.O.A), VOL: IV, P.425-426; No. 453, Mr. Herbert to the Marquess of Salisbury, CONSTANTINOPLE, November 8, 1895, IN: (B.Ş.B.D.O.A), VOL: IV, P.459-462.

الأميركي (جورج هيبورث-George Hepworth) مراسل جريدة (هيرالد نيويورك)، أن الأرمن جلبوا الدمار لأنفسهم بسبب طموحهم نحو الاستقلال، ولكن عندما أقر هيبورث بأنه كان هناك (تحريض كبير)، فقد أشار أيضاً إلى الوحشية التي تفوق الوصف، من جراء قيام الأتراك بعمليات الثأر، والتي أنزلت العقاب بالبريء والمذنب¹.

وعلى هذا الأساس لا يمكن في جميع الأحوال تبرئة ساحة الحكومة في أغلب الأحداث التي عصفت بالدولة العثمانية، عند وقوع الأزمة الأرمنية الأولى في مرحلتها الثانية، وهناك إشارات ودلائل عديدة تؤكد على أن الحكومة العثمانية من جانبها قامت بالتخطيط للقضاء على الأرمن، أو على الأقل ترهيبهم لمغادرة أراضي الدولة العثمانية، فإن المسلمين (الأبطال) حسب تعبير شهود عيان، عندما فرغوا من أمر الأرمن في طرابزون، غادروها واتجهوا نحو بتليس وأرضروم، وبعد ذلك إلى ديار بكر، ومنها مثلاً إلى سيواس ودواليك، حتى لم يسلم منهم أي تجمع سكاني حتى الذي يضم في ثناياه الأرمن المسلمين من العامة²، وقد ذكر هذا الأمر العديد من الشهود الأرمن، فإذا ما كانت الحكومة العثمانية بريئة من كل ما حدث فلماذا لم تقم بمنع هؤلاء (الأبطال) من الذهاب من ولاية إلى أخرى طمعاً في قتل الأرمن، والاستيلاء على أموالهم؟

هناك أمر آخر يلفت الانتباه عند النظر بدقة إلى تلك الأحداث ألا وهو إطلاق صوت (البوق)، وخاصة في المدن أو الأفضية الكبيرة، كإشارة لبدء الهجوم على الأرمن فيها، كما حدث في بتليس، وأرضروم، وارزنجان، وخربوط، وعينتاب³، هنا يتساءل المرء من هي تلك الجهة التي أطلقت صوت البوق، الذي أكده العديد من شهود العيان؟ ولماذا تبدأ عمليات القتل، والهجوم على الأحياء الأرمنية، بعد سماعه مباشرة؟ وإذا ما كان إطلاق صوت البوق سمع في مدينة واحدة فقط، يمكن الاستنتاج أن عصابة من المسلمين أخذتها كإشارة للهجوم على الأرمن، ولكن إذا تكرر ذلك في عدة مدن ومناطق، لا يمكن البتة إبعاد أصابع الاتهام عن الحكومة العثمانية، وإنما ابتكرت هذا الأسلوب، من أجل تنظيم المهاجمين، وإعطاء موافقة الحكومات المحلية بالهجوم على الأرمن المسلمين في بيوتهم، والذين ليس لهم أي علاقة بالثوار الأرمن التابعين للمنظمات والأحزاب الأرمنية، والأكثر

1. Guenter Lewy, Op.Cit., P.22-23.

2. EDWIN MUNSELL BLISS, Op.Cit., P. 394-416.

3. Ibid, P.477-479; AN ARMENIAN, Op.Cit., P.264-265.

من هذا كله فقد حدثت مذابح طرابزون وخربوط في باحة متصرفيتها^١، كما أن هناك مصادر وإشارات أخرى عديدة ليس هنا مجال لذكرها تؤكد أن عمليات القتل، والسلب، والنهب، كانت تجري تحت إشراف، وبمشاركة الحكومات المحلية في الأناضول، سواء الداخلة في شمال كردستان أو الخارجة عنها، وان الوثائق البريطانية مليئة بالاتهامات للحكومة العثمانية بهذا الخصوص.

ففي مدينة ديار بكر مثلاً أكد نائب القنصل فيها (هالورد-Hallward) في تقريره المرسل إلى القنصل (كمبرباتش-Cumberbatch) في أرضروم بتاريخ ١٧/٣/١٨٩٦، أن المسلمين قاموا في هذه المدينة بقتل (١١٠٠) مسيحي، ساعدهم في ذلك عدد قليل من الكرد من خارج المدينة، قاموا بنهب الأسواق أولاً، ثم حرقها، كما اقتحموا العديد من المنازل، ونهبها وقتل سكانها، وان أغلبية هؤلاء القتلى جرى قتلهم داخل منازلهم، وقد استمرت أعمال النهب، والقتل الجماعي لمدة ثلاثة أيام، والسلطات لم تحرك ساكناً على الإطلاق، على حد قول هالورد، وكان للجند والضباط دور فعال في الأحداث، حيث كان الاعتقاد العام هو أن الأمر برمته، قام بتنظيمه (أنيس باشا) والي ديار بكر، بالاتفاق مع بعض المسلمين البارزين، أمثال جميل باشا الحاكم السابق لليمن، وعارف أفندي، وطلعت أفندي رئيس البلدية، وبكر أفندي^٢.

وقد ألقى عبد الرزاق بدرخان^٣، من جهته باللوم على الأتراك والحكومة العثمانية،

1. EDWIN MUNSELL BLISS, Op.Cit., P.480. Inclosure I in No. 96, Vice-Consul Fentana to Mr. Herber, Kharput, August 28, 1896, IN: MUAMMER DEMIREL, ERMENILER HAKKINDA INGILIZ BELGELERI(1896-1918): BRITISH DOCUMENTS ON ARMENIANS, Ankara, 2002, P.228-232;

- من الجدير بالذكر أن الإحالة إلى هذا المصدر الوثائقي فيما بعد ستكون بالمختصر الآتي:(M.D.B.D.A) وهي الأحرف الأولى من اسم المعد واسم الكتاب باللغة الانكليزية.

2. Inclosure in No. 50, Vice-Consul Hallward to Consul Cumberbatch, Diarbekir, March 17, 1896, IN:(M.D.B.D.A), P.126-129.

٣. عبد الرزاق بدرخان (١٨٦٤-١٩١٨): وهو من أحفاد بدرخان بك أمير بوتان، وصف بأنه من أشد المعارضين لحكم الدولة العثمانية لكردستان، كانت له نشاطات سياسية عديدة لعل أبرزها هي اشتراكه في تأسيس جمعيتي (الإرشاد)، و(جيهانداني)، وكان من ابرز المنادين إلى تأسيس دولة كردية بالاعتماد على روسيا القيصرية، أعدته الحكومة العثمانية في الموصل أواخر الحرب العالمية الأولى. للمزيد، ينظر: جليلي جليل، نهضة الأكراد...، ص١٣٧-١٨٩: صلاح محمد سليم هروري، الأسرة البدرخانية...، ص٣٥-٣٩.

ففي سؤال وجهه له (بيرتراند باربييل-Bertrand Bareilles)، مدرس اللغة الفرنسية في البلاط العثماني آنذاك، وكان مقرباً من عبد الرزاق بدرخان، عن سبب الأزمة؟ ودور الكُرد فيها؟ أوضح له عبد الرزاق بدرخان أن كل البلاد بعد إصدار أمر بإنهاء حكم جدي بدرخان بك في كُردستان دخلت في عهد من الفوضى وفقدان الأمن، ولن يستطيع الأتراك أن يفرضوا نفوذهم على الكُرد، كنفوذ شيوخهم عليهم، ومنذ ذلك الحين قاموا بضرب الكُرد بالأرمن وبالعكس، كما فعلوا في بلغاريا، وألبانيا، وصربيا، وفي اليونان، عندما حرضوا شعباً ضد آخر¹.

وعقب محاولة بعض الصحفيين الأجانب، أمثال الدكتور هيبورث مراسل جريدة (هيرالد نيويورك)، لتبرئة السلطان عبد الحميد الثاني، ووصف الصراع الذي دار في الأزمة الأرمنية على أنه صراع بين قوميتين، هم الكُرد الرُحل الذين هم (قطب السلب والنهب)، والتجار الأرمن الذين هم فريسة سهلة لهؤلاء الكُرد، نفى البطريك الأرمني في استانبول (مغاكيا أورمانيان)، للسفير البريطاني فيليب كيوري ذلك، حيث أخبره في آذار ١٨٩٨: "بأنه ليس هناك عداوة طبيعية بين العرقين، اللذين تمازجا بالدم، وعاشا جنباً لجنب لقرون عديدة، كان الاختلاف الحقيقي بين رجل الجبال، ورجل السهول، بغض النظر عن القومية، أما العداوة التي نشبت بينهما خلال السنين الماضية فكان من عمل السلطات التركية"².

وقبل الخوض في تفاصيل مسؤولية الجهات الأخرى في الأزمة الأرمنية الأولى في مرحلتها الثانية من المفيد هنا القول إن أغلب الحوادث التي وقعت في أواخر عام ١٨٩٥ وبداية عام ١٨٩٦، هناك بطبيعة الحال رواية عثمانية، وأخرى أرمنية، على أي حادثة، مهما كانت صغيرة أو كبيرة، نجد أن هناك روايتين مختلفتين، وهذا الأمر أيضاً قد حير حتى القناصل البريطانيين في كُردستان، رغم تحيزهم في تلك الآونة إلى جانب الأرمن، إلا أنهم كانوا يشيرون دوماً إلى الروايتين؛ ثم يبدو أن أراءهم الخاصة بشأنها، فمثلاً ذكر نائب القنصل البريطاني في خربوط (فستانتانا-Fcntana)، في تقريره

1. Roland BAREILLES, Le Crépuscule Ottoman 1875-1933: un Français chez le dernier grand sultan, préface d'Alain Decaux de L'Académie française, Études kurdes, No50 DE-CEMBRE 2002, P.89-90.

2. No. 218, Sir P. Currie to the Marquess of Salisbury, CONSTANTINOPLE, March 9, 1898, IN:(M.D.B.D.A), P.341-343.

المؤرخ في ٢٨/٨/١٨٩٦ الأحداث التي وقعت فيها، بالشكل الآتي:

"...إن التفسير الرسمي لسبب اندلاع الاضطراب هو أن احد الحلاقين ويدعى (ايهليجيان أوغلو سركييس-Ehlijian Oghlou Serkis) قطع حنجرة أحد الكُرد عندما كان يخلق له، ويزعم أن اسم ذلك الكُرد الذي قُتل غير معروف، حيث قُتل هذا الحلاق (سركييس) خلال اندلاع أعمال الشغب، إلا أن الرواة [لا يبين القنصل من هم هؤلاء الرواة، إلا انه على الأرجح هم من الأرمن] سخروا من هذه القصة، والذين أكدوا لي أن الاضطراب بدأ بسبب الأحداث التالية: كان هنالك (يازماجي) أو تاجر مواد تطريز يدوية يدعى (كارابيت)، والذي كان يؤدي عمله في السوق اقترب منه أحد رجال الحراسة الليليين، وهو تركي يدعى (حجي يعقوب اوغلو)، والذي طلب منه بعض الوشاحات بسعر معين، رفض (كارابيت) ذلك قائلاً: إنه سيخسر في هذه المساومة، ومع ذلك أصر الحارس على ذلك، وعندما جدد (كارابيت) رفضه سحب الحارس مسدسه صارخاً: أيها الكافر، هل ستصدر الأوامر لي، ثم أطلق عليه النار فارداه قتيلاً...^١.

٣- مسؤولية الدول الكبرى:

فيما يخص دور الدول الكبرى في الأزمة الأرمنية باختصار فإن هناك من يلقي باللوم كله على بريطانيا، وأنها كانت وراء تأزم الوضع في آسيا الصغرى، كما فعلت في قبرص، ومصر، وجنوب شرق آسيا، وإفريقيا، فإنها في البداية قد اتبعت المبدأ القائل: "النظام في آسيا الصغرى يعني السلام في أوروبا"، في إشارة منها إلى الحفاظ على وحدة الإمبراطورية العثمانية، والدفاع عنها أمام الزحف الروسي، الذي بدأ يقترب شيئاً فشيئاً إلى وسط أوروبا، مما ولدت مخاوف كبيرة عند البريطانيين^٢، وفي بداية التسعينات قربت بريطانيا المنظمات الأرمنية إليها، وهي من قامت بتمويلهم ودعمهم مادياً ومعنوياً، حتى خلقت الحجة في الأزمة الأرمنية في عام ١٨٩٤، وأرادت التدخل عسكرياً، لولا معارضة كل من روسيا وفرنسا، ولم يكن هدف البريطانيين في هذا كله مصلحة الأرمن، وإنما كان هدفها تشكيل دولة فاصلة بين روسيا وأطماعها في آسيا الصغرى والبحر المتوسط^٣.

1. Inclosure I in No. 96, Vice-Consul Fentana to Mr. Herber, Kharput, August 28, 1896, IN: (M.D.B.D.A), P.228-232.

2. Annexe au No.30, Extrait du "Matin" (Paris) du 13 October 1895: TURCS ET AR-MENIENS, IN: (B.Ş.D.D.O.A.A), VOL: III, P.3-7.

3. Ibid.

يقول كاتب في جريدة (الصباح-Matin) الباريسية، في عددها الصادر ١٣/١٠/١٨٩٥، إن: "بريطانيا حاولت وتحت ذريعة (النظام في الشرق يعني السلام في أوروبا)، وضع ستة ملايين ونصف المليون كُردي، تحت نير عبودية تسعمئة ألف أرمني، الذين يسكنون في اثنين وأربعين ولاية من أسيا الصغرى"^١، وقد لاحظ اللورد جيمس برايس، وهو صديق كبير وقديم للأرمن أن معاهدة برلين واتفاقية قبرص ساهمتا سلباً في مأساة الأرمن، ولاحظ في عام ١٨٩٦ بعد موجة المذابح الأرمنية: "لو لم تكن هناك معاهدة برلين والاتفاقية الانكلو-تركية لما تعرض الأرمن وبلا شك إلى الاضطهاد بشكل مستمر، كما اضطهدوا لقرون، ولكانوا تجنبوا عاصفة النار والمجاعة والمذبحة التي حلت بهم عام ١٨٩٥... فقبل معاهدة برلين لم يُضمّر السلطان العداء للأرمن، ولم يكن عند الشعب الأرمني أي تطلعات سياسية؛ ثم وضعت شروط فيما بعد من أجل حمايتهم، مما جعلهم لأول مرة أن يقعوا في دائرة الشك والكراهية، وذلك ما بعث أول مرة في نفوسهم للخلاص الذي زاد التعبير عنه من كره حكامهم لهم، علمتهم اتفاقية الانكلو-تركية النظر إلى انكلترا، فزاد تدخل انكلترا من مرارة الأتراك"^٢.

في حين هناك اتجاه آخر يلوم روسيا على أنها هي الأخرى في البداية وطيلة عقد الثمانينات عملت على دعم الأرمن وفي مرات عدة عسكرياً أيضاً، لخلق توتر في المنطقة، ثم ما لبثت أن غيرت من سياستها، بعد أن تغيرت السياسة الدولية آنذاك- كما مر بنا- فقامت بمحاربة كل ما هو أرمني منذ عام ١٨٩٣ واستمر ذلك إلى العام ١٩٠٨، حتى إن الأرمن اعتادوا على إطلاق تسمية (روسيا الغادرة)، بعد الأزمة الأرمنية ١٨٩٤-١٨٩٦ لأنها وقفت أمام بريطانيا لحل هذه الأزمة، وحاربت الثوار الأرمن منذ عام ١٨٩٦ إلى عام ١٩٠٨^٣، وقد قال أحد الأرمن بعد الأزمة إن: "الأتراك أخذوا أجسادنا، وإن الروس أخذوا أرواحنا"^٤. ويلقي الصحفي والطبيب (اي.جاي.ديلون-E. J.Dillon) في عمله (أرمينيا) الذي هو عبارة عن ما توصل إليه أثناء مشاهداته في كُردستان، عندما كانت الأزمة الأرمنية في أوجها، باللوم بشكل

1. Ibid, P.6.

2. Guenter Lewy, Op.Cit., P.8.

3. ROUBEN Der MINASIAN, ARMENIAN FREEDOM FIGHTERS: THE MEMOIRS OF ROUBEN DER MINASIAN, TRANSLATED AND EDITED BY: JAMES G.-MANDALIAN, BOSTON, 1963, P.90-95.

4. SAMUEL M. ZWEMER, Op.Cit., P.343.

كبير على روسيا القيصرية، ويذكر أنها كانت وراء تأجيج الصراع في شمال كردستان، ويورد المثال التالي على سياستها في المنطقة، ليبين من خلالها، كيف أن المسألة برمتها ليست مسألة صراع بين الأرمن والكرد، يقول ديلون: " ما الذي يمنعك من الذهاب إلى المدرسة هذا الصباح يا جورج؟ سألت إحدى الأمهات اللطيفات ولدها المتمرد في أحد صباحات الصيف الجميلة، أجابها الولد: إنه الطين يا أمي، أجابت الطين؟! إنك تحلم يا ولدي، فالشوارع نظيفة تماماً، فأين الطين؟ فأجابها: إنه عميق جداً بحيث لا يمكن اكتشافه"^١.

وعند النظر بشكل أعمق، في تفاصيل السياسة الدولية تجاه المسألة الأرمنية والتي لا يسع المجال هنا إلى الخوض فيها أكثر مما سبق- يظهر أن العملية كانت أكبر بكثير من كونها صراع بين الكرد والأرمن؛ أو هي حركة قومية أرمنية ضد سلطان الدولة العثمانية، فان المنطقة بمجملها قد دخلت في دائرة الصراع الدولي من أجل النفوذ والسيطرة، لذلك فإن المسؤولية البريطانية والروسية ليست بأقل شأنًا من المسؤولية التركية عن ما آلت إليه الأوضاع في كردستان خلال الأزمة الأرمنية ١٨٩٤-١٨٩٦، بل لا يُبعد عن الحقيقة من يتصور باحثاً كان أو قارئاً، عند الخوض في تفاصيل هذا الصراع الاستعماري، بأنه ليس للكرد، ولا للأرمن دور في تلك الأزمة، بل كانت تلك الأزمة برمتها فصلاً من فصول الصراع الاستعماري على مناطق النفوذ في آسيا، وكان ضحيتها الأرمن بدرجة كبيرة، والكرد بدرجة أقل.

٤-المسؤولية الكردية:

أما بخصوص دور القوميات، التي كانت تسكن مع الأرمن في الأناضول، فتأتي أسماء كل من الكرد، والشركس، واللاز، والعرب، ولكن بطبيعة الحال، يرد اسم الكرد أكثر من جميع القوميات الأخرى، وذلك لان الكثافة السكانية للأرمن هي الأعلى في شمال كردستان مقارنة مع أي مناطق أخرى، وفي الولايات الست التي يطلق عليها اسم

1. E. J. Dillon, The Condition of Armenia, IN: THE ARMENIAN MASSACRES 1894-1896..., P.233.

- وبهذا الخصوص أيضاً فقد عبر الأرمن عن أملهم بخسارة روسيا أمام اليابان في الحرب التي كانت قد اندلعت بينهما في نيسان ١٩٠٤، ينظر:

-No. 308, Vice-Consul Tyrrel to Sir N.O'Connor, Van, April 8, 1904, IN:(M.D.B.D.A), P.445-446

(أرمينيا الغربية)، لذلك فإن أغلب الحوادث وقعت في شمال كردستان، فما حقيقة اتهام تلك القوميات بأنها تتحمل جزءاً من المسؤولية؟ وهل فعلاً أنها تتحمل المسؤولية؟ وما هي التحقيقات الحيادية التي يمكن الأخذ بها، والاستناد عليها في بيان دور هذه القوميات؟ بخصوص المرحلة الثانية من الأزمة الأولى فقد ورد اسم الكرد في أغلب مناطق كردستان، باعتبار أن الكرد والأرمن كانوا يعيشون معاً، ويأتي اسم الشركس في كل الوقائع التي حدثت في الأناضول، أما اسم اللاز فيأتي بكثرة في أحداث طرابزون وأرضروم، أما اسم العرب فيأتي في وقائع ولاية حلب وأورفا وماراش^١.

لا يسهل المجال هنا للدخول في تفاصيل دور هذه القوميات في الأزمة الأرمنية الثانية، إلا أن هناك ملاحظة مهمة قد ذكرها لوبوسيس، وهي أن: "القيادة العامة للمذابح كانت بيد اللاجئين المسلمين، الذين هربوا من العنف، الذي كان يمارسه المسيحيون عليهم في القوقاز، وخاصة الروس"^٢، إن هذه الملاحظة جديرة بالاهتمام، وذلك لأن تلك القوميات وخصوصاً (الشركس، واللاز) كانوا قد هاجروا من موطنهم الأصلي، هرباً من المسيحيين الروس، الذين استولوا على أراضيهم في أواسط القرن التاسع عشر، وعند هجرتهم إلى أراضي الدولة العثمانية قامت الأخيرة بإسكانهم في أغلب مناطق الأناضول بالقرب من التجمعات المسيحية، ولا يمكن الجزم بأن هذا الأمر كان مخططاً له آنذاك، ولكن لا ينفي أن هذه القوميات قد بادرت إلى الانتقام من كل ما هو مسيحي في الدولة العثمانية، متى سنحت لهم الفرصة بذلك، ولا يخفى على أحد أنه لم تمض

1. EDWIN MUNSELL BLISS, Op.Cit., P. 465; M.Kalman, Bati-Ermenistan..., S.58.

- يقول شاهد عيان أرمني من ماراش، انه في ١٨ تشرين الثاني، أطلق للجنود العرب العنان في المدينة، فقاموا بمهاجمة الأرمن من كل حذب وصوب، ويضيف الشاهد قوله: "كان العرب الأشرار رابطي الجأش، لا أستطيع وصف المشهد الذي كنا نشاهده، كمهاجمة المنازل المحيطة بفتاء الكلية، ومقتل اثنين من رجالنا، وإصابة آخر ثالث بالرصاص". ينظر:

-EDWIN MUNSELL BLISS, Op.Cit., P.458.

- هنا لا بد من التنكير بأن مثل هذه الشواهد لا تحصى ولا تعد أوردتها الشهود الأرمن، في مختلف المصادر التي تناولت المسألة الأرمنية، شهادات ضد الكرد والعرب والشركس واللاز، ولكن يجب التنويه إلى أن أغلبها مبالغ فيها كثيراً، أما لماذا جاء اسم الكرد أكثر من غيرهم، وذلك لكثرة الأرمن في مناطقهم مقارنة بالمناطق الأخرى، فلو كان الأرمن ذا كثافة عالية في مناطق القوميات الأخرى، لجاؤا نكرهم على أنهم وحوش وقتلة مثل الكرد، ففي اورفا وماراش وعينتاب، رغم قلة عدد العرب فيها جاء اسمهم في شهادات الأرمن.

2. Robert T. Melson, Op.Cit.

مدة ثلاثين عاماً على استيطان الشركس في كردستان حتى جاء ذكرهم في معاهدة برلين، بجانب اسم الكرد -كما مر بنا سابقاً-.

بخصوص الكرد فقد ورد اسمهم في أغلب تقارير القنصليات البريطانية آنذاك، وذكروا دائماً مع اسم الجنود الأتراك، أو الأتراك والكرد، أو المسلمين والكرد، فهل هذا يعني أن الكرد كانوا قد شاركوا فعلاً بوصفهم قومية واحدة متلاحمة في تلك الأحداث إلى جانب السلطان، والحكومة العثمانية؟ أم أن السلطان أفتى لهم بذلك فعندوا ذلك أي: إتباع أوامر السلطان وتنفيذها بمثابة نوع من العبادة؟ وإذا ما شارك الكرد فيها فما هي الدوافع الحقيقية لهذه المشاركة؟ فهل هي دينية؛ أم سياسية؛ أم اقتصادية؟ ثم أين يكمن الدور الحقيقي للفرسان الحميدية في تلك الأزمة، التي سميت في المصادر الغربية، ظلماً بـ (المذابح الحميدي)؟

يمكن تقسيم الكرد إلى قسمين، بخصوص مشاركتهم في تلك المرحلة الثانية: القسم الأول، وهم القلة التي شاركت فيها، وأغلبهم كانوا من العشائر الرحالة، ولكن يلاحظ على سلوك هذا القسم أيضاً أنهم شاركوا في عملية السلب والنهب، نظراً للظروف الاقتصادية الصعبة التي كانت تمر بها كردستان، ولكنهم أيضاً كانوا بعيدين عن عمليات القتل، وهذا أيضاً لا ينفي أنه وقعت حوادث قتل في منطقة أو أخرى.

أما القسم الثاني، وهم تقريباً أغلب الشعب الكردي، في شمال كردستان، وهي الفئة المعبرة عن الأخلاق والصفات الكردية، هؤلاء لم يشاركوا في تلك الأحداث، بل أثبتت التجارب للأرمن في أزمته المشهورة، أن الصديق الوحيد للأرمن كانوا هم الكرد، وأنهم-أي: الكرد- وحدهم من عمل على إنقاذهم من بين جميع الشعوب الأخرى في المنطقة، ومن الغريب، وعكس ما هو متداول في المصادر الأرمنية والغربية فإنه يدخل ضمن هذه الفئة جانب كبير من الفرسان الحميدية-سيأتي الحديث عنهم لاحقاً-. فيما يخص الفئة الأولى من الكرد فإن أبرز الدوافع التي أدت بها إلى الاشتراك بواقع الأزمة كان دافع الانتقام، فإن العشائر الكردية الرحالة قد تأثرت بأعمال اللجان الثورية الأرمنية البشعة، لذلك عمدت إلى الانتقام منهم، كلما سنحت لهم الفرصة بذلك،

١. هناك عشرات الأمثلة التي رواها القناصل البريطانيون بعد انتهاء الأزمة، هاجم فيها الكرد مع الجنود الأتراك البلدات والقرى الأرمنية، وقاموا بسلب ونهب وقتل العديد من الأرمن، ينظر المصدر الوثائقي:

-(M.D.B.D.A) Op.Cit.,P.127-266.

ومنهم على سبيل المثال عشيرة (البكران، والرشكوتان) في ولاية ديار بكر وبتليس، فقد تم التثبت، من خلال تحقيق لجنة القناصل في أحداث ساسون، من أن هذه العشائر وأثناء رحلاتها في أراضي تابعة للقرى الأرمنية قد تعرضت للهجوم خاصة في بداية التسعينات وحتى حدوث الأزمة الأرمنية، لذلك كان من الطبيعي أن تعتمد تلك العشائر إلى الدفاع عن نفسها، وتخويف الأرمن حتى وإن كان ذلك عن طريق الانتقام منهم وذلك بنهبهم وسلبهم أو قتلهم، خاصة إذا ما عملنا أن الثأر وعدم التنازل عنه، أو نسيانه كان من أحد أهم الصفات الاجتماعية لدى الكرد آنذاك.

ومما يدخل في نطاق دافع الانتقام أيضاً هو كون أن اغلب هجمات الثوار الأرمن في التسعينات، بل وفي أثناء الأزمة الأرمنية كانت ضد الكرد، وليس ضد الجيش العثماني، إلا في حالات قليلة جداً، حتى انه في استانبول نفسها، فقد جاء في تقرير لجنة التحقيق في تظاهرة الباب العالي، ما يلي عن هجمات الأرمن على الكرد في تلك المدينة البعيدة عن كردستان، جاء فيها: "...إن الحادث الذي جرى في بيت حجي حسن، في [حي] قاسم باشا حرّض عليه... خمسون أرمنياً، الذين قاموا بإطلاق عيارات نارية من نوافذ دورهم، وقاموا برمي مصابيح نفطية على الكرد، الذين كانوا جالسين في المقهى في الجهة المقابلة، وان أحد هؤلاء الكرد أصيب بجروح خطيرة، وقُتل آخر، وهكذا بدأ القتال بين الكرد والأرمن، والنتيجة هي قتل عشرة من الجانبين..."¹، ففي أغلب حوادث القتل يظهر بان اللجان الثورية الأرمنية هي من كانت وراء ذلك، وهي التي أشعلت فتيله وبدأت بها.

كما حدثت أثناء الأزمة كذلك، مثل هذه الأفعال، فمثلاً في رسالة من القنصل العام في كردستان (كمبرياتش)، إلى السير فيليب كيوري بتاريخ ١١/١٠/١٨٩٥، أي في بدايات المرحلة الثانية من الأزمة الأرمنية الأولى يتحدث القنصل فيها عن هجمات الكرد في ارضروم، والأقضية التابعة لها؛ ثم يذكر أنه حصل على رسالة باللغة التركية، وبعد ترجمتها إلى الانكليزية، تبين له أنها رسالة تهديد من بعض الكرد، في منطقة خينس إلى الأرمن، وكانت الرسالة تحمل تاريخ (٦ تشرين الأول ١٨٩٥)، وفيما يلي نص الرسالة التي كتبها الكرد إلى الأرمن في تلك المناطق، والتي ستبين الشيء الكثير:

1. No. 19, The Morning Advertiser, Thursday, October 24, 1895: The Stamboul Riots Turkish Police Report (FROM OUR CORRESPONDENT), CONSTANTINOPLE, Oct. 19, IN: (B.Ş.D.O.A.A), VOL: III, P.44-45.

رسالة من الشيوخ الكُرد إلى القرويين الأرمن

إلى الأرمن في قرى خليل شاويش وكاكيك: لقد سببتم قبل عدة أيام باختفاء شيخنا حيدر أفندي، إذا لم يُعثر عليه فإنكم جميعاً سوف تكونون على حد السيف، يجب أن تعرفوا ذلك جيداً، ونحن نكتب إليكم باسم كل عشائرتنا، الأختام (محمد، علي، قادر، ميتو)^١.

وفي أثناء العمليات التي حدثت في ديار بكر ذكرت تقارير القنصلية البريطانية أن بعض الأشخاص قاموا بإثارة المسلمين فيها للهجوم على الأرمن، ومنهم على سبيل المثال جميل باشا^٢، ورغم أنه كان كُردياً في الأصل إلا أنه يحسب على الإدارة العثمانية هناك، وقد كان والياً سابقاً لليمن، أما لماذا فعل هذا الأمر؟ ربما يرجع ذلك إلى أنه لم يكن يميل إلى الأرمن، الذين كانوا السبب في بداية الثمانينات بعزله من منصبه، عندما كان والياً على سيرت، كما نفي أكثر من مئة رئيس عشيرة كُردية كما مر بنا سابقاً في منطقة ديار بكر وحدها، في مرحلة الإصلاحات الأرمنية الأولى (١٨٧٩-١٨٨١)، فلا بد من أن هؤلاء كانوا يضمرون العداء للأرمن^٣.

وفي ديار بكر أيضاً اتهم أحمد ثريا بدرخان، في تقريره المقدم إلى مؤتمر الصلح- السابق الذكر- الأرمن بأنهم من قاموا أولاً بالهجوم على الكُرد، حيث يقول ما نصه: " في ديار بكر قام الأرمن في ٣١/١٠/١٨٩٥ بمهاجمة السكان الكُرد في الجامع، وقتلوا منهم (٤٠) شخصاً، لذلك قام الكُرد بالرد على ذلك، وادعى الأرمن بأن الكُرد قاموا بذبحهم من دون أي ذنب"^٤.

في حركة وان التي اندلعت وقائعها في حزيران ١٨٩٦، تؤكد التقارير العثمانية،

1. Inclosure 2 in No. 345, Letter from Kurdish Chiefs to Armenian Villagers, IN: (B.Ş.B.D.O.A), VOL: IV, P.387.

2. Inclosure in No. 50, Vice-Consul Hallward to Consul Cumberbatch, Diarbekir, March 17, 1896, IN:(M.D.B.D.A), P.126-129.

٣. مَرَّت الإشارة إلى هذه المعلومات في البحث الثاني ضمن الفصل الثاني.

4. KURDISTAN ou ARMENIE, Op.Cit., P.21.

وكذلك تقارير القنصليات الأجنبية فيها على أن (الثوار) الأرمن هم من بدأوا بالهجوم على الكُرد فيها مرات عدة، ووصل الأمر إلى أن قاموا بالتمثيل بجثثهم، وإلا لماذا نسقت القنصليات الأجنبية مع الحكومة المحلية في وان، عملية الهجوم على الحي الأرمني هناك، ففي رسالة من الميجور (ويليامز-Williams) إلى السير فيليب كيوري، بتاريخ ٢٧ آذار ١٨٩٦، يؤكد فيها انه كانت هناك حالتان هاجم فيها الثوريون الأرمن الكُرد في وان، في الحالة الأولى: قتل الأرمن ثلاثة من الكُرد، وجرح اثنين آخرين، وفي الحالة الثانية: قتل الأرمن فيها اثنين أو ثلاثة من الكُرد، ويضيف الميجور وويليامز قائلاً: "يقال: إن الجثث [أي: جثث الكُرد] في كلتا الحالتين مثل بها بشكل مفرع"^١، وأيضاً من الأعمال المؤثرة جداً هو قيام الأرمن بقتل سليمان أغا، ومحمد أغا، واللذين يعدان من أبرز أغوات عشيرة حيدران الكُردية في وان^٢، وفي زيتون قام الأرمن بقتل جميع الأسرى الكُرد، الذين كانوا قد قبضوا عليهم، عندما كانوا يمرون في مناطقهم، أو من الذين اشتركوا مع القوات التركية في الهجوم على زيتون^٣، كما ذكر القنصل الروسي في بتليس في عام ١٩١٢، عندما تطرق في تقريره المطول عن المسألة الأرمنية أن اللجان الثورية الأرمنية كانت هي السبب في خلق العداوة بين الكُرد والأرمن في عام ١٨٩٥-١٨٩٦^٤.

جاء اسم ضابط الحميدية (موستيكو-Mostigo) الكُردي على أنه كان الأشرس في محاربة الأرمن في ولاية ارضروم وبتليس، وقام بعمليات عديدة ضدهم، ولكن عملياته تلك وكما بينه موستيكو للطبيب ديون لم تكن تخرج من إطار السلب والنهب، وانه نادراً ما قتل أحداً وإنما يكون ذلك في حالة إذا ما جوبه بمقاومة من الأرمن، يقول موستيكو: "إن الأتراك يكرهونهم [أي: الأرمن] ونحن لا نكرههم، فما نريده هو سوى المال والغنائم، وبعض الكُرد يريدون أراضيهم، أما الأتراك فيريدون حياتهم...".^٥

1. No. 58, Major Williams to Sir P. Curri, van, May 27, 1896, IN: (M.D.B.D.A), P.173-174.

2. KAMURAN GÜRÜN, Op.Cit., P.199.

3. SALAHI R. SONYEL, MINORITIES AND THE DESTRUCTION...,P.293; M.Kalman, Bati-Ermenistan..., S.60.

4. ASPIRATIONS ET AGISSEMENT RÉVOLUTIONNAIRES DES Comités Arméni-ens, avant et après la proclamation DE LA CONSTITUTION OT-TOMANE, ISTANBUL, 1917, P.74.

5. E. J. Dillon, Op.Cit., P.250.

تعد ذكريات سعد الدين باشا، الذي ترأس إحدى اللجان العثمانية، لتقصي الحقائق، ولتهدئة الأهالي في شمال كردستان، وقد كلف أيضاً، بقيادة القوات العثمانية في وان، للقضاء على التمرد الأرمني فيها، من أبرز المصادر الحيادية التي تناولت الأزمة الأرمنية في شمال كردستان في عام ١٨٩٦، فإن سعد الدين باشا قد التقى مع الكرد والأرمن، وشخصيات من الإدارة المدنية، والعسكرية العثمانية هناك، وقد كشفت لقاءاته تلك، التي دونها بنفسه، عن ملاحظات دقيقة، كان لها أبرز الأثر في تلك الأزمة، في ذكرياته تلك لم يبرئ سعد الدين باشا أحداً سوى السلطان عبد الحميد الثاني، فيما آلت إليه الأوضاع مؤخراً، ولكنه يلقي باللوم على الثوريين الأرمن، والجيش العثماني في شمال كردستان، في تفعيل تلك الأزمة.

لقد أدت عدة عوامل بنظر سعد الدين باشا إلى تفاقم الأوضاع في شمال كردستان، منها:

١- الأزمة الاقتصادية.

٢- الثوريون الأرمن، والانتقام الكردي.

٣- السلطة العسكرية العثمانية الفاسدة.

فعن العامل الأول (الأزمة الاقتصادية)، والتي تغفلها العديد من المصادر، وردت إشارات عديدة في ذكريات سعد الدين باشا، وبالاستناد عليها يمكن الاستنتاج أن عمليات السلب والنهب كانت من إحدى نتائج هذه الأوضاع المزرية، وفي أدناه بعض الأمثلة التي ذكرها سعد الدين باشا، عندما كان يجول في شمال كردستان:

مدينة أخلاط في ٢٨ كانون الثاني ١٨٩٦، ذكر أحد أحياء أخلاط بالوصف التالي: "ويوجد هنا حوالي خمسة إلى ستة من بيوت الأرمن، والمسلمين هنا فقراء جداً، ويسكن في هذه المحلة (الخامسة) أكثر من (٩٠٠) بيت، وقد دعوت الأهالي المسلمين-جلهم من الكرد- لأبدي لهم النصائح، وقد ادّعوا بأنهم مظلومين، وليسوا بظالمين، حتى إنهم قالوا إن حسين باشا قد استولى على كثير من أغنامهم وثيرانهم"^١-سيأتي الحديث عن حسين باشا لاحقاً-، هنا يظهر بأن وضع الكرد لم يكن بأقل هولاً وسوءاً من أوضاع الأرمن في تلك المناطق.

يدون سعد الدين باشا، مشهداً آخر في أخلاط، في ٢٨ كانون الثاني ١٨٩٦ ويدونه

1. SAMI ÖNAL, A.G.E., S.14.

قائلاً: "وبعد خروجي [من أحد الأضرحة] كان يتواجد خارجها أربعة إلى خمسة من المتسولين، ينتظرونني وبعد أن أعطيتهم الصدقات، أتى مسرعاً كل من شاهد ذلك، وبعد أن حاولت ونويت أن أعطي لأولئك عدداً من القروش، حتى وجدت نفسي محاطاً بعدد كبير من المتسولين كالغمامة السوداء، وقد ضايقوني كثيراً إلى الحد الذي كاد أن يقطعونني، وهربت منهم بصعوبة، بمساعدة العساكر التي كانت معي"¹.

ويقول سعد الدين باشا في يوم الخميس ٣٠ كانون الثاني ١٨٩٦ وبعد خروجي من أخلاط ووصولي إلى قائمقامية عادل جواز: "كان في استقبالنا وحدات من الحميدية ووحدات الميري [أي: الحكومية]، مع القائمقام والضباط على ظهر الخيول، وبعد أن عبرنا هذه المنطقة شاهدت الأهالي مجتمعين، ظناً مني أنهم خرجوا لاستقبالنا، ولكن تبين أنهم آلاف من الشحاذين، كانوا قد خرجوا على أمل أن يحصلوا على بعض النقود منا"².

ويذكر سعد الدين باشا عشرات الأمثلة الأخرى عن الوضع الاقتصادي المزري في أغلب المدن الكردية التي زارها في شمال كردستان، والتي بين فيها أن الأوضاع كانت مهيأة تماماً، ليس فقط لعمليات السلب والنهب، بل لعمليات القتل أيضاً، فقط من أجل الحصول على لقمة العيش، وقد ذكر سعد الدين باشا نفسه أنه كاد أن يقتل على يد عدد كبير من المتسولين في احد ضواحي أخلاط لا لشيء وإنما من أجل الحصول على المال ولقمة العيش، لذلك فبمجرد قيام الثوار الأرمن بعملية ما، وإفتاء الحكومة العثمانية لهم بهدر مال ودم الأرمني، الذي يعد أغنى عنصر حتى تلك اللحظة، ربما من الصعب جداً على أي احد السيطرة بعد ذلك على جموع هؤلاء الجياع؛ وقد أكد العديد من الكرد، سواء أكان ذلك للسياسة الأوربيين، أم للجان التحقيق العثمانية على أنهم حصلوا على فرمان سلطاني بهذا الخصوص³، وقد ذكروا هذا الأمر لسعد الدين باشا أيضاً⁴.

عدت وزارة الخارجية الفرنسية هذا السبب، بناءً على تقارير ساستها وقناصلها في الدولة العثمانية، أن هذا السبب يعد من أهم الأسباب التي أدت إلى انتشار الأزمة

1. A.E., S.16.

2. A.E., S.18.

3. EDWIN MUNSELL BLISS, Op.Cit., P.476.

4. SAMI ÖNAL, A.G.E., S.22.

الأرمنية في أغلب مناطق الأناضول، حيث كان للجوع والبطالة المتفشية في المنطقة أبلغ الأثر في تلك الأحداث^١.

أما العامل الثاني (الثوريون الأرمن، والانتقام الكردي)، فإن ذكريات سعد الدين باشا مليئة بشواهد وموضوعات من هذا القبيل، والذي تبين له أن أغلب الأعمال الكردية ضد الأرمن كانت رد فعل على قيام اللجان الثورية الأرمنية بعمليات وحشية ضد هؤلاء الكرد:

يذكر سعد الدين باشا أنه في قائمقامية عادل جواز، اجتمع في تاريخ ٣١ كانون الثاني ١٨٩٦، مع عدد من الشخصيات الكردية، وألقى عليهم كلمة بمناسبة عيد ميلاد السلطان عبد الحميد^٢، وقد كان من بين الحضور الأخ الأكبر لحسين باشا رئيس عشيرة الحيدران (سلطان بك)، وقد كان قائداً في الحميدية أيضاً، وفي أثناء النقاش ذكر سعد الدين باشا أن سلطان بك أمتعض من أقواله التي ذكر فيها أنه لا يجب مقاتلة الأرمن، فأجابه سلطان بك بأن هؤلاء الأرمن يدخلون عن طريق إيران إلى داخل أراضي العشائر الكردية، وقد عملوا على قتل العديد من الكرد، لذلك لم نستطع السكوت على اعتداءاتهم، وبعد أن أفتت الحكومة العثمانية لنا قمنا بالرد عليهم، واستطعنا الحصول على الغنائم منهم^٣.

وربما أن المقابلة التي عقدها سعد الدين باشا مع مجموعة من الأرمن في وان، بتاريخ ١٩ آذار ١٨٩٦، هي خير دليل على أن اللجان الأرمنية كانت هي البادئة في الهجمات على العشائر الكردية؛ ثم تلقت رداً عنيفاً نتيجة ذلك. وفحوى هذه المقابلة هي أن حوالي (٤٠٠) شخص من الأرمن طلبوا من سعد الدين باشا إعادتهم إلى قراهم التي احتلتها بعض العشائر الكردية، وإخراج الكرد من المنطقة كلها، وفيها يرد سعد

1. (36) Bâb-iAlî, Hârici Nezâreti, Tercume Odasi(Hariciye Nezareti'ne 6 Kasim 1896 tarihinde Paris Büyükelçiliginden gelen 597 numaralı telgrafın tercümesidir), içinde: OS-MANLI BELGELERİNDE ERMENI-FRANSIZ ILISKILERI 1879-1918, Cild: I, T.C. BAŞBAKANLIK DEVLET ARSDVLERD GENEL MÜDÜRLÜĞÜ Osmanlı Arşivi Daire Başkanlığı Yayın Nu: 58, ANKARA, 2002, S. 75-85.

٢. ان ميلاد السلطان عبد الحميد الثاني كان في يوم الأربعاء ١٦ شعبان ١٢٥٨ هـ المصادف ٢١ أيلول ١٨٤٢، وان التاريخ الميلادي الذي أورده سعد الدين باشا (٣١ كانون الثاني ١٨٩٦) يقابل يوم ١٦ شعبان من السنة الهجرية.

3. SAMI ÖNAL, A.G.E., S.22.

الدين باشا على هؤلاء الأرمن بأن الكرد لم يحتلوا قراهم إلا بعد قيامهم بقتل (١٤) كردياً، كان من بينهم أربعة من الشخصيات المهمة لديهم^١.

هناك حوادث عديدة ذكرها سعد الدين باشا في هذا المجال، ولكن يكفي القول هنا إن السبب الرئيسي لاندلاع الأزمة الأرمنية الأولى في مرحلتها الثانية كانت اللجان الثورية الأرمنية، فإن سعد الدين باشا لم يكن كردياً، ولكنه قد تفتن إلى سبب العديد من الحوادث التي جرت هنا وهناك، وان الكرد إذا ما شاركوا في تلك الأحداث فإن ذلك يرجع إلى الانتقام أو الرد على ما قامت به تلك اللجان الثورية الأرمنية، وفي أغلب المرات كان أعضاء تلك اللجان ينسحبون ويفرون دون أن يتم اللحاق بهم، فتدفع ضريبتهم تلك القرية التي آوتهم.

كما كانت الحكومة العثمانية تستغل هذه الظروف في مرات عدة، للتأثير على الكرد للقيام بهجمات ضد الأرمن، فمثلاً يتحدث سعد الدين باشا أنه اجتمع في ٦ أيار ١٨٩٦، مع مجموعة من رؤساء وقادة الكرد، ليبيدي لهم النصائح في منطقة نوردوز، وكان من بينهم كوليهاان بك، والشيخ احمد أفندي، وسليم البايدي، وبعدما تأسفوا على ما آلت إليه الأوضاع في المنطقة، قال له رئيس عشيرة ماكوي: "سيدي، في كل يوم تأتي إلينا مضبئية-حكومية- كما أن أشرف وان يبعثون إلينا برجالهم بهدف إثارتنا ضد الأرمن، ويقولون لنا: كيف تشعرون؟ ألا ترون هؤلاء الأرمن النجساء؟ [يقصد أفعالهم العدوانية] أنتم من جانبكم اعتدوا على قراهم واقتلوهم...نحن أيضاً لا نعلم شيئاً، نقوم بتصديقهم ونقوم بمثل هذه الأعمال غير الشرعية"^٢.

أما العامل الثالث الذي أشار إليه سعد الدين باشا المؤثر في الأزمة الأرمنية فهي (السلطة العسكرية العثمانية الفاسدة)، حيث أشار في ذكرياته إلى عشرات المواقف، قام بها العسكر بالسلب والنهب وقتل الأرمن دون سبب وأوامر بذلك، حتى انه ذكر في أحد المرات أنه يشعر بالحرَج من الناس في أن هؤلاء يمثلون جيش الإمبراطورية العثمانية، وفيما يلي بعض الأمثلة عن تصرفات الجيش العثماني في شمال كردستان:

في يوم ١٨٩٦/٣/١٠ يروي سعد الدين هذه الحادثة التي وقعت في وان: "اليوم في السوق سرق احد أفراد المدفعية نابض بندقية من أحد دكاكين الأرمن وولى هارباً، وفي

1. A.E., S.79-81.

٢. ينظر نص هذه المقابلة، في الملحق رقم (٥).

بعض الأزقة أيضاً، كان بعض العساكر يأخذون الشال من رقاب الأرمن، ويستولون على الحاجيات التي بحوزتهم، وعندما كان العساكر يتدفقون إلى السوق كان الأرمن يغلقون متاجرهم على وجه السرعة ويهربون... واشتكى بسكوباس [رجل دين الأرمن] من تصرفات العسكر، حتى قال لي: بأن العساكر عندما يصادفون الأرمن فإن هؤلاء العسكر يبصقون في وجوه الأرمن".¹

ويقول في موضع آخر عن العسكر في وان: "إذا وقعت حادثة في وان فإن الجنود والضباط لا يحسنون فعل شيء سوى القيام بإعمال السلب والنهب، وإنني على ثقة تامة بأنهم سوف لا يبذلون أي جهد، ولن يطيعوا أمر الباشا القائد، أما رائد الكتبية في القلعة الرئيسية في وان - فإنه يقوم ببيع المواد الغذائية المخصصة للجنود، كما أنه يضم إلى راتبه ما يقارب (٤٠٠٠٠) قرشاً من المبالغ المخصصة لوقود الجيش ويأمر الجنود بأن يتدفقوا بفضلات الحيوانات، وقد كتب لي رئيس عشيرة مارزكي [الكردية] مع قائمقامهم السيد شريف طلباً بعدم إرسال هؤلاء الجنود إلى مناطقهم، وأن القرويين يقولون لنا: (رجاءً لا ترسلونهم) بل يتوسلون لكي لا نفعل ذلك، كما أوصى القنصل الانكليزي بعدم ترحيل أو إرسال هؤلاء الجنود إلى أي مكان، وكان من المقرر أن نضع فرقة من الجندرية، على الطريق ما بين كوتور ووان، وبالتحديد في قرية قاشقولا وقرية قوجكرا وهي تابعة لعشيرة تاكوري، وذكرت هذا الأمر في لقاءتنا مع رؤساء العشائر هناك، إلا أن رئيس عشيرة ميلان [الكردية] هز بكتفيه ورأسه وضحك... وقال لا المسلمين ولا الأرمن مرتاحين منهم، وان الجندرية غير مرحب بهم بيننا، لأن هؤلاء الجندرية يلبسون الملابس الرسمية ويحملون بنادق الدولة، إلا أنهم في الحقيقة فرق من قطاع الطرق...".²

كما صرح سكان بعض القرى الأرمنية الذين يسكنون بالقرب من وان لسعد الدين باشا بأن الجندرية يأتون إلى قرانا ينامون فيها، ويأكلون ويشربون، ولا يدفعون مقابل ذلك أي شيء³، وقد اعترف العسكر لسعد الدين باشا بأنهم يقومون بهذه الأفعال ضد الأرمن، لأن روايتهم لا تكفيهم⁴.

1. SAMI ÖNAL, A.G.E., S.68.

2. A.E., S.73-74.

3. A.E., S.146-147.

4. , A.E., S.77.

فضلاً عن ذلك فقد ذكر سعد الدين باشا عشرات الأمثلة الأخرى عن فساد العسكر في شمال كردستان، وأنه بات على قناعة تامة بأن العسكر لا يقومون بشيء سوى عمليات السلب والنهب والقتل، إذا ما وقعت أي حادثة في أي منطقة في شمال كردستان، إلى درجة أن نفروا منهم الكرد والأرمن. وفي المثال السابق ذكر أغا عشيرة ميلان أن السبب الرئيسي لتفاقم الأوضاع سوءاً هم هؤلاء العسكر وأن الجميع لا يرغب فيهم ولا يرتاح إليهم في كردستان سواء من الكرد أو الأرمن.

هذا فيما يخص العوامل، التي أدت ببعض العشائر الكردية، إلى الاشتراك في تلك الحوادث، إلا أنه ثبت بعد ذلك، أن الغالبية العظمى من الكرد لم يشتركوا في تلك الأحداث، بل على العكس من ذلك قاموا بحماية الأرمن كل في منطقته، حيث لم ترد في أي من المصادر أن أحداً غير الكرد قد قام بإنقاذ الأرمن، ولكنه ظهرت في الأونة الأخيرة بعض الدلائل والوثائق تشير إلى أن العنصر الوحيد الذي هب لإنقاذ الأرمن في أثناء الأزمة الأرمنية هم الكرد والعديد من أغواتهم وبكواتهم، الذين كثيراً ما وصفوا على أنهم إقطاعيون، وكانوا بلا رحمة، وأنهم مجرمون وقطاعو طرق، ومهنتهم الرئيسية هي السلب والنهب، فلم ينقذهم الجيش العثماني، الذي يعد المسؤول المباشر عن حماية الأرمن، ولا السلطات المدنية التي ثبتت أنها وراء العديد من حوادث القتل والنهب التي لحقت بالأرمن آنذاك، ولا الشركس ولا اللاز الذين قاموا بعمليات انتقامية ضد الأرمن، وليس الأتراك كشعب، بطبيعة الحال الذين كرهوا وبغضوا كل ما هو ارمني منذ معاهدة برلين عام ١٨٧٨ .

ففي ماردين مثلاً: عندما اقترب الجنود الأتراك، قام المبشر (ب.دانييل-P.Daniel) العامل في الإرسالية الكاثوليكية الفرنسية بالاتصال بأحد الشيوخ الكرد في ماردين، الذي كان تربطه به علاقة قوية، بالعمل على تنسيق الجهود لحفظ المدينة، لذلك أخذ هذا الشيخ وأتباعه من الكرد على عاتقهم حفظ المدينة، ودافعوا عنها بكل قوتهم، ويقال إن الأرمن فيها، والمهاجرين إليها من القرى المجاورة لم يشعروا بهذه السعادة، كتلك التي شعروا بها عند دفاع هذا الشيخ الكردي عن الأرمن فيها، وعقب انتهاء الأحداث طلب المبشر الفرنسي دانييل من السلطات الفرنسية تكريم هذا الشيخ الكردي، وفعلاً منحت له ميدالية تذكارية لعمله الكبير في إنقاذ الأرمن

فيها^١، كما ذكر أحد الشهود العيان أن ماردين فعلاً أنقذتها عشائر كُردية قوية، كانت تكُن كل الاحترام للإرساليات التبشيرية فيها، التي نسقت معهم في هذا الشأن، ويأتي اسم العشيرتين المشكاوية والماندالكانية، على أنهم هم من حافظوا على أرواح الأرمن فيها^٢. يقول أحمد ثريا بدرخان في هذا الشأن: "عندما أراد بعض الجنود التسلسل إلى ماردين، لغرض ذبح الأرمن فإن (درويش أغا) -وهو رجل كُردي وشيخ عشيرة داشي- جاء ودافع عن أبواب المدينة، وقد أنقذ الأرمن ولذلك حصل على وسام الشرف الفرنسي، وفي الحقيقة أن الأرمن في قرية كوتلي أنقذهم أحد الكُرد وهو (غازي أغا) رئيس (كورسس-Gourses) وهذا أيضاً كُردي آخر، وهو أحد أحفاد الأمراء في بتليس، وشيخ (هازروا شفاء الدين باشا) والذي اعتقلته فيما بعد جمعية الاتحاد والترقي، الذي استقبل عنده (٣٠٠) عائلة ارمنية، وأخيراً فإننا ندافع عن ذلك أمام العالم أجمع بأن الكُرد لم يذبحوا الأرمن على الإطلاق، وإنما كل ما قاموا به هو الدفاع عن أنفسهم، وذلك بسلاح اليد ضد الهجمات الأرمنية"^٣.

هنا لا بد من التنويه إلى أن الانحياز البريطاني للأرمن يظهر بشكل جلي في هذه الحادثة، ففي رسالة من نائب القنصل البريطاني في دياربكر بتاريخ ١٧ آذار ١٨٩٦ إلى القنصل العام في كُردستان كمبرباتش، يتناول فيها هذه الحادثة بالصورة التالية: "...أما ماردين فهاجمها الكُرد، إلا أن المسيحيين والمسلمين اتحدوا للدفاع عن المدينة وصدوا الكُرد، ومع ذلك تمكنوا من حرق قريتين كبيرتين وهما كوالي وتيلارمان، واللتان تحتويان على (٥٠٠) و(٤٠٠) منزل على التوالي بينما هرب سكانها إلى ماردين"^٤. ويلاحظ في الرسالة المارة للقنصل البريطاني أنه ذكر اسم العنصر المهاجم على ماردين ألا وهم الكُرد، ولكن الكُرد وبتوافق جميع المصادر والشهود، هم من

1. LES MISSIONS CATHOLIQUES, BULLTEN HEBDOMADAIRE ILLUSTRÉ, TOME: 34, LYON-FRANCE, JANVIER-DÉCEMBER 1902, P.597.

2. DAVID GAUNT, Op.Cit., P.43-44; J. RENDEL HARRIS AND HELEN B. HARRIS, LETTERS FROM THE SCENES OF THE RECENT MASSACRES IN ARMENIA, LONDON, 1897, P.105-106.

3. KURDISTAN ou ARMENIE, Op.Cit., P.21.

٤. ينظر:

- Inclosure in No. 50, Vice-Consul Hallward to Consul Cumberbatch, Diarbekir, March 17, 1896, IN:(M.D.B.D.A), P.126-129.

دافعوا عن المدينة وأنقذوها، إلا أن القنصل البريطاني لا يذكر اسم الكُرد، ويضعهم تحت اسم أكثر شمولية وهم المسلمون، ولماذا لم يقل عند الهجوم أن المسلمين هم من هاجموا على المدينة، كما في حالة الدفاع؟!

في عام ١٨٩٧ نشر كتاب في موسكو بعنوان (المعونة للفاجعة الأرمنية في تركيا)، وفيها جاء ذكر بعض الأمثلة عن مساعدة الكُرد للأرمن، ومنهم على سبيل المثال (السيد محمود زادة بيت الله)، الذي اشتهر بشجاعته في المنطقة، فقد قام بجمع حوالي (٤٠٠) من رجاله؛ من أجل العمل على إنقاذ المئات من الأرمن في موخس، بل قام بدفع الضرائب بدلاً عنهم في السنة السابقة، والتي كانت تقدر بـ(٣٠٠) ليرة عثمانية^١، وذكر الرائد البريطاني مونسيل هذا الأمر أيضاً عندما زار موخس في تشرين الأول ١٨٩٩، حيث قال: "إن العلاقة هنا بين المسيحيين والمسلمين كانت دائماً جيدة جداً، ولم تحدث أي مجازر، وهذا الأمر يعود بشكل رئيسي إلى نفوذ العديد من البهوات الكُرد، والذي كان (مورتله بيك) الأكثر نفوذاً بينهم، هناك أيضاً (سليمان بيك)، وهو من المحاربين القدماء الذي قاتل في سيليستريا وسيباستول، مع ابنه (ارنشر بيك)، وكذلك (شيفكي بيك) و(نوري بيك)"^٢، ويذكر الرائد البريطاني مضيفاً أن مورتله يحتقر الكُرد الذين يلتحقون بالحميدية، ويقبلون الرتب العسكرية الحكومية، وأنه أراد الرحيل عن موخس إلا أنه وبضغط من الوالي نفسه عدل عن رأيه؛ لأن الوالي كان يعتقد أنه الضمان القوي لاستقرار المنطقة؛ ثم يشير الرائد مونسيل إلى منطقة أخرى أنقذها الكُرد أيام المذابح: "ذهبت من بالو إلى ارضروم عن طريق تيمران: هناك عدد كبير من السكان الأرمن المزدهرين كثيراً، في منطقة كازا العائدة إلى كيغي، تحتوي كيغي وحدها على (٣٠٠) بيت أرمني، من مجموع بيوتها البالغة (٤٠٠)، على حين تحتوي شلناكلجر على (٢٠٠) بيت منهم، وكوموك على (١٥٠) بيتاً، وتيمران على (٢٥٠) بيتاً، وحسينك على (٢٠٠) بيت، يمتازون بعلاقاتهم الحميمة مع الكُرد، حيث قام البهوات الكُرد بحمايتهم أثناء أوقات المجازر..."^٣.

كما عمل الدرسيميون الكُرد على إنقاذ العشرات من الأرمن، وإسكانهم بين

1. Naci Kutlay, İTTIHAD TERAKKI ve KÜRTLER, Ankara, 1992. S.267.

2. Inclosure in No.242, Major Maunsell to Sir N. OConor, Van, October 30, 1899, IN: (M.D.B.D.A), P.368-371.

3. Ibid , P.370-371.

ظهريهم، وعدم تسليمهم للسلطات العثمانية رغم الضغوط التي مورست عليهم^١. وفي وان عند هجوم القوات التركية على الحي الأرمني فيها قام رجل كُردي يدعى (الأغا عمر)، مع بعض أقربائه بإيواء وحماية أكثر من (١٠٠) شخص أرمني في منزله^٢.

ومن بين الأغوات الكُرد الذين عملوا على إنقاذ الأرمن، وإسكانهم ضمن أراضيهم إبراهيم باشا الملي، الذي كان يعد أحد أكبر قادة الفرسان الحميدية في كُردستان، وكان مركزه في مدينة (ويرانشهر)، الواقعة في جنوب غرب كُردستان^٣، فقد ذكر مارك سايكس عندما قام بزيارته في بدايات القرن العشرين، أن إبراهيم باشا قام بإنقاذ المئات من الأرمن وأسكنهم في ويرانشهر وما حولها، حتى يقال إن عدد الأرمن، الذين أنقذهم المدعو إبراهيم باشا الملي قد بلغ (١٠٠٠٠) أرمني، وقد أنقذهم من الهلاك والدمار^٤.

ربما كان تقرير الجنرال (مايوسكي)، الذي كان قنصلاً عاماً لروسيا في وان وأرضروم على التوالي لمدة سبع سنوات في تسعينات القرن التاسع عشر والمعنون تحت اسم (إحصائيات ولايات وان وبتليس – Statistique des Provinces de Van et de Bitlis) من أبرز التقارير الحيادية في هذا المجال وأكثرها قيمة، وقد كان مايوسكي قد رفع هذا التقرير إلى رئاسة الأركان الروسية، بعد الأزمة الأرمنية ١٨٩٤-١٨٩٦، وفيها اعتمد بشكل رئيسي على مشاهداته، حيث رأى بنفسه العديد من الوقائع التي حدثت إبان تلك الأزمة، فضلاً عن اعتماده على الكتاين الأزرق البريطاني، والأصفر الفرنسي، اللذين يعبران عن وجهة نظر البلدين من الأزمة الأرمنية.

في بداية تقريره الطويل يتحدث بالتفصيل عن العلاقة بين الكُرد والأرمن، والحكم العثماني في المنطقة، وبتهم المنظمات الثورية الأرمنية، بأنها كانت هي السبب الرئيسي في اندلاع الأزمة الأرمنية، وذلك بدعم كبير من الانكليز-كما يقول- منذ بداية تسعينات

1.M. KALMAN, Belge ve taniklariyla..., S.111-112.

2. MAYÉVSRİY V.T., A.G.E., S.148.

٣. تقع ويرانشهر تحديداً الآن على الحدود التركية السورية، في المنطقة التي تسمى الجزيرة الفراتية.

4.Ugur Ü. Üngör, A Reign of Terror: CUP Rule in Diyarbekir Province 1913-1923, MA Thesis University of Amsterdam, Department of History, 2005, P.26; Inclosure 4 in No. 53, Vice-Consul Fitzmaurice to Sir P. Curri, Adiamman, March 26, 1896, IN:(M.D.B.D.A), P.154-155.

القرن التاسع عشر، ويتهم مايوسكي هؤلاء السجناء الذين تم العفو عنهم في اضطراب الأوضاع في شمال كردستان، وبعد ذكره للعديد من الأعمال الانتقامية التي قامت بها تلك المنظمات يصل إلى الحديث عن أحداث زيتون ووان، وبعد ذكره لبعض الأعمال التي قام بها الأرمن ضد الكرد في وان، ومنها على سبيل المثال: قتل الأرمن لثلاثة من الكرد والتمثيل بجثثهم، يقول مايوسكي: "بصورة عامة لا نجد في الصحافة موضوع حول هذه المسألة، ولا نجد صفحة واحدة تشرح لنا الوضع، وأن كل ما ذكر لا يتجاوز بعض الأكاذيب، ويجب أن نكرر القول هنا، بان الفلاح الأرمني هو الذي عانى من العواقب الوخيمة للمسألة الأرمنية"¹: ثم يتساءل القنصل الروسي: لماذا لم تحدث هذه الأحداث بين يوان الأناضول؟ ليجيب بالقول: لاختلاف سبيلهم عن الأرمن².

وبعد سرده لأوضاع الكاثوليك الأرمن، وموقف الحكومة العثمانية منها، يستمر في حديثه وبشكل مفصل عن الدور الحقيقي للكرد في الأزمة الأرمنية التي اجتاحت معظم مناطق شمال كردستان.

فتحت عنوان (وضع الكرد)، يقول: "إن (موسى بك) كرد من كارجيكان، يعرفه معظم العالم، وكذلك (كوليخان بيك)، (وتيلي بيك) من كيفاش، و(شاكراغا) من كازا في شاتاخ، وآخرين وعلى الرغم من عدم إمكان مقارنتهم مع شيوخ العشائر، إلا أنهم كانوا مشهورين، ويعرفهم الجميع كأناس لهم سمعتهم وسط الكرد، من أبناء البلاد، وخلال الثورة الأرمنية قام هؤلاء الأغوات بأدوار مهمة جداً، وذلك بفضل التأثير الذي كانوا يمتلكونه، وعلى سبيل المثال: ازداد رجال (موسى بك)، و(كوليخان بك) لحماية الأرمن، وتقديم المساعدة لهم، كما أن القرى الأرمنية التي لجأت إلى حماية الأغوات والعشائر كانت تحت ظلهم، في حين أن القرية المجاورة، التي لم تكن محمية أصابها الدمار، أما هنا فلم نجد أي شخص يساوره القلق"³. - أي في المناطق التي كانت تحت حماية هؤلاء الأغوات من الكرد-.

وتحت عنوان (العلاقات بين الكرد والأرمن)، يورد بعض العبارات، وكأنها كتبت بقلم كردي متعصب لقوميته، يقول مايوسكي في بداية الموضوع: "من دون أي استثناء فإن الادعاءات [الأرمنية] التي قدمها الإعلان [الدعايات الأرمنية] والتي تدعي بأن الكرد

1. Général Russe MAYEWSKI, Op.Cit., P.41.

2. Ibid, P.64.

3. Ibid, P.75.

كانوا يبحثون عن إبادة الأرمن، يجب رفضها قطعياً، فلو كانت هذه الادعاءات صحيحة، فلن نكون قادرين على أن نجد أي فرد منهم بين الكرد، كما أن الشعوب المختلفة، التي تعيش وسط الكرد، تعيش معهم بسلام، ولو كان الأمر كذلك لوجدنا أن هذه الشعوب تعمل كعبيد عندهم، أو أنهم كانوا سيهاجرون بصورة جماعية، والحقيقة أن كلا الخيارين لا يوجد ما يؤكدهما، وعلى العكس من ذلك فإن كل شخص يعرف حقيقة المحافظات الشرقية [شمال كردستان] سوف يؤكد أن المناطق المحيطة بالقرى المسيحية هي غنية من جهة، ويسودها السلام والأمن مع الكرد، كما أن القرى المسيحية، أي السكان الأرمن، كانوا يعرفون العمل بصورة منظمة، وكانوا يديرون أمور حياتهم مع الكرد، حتى إن هناك الكثير من الأغنياء بينهم، فلو كانت الحالة مثل ما يدعي الأوربيون بوجود العصابات، والسراق، فإننا سوف لا نجد حالة الرخاء عند هؤلاء الأرمن.

وهكذا وحتى عام ١٨٩٥، فإن الضغط وتعذيب الأرمن في تركيا ليس إلا أسطورة مفتعلة تشوبها المبالغة، وحقيقة الأمر أن حالة الأرمن في تركيا لم تكن سيئة كالتى هي في البلدان الأخرى، لقد جرت الأحداث، التي عمدها إليها الثوريون الأرمن، والتي وصفوها بالنهب والقتل، انتشرت على صعيد واسع في القوقاز، وفيما يتعلق بمسألة اختطاف الماشية وغيرها فإنها ليست إلا سمة موجودة، وتمارس في مناطق عديدة في روسيا، بما فيها سرقة القطعان، أما فيما يخص حماية الأرواح والممتلكات فإن الحكومة التركية كانت تمارس صلاحيتها، وهي أفضل بكثير من ما هو موجود في منطقة ايلزابيتول^١.

يتابع مايوسكي حديثه المهم عن علاقة الكرد بالأرمن بالقول: "وخلال الأعوام ١٨٩٥-١٨٩٦ كان الكرد يعدون خطأ أعداء السكان الأرمن، وان هذه لا تعني ضمناً وجود عداء مستديم بين هذين الشعبين، وان الاضطرابات لم تكن إلا مسرحية في تصور الثوريين الذين قاموا بتنفيذها"^٢.

ويشير مايوسكي إلى بعض الشيوخ الكرد كيف هبوا إلى مساعدة الأرمن وحمايتهم في أثناء الأزمة، وقد كان لهؤلاء الشيوخ سمعة سيئة في مجال العصابات والنهب،

1. Ibid , P.77-79.

2. Ibid.

ولكن من خلال الإطلاع على أفعالهم تلك تنفي أي دليل على أنهم كانوا سُراقاً أو قاطعي طريق، كما كان يدعيه الأرمن^١.

ثم يذكر مايوسكي بعضاً من هؤلاء الشيوخ الكُرد، ومواقفهم الحميدة والإنسانية من الأرمن، ومنها مثلاً: أنه في العام ١٨٩٧، وعند عبوره لمنطقة كازا، قضى مايوسكي ليلته في قرية أرمنية تسمى (أرين)، وعند حضوره كان أحد وجهاء القرية ويدعى (كياجيا)، مع قس القرية يقومون بكتابة طلبات إلى السلطات العثمانية، يرجون فيها عدم إبعاد حسين باشا الحيدراني من المنطقة، لذلك طلب مايوسكي من مترجمهم أن يشرحوا السبب في ذلك، وقد ذكره على هذا النحو: "عندما أخذ أمين باشا الحيدراني في أثناء أحداث وان، على عاتقه نهب القرى الأرمنية في (كازا)، وفي (عادل جواز)، طلبت (٣٠) قرية أرمنية المساعدة من حسين باشا الحيدراني وحمايته لهم، فعهد حسين باشا أمر حماية تلك القرى، إلى سلطان بيك-وهو الأخ الأكبر لحسين باشا- ووضع تحت إمرته (٦٩) خيالاً من عشيرته، ولهذا لم تعاني إلا أربع قرى أرمنية من مجموع ثلاثين قرية، وذلك لأنها لم تحصل على النجدة في اللحظة المناسبة، في حين لم تُصَبْ أية قرية أخرى بأذى"^٢، وعندما أراد حسين باشا أن ينسحب بعد أن هدأت الأوضاع نوعاً ما، حاول بعض القناصل الأجانب إقناعه بالعدول عن ذلك، وقدم الأرمن في تلك القرى طلبات عدة إلى والي وان، بهدف مكافئته وإقناعه بعدم الانسحاب، لأنه في حال حدث ذلك فإن القرى الأرمنية تلك ستبقى دون حماية حقيقية^٣، ويشير كارو ساسوني إلى أن حسين باشا قام بغض الطرف أيضاً عن بعض العمليات التي قام بها الطاشناقيون بعد الأزمة في منطقتهم، وكان من المتعاونين معهم رغم قيادته لأحد أكبر أفواج الفرسان الحميدية^٤، هذا هو حسين باشا الذي أطلق عليه السير اي.سانديسون سفير بريطانيا، لقب (الوحش) في بداية تسعينات القرن التاسع عشر، بناءً على شكاوى أرمنية ضده^٥.

1. Ibid.

2. Ibid, P.81-83.

3. Ibid.

4. Garo Sasuni, A.G.E., S.121.

5. Inclosure in No.6, Memorandum by Sir A.Sandison, CONSTANTINOPLE, January 31, 1891, IN: (B.Ş.B.D.O.A), VOL: III, P.8-10.

وفي ١٦ تشرين الأول ١٨٩٨، ذكر مايوسكي انه في تلك الليلة التي قضاها في قرية (سوكينس)، التابعة لقضاء نوردوز، جاء إليه مختار القرية برفقة بعض الوجهاء الأرمن الكبار، وفي الحديث بين الجانبين جاء على ذكر مساعدة الكُرد لهم عقب أحداث وان ١٨٩٦، فقد ذكر هؤلاء الأرمن لمايوسكي أن الذي قام بحمايتنا هو شخص يدعى (حاجي أغا)، من كُرد ولاية الموصل، فبعد مسيرة يومين من هروبهم من قراهم، تمكنت قوة كان قد أرسلها حاجي أغا من الوصول إليهم لحمايتهم، وكان يبلغ عددهم (٦٠٠) شخص، وفي اليوم الثالث وصل حاجي أغا بنفسه، وقد قدم الطعام لنا وذبح ثلاثين خروفاً، وخلال تلك المدة سكنا تحت خيامه، من دون أن ندفع له شيئاً، والأكثر من ذلك أنه قام بإرسال رجاله معنا لحمايتنا، عندما ذهبنا إلى قرانا لغرض حصد المحاصيل؛ ثم يعقب مايوسكي على تلك الحادثة بالقول: " وتمثل هذه حقائق مأخوذة من أفواه الأرمن أنفسهم شخصياً، كما أن حاجي أغا كان معروفاً في مناطق الموصل وبتليس بوصفه رجل عصابات مشهور".^١

والمثال الثالث الذي يذكره مايوسكي عن هؤلاء الأغوات الكُرد الذين قاموا بإنقاذ الأرمن، هو (موسى بك)، فقد ذكر الأرمن خلال أحداث وان أن موسى بك كان فريداً

1. Général Russe MAYEWSKI, Op.Cit., P.83.

- يجب التكرار دائماً أن الأتراك لم يستطيعوا الدفاع عن أنفسهم، فيما يتعلق بالمسألة الأرمنية، أمام المحاكم الدولية، بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى، لأنهم لم يستطيعوا إثبات أن الأتراك هم من قاموا بحماية الأرمن من الكُرد، ولم يستطيعوا إثبات عدم اشتراك الأتراك في تلك الأحداث المؤسفة والمأساوية، فمثلاً في تقرير مايوسكي عن الأزمة الأرمنية الأولى يقوم الدكتور البروفيسور (عزمي سوسلو-Azmi SÜSLÜ) بإيراد نص تقرير مايوسكي كاملاً في كتابه عن المذابح الأرمنية، ولكي يقوم بالدفاع عن الأتراك ويظهرهم للعالم بأنهم هم من أنقذوا الأرمن في تلك الأزمة ولولاهم لهلكوا، ورغم مكانة عزمي سوسلو العلمية يقوم بتغيير كلمة (كُرد) إلى (ترك) في نص تقرير مايوسكي الذي أورده، فأينما وردت كلمة كُرد أو كُردِي قام الدكتور البروفيسور بتغييرها إلى كلمة الأتراك أو تركي، وذلك لدعم حجته الضعيفة أصلاً، فمثلاً العنوان الذي وضعه مايوسكي تحت عنوان (وضع الكُرد) قام عزمي سوسلو بتحريفه إلى عنوان (العشائر)، والعنوان الذي ثبته مايوسكي تحت اسم (العلاقات بين الكُرد والأرمن)، غيرها عزمي سوسلو بكل بساطة إلى (العلاقات بين الأتراك والأرمن)، وهكذا يقوم بتغيير كل كلمة حتى نهاية تقرير مايوسكي.

ينظر:

- General MAYEWSKI, MASSACRES BY THE ARMENIANS AGAINST THE TURKS,
Edited by Prof. Dr. Azmi SUSLU, ANKARA, 1991, S.16-31.

في موقفه، وقد قيل إن عدداً كبيراً من اللاجئين الأرمن أثناء تلك الأحداث، قد وجدوا عنده الملجأ وكان من بينهم امرأتان اثنتان من النساء الأرمنيات من تحملان الجنسية الهنكارية، وكان موسى بك قد استدان منهم بعض المال، إلا أنه وبعد أن قادهم إلى بر الأمان أرجع إليهم مالهم¹.

يختتم مايوسكي حديثه عن العلاقات بين الكرد والأرمن، بالقول: "في عام ١٨٩٥ عندما وصلنا إلى الموصل كانت العلاقات بين الأرمن والكرد جيدة، وفي مناطق عديدة من تركيا عاش هذان الشعبين بصداقة، إلا أن هذه العلاقة تغيرت عام ١٨٩٥، حيث تم تحشيد الكرد ضد الأرمن، وفي عام ١٨٩٧ أدرك الأرمن أن سبب ذلك يعود إلى الثوريين؛ ثم تحسنت العلاقة فيما بينهم، وإن أولئك الذين يديرون المسائل الأرمنية يحاولون كسب الكرد إلى قضيتهم"².

إن ما أورده الجنرال مايوسكي يعد خير دليل على بيان الدور الكردي الإيجابي في الأزمة الأرمنية ١٨٩٤-١٨٩٦، وقد استخف في مرات عدة بالأراء التي كانت تذكر أن الأرمن كانوا عبيداً للكرد، وإن الكرد كانوا سراقاً وقطاعي طرق، فقد أثبتت تجاربه الطويلة في كردستان ومشاهداته أن الكرد أناس مسالمون، وكانت جميع الأقوام والطوائف يعيشون معهم بسلام ومحبة.

يعقب الباحث (مايفسراي في تي- Mayévsriy. V.T) بعد قراءته المعمقة لأحداث الأزمة الأرمنية الأولى، ودور الكرد فيها قائلاً: إن الأرمن الذين كانوا يسكنون المناطق الكردية كانت العلاقة طيبة بينهم وبين الكرد ولأعوام طويلة، ولكن فيما بعد يفاجئنا العداء المفرط، الذي يظهره الأرمن للكرد، وكأنهم أعداء لدودون، يرجع الحقد بينهما إلى مئات السنين، ولكن من الواضح أن العقول المدبرة، والقائمة على إدارة أحداث العنف، والإضرابات في المنطقة، باستخدام الأرمن من بعيد لم تكن تعلم جيداً بطبيعة العلاقة في هذه المنطقة بين الأرمن والكرد، ولو أنها كانت تعلم بمدى الانسجام الموجود بين الكرد والأرمن في كثير من هذه المناطق المشتركة لكانوا عملوا على تقريب الأرمن والكرد من بعضهما بدلاً من إدخال العداء بينهما، وزرع الحقد وتحريض الأرمن ضد الكرد، وكانوا قد استفادوا أكثر من الشراكة والتوحد الأرمني الكردي، أكثر بكثير مما كانوا يتوقعون³.

1. Général Russe MAYEWSKI, Op.Cit., P.83.

2. Ibid, P.91.

3. MAYÉVSRIY V. T., A.G.E., S.128.

كانت من أحد أبرز نتائج الأزمة الأرمنية هو بروز ما يمكن تسميته بـ(إمارات كُردية جديدة)، إمارات وإن اختلفت شكلاً وتنظيماً عن الإمارات الكُردية الأخرى، التي انتهت عهدها في منتصف القرن التاسع عشر، إلا أن كلاهما لم تكن تختلف من حيث النفوذ والقوة، فقد استغل بعض أغوات العشائر الكُردية الأوضاع، وكلما أتهم الفرصة في تلك الأزمة الأرمنية استغلوها من أجل توسيع نفوذهم، وشكلوا اتحادات عشائرية كُبرى حلت محل السلطة المحلية والعسكرية العثمانية في كُردستان، التي فشلت في نشر الأمن والسلام، طيلة أربعة عقود فيها، ومن أبرز تلك الاتحادات العشائرية، هي اتحاد عشائر الحيدران بقيادة حسين باشا، الذي أصبح السيد الأوحده في ولايتي بتليس ووان، واتحاد عشائر الملي، بقيادة إبراهيم باشا، الذي امتد نفوذه على ولايات ديار بكر، واورفة، و حلب، والموصل.

فقد شهدت شمال كُردستان في أثناء الأزمة وبعدها تحولاً في بنية السلطة المحلية، صاحبه زيادة في أهمية ملكية الأرض، فإن الأرض ليست فقط للأرمن، ولكن للفلاحين الكُرد أيضاً، وقد بدأ كل واحد من شيوخ العشائر والوجهاء بالبحث وبطرق وأساليب شتى عن توسيع مناطق نفوذه وزيادة ثروته، لذلك سار العنف جنباً إلى جنب مع عملية السيطرة على الأرض، فبعدما ظهرت المنظمات الثورية الأرمنية على الساحة في كُردستان، ومحاولتها زعزعة الثقة بين الكُرد والأرمن شعر الكُرد بان الأرض التي كانت لكليهما في الماضي يحاول الأرمن الآن الظفر بها لأنفسهم فقط، بمساعدة الدول الأوربية¹.

وبناءً على ما مر فقد كانت هناك عوامل أعمق واشمل اجتمعت جميعاً لتؤدي كنتيجة طبيعية إلى ما هو أكبر وهو أحداث الأزمة الأرمنية ١٨٩٤-١٨٩٦، وهو الصراع على الأرض بين الأرمن والكُرد، وان هذا الصراع، وكما مر سابقاً، بدأه الأرمن للظفر بتلك الأراضي (الولايات الست)، خاصة بعد محاولات الدولة العثمانية إسكان العشائر الكُردية الرحالة في عدة مناطق، لذلك عمل هؤلاء الأغوات الكُرد من أجل السيطرة والحفاظ على الأرض التي كانت، حسب اعتقادهم، أرضهم التاريخية وأرض أجدادهم، وكان هذا الصراع في حقيقته بين الكُرد والأرمن يحوي بعداً أعمق، ألا وهو: هل هذه الأرض هي كُردستان أم أرمنستان؟ وقد آلت الكفة في النهاية إلى الكُرد وأثبتوا أنها

1. Janet Klein, Op.Cit., P.155-158

كُردستان، ولكنها للكُرد وللأرمن، كما كانت في السابق؛ إذ لم يمنعوا الأرمن من العيش معهم عليها وقد كان العامل الحاسم في تلك العملية هي الغلبة السكانية للكُرد في شمال كُردستان، رغم الإحصائيات الأرمنية والغربية العديدة التي أظهرت عكس ذلك، ولو كانت الكثافة السكانية الكُردية قليلة، مقارنة بكثافة الأتراك في بلغاريا مثلاً، لانتصر الأرمن دون شك، ولكانت تلك المناطق أرمنستان وليست كُردستان، كما انتصر البلغار قبل ذلك على الأتراك.

ويعد حسين باشا الحيدراني، وهو قائد متنفذ في الفرسان الحميدية، مثالاً للشخص الذي بدا كمالك للأراضي خلال هذه السنوات، وبعد الأزمة امتلك حسين باشا قرى عديدة، أو بالأحرى فرض حمايته عليها في بداية الأمر، إلا أنه عمل بعد الأزمة على امتلاكها من الأرمن أولاً، ومن المسؤولين الأتراك ثانياً، واتجه أخيراً إلى أراضي العلويين في ديرسم، إلا أن نجاحه هناك كان محدوداً¹.

في الختام بقيت قضيتان مهمتان لا بد من التطرق إليهما وبحثهما، الأولى: تتعلق بالتمثيل بجثث القتلى، والثانية هي ما تسمى بـ(كريف)، والتي لم يدرسها بدقة أغلب من تناول علاقة الكُرد بالأرمن، ما عدا قلة قليلة جداً من الباحثين والصحفيين.

٤-أ- التمثيل بجثث القتلى:

في مسألة التمثيل بالجثث لم يرد طيلة التاريخ الكُرد الحديث حتى بدء الأزمة الأرمنية أن الكُرد قاموا في أثناء حركة أو انتفاضة ما بالتمثيل بجثث قتلى عدوهم، وما أكثر الحركات والانتفاضات الكُردية في العصر الحديث، لقد رصدت ظاهرة التمثيل بالجثث وسجلت في بداية التسعينات، عندما تبنت الأحزاب والمنظمات الأرمنية العنف سبيلاً لتحقيق أهدافها، وهناك شبه اتفاق في الوثائق البريطانية والعثمانية على أن أول حادثة تمثيل بالجثث هي التي قام بها الهنجاقيون في ساسون، عندما قاموا بالقبض على أحد أقرباء أغا عشيرة بكران الكُردية- كما مر بنا سابقاً-، فقتلوه وملأوا بطنه بالبارود.

لم يكن الرد التركي على أعمال تلك اللجان الأرمنية بأقل عنفاً منها، فقد دوّنت عشرات الحالات التي قام بها الأتراك للتمثيل بالجثث، وخاصة في المرحلة الثانية من

1. Ibid, P.159-160.

الأزمة الأرمنية، وان عمليات القتل التي حدثت فيها يرتكب أغلبها عناصر من الجيش التركي، والفرق الشركسية، ولتوضيح هذا الأمر نورد المثالين التاليين، الأول: هو للكاتب الأرمني (انترانيك ازهدريان-Antranic Azhderian) قارن فيها بين الكرد والأتراك، ومسؤولية كل منهما في تلك الأزمة، عقب تحقيقه في الأزمة الأرمنية في عام ١٨٩٨، قال انترانيك ازهدريان: "صحيح أن الكرد كانوا يذهبون البيوت والممتلكات، وفي حالة المقاومة يرتكبون جريمة القتل، ولكن رغم ذلك فإن عند الكردي شعور بالرافة، والرحمة، والإنسانية، ومن الممكن أن نقول الحقيقة إنهم أفضل من الأتراك، فإن الكرد يذهبون ويقتلون من أجل الغنائم، في حين أن الأتراك يعدون النهب، وقتل غير المسلمين امتيازاً وواجباً دينياً، والحقيقة أن الأتراك هم الذين يمسون عصب الحكومة، وان التركي هو المعتدي الحقيقي، في حين أن الكرد ليسوا إلا آلة بأيدي الأتراك، لتنفيذ سياستهم المخططة بصورة متعمدة لإبادة الأرمن، ففي التركي نجد الشراسة، وعدوانية النمر، وخداع الذئب، ويتخفى دائماً بالجانب الديني، ويعد الجنة الجزاء لمن يقاوم الكافر بإسم الله وبإسم النبي"^١، والثانية هي مقارنة طريفة، ذكرها الكاتب الفرنسي (لودفي دي كونتنس-Ludovie de Contenson) في مؤلفه (المسيحيون والمسلمون)، الذي طبع في عام ١٩٠١، حيث قام الكاتب برحلة إلى كردستان في عام ١٨٩٧، قارن فيها بين الكرد والشركس، بهذا الشكل-حسب وجهة نظره-: "إن الشركسي هو إنسان خشن وفض، وبعد أن يجرد ضحيته يتركها عارية على الطريق، في حين أن الكردي يتركك بملابسك ويشير لك إلى طريق العودة..."^٢.

على الرغم من أن هناك بعض الملاحظات على ما ذكر في هاتين الروايتين، إلا أن المهم في الأمر هنا أنه قد تبين للأرمن وللأجانب أن أكثر عنصر في شمال كردستان، يتمتع بروح الإنسانية، والرافة، وان القتل ليس من صفاته، هم هؤلاء الكرد، مقارنة بالأتراك والشركس.

وبخصوص بعض عمليات القتل الكبيرة، التي أشار إليها المؤرخ (كمال مظهر

1. ANTRANIC AZHDERIAN, THE TURK AND THE LAND OF HAIG OR TURKEY AND ARMENIAN: DESCRIPTIVE-HISTORICAL AND PICTURESQUE, NEW YORK, 1898, P.355.

2. L'Abbe Eugène GRISELLE, UNE VICTIME DU PANGERMANISME L'Arménie Martyre, PARIS, 1916, P.23-24.

أحمد)، وأن الكُرد قاموا بها، معتمداً على بعض المصادر الأجنبية المتأثرة بالدعاية الأرمنية، وقد ظهر بعد ذلك أن تلك العمليات لم تحدث من حيث الأساس، أو أن فاعلها لم يكن كُردياً، يقول كمال مظهر: "خلال المذبحة الأولى افتتح أحد مشايخ الطرق واسمه الملا سعيد أحمد العملية بنفسه في مدينة أورفة، في الثامن والعشرين من كانون الأول من العام ١٨٩٥، حيث أمر بإحضار أرمني بريء أمامه فبطحوه على الأرض، وفصل رأسه عن جسده بيده، على مرأى من الجمهور"^١، وأيضاً، قوله: "وفي المذبحة الأولى أيضاً قتل شقيقان سوية في منطقة وان، كان يسميان عبد الحميد وعبد الغفور (٢٠٠) أرمني، وكان هناك كثيرون من أمثال هذين الأخوين في خربوط، فهناك أيضاً قتل شقيقان سوية أكثر من (٣٠٠) شخص، وقتل شخص كان يسمى حاجي بكو، وحده مئة شخص، وكان أحد الخبازين يتباهى بأنه قتل بنفسه (٩٧) شخص، وكان قطع عهداً على نفسه أن يبلغ عدد ضحاياه مئة شخص"^٢.

في البداية نقول إن المؤرخ كمال مظهر أحمد قد اعتمد في سرده لتلك الأحداث على بعض المصادر المنحازة للأرمن، ولتوضيح ذلك هنا يمكن القول إن القناصل البريطانيين في كُردستان على الرغم من تحاملهم على الكُرد، وقيامهم بالكتابة عن أبسط الحوادث، حتى في بعض المرات كانوا يكتبون عن حالة سرقة بعض الحيوانات القليلة جداً، وفي جميع الوثائق البريطانية المنشورة لم تكن هناك إشارة واحدة إلى مثل تلك الحوادث، وقد ورد الحادث الأول في بعض المصادر الأجنبية، مثل مؤلف (م.كالمان - M.Kalman) ولكن هذا المؤلف نفسه مع ذلك لا يشير إلى أن الملا سعيد هو كُردى^٣، وللتذكير هنا فإن اسم أكثر شخصية كُردية ورد ذكره في المذابح هو (موستيكو)، على أنه أبرز من ارتكب الجرائم ضد الأرمن، ولكنه كما أكد للطبيب ديلون آنذاك، على الرغم من جرائمه العديدة لم يكن يقتل الأرمن إلا في حالات قليلة جداً عندما كانوا يقاومونه، وقال إنهم

١. ينظر مؤلفه: المصدر السابق، ص ٢٥٧. من الجدير بالذكر أن المؤرخ كمال مظهر قد اعتمد في إيراد هذه المعلومة على رسالة من القنصل البرتغالي في حلب إلى السفير الإيطالي في استانبول.
٢. المصدر نفسه، ص ٥٧-٥٨. أما المصدر الذي اعتمد عليه المؤرخ كمال مظهر أحمد في تدوين هذه المعلومة فقد كان مصدراً وثائقياً مكتوباً باللغة الروسية، وهو: (إبادة الأرمن في الإمبراطورية العثمانية، مجموعة وثائق ومواد جمعت تحت إشراف البروفيسور م. ك. نيرسيسيان، يريفان، ١٩٦٦).

3. M.Kalman, Bati-Ermenistan..., S.62.

كانوا يريدون مال الأرمني، وأنهم لا يكرونهم، أما التركي-حسب قوله- فيريد دم الأرمني، كما مر بنا سابقاً.

الحادثة الثانية التي أشار إليها المؤرخ كمال مظهر كانت في وان، -وكما مرّ هذا الموضوع سابقاً- أثبتت الوثائق البريطانية، والروسية، والعثمانية، القرية جداً من الأحداث في وان، أن اللجان الأرمنية هي من قامت بقتل الكرد في حادثتين منفصلتين، وقام الأرمن بالتمثيل بجثث الكرد، وليس العكس، بل لقد اثبت عدد من الوثائق والشهادات أثناء الانتفاضة الأرمنية في وان عدداً من المواقف عمل خلالها الكرد على إنقاذ الأرمن- كما مر بنا سابقاً- كما انه يجب الحذر من جميع المعلومات التي وردت في الكتب الأرمنية، أو من المقالات التي نشرت في أثناء وبعد انتهاء الأزمة الأرمنية في التسعينات، وذلك لأنه قد تبين للسياسة البريطانيين أيضاً، وهم المدافعون الأوائل عن المسألة الأرمنية زيف جميع المعلومات التي تأتيهم من الجانب الأرمني، وصاروا يترددون في أخذ المعلومات منهم، فعلى سبيل المثال وردت في أغلب المصادر الأرمنية أن عدد القتلى الأرمن في ساسون وحدها بلغ (١٠٠٠٠) أرمني، وقد أخذ بها أيضاً المؤرخ كمال مظهر احمد^١، وهذا أيضاً غير دقيق ولا صحيح؛ إذ ثبت لدى القناصل الأجانب في كردستان بعد التحقيقات التي قاموا بها أن عدد القتلى لا يتجاوز الألف، ولم تكن الوثائق البريطانية بشكل خاص، لتتجاوز حتى حادثة صغيرة مثل سرقة كردي لخروف رجل أرمني، فكيف بها تتجاوز حادثة قيل إن عدد قتلى الأرمن فيها بلغ (٥٠٠) وعلى يد أربعة فقط من الكرد في وان، التي نسقت القنصليات الأجنبية فيها مع القوات العثمانية المهاجمة على الحي الأرمني؟!!

في موضوع متصل أشار المقدم البريطاني (بيكوت-Picot) في رسالة إلى الفريق (شابمان-Chapman) في طهران بتاريخ ٢١ كانون الثاني ١٨٩٥، إلى انه تلقى شكوى من قس أرمني عندما كان في زيارة إلى الحدود الفارسية العثمانية آنذاك، وقد ذكر له القس الأرمني أن الكرد قاموا بسلب ونهب كنيستهم، وان قريتهم تعرضت للسلب والنهب أيضاً، يشير بيكوت إلى انه وعد الأرمن بزيارة قريتهم للإطلاع على هذا الأمر والقيام بالواجب يقول بيكوت وبعد أسبوع ذهبت إلى قرية القس الأرمني المار ذكره، فوجدت الكنيسة سالمة، لم يمسه أحد، ولم يلمس أحد حجراً واحداً فيها، ولم تتحرك

١. ينظر مؤلفه: المصدر السابق، ص ٢٥٠.

جوهره واحدة من مكانها، ثم يضيف بيكوت: "ألقى القس المحلي نفسه على الأرض، وكان مستعداً لكي يلتهم حفنة من التراب، عندما وجد نفسه معرئ؛ لكذبه"، وينتهي بيكوت تقريره إلى الساسة البريطانيين، بالقول: "...كانت تلك أولى تجربة لي مع الأرمن، وإذا كان هؤلاء الذين رأيتهم عينات منصفة لعرقهم، فلا يسعني سوى الاعتقاد بأن عاطفتنا إزاءهم هي مبالغ بها كثيراً، وإن كل كلمة تصدر من هؤلاء الناس تتطلب فحصاً دقيقاً لها في موقع الحدث"¹.

ربما كانت دراسة الباحث الانكليزي (ولتر ب. هاريس-Walter B.Harris)، والمعنونة بـ(وجهة نظر محايدة حول المسألة الأرمنية) أحد أفضل الدراسات المحايدة التي تناولت المسألة الأرمنية، بعد انتهاء فصولها الأولى بنهاية العام ١٨٩٦، فقد كان هاريس من الباحثين والرحالة الانكليز، الذين كانوا متواجدين في كردستان عند إندلاع الأزمة الأرمنية ١٨٩٤-١٨٩٦، ومن خلال الإطلاع على دراسته يظهر أنه كان مطلعاً جيداً على مضامين العلاقات الدولية بشأن هذه المسألة، وفي دراسته تلك حمل جميع الأطراف مسؤولية الأزمة الأرمنية.

ينبّه هاريس قرأه إلى ملاحظة مهمة جداً، وهي انه وقبل إطلاق أي أحكام بشأن المسألة الأرمنية، يجب إدراك طبيعة الشخصية الأرمنية، وإجراء تقييم عام لها؛ ثم يقارن هاريس بين الأرمن والأتراك والكرد، ويبين صفات كل منهم، والبداية من الأرمن، فيذكر هاريس: إن المسيحي غير المثقف والمتعصب، هو الذي ينظر إلى الكنائس الأخرى بارتياح بالقياس إلى كنيسته، فالكريغوري أفعاله مشابهة إلى حد كبير لأفعال المسلمين، فهو فاسق في حياته المنزلية، ويمارس الرذائل التي من المفترض أن تكون لأولئك المسلمين، ويشرب الخمر بشكل أكثر مما ينبغي والذي يعده هو أمراً حسناً بالنسبة له، ويكون غير صادق عندما يجد الفرصة في العمل، فالأرمني هو شخص شرقي مثالي، يفتقد إلى اجتهاد ورجولة القروي التركي، وكثيراً ما يفضل الوصول إلى غاياته عن طريق المكر والخداع بدلاً من أن ينتهج التعامل النزيه².

هذا هو الأرمني في المناطق الريفية، أما في المدن فيصح القول إن إخضاعه إن لم يكن بالشرعية الأخلاقية فعلى الأقل بالشرعية القانونية، حيث نجده هنا مجتهداً ويتكلم

1. Inclosure in No. 409 , Lieutenant-Colonel Picot to Lieutenant-General Chapman, TEH-RAN, January 21, 1895, IN: (B.Ş.B.D.O.A), VOL: III, P.549-550.

2. Walter B. Harris, Op.Cit., P.281.

لغات عديدة، ورجل أعمال ممتاز لا يدع فلساً واحداً في يده يمر دون أن يفيد منه اقتصادياً، ويمارس ضغطاً على الذين يعملون تحت يده، وهو غير جدير بالثقة ما لم يشعر انه في مصلحته ومنفعته أن يكون العكس، وهو لطيف ومهذب ومقبول ظاهراً، ليس لديه عاطفة أو احترام لأي كان، ويصبح عديم الأخلاق عندما لا يكلفه العمل اللاخلاقى أي شيء، وهو شخص مطيع ومجتهد في عمله، وسيد مسيطر لا يرحم، فضلاً عن ذلك فهو ذكي بشكل كبير¹.

يتطرق بعدها هاريس إلى صفات الأتراك، وحسب رأيه الأتراك هم أفضل بكثير من الأرمن، وينفي أن تكون المذابح التي حدثت ذات صبغة دينية، وينهي حديثه عن الأتراك بالجمل التالية: "على الرغم من أنني أوضحت أن التركي هو ليس متعصباً من الناحية الدينية، إلا أن طبيعه العنيف يجعل منه مرتكباً للاضطهاد عندما يجد الفرصة مواتية لذلك، لا سيما إن كان الاضطهاد من النوع السياسي، لأن الحمية الوطنية لبلده وشعبه ومولاه السلطان، الذي يعتقد أنه خليفة الرسول، متجذرة في قلبه إلى حد كبير، لا أحد يعرف أكثر منه كم هو فاسد نظام الحكومة عنده، ولكن لا يوجد أحد يدافع بشكل أكبر منه عنه من أي هجوم قادم من الخارج؛ ولذا فمن السهل عليه أن يعتقد بأن السكان المسيحيين كانوا عدواً للدولة، وعليه فهو يعدوهم عدواً شخصياً له، ففي تلك المسألة يكمن مفتاح الموقف"².

أما انطباعه عن الكرد، الذين قال عنهم هاريس، إن الأتراك قد استغلوهم في هذه المسألة لضرب الأرمن، بعدما استفزهم الأرمن كثيراً من خلال عمليات نوعية ضدهم، فيذكره ويصفه بما يلي: "إن هذا العرق من الرجال الجبليين شديدي القدرة على الاحتمال، والمعروفين بأنهم يسكنون السلاسل الجبلية في آسيا الصغرى منذ عصور ما قبل التاريخ، كانوا معروفين بالنسبة للأشوريين، وأنهم مذكورين تقريباً وأفعالهم في كل صفحة من صفحات التاريخ المتقلب لآسيا الصغرى، من ناحية المظهرية يعدون عرقاً قوياً جداً من الرجال، ومن الناحية الشخصية يمتلكون بعض أفضل مميزات أبناء الشرق، ففي مناطقهم الجبلية، التي من النادر أن يصل إليها النفوذ المهلك للأتراك والفرس، فإنهم يعدون من أكثر الأعراق كراماً وطيبة، راضين بما قسمه الله لهم،

1.Ibid.

2.Ibid.

ويعيشون حياة مليئة بالأخلاق غير معروفة لدى الأرمن، إلا إنهم من ناحية ثانية لصوص، فهذه الميزة لا يمكن أن يستغرب أنها موجودة في شخصيتهم، عندما يؤخذ بنظر الاعتبار حجم المعاناة التي مروا بها، في الوقت الذي كان بلدهم يعد بمثابة ساحة قتال مستمرة، منذ الحقب الأولى في التاريخ ولحين نشوب الحرب التركية-الروسية، كم هو عدد الجيوش التي مرت من خلال بلدهم، وقامت بإعمال السلب والنهب، سيكون من الصعب عدّها وإحصائها، ولكن حقيقة أن الطريق الرئيسي القديم المؤدي إلى ممالك البابليين، وإلى بلاد الرافدين وبلاد فارس، كان يمر من خلال بلدهم هو دليل كافي على المعيشة المتفاوتة التي كانوا دائماً يعيشونها¹.

من المهم القول هنا بأن انطباع هاريس عن القوميات الثلاثة، لم يتشكل من قراءة تقرير ما أو بعض المقالات المنشورة في الصحف، وإنما تشكلت نظرته تلك من مشاهداته في كردستان، ومتى قال هذا الكلام عن الأقوام الثلاثة؟ قالها بعد انتهاء الأزمة الأرمنية الأولى، عندما كانت الحملات الإعلامية في أوروبا على أوجها ضد الكرد.

٤-ب- الكريف:

أما فيما يتعلق بالقضية الثانية وهي (الكريف) فتعد من أبرز المسببات المؤدية إلى اندلاع الأزمة الأرمنية الأولى في شمال كردستان، فما أن تخلّى الأرمن عن هذا النظام حتى صاروا عرضة للهجمات، فإن الذي كان يحميهم منذ عصور خلت هم الكرد بواسطة النظام الأمني أو نظام الحماية، التي عُرف في التاريخ الكردي الحديث بـ(الكريف) ومعناه: (الحليف)^٢، وهناك من يفسره على أنه يعني: (الجار)، أو(الأخ)^٣، وآخرون

1. Ibid, P.287.

- يقول المؤرخ لازاريف، عن مقولة اللصوصية عند الكرد: "المقولة حول إن الكرد في غالبيتهم سراق وقتلة، يعيشون على غزو القرى الآمنة والسلب على الطرق الواسعة، ليست نزعة قبيحة متحيزة ومشبعة تماماً بالروحية الاستعمارية والشوفينية فحسب، بل وهي غير علمية أبداً ولا صحيحة من حيث الجوهر...". ينظر مؤلفه: المصدر السابق، ص ٥٨ .

٢. ينظر المبحث الأول من الفصل الأول.

٣. ورد هذا المعنى في مقابلة أجراها محمد شمس الدين مع كابرييل سينكو، رئيس منظمة النهريين الأرامية في عام ٢٠٠٧، ينظر:

- Muhammad Shamsaddin Megalommatis, Aramean Armenian Massacres of the Ottoman Times: a Kurdish Responsibility, Via at: (<http://www.americanchronicle.com>).

يفسرونه على أنه يعني: (الأب) أو (الراعي)، أي: المسؤول عن الشيء^١.

ربما لا يفهم أو يستوعب العديد من الباحثين والمؤرخين، سواء أكانوا من الأجانب أم من الكُرد أنفسهم، مضامين نظام الحماية(الكريف) هذا يستثنى من ذلك من عاش واختلط بالسكان في كُردستان، وخاصة في المناطق المختلطة دينياً، لان فيها نشأ هذا النظام^٢.

لا يعرف بالضبط الجذور التاريخية لهذا النظام، إلا أن هناك ما يشير إلى أن نظام الحماية(كريف)، كان موجوداً في كُردستان إبان عهد الإمارات الإقطاعية الكُردية، ولكنه أصبح أكثر قوة وتنظيماً بعد سقوط تلك الإمارات في منتصف القرن التاسع عشر^٣.

فبعد انهيار النظام الإماراتي في كُردستان، وعدم قدرة الدولة العثمانية على ملء هذا الفراغ الذي تركته الإمارات الكُردية سادت معظم أرجاء كُردستان فوضى عارمة، وقد أدى ذلك بالكُرد وغيرهم إلى حياة غير آمنة كلياً، أُجبرت الجميع فيها إلى البحث عن الحماية، التي لا تستطيع الدولة العثمانية توفيرها.

فبخصوص الكُرد أنفسهم ظهرت أشكال جديدة من الكيانات، تجمع الكُرد حولها بهدف الحصول على الحماية والأمان ولقمة العيش، من هذه الكيانات مثلاً تلك التي أنشأها مشايخ الدين، الذين غدوا السادة من دون منازع في كثير من المناطق في كُردستان، مثل الشيوخ النهريين في هكاري وبادينان، وشيوخ البرزنجة في السليمانية، وشيوخ بارزان في بادينان، وشيوخ بالو (بيران) في ديار بكر، وشيوخ آخرين غيرهم^٤،

1. Kirzioglu M. Fahrettin, ATROCITIES COMMITTED BY THE ARMENIANS IN KARS AND ITS VICINITY 1918-1920: Originals of 7 Booklets published in Turkish and French on the Armenian Atrocities and Outrages in Erzincan-Kars-Revan-NahÇivan-Ahikelek and BorÇali, Ankara, 1999, P.105.

٢. ما زال هذا النظام موجوداً ومعرفاً عند الكُرد المسلمين والكُرد اليزيديين في جنوب كُردستان، ولان النظام والسلطة المدنية موجودة خلال معظم حقب القرن العشرين تحول هذا الكريف إلى عادة اجتماعية أكثر منها كنظام أمني، فما زال للعديد من الكُرد كريفهم، من الديانة أو الطائفة الأخرى التي تجاورها، يتبادلون الزيارات في الأعياد والمناسبات ويسأل بعضهم عن أحوال البعض ويقف إلى جانبه إذا ما تطلب الأمر ذلك، وان هذا النظام يحسب للمجتمع الكُردى وليس عليه.

٣. ينظر: البحث الأول في الفصل الأول.

٤. ينظر، مثلاً: وديع جويده، المصدر السابق، ص ١٧-١٨.

وكذلك التف الكُرد حول عشائرتهم، لأنها أصبحت الضمانة الوحيدة للعديد منهم، في العيش بأمان في كُردستان، يقول ديفيد مكدول: "إن السبب في استمرارية الروح القبلية حتى الآن [في كُردستان]، هو النقد الموجه لفشل الدول في تلبية المطالب الفردية: العمل، والتوزيع العادل للثروات، التحكيم، والصحة والرفاهية وما إلى ذلك".^١

ظهر نوع آخر من الكيانات، وان كانت جذور البعض منها تعود إلى العهد الإماراتي في كُردستان، وهي التي تسمى (اتحاد عشائر)، مثل اتحاد عشائر الجاف، في جنوب وشرق كُردستان، واتحاد عشائر الحيدران، في شمال شرق كُردستان، واتحاد عشائر الشكاك، على الحدود الإيرانية العثمانية، واتحاد عشائر الملي، في غرب كُردستان^٢، كل هذه الكيانات ظهرت في تلك المدة، أو اشتد ساعدها وان كانت موجودة، وكان السبب الأساسي بالدرجة الأولى في نشوئها واتساعها هو حاجتها جميعاً إلى تأمين نفسها والعيش بأمان دون خوف؛ ثم يأتي بعد ذلك ضرورات الحياة الأخرى.

أما فيما يتعلق بالكُرد والطوائف والأديان الأخرى، مثل اليزيديين الكُرد، والأرمن المسيحيين، فقد نشأ النظام المسمى بـ(الكريف)، في جميع المناطق التي اختلط فيها الكُرد المسلمون بالكُرد غير المسلمين أو بالمسيحيين، ويقوم هذا النظام على رابطة الدم، وأساسها هو أن تقوم العائلة الكُردية بتطهير(ختان)، ابنها المولود حديثاً، في حضن إحدى العائلات الأرمنية أو بالعكس، وبعد ذلك ترتبط العائلتان بالدم، مثل الأعمام والأخوال؛ ثم يتبادل الطرفان الهدايا في مناسبات معينة خلال السنة، ويصبح هذا الأرمني وجميع أفراد عائلته بمثابة أقرباء لهذا الشخص الكُرد بالدم، فما يصيب الطرف الأول من خير أو شر يصيب الطرف الثاني، والعكس صحيح أيضاً.^٣

والعملية هنا تعاونية أكثر منها إجبارية استبدادية، فإن تعرض الكريف إلى أي اعتداء أو أزمة فإن واجب الشرف، والدم، والعائلة، يناديه للدفاع عن كريفه حتى لو وصل الأمر إلى الموت، لأن أي مكروه أو اعتداء لو أصاب كريفه فكأنما أصابه أو أصاب عائلته، وإذا لم يقم الكريف بالدفاع عن كريفه فستسيء سمعته بين سكان المنطقة، لأن هذه العلاقة كان رابطها الأساسي هو الشرف والكرامة، فإن إهانة كريفه في حادثة ما تُعد بمثابة إهانة شخصية له هو.

١. ينظر مؤلفه: المصدر السابق، ص ٥٢ .

٢. ينظر الفصل الأول.

3. Kirzioglu M. Fahrettin, Op.Cit., P.105.

وفضلاً عن ذلك كان الكريف وكريفه يقومان بتبادل الهدايا في أوقات معينة من السنة، وغالباً ما كان الكريف غير المسلم (اليزيدي أو الأرمني)، يعطي لكريفه المسلم أكثر مما يأخذ، وذلك لأنه ثبت بأن الكريف غير المسلم كان في أغلب الأوقات هو الغني، هذا من جهة، ومن جهة أخرى كان يقع تقريباً وظيفته الحماية وتوفير الأمان على الكريف المسلم، يحميه من الكُرد الآخرين، أو من قطاع الطرق والسُراق، أو من موظفي الدولة الفاسدين، أو من الفرق الشركسية واللازية إن تواجدت في منطقتهم. كثيراً ما أُتهم الكريف المسلم بأنه كان يأخذ ضريبة إجبارية من الكريف غير المسلم، فمثلاً يقول المؤرخ كمال مظهر: "فقد كان على أولئك الفلاحين البائسين [الأرمن] أن يدفعوا علاوة على (ضريبة الكفر) ضرباً أخرى من الضرائب والإتاوات، بل إن بعض المصادر تروي كيف كانت العروس الأرمنية في بعض المناطق تؤخذ في ليلة الدخول إلى الإقطاعي الكردي أولاً؟!^١

لا تشير الوثائق الأجنبية إلى مثل هذه الضريبة (الكفر)، ولم تكن هذه الضريبة موجودة أصلاً في أي مكان أو زمان في كردستان، فقط كانت موجودة في مخيلة اللجان والمنظمات الأرمنية لا غيراً. أما الضريبة الأخرى وهي ضريبة أخذ العروس الأرمنية في بعض المناطق إلى الإقطاعي الكردي أولاً فقد ثبت بالأدلة زيف هذا القول من أساسه وأنها دعاية مغرضة، لأن أغلب القناصل الأوربيين البريطانيين والروس قد أشاروا إلى أن أقسى الإقطاعيين الكُرد جبروتاً كانوا موجودين في منطقة ساسون، ولكن لجنة القناصل الأوربية عندما ذهبت للتحقيق في أمر أزمة ساسون، ذكرت أن أقسى الضرائب هي أن

١. ينظر مؤلفه: المصدر السابق، ص ٢٤٢. وقد استند المؤرخ كمال مظهر على لازاريف في إبراد هذه المعلومة.

٢. يعدد الكاتب الأرمني سركيسيان ضرائب عدة، كانت مفروضة على الأرمن في الدولة العثمانية، منها: ضريبة الرأس، وضريبة الإعفاء من الخدمة العسكرية، وضريبة القشلاق، وهي ضريبة خاصة بالشتاء، وضريبة الضيافة، ويستند على جيمس برانت، القنصل البريطاني الذي زار كردستان في عام ١٨٣٨، في أن الأرمن كانوا يدفعون ضريبة الشتاء للكُرد، ولكن يلاحظ أن من بين العديد من الضرائب التي ذكرها هذا الكاتب لا وجود لضريبة (الكفر)، وعلى الرغم من كونه أرمنياً متحيزاً إلى قضيته لا يشير إلى تلك الضريبة. ينظر:

- A.O. SARKISSIAN, HISTORY OF THE ARMENIAN..., P.33-36.

- هناك بعض المؤلفات الأرمنية فقط تشير إلى ضريبة الكُفر، ينظر:
-Hagop Şahbazyan, A.G.E. S.124; Garo Sasuni, A.G.E., S.139.

الأرمني كان يجب أن يدفع نصف مهر ابنته إلى الأغا الكردي عند زواجها، ولكن اللجنة نفسها لم تستطع من إثبات مثل هذه الضريبة والشاعات، بل حتى أن العديد من الأرمن هناك نفوا أنهم كانوا يقدمون أي ضريبة للکرد، كما مر بنا سابقاً، ولم يكن إعطاء بعض المواد لهذا الأغا، أو المختار، أو الشخص الكردي سوى مسألة تعاونية بين الطرفين، الجانب الكردي يقدم الحماية ويموت في سبيل كريفه، والجانب الأرمني يقدم بعض الهدايا في مناسبات معينة، يقول هاريس عن عادة الكريف ما يلي: "في الحقيقة كان هناك نظام إقطاعي في العديد من الحالات ومنذ زمن بعيد، فكانت قبيلة كردية توفر الحماية لقرية أرمنية من لصوص آخرين مقابل جزية سنوية تدفع لهم، وهذا نظام موجود في معظم مناطق العالم الإسلامي وعلى ما يبدو فهو مشابه لذلك النظام المتبع اليوم[في العقد الأخير من القرن التاسع عشر] في حالة اليهود في مغرب ما وراء الأطلس، والذين يدفعون مبالغ صغيرة للبربر من أجل توفير الحماية لهم".¹

كما أن هناك مسألة أخرى، وهي التي ذكرها المؤرخ كمال مظهر، وهي (أن الليلة الأولى للإقطاعي)، فإن مسائل الشرف، والكرامة، وعزة النفس، لم تكن تختلف ما بين الأرمني والكردي، بل كان في العديد من المناطق عاداتهم، وتقاليدهم، هي واحدة حتى لباسهم وطريقة عيشهم، كانت لا تختلف عن بعضها البعض، ووجدنا في قضية موسى بك، هذا الإقطاعي الكردي الكبير، في انه فقط خطف فتاة أرمنية، أقام الأرمن الدنيا ولم يقعدوها، حتى تمكنوا من استرجاع فتاتهم، فكيف بقضية كبيرة مثل قضية الليلة الأولى؟!

بالاستناد على ما سبق يتبادر إلى الذهن سؤال، وهو: إذا كان الأمر هكذا، فلماذا لم يبادر الكرد إلى الدفاع عن الأرمن في ساسون؟ أين كان كريفهم؟

إن تقرير اللجنة الأوروبية لتقصي الحقائق في ساسون يجيب عن هذا السؤال بوضوح، فقد ذكر القناصل سبب تدهور علاقة الكرد بالأرمن في ساسون يرجع إلى شيئين، الأول: هو العصبية التي أظهرها شيوخ الكرد، بحيث تعاونوا فيما بينهم لحماية أنفسهم، وقرروا إبعاد الأرمن من هذا التعاون، وكذلك أن لا يقاتل بعضهم بعضاً من أجل الأرمن، والسبب الثاني: كان في الهجمات الأرمنية على الكرد هناك، بعد دخول اللجان الأرمنية إلى ساسون.

1. Walter B. Harris, Op.Cit., P.288.

يظهر هنا بأن الذي حافظ على استقلال الأرمن في كُردستان، وحمائيتهم لعصور طويلة من الزمن، كانوا هم الكُرد، أما لماذا تخلوا عن الأرمن، وذلك لأنه ومنذ ظهور الأحزاب والمنظمات الأرمنية على الساحة في كُردستان، وتصوير العلاقة القائمة بين الكُرد والأرمن بأنها مثل علاقة العبد بسيدته، قام الأرمن بالهجوم على الكُرد ورفض حمايتهم من الآن وصاعداً، وقد ذكر تقرير ساسون عشرات الهجمات الأرمنية على الكُرد وليس العكس، وبهذا العمل تحطم نظام الحماية (كريف) في كُردستان، فما أن تخلّى الكُرد عن حماية الأرمن في ساسون، حتى قام الجيش العثماني بمهاجمتهم.

فضلاً عن أن تلك اللجان خلال السنوات الأولى من تسعينات القرن التاسع عشر عملت في كثير من مناطق كُردستان على إقناع الأرمن المحليين بالتخلي عن نظام الحماية (كريف)، وتصويره على أنه شكل من أشكال العبودية، مثلما فعل داماديان ومراد قبل أزمة ساسون، كما مر بنا، ولكن المفارقة هنا هي أن تلك الأحزاب والمنظمات، وكذلك الدول الأوروبية، فشلت في توفير ما كان يقدمه الكُرد للأرمن وهي الحماية، المهم هنا أن نظام الحماية (الكريف)، قد بطل العمل به في شمال كُردستان، التي أثرت على مجمل مرافق الحياة في كُردستان.

عندما شعر السكان الأرمن بأنهم غير قادرين على حماية أنفسهم، وان تلك المنظمات والأحزاب الأرمنية لم تفِ بوعودها لهم، خلال الأزمة الأرمنية، بادر الأرمن من جديد إلى محاولة كسب الكُرد مرة أخرى لغرض إعادة نظام الكريف، الذي أمن لهم الحماية سابقاً، وقد مر سابقاً بنا، في تقرير القنصل الروسي مايوسكي، كيف أن الأرمن طلبوا الحماية من الأغوات الكُرد، الذين كانوا معروفين على أنهم مجرمين وقطاعي طرق، أمثال: حسين باشا الحيدران، وموسى بك، وحاجي أغا، وفعلاً وافق هؤلاء الإقطاعيون على حمايتهم والدفاع عنهم، بل إن الأرمن قد طلبوا من السلطات المحلية في وان، وكذلك من القناصل، أن يقنعوا حسين باشا بالبقاء في المنطقة، وان لا يتخلى عن حماية قراهم، وقد أشار إلى هذا الموضوع كثيراً سعد الدين باشا في ذكرياته، ورغم قوله في مرات عدة بأن بعض الوجهاء من الكُرد والأرمن قد استغلوا أمر الحماية تلك، إلا انه يقول في مرات أخرى، إن الأرمن كانوا يأتون إلى وان، ويترجون الوالي لغرض تعيين فلان الكُرد حارساً على قريتهم، والأكثر من هذا يشير كارو ساسوني، إلى أن

1. SAMI ÖNAL, A.G.E., S.149-152.

الطرفين الكردي والأرمني وفي أثناء قيام حزب الطاشناق، بقيادة حرب عصابات ضد الدولة العثمانية ما بين ١٨٩٧-١٩٠٨-سيأتي الحديث عنها لاحقاً- في مرات عدة عندما كانا يشتبكان في معركة ما، كان الأرمن يصيحون بأعلى صوتهم أنهم (كريف لهم)، وما أن يسمع الكرد هذه الصيحة حتى يوقف القتال فوراً، بل يصيران بعد ذلك أصدقاء، ويساعد بعضهم بعضاً ضد القوات العثمانية هناك^١.

إن الملاحظة التي يجب أخذها بنظر الاعتبار هنا أن سعد الدين باشا وصل إلى قناعة بعد الأزمة الأرمنية، أن الذي يستطيع أن يفرض النظام، والحماية في شمال كردستان كانوا هم الفرسان الحميدية، وليس الجيش العثماني المرتشي والفاسد، ولا السلطة المدنية؛ لذلك فإن شمال كردستان كلها وقعت تحت حماية الفرسان الحميدية، وهمش الجيش والسلطة المدنية في الولايات هناك وقل دورها، على هذا الأساس نرى هناك شكاوى عديدة قدمها الجيش والسلطة المدنية ضد الفرسان الحميدية، لا شيء إلا لسبب منطقي وواقعي وهو أن الحميدية سحبت البساط من تحت أقدامهم بعد الأزمة الأرمنية، وتمكنت من فرض الأمن إلى حد ما، وهذا ما لم تستطع الحكومة العثمانية من القيام به في العقود الخمسة الماضية.

كثيراً ما تنتقد الفرسان الحميدية على أنها كانت وراء العديد من المشاكل في كردستان، ونرى هذا بوضوح في تقارير القنصليات الأجنبية العاملة في كردستان، على أنها لم تكن لتشبع من عمليات السلب والنهب، وفي مرات قليلة كانت تقوم بالقتل إذا واجهت رداً من أصحاب الحق، ولكن على العموم هناك بعض الأمور التي يجب النظر إليها بدقة ومن أكثر من زاوية، منها انه متى كان الكرد على وفاق مع الأتراك في عهد من العهود؟ ربما يفسر موقف الفرسان الحميدية من الأزمة الأرمنية الأولى، على أنها دافعت عن اسم وأرض (كردستان) ضد اسم وأرض (أرمنستان)، بوعي أو بدون وعي ولكنها في حقيقة الأمر دافعت عن الوجود الكردي في كردستان، كما يحسب للفرسان الحميدية أنها وفقت إلى حد بعيد في العمل على استقرار العشائر الكردية الرحالة، وجعلت ابناءها يلتفتون إلى الأرض حيث إن عشائر كردية عديدة قامت بالاستقرار في القرى وفي المدن الكردية، ويمكن القول إنها نزلت من الجبال

1. Garo Sasuni, A.G.E., S.120-121.

2. SAMI ÖNAL, A.G.E., S.139-141.

لتستقر في السهول، مثل اتحاد عشائر الحيدرآن، والجلالي، والملي وعشيرة ميران،
وعشيرة البكرآن، وعشائر أخرى عديدة استقرت بعد ما كانت تقوم بالهجرة الموسمية،
لذلك نرى أن الكل انتقدها، الكُرد المستقرين أولاً، وانتقدها الأرمن، وانتقدها الأتراك
والجيش والولاية.

رابعاً- تغيّر الإستراتيجية الأرمينية تجاه الكرد ١٨٩٧-١٩٠٨

بدأت الأحزاب والمنظمات الأرمينية من جهة، والأرمن المحليين من جهة أخرى، تسعى إلى تدارك الموقف بعد انتهاء الأزمة الأرمينية ١٨٩٤-١٨٩٦، التي كانت نتائجها كارثية على المجتمع والاقتصاد الأرميني في شمال كردستان، بدأت في تدارك الوضع من خلال خطين متوازيين، الأول: محاولة إعادة العلاقة الودية مع الكرد، والتي من العسير جداً بدونها إن لم تكن من المستحيل، كسب المعركة ضد السلطان عبد الحميد الثاني وإدارته في كردستان.

أما الخط الثاني: فكان تغييراً في الإستراتيجية الحربية للأحزاب والمنظمات الأرمينية، فبعدما كانت تعتمد في السابق على أسلوب الانتفاضات والثورات الشاملة، تغير نمط الحرب إلى قيادة الأرمن لما تسمى بـ(حرب عصابات) ضد الدولة العثمانية ما بين أعوام ١٨٩٧-١٩٠٨؛ وقد نجم عن مواجهات ملحمية لا حصر لها، كتب عنها احد المؤرخين الأرمن قائلاً: "كانت عهداً من المجد، والتضحية، والبطولة"^١.

لقد عرفت الأحزاب الأرمينية أن أبرز أخطائها خلال الأزمة هي عدم كسب الكرد إلى جانبهم في الصراع ضد الدولة العثمانية، بل إن تلك الأحزاب هي من أرادت في واقع الأمر انحياز الكرد إلى جانب الأتراك في هذا الصراع، ظناً منها أن استقلال (أرمينيا الغربية) بات وشيكاً، وإنهم لا يحتاجون أي مساعدة في الدولة العثمانية وكردستان، لظنهم أن الدول الأوروبية ستتدخل في المسألة ما أن تبدأ فصول الحرب، وان أرمينيا بدون الكرد أفضل بكثير من أرمينيا بوجود الكرد.

بخصوص الأحزاب الأرمينية التي قادت الصراع في الحقبة ما بين ١٨٩٧ و ١٩٠٨، فقد وقع أغلب ذلك الصراع على كاهل حزب الطاشناق، وذلك لان حزب الأرمينكان انتهى عملياً بقضاء الدولة العثمانية على انتفاضة الأرمن في وان أواخر عام ١٨٩٦، فقد كان وجوده الأساسي في تلك المدينة، كما انه لم يكن له ذلك الثقل في الخارج^٢،

1. Guenter Lewy, Op.Cit., P.31.

٢. احمد فؤاد رسلان، المصدر السابق، ص ٥١ .

أما حزب الهنجاك، بزعامة نزاربيكان، فقد أصابه الانشقاق بحلول عام ١٨٩٧، وذلك لأن بعضاً من أعضاء حزبه أرادوا تحويل الحزب إلى حزب قومي بالدرجة الأساس، وإخراجه من دائرة الاشتراكية التي أضرت بالحزب داخلياً وخارجياً حسب اعتقادهم، وقد أبدعت توجهات الحزب الاشتراكية حلفاءهم الأوربيين، كما أن هذا الحزب كان قد تلقى اشد الضربات أثناء الأزمة الأرمنية، وقام المنشقون بتأسيس حزب جديد في عام ١٨٩٨، بمدينة الإسكندرية في مصر تحت اسم (هنجاك الجديد)، كما تعرض حزب نزاربيكان لانشقاقات عديدة أخرى، فما يلبث أن يخرج من انشقاق إلا ويدخل في آخر، حتى الانقلاب العثماني في تموز ١٩٠٨، لذلك وجد حزب الطاشناق (F.R.A) نفسه وحيداً في قيادة الحرب المستقبلية ضد الدولة العثمانية، وهو يعمل على اكتساب الكُرد وأغواتهم، الذين لم يقاتلوا بجانب الدولة العثمانية خلال الأزمة إلى صفوف المقاومة^٢.

الكُرد وحرب العصابات الأرمنية:

في شهر آب ١٨٩٦ أصدر حزب الطاشناق، فرع اسطنبول بياناً يتضمن (١٢) مادة، تناول فيها الفرع أغلب الأمور المستقبلية للحزب، وقد اختتم الموقعون بيانهم بالفكرة الآتية، والتي يظهر من خلالها أن الحزب لن يتوقف عن نضاله ضد الدولة العثمانية، حتى حصوله على كامل حقوقه القومية، فقد جاء فيه: "نحن نعرف أننا سنموت، ولكننا سوف نبقي نقاتل في سبيل معتقداتنا وقوميتنا، ومطالبنا الخاصة كشعب وكأفراد أرمينيين، لن نكل أو نمل إلى أن تتحقق حريتنا واستقلالنا، والى ذلك الحين سوف نبقي نقاتل لغاية آخر أرميني حي على سطح الأرض، ولن نترك العثمانيين يذوقون طعم الراحة والأمان في عاصمتهم استانبول، لحين تحقيق مطالبنا أو الموت دونها"^٣.

بخصوص الكُرد قام الطاشناقيون بإتباع الأساليب الآتية معهم طيلة المدة من ١٨٩٧ إلى ١٩٠٨، وهي:

١- الانتقام من الأغوات والبيكات الكُرد، الذين تعاونوا مع الحكومة العثمانية، خلال

1. M.Kalman, Bati-Ermenistan..., S.42-44.

- جان شرف، القضية الأرمنية في السلطنة العثمانية، بيروت، ١٩٩٧، ص ١٨٣.

2. Justin McCarthy and other , Op.Cit., P.86-92.

3. MAYÉVSRİY V. T., A.G.E., S.125.

الأزمة الأرمنية ١٨٩٤-١٨٩٦، أو من الذين سيتعاونون معها في المستقبل.

٢- محاولة كسب الأغوات الكُرد، الذين لم يتعاونوا مع الحكومة العثمانية، أو الذين ساعدوا الأرمن خلال الأزمة، أو الذين اتخذوا موقف الحياد حينذاك.

٣- إقامة علاقة صداقة مع المثقفين الكُرد المعارضين للدولة العثمانية، بهدف توحيد الجهود.

لم تصدر هذه الإستراتيجية الجديدة من الطاشناقيين، ضمن منشور معين، إلا انه يمكن الاستدلال عليها من خلال متابعة سير الأحداث التاريخية، التي اشترك فيها الكُرد والأرمن خلال المدة ١٨٩٧-١٩٠٨، والتي تبين بوضوح أن الأرمن قد أحسوا بدور العامل الكُردِي الفعّال والمؤثر في المسألة الأرمنية.

قامت خلايا الحزب الأرمني الطاشناق بتنظيم صفوفها في كُردستان بعد انتهاء الأزمة الأرمنية، وبقيادة حرب عصابات ضد مرافق الدولة العثمانية في كُردستان، وضد الأغوات الكُرد الذين كانوا قد تعاونوا مع القوات العثمانية حينذاك، كما قاموا بالعديد من العمليات ضد الأرمن المتعاونين مع الحكومة العثمانية، إذ كانوا يعدونهم خونة^١.

وأول عملية كبيرة لهم ضد الكُرد كانت في أواخر شهر تموز من عام ١٨٩٧^٢، فقد غادرت قوة مؤلفة من (٢٥٠) رجلاً من الطاشناقيين قاعدتها على الحدود الفارسية وكانت بقيادة (فارتان-Vartan)، وقامت بمهاجمة مخيم قبيلة (مازرك-Mazrik) الكُردية في سهل خاناسور (Khanasor) قرب مدينة وان^٣، وقد هاجمت تلك القوة إحدى المجموعات العشائرية المسماة (شاكيفتي شيكاك) التي أحبطت الاجتياح الأرمني الداعم لانتفاضة وان في حزيران ١٨٩٦، وقد هاجموا مخيم الشيخ شريف (في بعض المصادر الشيخ شرف) على حين غفلة، فقتل العديد من الكُرد (أكثرهم من النساء والأطفال)، وفقاً لتوصيف القنصل البريطاني في تبريز: "مع الاقتراب من الوادي حيث كان المخيم، توقفوا للجم جيادهم ولتناول القربان المقدس؛ ثم أكملوا مسيرتهم نحو

1. ROUBEN Der MINASIAN, Op.Cit., P.60-62.

٢. كانت للجان الثورية الأرمنية عمليات عدة ضد الكُرد قبل هذه الحادثة، ينظر على سبيل المثال:

- No. 58, Major Williams to sir P. Currie, Van, May 27, 1896, IN:(M.D.B.D.A), P.173-174.

3. Guenter Lewy, Op.Cit., P.30; H. M. Knadjian, The Eternal Struggle A Word Picture of Armenia's Fight for Freedom, CALIFORNIA, n.d, P.112.

الخيم الكُردية التي فتحت عن الجانبين، بحسب الفصول، وعند صدور الإشارة المتفق عليها مع بزوغ فجر الخامس من آب (١٨٩٧)، أمطروا المكان بوابل من نيران البنادق ثلاث مرات على التوالي، وما أن القوا أسلحتهم أرضاً حتى انقضوا شاهرين سيوفهم على الكُرد العزل، وقتلوا كل من كان في مرمى الحسام، من رجال، ونساء، وأطفال، إضافة إلى الشيخ وعقيلته^[يقصد هنا الشيخ عبد القادر] الذي قتله القائد الدكتور اوهانيان^١.

قام العثمانيون بتشكيل لجنة للتحقيق في هذا الحادث، وكانت برئاسة (المقدم محمد عزت بن علي) قائد الكتيبة الحميدية (٥٦)، و(محمد توفيق) نائب مساعد المدعي العام في هكاري، والموظف المدني (سعيد بيك)، وجاء في تقريرهم أن عصابة مسلحة ارمنية قامت في ليلة الجمعة ٢٥ تموز-الصحيح أنهم عبروا الحدود في تلك الليلة-، بهجوم مفاجئ على معسكر يعرف بـ(خانصور) في (كازاباك)، وكان يعد المعسكر الصيفي لشيخ القبيلة، حيث كان يوجد فيه المقدم (شريف بك) من الكتيبة الحميدية (العشرين) مع بعض أفراد القبيلة، وقد ارتكبت العصابة أعمال وحشية ضدهم، وحسب التقرير يبعد معسكر خانصور حوالي نصف ساعة عن الحدود الفارسية، وفي الهجوم قُتل (١٦٠) ما بين رجل وامرأة وطفل، وجرح (٧٠) شخصاً؛ ولكن أفراداً من العشيرة نفسها لاحقوا العصابة الأرمنية حتى الحدود الفارسية، وقتلوا بعضاً من أفراد العصابة، وكان من بين القتلى عدداً من جنود الفرس، وقال المحققون العثمانيون بخصوص القتلى من الكُرد ما يلي: "الحقيقة فإن الأعمال الشنيعة، التي ارتكبتها هؤلاء المتمردين ضد المسلمين لا سابقة لها، وهكذا لم يكونوا مقتنعين بقتل النساء المسلمات فقط، وإنما حتى أنهم بقروا بطون الأطفال، وقطعوا صدورهم، وقد عثر في حقيبة أحد الأرمن المقتولين على قطع من صدور أطفال^٢"، ويتابع المحققون في هذه الحادثة بالقول إن الشيخ نعيم الدين أفندي قُتل بشكل مروع، حيث قطع إرباً، وكذلك الشيخ (كوسنين أفندي) الذي قلعت أسنانه، وينهي المحققون تقريرهم بالقول: "وحصل الشيء نفسه^[أي: عملية التمثيل بالجثث] مع الأطفال من الذكور، والإناث من عمر سنة إلى سنتين، وآخرين تركوا، بعد أن قطعت أيديهم وأرجلهم، وهكذا توجد مشاهد أخرى

1. Justin McCarthy and other , Op.Cit., P.69-70.

2. No. 293, Report of Turkish Commission on the Raids of Armenians over the Turkish Frontier, July 31/August 12, 1897, IN: (B.Ş.D.D.O.A.A), VOL: IV, P.283-285.

يصعب وصفها، حتى إنهم عاملوا النساء الحوامل بمنتهى الوحشية، حيث أجبروهم على الإجهاض، وفي حالة أخرى قاموا بشق بطونهم، وأخرجوا الجنين من داخل الرحم. هذه هي نتيجة تحقيقاتنا^١.

وباستفادتهم من عنصر المفاجأة أحرز الأرمن نصراً ساحقاً، وصفه مؤلفون أرمن بطرق مختلفة مثل (قُتل الجزء الأكبر من القبيلة)، أو (أُبيدَ الجزء الأعظم من القبيلة)^٢، وطبقاً للمؤرخ (لانغر-Langer) فان الأرمن: "قاموا بقتل أو التمثيل بالرجال، والنساء، والأطفال، بشكل وحشي"^٣، وتشير بعض الإحصاءات الأخرى إلى أن عدد القتلى من الكرد قد بلغ (٤٠٠) شخص من الجنسين^٤.

انتشر هجوم خاناسور بشكل واسع في الصحافة الأوربية، فكان تأثيرها الأعظم على الأرمن، فقد جربوا شعوراً من التشجيع، كما نما لديهم الأمل على أنهم سيحصلون على حريتهم السياسية بأنفسهم، بدلاً من اضطرارهم للاعتماد على الوعود الأوربية العقيمة^٥.

من جانبه قام الشيخ شريف بالهجوم على القرى الأرمنية الواقعة على الحدود الفارسية العثمانية، بهدف الانتقام من الأرمن، وتذكر بعض المصادر أن حوالي (١٥٠) أرمنياً قد قتل في هذا الهجوم^٦، بادلها الفدائيون الأرمن بهجوم آخر على معسكر شريف بك وهكذا^٧، بعدها ألقى العثمانيون القبض على الشيخ شريف إلا أنهم اخلوا سبيله بعد ذلك بحلول عام ١٩٠٠^٨.

1. Ibid.

2. Guenter Lewy, Op.Cit., P.30.

3. Ibid .

4. Justin McCarthy and other , Op.Cit., P.70.

5. Guenter Lewy, Op.Cit., P.30.

- يتحدث كارو ساسوني عن هذه الحادثة، وكأنها من احد الفصول المهمة والمجيدة في حياة الفدائيين الأرمن بعد الأزمة الأرمنية الأولى، ويضيف أن القائد انترانيك كان من بين المهاجمين الأرمن، ينظر:

-Garó Sasuni, A.G.E., S.120.

6. Justin McCarthy and other , Op.Cit., P.70.

7. Incosure in No. 242. Major Maunsell to Sir N. O'Conor, Van, July 2, 1899, IN: (M.D.B.D.A), P.363.

8. Justin McCarthy and other , Op.Cit., P.70.

قام الأرمن بعد ذلك بعشرات العمليات ضد الأعوات الكُرد، خاصة المنضوين تحت لواء الحميدية، وقد برز أسماء العديد من الأرمن آنذاك، وتداول الناس في كُردستان على أنهم أبطال لا يهابون الموت، أمثال: (روبين-روبن)، و(اشخان-Ishkhan)، و(فاردان فاردابيت-Vardan Vardbed)، و(تاتول-Tatoul)، و(ابرو-Abro)، و(سيروب باشا-Serop Pacha)، و(كيفور جافوش-Kevork Chavoush)، وآخرين غيرهم كثر^١.

يتحدث بعض المؤلفين الأرمن والمعجبين بالطاشناق عن (أشخاص خالدين)، من الذين قاتلوا في (المعارك الأرمنية من أجل التحرير)، فوصفهم بالأبطال الأسطوريين، أكثر من الأحياء الذين استطاعوا النجاة بأنفسهم في خضم المعارك الجسام، وفي بعض الأحيان من خلال جميع أنواع النجاة بشكل عجيب، أشاروا إلى الثوريين بوصفهم أصحاب ثأر، الذين لا يترددون في المجازفة بحياتهم من أجل قتل أولئك الذين يعدونهم من الظالمين، وأطلق مؤلف آخر على مثل هذه الأعمال اسم (عمليات الثأر الإرهابية) ونفذت من أجل (الدفاع عن النفس)^٢ ومنهم احد هؤلاء الفدائيين هو (كيفور جافوش) مثلاً، إذ يطلق عليه وصف: "الرجل صاحب الخنجر، المستعد دوماً من اجل قتل أولئك الذين يضايقون الناس العزل"^٣، ومن جانبه وصف القائد الأرمني روبين في مذكراته عن حرب العصابات في موش، فدائيي الأرمن هناك بهذا الشكل: "كان لدى فدائي موش مشية متهورة وطائشة، حيث كان يمشي رافعاً رأسه إلى الأعلى بتفاخر، وعندما كان يحدق إلى أي شخص تحس بأنه يود أن ينقض عليه كالنمر..."^٤.

وبرز أيضاً في تلك الحقبة القائد الأرمني المعروف (انترانيك باشا-Antranik Pacha) (١٨٦٥-١٩٢٧)، حيث قام بالعديد من العمليات القتالية ضد الأعوات الكُرد، منها العملية المشهورة في عام ١٩٠١، عندما قام بالهجوم على خليل بشير-المتهم بقتل أحد قادة الفدائيين الأرمن- وقتله انترانيك مع ثلاثة كُرد آخرين، وتحصن انترانيك بعدها في أحد الأديرة بالقرب من موش؛ إذ حاصرت الشرطة التركية فيها، وقام بالتفاوض معهم. وأكد انترانيك للشرطة التركية من خلال وسيط على أنهم ليسوا أعداء للسلطان، وإنما هم ضحايا الكُرد، وإنهم لم يقوموا بمهاجمة حملة البريد، ولم يهاجموا القرى، وكان قتلهم

1. ROUBEN Der MINASIAN, Op.Cit., P.112-115.

2. Guenter Lewy, Op.Cit., P.31.

3. Ibid.

4. ROUBEN Der MINASIAN, Op.Cit., P.70.

لهؤلاء الكُرد بسبب مسؤوليتهم عن قتل بعض الأرمن، ويعترفون بالسلطان العثماني أنه سلطانهم، ولكن يجب وضع حد لرؤساء وشيوخ الكُرد وانتهاكاتهم في المنطقة، وإقامة العدل والقانون، عندها سينزلون من الجبال، ويمارسون حياتهم الاعتيادية^١، كما قاد انترانيك باشا انتفاضة ساسون الثانية التي اندلعت في العام ١٩٠٣، إلا أن القوات العثمانية تمكنت من محاصرته، والقضاء على حركته في نيسان ١٩٠٤^٢.

أما فيما يخص إقامة العلاقات الودية مع الكُرد، بهدف توحيد الجهود، وطرد الأتراك من كردستان، فيشير روبين إلى أن عدداً من القادة الثوار الأرمن اجتمعوا في العام ١٨٩٥ لبحث العلاقة مع الكُرد، وفي الاجتماع غلب الرأي الداعي إلى ضرورة إقامة علاقات مع الكُرد، إذا أرادوا الحصول على الحرية لمنطقتهم، وطرد الجنود العثمانيين منها، وكان من مؤيدي التعاون مع الكُرد الفدائيان (تاتول، وايرو)، لذلك استغل فاردان فاردابن امتعاض الكُرد من الدولة العثمانية، اثر إلقاء مسؤولية تفاقم الأوضاع عليهم في الأزمة الأرمنية، حيث استفاد من هذه الحالة إلى أبعد حدود، فقد التقى بشكل متواصل مع القادة الكُرد الذين لم تتلخ أيديهم بدماء الأرمن، كما يقول، وعرض عليهم رسالة الأخوة والحب، والتعاون الثنائي، لقد أوضح لهم أنهم بقتل الأرمن يحفرون قبورهم بأيديهم، وكسب بهذه الدعوة عدداً من القبائل الكُردية، التي كانت لديها الإرادة في العيش كأخوة وبالتعايش السلمي^٣، وكان الكُرد يدعونه (كيشيش أو قشّه-Keshish) -أي الكاهن أو الأب- وهذا سهل عمله في بعض القرى الأرمنية التي خدم فيها^٤. ويذكر روبين عن فاردان فارابيت: "بأنه أعطى المئات والآلاف من القطع الذهبية الصفراء لضباط الحكومة وأغوات الكُرد، وأرسل لهم هدايا من بغال محملة بالجبن، والزبدة، والقمح، والشعير، وعشرات من رؤوس الأغنام من أجل، كما أراد هو، أن يعمي عيون ضباط الحكومة والأغوات الكُرد[عن الثوار الأرمن في المنطقة]"^٥.

1. DÉCLARATION DU CHEF RÉVOLUTIONNAIRE ANTRANIK, Supplément à Pro Armenie du 25 Janvier 1909.

2. KAMURAN GÜRÜN, Op.Cit., P.203-204; NURŞEN MAZICI, A.G.E., S. 46-47.

3. ROUBEN Der MINASIAN, Op.Cit., P.113.

4. Garabet K.Moumdjian, Op.Cit.

5. ROUBEN Der MINASIAN, Op.Cit., P.110-111.

وقد وقف العديد من الكُرد إلى جانب الثوار الأرمن، حتى وصل الأمر ببعض الكُرد إلى تأليف القصص والأغاني عن أعمال هؤلاء الفدائيين الأرمن^١، وان الكُرد أنفسهم أطلقوا لقب (الباشا) على القائد الأرمني سيروب نظراً لأعماله البطولية في المنطقة^٢. لقد انضم العديد من الكُرد إلى حزب الطاشناق، وعملوا في صفوف الفدائيين الأرمن، بل وصل الأمر إلى أن قتل بعضهم في هذا السبيل، فقد أشارت المصادر الأرمنية إلى كُردِي يدعى (مسطو- Misto)، كان يعمل مخبراً لدى الفدائيين الأرمن، يقول عنه ساسوني: "كان من أكثر الرجال صدقاً، ويمكن الاعتماد عليه في نقل الأخبار، فقد كان يقوم بواجباته بأكثر من المطلوب، ولكنه قتل مع مجموعة (بوهيك- Pohig)، على اثر نيران العدو"^٣.

واشتغل البعض الآخر من الكُرد مع الفدائيين الأرمن في مجال نقل الأسلحة، ففي الرابع عشر من نيسان ١٩٠٣ مثلاً، أبرق قائمقام بتليس إلى استانبول: انه ألقى القبض على مجموعة من الكُرد يشتبه بهم في تزويد الفدائيين الأرمن بالأسلحة، كما وردت في مجموعة وثائق القناصل الانكليز في كُردستان في العام ١٩٠٣ أن الحرفيين الأرمن يقومون بتجهيز الأسلحة في البيوت الكُردية^٤.

كما أن قسماً من رؤساء العشائر الكُردية غضوا الطرف في أثناء دخول بعض المجاميع الأرمنية إلى مناطقهم، وأبدوا تجاههم حسن النوايا، وقد أبلغ القنصل الانكليزي العام في تبريز (أ-فانسلاف)، في تقريره في كانون الأول ١٩٠٣، أن أرمن تركيا استلموا السلاح عبر الحدود التركية-الفارسية، وذلك بمساعدة الكُرد ذوي النفوذ^٥.

فضلاً عن أن الفعاليات الكُردية-الأرمنية كانت شبه علنية في درسيم^٦، ووردت في وثائق الدبلوماسيين الإنكليز في عام ١٩٠٣ أيضاً معلومات تفيد أن كُرد سيرت مؤنوا الفدائيين الأرمن، الذين حاصرهم الجيش التركي في ساسون بالمواد الغذائية^٧. ويقول

١. أرشاك سافرستيان، المصدر السابق، ص ٩١.

2. ROUBEN Der MINASIAN, Op.Cit., P.126.

3. Garo Sasuni, A.G.E., S.121.

٤. جليل جليل، نهضة الأكراد...، ص ٩٤.

5. Garo Sasuni, A.G.E., S.121.

٦. جليل جليل، نهضة الأكراد...، ص ٩٤.

7. Garo Sasuni, A.G.E., S.121.

٨. جليل جليل، نهضة الأكراد...، ص ٩٤.

روبين عن تموين الكُرد للفدائيين الأرمن أثناء حرب العصابات: "عندما يعسكر الفدائيون في قرية لا يغادرونها وهم جائعون، تنافس الكُرد والأرمن على القيام بدور الضيافة، بأقل قدر من الطعام والماء يمكن أن يجهز"^١.

وكتب نائب القنصل البريطاني في وان (تيريل-Tyrrell) في نيسان ١٩٠٤، بأن الثوريين الأرمن يصلون إلى وان بشكل متواصل متنكرين بزّي الكُرد، وان الكُرد على أهبة الاستعداد لمساعدتهم على هذا العمل، والسماح لهم بالعبور من الحدود، وإرشادهم إلى الطريق التي يسلكونها، مقابل أموال كافية تدفع لهم^٢.

وفي عام ١٩٠٥ كتب القنصل الروسي شيركوف في بتليس إلى السفير زينوفيف في استانبول بتاريخ ٤ آذار ١٩٠٥: "لا يجوز التغاضي عما اكتشف خلال هذا الشتاء، من وقائع تثبت وجود علاقة خفية بين الكُرد والثوار الأرمن، وأكثر من ذلك أنهم [أي: الكُرد] يقدمون المساعدات للثوار [الأرمن] في قراهم"^٣.

إلا أن هذه العلاقة بين الفدائيين الأرمن والكُرد تأثرت كثيراً بخيانة قاسم بيك أخو موسى بيك، في العام ١٩٠٧، كما يقول روبين، حيث كان يعمل مع الثوار الأرمن منذ أواخر القرن التاسع عشر إلا انه خانهم عندما قام بقتل ثلاثة منهم كانوا بصحبته^٤.

1. ROUBEN Der MINASIAN, Op.Cit., P.75.

2. Inclosure in No. 309, Vice-Consul Tyrrell to Sir N. O'Conor, Van, April 11, 1904, IN: (M.D.B.D.A), P.447-448.

٣. جليل جليل، نهضة الأكراد...، ص ٩٥.

4. ROUBEN Der MINASIAN, Op.Cit., P.203-208; Garo Sasuni, A.G.E., S.134.

ومن جانب آخر نشأت علاقة بين النخبة المثقفة الكردية المعارضة للدولة العثمانية في أوروبا والأحزاب الأرمنية هناك، وخاصة مع حزب الطاشناق، في أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، ومن ابرز هؤلاء الذين ارتبطوا بعلاقات طيبة مع الأرمن هم: (عبد الرحمن بدرخان^١، وعبد الله جودت^٢، واسحق سكوتي^٣، وعثمان بدرخان)- سنتحدث عن هذه العلاقة لاحقاً- إلا انه من المفيد القول، أن الكرد والأرمن اتفقا هناك كمبدأ، على أن الدولة العثمانية كانت هي السبب الأساسي في نشوء الأزمة الأرمنية، وتدهور علاقة الكرد بالأرمن، فعلى سبيل المثال عندما فر عثمان بدرخان من الدولة العثمانية إلى أوروبا، أدلى ببعض التصريحات لجريدة (ماتين) وفيما بعد نشرت الجريدة الأرمنية (نوردار-Nordar) نص هذا التصريح كاملاً، في عددها (٢٢٨) الصادر في كانون الأول ١٩٠٠، ومن خلال التعليق نوهت الجريدة إلى: "إن عثمان بك هو من أبناء أمراء كردستان، وغادر تركيا متحاشياً عقوبة السلطان لرفضه تنفيذ أوامره بتهجير

١. عبد الرحمن بدرخان (١٨٦٨-١٩٣٦): هو ابن الأمير بدرخان، ولد في استانبول وترعرع فيها، شغل منصب نائب رئيس الإدارة في وزارة المعارف باستانبول قبل أن يلتحق بالمعارضة العثمانية في الخارج سنة ١٨٩٨. أصبح رئيس جريدة كردستان بعد أخيه مقدار مدحت. التحق بجمعية الاتحاد والترقي العثمانية الجناح اللامركزي، وشغل منصب مدير أول مدرسة كردية في استانبول سنة ١٩١٠. كانت مشاركته في الأحداث الكردية بعد ذلك ضعيفة، توفي في استانبول سنة ١٩٣٦ ودفن فيها. ينظر:

-Malmisaj, Abdurrahman Bedirhan Ve İlk Kürt Gazetesi Kurdistan Sayi: 17 ve 18, Sweden, 1992, S. 11-28;

- عهبدوللا زهنگه، ديدارهك دگهل مالميسانژ، گوڤارا روژنامه نووس، ژماره (٨)، ههولير، ٢٠٠٦، ل١١٩-١٢١.

٢. عبد الله جودت (١٨٦٩-١٩٣٢): يعد من أبرز المفكرين في الدولة العثمانية، وهو كردي من دياربكر، كان واحداً من الأربعة الأوائل الذين أسسوا جمعية الاتحاد والترقي العثمانية، وله نشاطات سياسية وصحفية عدة. للمزيد، ينظر: مالميسانژ، القومية الكردية ود.عبد الله جودت في مطلع القرن العشرين، ترجمة: شكور مصطفى، أربيل، ٢٠٠٠، ص٩ وما بعدها؛ فهراهاد پيربال، روژنامه گهريي كوردي به زمانى فه ره نسى، ههولير، ١٩٩٨، ل١٦-١٧.

٣. اسحق سكوتي (١٨٦٨-١٩٠٢): ولد في دياربكر من أسرة كردية، كان أيضاً ضمن المؤسسين الأربعة لجمعية الاتحاد والترقي العثمانية، عمل ضمن المعارضة العثمانية في الخارج حتى وفاته. للمزيد، ينظر: كمال مظهر احمد، المصدر السابق، ص١١٦-١١٧؛ فهراهاد پيربال، روژنامه گهريي كوردي...، ل١٨-١٩.

سكان إحدى القلاع، وأكد عثمان بيك في تصريح له أنه سعى لسنوات طوال إلى توحيد قوى الأرمن والكرد، من أجل الانتفاضة الكبرى ضد النير التركي: إن الكرد والأرمن مسلحون سراً [القول لعثمان بك] وهم ينتظرون فقط عودتي، لكي نقوم قيام رجل واحد، وسوف تكون من أعنف المعارك، التي ستشهدها الإمبراطورية العثمانية منذ نشأتها، إن رغبتني تتلخص في خلاص كردستان من الفوضى، ومن الوضع الاقتصادي المشين، الذي أوجده النير التركي المخزي، الذي حول هذا الشعب المحارب، إلى سلاح بيد الاستبداد والتعسف لمصلحة الحكم التركي المطلق^١.

رغم هذا التعاون الكردي مع الأرمن خلال المدة ١٨٩٧-١٩٠٨، إلا أنه بقي محدوداً، ولا يمكن إعطاء تلك القضية شكلاً أكبر من حجمها الحقيقي، صحيح أن العديد من الكرد قد ساعدوا المجاميع الثورية الأرمنية، إلا أن قلة قليلة وكما يقول فدائيو الأرمن من بين هؤلاء الكرد من آمنوا بقضيتهم، ومن جانبهم لم يكن من السهل الوثوق بالكرد، يقول الباحث كارابيت ك. مومدجيان: "إن القبائل الكردية والقرى التي تعاونت مع الحركة الأرمنية كانت محدودة من حيث العدد، معظمها على ما يبدو شاركت في الجهود المبذولة بسبب الخوف، لأنها كانت تقع ضمن مجال عمل المجموعات الفدائية الأرمنية، إن عدداً قليلاً جداً فقط من الكرد تعاونوا وبشكل منفرد مع الأرمن بسبب إيمانهم بعدالة القضية الأرمنية، بل انضموا إلى بعض المجموعات الفدائية الأرمنية، وقُتلوا ببسالة في القتال جنباً إلى جنب مع زملائهم الأرمن"^٢.

هنا لا بد من القول، أن الأرمن في تلك الأونة لم يقدموا برنامجاً يقنع الكرد بشرعية قضيتهم، وكان هناك غموض واضح بشأن أهدافهم، ولماذا لا نقول: إن الكرد قد ساعدوا الأرمن بدافع العلاقات العميقة الجذور بينهم والموعدة في القدم، وأن الأرمن هم الأقرب إلى قلوب الكرد من الأتراك، حتى وإن اختلفت ديانتهم، فعاداتهم وتقاليدهم هي نفسها، لذلك يبدو أن السبب في عدم توجه الكرد بقوة نحو الثوار الأرمن يكمن في أن أهداف هؤلاء الثوار كانت غامضة لدى الكرد؛ ثم لماذا يقاتل الكرد بجانب الأرمن؟ ولماذا يعرضون أنفسهم وعوائلهم للخطر؟

وصح المثل القائل: "إن التاريخ يعيد نفسه"، فبالأمس القريب كان الكرد يحتاجون

١. نقلاً عن: جليل جليل، نهضة الأكراد...، ص ٨٩.

2. Garabet K. Moundjian, Op.Cit.

إلى مساعدة الأرمن، أيام انتفاضة الشيخ عبید الله النهري، وكم مرة حاول فيها الشيخ كسبهم إلى جانبه إلا أنهم لم ينضموا إليه، لاختلاف قضيتهم وأهدافهم، وشكوكهم نحو نوايا الشيخ عبید الله النهري، فهم خافوا من أن يقوم الشيخ بتأسيس دولة كُردستان على حساب دولة أرمنستان، وأما الآن، أي خلال المدة ١٨٩٧-١٩٠٨، فقد تبدلت الأدوار رأساً على عقب، فالآن يقوم الأرمن بطلب مساعدة الكُرد، ولكن هنا يلاحظ الفرق، وهو أن العديد من الكُرد قد قاموا بتقديم المساعدة إلى الأرمن، في حين نرى أن الأرمن أيام الشيخ عبید الله النهري لم يقدموا أي مساعدة تذكر، بل قاموا بتشويه صورة انتفاضته عند الدول الغربية -كما مر بنا سابقاً-.

لذلك كان على الثوار الأرمن أن يقدموا برنامجاً يرضي طموحات الكُرد أيضاً، ولا يخفى على أحد أن الكُرد كثيراً ما شككوا في نوايا الأرمن حول محاولتهم تأسيس أرمنستان الكبرى، كما أنه ومنذ مؤتمر برلين ١٨٧٨، كان قد طغى على تفكير الكُرد في شمال كُردستان أن الأرمن سيحولون كُردستان إلى أرمنستان، لذلك نجد أن الكُرد كثيراً ما عدوا الأرمن خونة، لأنهم يحاولون الظفر بالأرض التي كانت تعود لكليهما سابقاً.

أما لماذا لم يقدم الأرمن هذا البرنامج الذي يلبي ولو قليلاً من طموحات الكُرد أيضاً؟ لسبب بسيط وهو: أن الأرمن كانوا لا يطبقون اسم كُردستان، لأنهم كانوا يعتقدون أن الأتراك هم من أطلقوا هذا الاسم في الأساس بعد مؤتمر برلين، وأنه في الحقيقة، كما يروي في تاريخهم هي أرمنستان ولا حاجة بنا هنا إلى الخوض في مسألة كُردستان وأرمنستان من جديد لأنه هذه المسألة قد بحثناها سابقاً.

تظهر هذه القضية بوضوح في المقابلة التي أجراها الطاشناق (مالهاس-Malhas)، مع الشيخ محمد صديق الابن الأكبر للشيخ عبید الله النهري الذائع الصيت، ففي حديث جرى بينهما يتبين الغموض في أهداف الأرمن، التي تخوف الكُرد منها دوماً منذ مؤتمر برلين.

ففي خريف ١٩٠٣ قام الأرمني مالهاس، وهو أمريكي من أصول أرمنية، بالسفر متكرراً بصفة طبيب إلى منطقة شمدينان في هكاري، لملاقة الشيخ محمد صديق، وكان تحت إمرة الشيخ محمد صديق (١٠٠٠٠) شخص مسلح آنذاك، حسب

المصادر الأرمنية^١، وكان الشيخ محمد صديق على علاقة سيئة بالسلطات العثمانية هناك^٢، واستقبله الشيخ محمد صديق بشكل لائق. اجتمع مالهاش مع الشيخ بصفته ممثلاً لحزب الطاشناق. وفي البداية عرفه مالهاش بمبادئ حزبه على الشكل الآتي، كما يقول بنفسه:

"اعتباراً من أول يوم بدأنا فيها تشكيل تنظيماتنا حاولنا، ورغبنا كثيراً بأن نؤسس علاقات طيبة وتعاوناً مشتركاً مع جيراننا الكرّدي، وخير مثال على ذلك قيامنا بتلبية دعوة عبد الرحمن بدرخان الذي نشر وقتها مقالات في جريدة (تروشاق-Troshak) -بخصوص العلاقات الكرّدية الأرمنية- وقد لبينا الدعوة، وكانت حركتنا مؤثرة ضد العثمانيين، وإن أعمالنا النضالية وحركاتنا المسلحة في جميع الأراضي العثمانية كانت تستهدف القوات العثمانية، ولم توجه نحو الكرّدي يوماً، ونحن نعد الكرّدي كإخواننا في المنطقة، وإن حركتنا التحررية، ونضالنا، ودعواتنا، لم نختص فيها فقط بالمطالبة بحقوق الأرمن، وإنما دعونا دائماً إلى حصول كل القوميات، والشعوب الأخرى، وأولهم الكرّدي على حقوقهم، وحرّياتهم، وحقهم في العيش الكريم، وفي الحقيقة إن السلطان عبد الحميد، هو الذي استغل جهل الكرّدي، وعدم درايتهم بمكامن الأمور، واستخدمهم كوسيلة ردع ضدنا، والقسم الأكبر من الأرمن الذين اصطدموا، وحاربوا الكرّدي كانوا مجبرين ومضطرين على ذلك، بالنسبة لنا نحن الأرمن مشكلتنا الأساسية هي مع الإدارة العثمانية، ونحاول جهدنا للإطاحة بهذا النظام، ولا نكن أية ضغينة أو عداة ضد الكرّدي، ولا مشكلة متأصلة لنا معهم"^٣.

بعدها عرض مالهاش مطالب حزبه على الشيخ محمد صديق، وهي:

- ١- تأمين حماية مخابراتنا ومراسلينا، مع الأحمال التي يحملها الحمالون على ظهورهم، إلى منطقة خوشاب، وتأمين سلامتهم حين مرورهم بهذه المناطق.
- ٢- يقوم الشيخ باستخدام نفوذه، لعقد اتفاقية بيننا وبين رؤساء العشائر الكرّدية على طول الحدود-الفارسية العثمانية-^٤.

1. Garo Sasuni, A.G.E., S.129.

2. Justin McCarthy and other , Op.Cit., P.82-83.

3.Garo Sasuni, A.G.E., S.129-130; M.Kalman, Bati-Ermenistan..., P.68.

4. Garo Sasuni, A.G.E., S. 130.

أجاب الشيخ محمد صديق على مالهاس ومطالبه بالشكل الآتي:

"أنتم الأرمن ولأنكم مسيحيون، تحظون بدرجة عالية من الحماية من الخارج، فعندما يصاب أي أرمني بخدش بسيط وبأي قرية كانت يقوم سفراء الدول الأجنبية في استانبول برفع شكوى عند السلطان ويطالبون بحقوقه، وعندما يُقتلون [أي: الأرمن] على أيدي العثمانيين [الأترك] يوجه الاتهام إلى الكرد، وعندما يقوم العثمانيون بالاعتداء والهجوم يكون السبب في ذلك الكرد، وفي كل مشكلة تحدث وفي أي منطقة كانت، يكون المعتدي هم الكرد، ويكون الأرمن هم المظلومين، هكذا تفهم الدول الأجنبية المسألة، وأنتم أيضاً تقولون وتؤيدون ذلك، فلا أجد سبباً خاصاً يجعلني أحبكم، وانحاز إلى جانبكم، ولكنني أعرف، كما أنتم تعرفون نحن الكرد، وأنتم الأرمن من أقدم الشعوب التي سكنت هذه الأراضي، وعلى عكس الأترك هم من جاءوا حديثاً إلى مناطقنا، فإنني استغرب انه لحد الآن لم نقم بتوحيد جهودنا للتحرك بشكل موحد في مناطقنا، فلا أجد سبباً وجيهاً يمنع ذلك، فأراضينا كبيرة وشاسعة، وكافية لكلا الشعبين وأكثر، فالأراضي والمناطق التي تمتد من باشقالا و نوردوز وصولاً إلى الموصل، هي ملكنا نحن الكرد، وما يحاذيها في الشمال هي لكم انتم الأرمن، ولهذا فهذا هو الموضوع الأساسي الذي يجب مناقشته، ففي حال إذا أصبحتم في حالة تعاون جدي معنا، تستطيعون تحقيق خططكم، ولن يتبقى لنا أي سبب لنكون ضدكم"¹.

ثم اقترح الشيخ محمد صديق على مالهاس، بشأن خطة الطاشناق، والتي تم عرضها عليه، ما يلي:

"من الممكن أن نقوم بتأمين الطريق للمخبرين الأرمن، وكذلك تأمين مرور البضائع إلى خوشاب، بحرية بواسطة رجالنا، ولكننا في الوقت الحاضر لا نرى أهمية لذهاب وإياب المجاميع المسلحة في المنطقة، ولكن مستقبلاً وعند الضرورة سنقوم بتأمين هذا الأمر أيضاً، وإنني أريد أن يحضر عندي المسؤولون في إدارة مجلس حزب الطاشناق في شهر أيار القادم [١٩٠٤]، وبدوري أعدكم بأنني سأقوم بدعوة كل رؤساء العشائر الكردية والأغوات، في منطقة شمدينان لاجتماع عام معهم"².

1. Ibid.

2. Justin McCarthy and other , Op.Cit., P.97.

ثم اشترط الشيخ على مالهاش بأنه مقابل هذه الخدمات يجب على حزب الطاشناق تلبية مطالبنا، وتتضمن ما يلي:

١- أن يقوم حزب الطاشناق بإنشاء مصنع للأعيرة النارية، تُستخدم للأسلحة الخفيفة في منطقة شمدينان، ومن حسابهم الخاص، ويستفيد من هذا المصنع أيضاً كل الطاشناقيين.

٢- أن يقوم ممثلي الطاشناق بتصدير وتوزيع منتجات أهالي شمدينان، من التبغ إلى مصر والدول الأوروبية.

٣- أن يقبل الطاشناقيون حدود كُردستان، التي حدّها الكُرد وبدون نقاش.

٤- أن يعمل حزب الطاشناق على تأمين مساعدة الدول الأوروبية المسيحية للكُرد أيضاً^١.

ولكن لم يتمكن حزب الطاشناق من إرسال أياً من أعضائه في الموعد الذي حدده الشيخ محمد صديق لمالهاش، وبعد ذلك فقد الشيخ حماسته لهذا المشروع، ولم يلتقِ الطرفان حتى الانقلاب العثماني ١٩٠٨.

هنا يقع مكمن الخلاف بين الأرمن والكُرد، وهو أن اغلب المناطق التي كان يحارب فيها الثوار الأرمن في ساسون ووان، قد ادخلها الشيخ محمد صديق ضمن حدود كُردستان، وهذا ما لم يكن يقبله الأرمن، ولكن على العموم يظهر من حديث الشيخ محمد صديق أنه يقبل بدولة أرمنية، وضم إليها بعض الأراضي التي يدخلها العديد من الكُرد ضمن حدودهم التاريخية، ولكنه قال للأرمن: إنها لكم، صحيح انه حتى الحدود التي ذكرها الشيخ محمد صديق كانت غامضة بعض الشيء، إلا أن الأرمن إذا كانوا يريدون حقاً أن يكسبوا الكُرد إلى جانبهم في النضال ضد الدولة العثمانية، فيجب عليهم المفاوضة مع الشيخ محمد صديق على هذا الأمر، وليس كما يقول مالهاش نفسه: انه اندهش من جواب الشيخ محمد صديق على مطالبهم^٢، ولذلك يمكننا القول إن الأرمن كانت لديهم حلم وآمال، وكان الكُرد أيضاً لديهم أحلام وآمال أخرى، ولكن

1. Garo Sasuni, A.G.E., S. 13.; M.Kalman, Bati-Ermenistan..., P. 68; Garabet K. Moumdjian, Op.Cit.

2. Justin McCarthy and other , Op.Cit., P.97.

3. Garo Sasuni, A.G.E., S. 130.

المصيبة لكلا الطرفين أن الأرض التي يحلم بها كل منهما (أي: من الكرد والأرمن) هي واحدة، وهي بنظر الكرد كردستان، وبنظر الأرمن أرمنستان.

وكثيراً ما يقال إن الأتراك استغلوا الكرد لضرب الأرمن، ولكنه بالنظر إلى مؤتمرات الطاشناقيين بعد ذلك يظهر أنهم هم أنفسهم أرادوا استغلال الكرد أيضاً لضرب الأتراك لطردهم مما عدوها أرض الأرمن وحدهم، ليست أرضهم وأرض الكرد، لتكون لديهم الكلمة العليا في تلك الأرض، ولم يأت في أغلب أحاديثهم عن الكرد كون تلك الأرض التي يحاربون من أجلها هي من حق الكرد أيضاً، فإذا ما استقلت تلك الأرض فما هو موقع الكرد فيها؟ فمثلاً دار النقاش التالي بين انترانيك وصبوح في إحدى اجتماعات حزب الطاشناق، المنعقدة في فيينا، في الأول من آذار ١٩٠٧، وقد خصص جانب كبير منه للتحديث عن الكرد، فكان على النحو التالي:

قال انترانيك باشا: "إذا قام الحاكم بالضغط على الكرد فإنني متأكد أن الكرد سيغيرون نظرهم تجاهنا، لأن العنصر الديني أو الفارق الديني الذي بيننا هو المسألة المهمة في علاقاتنا، إضافة إلى ذلك فإن الكرد ليسوا بالناس المتدينين كثيراً، فهم ليسوا على علم بأمور الدين، فضلاً عن ذلك فإنهم يستطيعون أن يسلبوا بكل حرية، ويخطفوا من يريدون ويقتلون، فلماذا يتفقون مع قرابينهم^١، وكان (صبوح – Sebu) متفقاً فكراً مع انترانيك حيث قال: "ينقسم الكرد إلى عشائر ورعايا، ولذا لن تكون لنا صداقة دائمة مع العشائر، وإذا لم تقم الدولة بنزع سلاحهم، أو الضغط عليهم، فإن استعمالهم ضد الدولة هو شيء مستحيل"^٢، وأضاف انترانيك: "وان أصبح بالإمكان استخدام إحدى العشائر الكردية ضد الحكومة فإن ذلك سوف يجدي نفعاً، بسبب العداوات العشائرية بين الكرد أنفسهم، حيث تتكاتف العشيرة العدو لتلك العشيرة مع الدولة، ويتم إسقاط جميع الخطط"^٣.

يتبين من هذه المناقشة حول الكرد بعدم وجود اختلاف في سياسة الأتراك تجاه الكرد، مع سياسة الأحزاب الأرمنية تجاههم، على الإطلاق، فالأتراك يستغلون الكرد لضرب الأرمن، والأرمن يستغلون الكرد لضرب الأتراك، لينقسم الكرد بعدها قسمين

1. Antranik Çelebyan, A.G.E., S. 138.

2. A.E.

3. A.E.

قسم ضد الحكومة وقسم مع الحكومة، وبالنتيجة يستفيد منه الأرمن، هنا كان حرياً بالأرمن أن يحاولوا كسب الكُرد بصدق، وكان باستطاعتهم ذلك لو تنازلوا بعض الشيء عن حدود أرمستان الكبرى، والنظر إلى الكُرد على أنهم إخوة لهم يعيشون إلى جنبهم على أرض واحدة؛ لذا فهي لكلا الطرفين، خاصة إذا ما علمنا أن غالبية الأرمن كانوا متعلمين، عكس الكُرد الذين ابتعدوا عن التعليم، منذ سقوط إماراتهم في النصف الأول من القرن التاسع عشر.

يقول الباحث (مايفسراي): إن القسم الأكبر من الكُرد لم يكونوا يخضعون لسيطرة الحكم العثماني، وان أكثر من نصف الكُرد كانوا يكتنون الحقد والكره ضد الإدارة العثمانية، وكانت هذه النقاط في صالح الشراكة الأرمينية الكُردية وقتها، ولكن حماقة وجهل قادة الأرمن فوتت هذه الفرصة من بين أيديهم، ولم يستطيعوا استغلال التباعد الموجود بين الكُرد والأتراك، ولو حصل الاتحاد بين الأرمن والكُرد لكانت نتيجة المظاهرات وحركات التمرد في كُردستان قد أخذت طابعاً مغايراً للأحداث، والشيء الذي كان يربط هذين الشعبين هو كرههما للأتراك، وفيما بعد صارت هنالك بعض المحاولات الخجولة في هذا الاتجاه، إلا أنها جاءت متأخرة، وأيضاً هزيلة بعدما تعاون الأرمن مع الأوربيين، واستصدروا قوانين وقرارات دولية ضد الكُرد، وخاصة بعد الأحداث الأرمينية التي تعرض فيها الكثير من الكُرد، إلى ضرر الجماعات والمنظمات الأرمينية¹.

1.MAYÉVSRİY V. T., A.G.E., S.128.

خامساً- جريدة كردستان والمسألة الأرمنية ١٨٩٨-١٩٠٢

دخلت المسألة الأرمنية في صميم اهتمامات جريدة كردستان^١، التي أصدرها كل من الأخوين (مقداد مدحت بدرخان)^٢، و(عبد الرحمن بدرخان) خلال المدة (١٨٩٨-١٩٠٢)، وتعد من أهم المصادر الكردية المقربة زمنياً للأحداث الأرمنية في كردستان^٣. ولجريدة

١. يحبذ الباحثون والصحفيون الكرد إطلاق تسمية جريدة كردستان (الأولى)، أو جريدة كردستان (الأم) على هذه الجريدة، لسببين، الأول: لأنها تعد أول جريدة كردية ظهرت في تاريخ الثقافة الكردية، وثانياً: إنها تعد الطور الأول من جريدة كردستان، التي أصدرها البدرخانيون ضمن ثلاث حقب، الأولى بين سنوات (١٨٩٨-١٩٠٢)، والثانية بين عامي (١٩٠٨-١٩٠٩)، أما الدور الثالث من هذه الجريدة فصدرت خلال المدة (١٩١٧-١٩١٨)، كما من المفيد بالذكر هنا أن جريدة كردستان قد أصدرت باللغتين الكردية والتركية العثمانية. للتفاصيل ينظر: كوردستان يهكه مين رۆژنامهى كوردى ١٨٩٨-١٩٠٢، كۆكردنه وه پيشهكى: كه مال فوناد، چاپى سيتهه، تاران، ٢٠٠٦؛ محمود زامدار، كوردستاني دايك، ههولير، ١٩٩٨.

٢. مقداد مدحت بدرخان (؟ - ١٩١٧): هو ابن بدرخان بك، لا تعرف سنة ميلاده وأحداث طفولته، شارك مع أخيه أمين عالي بدرخان في حركة كردية ضد السلطان عبد الحميد الثاني سنة ١٨٨٩ في طرابزون، على حدود كردستان الشمالية وكان مصيرها الفشل، أصدر أول جريدة كردية سماها كردستان، انتمى لحزب الحرية والائتلاف العثماني في استانبول بعد انقلاب تموز ١٩٠٨، توفي بحلول سنة ١٩١٧. ينظر: مالميسانز، بدرخانيو جزيره...، ص ١٦٠-١٦٢؛ هوكر طاهر توفيق، دور الصحافة الكردية في تطوير الوعي القومي الكردي ١٨٩٨-١٩١٨، دهوك، ٢٠٠٤، ص ٧٢-٧٣.

٣. لقد صدرت من جريدة كردستان (٣١) عدداً ما بين سنوات ١٨٩٨-١٩٠٢، وحمل العدد الأول تاريخ ٢٢ نيسان ١٨٩٨ وكانت تصدر بأربع صفحات، وبحجم (٢٥,٥ × ٣٥,٥)، أصدر الأعداد الخمسة الأولى منها مقداد مدحت في القاهرة، واستلم إصدارها من العدد السادس حتى العدد الواحد والثلاثون، الذي يعد العدد الأخير منها شقيقه الأصغر عبد الرحمن بدرخان، وأصدرها في مدن مختلفة من العالم، فالأعداد (٦-١٩) أصدرها في مدينة جنيف، ومن العدد (٢٠-٢٣) في القاهرة، وصدر العدد (٢٤) في لندن، والأعداد (٢٥-٢٩) في مدينة فولكستون جنوبي لندن، والعددان الأخيران (٣٠ و ٣١) في جنيف مرة أخرى. للمزيد ينظر: كوردستان يهكه مين رۆژنامهى كوردى ١٨٩٨-١٩٠٢، سه رچاوهى پيشوو، ١: جمال خه زنده دار، مرشد الصحافة الكردية، بغداد، ١٩٧٣، ص ١٧.

كُردستان أهمية مميزة في المسألة الأرمنية والعلاقات الكرديّة- الأرمنية في تلك المدة لأسباب عدة، منها:

١- إن ما جاء في هذه الجريدة من آراء ومواقف ومعلومات تُعد بمثابة الرأي الكردي الوحيد من الأحداث التاريخية التي مرت بها كُردستان آنذاك.

٢- صدرت جريدة كُردستان ضمن مرحلة تاريخية مهمة، كانت فيه المسألة الأرمنية ما تزال في أوجها، وفي الوقت الذي يمكن عدّه البداية الأولى الحقيقية لنشوء علاقات كُردية أرمنية على مستوى النخبة.

٣- إن رَئِيسِيّ تحرير جريدة كُردستان هما من أبناء بدرخان بك، أمير إمارة بوتان، حيث كان غالبية الأرمن في كُردستان الشمالية تحت حكمه ومن رعاياه، حتى سقوط الإمارة عام ١٨٤٧- كما مر بنا سابقاً.

صحيح أن جريدة كُردستان لم تكن تمثل حزباً سياسياً، ولم تكن تمثل الرأي العام الكردي بشكل واسع آنذاك إلا أن ذلك لا يعني أن جريدة كُردستان لم تكن تمثل ذلك القطاع الواسع من الجماهير الكرديّة، وذلك بالاستناد إلى عدة أمور، منها: أن رَئِيسِيّ تحرير جريدة كُردستان كانا أميريين من أمراء بوتان، وكانت لهما شهرة واسعة في كُردستان، بل إن عائلة بدرخان بك تعد من أعرق العوائل التي ناضلت في سبيل الحصول على الحقوق القومية الكرديّة لأكثر من قرن من الزمن، فضلاً عن أن من يقرأ جريدة كُردستان يلاحظ أنها كانت منتشرة بين فئات واسعة من الكُرد، على الرغم من عدم سماح السلطات العثمانية آنذاك بدخولها إلى كُردستان، أو حتى إلى الدولة العثمانية، فقد نشرت جريدة كُردستان رسائل عدة أرسلها قُراؤها من الكُرد وغيرهم، إلى صاحبي جريدة كُردستان، وقد جاءت رسائل من: ماردين، وديار بكر، واطنة، والسليمانية، والشام، وطرابلس، مما يوحي إلى سعة انتشارها بين الكُرد آنذاك ورأي الكُرد فيها^١.

وضعت جريدة كُردستان المسألة الأرمنية ضمن اهتماماتها الأولى، باحثاً عن أسباب هذه المشكلة؟ ودور الكُرد فيها؟ ثم ما هي أهم المقترحات والحلول الناجعة للخروج من هذه الأزمة؟.

إن أول إشارة إلى هذه المسألة في جريدة كُردستان كان في ذلك الخبر الذي أورده

١. ينظر: هوكر طاهر توفيق، دور الصحافة...، ص ٩٢-٩٤ و ١٢٥-١٢٩ .

مقداد مدحت بدرخان، في العدد الثالث منها الصادر في ٢٠ أيار ١٨٩٨، حيث جاء فيه: "منذ سنتين أو ثلاث سنوات، حدث اشتباك بين الكُرد والأرمن، هذه الحالة غير جيدة، الدولة غير راضية عنها، بعد الآن سأكتب عن هذا الموضوع أيضاً^١، من خلال هذا النص يبدو أن صاحب الجريدة أدرك خطورة وأهمية هذا الموضوع بالنسبة للكُرد والأرمن، وأيضاً بالنسبة للدولة العثمانية، ولكن يظهر عند قراءة الأعداد اللاحقة من جريدة كُردستان، التي صدرت في عهد رئاسة مقداد مدحت بدرخان، عدم البحث في أمر هذه المسألة، كما وعدت بها قراءها، وربما كان ذلك بسبب مرضه، الذي لم يمهلها للكتابة عن هذا الموضوع، وعجل في أمر تركه لجريدة كُردستان، أو لحدوث أمر طارئ تمثل في عدم سماح السلطات العثمانية لجريدة كُردستان، من الدخول إلى الدولة العثمانية؛ لكونها جريدة مناهضة للسلطان عبد الحميد الثاني، وانشغال مقداد مدحت بهذا الأمر، رغم نفي صاحب الجريدة صفة المعارضة عن جريدته، وعدّها جريدة لا تتعارض مع قوانين الدولة العثمانية، في العديدين الآخرين الذين أصدرهما وهما العددان الرابع والخامس.

غدت جريدة كُردستان في عهد عبد الرحمن بدرخان أكثر ليبرالية تحريرية في بحثها عن أسباب تدهور الدولة العثمانية، وتخلف القوميات المنضوية تحت لوائها، مقارنة بالشعوب الأوربية أو المتحضرة، لذلك تحدثت جريدة كُردستان في هذه المرحلة بجرأة تامة عن المسألة الأرمنية، والعلاقات الكردية الأرمنية، أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين.

ففي أول رد فعل لجريدة كُردستان بخصوص هذه المسألة كتب عبد الرحمن بدرخان، في العدد السابع الصادر في ٥ تشرين الثاني ١٨٩٨، مقالاً تحت عنوان (ليس للإنسان إلا ما سعى)، نبه فيه الكُرد إلى مخاطر الأمية، والجهل، حتى وصل الأمر بالدول الكبرى إلى استغلال هذه الآفة عند الكُرد بتهديد أرض الكُرد ومنحها للأرمن، لأن حسب الدول الكبرى، والحديث لعبد الرحمن بدرخان، لا تقبل أن يحكم شعب جاهل وأمي مثل الشعب الكردي شعباً متعلماً ومتمدناً كالشعب الأرمني، وإذا لم يستفيق الكُرد من غفلتهم، سيأتي يوم ويتحقق هذا الأمر؛ ثم يتحدث عبد الرحمن بشيء من التفصيل عن الأرمن والكُرد، بقوله: "منذ عدة سنوات يلاقي الأرمن ظلماً

١. جريدة كُردستان، العدد (٣)، ٢٠ أيار ١٨٩٨ .

كبيراً من مأموري الدولة، ولهذا يفعلون كل شيء، لكي يخلصوا أنفسهم من هذا الظلم، وهذا حقهم، المأمورون يأتون من استانبول إلى هذه المنطقة [يقصد كردستان] ويلحقون أضراراً كبيرة بالأرمن، ولهذا يجب على الكرد عدم قتل الأرمن، لا يرضى الله على هذه الحالة، الأرمن مظلومون؛ ولذا يجب على الإنسان أن لا يسلط سيفه على المظلومين"، وبعد ذلك يقول عبد الرحمن للكرد: انتم مظلومون مثل الأرمن أيضاً اكتبوا للسلطان عن ظلم مسؤوليه في كردستان، وان لم يستجب ابعثوا رؤساعكم إلى السلطان، ليطلعه على هذه الأوضاع، وكونوا مثل الأرمن الذين يفدون بأنفسهم في سبيل مصلحتهم^١. يتبين من هذا النص أمور عدة، حيث أراد صاحب جريدة كردستان إيصالها إلى الكرد وهي أن جهل وأمية الكرد هما السبب الرئيسي في استغلال الدولة العثمانية لهم، واستخدامهم لقتل الأرمن، فضلاً عن استغلال الدول الكبرى لهذا النقص عند الكرد، وإعطاء الوعود للأرمن بمنحهم كردستان، في حين يشدد عبد الرحمن بدرخان على أن قضية الكرد والأرمن هي قضية واحدة، وتتمثل بالظلم الواقع عليهما من الدولة العثمانية.

أورد عبد الرحمن بدرخان نفس هذه الفكرة، أي استغلال الدولة العثمانية جهل كثير من الكرد لضرب الأرمن، في العدد الثامن أيضاً الذي صدر في الأول من كانون الأول ١٨٩٨، بدأ صاحب الجريدة في المقال المعنون (هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون) بنصيحة الكرد، أخذ طريق العلم والتفكير في واقع الكرد الحالي، والمستوى المتدني ثقافياً لمجتمعهم، ثم يؤنب علماء الدين الكرد في أنهم لم يحركوا ساكناً لمنع الكرد من قتل الأرمن وإيقاظهم من غفلتهم، وأنه تقع على عاتق هؤلاء العلماء المسؤولية الأولى في ذلك، حيث قال: "في الحرب بين الأرمن والكرد اعلم أن الكرد قتلوا الكثيرين من أبرياء الأرمن، لم يكن الله راضياً بهذا العمل، عمل الكرد ذلك الذنب لجهلهم، لم يكونوا يعلمون أن قتل الأرمن كقتل المسلمين، قسم من ذلك الذنب يقع على عاتق العلماء المسلمين"^٢؛ ثم يُذكَر عبد الرحمن بدرخان علماء الكرد من المسلمين بذلك قائلاً: "بأنكم لو كنتم أوعظتم هؤلاء الناس لما فعلوا ذلك، ولما كان الكرد قد قتلوا هذا الكم من أبرياء الأرمن"^٣. في هذا المقال أيضاً يظهر أن عبد الرحمن بدرخان لم يخرج

١. جريدة كردستان، العدد (٧)، ٥ تشرين الثاني ١٨٩٨.

٢. جريدة كردستان، العدد (٨)، ١ كانون الأول ١٨٩٨.

٣. العدد نفسه.

من الإطار السابق، وهو استغلال الحكومة العثمانية لجهل الكُرد في ضرب الأرمن، وعدم وقوف علماء المسلمين من الكُرد ضد هذا الأمر، وتوعية الكُرد بهذا الخصوص.

تناول عبد الرحمن بدرخان هذه المسألة في العدد التاسع الصادر في ١٦ كانون الأول ١٨٩٨ أيضاً، ففي المقال الذي حمل عنوان (الوطن) ذكر عبد الرحمن بدرخان أن الأرمن استاءوا كثيراً من ظلم الدولة العثمانية، ولذلك عارضوا هذا الأمر، وطالبوا بحقوقهم، ولأن الكُرد جهلاء استغلت الدولة العثمانية هذه الصفة عندهم، ودفعتهم لقتل الأرمن، ثم يقول للكُرد: "أنتم مظلومون أكثر منهم [أي: من الأرمن] لكنكم جهلاء...ما تتألمون من ظلم لا يناله الأرمن"^١.

تابع عبد الرحمن بدرخان أمر استغلال الدولة العثمانية للكُرد، ودفعهم لقتل الأرمن في مقالة أخرى نشرت في العدد الحادي عشر تحت عنوان (هلاك أمتي من عالم فاجر...)، يؤكد عبد الرحمن بدرخان أن لا بد للكُرد من السير في طريق العلم، ليتداركوا وضعهم الحاضر، وان على علماء الكُرد أن يأخذوا مسؤوليتهم محمل الجد؛ ثم يقول: "فكروا [أي: الكُرد] إلى أي حد الأرمن هم أصحاب نشوة وغيره، هم مظلومون مثل الكُرد، إلا أنهم يفدون بأرواحهم في سبيل نيل الحرية، جهلاء الكُرد لا يعرفون، يقتلون الأرمن، وهذه الأوضاع تضر بالكُرد...على الكُرد أن يتفوقوا مع الأرمن، ويعملوا معاً على طرد مسؤولي الحكومة الظالمين...وبدل من أن تساعدوا الأرمن المظلومين ذهبتم لقتلهم؟"^٢. يظهر أن عبد الرحمن بدرخان لم يخرج من نفس الإطار الفكري الذي طرحه منذ العدد السابع بخصوص الكُرد والأرمن، وهو أن هناك سببين رئيسيين يقفان وراء الأحداث الأرمنية في كردستان وهما، أولاً: جهل الكُرد، وثانياً: استغلال مسؤولو الحكومة العثمانية لهذا الجهل، ودفع الكُرد إلى قتل الأرمن، الذين انتفضوا بدورهم ضد الحكومة العثمانية، ومطالبتهم بالاستقلال على غرار شعوب البلقان، ويبدو أن عبد الرحمن بدرخان هنا كان متأثراً بوجهة النظر الأرمنية إلى حد بعيد، كما هو غالبية الرأي العالمي آنذاك.

جاء ذكر الأرمن ضمن رسالة جاءت من كردستان، نشرها صاحب الجريدة في العدد الثالث عشر الصادر في ٢ نيسان ١٨٩٩، وكانت مرسلة من أحد أهالي ديار بكر

١. جريدة كردستان، العدد (٩)، ١٦ كانون الأول ١٨٩٨.

٢. جريدة كردستان، العدد (١١)، ١٠ شباط ١٨٩٩.

رمز إلى اسمه بالحرفين (ش.م)، وقد هدد صاحب الرسالة السلطان عبد الحميد الثاني بأنه إذا لم يَقم بإصلاح الأوضاع في كُردستان فسينضم الكُرد إلى جانب الأرمن، ويطالبون بالعدالة، لأن الكُرد أيضاً صاروا لا يطيقون هذا الظلم في كُردستان وعلى الكُرد^١. وفي نفس العدد وضمن مقالة تاريخية بعنوان (بدرخان بك) يذكر عبد الرحمن بدرخان أن والده حارب المسؤولين الفاسدين في كُردستان، حتى آخر لحظة من حكمه، ولو حارب الكُرد أيضاً هؤلاء المسؤولين الفاسدين لما وصلت الأوضاع في كُردستان، وبلغت هذه الحالة الميؤس منها؛ ثم يضرب المثل بالأرمن، ويقول: "لأن الأرمن وقفوا في وجه تلك الأوضاع، وهم يعملون ليخرجوا أنفسهم من ظلم المسؤولين، القبي القبض على بعضهم وفقد بعضهم، وهم مستمررون على غيرتهم، يجب أن يتفق الكُرد معهم، لأن الأرمن والكُرد مظلومون من عبد الحميد، لكن الكُرد جهلاء لا يدركون هذه الحقيقة، ولهذا يقتلون الأرمن...إذا اتفق الكُرد والأرمن فلا يستطيع المسؤولون أن يظلموا في كُردستان"^٢.

يظهر أن الفكرة التي أرادها عبد الرحمن بدرخان إيصالها إلى الكُرد قد وجدت صداها في كُردستان، حيث جاءت في الرسالة التي وجهها (ملا صالح جزيري)، من ماردين والتي نشرها صاحب جريدة كُردستان، في العدد الرابع عشر، الصادر في ٢٠ نيسان ١٨٩٩، ما يلي: "يحرك [السلطان] الكُرد دائماً لقتل الأرمن، لقد علمنا أن الأرمن مظلومون، وعرفنا قصده، هو يريد أن يبقى دائماً في حالة من التوحش [التخلف]، نحن نحارب الأرمن دائماً، ولكن فليطمئن من الآن فصاعداً فإنه لن يرى منا ما هو حرام"^٣.

لا يتناول عبد الرحمن بدرخان بعد ذلك المسألة الأرمنية على صفحات جريدته، حتى العدد الثالث والعشرون الصادر في ٢٤ شباط ١٩٠٠، ولكنه في هذا العدد أيضاً لا يتحدث عن العلاقة بين الكُرد والأرمن، وإنما عن حادثة وقعت في استانبول بين السلطان عبد الحميد والأرمن، ففي المقال المعنون (تصرف غريب) يذكر عبد الرحمن بدرخان بعضاً من أوجه السياسة العثمانية، التي اتبعتها السلطان عبد الحميد تجاه

١. جريدة كُردستان، العدد (١٣)، ٢ نيسان ١٨٩٩ .

٢. العدد نفسه.

٣. جريدة كُردستان، العدد (١٤)، ٢٠ نيسان ١٨٩٩ .

الأرمن، حيث يشير إلى أن الأرمن تحصنوا في مكان ما في استانبول، وحدثت مناوشات بين القوات العثمانية والأرمن، وكيف أن السلطان عبد الحميد كان يرسل إليهم الطعام، ولكن من يقبض عليه يسجن؛ ثم يخنق سرّاً.

أصبحت جريدة كُردستان من العدد الخامس والعشرون، إلى العدد الأخير منها وهو الواحد والثلاثون، وكأنها جريدة تعنى بالعلاقات الكُردية -الأرمنية فقط، حيث استحوذ هذا الموضوع على أغلب صفحاتها، وبحث صاحبها بصورة أكثر دقة، من الأعداد السابقة، أسباب الصراع في كُردستان، وقد كان ينشر مقالاته عن هذا الموضوع باللغتين الكُردية والتركية العثمانية، وفي مرتين أو ثلاث نشر نفس المقال وفي نفس العدد باللغتين المارتي الذكر، وذلك على ما يبدو لإيصال الحقائق إلى قراء جريدته، أما لماذا ركز على المسألة الأرمنية، في هذه الأعداد، يبدو أن ذلك راجع إلى عدة أسباب وهي:

١- بالاستناد على ما ورد في هذه المقالات يبدو أن الحوادث بين الكُرد والأرمن قد تجددت في بعض مناطق كُردستان، وان المشكلة كانت اكبر مما يتصورها، وان أسبابها أعمق واشمل.

٢- يظهر من لهجة هذه المقالات أن عبد الرحمن بدرخان قد تعرض لانتقادات لازعة عندما التحق بالمعارضة العثمانية في أوروبا، والمتمثلة بجمعية الاتحاد والترقي، سواء من جانب الأرمن أو المواليين لهم من الأوربيين، لا لشيء سوى انه ينتمي إلى القومية الكُردية، كما يقول في مواضع عدة من أحاديثه عن هذه المسألة.

٣- إن عبد الرحمن بدرخان قد اطلع على واقع المسألة الأرمنية، بشكل أعمق واشمل، مما كان قد تحدث عنها في المقالات السابقة، والتي كان قد ألقى فيها بالذنب كله على السلطان عبد الحميد، وفرسانه الحميدية في كُردستان.

نشر عبد الرحمن بدرخان في العدد الخامس والعشرون، الصادر في ١ تشرين الأول ١٩٠٠ مقالاً تحت عنوان (إلى الكُرد) باللغة التركية العثمانية، في البداية رجا عبد الرحمن بدرخان الكُرد إلى الاستماع لما سيقوله في هذا المقام، وذكر انه ابن والد ضحى بنفسه من أجل الكُرد وكُردستان، وها هو يمشي على خطى والده بعيداً عن كُردستان، بعد ذلك يقول عبد الرحمن بدرخان: " بسبب هويتي الكُردية، والتي أفتخر

١. جريدة كُردستان، العدد (٢٣)، ٢٤ شباط ١٩٠٠ .

بها لدى الأوربيين، في أوروبا الأمام على تلك الأعمال السيئة، التي تفعلونها بحق الأرمن، أتساءل: ما هو دوافع هؤلاء [أي: دوافع الأرمن]؟ اطمئنوا... دوافع الأرمن واضحة ومكتشفة، في نية الأرمن بعد انفصالهم عن الدولة العثمانية أن يجعلوا أرض كردستان الطاهرة مرتعاً وموطناً لهم، وأعلم أيضاً كيف أنهم نشروا مرتزقتهم المتوحشون في كردستان... كيف أنهم شوشوا أفكار شخص سفيه، كل هذه الأعمال معلومة عندي، ولكن كل هذا لا يمنحك الحق بأي شكل من الأشكال أن تهجموا عليهم، وتبيدوهم، لا يجوز أن تصدقوا، وتساندوا الحكومة^١؛ ثم يقول للكرد: بأن من يمتلك القوة الآن في الدولة العثمانية يتحكم في حقه، وكونوا على يقين من أنه لن تقوم دولة أرمنية على أرضكم، وتريد الدولة العثمانية وروسيا هذا الأمر، إلا أن ذلك خارج عن سيطرتهم، ويضيف: "والآن مهما قامت الحكومة بأعمال العنف ضد مرتزقة الأرمن الأشرار، ومهما تحدث من قبلكم أعمال النهب والنار ضد الأرمن تحقدكم روسيا وأوروبا، ويفرح ويتهج الباشا بذلك [أي: السلطان]"^٢، ويتابع عبد الرحمن بدرخان حديثه بذكر أن السبب الرئيسي لتخلف كردستان والكرد الآن هو السلطان عبد الحميد وحكومته "وانتم أيها الكرد كان من المفروض عليكم مساعدة الأرمن الأبرياء والضعفاء، وليس قتلهم كما أمركم السلطان بذلك، واعلموا أيها الكرد أن قضيتكم وقضية الأرمن هي قضية واحدة، بل إن الكرد مظلومون أكثر من الأرمن لو تتفكرون قليلاً في أوضاعكم؛ ثم يضيف بأن أجداد الكرد أبداً لم يكونوا هكذا، كانوا لا يقبلون الظلم أبداً على أحد، سواء أكان من جنسهم، أو دينهم، أو من جنس وديانة أخرى. ويتحدث عبد الرحمن بدرخان بعد ذلك عن دور الدول الكبرى في هذه المسألة، وإنها قامت بتوزيع مناطق النفوذ فيما بينها في الدولة العثمانية، وان لسفرائها دوراً رئيسياً في الأحداث في كردستان، ولا سيما روسيا وبريطانيا، ويذكر للكرد: "بأنكم أصبحتم مثل العصا بيد مسؤولي الحكومة العثمانية، تضربُ بها من يخالفها"، وينبه الكرد بعد ذلك إلى ضرورة النظر إلى تاريخهم الكبير والعظيم في المنطقة، وان اكتساب العظمة لا تنبع من الدخول تحت رعاية زكي باشا والفرسان الحميدية، بل أن اكتساب ذلك تأتي بالاعتماد فقط على القدرات الكردية وحدها، ويضيف قائلاً: "المسؤولون الذين يدفعونكم إلى

١. جريدة كردستان، العدد (٢٥)، ١ تشرين الأول ١٩٠٠.

٢. العدد نفسه.

الاقْتتال... لا يتوانون في إعدامكم على إحدى جبال كُردستان، إذا واجهتكم مسؤولية قانونية، مسؤولو الحكومة أولئك هم كالأشجار والأحجار لا شعور لهم^١، ويختتم عبد الرحمن مقاله بتذكير الكُرد بأنهم إذا نظروا إلى المستفيدين منهم من هذه الأزمة فإن عددهم قليل جداً، ربما لا يتعدى الاثنين منهم، وإنهم دون شك من الكُرد السيئين.

هنا بدأ عبد الرحمن بدرخان يتناول المسألة الأرمنية من خلال منظور مختلف بعض الشيء، ففضلاً عن ذكره، لنفس الأسباب السابقة التي أجمت الأزمة الأرمنية في كُردستان أضاف سببين آخرين في هذا المقام، وهما:

١- أطماع الأرمن في كُردستان، والتي يعدونها أرضهم التاريخية، وهذا ما لا يقبله الكُرد.

٢- دور السفارات والقنصليات الأجنبية في تأجيج الصراع في كُردستان، ولا سيما الروسية والبريطانية منها.

خصص عبد الرحمن بدرخان العدد السادس والعشرون، الصادر في ١٤ كانون الأول ١٩٠٠، في أغلبه للمسألة الأرمنية، حيث نشر في هذا العدد مقالين طويلتين في هذا الجانب، حمل الأول اسم (إلى الكُرد)، والثاني عنوان (الكُرد والأرمن)، ففي المقال الأول لم تختلف أفكاره عن أفكاره التي نشرها في المقالة السابقة التي أوردها في العدد الخامس والعشرون، سوى انه قام بزيادة بعض الإضافات والمعلومات عليها، فقد ذكر في بداية المقال أنه دائماً يتعرض للمعاتبة في أوروبا على خلفية الأحداث الأرمنية في كُردستان، ويضيف: "في الواقع أنا أعلم أن بعض الأرمن يريدون أن يجعلوا من كُردستان وطناً لهم، ويفصلوا عن الدولة العثمانية، ولهذا السبب أنا أعلم أن كثيرين منهم يعملون في هذه الدول الأجنبية بهمة عالية، وبعض آخر منهم يقاتلون في كُردستان، وينشرون الكراهية"^٢؛ ثم يقول للكُرد ناصحاً: "ولكن كل هذا لا يعطي لكم الحق في قتل الأرمن، وهناك العديد من الأبرياء الذين قتلتموهم، صحيح أن على الكُرد عدم الموافقة أبداً على إعطاء أرضهم للأرمن، أو أن تقام دولة أرمنستان على أرضهم، ولكن رغم ذلك يجب على الكُرد المحافظة على جيرانهم الأرمن". ثم يهاجم صاحب المقال السلطان عبد الحميد الثاني، ويعدده السبب الرئيسي في هذه الأحداث، حيث

١. العدد نفسه.

٢. جريدة كُردستان، العدد (٢٦)، ١٤ كانون الأول ١٩٠٠.

يقول: " عبد الحميد يفتعل هذا القتال، ويؤججه ليقول للدول الأجنبية إن هؤلاء وحوش، وغير قابلين للتمدن، بهذه الطريقة يجلب لكم غضب ونفرة الدول، ويظهر نفسه معصوم ومعدور عما فعله"^١. ثم يتطرق عبد الرحمن إلى الأوضاع المزرية في كردستان، التي تئن من الولايات التي أصابتهم على يد مسؤولي السلطان عبد الحميد، ويأتي ليتحدث عن الأرمن كذلك مخاطباً الكرد بقوله: " نعم يوجد بين الأرمن من هم أعداؤكم، ولكن هؤلاء فئة قليلة، والأرمن أيضاً لا يوافقونهم، ولكن اعلّموا جيداً أن عدوكم الرئيسي هو سلطانكم...ولذا اعلّموا جيداً أن عدوكم هو عبد الحميد، رأس الفتنة يجب أن تقفوا ضده، وليس ضد الأرمن"، وينتهي عبد الرحمن هذا المقال بإسداء النصائح للكرد، ومعاتباً لهم: " ماذا جنيتم من هذه الأفعال؟ هل استغنيتم أم زاد الفقر بينكم؟ من منكم صار غنياً؟ لا أحد سوى مسؤولي السلطان عبد الحميد فقط، وان الأضرار التي يلحقها بكم هؤلاء المسؤولون لا يلحقها بكم هؤلاء الأرمن، ويقع على عاتقكم الحفاظ عليهم"^٢.

قام عبد الرحمن بدرخان بإرسال نسخة من هذه المقالة إلى جريدة تروشاك الطاشناقية، لكي تنشرها على صفحاتها، وبعد أربعة أشهر قامت جريدة تروشاك بترجمة هذه المقالة ونشرها تحت عنوان (نداء إلى الكرد)، في عددها الرابع، الصادر في الرابع من حزيران ١٩٠١، وقد نشرت جريدة تروشاك معها معلومة، تفيد بأن حزب الطاشناق بمساعدة أعضائه تمكن من توزيع خمسمئة نسخة من هذه المقالة في (أرمينيا التركية)، والتي كان قد طبعها عبد الرحمن بدرخان باللغتين الكردية والتركية، لكي توزع هناك، وقد تمكن أعضاء حزب الطاشناق، من إدخالها إلى (أرمينيا التركية)، من أجل توزيعها على الكرد^٣.

١. العدد نفسه.

٢. العدد نفسه.

٣. جليلي جليل، نهضة الأكراد...، ص ٨٦. كان عبد الله جودت أيضاً، يقوم بنشر مقالات في جريدة تروشاك الطاشناقية، وكان لا يخرج في أطروحته الفكرية عن الأفكار التي كان عبد الرحمن بدرخان يتناولها، حول الأخوة الأرمينية الكردية، والإشادة بموقف الشيخ عبيد الله النهري من الأرمن أثناء فصول انتفاضته، يقول عبد الله جودت في إحدى مقالاته تلك عن هذه العلاقة: "أريد أن أتحوّل بالحديث إلى جماعة من الكرد يسمون أنفسهم جماعة (محبّي الأمة الكردية)، هذه الجماعة ومنذ سنتين أصدرت جريدة خاصة بهم باسم (كردستان)، وشيئاً فشيئاً أصبحوا ينشرون الأفكار العصرية بين أبناء الشعب الكردي، وكانوا يدعون في جريدتهم إلى =

ومن المفيد هنا القول إن هذه المقالة التي كتبها عبد الرحمن بدرخان كانت موجهة بالدرجة الأساس إلى الكُرد، ولم تكن تعبر عن جميع أفكاره، فيما يخص المسألة الأرمنية، كما سيأتي الحديث عنها لاحقاً، ولكن هنا لا بد من التنويه إلى أن الأرمن قد استغلوا هذه المقالة، ووضعوها ضمن إطار: "أن الجاني يعترف بنفسه على ما ارتكبه من جرائم ضدنا"، لذلك بادرت الجرائد الأرمنية إلى التحدث عن تلك المقالة، وفتح باب العلاقات الكردية الأرمنية من جديد، وما هي مسؤولية الكُرد فيها؟ وهل أبقى الكُرد مجالاً لتكوين علاقة جديدة بينهم وبين الأرمن؟ أسئلة طرحها الأرمن في مقالاتهم تلك، ومن مقالاتهم تلك مثلاً المقال الافتتاحي من تروشاك الصادر في حزيران وتموز ١٩٠١، والتي تعبر عن وجهة نظر الطاشناقيين تجاه الكُرد، وقد جاء فيها:

"إن مشكلة تكوين علاقة جيدة بين الكُرد والأرمن هي ليست بالمشكلة الحديثة، وليس خافياً على أحد آراء كل من (نرسييس فارجابديان)، و(مغريديج خريميان) حول هذا الموضوع، حيث خطو خطوات ايجابية في طرح أفكار بهذا التوجه، وخلال العشر سنوات الأخيرة أصبح واضحاً تحركات الثوار الأرمن من منطقة إلى أخرى، في سبيل تحقيق التفاهم مع الكُرد، نحن لا ننكر إرثنا في هذا الطريق، بل على العكس نحن مستعدون على أن نعمل على تحقيق النجاح في هذا المجال...إن المضي في هذا التوجه، ومسألة محاولة تقريب وجهات النظر، والعمل على تحقيق التفاهم بين الكُرد والأرمن قد تحمل مسؤوليتها الأرمن، وعملوا بهمة من أجل تحقيقها، ولحد الآن الأرمن هم البادئون والطالبون لهذا التوجه"^١، ولكن في السنوات الأخيرة، حسب كاتب المقال، حدثت هنالك تحركات محدودة من جانب الكُرد، نحو مسألة التفاهم الكردي الأرمني، وخير مثال على ذلك: قيام بعض الكتاب بنشر مقالاتهم، ودعواتهم في جريدة تروشاك،

= التعاون بين الكُرد والأرمن، ويقولون انه في حالة وصول الكُرد إلى تفاهم مع الأرمن فسوف يكونون أقوىاء في مقاومة العثمانيين، وبالطبع إن هذه الدعوات ضعيفة في الوقت الحاضر بالنسبة للأهالي، ولكن من الممكن أن تنبت هذه البراعم الفكرية وتتشعب مع الزمن، وإننا نتأمل أن نقطف ثمار هذه الدعوات في المستقبل، ونستطيع أن نبني قوة كبيرة على مستوى دولتنا نابذة للسلطين العثمانيين". ينظر:

-M.Kalman, Bati-Ermenistan..., S.70.

- جليلي جليل، نهضة الأكراد...، ص ٨٥-٨٦ .

1. Garo Sasuni, A.G.E., S.126; M.Kalman, Bati-Ermenistan..., S.73.

وهذا دليل على أن فكرة التعاون الكردي الأرمني قد انتشرت في أوساط الكرد أيضاً، ولكن عند مراجعة الأرمن لأحداث التاريخ، ينطبق عليهم المثل الفرنسي القائل: "يتحدثون عن الحب، فيما يتدلى منه شخص معلق على شفير الموت"¹.

ويتابع كاتب المقال حديثه بالقول: "ففي الحقيقة إذا سألتمونا قائلين: من هم الذين يقومون بإيذاء الأرمن أكثر من الآخرين، وباستمرار منذ بداية القرن التاسع عشر؟ فلن تجد أي أرمني يجاوبك بغير الكرد، وهكذا ففي الحقيقة نحن نتكلم عن الذين قاموا بضرب الأرمن، وقتلهم، والتعرض لأعراضهم، وسفك دمائهم، وطردهم من مناطق سكناهم، أي كما وردنا في المثل الفرنسي نحن الأرمن نتحدث عن الحب الكردي، الذي يعلقون به الأرمن، الوضع معقد جداً ومفجع، ولهذا يجب أن نكون دقيقين وحذرين جداً، عند محاولتنا القيام بالحديث التوعوي، والتثقيفي، والدعوة إلى هذا الأمر بدم بارد، فيجب أن نراعي الوضع من جميع أبعاده"².

ويعزو كاتب المقال أسباب الخلاف الكردي الأرمني مستنداً على حديث لأعضاء حزب الطاشناق إلى عدة أمور، منها: طبيعة حياة المجتمع الكردي العشائري المعتمدة على الترحال، واختلاف هذا الأسلوب مع حياة المجتمع الأرمني، فضلاً عن التحريض العثماني المستمر للكرد ضد الأرمن، ولا يجب إغفال اختلاف ديانة الكرد عن الأرمن، في إن الدين الإسلامي أخذ دوراً مهماً في زيادة الخلاف بين الشعبين، لذلك إذا ما أُريد للعلاقات الكردية الأرمنية النجاح، حسب كاتب المقال، فيجب تغيير أسلوب الحياة البدائية لدى الكرد، وبهذا يكون لكلا الشعبين الكردي والأرمني القدرة على الوقوف أمام التدخلات الخارجية في حياتهم وخاصة تدخلات العثمانيين والروس، ولكن حتى هذا الأمر سيكون ذا نتائج بطيئة، وذلك بسبب الحالة النفسية المزرية التي يمر بها الأرمن، وهم بحاجة للمزيد من الوقت، لكي يستوعبوا هذا التوجه الجديد، ويتجاوزوا حالتهم النفسية"³.

ويختتم كاتب المقال حديثه بالأفكار التالية: "ولهذه الأسباب الجوهرية التي ذكرناها فإنه ليس من السهل تحقيق الوحدة، لأن المعوقات المتأصلة لهذه الوحدة متجذرة ومتداخلة... وكل هذا يدفعنا إلى عدم التفاؤل...، ولكن أليس من الممكن تشكيل تحالفات

1. Garo sasuni, A.G.E., S. 126.

2. A.E.

3. A.E., S.127.

صغيرة تعمل على الأقل كأساس لمحاولة تخفيف آثار الخلاف والمشاكل بين الكرد والأرمن؟ نحن نؤمن بأن من الممكن إيجاد وسط ملائم لتوافق الأرمن مع بعض قادة الكرد، ولو لم تكن هذه التوافقات غير مستمرة...علينا أن نبرهن للكرد أننا ندافع عن مصالحهم هم أيضاً، ويجب علينا إثبات ذلك على أرض الواقع وبقوتنا الذاتية، وعندما نستطيع أن نحقق لأنفسنا تلك القوة نكون قد امتلكتنا الكرد أيضاً إلى جانبنا، وعلى عكسه إذا بقينا ضعفاء فإن الكرد لن ينظروا لنا إلا كوننا مستعمرة تحت أيديهم، يتحكمون بنا وقتما يشاؤون، لن يفكروا بنا كشركاء لهم أبداً ضد عدونا المشترك العثمانيين"¹.

هنا يتبين الفرق بين الكرد والأرمن، فإن الأرمن في جميع مقالاتهم تلك، وأبرزها التي مرّت، لا يرون أبداً أنهم جزء من المشكلة، وليس جزءاً من الحل نفسه، فلم يرد في هذا المقالة، والتي قال فيها كاتبها بأنها تعبر عن رأي الطاشناقيين وكل الأرمن فلم يرد فيها أن الأرمن هم أنفسهم كانوا السبب في كثير من الأحداث والوقائع، وهم كانوا على دراية بذلك، أما عبد الرحمن بدرخان فكان يلقي بأغلب اللوم على الكرد حتى الآن في مقالاته؛ ثم يقوم باتهام جماعة صغيرة من الأرمن، أما الأرمن فلم يتهموا أياً من الأرمن ولا جهة بل كانوا يتهمون على الدوام الكرد والسلطان، بل إن أعنف مقالاتهم كانت ضد الكرد وليست ضد السلطان، وأظهر المقال هنا الأرمن بشكل ايجابي وصورة مُلمّعة، فهم الشعب الطيب، والمتعلم، وغير المؤذي، ويظهر الكرد على أنهم جهلة، ومتوحشون، ويعتدون على الأرمن دون سبب، وتبين المقالة أيضاً أن هناك فرقاً شاسعاً بين مجتمع الكرد ومجتمع الأرمن، هذا القول صحيح إذا ما قارنا بين الأرمن الذين يعيشون خارج كردستان وبين الكرد في كردستان، أما في داخل كردستان فكان مجتمعهم، ومجتمع الكرد لا يختلف كثيراً، بل يعد مجتمعاً واحداً وليس مجتمعين، ففي المدن كان يسكنها الكرد والأرمن، وإذا ما كان هناك العديد من الكرد يعيشون حياة الريف والترحال فإن أرمن القرى في ساسون وزيتون، كانوا لا يختلفون عنهم، كما أكد ذلك العديد من القناصل والرحالة، الذين زاروا المنطقة، صحيح كانت هناك فروق بينهما، ولكن ليس كما تصفها المصادر الأرمنية وهذه المقالة أيضاً، مثل الذي يعيش

1. A.E; M.Kalman, Bati-Ermenistan..., S.73; YERVAND SARKISIAN, DOCUMENTS FROM THE HISTORY OF ARMENIAN-KURDISH RELATIONS, Acta Kurdica, vol: 1, 1994, P.27-36.

في السماء، والذي يعيش في الأرض، وان ما ذكر لا يأتي إلا من نظرة استعلائية من جانب الأرمن، فكيف يدينون أنفسهم ولو بذنب صغير جداً، وهم أصحاب هذا المجتمع الراقي؟!

الملاحظة الأخرى التي تؤخذ على المثقفين، والساسة الأرمن، الذين نشروا مقالاتهم بخصوص العلاقات الكردية الأرمنية هي أنهم ذكروا للكرد بان عليهم النضال معاً ضد السلطان، ولم يكن الكرد يختلفون بنظرتهم عن الأرمن في هذا المجال، ولكن ما كان يثبط عزيمة الكرد هو عدم وضوح أهداف الأرمن بشأن أرضهم، فإذا ما حررت، فهل هي كردستان أو أرمنستان؟ أو إنها كردستان وأرمنستان؟ وكان الكرد دوماً ينتظرون جواباً صريحاً من الأرمن، ولكنهم لم يحصلوا على هذا الجواب مباشرة، إلا أن الكرد كانوا يعرفون الجواب: من خلال مقالاتهم، وكتبهم، وأحاديثهم، فدوماً كانوا يطلقون على تلك الأرض (أرمينيا الغربية)، أو (أرمينيا التركية)، كما استخدمتها جريدة تروشاك، عندما نشرت مقالة عبد الرحمن بدرخان، ويبدو جلياً، من خلال ما سبق، أن الأرمن كانوا لا يقبلون من الأساس اسم كردستان، فكيف بالكرد أن يوحدوا جهودهم مع الأرمن، حتى وان كان عدوهم واحد، وهو السلطان عبد الحميد الثاني.

بالعودة إلى جريدة كردستان، وفي المقال الثاني، الذي نشره عبد الرحمن بدرخان، في العدد السادس والعشرون، والذي حمل عنوان (الكرد والأرمن) يلقي صاحبه باللائمة مرة أخرى على السلطان عبد الحميد والفرسان الحميدية، ففي بداية المقال يتساءل صاحب المقال: "انه ما الذي حدث حتى وصلت الأمور بين هذين الشعبين، اللذين عاشا معاً لقرون عديدة بحيث أصبحا لا يطبق أحدهما الآخر؟". ثم يجيب عبد الرحمن بدرخان عن سؤاله، ويذكر أن السبب الأساسي وراء ذلك هو السياسة التي اتبعتها السلطان عبد الحميد (سياسة فرق تسد) تجاه القوميتين المتجاورتين منذ زمن بعيد: "في الأعوام الأخيرة أزهقت أرواح كثيرة، وهدمت بيوت كثيرة، وأزهقت دماء كثيرة، هل رأى الأرمن قبل ذلك أذى، أو مكروهاً من الكرد؟ كلا، وماذا رأى الكرد من الأرمن؟ لا شيء^١، ويمضي بعد ذلك بالقول: إن البحث عن جذور المشكلة يبين أن السلطان عبد الحميد هو السبب الرئيسي في ذلك؛ ثم يأتي عبد الرحمن بدرخان

١. جريدة كردستان، العدد (٢٦)، ١٤ كانون الاول ١٩٠٠.

بمثالين يدعمان رأيه، فعن المثال الأول قال عبد الرحمن بدرخان: كان هناك مصطفى باشا، رئيس عشيرة ميران الكردية في ولاية ديار بكر في بداية حياته، ولدة ما يقرب من عشر إلى خمسة عشر عاماً راعياً للغنم، ولكنه قام ببعض الأعمال السيئة ضد الأهالي والأرمن في تلك المنطقة، فقربه السلطان عبد الحميد، لان السلطان يحب هذا النوع من الرجال، وأكرمه بعد ذلك بلقب (الباشا)، واسند إليه قيادة بعض ألوية الفرسان الحميدية، وان هذا الشخص كان يؤذي الأرمن بل وأقرب المقربين إليه، وقد أرسلت شكاوى عديدة إلى السلطان عبد الحميد بحقه، إلا أن السلطان لم يكن يلقي لها بالاً. أما المثال الثاني الذي أورده عبد الرحمن بدرخان فكان عن (أمين باشا) أحد الأغوات الكبار لعشيرة حيدران الكردية في منطقة وان، ويذكر عبد الرحمن بأن هذا الشخص كان واحداً من رؤساء الفرسان الحميدية، الذين تسببوا بمذبحة ساسون، وكان السلطات العثمانية قد أَلقت القبض عليه، وحكمت عليه بالسجن مدى الحياة، ولكن عبد الرحمن يذكر أنه سمع من جريدة (المؤيد) المصرية أنه قد أُخلي سبيله، يتساءل عبد الرحمن: "إذا كان هذا الرجل السيئ بريء فلماذا إذن القي القبض عليه، وحكم عليه بالسجن مدى الحياة؟" إلا إذا كانت السلطات العثمانية تريد ذلك، أي إخلاء سبيله، ويختتم عبد الرحمن بدرخان مقاله هذا بالقول إنه من وراء هذين المثالين يتبين أن السلطان عبد الحميد يتحمل الوزر الأكبر في هذه المسألة، التي أضرت بالكرد والأرمن كثيراً، وأن الكرد والأرمن إذا أرادوا الخروج من هذه الأزمة فعليهما الاتفاق، ومواجهة السلطان عبد الحميد ومسؤوليه الفاسدين في كردستان^٣.

١. مصطفى باشا: هو مصطفى بن تمر أغا بن إبراهيم أغا رئيس عشيرة ميران الكردية، التي تقع مناطق سكناهم ما بين حدود إقليم كردستان العراق والحدود السورية في الجزيرة الفراتية. دخل مصطفى باشا في سلك الفرسان الحميدية في بداية تشكيلها ونال على إثرها الباشاوية، شارك مع الدولة العثمانية في عملياتها ضد المعارضين لها، سواء كانوا من الأرمن أم الكرد أم العرب، قُتل في ظروف غامضة عام ١٩٠١ في كردستان سوريا الحالية. ينظر: عيسى إبراهيم قاسم، الميران في إمارة بوطان، دمشق، ٢٠٠٧، ص ٢٤-٣٢.

٢. المؤيد: وهي جريدة مصرية شهيرة أصدرها الشيخ علي يوسف في سنة ١٨٨٩ وتحولت في كثير من المرات إلى جريدة ناطقة باسم خديوي مصر، وكانت لها دورٌ متميزٌ في التصدي للاحتلال البريطاني لمصر. للتفاصيل ينظر: سليمان صالح، الشيخ علي يوسف وجريدة المؤيد: تاريخ الحركة الوطنية في ربع قرن، مصر، ١٩٩٠، ص ٦٧-١١٤.

٣. جريدة كردستان، العدد (٢٦)، ١٤ كانون الأول ١٩٠٠.

هنا يتهم عبد الرحمن بدرخان صراحة الفرسان الحميدية بأنها وراء العديد من الأحداث التي تقع في كردستان ضد الأرمن، ولكن عبد الرحمن يلقي باللائمة على السلطان عبد الحميد الثاني في أنه يريد أن تتفاقم هذه الأحداث في كردستان، ولا يريد حلها، وأنه يعرف من هم المسؤولون عن ذلك، إلا أنه رغم ذلك يدعمهم، لأنهم ينفذون سياسته في المنطقة.

يفتح عبد الرحمن بدرخان العدد السابع والعشرون، الصادر في ١٣ آذار ١٩٠١، بمقالة باللغة الكردية خالية من أي عنوان، ليتحدث بصورة مباشرة عن المسألة الأرمنية، التي تبدو أنها أخرجت عبد الرحمن بدرخان كثيراً في أوروبا، كما يظهر ذلك من لهجة المقالة، ففي البداية يهاجم عبد الرحمن بدرخان الأتراك بصورة عنيفة، ويذكر أنهم السبب الأول والرئيسي في جميع المشاكل التي واجهت الكرد في تاريخهم الحديث، ويقول للكرد لا تغرنكم هذه النياشين والأوسمة، التي تعطيها لكم الحكومة، وهي حكومة ظالمة، تظلم الكرد منذ خمسمئة عام، وإن هؤلاء السلاطين من الترك دمويون، ومستبدون، وهم في الحقيقة ليسوا خلفاء، وإنما هم ملوك ظالمون، خلعهم واجب، والآن يستخدموكم لضرب الأرمن، وسلطانكم لا يأبه في أن تقطع كردستان من الدولة العثمانية، وقد عقد اتفاقيات عديدة مع الروس لتسليمهم أرض الكرد؛ ثم يقول عن الأرمن: "ألا تعلمون أن الأرمن لا يستطيعون أن يعادوكم، عدوكم ذلك السلطان، الذي يعدُّ الروس أن يسلمكم ووطنكم لهم، أنا أعلم قبل عدة سنوات تشكل مجلس في وان، لقتل الأرمن بيد الكرد، وحضر ذلك المجلس المرحوم الشيخ عبید الله، وكان الشيخ المرحوم إنساناً عالماً وتقياً، اعترض على أمر السلطان، وأجاب بأننا إن نقتل الأرمن اليوم بلا سبب فسيأتي يوم يقتلنا فيه شعب آخر"^١. ثم يضيف عبد الرحمن بدرخان بأنه عار على الكرد أن يقوموا بقتل أناس أبرياء ضعفاء من الأرمن، وأنه قام بإرسال بعض الأشخاص والرسائل إلى كردستان لحل هذه المشكلة، وتوعية الناس، وأنه إذا سنحت له الظروف فسيقوم هو بنفسه بزيارة كردستان، عن طريق بلاد فارس لحل هذه المشكلة. وفي آخر المقالة يرجو عبد الرحمن بدرخان من فقهاء وعلماء كردستان تدارس هذه الحالة في المساجد، وإن يجدوا لها الحل الناجعة^٢.

١. جريدة كردستان، العدد (٢٧)، ١٣ آذار ١٩٠١.

٢. العدد نفسه.

أشار عبد الرحمن بدرخان هنا إلى موقف الشيخ عبيد الله النهري من الأرمن، وإنها كانت تمثل في صميمها الموقف الكردي الأصيل والمستقل، وان هذا فعلاً هو الخلق الكردي، وان ما يقوم به بعض الكرد في كردستان، لا يحسبون على القومية الكردية، وإنهم جنود الأتراك، الذين أعمتهم المناصب والنياشين والأموال، التي أغدقها عليهم السلطان عبد الحميد الثاني، وانه لولا الأتراك لما حدثت مثل هذه الأحداث في كردستان، وفي هذه المقالة يشير إلى انه أرسل رسالة إلى الكرد في كردستان، عن طريق بعض الأشخاص، لكي يعطونها للكرد، ولكي ينصحوهم بعدم إيذاء الأرمن، وهذا ما أُشير إليه أيضاً في جريدة تروشاك، كما مر بنا سابقاً.

وفي نفس العدد، السابع والعشرون، نشر عبد الرحمن بدرخان مقالة أخرى عن الكرد والأرمن تحت عنوان (إلى الكرد)، في هذه المقالة أيضاً لا يخرج عبد الرحمن بدرخان من إيراد نفس الأسباب السابقة للمسألة الأرمنية، وهي أن السلطان عبد الحميد يستغل الكرد لضرب الأرمن وقتلهم، في حين أن الأرمن هم أقرب الأقوام إلى الكرد تاريخياً واجتماعياً، حيث يقول في هذا الصدد: "الباشا يستفيد من الجهلاء والمسيئين، جعلكم عصاه في يده، وقام بالظلم والاعتداء والأعمال التخريبية، وكل ما يحدث يقولون هم الكرد"؛ ثم يبدي النصائح للكرد، وان عليهم عدم الانخداع بوعود الحكومة لهم، وعدم الانخداع بهذه المناصب والأوسمة التي تمنح لهم، وان يتعظ الكرد بموقف الشيخ عبيد الله النهري من الأرمن، وكيف انه حرم قتلهم، وسلب ممتلكاتهم^١.

لقد خصص عبد الرحمن بدرخان العدد الثامن والعشرون كله تقريباً، والصادر في ١٤ أيلول ١٩٠١ للمسألة الأرمنية، حيث نشر مقالة مطولة بالكردية والتركية عن الفرسان الحميدية، ودورهم السلبي في الأزمة الأرمنية، وقد اختار عبد الرحمن بدرخان عنوان (ألوية الفرسان الحميدية) اسماً لمقاله، في البداية يذكر أن هذه الألوية شكّلها بنية فاسدة السلطان عبد الحميد الثاني، كجميع أعماله الأخرى؛ ثم يتحدث بعد ذلك عن الموقع الاستراتيجي المهم لكردستان، والأطماع الروسية فيها، والتهاون العثماني بهذا الخصوص، وفي أمر هذه المنطقة المهمة جداً، كما يقول، بالنسبة لإدامة واستمرار الدولة العثمانية في الحياة، ويمضي بالقول: "بأن كردستان فعلاً لا تحتاج إلى هذه الفرسان، التي أسست بهدف الدفاع عن الحدود الشرقية للدولة العثمانية، كما

١. العدد نفسه.

أن كُردستان الآن بلاد مدمرة أكثر من أي وقت مضى، تحتاج كُردستان للدفاع عنها: إلى الطرق، والمواصلات، وسكك الحديد، وتنظيم الجيش، وليست إلى هذه الفرسان، بحجة الدفاع عنها". ثم ويستمر في حديثه عن سبب تأسيس هذه الفرسان إلى أن يصل إلى قول ما يلي: "أصل الهدف من تأسيس هذه الفرسان هو عندما يأس الأرمن من ظلم الحكومة كثيراً طلبوا العدالة، فخاف زكي باشا أن ينظم الكُرد أيضاً إلى الأرمن، ويبتفض الشعبان سويةً، ولذا طلب الإذن من السلطان بتأسيس هذه الألوية، والسلطان أيضاً يريد أن يوافق بين الشعوب وأفراد سلطنته، ولذا رأى فكرة زكي باشا مناسبة جداً لكسب ود الكُرد له، وإبعادهم عن الأرمن، فأمر بتأسيس هذه الخيالة سريعاً".^١ ثم يقول عبد الرحمن أن هذه الفرسان صارت اليوم وبالأعلى الجميع في كُردستان، ولا يؤذون فقط الأرمن، ولكن كل من يعارضهم، أو يعارض السلطان، بحيث انقسمت كُردستان يومئذٍ بين ثلاث فئات أو أقسام: "الأرمن، الفرسان الحميدية، والكُرد غير الحميدية، هذه الأقسام الثلاثة في كُردستان بعضهم اليوم أعداء البعض، ينهب ويقتل بعضهم بعضاً، أصبح الوطن مذبحاً للإنسان، حتى إن كثيراً من الأرمن والكُرد أدركوا حالهم، ويبحثون عن علاج لظلم واستبداد الحكومة، لم تبق زاوية من كُردستان لم تسمع منها صرخات استغاثة أليمة، لم يبق مكان لم يلطخ بدماء الأبرياء، لا يأمن أحد على روحه وماله..."^٢؛ ثم يأتي وينتقد الحكومة على إنشائها لهذه الفرسان، ولا تلبى حاجاتهم المادية والعسكرية، ولهذا أطلقت يدهم في كُردستان، يفعلون ما يشاؤون دون رقيب، وان هناك فرقاً شاسعاً بين فرق الفرسان الحميدية، وبين فرق القوزاق الروسية، من حيث التنظيم والتموين.

عبد الرحمن بدرخان في مقاله هذا ألقى الضوء على هذه الفرق من الفرسان الحميدية، وذكر أنها لا تمثل الكُرد، ولا تمثل المجتمع الكردي، وإنما تمثل فئة صغيرة فقط، كانت منبوذة في المجتمع الكردي، والآن هي المستفيدة، وليس الأرمن وحدهم من يعانون من هذه الفرسان، وإنما الكُرد غير المنضوين تحت لوائها يعانون أيضاً من أفعالها في كُردستان، وان هذه الفرسان هي آلة بيد السلطان نفسه، حتى إن الجيش النظامي العثماني في كُردستان بدأ ينزعج كثيراً من تصرفات هذه الفرسان،

١. جريدة كُردستان، العدد (٢٨)، ١٤ أيلول ١٩٠١ .

٢. العدد نفسه.

وتصرفات زكي باشا الأب الروحي لهذه الفرسان.

يتحدث عبد الرحمن بدرخان في العدد نفسه وضمن فقرة (حوادث) عن بعض الوقائع المؤلمة أيضاً، كما يقول وقع في ساسون وان هناك قتال كبير بين المواطنين، ولا تأبه الدولة العثمانية، بل إنها قامت بالحجز على العديد من الرسائل والدعاوي التي أرسلها ممثلو الدول الكبرى في استانبول إلى حكوماتهم للوقوف بوجه هذه الأحداث، وتستخدم العنف لإخماد هذه الانتفاضات، التي قامت في المنطقة^١.

يظهر أن عبد الرحمن بدرخان، ولغاية نشره هذه المقالة، كان واقعاً تحت تأثير الدعاية الأرمنية، كباقي الناس الذين يطلعون في المرة الأولى على وقائعها، وذلك لان عبد الرحمن بدرخان، حتى وان كان في الدولة العثمانية أيام الأزمة الأرمنية ١٨٩٤-١٨٩٦، إلا انه كان بعيداً عن أحداثها في كردستان، ويبدو أن الدعاية الأرمنية كانت هي مصدره الوحيد للمعلومات عن هذه المسألة، ولكنه أخذ ينظر إلى واقع الأمر بمنظور ورؤيا مختلفة بعد ذلك، كما سيتبين هذا الأمر في الأعداد اللاحقة من جريدة كردستان.

لقد لخص عبد الرحمن بدرخان أهم الأسباب التي أدت إلى الحوادث المأساوية في كردستان بين الكرد والأرمن، في مقاله الذي نشره باللغتين الكردية والتركية العثمانية، ضمن العدد التاسع والعشرون، الصادر في ١٤ تشرين الأول ١٩٠١ والمعنون بـ(وضعية حاضر ومستقبل كردستان)، يقول عبد الرحمن في بداية مقاله، باحثاً عن أسباب هذه المسألة: انه منذ عشر سنوات، ونتيجة لفساد السلطان عبد الحميد، يحدث قتال شرس في كردستان بين الكرد والأرمن، والكرد الذين بقوا لسنوات طويلة تحت ظلمة الجهل يقومون بقتل الأرمن، وبأوامر مباشرة من السلطان العثماني، بل أصبح كل المسيحيين تحت تسلط الفرسان الحميدية، ومن جهة أخرى يوجد في كردستان أرمن يطالبون بالاستقلال عن الدولة العثمانية، والظالمون منهم يختبئون من الحكومة، ولأجل أهدافهم يقومون بأعمال مخالفة للأخلاق الإنسانية ومذمومة، وفضلاً عن هذا كله يقول عبد الرحمن بدرخان: توجد هناك أيضاً روسيا، التي تثير الأحقاد والنفاق بين القوميتين، وتقوم روسيا بهدم أو اصر الإخوة والصداقة، التي عمرت لمدة طويلة بين الشعبين، ويلخص عبد الرحمن بدرخان هذه الأسباب في جملة معبرة عن أهم

١. العدد نفسه.

العوامل التي أدت إلى هذا الاقتتال في كردستان قبل الدخول في شرح تفاصيلها: "بعشوائية حكومتنا، ونفاق عبد الحميد، وبمصيبة الجهالة وبواسطة الكرد في القتال والنهب، وبدون حسن إدارة الأرمن وحلمهم في الاستقلال، ودخول روسيا في هذه الأحوال"^١؛ ثم يدخل عبد الرحمن بدرخان في شرح تفاصيل هذه الأسباب والعوامل، وكما يلي^٢:

"١- بعد الاقتتال الشديد في السنوات الماضية لم تقم الحكومة بإتخاذ التدابير اللازمة، والمؤثرة لمنع ذلك...ولذا تستمر نار الفتنة لحد الآن...ولتبرئة نفسها في نظر الأوربيين تتهم الكرد، ولتحقيق هذا الهدف يعلن السلطان دائماً بأنه يريد إصلاح مملكته، لكن الكرد عصاة يريدون أن يبقوا في وحشيتهم[تخلفهم]، وليثبت السلطان ادعاءاته، رتب حيل ووسائل كثيرة، وجعل هذه الفكرة في أوربا مقبولة، القتال الذي يحدث في كردستان حتى الآن، كله من تأثير هذه التدابير لعبد الحميد، ولهذا أيها الشعب الكردي اتركوا القتال والنهب إلى الأبد، واتفقوا مع الأرمن، إن لم تتركوا هذا النفاق، وتدافعوا عن أنفسكم بالإجماع مع الأرمن من ظلم مسؤولي عبد الحميد، ليكن في علمكم أن أحوالكم وأحوال الأرمن سوف تتدهور أكثر.

٢- يقوم الكرد بهذا القتال، ليس لأن الكرد ميالون للقتل والظلم، لو كان طبعهم ميالاً للقتل فإنهم ومنذ عصور طويلة يعيشون هم والأرمن معاً، ولحدث قتال كهذا في العصور السابقة، ولكن بالعكس منذ عصور عديدة عاش الكرد والأرمن معاً في صداقة وإخوة، ولكن اليوم كتلك العصور الكرد يشبهون السلطان بالخليفة، واليوم تعدون إرادته مقدسة، وتنفيذ أوامره فرض، ولا يعرفون بأنه جهل، لا يعرفون بان هذا سلطان غاصب، يعمل ليل نهار لإبادة شعبه، وحماية نفسه وعرشه.

٣- في مسائل الاقتتال هذه يوجد بعض الأرمن أيضاً يستحقون النقد والمؤاخذه، هم ذلك القسم من الأرمن، الذين أعلنوا عصيانهم، بسبب الظلم الذي يرونه، وينسبونه إلى الإسلام، وبهذه الصورة فإن ما موجود من المسلمين من: ترك، وكرد تخلوا عنهم، وهكذا نشروا النفاق، والحقد بينهم، وبين أصدقائهم وإخوانهم، لا توجد ولاية يكون

١. جريدة كردستان، العدد (٢٩)، ١٤ تشرين الأول ١٩٠١ .

٢. تُرجمت هذه الأسباب إلى اللغة العربية كما وردت في نصها الكردي، دون إحداث أي تغييرات في ترتيب الجمل والكلمات قدر المستطاع؛ للوصول إلى معناها الصحيح.

فيها الأرمن غالبية مقارنة بالكرد أو الترك، ولذا حلم استقلال الأرمن خيال مستحيل، ولتحقيق هذا الحلم افتروا على المسلمين والشعب وهذا شيء فضيع. إذا اتفق الأرمن مع الكرد منذ البداية لحت العدالة بلا شك، وما قتل هذا العدد من الأرمن، في بداية هذه الحالة تصوّر الانكليز أن هذا العصيان عمومي (شامل)، لان الانكليز تريد قوتنا وإصلاحنا [أي: إصلاح الدولة العثمانية] أعانوا الأرمن، وقد تصور الانكليز بأن هذا العصيان هو فقط ضد حكومة السلطان، ولكنها عندما رأت إن هذا العصيان ضد شعوب أخرى تخلت عنهم.

٤- روسيا تعلم أن عدم الاستقرار، والنفاق يضعفان أية دولة، ولهذا عندما أرادت حكومتنا أن تقوم ببعض الإصلاحات على أية حال منعتها روسيا. الأرمن الذين لجئوا إلى روسيا سلمتهم لحكومتنا. ومهما كان ظلم السلطان يزداد على شعبه كان حسن تقدير الروس للسلطان يزداد، كان الروس يأمرون قناصلها في ولاياتنا بدفع الكرد ضد الأرمن عن طريق العطاءات والتكريم، ومن جانب آخر يقولون للأرمن: انتم مظلومون تظلمكم حكومة السلطان ولذا يجب أن تعتنقوا (تلتجئوا) إلى الدين (المذهب) الأرثوذكسي، ليستطيع أن يأخذكم في حمايته، ولكن يجب أن يعلم الأرمن بأنه لا حقيقة لادعاء روسيا بأنها تريد الخير دائماً، فما أن تسيطر على ملك دولة، وعندئذ تمحو وتبيد الشعب وانتمائه القومي بشتى الوسائل، ولا تترك لهم أية حرية، هذه حقيقة واضحة وهي أن روسيا لا تريد أبداً تأسيس حكومة ارمنية مستقلة بجوارها، وفي النهاية يجب أن يتحرى الأرمن عن سعادتهم في دولتنا، وأن لا يرون السعادة في حكم الروس، إن بقيت دولتنا فالأرمن باقون، وإلا فالأرمن يبادون جميعهم، ولكن إذا انفصل الأرمن عن دولتنا، فتستطيع دولتنا الاستمرار في الحكم، ولكن نتأسف للأرمن الذين تعايشنا معهم منذ زمن طويل ينفصلون عنا".^١

لقد نشر عبد الرحمن في نفس العدد المار آنفاً الترجمة التركية لهذا المقال، وأضاف إليها بعض الجمل والمعلومات الأخرى، خاصة فيما يتعلق بدور السلطان في هذه المسألة، ودور روسيا وإتباع الأرمن لهم وتنفيذ أوامرهم، حيث يقول عبد الرحمن بدرخان: في الوقت الذي كانت انتفاضة الأرمن قبل ست سنوات تستند إلى المادة الخاصة في معاهدة برلين، التي وعدتهم بالإصلاحات، لو قاموا بتلك الانتفاضة بصورة

١. جريدة كردستان، العدد (٢٩)، ١٤ تشرين الأول ١٩٠١ .

نظيفة وإنسانية، لعاشوا الآن مع مواطنيهم والناس الآخرين بسعادة وحرية، ولكن بسبب استهتارهم واستخفافهم بالإسلام والمسلمين والعثمانيين، وفقدانهم للحماية الانكليزية، حرموا من تلك الفرص، والآن يحاولون جلب انتباه الأوساط السياسية في (بترسبرغ) إليهم، والأوضاع الحالية هي نتيجة لتلك التغييرات والمنعطفات السريعة^١. إن نظرة سريعة إلى محتوى هذا المقال توضح أن صاحب جريدة كردستان قد نظر إلى الموضوع بروية شمولية أوسع من ذي قبل، لأهم الأسباب التي تقف وراء المسألة الأرمنية في كردستان، أسباب عدة تقف وراءها، وليس فقط لان الكرد ميالون للقتال، كما شاع عنهم، بل هناك أيضاً السبب الأرمني، فهم يتحملون قسطاً كبيراً من وزر الأزمة، وكذلك روسيا، التي اتهمتها جريدة كردستان علانية بتأجيج الصراع في كردستان؛ لتهيئة الظروف السانحة للدخول في شأن الدولة العثمانية، ثم احتلال كردستان.

لم يتوقف عبد الرحمن بدرخان عند هذا الحد في النظر بشمولية إلى أسباب هذه المسألة، فقد نشر في العدد الثلاثين، مقالة باللغة الكردية تحت عنوان (أساس النفاق في كردستان)، ونشر ترجمتها التركية أيضاً، مع زيادة بعض المعلومات عليها في العددين الثلاثين، والواحد والثلاثين، وهو العدد الأخير من جريدة كردستان، كما هو معروف.

في بداية مقاله هذا يؤكد عبد الرحمن بدرخان على أن من أهم أسباب المشاكل في كردستان والدولة العثمانية، ومنها المشكلة الأرمنية، هو التبشير المسيحي في الدولة العثمانية، وان الحامي الرئيسي لهذه لحركة التبشيرية هي الدولة الفرنسية، ويضيف عبد الرحمن بدرخان أن المبشرين يقومون وكما هو معلوم بنشر الفساد والشقاق بين المجتمعات التي يتواجدون فيها، وان الدول الأوربية، وخاصة فرنسا، قامت بإبعاد هؤلاء المبشرين الماسونيين من دولهم^٢، والآن يستولون على الشرق، ومنها الدولة العثمانية وكردستان، وبعد ما يتحدث عبد الرحمن بدرخان عما فعله المبشرون في

١. العدد نفسه.

٢. جريدة كردستان، العدد (٣٠)، ١٤ آذار ١٩٠٢. في هذا المقال يصف عبد الرحمن بدرخان في خمسة مواضع هؤلاء المبشرين بالماسونيين، الذين طردوا من بلدانهم، وينشرون الفساد اليوم في كردستان بمساعدة تلك الحكومات الأجنبية التي طردتهم سابقاً، ويقومون بنشاطاتهم تلك وتحت نظر الحكومة العثمانية.

الصين، فإنهم أدخلوها في حروب لا تنتهي، وكيف أن الهدف الأساسي لهؤلاء المبشرين هو السلب، والنهب، والسيطرة على المقدرات الاقتصادية لهذه البلدان. وتبين ذلك بوضوح في الأحداث التي وقعت في الصين قبل سنتين، كما يقول عبد الرحمن بدرخان. ثم يشير صاحب المقال بعد ذلك إلى معاهدة فرضتها الدولة الفرنسية على الدولة العثمانية، اشتد على إثرها ساعدتهم كثيراً في كردستان ومناطق أخرى، بحيث أصبحوا يتناولون على السكان، بل ويحتقرونهم في مرات عدة، وعندما يقوم هذا الشعب بالتصدي لهم وفي بعض الأحيان ترتقي الأحداث إلى حد المواجهة، وقتل بعض المبشرين تنتشر في أسماع العالم أن هذا الشعب ظالم وغدار، ولا يعلمون أن السبب في ذلك هم هؤلاء المبشرون، ويضيف عبد الرحمن بدرخان قوله: "هذا الهجوم والغدر الذي يمارسه هؤلاء المبشرون وحكوماتهم كلها تقع على رأس هؤلاء الناس، الذين أصبحوا فقراء ومعدومين، من جراء ظلم عبد الحميد، من خلق بني آدم أن ينتقم [من الظالم]، ليس كالکرد غارقون في الجهل، وحتى الشعوب التي هي أصحاب معرفة لا تستطيع أن تبقى [مظلومة] وهي تُحتقر، ولهذا حيف الكُرد، في هذا الزمان الذي يتجاوز فيه الأرمن على الكُرد، وبناءً عليه لامتزج الكُرد معهم على أحسن وجه، منذ عدة أعوام اختل هذا الامتزاج تماماً، ولا بد لسبب لذلك، والسبب هو فساد وفتنة المبشرين في زمن تيمورلنك أرادت روسيا أن تتجاوز على كردستان من جهة قوقازيا، دافع الأرمن عن كردستان أكثر من أصدقائهم المسلمين، وهذا دليل ومعلوم أن وراء هذه الأحداث ليس سبب آخر...".^١ ثم يذكر أن هذه الحكومات الأوربية، والمبشرين يتدخلون في شؤون الدولة العثمانية وكردستان بحجة الدفاع عن الأرمن، وهدفهم الأساسي هو مصالحهم الذاتية، وليس الدم الأرمني كما يقولون، وينتقد عبد الرحمن بدرخان كثيراً معاهدة برلين، وخاصة المواد (٢٣) و(٦١)^٢، بأنها إذا طبقت هذه البنود في كردستان، فضلاً عن بنود المعاهدة الفرنسية تلك فـ: "سيأتي زمان تهيب هذه الأسباب مذبحة وملحمة بحيث لم ير العالم مثلها"^٣. هنا وبناءً على هذا النص يبدو ومن خلال استقراء عبد الرحمن بدرخان لظروف المسألة الأرمنية في كردستان أن الأوضاع إذما استمرت في المستقبل على هذه الوتيرة فسيقع في كردستان قتال

١. جريدة كردستان، العدد (٣٠)، ١٤ آذار ١٩٠٢.

٢. جريدة كردستان، العدد (٣١)، ١٤ نيسان ١٩٠٢.

٣. جريدة كردستان، العدد (٣٠)، ١٤ آذار ١٩٠٢.

واسع، بل وربما ستهيئ هذه الأسباب مذبحه في كُردستان، لم ير العالم مثلها، وفعلاً كان تنبوء عبد الرحمن بدرخان في محله، حيث أدت هذه الأسباب إلى حدوث مذابح للأرمن وللكرُد، خلال الحرب العالمية الأولى.

في الأعداد الأولى التي أصدرها عبد الرحمن بدرخان يظهر أنه يتهم الفرسان الحميدية، والسلطان عبد الحميد بقتل الأرمن، إلا انه في الأعداد الأخيرة من الجريدة، يتهم الأرمن بتجاوزهم على الكُرد، من خلال دعم الدول الأوربية، والمنظمات التبشيرية لهم، هنا بدا واضحاً لعبد الرحمن بدرخان أن الصراع في كردستان ليس مجرد صراع ضد السلطان عبد الحميد الثاني، أو حتى ليس صراعاً ضد الظلم، بل تبين له أن الصراع في كُردستان بين الكُرد والأرمن لا يتعدى مسألة واحدة فقط، وهي (الأرض)، فبعدها كان عبد الرحمن بدرخان يهاجم السلطان عبد الحميد، ويدعو الكُرد إلى الانضمام إلى الأرمن في مقاومتهم له، يظهر انه في الأعداد الأخيرة يهاجم الأرمن، والدول الكبرى، والتبشير المسيحي، في أنهم يريدون إعطاء كُردستان إلى الأرمن، وان هذه الأرض هي أرمنستان، كما يقولون وليست كُردستان. أما لماذا هذا التغيير الكبير في آراء عبد الرحمن بدرخان بشأن المسألة الأرمنية، يبدو أنها ترجع إلى الأسباب التالية:

١- إن عبد الرحمن بدرخان، كان في بداية عهده في البلاد الأوربية، ولم يكن بعد قد اختلط بالمعارضة العثمانية بشكل جيد، ولم يكن على إطلاع على مضامين المسألة الأرمنية، لذلك كانت جريدة كُردستان في بداية عهدها وحتى العدد السادس عشر بمثابة منبر للنصائح موجّهة للكرُد ليس أكثر.

٢- بعد ذلك، وبعد أن تعرضت جريدته إلى مضايقات السلطان عبد الحميد الثاني فإن قراءة أعداد الجريدة من العدد السادس عشر، وحتى العدد الخامس والعشرون توحى بأن جريدة كُردستان هي عثمانية معارضة أكثر منها جريدة كُردية قومية معارضة، لأن الجريدة أفردت أغلب مقالاتها في هذه الأعداد، لمهاجمة السلطان عبد الحميد الثاني، الذي رأى فيه صاحب كُردستان، كونه هو السبب في جميع مشاكل الدولة العثمانية.

٣- يظهر أن جريدة كُردستان، ومنذ العدد السادس والعشرون قد عاد إليها حسها الكُردية، وبدأت بالحديث عن أبرز المشاكل التي تعصف بالكرُد، في تلك المدة، وعلى

رأسها المشكلة الأرمنية. ويبدو أن هذا التغيير في سياسة الجريدة جاء لأن عبد الرحمن بدرخان، وخلال عامي ١٩٠١ و ١٩٠٢، قد اختلط كثيراً بالمعارضة العثمانية في أوروبا وقد انضم وكما هو معروف إلى جمعية الاتحاد والترقي العثمانية الجناح اللامركزي مع اقتراب عقد المؤتمر الأول للمعارضة العثمانية^١، ويظهر من خلال مقالاته السالفة الذكر، والتي نشرها منذ العدد السادس والعشرون، انه كان معرضاً دائماً للنقد والشكوى، من جانب المعارضين الأرمن في جمعية الاتحاد والترقي، بل ومن الأوروبيين الذين اختلط بهم، ووقعوا تحت تأثير الدعاية الأرمنية، وكان من المفروض على المعارضين الأرمن أن يهاجموا السلطان عبد الحميد الثاني وحده؛ لكونه هو السبب الأساسي في هذه الأزمة، كما كان يفعل عبد الرحمن في جريدته كردستان، فان هؤلاء الأرمن كانوا قد حملوا الكُرد مسؤولية كبيرة، ولهذا نرى أن عبد الرحمن بدرخان، يخوض في ذكر جميع الأسباب التي أدت إلى وقوع هذه الأزمة، حتى إننا في الأعداد الثلاث الأخيرة نراه يغفل الإشارة إلى السبب الكردي، أو حتى إلى السلطان عبد الحميد الثاني، إلا ما ندر، ويشير بإصبع الاتهام إلى الأرمن أنفسهم، والدول الكبرى، وعلى رأسها روسيا وفرنسا، والى التبشير، واعتبار هؤلاء المبشرين الماسونيين ينشرون الفساد في كردستان، بعد أن طردتهم حكومات بلدانهم، بسبب هذا الفساد، والآن تدعمهم نفس هذه الحكومات لنشر الفساد في كردستان.

١. انضم عبد الرحمن بدرخان إلى جمعية الاتحاد والترقي العثمانية، الجناح اللامركزي عندما كان في أوروبا، وقد حضر المؤتمر الأول لهذه الجمعية الذي عقد في فرنسا عام ١٩٠٢، وكان يمثل الكُرد فيها عبد الرحمن بدرخان، وحكمت بابان وإسماعيل حقي. ينظر: فهراهاد پيربال، رۆژنامه گهڕی کوردی...، ل ١٥٠-٢٠؛ مالميسانژ، رۆژنامه نووس و سیاستمه داری گه وری کورد عهبدولرحمان بهدرخان، وهرگێرانی له تورکییه وه: ئارام خدر قه لادزه، گوشاری رامان، ژماره (١٧)، ههولێر، ١٩٩٧، ل ١٣١ .

الفصل الرابع

الكرد والأرمن إبان حكم الإتحاديين حتى انتفاضة وان ١٩٠٨-١٩١٥

- أولاً- الكرد في حقبة التحالف الأرمني التركي ١٩٠٨-١٩١٤ .
 - أ- انتخابات مجلس المبعوثان.
 - ب- الأرمن ومآزق الإقطاع الكردي.
 - ج- الإصلاحات الأرمنية الثالثة.
- ثانياً- الوضع في شمال كردستان ورد الفعل الكردي ١٩١٢-١٩١٤ .
 - أ- السياسة الأرمنية.
 - ب- الرد الكردي.
- ثالثاً- الكرد والأرمن في العام الأول من الحرب العالمية الأولى.
 - أ- إعلان الحرب والمذابح الكردية.
 - ب- انتفاضة الأرمن في وان (نيسان-أيار ١٩١٥).
 - ج- الموقف الكردي.

أولاً- الكرد في حقبة التحالف الأرميني التركي ١٩٠٨-١٩١٤

تحالف الأرمين تحت قيادة أحزابهم الثورية القومية، وعلى رأسها الطاشناق مع جماعة تركيا الفتاة (Young Turks)^١، منذ عقد التسعينات من القرن التاسع عشر، فأمام سلبية مواقف الدول الكبرى من مسألتهم وضع الأرمين أملهم الأخير على ضرورة الاتفاق مع الليبراليين الأتراك، الذين بدأوا يُنظِّمون أنفسهم في أوروبا ضد نظام السلطان عبد الحميد الثاني^٢، فشارك الأرمين بنشاط في مؤتمر تركيا الفتاة الذي عقد في باريس عام ١٩٠٢، وقد شهد انشقاقاً بين الليبراليين العثمانيين والقوميين الأتراك، حيث ساندت الفئة الأولى مندوبي الأرمين، ورأت انه يجب على تركيا الإيفاء بالتزامات اتفاقياتها الدولية المتضمنة حماية الأقلية الأرمينية، في حين أصرت الفئة الثانية على أن لا تتدخل القوى الخارجية في الشؤون الداخلية للدولة العثمانية، ونتيجة لإصرار كل طرف على موقفه لم يفض مؤتمر عام ١٩٠٢ إلى نتيجة ملموسة^٣. ولم تتقارب وجهات النظر بين التوجهات الليبرالية والقومية في تركيا الفتاة، حتى عقدهم مؤتمرهم الثاني في باريس عام ١٩٠٧، فقد اتفق الجميع بما فيهم الأرمين على ضرورة إسقاط نظام السلطان عبد الحميد الثاني أولاً؛ ثم بعد ذلك يجري التباحث في الأمور الأخرى، وهذا ما حدث عندما قامت جمعية الاتحاد والترقي بقيادة الانقلاب العثماني في ٢٣ تموز ١٩٠٨ وإعادة العمل بدستور عام ١٨٧٦، ومنذ ذلك الوقت دخلت الأحزاب الأرمينية في

١. تركيا الفتاة: وهم العثمانيون المعارضون لحكم السلطان عبد الحميد الثاني، الذين تجمعوا في أوروبا منذ الربع الأخير من القرن التاسع عشر، وتمكنوا من الظفر بالحكم اثر انقلاب ٢٣ تموز ١٩٠٨، عن طريق جمعيتهم المعروفة باسم جمعية (الاتحاد والترقي)، للمزيد ينظر: ارنست أ. رامزور، تركيا الفتاة وثورة ١٩٠٨، ترجمة: صالح احمد العلي، قدم له وراجعته: نقولا زيادة، بيروت، ١٩٦٠، ص ٣٩ وما بعدها.

2. Arsen Avagyan ve Gaidz F.Minassian, ERMENILER ITTIHAT ve TERAKKI: İŞBRILIGİNDEN GATISMAY, Istanbul, 2005, S. 22; André Mandelstam, La Société des Nations...

٣. ديفيد مكحول، المصدر السابق، ص ١٥٨.

تحالف مع جمعية الاتحاد والترقي حتى بداية العام ١٩١٤، رغم حدوث بعض التوترات بينهما بين الفينة والأخرى^١.

أعلنت جمعية الاتحاد والترقي التي استلمت الحكم على الفور إحياء دستور عام ١٨٧٦ والمساواة بين كافة المواطنين العثمانيين المسلمين وغير المسلمين على حد سواء، وأعلنت عن إجراء الانتخابات، وقد أصبح الدستور، والحكومة الدستورية (المشروطية)، والحرية، الشعارات المنتشرة للثورة في كافة أرجاء الدولة العثمانية^٢.

كان من نتائج الانقلاب الذي قاده جمعية الاتحاد والترقي أن بدلت الأدوار بين الأرمن والكرد، بخصوص علاقتهم بالدولة العثمانية والأترك بشكل عام، فمن المعروف، كما مر بنا سابقاً، أن الإقطاعيين الكرد كانوا أصحاب السلطة العليا في جميع أنحاء كردستان العثمانية، طيلة مدة حكم السلطان عبد الحميد الثاني، ليس لان السلطان عبد الحميد الثاني قد أغراهم أو تحالف معهم لضرب هذه القومية أو تلك، ربما كان هذا صحيحاً إذا ما نظرنا إلى هذه المسألة من وجهة نظر السلطان عبد الحميد نفسه، عندما قال في مذكراته عن سياسته في تقريب الكرد: "...من الضروري تقوية العنصر التركي في بلاد الروم والأناضول خاصة، وصهر الأكراد وضمهم إلينا"^٣، إلا انه فيما يخص الكرد فلا يمكن عده تعبيراً عن الصواب كله، بل الأصح هو التقاء مصالح كل من السلطان عبد الحميد الثاني والإقطاعيين الكرد في بعض القضايا، لعل أبرزها هي المسألة الأرمنية، وكذلك عدم التدخل في شؤون عشائريهم، وعلى حد تعبير أحد المؤرخين: "بالنسبة إلى زعماء العشائر [الكردية] كانت الحكومة المثالية هي: تلك التي ترضى بترك الزعماء يحكمون كما يشاؤون، بدون أي تمرد"^٤، وإلا بماذا نفسر عدم قيام الكرد في شمال كردستان بحركاتهم المعتادة ضد الدولة العثمانية منذ تأسيس الفرسان الحميدية في عام ١٨٩١ حتى الانقلاب العثماني عام ١٩٠٨، خلافاً لتاريخ الكرد قبل وبعد ذلك ضد الحكومات العثمانية الأخرى.

١. ينظر:

-Roderic H.Davison, "The Armenian Crisis 1912-1914", The American Historical Review, Vol.53, No.3, 3 Apr 1948, P.481-505; Fatih Ünal, Op.Cit., P.49-77.

٢. ديفيد مكدول، المصدر السابق، ص ١٦٠.

٣. ينظر، مؤلفه: مذكراتي السياسية...، ص ٢٩.

4. Justin McCarthy and others, Op.Cit., P150.

لذلك فإنه بمجرد إعلان النظام البرلماني العثماني ظهرت فجوة بين الأرمن (الذين شاركوا في الانتصار)، والكرد (الذين رأوا بأنهم كانوا في وفاق مع الحكومة السابقة، وعدوا جمعية الاتحاد والترقي غير مشروعة)^١. ويذكر كارو ساسوني أن كلاً من الكرد والأرمن في بداية إعلان الدستور أخذ موقفاً مضاداً منه^٢.

أعلنت الجمعيات الثورية الأرمنية توقفها كلياً عن القتال المسلح (أو ما تسمى بحرب العصابات ضد الدولة العثمانية)، وصرح (صباح كوليان - Sabah Gulyan)، رئيس حزب الهنجاق بـ "نحن الهنجاق سوف نتخلى عن نشاطاتنا الثورية، ونسعى إلى الارتقاء ببلدنا بكل ما نملك"، وأعلن رئيس الطاشناق (أكنوني - Aknoni): "بان أحد واجباتنا المهمة جداً هو حماية النظام العثماني، والعمل على وحدة الشعوب العثمانية، والتنسيق مع حزب الاتحاد والترقي"^٣.

وفي ٣ أيلول ١٩٠٩ نشرت الصحف التركية والأرمنية اتفاقية حزب الطاشناق، أقوى الأحزاب الأرمنية، مع الاتحاديين وجاء فيها:

"من أجل بناء دولة ديمقراطية، والحفاظ على وحدة الشعب، وتبديد مخاوف بعض الجهات العثمانية، توصلت جماعة الاتحاد والترقي مع جماعة ومنظمات الطاشناق إلى اتفاق كامل في النقاط الآتية:

١- العمل على تقوية النظام الدستوري الجديد، وبناء ثقافة سليمة تقوم على التفاهم بين شعوب المجتمع.

٢- العمل بكل وضوح وصرامة ضد كل الحركات والعقليات الرجعية.

٣- العمل والمحافظة على هيبة ووحدة الدولة العثمانية، مع احترام توجهات وآراء كل من الحزبين في الدعوة إلى الحرية والاستقلال داخل خيمة الدولة، والعمل على توعية الجماهير والرأي العام على الابتعاد عن التفكير الاستبدادي والرجعي.

٤- العمل متحدين على تقدم الدولة وازدهارها وتطورها، وبنفس الوقت الدعوة إلى إعطاء صلاحيات أوسع للإدارات المحلية في كل محافظات الدولة"^٤.

1. Fatih Ünal, Op.Cit., P.49.

2. Garo Sasuni, A.G.E., S.136.

3. Fatih Ünal, Op.Cit., P.53.

4. M.Kalman, Bati-Ermenistan..., S.83-84.

قام حزب الطاشناق بنقل مركزه العام إلى ارضروم^١، كما قامت الاحتفالات الأرمنية في اغلب المدن والأقضية التي كان يسكنها الأرمن^٢، وأحيا الأرمن في أيلول ١٩٠٨ لأول مرة في ارضروم قداساً على أرواح ضحاياهم الذين قتلوا في الأزمة الأرمنية بين ١٨٩٤-١٨٩٦.^٣

ألقى نائب القنصل البريطاني في وان النقيب (دكسون-Dickson)، في تقريره المرسل إلى سفير بريطانيا في استانبول السير (جيرالد. لوثر- G.Lowther) بتاريخ ١٩٠٨/٩/٣٠، الضوء على الأجواء التي سادت مدن وقرى شمال كردستان، في الأشهر الثلاثة الأولى بعد الانقلاب العثماني، ضمن تقرير مطول، تحدث فيه عن واقع علاقة الكرد بالأرمن بعد الانقلاب مباشرة، فتحت عنوان (القضية الأرمنية) تحدث دكسون عن الأرمن بعد الانقلاب وأعطاهم الوصف التالي: "...كان هنا بالطبع وقتاً أمام الناس هنا [يقصد الأرمن] ليتمكنوا من فهم معنى مثل هذا التغيير، ولكن عندما أدركوا ذلك كان وقعه عليهم استثنائياً، فبعد أن كانوا مسحوقين ومنبوذين منكمشين على أنفسهم، لا يجراؤون على إظهار وجوههم خارج الحي الأرمني، فقد أصبح الأرمن مشاغبين، وصاخبين، ومتغطرسين، ونسخة وقحة لأردأ أنواع السياسيين"^٤، ويضيف إلى ما مرّ أن الجالية التركية الصغيرة في وان، والتي تتألف من موظفين حكوميين وضباط ومالكي أراضي صغار ومزارعين، كانوا يتجحدون في السابق على أنهم باشبوزوق مسلحين، يطالبون بأعلى أصواتهم، ويتآمرون من أجل إبادة الأرمن، إنهم الآن مقهورون وحزينون، ولا محال إنهم قانعون بتحول الأمور، والذي حرم العديد منهم من الحصول على وسائل العيش الاعتيادية، إنهم يشعرون بشكل عام بالازدواجية، وينتهي حديثه عن الأرمن بالقول: "في الحقيقة إن رؤساء (الفدائيين)، الذين كانوا قبل

1. Yusuf HALAÇOĞLU, FACTS ON THE RELOCATION OF ARMENIANS 1914-1918, ANKARA, 2002, P.44.

2. Fatih Ünal, Op.Cit., P.52.

3. SALAHI SONYEL, THE GREAT WAR..., P.35.

- لمعرفة أجواء الفرحة التي عمت الأوساط الأرمنية اثر إعلان نيا الانقلاب العثماني بشكل مفصل ينظر:

-ROUBEN Der MINASIAN, Op.Cit., P.230-236; Hüseyin Çelik, THE 1915 ARMENIAN REVOLT IN VAN: EYEWITNESS TESTIMONY, Via at: (www.tallarmeniantale.com).

4. No.333, Captain Dickson to Sir G.Lowther, Van, September 30, 1908, IN:(M.D.B.D.A), P.488-489.

شهرين إما في السجن أو مطاردين هم الآن أسياد الموقف المنتخبين ذاتياً، حتى أخذوا يحاولون إملاء أوامرهم على نائب الوالي، أخذوا يدعون بكل وقاحة مفرطة أن الدستور يساندهم في دعواهم هذا، بحيث صدقهم ليس أغلبية الأرمن فقط بل العديد من الكرد أيضاً، إن العديد من الأغوات الكرد الذين جاؤوا إلى وإن بدعوة من نائب الوالي من أجل الإجابة عن ما فعلوه من أعمال سيئة، قاموا بالفعل بسؤال (أرام-أرام) [أحد قادة الثوار الأرمن] عن الفقرة القانونية التي سيمنحهم بموجبها العفو^١.

يتابع دكسون شرحه للأوضاع في شمال كردستان بعد الانقلاب، لينتقل إلى موضوع آخر كتبه تحت عنوان (المسألة الكردية)، قال دكسون: "إن أحد التحولات الكبيرة في هذه الولاية والتي يجب متابعتها من النظام الجديد هو التغيير الذي يجب أن يحدث في أوضاع الكرد، فالتغيير الوشيك هو واضح على الرغم من صعوبة التنبؤ بما سيمتاز به فالكرد أنفسهم في الوقت الحاضر أو على الأقل أولئك الذين على صلة مع الحكومة، يدركون أن عهد الترخيص المجاني الذي كانوا متنعمين به تحت حماية السلطان والمشير قد أشرف على الانتهاء [يقصد الفرسان الحميدية]، أما في الوقت الحالي فيبدو أن معظمهم سيجلسون ويراقبون ما يحدث"، ويضيف دكسون مختتماً حديثه عن الكرد: "...فمثل هؤلاء الذين رأيتهم [أي: الكرد] مهوورون وخانعون جداً، وقد حملت عنهم فكرة بأن الكرد هم ناس يسهل التعامل معهم، وإنهم سوف لن يسيئوا التصرف إذا ما شعروا أن الحكومة لا تستحسن هذا الأمر بشكل حقيقي، إن تغاضي المسؤولين الفاسدين هو الشيء الوحيد الذي يشجعهم على السلب والنهب"^٢.

لم يقف دكسون عند هذا الحد في بيان الأوضاع في شمال كردستان، في تقريره الثاني والذي حمل أيضاً تاريخ ١٩٠٨/٩/٣٠، ففي هذا التقرير يأخذ القارئ والمتتبع للمسألة الأرمنية إلى الأجواء التي سادت الأوساط الأرمنية قبل انعقاد مؤتمر برلين في عام ١٨٧٨، طارحاً فيها الفكرة المثيرة للجدل بين المؤرخين، وهي: "هل يعيد التاريخ نفسه؟"، وهي أن الأرمن لم يستفيدوا من دروس الماضي، مع العلم أن ما قد أنعموا به بعد الانقلاب العثماني كان يشبه إلى حد كبير تلك الأمانى القومية التي راودت فكر كل أرمني خلال عامي ١٨٧٧ و١٨٧٨، يقول دكسون: "إن الطريقة العنجهية التي كان

1. Ibid, P.489.

2. Ibid, P.491-492.

يحاول زعماء الطاشناق بها إملاء أوامرهم على الحكومة وزعماء الكُرد مع التهديد بالعقوبة إذا لم يقوموا بإطاعة أوامرهم قد أثارت المسلمين بشكل كبير أيضاً، مما أدى إلى قيام المذكورين آخرًا بالتهديد حتى وصل الأمر إلى إلصاق إعلانات على جدران مدينة وان تحذر الأرمن وزعماءهم الروس، ويذكرونهم بالمجازر السابقة، مع التلميح إلى احتمال تكرار نفس المجازر إذا ما دعت الضرورة إلى ذلك، وقد علمت أن الأرمن ما يزالون يجلبون الأسلحة والذخائر سرًا إلى البلاد".^١

في استانبول أسست النخبة الكُردية فيها، التي عارضت حكم السلطان عبد الحميد الثاني، أول جمعية سياسية، وهي جمعية (التعاون والترقي الكُردية-كُرد تعاون وترقي جمعيتي)، حيث افتتح المقر العام لها في العاصمة استانبول بتاريخ ٢٥ أيلول ١٩٠٨، وانتخب الجمعية الشيخ عبد القادر النهري ابن الشيخ عبيد الله رئيساً لها، وأحمد ذو الكفل نائباً له، وقامت العائلة البدرخانية، التي كان يرأسها آنذاك أمين عالي بدرخان بدور بارز فيها^٢، وأصدرت الجمعية الكُردية بيانات نشرت على صدر صفحات لسان حالها مجلة (كُرد تعاون ترقي)^٣، نددت فيها بحكم الاستبداد السابق، وذكروا أن ما عاناه الكُرد لم يكن بأقل مما عانته أية قومية أخرى على يد الحكومة السابقة، فمثلاً ذكر الشيخ عبد القادر النهري في عريضته التي نشرتها مجلة (كُرد)^٤ في عددها الأول، الصادر بتاريخ ٥ كانون الأول ١٩٠٨، بأن الكُرد قد أحرزوا مواقع مهمة بين عناصر الدولة العثمانية المختلفة، وان كُردستان قد امتزجت بشكل كبير بهذه الدولة التي

1. Inclosure No. 333, Captain Dickson to Sir G.Lowther, Van, September 30, 1908, IN: (M.D.B.D.A), P493-495.

٢. للتفاصيل عن هذه الجمعية الكُردية ومؤسسيها ينظر: مالميسانز، جه معييه تي تهعاون وتهرقى كورد رۆژنامهكه، وهركيتران: زريان رۆژهه لاتي، بيداجوونه وهى: سديق صالح، سليمانى، ٢٠٠٧، ل١١٧-٧٨: علي تتر توفيق، الحياة السياسية في كوردستان ١٩٠٨-١٩٢٧، ترجمة: تحسين إبراهيم الدوسكي، مراجعة: عبد الفتاح علي البوتاني، دهوك، ٢٠٠٧، ص٨٦-٩٤.

٣. ينظر الأعداد التسعة الأولى من هذه المجلة على صورتها الأصلية، و مترجمة أيضاً إلى اللغة التركية الحديثة، التي تمكن من العثور عليها لحد الآن الباحث الكُردى محمد أمين بوز ارسلان في كتابه:

-M.EMIN BOZARSLAN, KÜRD TEAVÜN VE TERAKKI GAZETESI, GOVARA KURDI-TURKI, KÜRDÇE-TÜRKÇE DERGI 1908-1909, UPPSALA-SWEDEN, 1998.

٤. من المفيد أن نذكر هنا أن هذه المجلة تعرف بين الأوساط الثقافية الكُردية بمجلة (كُرد) فقط.

احتضنتهم، إلا أنها قامت باضطهاد الكُرد ونفت أغلب زعمائهم من كُردستان، مضيفاً أن الاتحاد في الدولة العثمانية لا يمكن أن يتشكل بهذه السياسة، وإنما بالدستور والقانون وليس بالضغط والإكراه^١. أما إسماعيل حقي بابان^٢، الذي كان من أبرز الوجوه الكُردية آنذاك، وكان أستاذاً في جامعة استانبول، فقد كتب مقالات متميزة في مجلة (كُرد)، حيث ذكر: إن ما يتم تداوله بان الحكومة العثمانية السابقة كانت عدوة لفكر جميع القوميات هو أمر صحيح، ولكن في نفس الوقت لم تكن الحكومة السابقة عدوة لفكر الكُرد فحسب، بل كانت عدوة للسان الكُرد، وهذا ما يفسر النسبة العالية للأمية بين الكُرد في تلك الآونة^٣. وقد كانت لمقالات سليمان نظيف^٤ وقعه العميق في نفوس الكُرد آنذاك، ففي مقالة له تحت عنوان (أزمير ليست بكُردستان) نشرت في العدد السابع من مجلة (كُرد) الصادر في تاريخ ١٦ كانون الثاني ١٩٠٩، ذكر بان الذي حول كُردستان إلى بلاد مدمرة هي الدولة العثمانية، بل إن كُردستان كانت أكثر تقدماً وحضارة عندما خضعت للدولة العثمانية قبل أربعين سنة مما هي عليها الآن، ويتساءل سليمان نظيف: متى سيحين الوقت لتظهر هذه الدولة؟ والتي تقع كُردستان ضمن حدودها السياسية اهتماماً بها وبسكانها بعد هذه السنوات الطويلة من حكمها؟^٥

١. جمعيتمركز رئيس فضائل انيسى سيد عبدالقادر عبيداه افنديك نمونه فكر وعرفان، مجلة كُرد، العدد (١)، ٥ كانون الأول ١٩٠٨، ص ٦-٧.

٢. إسماعيل حقي بابان (١٨٧٦-١٩١٣): هو ابن ذهني باشا بن حسين باشا، كان عضواً نشطاً في جمعية الاتحاد والترقي العثمانية، وانضم كذلك إلى جمعية التعاون والترقي الكُردية، انتخب في العام ١٩٠٨ مبعوثاً عن بغداد في مجلس المبعوثان العثماني، أصبح أستاذاً في جامعة استانبول بعد ذلك. للمزيد ينظر: مير بصري، المصدر السابق، ص ٦٥.

٣. ينظر مقاله: كردلر وكردستان، مجلة كُرد، العدد (١)، ٥ كانون الأول ١٩٠٨، ص ٣-٤.

٤. سليمان نظيف (١٨٦٨-١٩٢٧): هو ابن سعيد باشا من كُرد دياربكر، عاش في أوروبا إبان عهد السلطان عبد الحميد الثاني. عرف سليمان نظيف بأرائه الحرة، ونزعتة الدستورية. تقلد عدة مناصب في عهد الاتحاديين منها والي الموصل، وبغداد، والبصرة. وهو من أمر بإعدام الشيخ عبد السلام البارزاني في عام ١٩١٤ عندما كان والياً على الموصل. للمزيد ينظر: مير بصري، المصدر السابق، ص ٦٦-٦٩؛ كوردكي يكرهنگ، ديارى ژماره، كوڤارى روژنامهفانى، ژماره (٩)، ههولتر، هاوينى ٢٠٠٢، ل ٣-٤.

٥. ينظر مقاله: ازمير كردستان دكل، مجلة كُرد، العدد (٧)، ١٦ كانون الثاني ١٩٠٩، ص ٥١.

كان الهدف الأساسي للجمعية الكردية فضلاً عن الترقى بالمجتمع الكردي تحت ظل الدولة العثمانية هي: إقامة علاقات متميزة مع الأقوام المجاورة لا سيما مع الأرمن، كما جاء في بيانها الذي نشر في العدد الأول من مجلة كُرد^١، وطبقاً لمبادئ الجمعية فأنها كانت تهدف إلى مراقبة الدستور، وإلى متابعة مفهوم العثمانية، وإنهاء الصراعات القبلية، والمحافظة على التجانس والعلاقات الجيدة مع الأرمن والنساطرة والرعايا الآخرين للدولة العثمانية^٢.

رأت الجمعية الكردية أن المسألة الأرمنية، التي لامست تاريخ ووجود الكُرد في الصميم، هي من أحد أبرز أهدافهم التي لا بد من إيجاد حلول ناجعة لها، ولم يغفل كتابها هذا الأمر منذ العدد الأول من مجلتهم (كُرد تعاون ترقى)، ففي هذا العدد الذي صدر في تاريخ ٥ كانون الأول ١٩٠٨ نشر إسماعيل حقي بابان مقالة باللغة التركية العثمانية حملت اسم (الكُرد وكُردستان)، تطرق فيها صاحب المقال إلى المسألة الأرمنية، وكيف أن الحكومة العثمانية السابقة استغلت جهل وأمية الكُرد في هذه المسألة، ولم تقم بإصلاح الوضع في كُردستان، بل أن إتباع الحكومة لسياسة التحريض، والتخريب، والقتل قد عرضت الكُرد إلى إخطار مميتة، وفي كل حادثة تقع في كُردستان كانت الحكومة العثمانية السابقة تقوم بتبرئة موقفها، وتظهر نفسها أمام الآخرين على أنها ليست السبب في تلك الأحداث التي تقع في كُردستان وإنما الكُرد أنفسهم هم الذين يتحملون المسؤولية كاملة؛ ثم أضاف: "ومن التهم التي ألقيت على عاتق الكُرد هي عداؤهم القديم للأرمن، لأن الأرمن هم أعداء منذ القدم، وإن طويونا صفحة العهد السابق فإننا سنرى انه لم يكن هناك شعب ممتزج ومتحد مع جيرانه مثل الكُرد، ولم تصدر أي شكوى من الكُرد ضد الأرمن...الكُرد وكسائر العثمانيين يصونون مذهب، ومال، وعرض المواطنين الآخرين من غير المسلمين، وهم يقدرون ذلك لكونهم مسلمين، وكما قال الرسول الجليل (ص): (لهم ما لنا، وعليهم ما علينا)، بل إنهم يراعون ذلك الآن أكثر من غيرهم"^٣.

من نشاطات الجمعية الكردية الأخرى قيامها بفتح فروع لها في معظم مدن

١. جمعيتك بياننامهسى، مجلة كُرد، العدد (١)، ٥ كانون الأول ١٩٠٨، ص١-٢.

2. ERDAL ILTER, ARMENIAN AND RUSSIAN OPPRESSIONS 1914-1916: TESTIMONIES OF WITNESSES, ANKARA, 1999, P.31.

٣. ينظر مقاله: المصدر السابق، ص٣-٤.

كُردستان، وقد كانت أقوى فروعها تلك التي فتحتها في مدن شمال كُردستان، وخاصة فرعي دياربكر وبتليس، فقد ورد في تقرير من نائب القنصل البريطاني في دياربكر (هيرد-Heard) بتاريخ ١٩٠٩/١/٣، عن حفل افتتاح هذا الفرع: "...كان عدد الحاضرين يتجاوز (١٠) آلاف شخص... إن لهذا الاجتماع مغزى واضحاً، وهو أن النادي الكُردى أقوى بكثير من فرع الاتحاد والترقي في دياربكر، الذي بدأ يفقد الكثير من أتباعه هنا... يقول أعضاء النادي الكُردى هنا إنهم تسلموا توجيهات من الفرع الرئيسي في القيادة في استانبول بإقامة علاقات ايجابية مع النصارى، ولكن التوجه الإسلامى المحافظ للنادي لا يساعد على إقامة علاقات من هذا النوع"^١، وكان فرع بتليس أقوى هذه الفروع وأكبرها حسب بعض الباحثين، ففيما كان عدد أعضاء النادي الأرمنى في هذه المدينة في تشرين الثاني ١٩٠٨ يبلغ (٥٠) عضواً فقط، وعدد أعضاء الاتحاديين (٩٠) عضواً فقط (ربما أن اغلب هؤلاء كانوا من الكُرد أيضاً)، كان عدد أعضاء النادي الكُردى يبلغ (٦٨٠) عضواً، ولقد كتب القنصل الروسى (اكيموفيج-Akemovig) في تقريره المؤرخ في ٣٠ تشرين الثاني ١٩٠٨ عن هذا النادي قائلاً: "بلغ عدد أعضاء النادي الكُردى بضعة آلاف"، ووصل عدد أعضاء هذا النادي ما بين شهري شباط وأذار من العام ١٩٠٩ إلى (٨٠٠٠٠)، ربما تكون هناك مبالغة في احتساب عدد أعضاء النادي، ولكن كان نادي بتليس على ما يفهم من هذه التقارير في تعاضم مستمر، وحسب تقرير اكيموفيج: إن نادي بتليس الذي كان يضم أثرياء الكُرد جمع (١٠٠٠٠) ليرة تركية بهدف إنشاء مصنع في بتليس^٢.

إن مجرد ورود هذا العدد من الأعضاء في النادي الكُردى مقارنة مع نسب أعضاء الأرمن والأتراك في جمعياتهم في شمال كُردستان يبدد معظم الإحصائيات التي كان قد قدمها كل من الأرمن والأتراك، عن نسبهم السكانية في المنطقة قبل تلك المدة، إذا كانت تلك الإحصائيات صحيحة لتفوقوا على الكُرد، خاصة إذا ما علمنا بأنهم هم من كانوا أصحاب الثورة والدستور، وليس الكُرد كما كانوا يتباهون بذلك.

١. ملحق في تقرير السيد هيرد، ٣ كانون الثاني ١٩٠٩، في: عثمان علي، الكورد في الوثائق البريطانية...، ص ١٠٥.

٢. جليلي جليل، نهضة الأكراد...، ص ٧٣-٧٤؛ مالميسانز، القومية الكوردية ود. عبد الله جودت...، ص ٣٢.

أ- انتخابات مجلس المبعوثان :

من أبرز مراحل التعاون بين الأرمن والأتراك تلك التي كانت في الانتخابات البرلمانية التي جرت في شهري تشرين الثاني وكانون الأول من العام ١٩٠٨، إذ أقيمت الانتخابات في جميع ولايات الدولة العثمانية بما فيها شمال كُردستان، التي تحالف فيها الطرفان ضد مرشحي جمعية التعاون والترقي الكُردية. وحسب النظام الانتخابي العثماني جرت الانتخابات على مرحلتين، المرحلة الأولى: وهي وجوب حصول المرشح على (٥٠٠) صوت لكي ينتقل إلى المرحلة الثانية: والتي يقوم فيها (٥٠٠) شخص من الذين حصل كل واحد منهم على (٥٠٠) صوت بانتخاب ممثل واحد فقط ينوب عنهم في مجلس المبعوثان العثماني، أي إن كل عضو في مجلس المبعوثان كان يمثل أصوات (٥٠٠٠٠) صوت من الولاية التي انتخبته ورشحته، وقد اتَّفَقَ على أن يكون عدد أعضاء مجلس المبعوثان العثماني (٢٧٥) عضواً يمثلون كافة أعراف وولايات الدولة العثمانية^١.

وحدت الأحزاب والتنظيمات الأرمنية قوائمها الانتخابية قبل الانتخابات، فمثلاً أشار نائب القنصل البريطاني في وان النقيب دكسون إلى أن حزبي الهنجاك والطاشناق قد اتفقا على ترشيح الدكتور أرام نائباً عنهم في وان^٢، ويلقي دكسون بعض الضوء على الدعاية الأرمنية للانتخابات، وأبرز سبلهم للفوز بمقعد عن وان، حيث يقول: "يحيك [الطاشناق] الدسائس مع زعماء عشيرة الحيدران، متعهدين لهم بالعفو عنهم على شرط أن يقوموا بالتصويت في الانتخابات لصالح (الدكتور أرام) كنائب عن وان، وان لم يفعلوا ذلك فالعقاب في انتظارهم، وما كان هذا الأمر إلا محض خداع من جانب الطاشناق، إلا أن الكُرد على الرغم من تأثرهم بذلك في البداية، فأنهم كما أخبرني حسين باشا قرروا عدم التصويت للأرمن، وإنهم على الأرجح قاموا بوضع مرشح كُرد يمثّل منطقتهم"^٣.

1. BENGI KÜMBÜL, A.G.E., S.76-79;

- عبد الله العلياوي، المصدر السابق، ص ٢٢٠-٢٢٣؛ جاوان حسين فيض الله الجاف، الكُرد وموقفهم من جمعية الاتحاد والترقي ١٨٨٩-١٩١٤: دراسة تاريخية، رسالة ماجستير، مقدمة إلى قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة بغداد، ٢٠٠٩، ص ٨٤-٨٥ .

2. No.333, Captain Dickson to Sir G.Lowther, Van, September 30, 1908, IN:(M.D.B.D.A), P.489.

3. Ibid, P.491.

وبعد أن وحدت تلك الأحزاب الأرمنية قوائمها الانتخابية تحالفت مع جمعية الاتحاد والترقي في محاولة منها للحصول على أكبر قدر ممكن من المقاعد في مجلس المبعوثان العثماني^١، ولكن الأرمن، ولإدراكهم لنسبهم القليلة في جميع أنحاء الدولة العثمانية، كانوا قد اقترحوا على الاتحاديين منحهم عشرين مقعداً في مجلس المبعوثان، حتى وإن لم يتمكنوا من الحصول على هذا العدد من المقاعد، إلا أن الاتحاديين رفضوا ذلك، وبعد مفاوضات بين الطرفين، توصلوا إلى الاتفاق على أن يمنح الأرمن (١٤) مقعداً^٢، ولا تشير المصادر القريبة إلى النسبة الدقيقة لكل من الأرمن والكرد في مجلس المبعوثان^٣، وذلك لأن العديد منهم كانوا قد دخلوا إلى المجلس ضمن قوائم جمعية الاتحاد والترقي، في حين دخل بعض آخر منهم ضمن أحزابهم القومية، وتصادف أن يكون العضو المنتخب ينتمي إلى حزب أرمني أو إلى الحزب الكردي، وفي الوقت نفسه ينتمي إلى جمعية الاتحاد والترقي العثمانية؛ ولكن على أية حال كان هذا الوضع سائداً في الانتخابات الأولى التي شهدتها شمال كردستان بعد الانقلاب العثماني في تموز ١٩٠٨، وكان من أبرز الأسماء التي مثلت الأرمن في مجلس المبعوثان النائب (فارتكيس - Vartkes) (١٨٧١-١٩١٥) الذي كان قد شارك في تمرد الأرمن في وان عام ١٨٩٦، وكان السلطات العثمانية قد حكمت عليه بالإعدام، إلا أنها رجعت وخففت حكمه إلى السجن المؤبد بعد تدخل الدول الكبرى في المسألة، وكذلك النائب (باسطرماجيان - Pastirmaciyan) الذي كان قد شارك في الهجوم على البنك العثماني ومحاصرته في عام ١٨٩٦^٤.

أما الكرد فيظهر أنهم كانوا قد امتعضوا من العملية الانتخابية برمتها، فعلى الرغم من أن مجلتهم ولسان حال جمعيتهم (كرد تعاون ترقّي)، كانت قد نشرت العديد من الأخبار عن مجلس المبعوثان وأبنيتها وباركت افتتاحها، إلا أن هذه المجلة قد نشرت بعض الأخبار والمقالات التي توجي بأن الكرد شعروا بغبن خلال هذه العملية

1. Justin McCarthy and others, Op.Cit., P. 133-134.

2. BENGI KÜMBÜL, A.G.E., S.78.

٣. للتفاصيل عن بعض المرشحين الكرد ودورهم في مجلس المبعوثان العثماني خلال عامي ١٩٠٨-١٩٠٩، ينظر: عبد الله العليايوي، المصدر السابق، ص ٢٢٣-٢٢٨؛ جاوان حسين فيض الله الجاف، المصدر السابق، ص ٨٥-٨٦.

4. BENGI KÜMBÜL, A.G.E., S.78-79.

الانتخابية، ولم يكونوا راضين عن نتائجها، ومن هذه الأخبار التي نشرتها مثلاً البرقية التي وصلت إليهم من فرعها في دياربكر، وتحمل تاريخ ٢٦ كانون الأول ١٩٠٨، والتي نشرت في العدد الخامس من مجلة (كُرد) الصادر بتاريخ ٢ كانون الثاني ١٩٠٩، ومضمون هذه البرقية التي نشرتها المجلة تحت عنوان (رسالة تلغرافية تستحق الانتباه): هي شكوى من فرع جمعية التعاون والترقي الكردية في دياربكر، وهو أن مرشحها (عارف أفندي) قد فاز في الانتخابات وحصل على ما مجموعه (٥٥٠٠٠) صوت، إلا أن عارف أفندي قد تعرض إلى حملة واسعة تستهدف تشويه سمعته، وأن هذه الدعاية التي استهدفته ما هي إلا محض افتراء، ولذلك طالب فرع دياربكر في هذه البرقية، من مركز الجمعية الكردية في استانبول الدفاع عن عارف أفندي "الذي يتمتع بشهرة واسعة في الولاية" حسبما جاء في نص البرقية. وبعدها مباشرة نشرت مجلة (كُرد) تعليقاً، وفي معرض الدفاع عن عارف أفندي، جاء فيه: "التلغراف أعلاه يستحق الانتباه بكل الأشكال، إن عارف أفندي يمتلك مثل تلك الشهرة والحمية والاقتدار، إذ مهما نشرت أكاذيب ضده فإنها لا تؤثر على سمعته المتميزة... ونحن دوماً نقدر حسن الإصابة في انتخاب مثل هؤلاء، ونبارك لهم ذلك بكل حق وتقدير"^٢.

يتبين من هذه البرقية أن مرشحي جمعية التعاون والترقي الكردية في كردستان قد تعرضوا إلى مضايقات قبل الانتخابات وفي أثناء إجرائها، ولا يعرف بالضبط الجهة التي قامت بتشويه سمعة النائب عارف أفندي في دياربكر، أهم الاتحاديون أم الأحزاب الأرمنية؟ لأن البرقية لا تشير بصراحة إلى أية أسماء، ولا يمكن استبعاد دور الطرفين الاتحادي والأرمني في ذلك، خصوصاً أنهما كانا متحالفين في تلك الانتخابات، ولكليهما نفوذ في دياربكر.

ومما يرجح أن الأرمن كانوا قد اصطدموا بالكُرد أثناء الانتخابات، وعملوا على الإضرار بنوابهم تلك المعلومات التي أوردها (سليمان بن حسين باشا الارزنجاني) في مقاله المعنون (الكُرد والأرمن)، الذي نشر في العدد التاسع من مجلة (كُرد) الصادر في تاريخ ٣٠ كانون الثاني ١٩٠٩ .

١. شايان دقت برتلغرافنامه: دياربكر ١٣ كانون أول ٣٢٤، مجلة كُرد، العدد (٥)، ٢ كانون الثاني ١٩٠٩، ص ٤٠٩ .

٢. كُرد، مجلة كُرد، العدد (٥)، ٢ كانون الثاني ١٩٠٩، ص ٤٠ .

يتبين من خلال قراءة هذا المقال أن صاحبه قد كتبه نتيجة وقوع صراعات أو حتى مصادمات بين الكُرد والأرمن خلال العملية الانتخابية، وفي مرات عدة نبه سليمان بن حسين باشا الأرمن إلى عدم الاستماع، والتأثر بأقوال بعض الأشخاص الذين وصفهم بـ(الفاسقين والمنافقين) على حد تعبيره. يتناول صاحب المقال في بدايته العلاقات الطيبة التي سادت بين الكُرد والأرمن في مختلف عصور التاريخ، وامتزاجهم الاقتصادي والاجتماعي، بحيث إذا تضرر أحدهما سيتضرر الآخر دون شك، ففضلاً عن الاقتصاد الذي وحد المجتمعين تتشابه العادات والتقاليد الاجتماعية لكلا القوميتين، وكما أن الكُرد كانوا سندا للأرمن في كُردستان كان الأرمن كذلك يسندون الكُرد في استانبول؛ ثم يقول: "فعلى الكُرد مراعاة حقوق الأرمن من جميع جوانبها بمقتضى الشريعة الإسلامية، وعلى الأرمن أن لا يندفعوا بأكاذيب بعض المنافقين، الذين يلقنونهم مواضيع سلبية تجلب التعصب، ويجب أن لا يكون بينهما أية موانع واصطدام[صراع]، وان ما عايشوه من كمال رفاه ووفاق لا يحتاج إلى بحث ومناظرة. إن الكُرد والأرمن عاش بعضهم إلى جنب بعض منذ سنة (٢٦٠٠) قبل الميلاد إلى الآن... بكل وئام ومحبة، فإذا كانت الادعاءات التي تقول: بأنه كانت بينهما شقاق وخصومة أمراً صحيحاً لكان أحدهما في كل الأحوال قد تمكن من محو الآخر من الوجود في مثل هذه المدة الزمنية الطويلة جداً".^١ ويذكر سليمان الارزنجاني لقراءته أنه عند متابعة علاقات الشعوب المختلطة الأخرى لا يرى سوى الثورات والحروب المستميتة، وأن المنطقة المستثناة من ذلك حتى وقت قريب كانت فقط كُردستان، كما انه مثلما كان الأرمن من سكنوا هذه المنطقة منذ القدم، فالיום أثبت التاريخ أن الكُرد الذين يعدون أحفاد الميديين هم السكان الأصليين لتلك المنطقة منذ القدم أيضاً، كما أن دخول الأرمن إلى الدين المسيحي، وتشرف الكُرد بالدين الإسلامي لم يؤثر على علاقاتهما بعد ذلك، ويضيف سليمان الارزنجاني: "إن الرجال الأفاضل والعلماء الذين أنتجتهم كلا القوميتين، كانوا دائماً يلقنون قومهم ويرشدونهم إلى إدامة المحبة القديمة الموجودة بينهما، وإدامة سعادتهما القومية وتأمينها، وهذا ما لم يكن موجوداً في أية منطقة وأية ديار وقومية، وكذلك تشهد العصور والدهور والتاريخ على ذلك، ففي إحدى القرى الأرمنية التي يبلغ عدد بيوتها ثلاثمئة بيت يسكن فيها الكُرد في عشرة منازل

١. ينظر مقاله: كردلر وارمنيلر، مجلة كُرد، العدد (٩)، ٣٠ كانون الثاني ١٩٠٩، ص ٧٥.

منذ القدم، وكذا الحال في القرية الكرديّة ذات الثلاثمئة بيت، حيث تحتوي على عشرة بيوت ارمنية تسكنها منذ القدم بجانب الكرّد، وان وجود العديد من الكنائس والأديرة المقامة على قمم التلال والجبال لهو إثبات باهر على وجود مثل هذه المحبة^١. يتابع سليمان الارزنجاني حديثه بالذكر أن هناك الكثير من الأرمن على قيد الحياة، من الذين جربوا ورأوا هذا التعاون الذي لا مثيل له في أي منطقة أخرى، ولم تظهر المشاكل بينهما إلا بعد أن ساءت الإدارة في بلادهما، أي: إدارة الدولة العثمانية، فضلاً عن أسباب أخرى، منها مثلاً: عدم المساواة بين الكرّد والأرمن في مسألة التعليم خاصة بعد انتشار المدارس الحديثة في كردستان؛ ثم يتحدث كاتب المقال عن كيفية استقبال الكرّد والأرمن معاً بكل فرح وسرور إعلان الدستور، وان هذه المشاكل التي حدثت بينهما بعد إعلان الدستور إنما تعود جذورها إلى العهد السابق، وان على عقلاء كلا القوميتين التقريب بينهما، ويختتم مقاله بالحديث عن الانتخابات بقوله: "... يجب على الكرّد والأرمن [أي:عقلاءهم] أن يتجولوا في جميع مدننا وولاياتنا ومناطقها شبراً شبراً، ليقفوا على صور وأنواع الإصلاحات الواجب تحقيقها...من أجل إعادة الوفاق القديم الموجود بينهما على ما كان عليه سابقاً، وبالمحصلة فإن على الكرّد والأرمن أن يعملوا من أجل سد ثغرة الجهل والتحقير العام التي ظهر بينهما، وفي هذه المرة فان السعي أو الجهد والإقدام الذي قام به كلا الطرفين في انتخاب مبعوثيهم في مجلس المبعوثان أظهر عدم اطمئنان وثقة أحدهما بالآخر مع الأسف الشديد، وبهذه الحالة إذا نفّذت الجهود التي ذكرتها وشرحتها أنفا...فإنه في الانتخابات التي ستجري بعد أربع سنوات إن شاء الله سينتخب الكرّد مثلاً (جانم قرهبت أفندي) مع (هامبارسوم أفندي) كمبعوثين عنهم، وان الأرمن سينتخبون كلا من (أحمد أفندي) و(محمد بك) كمبعوثين عن ديار بكر...فإذا أعطينا المجال لبعض الفسقة غير المعروفين والذين يتبعون أهواءهم...ويقولون إنهم أصدقاؤنا وهم أعداؤنا فلن نكون قادرين على الاستفادة من الحرية والعدالة، التي أنعمها الله تعالى علينا، ولن نستطيع أن نميز أصدقاؤنا من أعدائنا، مثلما كنا في عهد الاستبداد قبل عهد هذه الحرية، فمن الطبيعي أن أُحْمَل مسؤولية وبال حالنا هذا على عاتق أصدقاء وعقلاء كلا القوميتين"^٢.

١. سليمان بن حسين باشا الارزنجاني، المصدر السابق، ص ٧٥-٧٦ .

٢. المصدر نفسه، ص ٧٦-٧٧ .

لم يكتب سليمان بن حسين باشا الارزنجاني هذه المقالة الطويلة، والمليئة بالأفكار إلا بعد وقوع بعض الأحداث بين الكُرد والأرمن أثناء الانتخابات، ولا يعرف هنا من هم الفاسقون والمنافقون الذين عملوا على زرع الفتنة بين الكُرد والأرمن آنذاك، ولا تخرج دائرة الشك هنا عن الاتحاديين والأحزاب الأرمنية المتحالفة معهم، ولكن بالنظر إلى محتوى هذا المقال والذي سبقه يظهر بان الخاسر الوحيد في تلك الانتخابات كانوا هم الكُرد فقط، ولم تكن شكواهم تلقى صدى عند احد سوى ما حفظه التاريخ للكُرد.

ب-الأرمن ومازق الإقطاع الكُردى :

إن الأرمن الذين كانت جمعية الاتحاد والترقي تساندهم كانوا يسعون دوماً لوضع شروط يجدونها ضرورية في شمال كُردستان لاستغلال هذه الحرية، وبهذه الرغبة ذكروا أن الكُرد، وخاصة الفرسان الحميدية، كانوا ضد النظام البرلماني العثماني، ويعارضونه ويعدونه خطراً على الدولة العثمانية^١، فقد صدر عن الاجتماع الخامس لحزب الطاشناق في عام ١٩٠٨ الذي عُقد بعد الانقلاب العثماني مباشرة، ما يلي بخصوص الإقطاعيين الكُرد: "إن بقايا الأمراء الإقطاعيين من عهد النظام غير الدستوري السابق، والذين فقدوا الكثير من امتيازاتهم بعد إعلان النظام الدستوري الجديد، سيقون مصدر تهديد لنا، وسيستغلون أول فرصة تتاح لهم لمهاجمتنا"^٢.

لذلك حاول الأرمن بالاتفاق مع الاتحاديين توجيه ضربة إلى الإقطاعيين الكُرد الذين تحكّموا بمستقبل كُردستان طيلة العهد السابق، وكانت خططهم في ذلك موجهة إلى مسألتين حساستين، الأولى: ضرب الفرسان الحميدية، وتشتيت قوتها، والثانية: إرجاع الأراضي، التي ادّعى الأرمن أنها كانت لهم سابقاً، من الملاكين والبكوات الكُرد، الذين كانوا قد استولوا عليها منذ عقد تسعينات القرن التاسع عشر.

١-الفرسان الحميدية :

نظرت حكومة الاتحاد والترقي وكذلك الأرمن إلى الفرسان الحميدية، على أنهم مصدر تهديد مباشر لهما معاً، وربما كانت محاربة الاتحاديين للحميدية من أولى

1. Fatih Ünal, Op.Cit., P.53.

2. M.Kalman, A.G.E., S.82.

3. Fatih Ünal, Op.Cit., P.62.

الأعمال التي قاموا بها، إثر سيطرتهم على السلطة في أواخر تموز ١٩٠٨، فقد ثار القائد الحميدي المشهور إبراهيم باشا الملي في أقصى جنوب غرب كردستان ضد الاتحاديين عندما سمع بأخبار الانقلاب العثماني، ولكن نتيجة لعدم تكافؤ القوى، وعدم التنسيق والتنظيم داخل قوات إبراهيم باشا تمكن الاتحاديون من دحر قواته قرب ويرانشهر، مركز حكمه؛ ثم ما لبث أن توفي في ٥ كانون الثاني ١٩٠٩. وقد وجه اندحار إبراهيم باشا الملي ضربة قوية إلى الإقطاعيين الكرد، وأرسلت لهم الحكومة العثمانية الجديدة رسالة مفادها: أنها لا تتهاون في ضربهم وتدميرهم إن اختلفت مصالحهما، وان الكرد قد فهموا الدرس من خلال سقوط إبراهيم باشا الملي^٢.

إذا كان وفاة إبراهيم باشا الملي يُعد ضربة قوية للفرسان الحميدية وللإقطاعيين الكرد، فإنه دون شك لم تكن الحادثة الأخيرة، وذلك لأنه عقب الانقلاب المضاد الفاشل في نيسان ١٩٠٩، الذي قاده بعض أنصار السلطان عبد الحميد أُلقت حكومة الاتحاديين القبض على رموز الإقطاع الكردي في كردستان، بتهمة الخيانة العظمى، وأبرزهم كان حسين باشا الحيدراني، وبلغ عدد الأغوات الكرد الذين اعتقلوا بعد فشل الانقلاب في دياربكر وحدها (١٧) من البكوات، ولكن بعد التحقيق معهم وإثبات

١. للتفاصيل عن حركة إبراهيم باشا الملي، ينظر: احمد عثمان ابو بكر، أكراد الملي وإبراهيم باشا، في: إبراهيم الداوقوي وآخرون، عشائر كردستان، أربيل، ٢٠٠٢، ص ٩٣-١٤٠؛ محمد علي بك إبراهيم باشا، أمير أمراء كردستان إبراهيم باشا الملي ١٨٤٥-١٩٠٨، دراسة وتحقيق: عبد الفتاح علي البوتاني وعلي صالح الميراني، أربيل، ٢٠٠٩، ص ١٤ وما بعدها.

2. Dikran Mesrob Kaligian, Armenian Organization and Ideology under Ottoman Rule 1908-1914, New Brunswick-New Jersey, 2009, P.68-69;

- ديفيد مكدول، المصدر السابق، ص ١٦٦؛ مارتن فان بروينسن، الأغا...، ج ١، ص ٤١٢ .
٣. الانقلاب المضاد: وهو الانقلاب الذي قاده المؤيدون للسلطان عبد الحميد الثاني وللجامعة الإسلامية في ١٣ نيسان ١٩٠٩، الذين نادوا بأن الشريعة الإسلامية في خطر، بعد أن سرت الإشاعات بأن النظام الدستوري العلماني الجديد قد خرق الشريعة. فقد هاجمت مجموعة من الضباط والجنود مجلس المبعوثان والباب العالي، وطالبوا بإسقاط الحكومة التي أقامها الاتحاديون، ثم ما لبث أن انتشرت حركات مماثلة في بعض الولايات العثمانية الأخرى، إلا أن الاتحاديين تمكنوا من السيطرة عليها، واتهموا السلطان عبد الحميد بتدبير هذا الانقلاب، فخلعوه على أثرها. ينظر: احمد عبد الرحيم مصطفى، في أصول التاريخ العثماني، بيروت، ١٩٨٢، ص ٢٧٢-٢٧٣ .

براءاتهم أطلق سراحهم في أواخر سنة ١٩٠٩ وبداية سنة ١٩١٠، وفور إطلاق سراحهم من السجن هاجر حسين باشا الحيدراني، وتيمور باشا، وأمين باشا، وسيد علي، وموسى بك، مع (١٢٠٠٠) أسرة من عشيرة الحيدراني، مع (٦) أفواج حميدية إلى داخل الأراضي الإيرانية^١، وجاء في تقرير سري لمقر قيادة منطقة القوقاز العسكرية الروسية، حول المسألة الكردية في الدولة العثمانية بعد فشل الانقلاب المضاد: "...إن حكام تركيا الفتاة المنبهرين بنجاحاتهم السياسية، لا يتسمون ببعد النظر ولا بمعرفة المنطقة...وفي اللحظة الحاضرة فإن الكرد كلهم يناصبون السلطات التركية العداء...وإنهم كانوا جمعياً على أهبة الاستعداد للهجرة إما إلى فارس أو إلى روسيا...وان الخيالة الكردية نفسها أضحّت غير موجودة في الواقع منذ لحظة هروب حسين باشا"، ولم يعد حسين باشا مع رفاقه إلى كردستان العثمانية إلا في أواخر سنة ١٩١٢، بعد الاندحار الكبير للجيش العثماني في البلقان، كما تمت مصادرة أغلب أراضي عشيرة الحيدراني^٢.

بالنظر الدقيق إلى هذه الأحداث يظهر أن الوضع في شمال كردستان قد انقلب رأساً على عقب، وبات الاتحاديون والأرمن هم المسيطرون على الأوضاع فيها، وهنا لا بد من طرح سؤال مهم، وهو: ماذا كانت ستفعل الدعاية الأرمنية لو كانت (١٢٠٠٠) أسرة من أسرهم، حتى وان كانت هناك مبالغة في تقدير عددهم، قد هاجرت إلى القوقاز مثلاً؟ فانه بمجرد هجرة أسرة أو أسرتين أو حتى سكان قرية واحدة أرمنية أو أكثر إلى القوقاز كانت الشكاوى الأرمنية تنهال على القنصليات والسفارات الأجنبية في استانبول حتى تصل إلى رؤساء الدول في: روسيا، وبريطانيا، وفرنسا، والولايات المتحدة الأمريكية، ويكفي القول هنا أن غياب الرأي الكردي في أغلب حقبة المسألة الأرمنية جعل موقفهم ضعيفاً أمام الرأي العام العالمي، وكما صرح به صالح بدرخان^٣ في مقاله المعنون (القلم قبل السيف) بان الشعب الكردي هو الآن مثل الشخص الأصم

1. Dikran Mesrob Kaligian, Op.Cit., P69;

م. س. لازاريف، المصدر السابق، ص ٢٢٤-٢٣٣ .

٢. م. س. لازاريف، المصدر السابق، ص ٢٢٧ .

٣. صالح بدرخان (١٨٧٤-١٩١٥): ويسمى كذلك صالح عوني بدرخان، ولد في مدينة اللانقوية بسوريا، وهو ابن محمود عزت بن صالح بن عبد الله خان، ووالدته هي ليلي ابنة بدرخان بك، انتقل بين عدة مدن في بلاد الشام بهدف الدراسة، أصدر في العام ١٩٠٠ جريدة (أوميد) في =

والأبكم الذي لحق به أذى كبيراً، ولكنه لا يستطيع التعبير عن ذلك، أو حتى طلب المساعدة^١.

بعد ذلك أقدم الاتحاديون على تغيير الهيكل التنظيمي للفرسان الحميدية في عام ١٩١٠، إثر مناقشات عديدة مع الأرمن في مجلس المبعوثان^٢، فبعدما كانت تضم (٦٤) فوجاً عسكرياً، دمج بعضها ببعض وسُرحت بعضها الآخر فتقلص بذلك عددها إلى (٢٣ أو ٢٤) فوجاً فقط، كما غيروا اسمها إلى قوات (العشائر) حسب بعض المصادر، أو إلى (أفواج الفرسان الخفيفة) حسب مصادر أخرى^٣.

إن تنظيم الأفواج الجديدة لم تسر الأرمن ولا الكرد، فالأرمن قد احتجوا على هذا التنظيم الجديد وكانوا يريدون حلها بشكل تام، أما الكرد فقد احتجوا من جانبهم، وخاصة القبائل الكردية التي لم تقم الحكومة بضمها إلى تلك الفرسان، وولت مهمة تهدئتهم إلى بعض شيوخ القبائل وعلماء الدين^٤.

إن أبرز الشخصيات الكردية ممن وقف ضد إجراءات الاتحاديين والأرمن في شمال كردستان هو رئيس عشيرة جبران الكردية شاكر أغا (شكر أغا) وابن أخيه مير ميهي (محي)، فقد انتقد شاكر أغا كثيراً هذا الاتحاد بين الاتحاديين والأرمن، وكانت لعمليات مير ميهي في منطقة نوردوز تأثيرها الواضح على السلطات الحكومية والأرمن هناك، وقد طالب الأرمن بمعاقبة مير ميهي وكذلك شاكر أغا، وهدد الأرمن بأنه إذا لم ينفي الاتحاديون شاكر أغا من المنطقة سيقوم الأرمن بالهجرة منها^٥.

إن شاكر أغا الذي عمل ضد نشاطات الجمعيات الأرمنية نيابة عن الحكومة خلال

= القاهرة، وكتب مقالات في مجلتي (روژی كُرد) و(يكبون) عام ١٩١٣، توفي في عام ١٩١٥ اثر إصابته بمرض التيفوئيد. للمزيد ينظر: صالح بدرخان (مذكراتي)، ترجمة: روشن بدرخان، دمشق، ١٩٩١، ص ١١ وما بعدها؛ مالمسيانز، بدرخانيو جزيرة بوتان...، ص ١٧٦ .

١. ينظر: مجلة روژی كورد، العدد (٣)، ١٤ آب ١٩١٣، ص ٦-١٠؛ هوكر طاهر توفيق، دور الصحافة...، ص ١٧٢ .

٢. عن هذه المناقشات بخصوص الفرسان الحميدية في مجلس المبعوثان العثماني، ينظر: م. س. لازريف، المصدر السابق، ص ٢٢٤-٢٢٦ .

3. Fatih Ünal, Op.Cit., P.62;

- ماجد محمد زاخوي، المصدر السابق، ص ١٢٥-١٣٦ .

4. Fatih Ünal, Op.Cit., P.64.

5. Ibid, P65-66; Justin McCarthy and others, Op.Cit., P. 152.

عهد السلطان عبد الحميد الثاني، كان قد أبقى ولاءه للنظام الجديد بعد إعلان الدستور، حيث كان صاحب نفوذ واسع، والأكثر من ذلك أنه كان يعمل عادة على مساعدة المفازل العسكرية، التي أقيمت من أجل القضاء على العصابات حول نوردوز ومناطق شاتاخ وتوجيه هذه المفازل، ولهذا السبب أُجلت المطالب الأرمينية لمدة من الزمن، ولكن بسبب استمرار الضغوط الأرمينية كانت الضغوط تزداد تبعاً لذلك على شاكر أغا، الذي قام بدعم مطالب ابن أخيه مير ميهي، وتمرد هو بدوره على الاتحاديين، ولم تهدأ الأوضاع بين الطرفين حتى عام ١٩١٤، عندما اغتال مير ميهي أحد أفراد عشيرته^١.

٢- مشكلة الأراضي :

قال القنصل الفرنسي في وان (زارزكي-Zarzecki) في تقرير له يعود إلى عام ١٩١٣، أنه ومنذ عام ١٩٠٩ فصاعداً كانت هناك "حرب حقيقية بين الشعبين [الكردي والأرمني]"^٢، وذكر أحد أعضاء محكمة التمييز في استانبول في العام ١٩١٣ أن (٩٠٪) من حوادث القتل في ولايات الأناضول الشرقية (شمال كردستان)، هي بسبب مسائل الأراضي، وان تقارير ولاية بتليس ووان الرسمية توضح حالة القرويين التعسة في تلك الجهات^٣.

تدلّ هذه التصريحات والأقوال على أنّ أهم مشكلة واجهت الكرد والأرمن، بعد الانقلاب العثماني هي مشكلة الأراضي، التي أُلقيت تبعاتها حسب المصادر المقربة، على عاتق الكرد فقط، مع العلم أن هذه المشكلة كانت تحمل في طياتها أبعاداً أخرى، وتتحمل مسؤولية ذلك أطراف عديدة غير الكرد مثل الأرمن أنفسهم الذين لم يتمكنوا من إثبات ملكيتهم لتلك الأراضي، كما أنهم كانوا قد باعوا الكثير من أراضيهم إلى الكرد؛ وكذلك الحكومة العثمانية الجديدة، التي لم تحاول بصورة جدية حل هذه المشكلة؛ فضلاً عن الحكومة العثمانية السابقة، التي قامت باستملاك العديد من أراضي

1. Fatih Ünal, Op.Cit., P.66-67.

2. Roderic H.Davison, Op.Cit., P.483.

٣. مطالب جمعية طاشناقسوتيون، جريدة التقدم (الطبية)، العدد (٣٩١)، ٩ أيار، ١٩١٣ نقلًا عن: الكسندر كشيبيان، صفحات وثائقية من جريدة (التقدم) الطبية عن الأحوال الأرمينية والعربية في الدولة العثمانية، حلب، د.ت، ص ١١٢.

الأرمن، الذين كانوا قد هاجروا إلى القوقاز الروسية بعد الأزمة الأرمنية في التسعينات، ثم قامت ببيعها إلى الإقطاعيين الكُرد، والمهاجرين الجدد من الشركس واللاز في المنطقة.

بعد الانقلاب العثماني مباشرة رجعت العديد من الأسر الأرمنية، التي كانت قد هاجرت إلى القوقاز خلال تسعينات القرن التاسع عشر، وقد كانوا قد تخلوا عن أراضيهم التي استولت عليها الحكومة العثمانية، وبعض الإقطاعيين الكُرد الكبار، وقد طالب الأرمن عن طريق أحزابهم وبطريكيتهم في استانبول إرجاع أراضيهم المسلوقة، وقد وافق بعض الإقطاعيين الكُرد على إرجاع هذه الأراضي، التي لم يكن يملكون سندات ملكيتها وخاصة في موش^١، ولكنهم في الوقت نفسه ذكروا أن الكثير من هذه الأراضي كانت عليها ديون ومستحقات مالية، هم من قاموا بتسديدها إلى الحكومة العثمانية، وان على الحكومة تعويضهم كذلك عن الأموال التي صرفوها على تلك الأراضي، من جانبها رفضت الحكومة العثمانية الجديدة مسألة التعويضات جملة وتفصيلاً، كما أن الحكومة العثمانية في عهد السلطان عبد الحميد الثاني، وعن طريق البنك الزراعي، كانت قد باعت تلك الأراضي إلى الإقطاعيين الكُرد، ولذلك لم يكن هؤلاء ليتنازلوا عن تلك الأراضي للأرمن بمجرد ادعائهم امتلاكها دون إثباتات ووثائق وأيضاً تعويضات، وهذا ما أدى إلى توتر الأوضاع بينهما أكثر فأكثر. الحقيقة أن الأرمن إما أنهم استعملوا أجزاء من هذه العقارات من دون تسجيل مسبق، أو أنهم باعوا عقاراتهم المسجلة من دون بيعها بسعرها الحقيقي عندما غادروا البلاد، وقد وجهوا اللوم للعشائر الكُردية، لأنهم اشتروا عقاراتهم بأسعار منخفضة أو أنهم أخذوها منهم بالقوة^٢.

ففي قضاء عادل جواز قرب وان وافق حسين باشا مثلاً على إرجاع القرى الأرمنية التي كان قد حافظ عليها من التدمير أثناء الأزمة الأرمنية الأولى، ولكنه طلب من الأرمن أن يدفعوا له (٤٥٠) ليرة تركية كتعويض وأجور حماية له، وقد وافق الأرمن على هذا مبدئياً، ولكنهم لم يكونوا يملكون هذا المال^٣.

1. Dikran Mesrob Kaligian, Op.Cit., P.60-61.

٢. حول هذه المطالب والشكاوى الكُردية ينظر:

-Inclosure No.370, DISAPPEARING ARMENIA, IN:(M.D.B.D.A), P.588-590; Fatih Ünal, Op.Cit., P.59-60; Justin McCarthy and others, Op.Cit., P.152-153.

3. Dikran Mesrob Kaligian, Op.Cit., P63; Arsen Avagyan ve Gaidz F.Minassian, A.G.E., S.38.

أشار النقيب دكسون، نائب القنصل البريطاني في وان، في تقريره السابق، والمؤرخ في ١٩٠٨/٩/٣٠ إلى مشكلة الأراضي بقوله: "صدرت الأوامر من فريق نائب الوالي إلى زعماء عشيرة الحيدرانية(حسين باشا، وايمين باشا، وتيمور باشا، وكور محمد بك)، للحضور في وان لحسم مسألة تخليهم عن أراضي وقرى الأرمن، التي استولوا عليها إبان أوقات المجزرة، وجدوا أن الحكومة جادة فجاءوا ووافقوا على تسليم جميع الأراضي، التي لا يمتلكون سندات ملكية رسمية لها، أما في الحالات المشكوك فيها أو إذا كان أصحابها السابقون مستعدون لتقديم المعلومات، عندها يصبح الأمر تحت أنظار المحكمة للبت في الأمر".^١

لقد ضغط الأرمن كثيراً على الاتحاديين من أجل حسم مشكلة الأراضي، وضرورة إرجاعها إلى الأرمن حتى ولو كانت بالقوة، ولكن المشكلة هنا لم تكن تتعلق بالكرد فقط، ولو كان الأمر كذلك لسهل حلها، ولكن المشكلة الرئيسية هي أن الأرمن لم يتمكنوا من إبراز أية وثائق رسمية، تؤكد عائدة هذه الأراضي لهم، من جهة أخرى رضخ بعض الإقطاعيين الكرد إلى هذا الأمر، وأعادوا بعض الأراضي إلى الأرمن، ولكنهم شددوا على الحكومة العثمانية لتمنحهم تعويضاً عن خسارتهم، وعن الأموال التي دفعوها إلى الحكومة والى البنك الزراعي التركي، والتي صرفوها على تلك الأراضي، إلا أن الحكومة من جانبها لم تقم بدفع أي أموال إلى الكرد، ولو كانت الحكومة عمدت إلى هذا الحل لكانت قد أزال التوتر بين الكرد والأرمن.^٢

في بداية عام ١٩٠٩ وحسب الاتفاق المعقود بين الاتحاديين والأرمن الطاشناق أرسلت لجنة إلى شمال كردستان للبت في هذه المشكلة، وكانت اللجنة تتكون من أربعة أعضاء، اثنان من الأتراك وآخران من الأرمن^٣، وقد بادرت جمعية (التعاون والترقي الكردية) إلى تقديم مذكرة في العام ١٩٠٩ إلى كامل باشا وزير الداخلية في الحكومة العثمانية الجديدة وبطيركية الأرمن في استانبول، بشأن ضرورة اتخاذ الإجراءات

1. No.333, Captain Dickson to Sir G.Lowther, Van, September 30, 1908, IN:(M.D.B.D.A), P.491.

٢. حول ضغط الأرمن على الاتحاديين بخصوص مشكلة عايدية أراضيهم مع الكرد، وعدم استجابة الحكومة العثمانية للمطالب الكردية ينظر:

-Dikran Mesrob Kaligian, Op.Cit., P.61-66; Fatih Ünal, Op.Cit., P.59-62.

3. Dikran Mesrob Kaligian, Op.Cit., P.59-60.

العاجلة من أجل دراسة أوضاع شمال كردستان، وإصلاحها، وإرسال الهيئات إلى مختلف أنحاء المنطقة^١، وقد نشرت الجمعية الكردية بياناً بهذا الشأن في العدد السابع من مجلة كرد الصادر في تاريخ ١٦ كانون الثاني ١٩٠٩، تحت عنوان (الكرد والأرمن) جاء فيها: "قامت جمعيتنا بتقديم تقرير إلى وزارة الداخلية، توضح فيه التدابير الواجب اتخاذها لتسوية وإصلاح الخلافات الموجودة بين الكرد والأرمن، الساكنين في الولايات جنباً إلى جنب، ولحل تلك الخلافات من أساسها، ومنتظر من الباب العالي أن ينظر بعين الاعتبار والاهتمام لوضع اقتراح التقرير موضع التنفيذ في أقرب وقت ممكن، وخاصة اهتمام وعناية سيادة الباشا وزير الداخلية، إن التقرير السابق الذكر ومضامينه سوف يؤمن سعادة وسرور كلا القوميتين بشكل آني، وحسن صداقتهما جنباً إلى جنب، ومن جانب آخر فإن تنفيذ ذلك هو من المطالب والأمان المهمة بالنسبة لإخواننا المواطنين من الأرمن"^٢.

لا تشير المصادر القريبة إلى فحوى هذا التقرير، الذي أرسلته الجمعية الكردية إلى الحكومة العثمانية والبطيركية الأرمنية، وربما يمثل هذا التقرير المحاولة الكردية الأولى أو الرأي الكردي الوحيد بخصوص مسار الإصلاحات في شمال كردستان، ولكن لم يتم العثور على هذا التقرير حتى الآن، ولا يشير أي مصدر تاريخي إلى ماهيته ومضمونه، الذي يبدو أنه على الأغلب لم يكن ليخرج من المقترحات الكردية حول كيفية حل مشكلة الأراضي، وربما تناول موضوع الفرسان الحميدية ومسائل أخرى لا تخرج عن هذا الإطار.

ولاستفحال مشكلة الأراضي في شمال كردستان وجه الشيخ عبد القادر النهري، رئيس الجمعية الكردية، في آذار ١٩٠٩، نداءً إلى الكرد في كردستان يوصي فيه بعدم استعداد الأرمن، أي: عدم محاربتهم نتيجة لهذه الظروف الناشئة بينهما^٣، كما قام بنفسه في خريف ١٩٠٩ بالسفر إلى منطقة شمدينان مسقط رأسه في كردستان، وشكل ما أطلق عليه الباحث ديفيد مكحول (المؤتمر الكردي الأرمني) وجاء في خطابه الذي ألقاه في هذا المؤتمر: "يجب أن نعيش كإخوة مع الأرمن، يجب علينا أن نعيد تلك

١. ماليسانز، القومية الكوردية ود. عبد الله جودت...، ص ٣٣.

٢. كردلر-ارمنيلر، مجلة كرد، العدد (٧)، ١٦ كانون الثاني ١٩٠٩، ص ٥٤.

3. Garo Sasuni, A.G.E., S.143.

الأراضي التي يطالبون بها، التي لم نرجعها بعد، سوف نعمل من أجل تمتين أسس التفاهم والانسجام فيما بين أبناء بلدنا العثمانيين"، ولكن يبدو أن سفره إلى كردستان وعمله في تقريب وجهات النظر بين الكرد والأرمن لم يلقَ استحساناً عند حكومة الاتحاديين التي قامت باعتقاله لدى عودته إلى استانبول^١.

بعد ذهاب اللجان المختصة والمتشكلة من الأتراك والأرمن إلى شمال كردستان لم تتمكن هذه اللجان ومن ورائها الحكومة العثمانية من العثور على أية سجلات تؤيد عائدية هذه الأراضي إلى الأرمن، لذلك حاول الطاشناقيون إقناع حكومة الاتحاديين أخذها بالقوة وطرد الكرد منها، ورغم استجابة الحكومة العثمانية لهم في مرات عدة، إلا أنها نصحت الأرمن في عام ١٩١٠ بان يتابعوا قضيتهم بصورة قانونية في المحاكم المدنية، وحوّلت مشكلة الأراضي إلى وزارة الداخلية العثمانية للبت في حلها^٢.

بدأت وزارة الداخلية بطلب تقارير مفصلة للمشتكين الأرمن، في الولايات التي تقع فيها هذه الأراضي المتنازع عليها، وبعد مفاوضات ومحاورات استغرقت بعض الوقت وتدقيق لتلك الشكاوى انتهت الوزارة من تحضير وثيقة هيأتها بناءً على ما وردهم من تقارير تخص هذا الموضوع، وقد جاء قرار وزارة الداخلية على النحو الآتي: "إن الأراضي التي يستعملها المهاجرون إليها بعد مغادرة الأرمن خلال عهد حكم عبد الحميد الثاني ستعود ملكيتها إلى أصحابها الحقيقيين طالما أن المشتكين قدموا دليلاً موثقاً به، وأن المهاجرين عليهم أن يجدوا لهم أماكن أخرى، وإذا كان المهاجر قد صرف بعض النفقات فإنه يجب تعويضه عن ذلك"، وحوّلت مشكلة الأراضي بناءً على توصيات وزارة الداخلية إلى المحاكم المدنية^٣.

كان الرد الأرمني حيال هذا القرار هو الاستنكار والرفض، وذكروا أن أغلب الذين للأرمن شكوى ضدّهم هم من المسؤولين ويعملون في الإدارة، أو من الذين لديهم معارف في الحكومة العثمانية، ويستطيعون التأثير على عمل هذه المحاكم، لذلك فإن هذه المحاكم لن تكون محايدة حسب اعتقادهم^٤، وعلق المكتب الغربي لحزب الطاشناق

١. ينظر، مؤلفه: المصدر السابق، ص ١٦٩؛ جرجيس فتح الله، يقظة الكرد: تاريخ سياسي ١٩٠٠-١٩٢٥، اربيل، ٢٠٠٢، ص ٦٣-٦٤.

2. Dikran Mesrob Kaligian, Op.Cit., P.62.

3. Fatih Ünal, Op.Cit., P.60.

4. Ibid.

في أوروبا على خطوة الاتحاديين هذه بالقول: "أُخْبِرَ الأرمن بأن يلجأوا إلى المحاكم، ولكن ليست لديهم أموال، وليست لديهم أية طريقة للحصول عليها، فكيف يمكن أن يذهبوا إلى المحكمة، وهم يعلمون عدم كفاءة المحاكم، التي ربما تأخذ سنوات طويلة لحسم النزاع؟! كما يذكر أن معظم العاملين في المحاكم هم من المرتشين، وهم لا حول لهم ولا قوة، وان باستطاعة الحكومة أن تتخذ إجراءً بهذا الشأن، وذلك من خلال ترتيبات إدارية، وينبغي القول هنا: إن القرار أن يترك إلى المحاكم يمثل قصر نظر وأمر خاطئ أيضاً..."^١.

من جانب آخر أثارت هذه القرارات غضب السكان والعشائر الكردية، حيث إنهم هناك يزرعون الأراضي ويحصدهونها منذ (١٧-١٨) عاماً، وإذا بهم تؤخذ منهم فجأة، مما شكل ضربة اقتصادية لهم، كما تسبب لهم أيضاً جرح في كبريائهم، وهكذا بدأت عمليات انقسام واسعة ومشاعر غضب، تفاقمت يوم بعد يوم ضد جمعية الاتحاد والترقي، فان قسماً منهم ترك الأراضي العثمانية، وبدأ يتوقع المساعدة من روسيا، وذلك بذهابهم كلاجئين في الأراضي الإيرانية التي تقع تحت نفوذ روسيا^٢.

عندما استولت جمعية الحرية والائتلاف على السلطة في استانبول، إثر إنقلاب على حكومة الاتحاديين في ٢١ تموز ١٩١٢، أبدت حكومة الائتلافيين التي لاقت دعماً من الكرد أيضاً استعدادها لحل مشكلة الأراضي وخلصت إلى الرأي القائل: انه لا بد من تعويض الكرد المرشحين عن تلك الأراضي لحل المشكلة، لذلك قاموا بإصدار قرار يتضمن تخصيص مبلغ قدره (١٠٠٠٠٠) ليرة تركية لتعويض المتضررين الكرد، إلا أن هذا القرار لم يدخل حيز التنفيذ بسبب الحرب البلقانية ١٩١٢-١٩١٣، وعودة جمعية الاتحاد والترقي إلى سدة الحكم في استانبول عقب انقلاب ٢٣ كانون الثاني ١٩١٣، نتيجة للخسارة الكبيرة للجيش العثماني في جبهة البلقان^٣.

لم تُحلّ مشكلة الأراضي بين الكرد والأرمن بعد ذلك، ليتم تداولها ضمن محاور وتشريعات الإصلاحات الأرمنية الثالثة في شمال كردستان، والتي سيأتي الحديث عنها لاحقاً.

1. Dikran Mesrob Kaligian, Op.Cit., P.63.

2. Fatih Ünal, Op.Cit., P.60-61

3. BENGI KÜMBÜL, A.G.E., S.48-49;

- م. س. لازاريف، المصدر السابق، ص ٢٩٤-٢٩٥ .

برزت أسماء كُردية عديدة وقفت ضد الإجراءات الحكومية والأرمنية لنزع تلك الأراضي من الكُرد، ومنهم على سبيل المثال النائب الكُردى عن ديار بكر في مجلس المبعوثان العثماني عزيز فيزي (١٨٧٩-١٩٣٣)، الذي كان يدخل في نقاشات ومجادلات حامية اللوطيس مع النواب الأرمن في مجلس المبعوثان، ويذكر أن نقاشاته مع النائب الأرمني فارتكيس كانت بارزة جداً في هذا المجال^١.

ولكن أبرز من يأتي اسمه في مسألة العقارات هو سعيد بيك، الذي كان يمتلك أراضي واسعة في ولاية وان، وحسب رسالة كتبت من قبله يفهم أنه كان يحتج على الحكومة العثمانية الجديدة، وذلك لتعاونها مع الأرمن، وأعرب بان الحرية التي وعدوا بها لم تكن للأرمن فقط، ويجب أن تكون للجميع، واعترض على قرارات الحكومة العثمانية بخصوص مشكلة الأراضي^٢.

شعر الكُرد لا سيما أفراد العشائر الكُردية أن الحكومة العثمانية وقفت إلى جانب الأرمن ضدّهم في مشكلة الأراضي، لذا عبر سعيد بك عن وجهة نظر تبناها كثيرون، كان تمرده نتيجة مباشرة لسياسة الحكومة العثمانية التي قضت بإعادة الأملاك المصادرة من المزارعين الأرمن، عندما جاء رجال الدرك إلى مقره في (ارجيك) قرب وان، ليأمره بإعادة الأراضي إلى الأرمن قاوم سعيد بك وقتل شرطيين، وبدلاً من انتظار العقاب هرب وأعلن تمرده على الدولة العثمانية، وقاد بنفسه مجموعة مسلحة مؤلفة من خمسين إلى سبعين رجلاً، وقاد عمليات عديدة ضد أهداف حكومية وأرمنية^٣، وفي رسالة منه موجهة إلى مجلس الأرمن في وان هدد بأنه سوف يقتل واحداً من الأرمن، عن كل حقل من حقوله إذا ما قاموا بأخذها بالقوة^٤، وبعد معارك عديدة مع الجيش العثماني والأرمن تمكّنت قوة من الجيش العثماني قتل سعيد بك، مع مجموعة من أتباعه في شمال غرب إيران قرب الحدود العثمانية في عام ١٩١٤^٥.

يبرئ أحمد ثريا بدرخان الكُرد في تقريره المقدم إلى مؤتمر السلام في باريس، السابق ذكره، من أية مسؤولية حول مشكلة الأراضي، التي استفحلت كثيراً بين الكُرد

1. ERDAL ILTER, Op.Cit., P.33-34.

2. Fatih Ünal, Op.Cit., P.67.

3. Justin McCarthy and others, Op.Cit., P.152-153.

4. Fatih Ünal, Op.Cit., P.68.

5. Ibid, P.69; Justin McCarthy and others, Op.Cit., P.153.

والأرمن في شمال كُردستان، بعد الانقلاب العثماني في عام ١٩٠٨، ويذكر بان تلك الأراضي كان الكُرد قد اشتروها من الحكومة العثمانية السابقة في عهد السلطان عبد الحميد الثاني، وان هذه الأراضي بعد أن هجرها الأرمن استولت عليها الدولة العثمانية، وصارت من ممتلكاتها؛ ثم قامت الحكومة العثمانية ببيعها إلى الكُرد، كما يتهم احمد ثريا بدرخان الروس أيضاً بأنهم كانوا وراء تأجيج هذا الصراع بين الكُرد والأرمن لأهداف سياسية عليا^١.

هنا لابد من التنويه إلى أن الحكومة العثمانية قد تعاملت مع مشكلة الأراضي بسياسة الكيل بمكيالين، فمن جهة دعمت الأرمن لاسترجاع أراضيهم، ومن جهة أخرى حاربت العوائل الكُردية التي كانت هي بدورها قد فقدت أراضي في عهد الحكومات العثمانية السابقة، وأبرز مثال على ذلك هو حسين بدرخان بك، فعند محاولته إرجاع بعض ممتلكات والده في جزيرة بوتان جوبه بمقاومة من الحكومة ضده، التي كانت تخاف من عودة النظام القديم، خاصة بعد اندحار إبراهيم باشا الملي في بداية العام ١٩٠٩.

يمكن القول بناءً على ما سبق أن أحد أهم أسباب معاداة الكُرد للحركة الدستورية (المشروطية) هو أنهم رأوا فيها تحالفاً بين الأتراك والأرمن لحكم كُردستان، وسحب البساط من تحت أقدامهم، وليس لأن الكُرد شعب غير متحضر ولا يعرف ماهية هذه الحركة^٢، فان الكُرد كباقي الأمم في الدولة العثمانية استبشرت بهذه الحركة، ويظهر هذا الأمر جلياً على صدر صفحات مجلة كُرد تعاون ترقى^٣، ولكنهم ما أن وجدوا انحياز الأتراك بصفقتهم أصحاب السلطة الحاكمة إلى الأرمن حتى أصابهم الشك في أمرها، وأثبتت أعمال الحكومة العثمانية الجديدة في كُردستان صدق شكوك الكُرد بخصوص الحركة المشروطية، وهذا ما ظهر واضحاً

1. KURDISTAN ou ARMENIE, Op.Cit., P.17-18.

2. Fatih Ünal, Op.Cit., P57-58.

٣. من المفيد ذكره هنا أن اثنين من مؤسسي جمعية الاتحاد والترقي العثمانية التي تأسست في العام ١٨٨٩، كانوا من الكُرد، وهما: (عبد الله جودت، واسحق سكوتي)، ينظر: أرنتست أ. رامزور،

المصدر السابق، ص ٥٠-٥١؛ عبد الله العلياوي، المصدر السابق، ص ١٨٧-١٨٨ .

٤. أكدت الجمعية الكُردية أن أحد أهدافها هو ضمان سلامة الدولة والحفاظ على الدستور. ينظر: جمعيتك بياننامهسى، المصدر السابق، ص ١-٢ .

في كتاب سعيد النورسي^١ المعنون (مناظرات أو رجطة [راجيت] العوام)، الذي طبع في استانبول عام ١٩١١. فبعد أن برأت المحاكم العثمانية سعيد النورسي من التهم الموجه إليه، بتهمة اشتراكه في حركة نيسان ١٩٠٩ الانقلابية، هاجر إلى كردستان وقام برحلة بين الكرد الرحالة المهرتوشيين (الارتوشيين) وبالتحديد بين أفخاذاها (كودان، ومامخوران، وهاجان) في ولاية وان، وقد اجتمع هناك بالعديد من رجال القبائل الكردية، وطرحوا عليه أسئلة بخصوص الدستور وجمعية الاتحاديين والأرمن، وقد طرح عليهم بدوره بعض الأسئلة، وبعد أن رجع إلى استانبول قام بطبع هذه المناقشات والحوارات في كتاب مستقل، كما مر، ومن خلال ما ورد فيها من طرح أسئلة من جانب رجال القبائل الكردية وأجوبة سعيد النورسي، يقرب الباحث والقارئ بشكل أفضل إلى الواقع الحقيقي في كردستان. فإن أبرز الأسئلة التي وجهت إلى النورسي، بعد أن شرح لهم محاسن الحرية والحركة المشروطية، كانت بخصوص الأرمن، حين قالوا له: "فحينئذ صدقنا أن الحرية حسنة، لكن حرية الأرمنيين شوهاء تحوُّجنا إلى التأمل، فما رأيك فيها؟" وكان جواب النورسي في جزأين، حيث أجابهم أولاً: "ما حريتهم إلا أن لا يظلموا أو لا يخل راحتهم، فهذا شرعي!.. وأما ما زاد: فإما تجاوز منهم مقابلة لتجاوزكم الوهمي، أو استفادة اغتتموها من جهالتكم"، أما الجزء الثاني من جوابه فجاء على الشكل الآتي: "لو كانت حريتهم كما تظنونها مضرّة بنا فلسنا معاشر المسلمين بخاسرين.. لأن الأرمنيين الذين بيننا لا يبلغون ثلاثة ملايين.. وغير المسلمين فينا لا يبلغون عشرة ملايين.. مع أن ملتنا وإخواننا الحقيقية مقدار ثلاثمائة

١. سعيد النورسي (١٨٧٦-١٩٦٠): يعد من أبرز علماء الدين الإسلامي الكرد في الدولة العثمانية، عمل في مجال التعليم الكردي، وله نشاطات سياسية عديدة لعل أبرزها اشتراكه في تأسيس جمعيتا (التعاون والترقي) و(التعاليم) الكرديتين، وهو الذي أسس حركة النور في تركيا. وما زال سعيد النورسي مثار جدل واسع بين المثقفين الكرد حول دوره في الحركة التحريرية الكردية. للمزيد، ينظر: آزاد سعيد سمو، سعيد النورسي: حركته ومشروعه الإصلاحية في تركيا ١٨٧٦-١٩٦٠، دمشق، ٢٠٠٨؛ عبد الله محمد علي العلياي، سعيد النورسي ودوره في الكوردايتي، مجلة جامعة السليمانية، العدد (٨)، قسم-B-، ٢٠٠١، ص ٢٣٨-٢٣٩.

٢. ينظر النص الكامل لهذا الكتاب بالعربية والتركية العثمانية في: بديع الزمان سعيد النورسي، آثار بديعية، استانبول، ١٩٩٩، ص ٤٩٠-٦٥٦. من الجدير بالتنويه هنا أننا على الرغم من وجود أخطاء لغوية عديدة في النصوص المقتبسة من كتاب سعيد النورسي فقد اقتبسنا تلك النصوص دون أية تغييرات حفاظاً على الأمانة العلمية.

مليون؛ وهم مقيدون بثلاثة قيود، أو بقيدين، أو بقيد ونصف تحت تضيق الاستبداد المعنوي وإسارة الأجانب..فما حرية غير المسلمين فينا إلا وهي مقدمة لحرية ملتنا فيهم..ورشوة معنوية لدفع ذلك الاستبداد المعنوي عليهم علينا..ومفتاح لتلك القيود في أعناقهم على أرجلنا..نعم حريتنا معاشر العثمانيين كشافة لطالغ أسيا الخبرة الخاوية الخالية..ومفتاح لبخت الإسلامية المنكشفة..وأساس لاتحاد الإسلام!^١.

لم يقف رجال القبائل الكُرد في إتحاف النورسي بأسئلة عن الأرمن عند هذا الحد، مما يضيف شعوراً على خوفهم من الدستور لأنهم رأوا فيه استعلاء الأرمن في كُردستان، ففي سؤال لهم "كيف نتساوى مع الأرمنيين؟" باعتبارهم غير مسلمين، أجابهم النورسي: "المساواة ليست في الفضيلة والشرف، بل في الحقوق..والملك والمسكين سيان في الحقوق!.. فيا للعجب! الشريعة التي نهت عن تعذيب النملة والتجاوز على حقها؛ كيف لا تحافظ على حقوق بني آدم، لا سيما أهل الذمة؟!..ألا تكفي لتصحيح ظنكم وتقويم اعوجاجكم محاكمة أمير المؤمنين علي (رض) مع يهودي فقير..ومرافعة فخركم صلاح الدين الأيوبي مع نصراني مسكين!"، وبعد شرح طويل لحقوق المسيحيين بين المسلمين (أهل الذمة)، يبدو أن الكُرد هناك لم يكونوا منزعجين من هذه المساواة بقدر ما كانت تمس كرامتهم في أن الأرمن، وحسب السؤال الآتي، كانوا يمنون على الكُرد بأنهم هم من انعم على الكُرد بالدستور والحرية، قال رجال القبائل للنورسي في سؤال بهذا الشأن: "حريتهم تشوشنا، لأنهم يتجاوزون الحدود، ويقولون مفتخرون: (إن الحرية والمشروطية بنتيجة سعينا) فنقع في اليأس"، أما جواب النورسي فكان على النحو الآتي: "أظن إن تجاوزهم الآن تشفي غيظ مما توهموا منكم من التجاوز الماضي، أو تصنع وتهديد في مقابلة ما يتخيلون منكم من تجاوز سيأتي، فخيالهم كوههم باطل، فان اطمأنوا وامنوا بعدم التجاوز؛ ثم كفروا بالعدالة فبقوة الحق نرغم أنوفهم. وأما قولهم نحن استحصلنا المشروطية فهو كذب... بل عسكرنا وجمعيتنا...هم الذين استحصلوها...وأما هدف مقصد الأرمنيين في الماضي، فما كان إلا البلك والمختارية وابن عم المختارية، اعني عدم المركزية السياسية، أما الآن فمن مئة منهم اتبعنا تسعون، وعشرتهم يهيمنون في أودية الظلمة الماضية"^٢.

١. المصدر نفسه، ص ٦٢٣-٦٢٤.

٢. المصدر نفسه، ص ٦٢٧-٦٢٨.

احتوى هذا الكتاب على أسئلة وأجوبة أخرى عديدة متعلقة بالأرمن في كُردستان، ما لهم وما عليهم، ولكن يظهر أن المسألة الأرمنية قد شغلت تفكير الكُرد في شمال كُردستان كثيراً، الذين وحسب سؤال رجال القبائل الكُردية يرون في أنهم، أي الأرمن، صاروا أصحاب الكلمة العليا في كُردستان بعد الانقلاب العثماني.

ومما يتعلق بسعيد النورسي والأرمن أيضاً، وما ورد عنه أثناء رحلته إلى دياربكر في خريف العام نفسه، أنه اجتمع بوجهاء المدينة ومتقفيها وتحدث إليهم وخطب فيهم، متخذاً جانب الحيطة في تأكيد ولائه للاتحاديين، عندما حض الكُرد على الوحدة وعلى دفن خلافاتهم: "كُردستان تعود للكُرد والأرمن وليس للترك، والوحدة هي من أعظم المهام في الوقت الحاضر، والحب والمودة هو الأصل والطبيعة الملازمة لتلك الوحدة، انه لمن الممكن إقناع غير المسلمين بأن وحدتنا تمثل هجوماً على أمراض ثلاثة: الجهل، والفقير، والشقاق".^١

ج- الإصلاحات الأرمنية الثالثة :

تسارعت عملية انحلال الدولة العثمانية في العهد الدستوري، فلم تمضِ إلا مدة قصيرة من عمرها حتى فقدت معظم ممتلكاتها الأوربية، ففي ٥ تشرين الأول ١٩٠٨ أعلنت بلغاريا استقلالها التام عن استانبول، وفي غضون ساعات أعلنت الإمبراطورية النمساوية-المجرية ضم البوسنة والهرسك إليها، وفي الوقت عينه أعلن الزعماء اليونانيون في جزيرة كريت انضمامهم إلى اليونان، وفي أيلول ١٩١١ قامت إيطاليا بغزو ولاية طرابلس في ليبيا؛ ثم أضيفت إلى هذه النكسات حروب البلقان لعامي ١٩١٢-١٩١٣، وبعد أن اضطرت الحكومة العثمانية على توقيع معاهدة بوخارست في ١٠ آب ١٩١٣ مع دول البلقان، كانت الدولة العثمانية قد فقدت (٣٢,٧٪) من أراضيها و(٢٠٪) من سكانها فأصبحت بشكل مختلف، ففي حلول عام ١٩١٣ خسر العثمانيون (٨٣٪) من الأراضي الأوربية، فليس من المفاجئ أن يكون لكل هذا الأمر تأثير واضح على معنويات قيادة جمعية الاتحاد والترقي من جهة، وعلى المشاعر القومية لمعظم الشعوب العثمانية الأخرى، لا سيما المسيحية منها مثل الأرمن.^٢

١. ديفيد مكدول، المصدر السابق، ص ١٦٩؛ جرجيس فتح الله، المصدر السابق، ص ٦٤.

2. GUENTER LEWY, Op.Cit., P.35.

لم تؤثر هذه الأحداث والوقائع على علاقات جمعية الاتحاد والترقي وحزب الطاشناق فقط، بل على مجمل الأوضاع في المنطقة بصورة عامة، فرغم أن تحالفهم استمر إلى بداية العام ١٩١٤، حيث بلغ عدد اللقاءات بين الجانبين حتى منتصف عام ١٩١١ أحد عشر اجتماعاً رسمياً، وكان هناك دائماً عدم ثقة تشوب مسيرة علاقة الجمعيتين، ومما يدل على عدم ثقة الأرمن بالحكومة الجديدة (الحكومة الدستورية) هي إشارة نائب القنصل البريطاني في وان النقيب دكسون في تقريره المؤرخ في ٣٠ أيلول ١٩٠٨، إلى أن الأرمن لم يكفوا عن سياستهم فيما يتعلق بتهرب الأسلحة سراً إلى عمق الأراضي العثمانية، رغم مضي شهرين على إعادة العمل بالدستور في الدولة العثمانية، وإعلان قادة الأحزاب الأرمنية إنهاء حرب العصابات ضدها^٢.

إن أول حادثة هزت تحالف الأرمن والأتراك هي المذابح التي حدثت للأرمن في أضنة خلال شهري آذار ونيسان ١٩٠٩، ففي هذه الواقعة ألقى كل طرف اللوم على الآخر، فمن جهة اتهم الأرمن الاتحاديين بأنهم هم من دبوا هذه المذابح التي راحت ضحيتها، حسب المصادر الأرمنية ما بين (٢٠٠٠٠) إلى (٢٥٠٠٠) شخص، ولكن الاتحاديين من جهتهم وجهوا اللوم إلى أنصار النظام القديم، نظام السلطان عبد الحميد الثاني، على أنهم هم من كانوا وراء هذه الحادثة المؤلمة، لبداية العهد الدستوري في الدولة العثمانية^٣، ولكن بعد مدة اتهم الاتحاديون في تقرير سري لهم عن مذابح أضنة الأرمن بأنهم هم من بدأوا باستفزاز المسلمين أولاً، وأن أولى عمليات القتل في هذه المدينة كانت ضحاياه من المسلمين، مما أدى إلى رد فعل قوي من جانبهم^٤. المهم في الأمر هو أن الاتحاديين بعد أن سيطروا على الحكم في استانبول في نيسان ١٩٠٩، وفشل الانقلاب المضاد، قاموا بمحاكمة العديد من الأتراك الذين اتهمتهم حكومة الاتحاديين

1. Dikran Mesrob Kaligian, Op.Cit., P.52.

2. Inclosure No.333, Captain Dickson to Sir G.Lowther, Van, September 30, 1908, IN: (M.D.B.D.A), P.493-495.

٣. للتفاصيل عن هذه المذابح وتأثيرها على علاقة الأرمن بالأتراك، ينظر:

-ARMAN J.KIRAKOSSIAN, British Diplomacy..., P.303-304; GUENTER LEWY, Op.Cit., P.35; HELEN DAVENPORT GIBBONS, THE RED RUGS OF TARSUS: A WOMAN'S RECORD OF THE ARMENIAN MASSACRE OF 1909, NEW YORK, 1917.

4. No.372,Turkey Annual Report 1913: Mr.Beaumont to sir Edward Grey, December 4, 1914, Asiatic Turkey, IN:(M.D.B.D.A), P.593-598.

الجديدة بالوقوف وراء أحداث أضنة، وأمرت بإعدام العديد منهم، كما أُقيل العديد من الموظفين من مناصبهم في الحكومة والإدارة، هذه الإجراءات من جانب حكومة الاتحاديين أقتعت الأرمن بضرورة الاستمرار في تحالفهم رغم بعض الأصوات المعارضة لهذا التحالف؛ لعدم جدواه^٢. كما أن أغلب الجمعيات السياسية والمعارضين السياسيين بعد الانقلاب المضاد لم يفلت من قبضة الاتحاديين سوى الأرمن، فقد أُغلقت جميع الجمعيات التي أسسها سياسيو الشعوب الأخرى ومثقفوها في الدولة العثمانية بعد الانقلاب العثماني في تموز ١٩٠٨، ودمجوا معظمها بجمعية الاتحاد والترقي، ومنها: الجمعية الكردية للتعاون والترقي، وأثبتت انتخابات عام ١٩١٢ ثبات هذا التحالف بين الأتراك والأرمن^٣.

كانت مشكلة الأراضى هي الأخرى أحد الأسباب التي أدت إلى تردي علاقة جمعية الاتحاد والترقي بالأرمن، فقد كان الأرمن يتوقعون من الحكومة العثمانية الجديدة طرد الكرد من تلك الأراضى التي تعود إليهم، حتى من دون إبراز أية مستمسكات قانونية من جانبهم، ولم تبخل حكومة الاتحاديين بطرد العديد من الإقطاعيين الكرد، وإرجاع مناطق وقرى عديدة إلى الأرمن-كما مر بنا سابقاً- رغم ذلك لم يكن الأرمن راضين عن ما حصلوا عليه. ومما زاد الطين بلة هو أن الأرمن حاولوا تحويل قضاء موش إلى منطقة ذات حكم ذاتي واقعة تحت سيطرتهم، واقتطاعها من ولاية بتليس، وهذا ما لم تنفذه حكومة الاتحاديين رغم إعطائها وعوداً بذلك^٤. فضلاً عن أن سياسة التجنيد العسكري جعلت الأرمن يفرون من هذه الحكومة، وكثيراً ما أشتكى الطرفان من التجنيد العسكري، فالأرمن كانوا يتهمون الحكومة بإتباع سياسة قاسية في تجنيدهم، والحكومة تتهم من جانبها الأرمن بالهروب من الخدمة العسكرية^٥.

تسارعت وتيرة الأحداث بين الطرفين المارين حتى عام ١٩١١ لتظهر خلافاتهما إلى

1. M.Kalman, Bati-Ermenistan..., S.80-82.

2. Dikran Mesrob Kaligian, Op.Cit., P.43-48.

٣. ديفيد مكدول، المصدر السابق، ص ١٦٣؛

-GUENTER LEWY, Op.Cit., P.34-35.

4. Dikran Mesrob Kaligian, Op.Cit., P.68.

5. Hikmet ÖZDEMİR, Ermenilerin Uyrukluk Sorunu İçinde: 80. YILINDA 2003 PEN-CERESINDEN LOZAN SEMPOZYUMU, ANKARA, 2005, S.102-103.

العلن، فمن جهة قامت بعض الصحف الأرمنية بنشر مقالات، لأول مرة بعد الانقلاب العثماني، تهاجم الأتراك وتطالب بالحكم الذاتي لهم، مما اغضب الأتراك كثيراً وتخوف القناصل الأجانب في كُردستان من أن أي عمل مثل هذا ربما يؤدي إلى وقوع حرب في المنطقة لا تحمد عقباها^١، ومن جهة أخرى خرج بعض الاتحاديين عن سياسة المهادنة والتحالف مع الأرمن، وقاموا بمهاجمتهم في العلن، وإن أية سياسة تتبعها الحكومة لصالحهم لا تلاقى القبول منهم ويطالبون بالمزيد، ومن هؤلاء الاتحاديين الذين هاجموا الأرمن هو المشير عثمان باشا قائد الفيلق الرابع العثماني ومفتش الولايات الشرقية العام، حيث كان قد ألقى خطاباً في موش في آب ١٩١١ هاجم فيه الأرمن، ودافع عن حقوق الكُرد في تملك تلك الأراضي التي يدعي بها الأرمن حسب قوله، وقد أثارت خطبته ضجة سياسية كبيرة، وتبرأ الاتحاديون على الفور من خطابه، وهاجموه على صدر أغلب صفحاتهم^٢.

ولكن رغم ذلك استمر التحالف بين الطرفين، فعندما جرت انتخابات جديدة لمجلس المبعوثان العثماني في ربيع عام ١٩١٢، دخل الأرمن والاتحاديون في تحالف ثنائي، وحصل الأرمن على تسعة مقاعد في المجلس الجديد، اثنان منهم ينتمون إلى لجنة الاتحاد والترقي، وثلاثة من الطاشناق، والبقية كانوا من المستقلين^٣.

ازداد التوتر بين الأتراك والأرمن في أعقاب حروب البلقان (١٩١٢-١٩١٣)، ويقال إن الأرمن الأتراك كانوا قد خدموا بإخلاص في صفوف الجيش العثماني، إلا أن الحكومة العثمانية لم تغفل عن حقيقة أن واحداً من أهم القادة الأرمن، وهو انترانك باشا قد نقل إلى بلغاريا، حيث أخذ ينظم مجموعة من المتطوعين للقتال جنباً إلى جنب مع البلغاريين ضد الأتراك^٤.

أثر الاندحار الكبير لجيوش الدولة العثمانية في البلقان أواخر عام ١٩١٢، وفقدانها

1. No.347, Sir G.Lowther to Sir Edward Grey, Constantinople, October 4, 1911, IN: (M.D.B.D.A), P.541-543.

٢. ينظر نص هذه الخطبة في الملحق رقم (٦). من المهم القول هنا أن مشير باشا قد تعرض لانتقاد شديد من جانب بعض زعماء الاتحاديين على خلفية نشر خطابه هذا، ومنهم مثلاً: جلال نوري بك ينظر:الكسندر كشيشيان، المصدر السابق، ص٧٨ .

3. DAVID GAUNT, Op.Cit, P.40.

4. GUENTER LEWY, Op.Cit, P.36.

معظم ممتلكاتها الأوربية سوى استانبول وشبه جزيرة غاليبولي ومدينة أدرنه التي بقيت بيدها^١ بدأ الأرمن في كافة أرجاء الأناضول، يفكرون ملياً في تغيير تحالفهم مع الأتراك والتوجه نحو الغرب من جديد، هنا بدأت المسألة الأرمنية تطفو على الساحة السياسية الدولية من جديد^٢، وعلق كارو ساسوني على توجهات السياسة الأرمنية عقب حرب البلقان بأنها عادت إلى نفس السياسة الأرمنية القديمة التي اتبعوها في التسعينات^٣، وهي: خلق وضع متوتر في شمال كردستان، يؤدي إلى حرب بين سكانها لكي تهيء حجة للدول الأوربية الكبرى للتدخل عسكرياً في شمال كردستان، وتكوين كيان أرمني هناك.

دخلت معظم شمال كردستان في بداية العام ١٩١٣ في ما يمكن تسميته (انفلات أرمني، وفوضى عارمة)، غابت فيها أي هيئة للسلطات العسكرية والإدارية العثمانية؛ وبدأ رجال السياسة والصحفيين يتسألون فيما إذا كانت تركيا الأسيوية ستحافظ على وحدتها، كما انتشرت شائعات في بداية العام ١٩١٣ بأن تقسيم الأناضول بات مسألة وقت ليس أكثر^٤. وقد رأى الأرمن نتيجة حرب البلقان مثلاً للقتال والنضال من أجل الحرية، وأن ذلك يعد فرصة للعمل، وقد زادت تحركاتهم، وظهرت جرائدهم مرة أخرى في أوروبا وأمريكا إلى النقد والتحريض، وتمني النفس، كما أرسل الأرمن في اليابان طلبات إلى محكمة لاهاي^٥ من أجل التدخل لصالح المسألة الأرمنية في الدولة العثمانية، كما نشرت العديد من المقالات في الجرائد المشهورة في الولايات المتحدة الأمريكية، تحرض على يقظة الرأي العام العالمي من أجل الإصلاح في (أرمينيا الغربية)، وطالبت

١. للتفاصيل عن حرب البلقان وتأثيرها على الدولة العثمانية، ينظر: فيروز احمد، الحرب والمجتمع تحت حكم الأتراك الشباب ١٩٠٨-١٩١٨، في: ألبرت حوراني وآخرون، الشرق الأوسط الحديث، الجزء الأول: طلائع الإصلاح وتبدل العلاقات مع أوروبا ١٧٨٩-١٩١٨، ترجمة: اسعد صقر، دمشق، ١٩٩٦، ص ١٥٩-١٧٨.

2. Roderic H.Davison, Op.Cit., P.483-485; SAMUEL M.ZWEMER, Op.Cit., P.344-346.

3. Garo Sasuni, A.G.E., S.145.

4. SALAHI SONYEL, THE GREAT WAR..., P.72-74.

٥. محكمة لاهاي: كان تأسيس هذه المحكمة من احد انجازات مؤتمر لاهاي في هولندا، الذي كان قد عقد في عام ١٨٩٩، لبحث مسألة سباق التسلح الأوربي، وقرر مؤتمر لاهاي إقامة هذه المحكمة بصورة دائمية للتحكيم، تضم في عضويتها عدداً كبيراً من الخبراء القانونيين العالمين. ينظر: عبدالوهاب الكيالي وآخرون، موسوعة السياسة، ج ٥، ط ٣، بيروت، ١٩٩٠، ص ٣٩٨.

الجالية الأرمنية في باريس في عريضة مقدمة إلى رئاسة الجمهورية الفرنسية بإيجاد حل لمشكلاتهم في تركيا، كما وصلوا إلى السفارة البريطانية في استانبول وطلبوا من السياسة البريطانيين في الدولة العثمانية ضمانات للإصلاح طبقاً لمعاهدة برلين^١.

أما الأرمن في القوقاز فقد هاجوا أيضاً للمطالبة بتدخل روسي ضد العثمانيين^٢، وقاد الحملة الأرمنية فيها وكيل البطريركية الأرمنية في اتشميادزين (بوغوص نوبار باشا - Boghos Nubar Pasha) (١٨٥١-١٩٣٠)، حيث فوضته الأحزاب الأرمنية في مؤتمر تفليس الذي عقد في تشرين الأول ١٩١٢، للعمل من أجل إعادة إحياء الإصلاحات الأرمنية، ومحاولة كسب الرأي العام الغربي إلى جانب مسألتهم من جديد، وقد سافر إلى لندن في كانون الأول ١٩١٢ لمحاولة التأثير في مقررات مؤتمر لندن، الذي عقد في ١٧/١٢/١٩١٢ لبحث تسويات الأزمة البلقانية^٣، وقد انشغل بوغوص باشا طوال عام ١٩١٣ في أوروبا لإحياء الإصلاحات الأرمنية، وقد ذكر حينها بان الأرمن لا يرغبون في الانفصال عن الدولة العثمانية، ولا يريدون احتلالاً روسياً، وإنما يطالبون فقط بالإصلاحات في مناطقهم^٤.

بادرت روسيا بسرعة إلى محاولة احتواء التحركات الأرمنية في الدولة العثمانية، وكانت أكبر مخاوفها تأثر الأرمن في القوقاز بتلك التطورات الحاصلة هناك، وباركت الحكومة الروسية أعمال بوغوص باشا في هذا المجال^٥، ويقال إن السياسة الروس كانوا قد وعدوا بوغوص باشا بتعيينه حاكماً على الإقليم الأرمني في الدولة العثمانية إن تكلفت مساعيه بالنجاح^٦. كما أرادت روسيا كذلك الحفاظ على مصالحها في شمال كردستان وعلى السواحل الجنوبية للبحر الأسود، وقامت بتتبيه استانبول عدة مرات بأن ليس لها الحق أن تمنح حق امتياز لسكك الحديد، أو أي امتياز من نوع آخر، قرب حدودها في الأناضول إلا بعد ضمان موافقتها، ولم تكن روسيا قادرة على الدخول

1. Roderic H.Davison, Op.Cit., P.485-486.

2. GUENTER LEWY, Op.Cit., P.36.

3. Fatih Ünal, Op.Cit., P.70-71; Justin McCarthy and others, Op.Cit., P.146.

4. ZEKERIYA TURKMEN, VILAYAT-I SARKIYE (DOGU ANADOLU VILAYETLERI) ISLAHAT MUFETTISLIGI 1913-1914, ANKARA, 2006, S.79 -80; Roderic H.Davison, Op.Cit., P.490.

5. Roderic H.Davison, Op.Cit., P.488-497.

6. ZEKERIYA TURKMEN, A.G.E., S.138-140.

عسكرياً في الأناضول؛ لوجود ألمانيا التي ازدادت مصالحتها في هذه المنطقة، لذلك كانت السياسة الروسية في المدة ١٩١٢-١٩١٤ في الأناضول هي: ضمان منطقة نفوذ في الأناضول في حال تجزئة الدولة العثمانية^١.

مهد وزير الخارجية الروسية (سازانوف-Sazonov) لإحياء الإصلاحات الأرمنية في شمال كردستان عبر طريقين، الأول: تهديد الدولة العثمانية عن طريق (كايرز-Giers) سفير روسيا في استانبول، بضرورة وقف الاعتداءات الكردية على الأرمن، كما لوح بالتدخل عسكرياً إن استمر الوضع على حاله، ثانياً: طرح إحياء الإصلاحات الأرمنية طبقاً لأحكام المادة (٦١) من مؤتمر برلين، على دول الوفاق الثلاثي (روسيا، بريطانيا، وفرنسا)^٢، ومحاولة الحصول على دعمهما قبل الإقدام على تنفيذه^٣. لم يتم تداول المسألة الأرمنية في مؤتمر لندن في شهر كانون الأول ١٩١٢، وقررت الدول الثلاث (روسيا، وبريطانيا، وفرنسا)، بناءً على الاقتراح الروسي تفويض سفرائها في استانبول لبحث هذه المسألة، دون إشراك أية دولة أخرى، حتى الدولة العثمانية نفسها لم يسمح لها بالاشتراك في مؤتمر السفراء الثلاث، الذي عقد في استانبول في ٨ كانون الثاني ١٩١٣، واستمر إلى يوم (٢٣) من الشهر نفسه^٤.

قدم السفير الروسي مشروع الإصلاحات الأرمنية إلى سفيرى بريطانيا وفرنسا، وكان المشروع الروسي للإصلاح قد وضعه المحامي المشهور والمترجم الأول في السفارة الروسية في استانبول (ماندلستام-Mandelstam)، وقد احتوى المشروع الروسي للإصلاح على (٢٢) مادة، وقد سمي بـ(مشروع الإصلاحات الأرمنية)، نصت المادة الأولى منه على تشكيل ولاية أرمنية من الولايات الستة (ارضروم، وان، بتليس، دياربكر، خربوط، سيواس)، وجاء في مادته الثانية: "ينبغي أن يكون الحاكم العام

١. للتفاصيل عن السياسة الروسية تجاه المسألة الأرمنية خلال أعوام ١٩١٢-١٩١٤، ينظر:

-Roderic H.Davison, Op.Cit., P.485-497.

٢. تكون هذا الحلف في عام ١٩٠٧ لمواجهة التحالف الثلاثي المتكون من (ألمانيا، وإمبراطورية النمسا-المجر، وإيطاليا)، وان جذور هذين الحلفين يمتدان إلى الربع الأخير من القرن التاسع عشر، وقد اندلعت الحرب العالمية الأولى بالأساس بين هذين الحلفين أو المعسكرين. للتفاصيل، ينظر: بيير رونوثن، المصدر السابق، ص ١٣-٢٧؛ هـ. أ. ل. فيشر، المصدر السابق، ص ٤٢٣-٤٤٠.

3. Roderic H.Davison, Op.Cit., P490; ZEKERIYA TURKMEN, A.G.E., S.135-136.

4. Fatih Ünal, Op.Cit., P71-72; A.O.SARKISSIAN, Op.Cit., P.109-111.

لولاية أرمينيا من الرعايا المسيحيين العثمانيين، ويحسن أن يكون أوربياً يعينه جلالة السلطان لمدة خمسة أعوام، وتقره الدول العظمى"، أما المادة الخامسة فقد جاء فيها: "يتساوى عدد الأعضاء المسلمين والمسيحيين في مجلس الولاية"، أما القوة العسكرية والشرطة التي يجب تشكيلها لحماية هذه الولاية فقد تناولتها المادة الحادية عشر وجاء فيها: "تؤلف قوة من الشرطة والجنדרمة في الولاية ويكون نصف المجندين من الأهالي المسلمين والمسيحيين"، وتناولت المادة الثانية عشرة موضوع الفرسان الحميدية حيث ذكرت: "يؤدي المجندون الذين هم من أهالي الولاية خدمتهم العسكرية في الولاية في زمن السلم، وتحل كوكبة الفرسان الخفيفة الكرديّة (حميدية سابقاً)". أما ما يخص مشكلة الأراضي فقد جاء ذكرها ضمن المادة السابعة عشر على النحو الآتي: "تضع لجنة برئاسة الحاكم العام الشروط التي تعاد بمقتضاها الأراضي، التي انتزعت من الأرمن بلا حق، أو يعوضون عنها إما بأراض أخرى، أو بثمنها"^١.

لم تعارض كل من بريطانيا وفرنسا مشروع الإصلاحات الأرمنية التي قدمتها السفارة الروسية، سوى إبداء بعض الملاحظات التي لا تؤثر على جوهر المشروع، فبريطانيا كانت قد وافقت على التخلي عن نفوذها في شمال كردستان ومعظم أرجاء الأناضول وتركها لروسيا، بعد أن دخل الطرفان في حلف مشترك ضد ألمانيا منذ عام ١٩٠٧، أما فرنسا فقبلتها على شرط عدم المساس بحقوقها ومصالحها الاقتصادية في تلك الولاية الجديدة^٢. وكاد السفراء الثلاثة أن يوقعوا على مسودة مشروع الإصلاحات الأرمنية، إلا أن دخول ألمانيا في المسألة، ومجيء الاتحاديين مرة أخرى إلى السلطة اثر انقلاب ٢٣ كانون الثاني ١٩١٣، أجبر السفراء على تأجيل الموضوع لحين الوصول إلى حل يرضي جميع الأطراف^٣.

كان الرد الألماني تجاه مساعي السياسة الروسية في المنطقة رداً قوياً فقد أعلن

١. ينظر النص الكامل لمشروع (الإصلاحات الأرمنية) التي تقدم به ماندلستام في: جمال باشا السفاح (مذكرات)، ترجمة: علي احمد سليمان شكري، تحقيق: عبد المجيد محمود خالد، بيروت، ٢٠٠٤، ص ٣٢٣-٣٣٤.

2. Roderic H.Davison, Op.Cit., P.490-492; ARMAN J.KIRAKOSSIAN, British Diplomacy..., P.308-312.

3. Roderic H.Davison, Op.Cit., P.491;

- فيروز احمد، المصدر السابق، ص ١٦٦-١٦٧.

(زميرمان-Zimmerman) المسؤول في الدائرة الخارجية الألمانية أن مصالح ألمانيا تتطلب أن تُستشار بشأن الأناضول، ويعد خط سكة حديد بغداد هو اهتمامها الأول في المنطقة، هذا إذا ما علمنا أن ألمانيا كانت تعد في تلك المدة الشريك الأقوى والأقرب إلى الدولة العثمانية، ومنذ أواخر شهر كانون الثاني ١٩١٣ بدأت الدبلوماسية الألمانية عن طريق سفيرها في استانبول (فانكنهيم-Wangenheim) تعبر عن مخاوفها وتهدد وتعترض " وفي بعض الأوقات كانت تقاريره رائعة، حيث ذكر أن الروس كانوا يسلمون الكرد للهجوم على الأرمن، وفي تقارير أخرى يذكر شيئاً مختلفاً، وهو أن الروس يشجعون الكرد والأرمن على التحالف وإعلان التمرد...^١. كما اتخذت ألمانيا المسألة الكردية حجة قوية لها للوقوف بوجه المشروع الروسي، ففي الحديث الذي أجراه فون ياغوف سكرتير وزارة الخارجية الألمانية، مع س.ن.سفيربييف السفير الروسي، قال معبراً عن موقف حكومته الراض لمشروع الإصلاحات الأرمنية، ومصرحاً بأن الأرمن سيتصرفون تصرف المتحدي، عندما قال: " إن على الدول الكبرى أن لا تنسى عند دفاعها عن الأرمن مصالح الأكراد أيضاً"^٢.

حاولت الحكومة العثمانية من جانبها استغلال هذا الخلاف بين الدول الكبرى، وقدمت مشروعاً للإصلاح في نيسان ١٩١٣، وطلبت من بريطانيا الإشراف عليه إلا أن بريطانيا لم تقبل بهذا العرض العثماني دون الحصول على الموافقة الروسية، وهذا ما لم تستطع الحكومة العثمانية أن تضمنه، لذلك فشلت المساعي التركية وترك الأمر مرة أخرى للدول الكبرى، لكي تناقشه في مؤتمر لندن الذي عُقد في ٣٠ أيار ١٩١٣، لبحث تطورات الأزمة البلقانية^٣.

أسند مؤتمر لندن إلى سفراء الدول الأوربية الستة في استانبول، الذين كانوا قد شاركوا في مؤتمر برلين وهي(روسيا، وبريطانيا، وفرنسا، وألمانيا، وإمبراطورية النمسا-المجر، وإيطاليا)، موضوع البت في أمر الإصلاحات الأرمنية، قام السفراء الستة بدورهم بتشكيل لجنة لدراسة المشروع الروسي، ولم يتم التوصل طيلة صيف ١٩١٣ إلى نتيجة ملموسة وذلك بسبب الخلافات الروسية

1. Roderic H.Davison.Op.Cit., P.491

٢. نقلاً عن: م. س. لازاريف، المصدر السابق، ص ٣٥٥ .

3. BENGI KÜMBÜL, A.G.E., S.49.

الألمانية^١. فقد واجه المشروع الروسي للإصلاح مقاومة عنيفة على لسان المندوب الألماني يسانده زميلهم النمساوي، وقد أظهر الاثنان تحمساً شديداً لصالح السيادة التركية المهددة، حسب رأيهم بالمشروع الروسي، ولم تتوصل اللجنة إلى نتيجة ملموسة، وكان الهدف الألماني وراء هذه المعارضة هو ضمان مصالحها في الأناضول، وبدأت سفارة روسيا وألمانيا بوضع برنامج إصلاحات مخفضة يكون موضع قبول لدى الجميع^٢. وبالنسبة للباب العالي فقد عارض البرنامج المخفض أيضاً، وبعد عراقيل طويلة رضخت الحكومة العثمانية إلى واقع الأمر، بعد اتفاق روسيا وألمانيا على مشروع الإصلاحات المخفضة، واتفق الطرفان على النص النهائي لمشروع الإصلاحات الأرمنية في ١٩١٤/٢/٨ فقد وقعه الممثل الروسي (جلكيفتش-Gulkevitch) ممثلاً للدول الستة، والصدر الأعظم سعيد حلمي باشا عن الحكومة العثمانية^٣.

وحسب المشروع الجديد فقد قُسمت ولايات شرق الأناضول وشمال كردستان إلى إقليمين، على أن يُعيّن مفتشين أوربيين على رأس هذين الإقليمين، وبصلاحيات عامة

1. Justin McCarthy and others, Op.Cit., P. 146-147.

٢. من المفيد القول هنا أن نائب القنصل الفرنسي في وان، زارزكي قدم من جانبه إلى سفارة بلاده في استانبول عدة فرضيات بخصوص علاقة الكرد بالأرمن، وسياسة الإصلاحات في شمال كردستان، بتاريخ ١٩١٣/١٠/١١، في تقريره المعنون (المسألة الكردية الأرمنية في قرى وان وبتليس)، أما هذه الفرضيات فتتلخص، ب: ١- منح حكم ذاتي كردي أرمني. ولكنه يعقب بعد ذلك باستحالة تطبيق هذا الأمر، لانقسام الكرد والأرمن، وعدم اتفاقهم فيما بينهم، لذلك من المستبعد نجاح مثل هذا الحكم. ٢- منح حكم ذاتي للكرد وللأرمن بشكل منفصل. ولكن زارزكي أقر بصعوبة هذا الحل أيضاً، لاختلاط الكرد والأرمن في المناطق التي يسكنونها، وصعوبة الفصل بين الشعبين، وربما سيؤدي مثل هذا الحل إلى مشاكل كبيرة في المستقبل. ٣- تطبيق تركيا للإصلاحات. ٤- احتلال الروس للمحافظات الشرقية لآسيا الصغرى.

وحين استبعد نائب القنصل الفرنسي زارزكي الفرضيتين الأولى، والثانية، ذكر أن الدول الأوروبية إذا لم تحاول فرض الإصلاحات من جديد على المنطقة، ويفضل أن تكون تحت إشراف أوربي، فإن المنطقة برمتها لا محالة ستقع تحت الاحتلال الروسي، وهذا الأمر سيؤثر على المصالح الفرنسية في آسيا الصغرى. ينظر:

- No.20, M. Zarzecki Voce-Consul de France à Van, à M.Pichon M.A.E, Van, Le Octobre 1913, Le: HASAN DILAN, FRANSIZ DIPLOMATIK BELGELERINDE ERMENI OLAYLARI 1914-1918- LES EVENEMENTS ARMENIENS DANS LES DOCUMENTS DIPLOMATIQUES FRANÇAIS 1914-1918, VOL: II, ANKARA, 2005, P.22-29.

3. André Mandelstam, La Société des Nations..., GUENTER LEWY, Op.Cit., P.37-38.

وواسعة، وشمل الإقليم (أ) ولايات (ارضروم، وطرابزون، وسيواس)، أما الإقليم (ب) فضم ولايات (وان، وبتليس، وخربوط، ودياربكر)، حيث يقوم كل مفتش منهما بإدارة أحد الإقليمين، ويكون مسؤولاً عن إدارة المنطقة مدنياً وعسكرياً، ومن أجل الحفاظ على الأمن وتطبيق مهامه، فباستطاعته طلب تعيين قوة إضافية في أية منطقة يرى أنها بحاجة إلى ذلك، وتكون القوات العسكرية والشرطة تحت إمرته، وبإمكانه عزل أي موظف من موقعه أيّاً كان، إذا كان غير مؤهلاً لإشغال ذلك الموقع، أو كان مقصراً في أداء واجباته، وبإمكانه أيضاً تعيين وتبديل الموظفين الصغار، أما بالنسبة للموظفين الكبار فتعينهم استانبول، ولكنه يستطيع إبداء الرأي والمميزات التي يجب توفرها في الشخص المختار للوظائف المهمة، ويستطيع عزل موظفي القضاء والمحاكم أيضاً، ولكن بعد تبليغ وزارة العدل بذلك، التي عليها الرد على المفتش العام بأقصى سرعة ممكنة، والأوامر والتبليغات تنشر باللغات الثلاث (التركية، والأرمنية، والكردية)^١، كما انه لم يكن هناك أي ذكر لكلمة (أرمينيا) أو (أرمن) في المشروع الجديد^٢.

أما بخصوص الفرسان الحميدية فقد أخذت حيزاً كبيراً في المشروع الجديد، واتفق الموقعون بشأنها على أن: "تحول كتائب الحميدية إلى قوة احتياط، وتبقي أسلحتها في المستودعات الحربية، ولا تصرف إلا في وقت التعبئة أو المناورات، وتكون الكتائب تحت قيادة القائد الموجود في الإقليم، وفي زمن السلم ينتخب قادة الكتائب، والفصائل، والسرايا، من الضباط العاملين في الجيش العثماني الشاهاني، ويقضي رجال هذه الكتائب عاماً واحداً في الخدمة العسكرية، وعليهم أن يأتوا إلى الكتيبة بخيلهم وسروجهم تامة، وكل رجل بقطع النظر عن نسبه ودينه، يكون في دائرة التجنيد هذه وتتوافر فيه الشروط السابقة، يمكن الحاقه بالكتائب السالفة الذكر، وفي زمن الحرب والمناورات يعاملون معاملة الجنود النظاميين"^٣.

وقد وضع قانون آلية اختيار مجالس المحافظات وصلاحياتها منذ ١٣ آذار ١٩١٣، حسب مبادئ المشاريع التي فرضتها الدول الغربية على الدولة العثمانية، وبحسبها يُجرى تعداد سكاني في كلتا المنطقتين، وبإشراف المفتش العام شخصياً، وان لا تتأخر

1. Halil Metin, A.G.E., S.80-81.

2. GUENTER LEWY, Op.Cit., P.38.

٣. نقلاً عن: جمال باشا السفاح، المصدر السابق، ص ٣٣٧.

عملية الإحصاء سنة كحد أقصى، ثم تحدد نفوس السكان، ودياناتهم، وقومياتهم، ولغاتهم، وبالاعتماد على هذه العملية تُشكل المجالس والإدارات المحلية. فمثلاً المجلس العام في ولايتي بتليس ووان، وحسب المشروع الجديد سوف يتشكلان مناصفة ما بين المسلمين والمسيحيين، وإذا لم تنته عملية الإحصاء في ولاية أرضروم خلال سنة عند ذلك فسيعتمد مشاركة جميع القوميات في تعيينات المجلس العام للمدينة^١.

اتفق كلا الطرفين الأوروبيون والدولة العثمانية على ضرورة تعيين مفتشين أوروبيين على الإقليمين المذكورين، على أن لا يكونا من الدول الأوربية الكبرى، لذلك عُيّن الموظف المدني الهولندي (أل. سي. ويستنينك-Westenenk .L.C) في منصب المفتش العام لإقليم (أ) التي تضم الولايات (أرضروم، وطرابزون، وسيواس)، واختير الضابط النرويجي (نيكولاس هوف-Nikolas Hoff) لمنصب المفتش العام لإقليم (ب) الذي كان يضم ولايات (وان، وبتليس، ودياريكر، وخربوط)^٢. سافر المفتشون إلى استانبول في أواخر شهر نيسان ١٩١٤، لدراسة المسألة عن قرب قبل استلام مهام عملهما، وفي بداية الصيف من العام نفسه وصل هوف إلى مدينة وان، ورحب به (الفدائي) الأرمني المشهور أشخان بالقول له: "أنت المسيح الذي انتظرناه طوال السنوات الخمس أو الست الماضية"^٣، وكان ويستنينك على وشك المغادرة نحو أرضروم، ولكن في ٢٨ حزيران اغتيل ولي عهد النمسا فرانسيس فرديناند في سراييفو، فأدى هذا الحادث إلى إشعال فتيل الحرب العالمية الأولى^٤، ففي ١ آب أعلنت ألمانيا الحرب على روسيا، وفي الشهر نفسه أعلنت الدولة العثمانية التعبئة العامة في البلاد، بعد ذلك مباشرة طردت المفتشين ويستنيك وهوف، وفي ٣١ كانون الأول ١٩١٤، وبعد أن دخلت الدولة العثمانية الحرب إلى جانب ألمانيا اتخذت مبادرة أحادية الجانب وهي قيامها بإلغاء مفتشيات الإصلاح^٥.

1. Halil Metin, A.G.E., S.81.

2. V.Yeghiayan ve L.Fermanian, RAFAEL LEMKIN'in Ermeni Soykiriimi Dosyasi, Türkcesi: Ali Çakiroglu, Istanbul, 2009, S.31; GUENTER LEWY, Op.Cit., P.38.

3. Justin McCarthy and others, Op.Cit., P.166-167.

4. GUENTER LEWY, Op.Cit., P.38.

5. Ibid; Justin McCarthy and others, Op.Cit., P.167.

ثانياً- الوضع في شمال كردستان ورد الفعل الكردي ١٩١٢-١٩١٤

أ- السياسة الأرمنية :

تأثر الكرد بالوضع الناشئ في شمال كردستان نتيجة لحرب البلقان وللتحركات الأرمنية، وكذلك لتأزم العلاقات التركية والأرمنية، ولظهور بوادر في تغيير سياسة الأتراك تجاه الكرد والعودة إلى نفس سياسة السلطان عبد الحميد الثاني القديمة، كل هذه المتغيرات نشأت في شمال كردستان نتيجة لوصول الأرمن إلى قناعة، بعد ما أفضت إليه حرب البلقان، أن حصولهم على نوع من الحكم الذاتي تحت الحكم التركي هو ضرب من المستحيل، لذلك فإن الفرصة سانحة أمامهم لجلب أنظار الدول الكبرى إلى مسألتهم التي بدون دعمها لن يتمكنوا من الحصول على هذا الاستقلال.

أشارت تقارير القنصليات الأجنبية في شمال كردستان إلى وجود تغيير في سياسة الأرمن، وظهور بوادر معارضة أرمنية ضد الأتراك لأول مرة بعد الانقلاب العثماني في تموز ١٩٠٨، حيث ألقى القنصل الروسي في بتليس (تاشاراكوف) في تقريره الدقيق والمطول، بتاريخ ٢٤/١٢/١٩١٢، الضوء على تأثير حرب البلقان على مجمل الأوضاع في شمال كردستان، وكيف أن هذه الحرب قد أدت إلى تغيير موقف الأرمن من الأتراك؟ فيذكر تاشاراكوف انه لا يمكن نكران تأثير حرب البلقان على المنطقة، حيث ولد عند المسلمين في بتليس شعور بالاشمئزاز والنفور، ليس فقط ضد السلافيين وإنما ضد المسيحيين بشكل عام، كما أدى ذلك إلى إثارة الأرمن، وجدد لديهم الأمل بمستقبل أفضل خارج نطاق الهيمنة التركية. إن هذه المعلومات والدعايات التي نشرها الأرمن حول احتلال روسيا لـ: وان، وبتليس، وأرضروم، أدت إلى وقوع أحداث كبيرة بين الأرمن والأتراك، وبدأ واضحاً أن الأرمن سيكونون ضحية لخسائر الدولة العثمانية في البلقان، وقد وصل العداء التركي الأرمني إلى مرحلة خطيرة جداً عندما وصلت أخبار قرب دخول البلغار إلى العاصمة استانبول، ولذلك لم يكن المسلمون هنا ليستطيعوا من احتواء غضبهم على المسيحيين، في حين لوحظ عند الأرمن شعور بعدم الاكتراث، كما

أن هؤلاء الأرمن "حسب ما سمعنا قاموا بتقاسم أراضي المسلمين مفترضين وصول الجنود الروس، وانسحاب المسلمين نحو الجنوب وترك ممتلكاتهم"¹، ويضيف القنصل الروسي أنه سمع أيضاً أن الأرمن قد قدموا شكوى للوالي ذكروا فيها أنهم لم يعودوا يستطيعون العيش مع الأتراك، الذين أعربوا من جانبهم-أي: الأتراك- نفاذ صبرهم تجاه الأرمن في الولاية، فان ازدياد التوتر والعداء هنا مربوط بتطورات الحرب في البلقان "وإذا ما استمر الوضع على هذه الوتيرة فيمكن التوقع بأنه وتحت أية ذريعة سينفجر التطرف الإسلامي في هذه الولاية ضد الأرمن"، كما أن لجنة طاشناق زيتون تعمل من أجل تأجيج الرأي العام الأرمني، وقد عملت هذه اللجنة لذلك على خلق أجواء عدائية بين المسلمين والأرمن مما قد يؤدي إلى تصادم الطرفين، وذلك من أجل تهيئة أرضية مناسبة لدخول الجيش الروسي كطرف في المسألة، ثم احتلال المنطقة، وقد عملت لجنة طاشناق زيتون على تبني جمعية الطاشناق، في مؤتمرها القادم لمثل هذا الأسلوب لنيل أهدافهم القومية، وقد كانوا متحمسين لشعارهم الجديد وهو: "إجلب الروس إلى هنا"².

وللوصول إلى هذا الهدف قال القنصل الروسي: "لجأ الطاشناقيون إلى وسائل مختلفة، وعملوا جاهدين على إحداث تصدع بين الأرمن والمسلمين، وخاصة مع القطعات العثمانية، وهكذا نجد أن اللجان الطاشناقية في بتليس وموش زرعو الرعب وسط الشعب، وقاموا بدفع الأرمن إلى غلق محلاتهم في الأسواق، وقاموا بعد ذلك بتسليح عصابة من الثوريين في شهر تشرين الأول والثاني، وقاموا بقتل عدد من الكرد، وذلك انتقاماً من موت رافاييل مفتش المدرسة الأرمنية في طاشناق زيتون، وأن ذلك كله لا يهدف إلا إلى إيجاد جو تصادمي بين المسلمين والطاشناقيين، وهكذا سيقوم المسلمون بمهاجمة القرى الأرمنية، مما سيؤدي إلى تدخل الجيش الروسي". لا يقف القنصل الروسي عند هذا الحد في إظهار تغيير السياسة الأرمنية في المنطقة، والأعمال التي تقوم بها لجانهم الحزبية لجلب أنظار الدول الكبرى إلى مسألتهم، فيذكر أن وجهاء الأرمن الطاشناقيين أعلنوا أنهم سيرتكبون خطأً جسيماً إذا لم يستغلوا الوضع الحالي، لجلب الروس إلى هنا، وأن الأرمن في المدن والأرياف كان لديهم شعور

1. ASPIRATIONS ET AGISSEMENT, Op.Cit., P.70-71.

2. Ibid, P.71-73.

معين تجاه روسيا، وقد عبروا مرات عديدة بان الحكومة التركية غير قادرة على إعادة النظام والقانون والرخاء إلى هنا، ولذلك عرض الكثير من الأرمن، اعتباراً من هذا الوقت، كنائسهم للجنود الروس، لتنصيرهم في المعابد الأرثوذكسية، وأدّت انتصارات الحكومات السلافية في البلقان إلى أفراح واسعة وكبيرة بين الأرمن، وبنوا آمالهم في أنهم سينقذون من تركيا. إن الأرمن الذين كان لديهم شعور بالانتقام بسبب المآسي يعدون اندحار الأتراك بأنه فضل من الله، انتقاماً لما لاقوه على أيديهم، كما أنهم قد استنتجوا بعد مقارنة أوضاعهم في تركيا والقوقاز بأنهم لن ينتظروا بعد الآن الجميل ولا الحرية تحت الهيمنة التركية، وان الحرية ستأتي مع الجيوش الروسية عندما تقوم باحتلال بتليس، وان الأرمن الآن قد ولوا بوجوههم نحو روسيا بعد أن تضايقوا من الانكيز وعقم إصلاحاتهم في المنطقة¹.

يظهر من هذا التقرير لقنصل روسيا في بتليس، فضلاً عن بعض التقارير الأخرى له حول نفس الموضوع²، كيف أن الحرب في البلقان قد أثرت في الأرمن، الذين قاموا بتغيير مواقفهم السياسية، وأدى هذا التغيير في موقفهم إلى التأثير في مجمل الأوضاع في شمال كردستان.

لم تختلف تقارير القنصليات البريطانية عن مثيلاتها الروسية في إبراز هذا التغيير المفاجئ في السياسة الأرمنية في شمال كردستان، وقيامهم ببث الدعايات عن قرب تفكك الدولة العثمانية وقيام دولة أرمنية في شمال كردستان، ذكر نائب القنصل البريطاني في وان (جي. مولينيوكس سيل - J.Molyneux Seel)، بتاريخ ١٩١٣/٤/٤ في تقرير له تحدّث فيه عن التطورات السريعة للوضع في شمال كردستان عقب حرب البلقان قائلاً "...لا يمكن القول إن الوضع العام يخلو من القلق، فما أن يمرّ يومٌ بصعوبة حتى تروّج الإشاعات المغرضة في الخارج مثل: إن الأتراك يقومون الآن بصناعة القنابل، وان الأرمن قد أصبح لديهم مدافع رشاشة وحتى مدفعية ثقيلة، وان الروس قد أرسلوا (٣٠٠٠) بندقية ومدفع للنسطوريين، وان كذا شخصاً قد اغتيل، وان المجازر على وشك الحدوث في كذا مكان، وانه شوهدت طائرة روسية تحلق فوق المدينة

1. ASPIRATIONS ET AGISSEMENT, Op.Cit., P.74-75.

- ينظر نص هذا التقرير كذلك في:

-Rahmetli Babamin, A.G.E., S.221-228.

2. ASPIRATIONS ET AGISSEMENT, Op.Cit., P.75-79.

وهلم جرا. فجميع هذه الشائعات لا أساس لها من الصحة، إلا أنها تهدف إلى خلق حالة خطرة من الشعور بين السكان، فمن الممكن الاعتقاد بأن هذه الشائعات تهيأ في الخارج بنوايا خبيثة[يقصد هنا روسيا] وهي إلى حد ما ناتجة عن العلاقات الحالية المتشنجة بين العناصر المختلفة للسكان...إن الأحداث الأخيرة في أوروبا انعكست بشكل يتعذر تجنبه على توسيع الهوية بين الأرمن والأترك، ومهما كان نوع الطموح الذي يحمله الحزب الطاشناقى فليس ثمة شك سوى أن الجماهير الأرمنية في هذه الولاية تتأمل لا لمجرد الإصلاحات، بل تتطلع للتخلص من قبضة الحكم التركي^١. وأشارت تقارير أخرى للقنصلية البريطانية في أرزروم، تعود لشهر حزيران من العام نفسه إلى أن الأرمن يبثون دعاية في شمال كردستان مفادها: قرب سقوط الدولة العثمانية^٢.

بجانب هذه الدعاية الأرمنية في شمال كردستان زاد الأرمن من نشاطهم في تهريب الأسلحة سراً إلى شمال كردستان وخاصة الطاشناقيين، وطبقاً لنائب القنصل البريطاني في وان (إيان سميث-Ian Smith) فإن حزب الطاشناق قد قام بصورة سرية باستيراد الأسلحة خلال عام ١٩١٣، وقام بتوزيعها بين أتباعه، قال سميث: "لقد رأيت الأرمن وهم يحملون الأسلحة بصورة علنية في مناطق من البلاد، وان عدداً لا بأس به من السكان قد وضعوا معلومات معروفة عن الأنواع المختلفة عن البنادق وآلياتها...ويقال إن الأرمن في ولاية وان هم الآن مسلحون بصورة أحسن من الكرد، لقد حصلوا على عدد من البنادق الحديثة، فضلاً عن عدد قليل من البنادق المارتين، والتي كانت الحكومة قد وزعتها على كل قرية"، كانت سياسة الطاشناق، كما يقول نائب القنصل، هي: "جعل الأرمن في الولاية في وضع يستطيعون الوقوف به أمام المسلمين إذا ما دعت الضرورة"^٣، فضلاً عن الأسلحة الخفيفة امتلك الأرمن قنابل أثارت هلعاً

1. No.369, British Vice Consulate(J.MOLYNEUX-SEEL), Van, April 4th, 1913, IN:

(M.D.B.D.A), P.582-585.

2. Inclosure in No367, Consul Monahan to Sir G.Lowther, Erzeroum, June 14, 1913, IN:

(M.D.B.D.A), P.578-581.

3. SALAH R.SONYEL, MINORITIES AND THE DESTRUCTION..., P.301.

- ينظر كذلك :

-Inclosure 2 in No.389, Vice-Consul Smith to Sir L.Mallet, Van, January 10, 1914, IN:

(M.D.B.D.A), P.635-636.

بين عامة الناس في شمال كردستان^١، ومن جانبها أَلقت السلطات العثمانية في مرات عديدة القبض على مهربي الأسلحة من الأرمن^٢.

ومن الأساليب الأخرى التي اتبعتها الأحزاب الأرمنية، لجلب أنظار الدول الكبرى إلى مسألتهم من جديد، هي إمداد القنصليات الأجنبية في شمال كردستان بشكاوى كثيرة ضد الانتهاكات الكردية، فبعدما كانت الشكاوى الأرمنية قد اختفت ما بين أربع إلى خمس سنوات بعد الانقلاب العثماني في تموز ١٩٠٨، ها هي الشكاوى الأرمنية تظهر من جديد عقب حرب البلقان مباشرة، فقد وصلت إلى القنصليات البريطانية منذ بداية عام ١٩١٣ عدد كبير من الشكاوى الأرمنية تعود لشهور نيسان، وحزيران، وأب، وأيلول^٣. فمثلاً قدم القس الأرمني في موش إلى القنصل البريطاني في ارضروم (موناهان-Monahan) في ١٩١٣/٨/٢٥ عريضة طويلة شكا فيها من الظلم الواقع على الأرمن هناك من الجميع، وخاصة من القبائل الكردية، فيذكر أن أرمن ساسون، وخويت، وموديكان، هم تحت استبداد القبائل الكردية، بل أصبحوا تقريباً عبيداً لهم، وأنهم أي الأرمن مجبورون على إعطاء الكرد نصف محصول الأرض، وإنهم يدفعون ضرائب للكرد عن حيواناتهم وزبدهم، وهم مجبرون أيضاً على كل أنواع العمل للأغوات الكرد، فعلى سبيل المثال: جني الحقول، والبساتين، وجمع أوراق الأشجار، وبناء البيوت، وجليب الحطب من الجبال، وحتى ولو رغب الأرمني بالزواج فعليه أن يقدم هدية إلى الأغا ليوافق على الأمر، ونشاهد في بعض الأماكن إن الأرمن يحاولون التخلص من هذا الاستبداد وهذه الضرائب، فالكرد الذين يتلقون النصيح والإرشاد من المسؤولين الأتراك يحاولون تشتيت الأرمن عن طريق الاستيلاء على جميع أراضيهم، فالمحاكم والمسؤولون يساعدون الكرد بإصدار أحكام في صالحهم؛ ثم ذكر القس الأرمني أمثلة وعدداً كبيراً من الاعتداءات الكردية على الأرمن، وأضاف: "إن الأغلبية من الكرد في هذه المنطقة هم من الخارجين عن القانون، فهم لا يؤدون الخدمة

1. No.363, Consul Monahan to Sir G.Lowther, Erzeroum, April 23, 1913, IN:(M.D.B.D.A), P.574-575; Inclosure in No.367, Consul Monahan to Sir G.Lowther, Erzeroum, June 14, 1913, IN:(M.D.B.D.A), P.578-581.

2. Ibid.

3.No.365, Sir G.Lowther to Sir Edward Grey, Constantinople, June 29, 1913, IN:(M.D.B.D.A), P.575-576; No.366, Sir G.Lowther to Sir Edward Grey, Constantinople, May 7, 1913, IN:(M.D.B.D.A), P.576-378.

العسكرية ولا يدفعون الضرائب، وهم يعيشون على السلب والنهب، فالحكومة العثمانية غير قادرة عليهم، أو إنها لا ترغب في وضع حد لهم من أجل ضمان أمن الأرمن"^١. وأشارت تقارير ارمنية أخرى مقدمة من خربوط والمناطق الأخرى، إلى أن الأرمن الذين يأسوا من فكرة مشاهدة ترسيخ الأمن والنظام بدأوا يهاجرون بأعداد كبيرة، وذكر (هاريس-Harris) نائب القنصل البريطاني في دياربكر وخربوط بان نصف منازل الأرمن تماماً في المدينة خالية ومقفولة فقد غادر أصحابها البلد، وقد قدّم البطريك الأرمني (اركاروني-Archarouni) استقالته احتجاجاً على العديد من الحوادث بسبب عدم استطاعته ضمان إنصاف الشكاوى التي يقدمها لأبناء قومه^٢.

تظهر هذه التقارير أن الأرمن اتبعوا نفس الأسلوب، الذي ساروا عليه خلال الحرب الروسية العثمانية ١٨٧٧-١٨٧٨، وكذلك في بداية تسعينات القرن التاسع عشر، عندما أرادوا جلب جيوش إحدى الدول الكبرى إلى شمال كردستان، ومن الجدير بالذكر هنا أن التقارير الأرمنية أشارت إلى هجرة ارمنية واسعة إلى القوقاز هرباً من الظلم الكردي خلال عامي ١٩١٣ و ١٩١٤، وإذا كان الأمر صحيحاً فمن الذي قُتل خلال الحرب العالمية الأولى، فإنهم ذكروا في تقاريرهم قبل الحرب العالمية الأولى أن قراهم وبلداتهم صارت خالية من السكان، لذا فان الذين قُتلوا من الأرمن في الحرب هم ليسوا من أرمن شمال كردستان، لأنها كانت خالية منهم بالاعتماد على تقاريرهم وشكاويهم قبل الحرب بمدة قصيرة جداً، كما أن الأتراك هنا وان كانوا يحرّضون الكرد على الأرمن بدءاً من منتصف العام ١٩١٣، إلا أن جمعية الاتحاد والترقي لم تغيّر من سياستها نحو الأرمن حتى منتصف العام ١٩١٤، كما سيأتي الحديث عن هذا الأمر لاحقاً.

وفضلاً عن ذلك فقد أشار القنصل البريطاني موناهان نفسه، عندما قام بزيارة إلى ارضروم، في تقرير له بتاريخ ١٠/١١/١٩١٣ بان الأرمن في هذه المنطقة حقيقة لا يشكون من الوضع الأمني السيئ الحالي، وان تقارير الجريمة التي نشرت في

1. No. 379, Inclosure in Consul Monahan's No.61 of 29th. september 1913 Armenian Bishop of Moush to consul Monahan, Moush 2/15 August 1913 in: (M.D.B.D.A), P.612-616.

2. No.385, ASIATIC TURKEY AND ARABIA CONFIDENTIAL, Mr.Marling to Sir Edward Grey, Constantinople, October 10, 1913, IN:(M.D.B.D.A), P.626.

الصحافة الأرمنية هي مبالغ فيها كثيراً^١، وان الذي يقوم بتعكير الوضع الهادئ بين الأرمن والكرد هي الحكومة العثمانية^٢؛ ثم تطرق القنصل إلى ذكر حسين باشا الحيدراني وقال بشأته: "إنه الآن أغنى من أي وقت مضى، حسين باشا لا يبدو- كما سمعت لحد الآن- أنه من المالكين المضطهدين في هذا الوقت، فقبل عشرين سنة قام ببناء صف من الدكاكين في القرية، وهو أمر نادر أن يحدث في قرية، والدكاكين الآن مزدهرة اقتصادياً، فقد عهد بها إلى أحد الأرمن لإدارتها على أساس تقاسم الأرباح"^٣.

صاحبت هذه الشكاوى ضد الكرد في شمال كردستان حملة دعائية أرمنية ضدهم على المستوى الدولي أيضاً، وهذا ما نلمسه في بعض المواقف الكردية، منها مقالة خليل خيالي^٤، المعنونة (فاعتبروا يا أولي الأبصار) التي نشرتها مجلة (هتاوى كرد) في عددها الثاني الصادر في ٤ كانون الأول ١٩١٣، فقد انتقد خليل خيالي فيها كاتب أرمني يدعى (ارشاق جوبانيان) كان قد ألقى محاضرات عن علاقة الكرد والأرمن في سويسرا، ووصف الكرد بأنهم متخلفون وجهلة، وطبع هذه المحاضرات على شكل كتاب تحت عنوان (ماضي ومستقبل التربية الاجتماعية للأمة الأرمنية) ورد عليه خليل خيالي بان هذا الأمر ليس صحيحاً، حيث توجد بين الكرد مدارس عديدة، وان جوبانيان يقوم باستغلال الناس في أوروبا بهذا الخصوص^٥. كما أشار زنار سلوبي في مذكراته إلى تأثير هذه الدعاية الأرمنية ضد الكرد على الأوربيين، فيذكر أنه عندما كان طالباً في لوزان السويسرية في عام ١٩١٣ علم صاحب جريدة (جازيت دي لوزان) بان كُردياً يسكن في أحد البانسيونات لذلك جاء صاحب الجريدة خصيصاً لكي ينظر إلى هذا

١. يقول في تقريره هذا انه لا ينفي حدوث بعض السرقات الصغيرة من جانب الكرد وعمليات الاختطاف، ولكنه يذكر انه لم يشاهد في الوقت نفسه مثل هذه الحالات حتى في القرى التي زارها بنفسه، ينظر:

-No.377, Erzeroum, 29th Sptember 1913, IN:(M.D.B.D.A), P603.

2. Ibid.

3. Ibid, P.604-605.

٤. خليل خيالي(١٨٧٦-١٩٤٩): يعد واضع الالفباء الكردية المبنية على أساس الحروف العربية، له دور كبير في الحياة الثقافية الكردية في الربع الأول من القرن العشرين. للمزيد، ينظر: هوكر طاهر توفيق، الالفباء الكوردية...، ص٢٣-٣٢ .

٥. باب ناجو، فاعتبروا يا أولي الأبصار، مجلة هتاوكرد، العدد (٢)، ٤ كانون الأول ١٩١٣، ص٣-١٠ . من الجدير بالذكر أن أسم (باب ناجو) هو أحد ألقاب خليل خيالي.

الكُردي، لأنه كما قال سلوبي: "المعلومات التي يعرفها عن الأكراد[نتيجة للدعاية الأرمنية] تعطي انطباعاً عنهم، وكأنهم وحوش جبلية، دفعته فضولته للمجيء لمشاهدتي"^١؛ ثم أضاف سلوبي أن السيد جاك صاحب الجريدة السويسرية عندما شاهده سيداً مهندياً، ولا يختلف عنه بشيء أدرك أنه ضلَّ بدعاية مغرضة، وقد صرَّح بنفسه بأن الافتراءات والدعايات السياسية التي يشيعها عدد من الأرمن ليس لها أي صلة بالواقع؛ ثم جاء سلوبي بمثال عن الدعاية الأرمنية ضد الكُرد في أوروبا شاهدها بنفسه، حيث ذكر أنه حضر محاضرة مع أخيه أكرم في إحدى الكنائس في لوزان، لشخص ادعى أنه مبشر أمريكي ولكنه كان أرمنياً ويلبس الملابس الكُردية في أثناء اللقاء لمحاضرتة، وأضاف سلوبي: "وبدأ يتحدث[أي: الأرمني المتكبر بصفة مبشر أمريكي] حول المدة الطويلة، التي قضاها بين الكُرد، الذين يعيشون كالوحوش في الجبال[حسب قوله] ولا يعترفون بأية ديانة؛ ثم وصف الكُرد بعد ذلك بصورة مقرفة، وأخرج فجأة من تحت إبطه نسخة من الإنجيل، ثم صرخ قائلاً) لكي أتكمن من طبع نسخة من كتاب الرباني المقدس ونشره بين الكُرد، لا بد من المال...)"، وبعد ذلك أضاف سلوبي أنه قام هو وأخيه أكرم بتوبيخه، بعد انتهاء محاضرتة، وقال له: "أليس عار عليك أن تصف الكُرد بمثل هذه الكلمات البذيئة وتنتعهم بالوحوش"، وانتهى النقاش بين الطرفين بتهديد كل منهما للآخر^٢.

ربما يلقي تقرير نائب القنصل البريطاني في وان أيان سميث بتاريخ ١٠/٥/١٩١٣ والبرقية التي ألحقها بتقريره المزيد من الضوء والإيضاحات على توجهات الأحزاب السياسية الأرمنية تجاه الكُرد آنذاك، حيث ذكر نائب القنصل أن الأحزاب الأرمنية بعد أن وحدت نفسها ضمن حلف برئاسة الطاشناق، واتفقت على نبذ الخلافات والعمل سوية، ارتكز حلفها الجديد هذا على مبدئين هما:

١- تسليح الأمة الأرمنية تحت توجيه الطاشناقيين.

٢- إن جميع الأنشطة السياسية المتبعة يجب أن تحظى بموافقة وتصديق جميع الأحزاب^٣.

١. ينظر، مذكراته: مسألة كُردستان: ٦٠ عاماً من النضال المسلح للشعب الكُرد ضد العبودية، تنقيح وتقديم: عز الدين مصطفى رسول، ط٢، بيروت، ١٩٩٧، ص ٤١ .

٢. المصدر نفسه، ص ٤١-٤٢ .

3. No.378, British Vice-Consulate His Excellency Sir Gard A.Lowther, Van, May 10th, 1913, IN:(M.D.B.D.A), P611-612.

وان هذا الحلف المتشكل من الأحزاب الأرمنية (الطاشناق، والهنجاق، والرامكافار- Ramgavar) كان قد أرسل برقية في ٢٥/٤/١٩١٣، من بتليس إلى الصدر الأعظم، كما بعث بنسخة من هذه البرقية إلى بطيركية الأرمن في استانبول، وفيها تهاجم الأحزاب الثلاثة الحكومة العثمانية والكرد بلغة شديدة اللهجة، بأن الحكومة تلاحق الأرمن لسبب بسيط في حين إن: "...القوانين تطبق فقط من أجل كسب ود المجرمين الكرد وضرب السكان الأرمن...".^١

مقابل هذا الاتجاه الأرمني الذي مثلته الأحزاب السياسية الأرمنية كان هناك اتجاه آخر في تلك المدة، ينبه الأرمن إلى تاريخ العلاقات الطيبة بين الشعبين الأرمني والكرد، وان على الأرمن عدم معاداة الشعب الكردي، وإنما توجيه هذا العداء إلى الحكومة العثمانية وإدارتها الفاسدة في شمال كردستان، وعلى الرغم من قلة المواقف الأرمنية التي أيدت هذا الاتجاه، إلا أن التاريخ حفظ بعضاً منها، فمثلاً جاءت في إحدى رسائل أسقف موش نرسييس خوراخونيان في تشرين الأول ١٩١٢ انه: "من العبث اتهام الأكراد والشركس أو غيرهم؛ فان جذور الشر والغدر هي الحكومة التركية، وليس هناك أي فرق حول أي حزب من الأحزاب التي تتراأسها سواء أكانوا اتحاديين أم ائتلافيين".^٢

ولكن أبرز من حاول توجيه سهام الأحزاب السياسية الأرمنية نحو الأتراك، وتنبية الأرمن إلى ضرورة التعاون مع الكرد في سبيل الوصول إلى حل لمسألتهم، وتذكير روسيا بضرورة إعادة النظر في سياستها تجاه المسألة الكردية ودعمها، إن أرادت روسيا نشر نفوذها في شمال كردستان وحل المسألة الأرمنية هناك، هو (بيريسواكي- Beresowaky) مراسل جريدة (القدسي بطربسبيرغ بيرجوفسكايا فيديموس)، الذي ألقى محاضرة في ٩/٦/١٩١٣ في تفليس بعنوان (اختفاء أرمينيا)، وهي ثمرة رحلته التي استغرقت أربعة أشهر في النصف الأول من عام ١٩١٣ في وان، وبتليس، ودياربكر، وخربوط، وسيواس، وأرضروم، وقامت بعض الصحف الأرمنية مثل جريدة مشاك بنشر نص هذه المحاضرة بعد ذلك، وقد طرح في محاضراته فكرة هي الأولى من نوعها في تاريخ المسألة الأرمنية، وعلاقة الكرد بها، وكانت الفكرة تتلخص بـ: "أن

١. ينظر النص الكامل لهذه البرقية في الملحق رقم (٧).

٢. نقلاً عن: م.س. لازاريف، المصدر السابق، ص ٢٩٦.

حل المسألة الأرمنية تكمن في حل المسألة الكرديّة".

يذكر بيريسواكي أن الدولة العثمانية لم تضعفها حرب البلقان بشكل كبير كما يعتقد، بل ما زالت قوية في آسيا، وإنها منذ انتهاء الحرب تقوم بتعزيز عنصرها المسلم المتعصب هناك، وأن هذا التعصب اليقظ ينتشر الآن في القوقاز، وأصبحت المسألة الأرمنية مسألة روسية خطيرة؛ ثم قال بيريسواكي: "فالعنصر الأساسي لهذه المسألة هو العنصر الكردي"^١، بعد ذلك وجه اللوم إلى روسيا في أنها، وعلى العكس من الانكليز والألمان، لم تولّ الكرد اهتماماً جدياً: "الذين هم أحفاد لفاتحين أصلاء، رغم أنهم غير متحضرين الآن بشكل لا يبعث على الأمل"^٢؛ ثم يتحدث بعد ذلك بشكل مطوّل عن تاريخ الكرد وعلاقاتهم بالأتراك وثوراتهم وانتفاضاتهم في القرن التاسع عشر، وسياسة السلطان عبد الحميد الثاني تجاههم، والحركة الكرديّة في عهد الاتحاديّين التي اشتدت بعد حرب البلقان بشكل لافت في معظم أجزاء شمال كردستان بقيادة كل من (عبد الرزاق بدرخان، وعبد القادر النهري وآخرين)، وقال عنها: "كانت هذه الدعاية والحركة الكرديّة موجهة ضد الحكومة التركيّة، ولكن الآن هناك حركة أخرى تحرضها الحكومة التركيّة قد بدأت بين الكرد وموجهة ضد الأرمن، لقد شاهدت بنفسي عضوين من البرلمان التركي اللذين ذهبا بين الكرد وأخذوا يحرضوهم ضد الأرمن، وقام هذان العضوان بتوزيع أوراق كتب عليها أنا مناهض للمسيحيين، وأنا مناهض للأرمن"^٣. وحسب بيريسواكي إن الانكليز يدعمون الأتراك في سياستهم تجاه المسألتين الأرمنية والكرديّة ولتأليب أحدهما ضد الآخر، وطلب من روسيا دعم الحركة الكرديّة التي نشأت عقب حرب البلقان، وذكر بأن: "الشخص الكردي على الرغم من كونه قاطع طريق، بفضل الظروف التي هيأتها الحكومة التركيّة، فهو ما يزال يتطلع إلى أمور أفضل، وهو صاحب طبيعة معتدلة وعقلانيّة"^٤، والآن يتطلع الكرد إلى الروس لدعمهم ضد الأتراك كما فعلوا في البلقان؛ ثم ينتقل بيريسواكي إلى شرح أحوال الأرمن في الدولة العثمانية وكيف أن جمعية الاتحاد والترقي قد استغفلت الأحزاب الأرمنية الثلاثة الطاشناق، والهناجق، والديمقراطيين الاجتماعيين (الرامكافار) وجردتهم من حركتهم عن طريق خداع زعمائهم،

1. Inclosure No.370, DISAPPEARING ARMENIA, IN:(M.D.B.D.A), P.587.

2. Ibid.

3. Ibid.

4. Ibid.

ليقول بعد ذلك عن مشكلة الأراضي، التي أخذت اهتماماً كبيراً بعد الانقلاب العثماني: "وطبقاً لبعض الصحف الروسية فإن قضية الوضع الاقتصادي السيء هي زراعية تماماً، لكنها ليست كذلك فلا جدوى من إثارة مسألة استرجاع الملكية لأصحاب الأرض الحقيقيين من الأرمن، والتي قام الكرد بالاستيلاء عليها، ينبغي على الأرمن التخلي عن هذه الآمال، فمن غير المجدي التحدث الآن عن إزاحة مليونين ونصف كردي يمتلكون الآن هذه الأراضي"¹. وبعيداً عن مشكلة الأراضي يظهر أن أوضاع الأرمن في شمال كردستان ازدادت سوءاً على يد الحكومة التركية، من حيث أنواع الضرائب التي فرضت عليهم، والمعاملة غير الإنسانية لهم من جانب الجيش التركي، وعمليات التجنيد العسكري القاسية، وضرب مثلاً عن ذلك بقوله: "قام أحد الأرمن ممن لديه ثلاثة أولاد جنود في الحرب، بزيارة أثناء وجودي عند القائمقام الذي كان يعد رجالاً مثقفاً بشكل جيد، طلب الوالد الحصول على أخبار عنهم قال القائمقام وأنا سمعته: (لا يوجد هناك كلاب كافية في الشوارع، لتأتي أنت وتسالني عن كلاب أخرى)"². وفي المحاكم المدنية أيضاً هناك عدم مساواة واضحة بين الأرمن والعناصر الأخرى في المجتمع العثماني، والأسوء من هذا كله هو سياسة المصرف الزراعي التركي، التي من خلال السلف الزراعية وحيلها الشيطانية، كما قال، جردت الأرمن من أراضيهم، وكيف أن هذه الأعمال قد أثرت على بنيان المجتمع الأرمني في الدولة العثمانية، لذلك ذكر بيريسواكي على روسيا أن تقوم بنشر نفوذها في شمال كردستان، خاصة بعد فشل السياسة الانكليزية والفرنسية، وتوجه أنظار الناس على مختلف أعراقهم وأديانهم إلى روسيا، ويتوجب عليها عد المسألة الأرمنية كأنها مسألة روسية، والمطلوب الآن من الأرمن العقلانية والإجماع، وعدم الاتكال على الإصلاحات التي سوف يطبقها الأتراك؛ ثم اقترح على الساسة الروس تبني المسألة الكردية، وكيف ستؤدي هذه السياسة في المستقبل إلى حل المسألة الأرمنية كذلك، حيث قال: "إن الجنرالان باسكوفيج ولازاريف كانا مؤيدان لسياسة ناشطة في أرمينيا [أي: في شمال كردستان]، فعندما استولى الشيخ عبيد الله على أورمية، فلسوء الحظ رفض البيان الروسي عرض مساعدته، على أساس أنه زعيم لقطاعي طرق، أما الانكليز فلم يكن لديهم مثل هذا الوسواس. يتوجب على روسيا تقديم الدعم المعنوي للحركة الكردية كما ساعدت منغوليا، وبهذا الشكل نستطيع أن نعطي الأرمن في تركيا

1. Ibid, P.588.

2. Ibid, P.589.

الفرصة للتنفس بحرية. إن الخطر المترتب على الأرمن لا يأتي من الكرد بل من الحكومة...فهذا هو واجبنا لإنقاذهم[يقصد: الأرمن] من الدمار الذي يهددهم في تلك الأرض الجهنمية لأعضاء تركيا الفتاة...^١.

ب- الرد الكردي :

عكس الحركة الأرمنية التي كانت موجهة ضد الكرد منذ إعلان الدستور في تموز ١٩٠٨، كانت الحركة الكردية التي تطورت كثيراً عقب حرب البلقان موجهة ضد الأتراك وليس الأرمن، وان كانت المسألة الأرمنية هي إحدى نتائج ظهورها وتطورها، مثل انتفاضة الشيخ عبید الله النهري، فان الإصلاحات الأرمنية الأولى في شمال كردستان التي بدأ تنفيذها في عام ١٨٧٩، كانت من أكبر مسببات اندلاع انتفاضة الشيخ النهري، إلا أن الانتفاضة وجهت ضد الفرس والأتراك، ولم توجه ضد الأرمن، كما مر بنا سابقاً، وكما ذكر بيريسواكي أيضاً أن هناك حركة كردية واسعة في معظم أنحاء شمال كردستان، يقودها عدد من القادة الكرد البارزين أمثال عبد الرزاق بدرخان والشيخ عبد القادر النهري، إلا أن هذه الحركة موجهة ضد الحكم التركي، وليست ضد الحركة الأرمنية أو ضد روسيا "لذا على الأرمن والروس تغيير سياستهما تجاه هذه الحركة الكردية"؛ كما أشارت تقارير بريطانية عدة منذ كانون الأول ١٩١٢ إلى هذه الحقيقة وهي عدم ميل الكرد إلى الأتراك، وأن علاقاتهم باتت متوترة جداً^٢. قال نائب القنصل البريطاني في وان جي مولينيكس-سيل عن مساعي الحكومة التركية لتوجيه الحركة الكردية نحو الأرمن وعدم استجابة الكرد، في تقرير له يعود إلى تاريخ ١٩١٣/٤/٤ ما يلي: "إن السلطات التركية واعية تماماً لخطر التدخل الروسي، بحيث إنني مقتنع بأنهم لن يسمحوا بأقل مقدار من التحريض، على قيام الكرد بمجزرة ضد الأرمن، إلا أن خطر الكرد في مبادرتهم على القيام، باضطرابات مثل الحركات الموجهة ضد الحكومة التركية، بشكل أكبر من توجيهها ضد السكان المسيحيين هو موجود فعلاً"^٣.

1. Ibid, P.591.

٢. ينظر مثلاً:

- No.386, Sir G.Lowther to Sir Edward Grey, Constantinople, December 31, 1912, IN: (M.D.B.D.A), P.626-627.

3. No.369, British Vice Consulate(J.MOLYNEUX-SEEL), Van, April 4th, 1913, IN: (M.D.B.D.A), P.582-585.

وأشار السير جيرالد لوثر سفير بريطانيا في استانبول في رسالة إلى وزير الخارجية (ادوارد غراي-Edward Grey) بتاريخ ١٩١٣/٤/٥، التي يلقي فيها جانباً من الموقف الكردي في شمال كردستان، حيث قال: "بأنهم يشاهدون الكرد ساخطين إزاء الحكومة التركية المركزية، ويقال بأنهم ينتظرون احتلال حلفاء البلقان لاستانبول، للانطلاق بحركة ضد الحكومة...وان الخطر يكمن في محاولة ناجحة للجنة (الاتحاد والترقي) لكي تحرف ميول المسلمين الكرد ضد الأتراك إلى قنوات مناهضة للمسيحيين، كما إنهم تمكنوا من الحصول على وثيقة ارمنية هي عبارة عن: مناقشة من أجل احتلال بريطاني لكليكا وتحويل استانبول والمضايق كوسيلة (لإصلاح إثم مؤتمر برلين)، فهذه الوثائق ربما تكون دليلاً على تجدد نشاط الجمعيات الثورية الأرمنية في هذه المناطق، كما أن هناك العديد من المؤشرات مؤخراً تدل على أنه منذ انقلاب الثالث والعشرين من كانون الثاني [١٩١٣]، فإن المشاكل الأرمنية الكردية بدأت تتنامى بشدة وقد تتطلب معالجة جذرية قريباً".^١

أدت عدة أسباب إلى تفاعل الحركة الكردية منذ أواخر العام ١٩١٢ التي امتدت إلى الحرب العالمية الأولى، أغلبها متعلق بالتحركات الأرمنية في شمال كردستان، وتحالفهم مع حكومة الاتحاديين التي اتخذت تدابير قاسية ضد الكرد ولم تفعل الأمر نفسه مع المتمردين الأرمن، كما أن الخوف الكردي من سيطرة الأرمن على كردستان عن طريق الإصلاحات الأوربية أثارت ذعراً كبيراً لديهم، كما لا يمكن إغفال أن الكرد رأوا في حكومة الاتحاديين حكومة كافرة وغير شرعية.^٢

أثر انتشار أخبار الاندحار الكبير للجيش العثماني في البلقان أواخر عام ١٩١٢، ظهرت حركة كردية واسعة في معظم شمال كردستان، وعاد المنفيون الكرد من إيران إلى مناطقهم، وبدأوا يتحركون من أجل تضافر الجهود لإنشاء دولة كردية، وأبرز المنفيين الذين عادوا كان عبد الرزاق بدرخان، وحسين باشا الحيدران.^٣

1. No. 362, Sir G.Lowther to Sir Edward Grey, Constantinople, April 5, 1913, IN: (M.D.B.D.A), P.573.

2. Justin McCarthy and others, Op.Cit., P.149-150.

٣. للتفاصيل عن الأوضاع في شمال كردستان بعد حرب البلقان ينظر: جليلي جليل وآخرون، المصدر السابق، ص٧٦-٨٧ .

انقسمت الحركة الكردية الناشئة بين عدة قيادات أو مراكز قوة، ربما كانت السبب الرئيسي في إضعافها بعد ذلك، وهي:

١- حسين بدرخان في جزيرة بوتان وولاية دياربكر، يسانده بقوة كامل بدرخان^١، وكانوا ذوي ميول بريطانية.

٢- عبد الرزاق بدرخان في ارضروم ووان، وكان ذا ميول روسية.

٣- ملا سليم البتليسي، وسيد علي، والشيخ شهاب الدين، في بتليس وكانوا بدورهم يميلون إلى روسيا.

٤- حسين باشا الحيدران في ارضروم، وكانت له بعض الميول نحو روسيا.

٥- عبد القادر النهري وابنه عبد الله في مسقط رأسهما شمدينان.

كان الشغل الشاغل لهؤلاء القادة الكرد هو كيفية توحيد جهودهم، وإخراج الأتراك من كردستان، والوقوف بوجه الأرمن، وكذلك بوجه مساعيهم في تحويل كردستان إلى أرمستان، ومحاولة تأسيس دولة كردية، وقد أشارت تقارير بريطانية وروسية إلى هذه التحركات الكردية، وقد اجتمع القادة الكرد في مؤتمر موسع في أيار ١٩١٣ في أرضروم، لبحث التطورات التي شهدتها الساحة السياسية في كردستان ومحاولة توحيد الجهود. وقد تمخض عنه تأسيس لجنة الإرشاد^٢ التي أصدرت بدورها القرار الآتي:

١- بما أن الحكومة العثمانية وافقت إكراهاً على التضحية بالولايات الست لصالح الأرمن، تحت راية الإصلاحات الأرمنية، فمن الضروري أن نحتج على هذه القرارات منذ الآن إلى أن توافق جميع الأعراق الأخرى في البلاد إلى جانب الأرمن على هذا

١. كامل بدرخان (يوسف كامل بدرخان) (١٩٣٤-؟): وهو أحد أبناء الأمير بدرخان، كان من المعارضين للحكم التركي لكردستان، فقد عارض حكم السلطان عبد الحميد الثاني وعارض الاتحاديين، كان من مؤسسي لجنة الإرشاد الكردية في عام ١٩١٣، وكان له دور كبير في الحرب العالمية الأولى، وقاتل إلى جانب الجيش الروسي؛ وقد اتخذ بعد ذلك مدينة تفليس عاصمة جورجيا مكان إقامته بعد انتهاء الحرب حتى وفاته. ينظر: مالميسانز، بدرخانيو...، ص ١٤٤-١٥١.

٢. لا بد من التنويه هنا أن الكرد ربما كانوا متأثرين بالتنظيمات السياسية الأرمنية وعملها في المنطقة، حتى أن اختيار الكرد لمصطلح (اللجنة) كما وردت في معظم الوثائق البريطانية، يبدو أنه كان متأثراً باسم (لجنة) الطاشناق التي كانت لها نشاط كبير في المنطقة آنذاك.

القرار المذكور أعلاه. فلنستخدم قوة السلاح لنطرد المسؤولين العثمانيين من الولايات، والأقضية، والنواحي، ونشكّل حكومة جديدة برئاسة أشخاص تنتخبهم الأمة.

٢- لا بد من عدّ الضباط والمسؤولين، الذين يقررون الالتحاق بركب مقاتلينا كإخوة لنا، لكن يجدر قتل كل من يعترض طريقنا، والنظر إلى هؤلاء كخونة للدين، ولأرض الأجداد وللأمة.

٣- يجدر قتل كل كُردي يساعد الخونة ومصادرة أراضيه.

٤- يجدر إرسال ممثل عن كل عشيرة وناحية إلى مركز الثورة الأساسي الذي سيقدر لاحقاً^١.

٥- لا بدّ من تشكيل حكومة مؤقتة للبت في مطالبنا وللبت في القضايا جميعها، وحكم الأمة نظراً إلى الوضع القائم في البلاد.

٦- إرسال وفد إلى الأوساط السياسية ومجلس السفراء^٢ بهدف تعريف القوى العظمى بحكومة كُردستان المؤقتة^٣.

يبدو واضحاً من نص القرار الأول أن أحد أهم أسباب الحركة الكردية، التي تفاعلت بشكل كبيرة بعد حرب البلقان هي المسألة الأرمنية، وخوف الكُرد من تنازل الدولة العثمانية عن شمال كُردستان تحت ضغوط خارجية لصالح بناء دولة أرمنية، وهذا ما لم يكن يقبله الكُرد، الذين رأوا في فساد الدولة العثمانية وضعفها كذلك سبباً مباشراً حول التضحية ببلادهم لصالح الأرمن.

ربما كانت المدة ما بين ١٩١٢-١٩١٤ من أكثر الفصول التاريخية الكُردية في العصر الحديث تشابكاً وحبكة، بحيث انه إلى الآن لم يتفق الباحثون والمؤرخون حول تطورات الأحداث التاريخية في تلك المدة، ولكن يمكن القول باختصار إن الخط الأساسي للحركة الكُردية بعد حرب البلقان وحتى إندلاع الحرب العالمية الأولى كان على النحو الآتي:

١. تم اختيار مدينة بتليس بعد ذلك لتنفيذ هذا الدور، وصارت مركزاً للحركة الكُردية التي تزعمتها لجنة الإرشاد.

٢. يقصد سفراء الدول الأوروبية الأربعة، الذين كانوا يبحثون في شأن الإصلاحات الأرمنية بعد انتهاء حرب البلقان عام ١٩١٣ وهي: بريطانيا، وروسيا، وفرنسا، وألمانيا كما مر بنا سابقاً.

3. No. 384, Inclosure in Mr.Consul Monahan,s No.69, of, 31st , October 1913: A summary translation from the Armenian newspaper Haratch, IN:(M.D.B.D.A), P.624-625; Justin McCarthy and others, Op.Cit., P284-285.

اتفقت القيادات الكرديّة المختلفة على ضرورة الاجتماع في مكان ما لبت في مسألة استقلال كردستان، وطرد الأتراك من بلادهم، ومواجهة مخاطر المسألة الأرمنية كذلك على مستقبل كردستان، رغم ظهور بعض الخلافات بين الزعماء الكرديين اجتمعوا في أرضروم في شهر أيار ١٩١٣، منها أولاً: هو عدم الاتفاق على الشخص الذي سيقود الحركة التحررية الكرديّة في هذه المرحلة، وكانت الخلافات على أوجها بين جميع من حضروا الاجتماع؛ ثانياً: هو الاختلاف على اسم الدولة، التي يجب كسب ودّها لتكون سنداً للحركة الكرديّة، فكان عبد الرزاق بدرخان وحسين باشا الحيدران مواليان لروسيا، في حين أن حسين باشا بدرخان كان موالياً لبريطانياً. ولكن على الرغم من هذه الخلافات يبدو أن القيادات الكرديّة انتخبت حسين باشا بدرخان لقيادة هذه الحركة، وتمخض عن مؤتمر أرضروم اسم التنظيم الذي أشارت إليه فقط الوثائق الروسية، واقتبس منها الباحثان جليلي جليل ولازاريف هذه المعلومة، والمسماة بلجنة (الإرشاد)^١، وقامت هذه اللجنة بإصدار القرار الذي أُشير إليه سابقاً، إلا أن هذه

١. هناك خلط واضح في المعلومات التي أوردها الباحثون والمؤرخون، الذين تناولوا الأحداث السياسية التاريخية التي مر بها الشعب الكردي في شمال كردستان خلال أعوام ١٩١٢-١٩١٤، بإعطائهم انطباعاً بأنه كانت هناك تنظيمان سياسيان في كردستان خلال المدة ١٩١٢-١٩١٤، فعندما يتحدثون عن التحركات الكرديّة بقيادة عائلة بدرخان يذكرون أنهم عملوا على تأسيس تنظيم كردي عقب انتهاء حرب البلقان في العام ١٩١٣، وان هؤلاء القادة قد اجتمعوا في أرضروم خلال شهر أيار لبحث هذا الأمر، ولكن لا يشيرّون إلى أن هذا التنظيم هو تنظيم الإرشاد بالمعنى الدقيق، ولا يتحدثون بعد ذلك عن محاولات العائلة البدرخانية وتحركاتهم ضد الحكومة العثمانية إلا بشكل منفرد، ولكن هؤلاء الباحثين عندما يتحدثون عن حركة ملا سليم يذكرون أن المخطط الأول لهذه الحركة هو تنظيم الإرشاد الذي كان تحت زعامة ملا سليم البتليسي والذي تأسس في عام ١٩١٣، رغم ذكر البعض منهم اشتراك بعض أفراد العائلة البدرخانية فيها، في حين وبعد اكتشاف العديد من الوثائق الأجنبية، التي تعود إلى تلك المدة، وربط الأحداث بعضها ببعض وبناءً أمور عليها تبين أن تنظيم الإرشاد الذي كان يقود حركة ملا سليم البتليسي هو نفس التنظيم الذي كان قد تأسس في أيار ١٩١٣ في أرضروم، وكان ما زال على رأسه البدرخانيون، والمحرك الأول لهذا التنظيم منذ البداية وحتى ما بعد انهيار حركة ملا سليم البتليسي كان عبد الرزاق بدرخان بالدرجة الأولى. كما أن هناك وهماً آخر وقع فيه أغلب هؤلاء المؤرخين والباحثين، وهو إنهم يتعاملون مع كل حركة على حدة، وكأنه ليس لأحدهما علاقة بالأخرى مثل حركة حسين بدرخان، وتحركات عبد الرزاق بدرخان، وحركة ملا سليم البتليسي، إلا إن من بينهم من أشار فعلاً إلى وجود انتفاضة كردية كبيرة في المنطقة، مثل لازاريف =

اللجنة أصيبت بنكسة كبيرة بعد شهر واحد فقط من تأسيسها، عندما اغتالت جمعية الاتحاد والترقي حسين باشا بدرخان في ظل ظروف غامضة، والتي يبدو أنها كانت تراقب عن كثب التحركات الكردية منذ استيلائها على السلطة في شهر كانون الثاني ١٩١٣، بعدها برز نشاط عبد الرزاق بدرخان، الذي يبدو أنه قد أصبح الرجل الأول في لجنة الإرشاد، الذي كان يقوم في الأشهر الأخيرة من العام ١٩١٣، بتوزيع منشورات موقعة باسمه تدعوهم باسم اللجنة الكردية إلى الانضمام إليها للقيام بانتفاضة كردية شاملة، وإعلان دولة كردستان. وكانت حركة ملا سليم البتليسي التي اندلعت خلال شهري آذار ونيسان عام ١٩١٤، هي ضمن مخططات هذه اللجنة الكردية، وبانهايارها إنهارت الآمال الكردية في الاستقلال؛ ذكر المؤرخ جليلي جليل ناقلاً عن مجلة (أرارات) الأرمنية التي كانت تصدر آنذاك في لندن قولها: "إن الخطوات العملية التي اتخذها عدد من الزعماء الكرد في استانبول، بغية توحيد المجموعات والتنظيمات الحزبية دعت في أيار ١٩١٢ [الصواب أيار ١٩١٣] إلى اجتماع عام لكافة المجموعات الكردية السياسية والاجتماعية، وتمت الموافقة بالإجماع على تشكيل حزب موحد يمثل مصالح الكرد عامة، كما وتم تحديد الهدف السياسي الأساسي والمسائل العملية للتوحيد، كتبت مجلة أرارات عن ذلك ما يلي: كان على ذلك الحزب أن يهيباً لانتفاضة عامة، واستعانوا بتكتيك الألبان في عملياتهم، أولاً: الامتناع عن تسديد الضرائب؛ ثم طرد جميع الموظفين الأتراك، وأخيراً تشكيل حكومة مؤقتة، وإعلان كردستان دولة مستقلة"^١.

وفيما يلي تسلسلاً لهذه الأحداث التاريخية وتطوراتها:

= وعثمان علي. ينظر: م. س. لازاريف، المصدر السابق، ص ٢٨٩-٢٥٨؛ جليلي جليل، نهضة الأكراد...، ص ١٢٧-٢٢٥؛ ديفيد مكدول، المصدر السابق، ص ١٧١-١٧٥؛ عثمان علي، دراسات في الحركة الكردية...، ص ٢١٥-٢٢٣؛ كمال مظهر احمد، المصدر السابق، ص ١٠١-١١٢؛ صلاح محمد سليم هروري، الأسرة البدرخانية...، ص ٤١-٧١؛ علي تتر توفيق، المصدر السابق، ص ١٢٥-١٣٤.

١. نقلاً عن مؤلفه: نهضة الأكراد...، ص ١٩٢-١٩٣.

٢. سنتطرق هنا فقط، إلى علاقة هذه الحركات الكردية بالأرمن، والموقف الأرمني منها، وذلك لأن المجال لا يتسع هنا للخوض في تفاصيلها التي لا ترتبط بموضوع الدراسة، كما أن تفاصيلها متوفرة في المصادر التاريخية الأخرى، ولا داعي لتكرارها هنا.

١- حركة حسين باشا بدرخان :

يعد حسين بدرخان أحد القادة الكُرد، الذين كان لهم دورٌ متميز في الحركة التحريرية الكُردية، منذ الربع الأخير من القرن التاسع عشر، قام حسين بدرخان بحركة ضد الدولة العثمانية في عام ١٨٧٨ بعد انتهاء الحرب الروسية العثمانية، إلا أن حركته باءت بالفشل، وبعد انقلاب تموز ١٩٠٨ تواجد حسين بدرخان في مسقط رأسه وحاول استرجاع أملاك والده بدرخان بك، ولكن جوبه بمقاومة من الاتحاديين، وفي انتخابات ربيع عام ١٩١٢، فاز حسين بدرخان مع أخيه حسن بمقعدين في مجلس المبعوثان العثماني عن ولاية كُردستان أو دياربكر، وبالتحديد كان حسين بدرخان قد فاز بمقعد مدينة سيرت، إلا انه جرد من حقوقه بقرار من جمعية الاتحاد والترقي، ثم أبعده^١.

عقب حرب البلقان كثف حسين بدرخان من نشاطاته في سبيل استقلال كُردستان، وكان أحد أبرز الأسباب التي دفعت به إلى إعلان حركته ضد الدولة العثمانية، وتنصيب نفسه أميراً على كُردستان منذ مؤتمر ارضروم أيار ١٩١٣، فضلاً عن كرهه العميق للأتراك، هو ظهور المسألة الأرمنية من جديد، وتخوف حسين بدرخان من استعلاء الأرمن على الكُرد في كُردستان وتأسيس دولة أرمنية^٢.

في ٢١ كانون الثاني ١٩١٣، نشر عبد الله جودت في جريدة (ترجمان حقيقت) وفي مجلته (اجتهاد)، مقالة تحت عنوان (أهي كُردستان أم أرمنستان؟) ناقداً فيها المقالات والدعايات الأرمنية، وخصوصاً تلك التي نشرتها جريدة جامانك الأرمنية التي ذكرت أن شمال كُردستان هي أرمنستان، وقد استشهد عبد الله جودت في مقاله هذا بأمثلة عن تاريخ الكُرد في تلك المنطقة، ليدافع عن كُردستانيتها، وبعد مضي يومين من نشر مقاله هذا تلقى عبد الله جودت هذه البرقية من عائلة بدرخان في دياربكر، وفيما يلي نص البرقية:

: "إلى السيد عبد الله جودت في جغال أوغلو[منطقة في استانبول]، باسم مئة ألف نسمة، نشكركم على مقالكم المنشور في ترجمان حقيقت بعنوان (أهي كُردستان أم

١. مالمسيانز، بدرخانيو...، ص ١٣٠ .

٢. ينظر: م. س. لازاريف، المصدر السابق، ص ٣٠٣-٣٠٦ . يذكر الباحث ديفيد مكبول بأن حسين بدرخان، كان الشخصية الرئيسية وراء التآمر الكُرد في المنطقة حتى اغتياله. ينظر مؤلفه: المصدر السابق، ص ١٧٣ .

أرمنستان؟)، عشت أيها الوطني الغيور، إن التصميم على عقد اجتماع عام، وحضور شخصكم الفاضل فيه من أجل التفكير بشأن مستقبل كردستان ومصيرها في مكان ما هنا مناسب، أمل امتنا الكبير، وأنا باسم عشائر بختيان جميعاً لمنتظرون تشريفكم لنا". التوقيع: (سليمان-كامل حسن- حسين أمير بدرخان زاده)^١.

أجاب عبد الله جودت على هذه البرقية بقوله: "أشركم وإني مملوك أمتنا ودولتنا، أما التفصيلات ففي طريقها إليكم من طريق البريد. عبد الله جودت"^٢.

لم يتم العثور حتى الآن على ماهية نوع هذه التفاصيل، التي بعثها عبد الله جودت إلى حسين باشا أمير بوتان، بخصوص الاجتماع الكردي الذي اتفقت عليه مراكز القيادة الكردية لمواجهة التحديات، التي واجهت الكرد عقب حرب البلقان، وأهمها هي انبعاث المسألة الأرمنية من جديد، وسياسة الإصلاحات الأوربية، وربما أن عبد الله جودت نفسه كان من المشاركين في هذا الاجتماع.

تدل هذه الأحداث على أن تحركاً نشطاً كان هناك، تقوم به عائلة بدرخان بك، التي فرضت سيطرتها على أملاك إمارة بوتان القديمة، وان هذه العائلة كانت تحت قيادة حسين بدرخان باشا، ومما يدعم هذا الاتجاه ما ورد في تقرير من نائب القنصل البريطاني في وان جي مولينيكس-سيل عن الأوضاع في شمال كردستان ويعود إلى تاريخ ١٩١٣/٤/٤، تحدث فيها عن اثر الإصلاحات الأرمنية في حركة حسين بدرخان باشا بقوله: "يبدو أن هناك فكرة رائجة بين الكرد مفادها أن الإصلاحات المزمع القيام بها في الولايات الأرمنية تهدد بدمار وجودهم القومي؛ ويقال: إن الاضطرابات في منطقتي الجزيرة وميديات سببها جواسيس حسين باشا (بدرخان)، الذي قال: إن الإمارة الأرمنية على وشك التأسيس، ودعا الكرد للقيام بثورة لحماية وجودهم القومي"^٣.

يبدو من خلال ما سبق بان الرجل الأول في لجنة الإرشاد الكردية كان حسين بدرخان، وبحسب ما يفهم من الوثائق البريطانية والروسية، كان حسين بدرخان على ما يفهم من تحركاته آنذاك الرجل الأول الذي كان يقود التحركات الكردية في

١. ماليسانز، القومية الكردية ود.عبد الله جودت...، ص ٥٨ .

٢. المصدر نفسه.

3. No. 396, British Vice Consulate(J.MOLYNEUX-SEEL), Van, April 4th, 1913, IN: (M.D.B.D.A), P.582-585.

بوتان، وديار بكر، وخربوط، وحتى في بتليس نفسها^١.

لا تشير المصادر القريبة إلى أعمال حسين باشا بدرخان بعد ذلك، سوى أن الأتراك قد اغتالوه في حزيران ١٩١٣ وبمقتله انهارت آمال العائلة البدرخانية في تأسيس دولة كردية في شمال كردستان^٢. وقد رثت مجلة (روژی كُرد) في عددها الثاني الصادر بتاريخ ١٩ تموز ١٩١٣ وفاة حسين باشا بدرخان، وأبدت تأسفاً العظيم لهذه الخسارة الكردية الكبيرة^٣، وفي العدد الثالث من مجلة (روژی كُرد) الصادر في تاريخ ١٤ آب ١٩١٣، نشرت المجلة صورة لحسين باشا بدرخان على غلافها، كما نشرت مقالة عن حياته^٤.

لقد تولى رئاسة الحركة الكردية في تلك المناطق بعد اغتيال حسين بدرخان، شقيقه حسن بدرخان، الذي اخبر بدوره نائب القنصل البريطاني في وان مولينوكس سيل استعداداً للثورة، ولكنه سوف يرضى إذا ما منحت الحكومة العثمانية للكرد ما وعدت به العرب، أي تعيين موظفين يتكلمون لغتهم المحلية، وإنفاق دخل الضريبة محلياً؛ ولكن يبدو أن الزعيم الفعلي للجنة الإرشاد الكردية أصبح عبد الرزاق بدرخان، الذي عُرف بميوله الروسية، ومحاولة الحصول على دعمها لنيل الاستقلال الكردي.

١. يشير نائب القنصل البريطاني في وان أيان سميث في تقرير له بتاريخ ١٠ كانون الثاني ١٩١٤، إلى أن الاتحاد الكردي الذي كان من المزمع تشكيله، تحت قيادة عائلة بدرخان قد باء بالفشل. ينظر:

-Inclosure 1 in No. 389, Vice-Consul Smith to L.Mallet, Van, January 10, 1914, IN: (M.D.B.D.A), P.634.

- من المهم هنا القول بان جليلي جليل يذكر بان خير الدين برانزي كان رئيس اللجنة الكردية، إلا أن عبد الرزاق بدرخان يقول انه كان احد الذين وضعوا أساس اللجنة الثورية الكردية. ينظر: جليلي جليل وآخرون، المصدر السابق، ص٧٨؛ عبد الرزاق بدرخان، بقعة ضوء، ترجمة وإعداد جليلي جليل، ترجمة النص الكردي: حيدر عمر-علي جعفر، برلين، ٢٠٠٠، ص٣٢.

٢. ديفيد مكدول، المصدر السابق، ص١٧٢-١٧٣؛ مالمسايز، بدرخانيو جزيرة بوتان...، ص١٣٦.
٣. بوكرمانجي: ونداكي مزن، مجلة روژی كُرد، العدد (٢)، ١٩ تموز ١٩١٣، ص٢١، في: روژی كورد ١٩١٣: گوڤاري جڤاتي (هيفي) قوتابيانى كورد ١٩١٣-هسته موول، ناماده كردن وليكولينه وهئ: عه بدوللا زهنگه نه، پيشه كي: ئيسماعيل شوكر، سليمانى، ٢٠٠٥.

٤. ينظر: حيات مشاهير: بدرخاني حسين باشا، مجلة روژی كورد، العدد (٣)، ١٤ آب ١٩١٣، ص٤-٦، في: هه مان سه رچاو.

٥. ديفيد مكدول، المصدر السابق، ص١٧٣؛

-Justin McCarthy and others, Op.Cit., P.159-169.

٢-تحركات عبد الرزاق بدرخان :

لعبد الرزاق بدرخان تاريخ طويل في معارضة الدولة العثمانية، منذ تسعينات القرن التاسع عشر إبان عهد السلطان عبد الحميد الثاني، ولم يتفق مع توجهات جمعية الاتحاد والترقي أيضاً، وعارض سياستها في كردستان، وخلال سنوات ١٩١١-١٩١٤ تواجد عبد الرزاق بدرخان في كردستان إيران، ودخل في تحالف مع الزعيم الكردي سمو شكاك، وقد فتح في مدينة خوي الكردية جمعية عرفت باسم (جيهان زاني-التعليم)^١.

تواجد عبد الرزاق بدرخان في شمال كردستان على الحدود العثمانية الإيرانية، في معظم شهور عام ١٩١٣ لمحاولة تهيئة حركة كردية يعمل من خلالها الكرد على طرد الأتراك من بلادهم، وشارك في مؤتمر ارضروم، وكان من ابرز المنادين بضرورة كسب روسيا إلى جانب الحركة الكردية^٢؛ كما كانت حركاته تهدف إلى الوقوف بوجه التحركات الأرمنية في شمال كردستان، وأراد أن يبعث إلى الأرمن والأوروبيين رسالة مقاومة، فقد شعر أنهم كانوا على وشك السيطرة على الشرق العثماني، ونزع سلاح الكرد، وإعطاء أراضيهم للأرمن، وإخضاع الكرد كلهم للعبودية^٣.

في ٩ تموز ١٩١٣ ذكر نائب القنصل البريطاني في وان مولينوكس سيل، في أحد تقاريره أن الزعيم الكردي عبد الرزاق بدرخان كان يعمل بين صفوف الكرد، لبعث فكرة الحكم الذاتي الكردي تحت السيادة الروسية، وكانت حجته في ذلك أن الحكومة العثمانية على وشك منح الحكم الذاتي للأرمن، وبهذه الدعاية قيل إنه كان مدعوماً من جانب العملاء الروس في خوي وارومية وأماكن أخرى^٤. ذكر المبشر الانكليزي ويگرام عندما كان في رحلة إلى كردستان في تلك الآونة، أنه كان يطلق على عبد الرزاق بدرخان لقب (ملك كردستان الموحدة)^٥، ربما حصل على هذا اللقب بعد اغتيال حسين بدرخان باشا، واستلامه مهام قيادة التنظيم الكردي (الإرشاد).

١. للتفاصيل ينظر: جليل جليل، نهضة الأكراد...، ص١٣٧-١٨٩؛ صلاح محمد سليم هروري، الأسرة البدرخانية...، ص٥٩-٧٢.

٢. م. س. لازاريف، المصدر السابق، ص٢٩٧-٣٠٤.

3. Justin McCarthy and others, Op.Cit., P.159.

4. SALAH R.SONYEL, MINORITIES..., P.299.

٥. دبلو. أي. ويگرام وادگار. تي. أي. ويگرام، مهد البشرية: الحياة في شرق كردستان، ترجمة: جرجيس فتح الله، ط٤، أبريل، ٢٠١٠، ص٣٧-٣٨.

رصدت تقارير القنصليات البريطانية تحركات مكثفة لعبد الرزاق بدرخان قام بها في الأشهر الأخيرة من عام ١٩١٣، وأنه كان يدعو الكُرد إلى القيام بثورة عارمة خوفاً من وقوع كُردستان بيد الأرمن، وأن الخطوة الأولى في ذلك هي طرد الأتراك الذين يعدون السبب الأساسي في ذلك^١.

قام عبد الرزاق بدرخان بتوزيع منشير ورسائل بين الكُرد في شمال كُردستان، كتبها بنفسه بأسم لجنة الإرشاد الكُردية، وأبرزها تلك التي نشرتها جريدة (هاراتش-Haratch) الأرمنية في عددها الصادر في ٣١ تشرين الأول ١٩١٣، وفي هذا المنشور يدعو عبد الرزاق بدرخان إلى الثورة بوجه الحكم التركي في كردستان، لأن بلاد الكُرد في خطر، وأنها ستعطي للأرمن، والحكومة العثمانية غير مبالية بذلك: "ستنعم الولايات الست التي تشكل (أرمينيا) وهي: (وان، وبتليس، وأرضروم، وسيواس، وخربوط، وديار بكر) بميزات خاصة للأرمن... وان صادق المجلس في (لندن) على امتيازات الأرمن... فستكون الخيبة من نصيب الكُرد... نحن الكُرد المعروفون من أغلبية الأوربيين، وفي جميع أوساط المثقفين، نحن من تصفهم المعاجم كعشائر شبه متوحشة نعيش على السرقة، وكرة لا يُعترف بنا كأمة لها الحق في الحضارة على غرار الأرمن. بالطبع لن يصغي أحد إلى برقياتنا، وخطاباتنا، وممثلينا، وفي ظل الظروف الراهنة نستذكر المثل الفارسي التالي (بسلاحنا المرفوع ستبقى الأمة محمية). مع ذلك لا نقول إننا سنرفض قرارات القوى الست، لكن سكان الولايات المجموعة تحت اسم (أرمينيا)، وسكان المناطق الأخرى هم من الكُرد بنسبة ثمانين في المئة، وهم يمتلكون معظم الأراضي، وبالتالي لا بد من أن تحتل حقوقهم ومصالحهم الصدارة. والآن بما أن الحكومة تخلت عنا فان كان ثمة من أمة تستحق امتيازات فهي الأمة الكُردية. فضلاً عن ذلك، تجدر الإشارة إلى أن المسيحيين الأشوريين الذين يشاطرون الكُرد في تقاليدهم، وعاداتهم، وشيم عشائريهم، والذين انضموا إلينا وياتوا حلفاءنا لن يقبلوا يوماً أن تُعطي الامتيازات للأرمن مع تجاهل الكُرد والأشوريين"^٢.

1. Justin McCarthy and others, Op.Cit., P.159.

٢. لظهور هذه الوثيقة أهمية كبيرة في تاريخ الكُرد، فرغم علاقتها بالمسألة الأرمنية بشكل مباشر، بينت هذه الوثيقة أن الحركة الكُردية خلال عامي ١٩١٣-١٩١٤ إنما كانت تقودها لجنة الإرشاد، وان ظهور هذه الوثيقة قد عملت على ربط الأحداث والتحركات الكُردية في شمال كُردستان، منذ مؤتمر أيار ١٩١٣ في أرضروم، حتى ما بعد انهيار حركة الملا سليم البتليسي في نيسان ١٩١٤. للإطلاع على النص الكامل لمنشور عبد الرزاق بدرخان ينظر الملحق رقم (٨).

لا تحتاج هذه الوثيقة التاريخية المهمة النفيسة جداً إلى تعليق، سوى التذكير بأنه على الرغم من إن السبب الأساسي للثورة التي دعا إليها عبد الرزاق بدرخان كان يكمن في تطبيق الإصلاحات الأرمنية في شمال كردستان، رغم ذلك فإن عبد الرزاق بدرخان وجّه الثورة نحو الأتراك وليس نحو الأرمن، وان اللغة الحماسية المليئة بالعواطف التي كُتِبَ بها هذا المنشور تظهر أن عبد الرزاق بدرخان نفسه لا يلوم الأرمن في ما آلت إليه أوضاع الكُرد آنذاك، ولكن يوجّه كل اللوم والنقد إلى الأتراك، ويوضع هذا الموقف من عبد الرزاق بدرخان ضمن القائمة الطويلة من المواقف التي أظهرها القادة الكُرد والذين يمثلون الشعب الكُرد، في أن الخصم والعدو هو الأتراك وحكوماتهم، عكس الأرمن الذين لم يفهموا هذا الأمر حتى دفعوا الثمن غالياً خلال الحرب العالمية الأولى، وكانوا يعدّون دوماً الكُرد من أعدائهم، ويجب إزاحتهم من معظم أرجاء شمال كردستان.

إن المعلومات عن تحركات عبد الرزاق بدرخان وعلاقته بالأرمن قليلة، ولا تتطرق المصادر المقربة إلى نوع هذه العلاقة وما حدث بعد ذلك، سوى انه كان على اتصال بحركة ملا سليم البتليسي التي اندلعت في آذار ونيسان من العام ١٩١٤ .

٣- حركة ملا سليم البتليسي (آذار-نيسان ١٩١٤) :

تعدّ حركة ملا سليم البتليسي إحدى أبرز الحركات الكُردية التي شهدت بين ثناياها فكراً قومياً كُردياً بارزاً، قلما نجده في الحركات الكُردية الأخرى، وشكلت هذه الحركة قمة الصراع الكُردى التركي في العهد الدستوري، والتي أراد من خلالها الكُرد إخراج الأتراك من شمال كردستان، كما يمكن عدّ هذه الحركة انعطافاً متميزةً وخطيرةً في الوقت نفسه بشأن العلاقة الكُردية الأرمنية.

وردت أسماء ثلاث شخصيات أو اربع كانت لها الدور الأكبر في إعلان هذه الحركة وقيادتها، وهم: (الملا سليم البتليسي، وسيد علي، وشقيقه الشيخ شهاب الدين، وخير الدين برازي)، ومن المفيد في هذا الصدد القول إن سيد علي والشيخ شهاب الدين، كانا من أحفاد الشيخ جلال الدين، الذي كان قد أتهم أثناء الحرب الروسية العثمانية ١٨٧٧-١٨٧٨، بقيامه بنهب وسلب قرى الأرمن وقتلهم، كما مرّ بنا سابقاً، وكان الشقيقان من أشد المناصرين للتعاون الكُردى الأرمني في هذه الحركة، إلا أن القيادة الفعلية لهذه الحركة كانت بيد ملا سليم البتليسي، الذي كان واحداً من أشهر

الشخصيات الدينية في بتليس، ولذا تُعرَف هذه الحركة في المصادر التاريخية بحركة ملا سليم البتليسي^١.

لا يمكن القول ببساطة أن هذه الحركة، التي اندلعت رحاها خلال شهري آذار ونيسان ١٩١٤، كانت بعيدة عن التحركات الكرديّة الأخرى، التي نشأت وتطورت بعد حرب البلقان وانتشار الدعاية الأرمنية بخصوص قرب تأسيس دولة لهم في شمال كردستان، ومن الممكن جداً القول إن ملا سليم مع الشيوخ الآخرين كانوا متواجدين في مؤتمر الكرد في ارضروم، الذي كان قد انعقد في أيار ١٩١٣، لذلك لا يمكن استبعاد كون حركة ملا سليم البتليسي من أحد أبرز إفرافات مؤتمر ارضروم، خاصة إذا ما علم أن خير الدين برازي الذي كان أول ضحايا هذه الحركة، فقد ألقى الأتراك القبض عليه في أيلول ١٩١٣ وأمروا بإعدامه في الشهر نفسه، بتهمة توزيعه للمناشير الداعية إلى الحركة ضد حكومة الاتحاديين، وتأسيس دولة كردية مستقلة^٢، وفي نفس الوقت فإن المناشير السابقة الذكر التي وزعها عبد الرزاق بدرخان كانت تعود إلى نفس المدة التي أُلقي القبض فيها على خير الدين برازي، وبناءً عليه فإن المناشير التي كان ينشرها خير الدين برازي بين الكرد كانت هي مناشير عبد الرزاق بدرخان نفسها، ويؤكد عبد الرزاق بدرخان من جانبه في أحد تقاريره المرفوعة إلى الساسة الروس في الحرب العالمية الأولى على أن خير الدين برازي كان من مؤسسي اللجنة الكردية (الإرشاد)، وكان يقيم عنده في مدينة خوي بكردستان إيران، وعند عودته إلى كردستان الدولة العثمانية تعرض للخيانة من أحد مرافقيه ويدعى (حسين أفندي)، وقُتلَ غدرًا بيد شخص شركسي؛ ثم سلّم حسين أفندي جميع المستندات والمنشورات المتعلقة بلجنة الإرشاد، التي كانت بحوزة خير الدين برازي إلى والي وان تحسين باشا^٣، ويذكر المؤرخ لازاريف بهذا الصدد أيضاً: "لم تكن انتفاضة بتليس عفوية، إذ انه قد أعد لها على مدى ثلاثة سنين كل من عبد الرزاق بدرخان، ويوسف كامل، وغيرهما من الزعماء الأكراد الذين هم بالدرجة الأولى من أقارب بدرخان..."^٤.

1. Garo Sasuni, A.G.E., S.146-147;

- عثمان علي، دراسات...، ص ٢١٥-٢٢٦.

٢. ينظر: جليلي جليل، نهضة الأكراد...، ص ١٩٨-١٩٩.

٣. ينظر مذكراته: المصدر السابق، ص ٣٢.

٤. نقلاً عن مؤلفه: المصدر السابق، ص ٣١٠.

وبالاستناد على هذه الأمور فإن الأمل الكردي في طرد الأتراك من شمال كردستان، وإنقاذ الكرد كذلك من عملية التهميش في الإصلاحات الأرمنية انحصر بعد اغتيال حسين باشا بدرخان، في حركة ملا سليم البتليسي، وكانت أولى التحركات الكردية في هذه الحركة قبل اندلاعها بعد أن وحدوا مواقفهم إلى حد ما هي الاتصال بالأرمن لتشكيل جبهة موحدة ضد الأتراك، وبطلب من السيد علي التقى ملا سليم البتليسي بقيادات حزب الطاشناق الأرمني سرّاً في موش، وتعود هذه اللقاءات إلى عام ١٩١٣، كما صرّح به كارو ساسوني. في اللقاء الأول التقى ملا سليم مع القس الأرمني (فارتان فاربيت- Vartan Vartabwt) عضو اللجنة المركزية لحزب الطاشناق، في كنيسة (سورب كارابيت- Surp Garabet) الواقعة بالقرب من موش، وباسم سيد علي عرض عليه ملا سليم توحيد الجهود الكردية والأرمنية لطرد الأتراك من بلادهم، وحضر في الاجتماع الثاني قيادات بارزة من حزب الطاشناق، ففضلاً عن فارتان حضر معه (كورن- Gorun)، (روبن- Rupen)، وقد اتفق ملا سليم معهم على الأهداف التالية للحركة الكردية الأرمنية الموحدة، وهي:

١- إن هذا البلد، إنما يخص الكرد والأرمن.

٢- إن يتمتع هذا البلد بحكم ذاتي واسع شرط أساس.

٣- يجب أن يدير البلد الأرمن والكرد^١.

ثم قرروا في وقت لاحق: "الإعلان عن استقلال جميع محافظات الشرق، من خلال الوحدات الكردية والأرمنية، وضمان إدارة المنطقة من أبناء القوميتين القاطنتين فيها"^٢. وبحسب قول مينورسكي فإن الكرد أفادوا: "بأننا محتاجون إلى ذلك الحامي مثل الأرمن الذين لديهم روسيا"^٣.

قبل اندلاع الحركة بمدة قصيرة، وبالتحديد في ١٠ آذار ١٩١٤، توجه ملا سليم بطلب رسمي باسم الكرد المنتفضين إلى الزعيم الديني للأرمن في بتليس، حيث طمأنه عن مشاعر الكرد الصادقة تجاه الأرمن^٤، وذكر فيها بان حركته موجهة كلياً ضد

1. Garo Sasuni, A.G.E., S.147-148

2. A.E.;

- مالميسانز، القومية الكوردية ود. عبد الله جودت...، ص ٦١ .

٣. نقلاً عن: م. س. لازاريف، المصدر السابق، ص ٣١٨ .

٤. جليلي جليل، نهضة الأكراد...، ص ٢٠٢ .

حكومة الاتحاد والترقي وليست موجهة ضد الأرمن، وأدناه نص هذه الرسالة:

" لا يخفى على سعادتكم أننا أقدمنا على حشد فدائيي الإسلام هنا، ولكن نعلمكم أننا لا ننوي أبداً الشر للشعب الأرمني، وأصدرنا أوامر صارمة بهذا المعنى لأنصارنا في المنطقة، ونطلب أن تصدروا أنتم أوامر أيضاً لأتباعكم، ليقفوا موقف الحياد، وأن لا يتدخلوا بما يجري من الإحداث من حولهم، وإذا رأى احد من أتباعكم أحداً من الثوار الكرّد فليتظاهر وكأنه لم يره، إن وجودنا هنا لمسألة مختلفة كلياً ولا تمت للأرمن بصلّة"^١. وقد شدّد سيد علي من جانبه في أوامره إلى الكرّد بعدم التعرض للأرمن^٢.

اندلعت حركة ملا سليم البتليسي في بداية شهر نيسان ١٩١٤، ودخل ثوار الكرّد مدينة بتليس وسيطروا على أجزاء منها، ولكن لم يستمر بقائهم في بتليس لأكثر من أسبوع، حيث تمكنت القوات الحكومية من محاصرة الثوار الكرّد في بتليس، وقتلت العديد منهم، وألقت القبض على قادتهم، ومن ضمنهم سيد علي والشيخ شهاب الدين وأعدمتها مع (١٣) آخرين^٣. كما اعتقلت السلطات العثمانية يوسف كامل بدرخان في سيرت بتهمة المشاركة في الحركة^٤، وهذا ما يدعم الرأي القائل بأن عائلة بدرخان، التي كانت على رأس لجنة الإرشاد، لم تكن بعيدة عن هذه الحركة؛ أما ملا سليم فكان قد التجأ إلى القنصلية الروسية في بتليس، وطلب الحماية منها، وبقي فيها لحين بدء الحرب العالمية الأولى عندما أغلق الأتراك القنصلية الروسية فيها، وهاجموا بنايتها، وأسروا ملا سليم ثم قاموا بإعدامه مباشرة^٥.

وعلى الرغم من أن طبيعة الحركة وأهدافها كانت واضحة جداً، من خلال عملياتها فإن الصحف التركية والغربية قد صوّرت الحركة الكرّدية تصويراً ناقصاً ومشوهاً ينسجم مع سياسة الحكومة التركية، إن المراسلين الانكليز، والفرنسيين، والروس كانوا يقيمون الانتفاضة الكرّدية بأنها حركة رجعية، ويفسرونها كما لو كانت ضد الأرمن والمسيحيين في شمال كرّدستان، فمثلاً كتب مراسل ديلي تلغراف بصراحة ما يلي:

١. الوثيقة رقم (٨)، بتليس، ١٦ نيسان ١٩١٤، في: عثمان علي، الكورد في الوثائق...، ص ١٢٦-١٢٧.

2. Garo Sasuni, A.G.E., S. 148.

3. A.E.

٤. جليلي جليل، نهضة الأكراد...، ص ٢١٣.

٥. زنار سلوبي، المصدر السابق، ص ٤٥.

لقد أعلن زعماء الانتفاضة الكردية، حرباً مقدسة ضد الأرمن^١؛ ولكن بالاستناد إلى ما سبق يفند جميع الآراء التي نادى بأن الحركة الكردية كانت موجهة ضد الأرمن والمسيحيين.

ماذا كان دور الأرمن، حسب الاتفاق السابق الذكر؟ كان على الأرمن فعلاً، إن كانوا يعدون الأتراك عدواً لهم هو أن يقاتلوا الأتراك إلى جانب الكرد ويطردونهم من بلادهم، إلا أن العكس حدث بشكل كامل، فعندما أعلن ملا سليم حركته، لم يف الأرمن بتعهدهم القتال إلى جانبه، بل أن الأتراك قاموا بتجنيدهم وتوزيع السلاح عليهم وقاتلوا بجانب القوات الحكومية ضد ثوار ملا سليم البتليسي^٢، علماً أن ثواره من الكرد عند دخولهم بتليس ومرورهم بالحي الأرمني فيها لم يتعرضوا للأرمن، بل إن الثوار الكرد أخبروا الأرمن أنهم لا يكونون لهم العدا، وأن حربهم موجهة ضد الحكومة العثمانية فقط، وأن لا خطر عليهم من جانبهم^٣. وعلى الرغم من الظروف السيئة للثوار الكرد لم تلاحظ ولا عملية نهب واحدة من جانب المنتفضين في المدينة، وكما يشهد مراسلوا الجرائد الأرمنية أنفسهم، فلقد كان الكرد يعبرون عن مشاعر الاحترام والصداقة تجاه السكان الأرمن، حيث كتب مراسل جريدة (اوريزون) في بتليس ما يلي: "كانت الجماهير الكردية تعامل الأرمن بغاية الطيبة والمودة، حتى إنهم كانوا يمتنعون عن أخذ الخبز، الذي كان الأرمن يتبرعون لهم به، كانوا يأخذون من الأرمن الوقود عند الضرورة فحسب، لأنهم كانوا خلال اليوم كله تحت الثلج والمطر، وكان ذلك يريح الأرمن بشكل كبير"^٤.

وبحسب تاشاراكوف، القنصل الروسي في بتليس، فإن سبب الانتقام القاسي التركي ضد الكرد كان يتلخص في أن هذه الحركة لم تكن موجهة ضد الأرمن، كما كانت السلطات تنتظره، بل كانت ضد الحكومة التركية تماماً^٥.

يذكر كارو ساسوني أن أخا سيد علي الشيخ رشيد كان قد أفشى بمعلومات مهمة وخطيرة للحكومة العثمانية عن الاتفاقية الكردية الأرمنية، ولهذا بادرت القوات

١. جليلي جليل، نهضة الأكراد...، ص ٢٢٠.

2. Garo Sasuni, A.G.E., S.148-149; BENGI KÜMBÜL, A.G.E., S.109.

٣. الوثيقة رقم (٨)، بتليس، ١٦ نيسان ١٩١٤، في: عثمان علي، الكورد في الوثائق...، ص ١٢١.

٤. نقلاً عن: جليلي جليل، نهضة الأكراد...، ص ٢٠٦-٢٠٧.

٥. م. س. لازاريف، المصدر السابق، ص ٣١٢.

الحكومية إلى السيطرة على مواقف الأرمن، ولعلم الأتراك بهذه الحركة مسبقاً وبالعلاقاتها مع الأرمن لهذا دخلوا موش، وأجبروا الأرمن بإمدادهم بالمتطوعين للوقوف بوجه الحركة الكردية، وبعد أن خضعوا للأمر أرسلوا على الفور إلى سيد علي برسالة يخبرونه بأنه لو شاهد الأرمن يقاتلون إلى جانب القوات الحكومية فعليه أن لا يستغرب، لان ذلك هو مجرد ذر الرماد في عيون الأتراك، لان الأرمن ما زالوا صادقين ويحترمون الاتفاقية التي وقعت بينهم^١.

لكن كامل بدرخان في تقرير له إلى الروس يعود تاريخه إلى عام ١٩١٧، يذكر رأياً مخالفاً لرأي كارو ساسوني، ويذكر بأن الطرفين الكردي والأرمني في عهد الثورة الدستورية عقداً حلفاً وبمشاركة واسعة، واتفقوا على أن يعيشوا بسلام ولا يخذعوا بدسائس السلطات التركية بعد الآن، وان يوحدوا جهودهم للخلاص من الظلم التركي لنيل حقوقهم؛ ثم يضيف: "رغم تلك التعهدات الحسنة بين الطرفين، انخضعت اللجان الأرمنية بوعود تركيا الفتاة، وقاموا بخيانة الكرد، ووضعوا يدهم في أيدي الأتراك، وخلال حركة بتليس التجأ الأرمن إلى والي بتليس، ليحصلوا منه على السلاح لاستخدامه ضد الكرد، وقد أعطوهم (٧٠٠) قطعة سلاح، وقاموا مع الأتراك بالهجوم علينا"^٢.

بمجرد النظر إلى أحداث هذه الحركة يجب عدم إلقاء اللوم على الكرد مهما كان، في أي تبعات أو تطورات أخرى للمسألة الأرمنية، لأن الكرد قبل الحرب العالمية الأولى بحوالي خمسة أشهر في حركة الملا سليم البتليسي قد مدّوا أيديهم إلى الأرمن لإخراج وطرد الأتراك من بلادهم بلاد الكرد والأرمن، ولكن الأرمن وان اتفقوا مع الكرد نظرياً إلا أنهم لم ينفذوا هذا الاتفاق عملياً، وإن ما أشار إليه كارو ساسوني من أن الأتراك كانوا يعلمون بهذه الحركة مسبقاً، وأن أخوا الشيخ سيد علي قد أفشى بسر المعاهدة الكردية الأرمنية للأتراك، وان الأرمن أُجبروا على مقاتلة الكرد، كل هذا لا يقنع الباحث، خاصة إذا نظرنا إليها من وجهة النظر الأرمنية ومقارنة هذا الموقف الأرمني بموقفهم من انتفاضة الشيخ عبيد الله النهري، والذي مرّ بنا سابقاً، فهنا يطرح سؤال نفسه، وهو: أين تكمن المصلحة الأرمنية إذا ما تعاونوا مع حركة ملا سليم البتليسي، وان ما سيقاتلون لأجله في المستقبل ستكون أرمنستان أو كردستان؟ يبدو هنا أن

1. Garo Sasuni, A.G.E., S148.

٢. ئەفراسياو هه ورامى، كورد له ئەرشيفى رووسيا وسۆفقيهت دا، پيداچوونه وهى كورديه كهى: مستهفا غه فور، هه وليتر، ٢٠٠٦، ل ١٠.

الأرمن قد فكروا ملياً قبل الإقدام على أي خطوة بشأن دعم الحركة الكردية من عدمها، وهم كانوا على علم بمجىء لجان الإصلاح الأرمنية، وتحت إشراف أوربي، بل كان مسؤولو هذه اللجان قد وصلوا في تلك المدة إلى استانبول، فلماذا يقاتلون مع الكرد ويعرضون مصالحتهم إلى الخطر، وهم يريدون إلى جانب دحر النفوذ التركي في شمال كردستان تدمير قوة الكرد أيضاً، الذين هم في نظر الأرمن لا يقلون خطراً عن الأتراك، وربما كانت لجان الإصلاح ستحقق لهم هذه الأهداف. أما قول كارو ساسوني في إن الأرمن أجبروا على قتال الكرد، فيمكن الإجابة على ذلك بأن الأرمن في تلك المدة لم يكونوا يحسبون حساباً كبيراً للسلطة التركية، وأشارت تقارير القنصليات الأجنبية في شمال كردستان إلى أنهم كانوا أكثر وأحسن تسليحاً من الكرد، وكان بمقدورهم القتال بقوة إلى جانب الكرد^١. كما أن كامل بدرخان أشار بوضوح إلى أن الأرمن قاتلوا مع الأتراك ضد الكرد بملء إرادتهم، وإذا ما كان صحيحاً أن الأتراك أجبروا الأرمن على مقاتلة الكرد فيجب هنا تطبيق نفس الأمر على الكرد عندما قاتلوا الأرمن في تسعينات القرن التاسع عشر، وبناءً عليه لا يجب تحميل الكرد أي تبعات أخرى للمسألة الأرمنية بعد ذلك، لان الكرد قد نبهوا الأرمن إلى أن عدوهم المشترك هم الأتراك، وان الذي قُتل على أيديهم أولاً هم الكرد وليس الأرمن.

ورغم الدور السيئ للاتحديين من جهة، وللأحزاب الأرمنية من جهة أخرى في التفريق بين الكرد والأرمن وبث العداوة، فقد كانت هناك مؤشرات على أن العلاقات الكردية الأرمنية ما تزال تحمل جوانب إيجابية، منها مثلاً ما نقله مراسل جريدة (مشاك) من أن الكرد عندما كانوا يغادرون بتليس هرباً من القوات الحكومية كانوا يودعون السكان الأرمن، وتجنباً للانتقام خرج الفلاحون الكرد من قراهم إلى الجبال، كتبت جريدة اوريزون: "شاهد الجيش أن جميع القرى الكردية في منطقة ناحي خالية من السكان، لقد أودع الأكراد نساءهم، وأطفالهم، وأموالهم... لدى الأرمن، أما هم فقد رحلوا إلى أماكن مجهولة"^٢.

كما امتازت مواقف صحف الأرمن بأنها كانت ايجابية، ودافعت عن أهداف الحركة الكردية أمام الهجمة التركية والعالمية عليها، حسبما نقلها المؤرخ جليلي جليل وامتازت

١. ينظر مثلاً:

-No. 415, Report on a Journey through part of Vilayets of Van and Bitlis, 25 MAY 1914, IN: (M.D.B.D.A), P.662-665; Hüseyin Çelik, Op.Cit.

٢. جليلي جليل، نهضة الأكراد...، ص ٢٠٩.

مقالات الكاتب الصحفي الأرمني (ب. نافاسارديان)، بهذا الخصوص معتمداً على مراقبته الشخصية وخبرته الطويلة في دراسة وضع الكرد، أشار إلى أن الحركة في بتليس يجب وضعها في عداد الحركات الكردية المعادية للأتراك، وأعلن مجيباً على عنوان مقاله (انتفاضة كردية أم مذبحة ارمنية؟): "كانت الحركة الكردية انتفاضة ضد تركيا الفتاة، إنها لم تكن موجهة ضد الأرمن، ولا بهدف القيام بمذابح ارمنية"، أما رئيس تحرير الجريدة الأرمنية الشهيرة (مشاك) غ. اراكيليان، فاستنتج من عدد من رسائل المراسلين الشهود عيان ما يلي: "لقد اتضح لنا بالتدرج ظروف الحركة الكردية، وانطلاقاً من الأنباء القليلة والمشوشة والمتناقضة أحياناً يمكن أن نستنتج أن الحركة الكردية الحقيقية تتسم بطابع سياسي، وان مضمونها ليس هو النهب أو التعصب الديني، وليس في سلب السكان الأمنيين كما يزعم البعض حتى الآن، بل يعبر مضمونها عن طموح الأكراد للتكوين القومي، والى تأسيس الحكم الذاتي"^١.

قبل الختام لا بد من التطرق ولو مختصراً إلى السياسة الروسية تجاه الكرد خلال أعوام ١٩١٢-١٩١٤، التي أحدثت نقاشات حادة بين أغلب المؤرخين والباحثين الذين تناولوا سياسة روسيا تجاه الكرد في تلك المدة، فمن المؤرخين من أكد على صدق النوايا الروسية تجاه الكرد، وان الروس أرادوا تخليص الكرد من الأتراك، وهؤلاء ذكروا أن الحركة الكردية بين أعوام ١٩١٢-١٩١٤ إنما كانت روسية بالمعنى الحقيقي للحركة، لان الروس هم من دفعوا الكرد إلى إعلان حركتهم، وهم من دعموها مادياً، وهم من أووا الملا سليم البتليسي في قنصليتهم في بتليس، أمثال المؤرخين لازاريف^٢ وجليلي جليل^٣؛ إلى مؤرخ آخر شكك بتلك النوايا (الحسنة) التي أبدتها روسيا تجاههم، وان هذه السياسة لم تكن لتخرج عن صفة الاحتلال والاستعمار مثل ديفيد مكحول^٤ وجستن مكارثي^٥.

بعيداً عن هذه التعقيدات، وعن مراسلات القناصل والسفراء الأجانب، التي يدعم بها

١. نقلاً عن: المصدر نفسه، ص ٢٢٢-٢٢٣ .

٢. ينظر مؤلفه: المصدر السابق، ص ٣١٩-٣٤١ .

٣. ينظر مؤلفه: نهضة الأكراد...، ص ١٣٧ وما بعدها.

٤. ينظر مؤلفه: المصدر السابق، ص ١٧٠-١٧٣ .

٥. ينظر:

-Justin McCarthy , The Armenian Rebellion..., P157-169.

كل اتجاه حجته، يمكن الاستدلال على الموقف الروسي بعد كل ما مرّ عرضه في خطين أساسيين:

١- الخط الأول هو اتجاه السياسة الروسية إلى تأييد كافة الحركات القومية، التي اندلعت أو ستندلع في معظم أرجاء شمال كردستان والأناضول في المستقبل، بما فيها الحركة الكردية؛ لأن روسيا أرادت، وكما مرّ بنا سابقاً، ضمان نفوذها في الأناضول إذا وقعت أي حرب مستقبلية كتلك التي حدثت في البلقان، كما أن روسيا قد استندت إلى الرأي القائل: إن أي موقف معادي أو مناهض للحركة الكردية في تلك المدة ستعكس سلباً على مصالحها في المنطقة، وربما سيتوجه الكرد إلى التحالف مع الأتراك أنفسهم مرة أخرى، أو يحاولون كسب قوة دولية أخرى عظمى إلى جانبهم مثل بريطانيا وألمانيا، إذن فأين تكمن مصلحة روسيا في عدم تأييد الحركة الكردية؟! كما أن الروس كانوا يدركون بأنهم عاجلاً أم آجلاً سيحتلون جميع مناطق شمال كردستان، والتي يشكل الكرد فيها النسبة الأكثر كثافة من جميع القوميات الأخرى، فلا بد إذن من التعامل مع حركتهم بوجه حسن ولو كان ظاهرياً، لأن أحداً من الباحثين لم يستطع إثبات أن روسيا كانت تدعم مادياً أي حركة كردية، وإنما موقفها كان يتلخص في التأييد ليس إلا.

٢- أما الخط الثاني للسياسة الروسية تجاه الكرد فكان يتمثل في تلك السياسة التي أظهرتها روسيا على المستوى الدولي بعيداً عن الواقع في شمال كردستان، والتي بينتها رسائل وزير الخارجية الروسي سazanوف إلى الحكومة العثمانية، وإلى الزعماء الأوربيين كذلك، وهي: إظهار الكرد بمظهر المتوحش أو الظالم المتعطش للنهب والسلب والقتل، الذي لم ينفك بإيذاء الأرمن على الدوام، وذلك لأن روسيا احتاجت فعلاً إلى ذريعة للدخول في شمال كردستان، وفرض الإصلاحات الأرمنية على الدولة العثمانية، وإن أفضل السبل إلى ذلك هي: إحياء المسألة الأرمنية، وتوجيه سهام اضطهاد الأرمن إلى الكرد، وتصويرهم على أنهم مضطهدون لأتباع الديانة المسيحية في شمال كردستان، وإن لم تتحرك أوروبا فستجد بعد مدة قصيرة شمال كردستان بدون أي مسيحي وبدون أرمن.

إن أبرز من هاجم سياسة روسيا تجاه الكرد آنذاك، واطلع على أهدافها ومراميتها هو أحمد ثريا بدرخان، وذلك في تقريره الذي كان قد أرسله إلى مؤتمر السلام في باريس، الذي سبق ذكره، حيث ذكر فيه أن روسيا كانت متأكدة من دخولها في شمال

كُردستان، ولكن كانت تحتاج إلى ذريعة لهذا التدخل، وكان لإظهار الكُرد بمظهر المعتدي على الأرمن هو ضالتها في ذلك، ويشير إلى رسالة من الحكومة الروسية إلى حكومات الدول الأوربية الكبرى بتاريخ ١٥/٦/١٩١٣، جاء فيها: "إن الأخبار الأخيرة لم تؤد إلا إلى التأكيد على الانطباع، الذي نتوقعه في القريب العاجل، حول التجاوزات المؤسفة للكُرد"، ويرد أحمد ثريا بالقول: "وفي الحقيقة فإن التجاوزات المؤسفة التي أعلنوا عنها لم تحدث على الإطلاق"^١، ومن الوسائل التي اتخذتها روسيا للتقرب من الأرمن، وكسبهم بعد سنوات من العداء، هي وعودهم للأرمن بحل مشكلة الأراضي التي يطالبون بها، وبالتالي الضرب على وتر الخلافات الكُردية الأرمنية، وأعقب أحمد ثريا على ذلك، كيف أن روسيا: "لا يساورها الخجل للمطالبة بما تسميه بالأراضي المغتصبة"؛ لأنها تعلم أن الكُرد كانوا قد اشتروا تلك الأراضي من الدولة العثمانية كما يقول، وإن إيجاد الحلول لهذه المشكلة كان يتطلب جهداً أكبر من مجرد انتزاع هذه الأراضي من الكُرد بالقوة فقط، وانتقد أحمد ثريا كثيراً مساعي السفير الروسي في الدولة العثمانية السيد كايرز في هذا المجال آنذاك، وأنه كان قد هدّد بدخول الجيش الروسي إلى شمال كُردستان لحل هذه المشكلة إذا لزم الأمر، وبعد مفاوضات طويلة تمكنت روسيا من فرض الإصلاحات الأرمنية على الدولة العثمانية، عن طريق إبراز مظالم الأرمن من جهة، والدخول كذلك في شؤون الحركة الكُردية الصاعدة آنذاك من جهة أخرى^٢.

وقد أختتم أحمد ثريا قوله عن السياسة الروسية، بالتحدث عن المفتشين الأوربيين الذين وصلوا إلى استانبول، حيث قال: "وافقت روسيا على إرسال اثنين من المفتشين العاميين مع سلطات تامة، إن هذين المفتشين كانا يجهلان اللغة الكُردية، وكان يصاحبهما مترجمين أرمن، وقد ادعيا بأنهما كانا مبعوثين من جانب أوروبا، وذلك من أجل تخليص المسيحيين من ظلم شعب متطرف ومتوحش، وإنهم لا يمكن أن يجدوا حلاً غير تجريد الكُرد من أراضيهم وإعطائها للأرمن. إن اثر هذا الظلم يمكن أن يكون له انعكاس كبير على المسلمين ولا يمكن فهمه من قبلهم، طالما أن هؤلاء يجهلون أن هذه الأراضي قد دُفع ثمنها، وإنهم يعتقدون عندما يقومون بذلك بأنهم سوف يحققون العدالة. كما قام

1. KURDISTAN ou ARMENIE, Op.Cit., P.17.

2. Ibid, P.17-18.

أحد أعضاء جمعيتنا^١ بزيارتهم خلال إقامتهم في القسطنطينية، وذلك بقصد إعطائهم بعض الملاحظات بخصوص كُردستان، إلا أنه أصيب بخيبة أمل، فقد أجابوه بأن لديهم خزانة من الكتب عن البلاد، وهم يبحثون فيها، على الرغم من أن عضو الجمعية قد نبههم إلى أن مؤلفي هذه الكتب من الأوربيين، ولم يكونوا يعرفون اللغة الكُردية، ولم يبقوا في كُردستان إلا لمدة قصيرة جداً، وكانت انطباعاتهم ضعيفة بخصوص مشكلات بلاده، ولذلك ليس باستطاعتهم أن يكون لديهم انطباع حولها^٢.

١. يقصد هنا جمعية الاستقلال الكُردية، التي أسسها أحمد ثريا بدرخان مع بعض الكُرد الآخرين في مدينة القاهرة المصرية عام ١٩١٧، ومما يلفت هنا أن هذه الجمعية الكُردية، وكما هو متعارف عليه، كانت قد تأسست في العام ١٩١٧، ولكن هذا النص رُبما يوحي إلى أنها ربما كانت قد تأسست قبل تلك المدة، أو إن العضو الذي ينتمي إلى هذه الجمعية الذي زار المشرفين الأوربيين في استانبول في عام ١٩١٤، كان من أحد المؤسسين لهذه الجمعية بعد ذلك. ينظر: علي تتر توفيق، المصدر السابق، ص ١٧١-١٧٧.

2. KURDISTAN ou ARMENIE, Op.Cit., P.19.

ثالثاً- الكرد والأرمن في العام الأول من الحرب العالمية الأولى

سجلت الحرب العالمية الأولى أحد أسوء وأشد فصولها قساوة وعنفاً في شمال كردستان، لأن أقل التقديرات تشير إلى مقتل ما لا يقل عن مليون ونصف المليون إنسان من الكرد والأرمن في تلك المنطقة، وإذا ما كانت المأساة الأرمنية معروفة لدى العالم اجمع منذ الشهور الأولى من وقوعها، فإن المأساة الكردية في تلك الحرب، وبعد مضي مدة زمنية طويلة عليها، غير معروفة حتى للعديد من المؤرخين المهتمين بالتاريخ الكردي الحديث، بل إن الكرد أنفسهم متهمون لدى الرأي العام العالمي بأنهم مشاركون في المذابح الأرمنية، التي تعرض لها الأرمن في عام ١٩١٥، وإنهم كانوا اليد التي ضرب بها الأرمن.

لا تكاد تخرج أسباب عدم معرفة الرأي العام العالمي بالمأساة الكردية في الحرب العالمية الأولى، عن عدم استطاعة الكرد التعريف بقضيتهم والمآسي التي تعرضوا لها لدى الرأي العام العالمي، على أنهم ليسوا (الجلادين)، كما صورتها لهم الدعاية الأرمنية والإرساليات التبشيرية المسيحية، التي كانت تعمل آنذاك في شمال كردستان، بل إنهم ضحايا الحرب مثل الأرمن، كما تعاملت الدول الكبرى في الحرب مع الكرد على أنهم عنصر مُعادٍ، فضلاً عن الهجمة الإعلامية الأرمنية الكبيرة ضد (الجلادين) الكرد في أثناء الحرب العالمية وتعريفهم للعالم المتقدم، حتى قبل الحرب، على أنهم اليد المنفذة للمذابح في شمال كردستان، وأخيراً فإن ظهور الحركة الكمالية في شمال كردستان ونجاحها أدى إلى طمس المأساة الكردية بشكل كبير لحد الآن.

طرأت على مواقف الأرمن والكرد بشأن الحرب، والموقف من الأتراك تغييرات عديدة، فبعدما كان الأرمن على وفاق وتحالف مع الأتراك، تبذلت مواقفهم منذ النصف الثاني من العام ١٩١٤ بوقوفهم إلى جانب روسيا ضد الدولة العثمانية، في محاولة منهم للاستفادة من ظروف الحرب وتأسيس أرمينيا الكبرى، أما الكرد فيكاد معظم المؤرخين والباحثين الذين تطرقوا إلى الموقف الكردي من الحرب يتفقون على نتيجة واحدة وهي: أن الموقف الكردي كان يتأرجح قبل اندلاع الحرب وفي بدايتها

ما بين محايد ومؤيد للروس، فإن أحداث حركة الملا سليم البتليسي كانت ما تزال عالقة في أذانهم وخاصة الكُرد في ولايات ارضروم، وبتليس، ووان، ولم يكونوا لينسوا موقف قنصلية روسيا في بتليس من حمايتها للملا سليم البتليسي، ولكن تطورات الحرب، وأعمال الفرق المتطوعة الأرمنية المصاحبة للجيش الروسي قد بدلت موازين التحالفات في شمال كُردستان رأساً على عقب، كما سيأتي الحديث عنها لاحقاً.

لقد كانت الإصلاحات الأرمنية الثالثة، وظهور بوادر الحرب العالمية الأولى البداية الحقيقية للتنافر التركي الأرمني من جديد واصطفافهما في معسكرين متضادين، مما أدى إلى وقوع أعنف وأشد كارثة في تلك الحرب، فلم تكن في نية الأحزاب والمنظمات الأرمنية الوقوف بوجه روسيا في أي حرب ضد الدولة العثمانية، وقد كان هذا موقف الأرمن على الدوام طيلة القرن التاسع عشر، لذلك ولتوحيد المواقف اجتمعت اللجنة المركزية لحزب الطاشناق، بين حزيران وأب ١٩١٤ في ارضروم، لبحث تطورات الإصلاحات الأرمنية والموقف من أي حرب مستقبلية للدولة العثمانية ضد روسيا، وقد حاولت الحكومة العثمانية كسب ولاء الأرمن عن طريق عرض دولة تتمتع بالحكم الذاتي لهم، على شرط أن يقوم الأرمن العثمانيون بتنظيم تمرد لإخوانهم، الذين يعيشون في ما وراء الحدود في الأقاليم الروسية، وان ينسقوا هذا الأمر مع المسلمين هناك، فإذا ما نجح التمرد فإن الأرمن سوف يُمنحون مقاطعة تشمل كلاً من إقليم قارص، ويريغان، وجزءاً من ايليزابيتول، وقسماً من إقليم ارضروم، ووان، وبتليس، إن هذه الدولة الواسعة كان ينظر إليها باعتبارها محمية عثمانية تتمتع بحكم ذاتي، لذا فقد أصغى الساسة الأرمن في اجتماع ارضروم إلى الخطة، إلا أنهم رفضوها وقدموا النصح للاتحاديين بأن يقوموا بدلاً من ذلك بالبقاء في موضع الحياد وعدم دخول الحرب على الإطلاق. فُهم هذا الأمر على أنه إشارة على عدم الولاء، فالفكرة كانت قدّمها عضوان في اللجنة المركزية لجمعية الاتحاد والترقي، وهما كل من عمر ناجي الزعيم السياسي في شرق الأناضول، وبهاء الدين شاكر، الذي قدر له أن يؤدي دوراً رئيسياً في المذابح الأرمنية بعد ذلك^١، وفي نهاية المؤتمر اتخذت اللجنة المركزية لحزب الطاشناق القرار

1. DAVID GAUNT, Op.Cit., P.56-57; SAMUEL M.ZWEMER, Op.Cit., P.346; Viscount Bryce, THE TREATMENT OF ARMENIANS IN THE OTTOMAN EMPIRE, London, 1916, P.43-45.

الآتي: "نظراً للسياسات المتناقضة، التي اتبعتها حكومة الاتحاد والترقي، ومنذ أمد بعيد ضد المجموعات غير المسلمة وخاصة الأرمن، في كل المجالات الاقتصادية، والاجتماعية، والإدارية، وإتباعهم أساليب التضييق، والخداع، والتسويق، في تطبيق الإصلاحات في المسألة الأرمنية، لكل ما تقدم تقرر: أن يبقى الطاشناقيون في موضع المعارضة ضد جماعة الاتحاد والترقي، وانتقاد سياساتهم ومعارضة كل تشكيلاتهم وخططهم بكل شدة"¹.

بعد ذلك تقرر عقد اجتماع موسع لكل الشرائح والمنظمات الأرمنية، وأعضاء مجلس الأمة الأرمني، وأحزاب الهنجاق والطاشناق برئاسة مندوب البطريركية الراهب (كابرييل جواهرجيان-Kapriel Cevahirciyan) في المدرسة الأرمنية المركزية العليا في منطقة (غَلَطَهْ-Galata) باستانبول، وقد صرح المجتمعون في ختام اجتماعهم، وبغية رفع الشكوك التي كانت تحيط بهم من الحكومة العثمانية أنهم قرروا أن يبقوا صادقين على عهدهم معها، وأنهم سوف يستمرون في أداء الخدمة العسكرية، ولن يتأثروا أو ينفادوا وراء التدخلات الخارجية².

ولكن الأرمن كانوا قد حسموا موقفهم قبل ذلك، حيث كانوا يتبعون إستراتيجية مغايرة لما كانوا يعلنونها، استعداداً للحرب وللقتال بجانب روسيا ضد الدولة العثمانية، أما ابرز خطتهم في هذا الشأن فكانت على النحو الآتي:

١- إرسال المتطوعين الأرمن العثمانيين إلى الجانب الروسي، وتجنيدهم ضمن فرق متطوعة خاصة، تساند القطاعات العسكرية الروسية في حال هجومها على الدولة العثمانية.

٢- انضمام الجنود الأرمن العثمانيين إلى الجيش الروسي بكافة عتادهم عند بدء القتال.

٣- يجب أن يقوم الأرمن في القرى المختلطة بالمسلمين وخاصة من الكُرد، بالهجرة إلى قرى أرمنية خالصة أو طرد المسلمين منها، كما جاءت في منشورات (تعليمات الدفاع عن النفس-Instructions for Personal Defense) عند بدء الحرب.

٤- على الأرمن عند اقتراب الجيش الروسي من مناطقهم القيام بانتفاضة في معظم

1. BENGI KÜMBÜL, A.G.E., S112.

2. A.E., S.112-113; Mim Kemal ÖKE, Op.Cit., P.108- 109.

المناطق التي يسكنونها، وبذلك يضربون الجيش العثماني من الخلف ويسهلون المهمة على الجيش الروسي^١.

قامت اللجان الأرمنية، قبل الحرب بمدة قصيرة، بتوزيع الأمر الآتي على كل مراكزها وفروعها في داخل الأراضي العثمانية، ونصه كالآتي:

"بعد إندلاع الحرب الروسية العثمانية، وتقدم القوات الروسية إلى داخل الأراضي العثمانية، فإذا كانت الغلبة للجيش الروسي وتراجعت القوات العثمانية فإن المسلحين الأرمن سوف يتدخلون من الخلف لمحاصرة الجيش [العثماني] بين نارين؛ ثم القيام بمحاصرة مراكز ومقرات قيادة الجيش ونسفها بالقنابل، وبعدها القيام بقتل الجنود المذعورين والهاربين من داخل هذه المراكز، أما إذا كانت الغلبة للجيش العثماني فعلى مسلحي الجيش الأرمني الانخراط بين صفوف الجيش الروسي، والانسحاب معهم؛ ثم تشكيل مجاميع مسلحة للدخول في حرب عصابات مع الجيش العثماني"^٢.

أما الكراسات التي تحمل عنوان (تعليمات الدفاع عن النفس)، التي كانت اللجان والمنظمات الأرمنية قد وزعتها بين الأرمن منذ عام ١٩١٠، فقد وضعت نماذج للإرهاب التي سوف يتم إتباعها بهجمات إرهابية متتكرة تحت أسماء مستعارة مثل (الدفاع عن النفس)، وهو نهج قد يعنون على أنه (هجوم دفاعي) ليهاجم ويقتل العدو تحت الافتراض، وإلا سوف يهاجمك ويقتلك العدو^٣. وقد طبقت هذه المعادلة بحذافيرها على الكرد، فقبل كل شيء وضع الأرمن الكرد في خانة الأعداء، لذا فقد وجب تطهير المنطقة منهم بأي شكل كان.

باقتراب الحرب مع الدولة العثمانية قامت روسيا بتشكيل الجيش الروسي في القوقاز

١. للتفاصيل عن هذه الإستراتيجية الأرمنية ينظر:

- No. 394, Erzeroum, 14th October 1914, IN:(M.D.B.D.A), P.644-646; Justin McCarthy and others, Op.Cit., P.277-387; STANFORD J.SHAW, THE OTTOMAN EMPIRE IN WORLD WAR I, VOL: I, ANKARA, 2006, P94-105.

2. Yusuf HALAÇOĞLU, Op.Cit., P.46-47.

٣. ارمنى قوميتة لرينك امال وحركات اختلاليةسى: اعلان مشروطيتدن اول وصوكره، استانبول، ١٣٣٢ (١٩١٦)، ص ٢٠٢-٢٠٣؛

-STANFORD J.SHAW, Op.Cit., VOL: II, P864.

تحت قيادة الجنرال الكونت (ايلازيون ايفانوفيج فورونتسوف-داشكوف- Illarion Ivanovich Vorontsov- Dashkov)، وكان مركزه العام في مدينة تفليس عاصمة القوقاز الروسية، وكان يدار بشكل فعلي من قبل الفريق الركن (ان.ان. يودينيش-N.N. Yudenich) ويقوده الجنرال (اي. زد. مايشلايفسكي- A.Z.Myshlayevsky).^١

قام كل من العثمانيين والروس بتنظيم وحدات مخصصة لحرب العصابات خلف خطوط الجبهة، وكانت قد بدأت التحضيرات بأشهر قبل بدء الحرب، قام الروس بتجنيد الأرمن والأشوريين وبعض من الكرد-سيأتي الحديث عن الكرد لاحقاً- كمتطوعين من بين الرعايا العثمانيين، في حين كان العثمانيون يبحثون عن حلفاء من بين الأرمن والمسلمين في أقاليم القوقاز الروسية، كان لدى الروس حوالي (١٠٠٠٠٠) أرمني في الجيش النظامي معظمهم من المواطنين الروس، فضلاً عن ما يقدر بـ(١٠٠٠٠) متطوع أرمني عثماني، جندهم المكتب القومي الأرمني في تفليس^٢، الذي كان يترأسه العمدة (م.خاتسيان-A.Khatisian).^٢

بدأ الأرمن استعداداتهم بإنشاء فرق المتطوعة من الأرمن العثمانيين، وبدعم كبير منقطع النظير من روسيا، وقد قام (د.هاكوب زافريف-Dr.Hagop Zavrief)، رئيس حزب الطاشناق، بالطلب من انترانيك بالعودة إلى تفليس لقيادة إحدى تلك الفرق، وقد وصل الأخير إليها في ١٢/٨/١٩١٤، وكان الدعم الروسي الكبير لفرق المتطوعة الأرمنية قبل بداية الحرب سببه أن روسيا كانت تفكر في جبهتها الأوربية ضد الجيوش الألمانية والنمساوية، كما أن الروس لم يكونوا يتوقعون هجوماً عثمانياً مبكراً على

1. Ibid, P.802.

2. DAVID GAUNT, Op.Cit., P.56.

- يذكر عدد من المؤرخين الأتراك أن حوالي (٦٠٠٠٠) أرمنياً تطوعوا في الجيش الروسي قبل بدء الحرب، كما وردت في شهادات ارمنية بأن عدد المتطوعين الأرمن العثمانيين في الجيش الروسي بلغ (٣٠٠٠٠) متطوع، ينظر:

-Hikmet ÖZDEMİR Ve digerleri ,ERMENILER: SURGUN VE GOC, ANKARA, 2005, S.56;

Verjiné Svazlian, MEMORIES OF EYEWITNESS-SURVIVORS OF THE ARMENIAN GENOCIDE, Translated from Armenian by: Tigran Tsulikian and Anahit Darbinian, Via at: (<http://ermeni.org>).

3. Mim Kemal ÖKE, Op.Cit., P.109.

حدودهم في القوقاز، لذلك سحبت أغلب قطعات الجيش الروسي من جبهة القوقاز، بحيث لم يبقَ فيها إلا (٣٥٠٠٠٠) رجل، كان هذا السبب يقف وراء هذا الدعم الروسي للفرق الأرمنية لكي تسد هذا الفراغ، لحين يتسنى للروس سحب فرقها العسكرية من الجبهات الأخرى وإرسالها إلى جبهة القوقاز، عند وقوع أي هجوم على حدودها من جانب الجيوش العثمانية هناك^١.

كما قام القيصر الروسي (نيقولا الثاني - Nicholas II) (١٨٩٤-١٩١٧) بنفسه بزيارة تفليس في ١٩١٤/١١/٢٤ بعد بدء الحرب مع العثمانيين مباشرة، وقد استقبله هناك بحماس الأرمن، الذين كانوا مقتنعين بأن روسيا سوف تساعدهم في تحقيق دولة أرمنية مستقلة، ولم يقدّم القيصر بأي شيء يؤثر على اعتقادهم، حيث قال القيصر للبطريك الأرمني بتعبير غامض: "لا تباؤس من طموحاتكم فإنها سوف تتحقق، وسوف يكون للأرمن مستقبل عظيم"^٢.

قامت القيادة القومية الأرمنية في تفليس بتجنيد عدة فرق أرمنية من أرمن الدولة العثمانية، إلا أن أبرزها كانت الفرق الآتية، التي أدت دوراً متميزاً في الحرب، وعدّ العثمانيون عملها في الحرب سبباً مباشراً في خسارة الجيش العثماني في معركة ساريقاميش المشهورة، وكذلك في سقوط مدينة وان بيد الروس في منتصف عام ١٩١٥، وهذه الفرق هي:

- ١- الفرقة الأولى: برئاسة انترانيك باشا اتجهت نحو وان عن طريق أورمية.
- ٢- الفرقة الثانية: التي يقودها (درو- Dro) توجهت نحو اغدير.
- ٣- الفرقة الثالثة: يقودها (هامازاسب- Hamazasb) توجهت نحو ساريقاميش.
- ٤- الفرقة الرابعة: يقودها (كيرى الارضلوملي- Keri Erzurumlu) توجهت نحو ارضروم.
- ٥- الفرقة الخامسة: التي يقودها فارتان وكانت تسمى (اتحاد أارات)، تحركت نحو وان أيضاً لدعم الانتفاضة الأرمنية فيها.
- ٦- الفرقة السادسة: كانت تحت قيادة (كريكور افشاريان- Krikor Avşaryan) توجهت نحو ساريقاميش وأرضروم^١.

1. STANFORD J. SHAW, Op.Cit., VOL: I, P.95-97.

2. Ibid, P104; Mim Kemal ÖKE, Op.Cit., P.109.

من جانبهم لم يكن العثمانيون غافلين عن النشاطات الروسية و الأرمنية في تفليس وعلى الحدود، وقد حاولوا بدورهم إنشاء فرق من المتطوعين المسلمين سواء داخل أراضيهم على الحدود الروسية، أو في عمق الأراضي الروسية بين مسلمي القوقاز هناك، وقد شكلوا هيئة عرفت في بداية الأمر بـ(التشكيلات الخصوصية أو مخصصة)^٢، ولكن بعد مدة قصيرة غيروا اسمها إلى (الجمعية الثورية القوقازية)، وكان مقرها العام في ارضروم ولها فرعان في طرابزون ووان، وقد انتشرت فروعها الثانوية في معظم المدن التي كانت تقع على الحدود العثمانية-الروسية، والعثمانية-الإيرانية، وكان يرأس هذا التنظيم الدكتور بهاء الدين شاكر^٣.

تشكلت هذه الجمعية الثورية القوقازية بصيغتها النهائية ما بين أيلول وتشيرين الثاني ١٩١٤ وكانت مهمتها الأساسية هو: "إجراء جميع التحضيرات المناسبة، لبدء ثورة عامة وسط شعوب القوقاز، وان واجبهم هو مساعدة الإمبراطورية العثمانية في الحرب ضد روسيا، والعمل على قطع خطوط الاتصال العسكرية الروسية، وعرقلة النقل، والحصول على كل المعلومات الممكنة حول القطعات الروسية، وتحركاتها ومساعدة الجيش العثماني في تدمير القوات الروسية"^٤.

كما لم تكن القيادة العسكرية العثمانية غافلة عن النشاطات الأرمنية في تفليس وبين أرمن الدولة العثمانية، ففي تقرير سري يعود تاريخه إلى ١٩١٤/٩/١٩ أرسلته القيادة العامة للجيش العثماني إلى كافة قطاعاتها العسكرية في ارضروم، وبتليس، ووان، وطرابزون، تناولت تلك النشاطات، وكيفية مواجهتها وقد جاء فيها:

١. للتفاصيل عن تلك الفرق الأرمنية، تشكيلاتها، وتحركاتها، ومعاركها العسكرية، ينظر: الوثيقة رقم (٢٠٠٨)، إلى قيادة مجموعة باسنلر في بدروانس، ١١ حزيران ١٩١٥، في: الوثائق، المجلد الثالث، انقرة، ١٩٨٦، ص٦١-٦٣؛ جستن مكارثي، المصدر السابق، ص ١٩٨-١٩٩؛ بول اميل، المصدر السابق، ص٥٢-٥٣؛

- STANFORD J.SHAW, Op.Cit., VOL: I, P103-105; STANFORD J.SHAW, Op.Cit., VOL:II, P782-783; GUENTER LEWY, Op.Cit., P.103.

2. DAVID GAUNT, Op.Cit., P.57-59;

- هايكازن غازاريان، وثائق تاريخية عن المجازر الأرمنية عام ١٩١٥، ترجمة: نزار خليلي، سلسلة دراسات ووثائق المجازر الأرمنية (٤)، اللاذقية-سوريا، ١٩٩٥، ص٣٩-٤١ .

3. STANFORD J.SHAW, Op.Cit., VOL: I, P.431.

4. Ibid, P.434 .

"لقد علمنا أن الروس الذين كانوا يستعملون الأرمن بالقوقاز ويحرضونهم على التمرد، وذلك مقابل وعود بان الأراضي التي يستولون عليها سوف تُعطى لهم ويمنحون عليها الاستقلال، والأكثر من ذلك قاموا بإرسال رجال متتكرين بزى فلاحين إلى القرى الأرمنية، وقد جلبوا معهم الأسلحة والذخيرة لغرض توزيعها عليهم، ومن ناحية أخرى وصل ابن الجنرال الروسي لوريس ميلكوف لهذا الغرض إلى وان، وقد اتخذ المسؤولون عن الأرمن القرارات الآتية:

الحفاظ على ولائهم للعثمانيين بكل هدوء أثناء إعلان الحرب، وإذا ما أعلنت الحرب سوف يقوم الجنود الأرمن في الجيش العثماني بالانضمام إلى العدو مع أسلحتهم، وعند تقدم أو انسحاب الجيش العثماني سوف يشكّل هؤلاء الأرمن عصابات مسلحة تقاتل ضد الجيش العثماني، وبناءً على ما سبق سوف تتخذ الحكومة العثمانية الإجراءات التالية:

١- يجب على كل وحدات الحدود إلقاء القبض على كل شخص، مهما كان زيه يحاول الوصول إلى جانبنا، وإرساله إلى مؤخرة الجيش، وحتى اعتقاله، واعتقال كل من يحاول نقل الأسلحة، والذخيرة، وقتل كل من يحاول الهروب من الميدان.

٢- يجب إبداء المساعدة الممكنة للحكومات المحلية، دون إلحاق الضرر بالمجهود الحربي.

٣- يجب قتل كل المسؤولين عن إلحاق الضرر بالجيش، وكل أولئك الذين يهربون دون إطاعة الأوامر، ويجب على الضباط أنفسهم قتلهم أو بأوامر منهم.

٤- يجب أخذ الحيطة والحذر في كل شيء...

٥- تنوير الشخصيات الكردية المؤثرة، وكذلك الطوائف الإسلامية الأخرى بخصوص النوايا الروسية والأرمنية في المنطقة، وضرورة تنبيههم أن الأمن والسلام يعتمدان على معارضة الروس^١.

كما أرسلت الحكومة العثمانية في الوقت نفسه برقية إلى الحكومات المحلية في شمال كردستان وعلى الحدود الروسية العثمانية وردت فيها:

١- سوف تكلف عناصر من الشرطة متتكرين بزى فلاحين...يكلفون بالحصول على المعلومات عن التنظيمات الأرمنية، وكذلك التنظيمات غير الإسلامية ومعرفة أماكن تواجدهم؟ وفي أي قرى هم؟ ومن هم الذين يديرونهم، وكذلك أسماء شيوخهم أو رؤسائهم؟

1. NO: 1, Erzurum 19.9.1914, Le: DOCUMENTS, ANKARA, 1982, P.23.

٢-ينبغي سحق حركات التمرد، التي سوف تؤدي إلى إحداث الاضطرابات، ولكن من دون استدعاء الجيش، وفي حالة عدم جدوى ذلك يمكن استدعاء الوحدات القريبة منهم، وكذلك مصادرة الأسلحة من أي شخص يشتبه به.
٣-يجب كسب الكرد المسلمين ووجهائهم لدعم قضيتنا، الذين يمكن أن يُساء قيادتهم بسبب الجهل^١.

أ-إعلان الحرب والمذابم الكردية :

في ٢ تشرين الثاني ١٩١٤ أعلن السلطان محمد الخامس(١٩٠٩-١٩١٨)، الحرب ضد روسيا، وناشد الرعايا المسلمين في دول الحلف-أي في بلاد المسلمين التي تسيطر عليها كل من روسيا وبريطانيا وفرنسا- للمشاركة في كفاح مشترك مع الإمبراطورية العثمانية^٢، وقد أُلقت الحكومة العثمانية بكل ثقلها في جبهة القوقاز، والهدف الأول من ذلك كان، كما أراد الاتحاديون منها، هو فتح آسيا الوسطى والاتصال بالأقوام التي تتكلم اللغة التركية، ومحاولة ضمها إلى الدولة العثمانية، وبالتالي تشكيل الوطن التركي الكبير (طوران)^٣.

زحفت القوات الروسية، بعد إعلان الدولة العثمانية الحرب عليها مباشرة، جنوباً لتحتل بايزيد، والاشكيرد، وديادين، وقره كليس الحدودية^٤، إلا أنها اصطدمت بالجيش العثماني في معركة (كيبيريكي- كوبروكوي) أدت إلى هزيمتها وانسحابها من تلك المنطقة في ١٢/٣/١٩١٤، وتغلغت القوات العثمانية بعد ذلك إلى عمق الأراضي

1. Ibid, P.22.

- ينظر نص الوثيقتين المارتي الذكر أيضاً على الموقع الالكتروني:

(http://www.tallarmeniantale.com/index.htm).

2. DAVID GAUNT, Op.Cit., P.62;

- بيير رونوفن، المصدر السابق، ص ٥١ .

3. Dana Renee Smythe, Remembering the Forgotten Genocide: Armenia in the First World, MA Thesis University East Tennessee State, the faculty of the Department of History, 2001, P120-121;

- م.س.لازاريف، المصدر السابق، ص ٤٣٢ .

٤. جستن مكارثي، المصدر السابق، ص ١٩٣؛

- ERDAL ILTER, Op.Cit., P.16-17.

الروسية، اضطرت بعد ذلك إلى الانسحاب هي أيضاً بدورها مع نهاية الشهر^١. كانت المعركة الحاسمة التي شلت الجيش العثماني بشكل كبير في جبهة القوقاز هي معركة (ساريكاميش-Sarikamış)، ففي كانون الأول ١٩١٤ وبتشجيع حماسي من المستشارين العسكريين الألمان، بدأ الجيش العثماني الثالث بقيادة أنور باشا شخصياً، هجوماً موجه ضد ساريكاميش الحيوية، التي كانت تحتوي على خط سكة حديدية، عبر الحدود الروسية إلى قارص^٢. وقد استمرت هذه المعركة من ٤ كانون الأول ١٩١٤ إلى ١٨ كانون الثاني ١٩١٥، وكانت النتيجة انتصار ساحق لروسيا، وإبادة الجيش الثالث العثماني بشكل شبه كامل، ومن بين (٩٠٠٠٠) جندي شاركوا في هذه المعركة، خسر العثمانيون حوالي (٧٠٠٠٠) بين قتيل وجريح وأسير^٣، وطبقاً ل(فليكس كوز-Felix Guse) وهو ألماني خدم رئيساً للأركان في الجيش العثماني الثالث فإنه لم يعد سوى (٣٠٠٠٠) مقاتل منه، وكان ينبغي إعادة بناء الجيش الثالث من الصفر، لذا لم يستطع استعادة قوته الأصلية أبداً^٤.

فيما يخص الأرمن فإن الحرب والمعارك الصغيرة الأولى عندما بدأت هرب معظم الجنود الأرمن في الجيش العثماني إلى الجانب الروسي، واندمجوا مع الفرق الأرمينية التي كانت تتقدم الجيوش الروسية في معاركها، نظراً لمعرفتها بالمنطقة^٥، فيقول (نوكالس-Nogales) وهو ضابط ذو رتبة عالية من أميركا الجنوبية في الجيش العثماني- بأنه عندما غادر أحد زعماء الحزب الطاشناقوي ويدعى باسطرماجديان إلى روسيا اخذ معه: "تقريباً جميع الجنود الأرمن في الجيش الثالث، ليعود معهم بعد مدة قصيرة ويقوموا بحرق القرى الصغيرة، وذبح جميع

١. م.س. لازاريف، المصدر السابق، ص ٤٣٣-٤٣٤ .

2. DAVID GAUNT, Op.Cit., P.59-60.

٣. م.س. لازاريف، المصدر السابق، ص ٤٣٤؛

-Justin McCarthy and others, Op.Cit., P.178-180; Maria T.O'Shea, TRAPPED BETWEEN THE MAP AND REALITY: Geography and Perceptions of Kurdistan, New York & London, 2004, P.84.

4. DAVID GAUNT, Op.Cit., P.60.

٥. الوثيقة رقم (١٩٩٩)، إلى قسم إحلال الأمن والسكون المستقل، ٢٥ شباط ١٩١٥، في: الوثائق، المصدر السابق، ص ٢٣-٢٤؛ الوثيقة رقم (٢٠٠٠)، نسخة شيفرة من ولاية ادنة بتاريخ ٢٦ شباط ١٩١٥، في: المصدر نفسه، ص ٢٧-٢٨ .

سكانها المسلمين المسالمين من الذين وقعوا بأيديهم"^١.

وقعت في تلك المعارك الأولى مذابح للكرد بشكل واسع، فكثيراً ما تقول المصادر التاريخية أن الكرد كانوا هم السبب في عدم تقارب القوميتين الكردية والأرمنية، ولكن أحداث الحرب أثبتت أن الأرمن كانوا هم السبب وليس الكرد، وذلك لأنهم كانوا يريدون الولايات الست فقط لأنفسهم، ولم يكونوا يريدون لأحد أن يشاركهم العيش فيها، على الرغم من قلة عددهم مقارنة بالكرد أو بمجموع المسلمين في شمال كردستان، كما أن المعارك والمذابح الأرمنية الأولى ضد الكرد أثبتت أن الأرمن في بداية الحرب، لم يكونوا يريدون طرد الكرد من شمال كردستان فحسب، ولكنهم أرادوا إبادة الكرد في تلك المناطق، وذلك مخافة من عودتهم إليها مرة أخرى، يقول جستن مكارثي بهذا الصدد: "بخلاف الأعمال الوحشية ضد المسلمين في أوروبا في الحرب الروسية التركية ١٨٧٧-١٨٧٨ وفي حروب البلقان، يبدو أن هجمات الأرمن على مسلمي الشرق في أثناء الحرب العالمية الأولى تركزت على القتل بدلاً من الدفع إلى الفرار"^٢.

فعندما تقدم الجيش الروسي في تلك المناطق في بداية الحرب جرت أولى المذابح فيها للكرد على يد الفرق المتطوعة الأرمنية المصاحبة للجيش الروسي، وقامت تلك القوات بتدمير القرى التي تقع على طريقها، سواء الواقعة منها في الشمال في بايزيد والاشكيرد أم في الجنوب على حدود ولاية وان.

وقعت المجازر الأولى للكرد عندما اجتاح الروس منطقتي (دير-باشقالا) و(سراي)، التي تقع جنوب وشرق وان، على الحدود العثمانية الإيرانية في بداية الحرب، ففي شهر تشرين الثاني ١٩١٤ انسحبت القوات العثمانية القليلة في المنطقة قبل تقدم الجيش الروسي، على إثرها قامت مجموعات من المتمردين الأرمن المحليين والقادمين من إيران بمهاجمة القرى الكردية والسكان المدنيين في دير وباشقلا، في العديد من القرى المحتلة ارتكبت عمليات اغتصاب جماعية بحق النساء، وتعرض أغلب الذكور للقتل، كما شهدت مدن دير، وباشقلا، وسراي، عمليات نهب وقتل كثيرة، كانت الأحداث في تلك المدن إشارة إلى ما سيحل في المقاطعات الأخرى، حيث تعرض الذكور الذين بلغوا سن القتال للقتل، أما النساء فتعرضن للاغتصاب، في قرية كبيرة واحدة على الأقل

1. GUENTER LEWY, Op.Cit., P.117

٢. ينظر مؤلفه: المصدر السابق، ص ٢٠٢ .

قرب سراي اقتاد الأرمن القرويين إلى داخل المسجد الذي أحرقوه فيما بعد بمن فيه، إن الأرقام التي تقدم بها الناجون غير دقيقة، لكنها تشير إلى وحشية الاعتداءات على النساء، فعلى سبيل المثال: " تعرضت أكثر من أربعمئة امرأة وفتاة للاغتصاب في دير"، عندما تراجع الروس عن دير وباشقلا في شهر كانون الأول ١٩١٤، فرَّ معظم السكان الأرمن من تلك المنطقة إلى إيران مع الجنود الروس خوفاً من الأعمال الانتقامية، بالمقابل قام أفراد العشائر الكرديّة بقتل كل من يصادفهم من الأرمن عند انسحابهم^١. وقال الميجر نوئيل لاحقاً في عام ١٩١٩ عن مذابح باشقالا: "يصعب القول أي مقدار عاش من هذه الأهالي بعد المذابح، التي أجرتها الأرمن عقب الاحتلال الروسي، إن مملكة باش قلعة [باشقلا] التي تحملت كسائر الممالك تقريباً، تقدر الآن تفاخر فقط بسبعة قرى مسكونة من (١٨٠) قرية قبل الحرب"^٢.

أما المذابح الثانية للكرّد فوقعّت في المدن الكرديّة الحدودية، بين الدولة العثمانية وروسيا في الشمال، ففي يوم الثامن من تشرين الثاني ١٩١٤ استولى الروس على بايزيد، وديادين، والاشكيرد وارتكبوا مجزرة بحق سكانها، ولم يتمكن من الهرب سوى نفر قليل من سكانها، ولم يتبقّ فيها سوى سكانها الأرمن ليقوموا بالترحيب بالفاتحين، أبلغ القادة العسكريون الروس في بايزيد سانت بترسبيرغ بان: "القوات [الروسية] استقبلها بكل حفاوة السكان ورجال الدين الأرمن، وان ممثلين عن مجاميع (أثنية) أخرى كانوا أيضاً من ضمن الحاضرين، إلا أن الأرمن كانوا الأكثر عدداً بينهم..."^٣.

في بايزيد وعلى حد قول الأمير شاخوفسكي دمر الأرمن بشكل كامل القرى الكرديّة، فعندما علم أهالي تلك القرى أن الجيش الروسي قد اقترب من أراضيهم، أرسلوا إليهم ممثليهم من الوجهاء والرجال المعروفين، ولكن الأرمن القوا القبض عليهم وقتلوهم؛ ثم قاموا باحتلال القرى الكرديّة وتدميرها وقتلوا جميع أهاليها من الكرّد، وأمام أعين الكرّد كانوا يعتدون على نساءهم^٤.

وذكرت بعض التقارير انه عندما توغل الروس في منطقة بايزيد-الاشكيرد، شمال

1. Justin McCarthy and others, Op.Cit., P.233-234.

٢. ينظر تقريره: ملاحظة في الوضعية الكوردية، تقديم: عبد الفتاح علي البوتاني، جامعة دهوك، ٢٠٠٩، ص ٣٢. سيأتي الحديث عن هذا التقرير لاحقاً.

3. STANFORD J.SHAW, Op.Cit., VOL: II, P.805.

٤. ئەفراسياو هه ورامى، سه چاوه پيشوو، ل ٨٥ .

كُردستان في كانون الأول ١٩١٤، قالوا انه لم يسلم من سيف الوحدات الأرمنية الملحقه بالجيش الروسي غير واحد من عشرة^١.

كتب الصحفي التركي أحمد أمين (يالمان-Yalman) أنه في غضون ثمانية عشر يوماً تقريباً ذُبح السكان المسلمين الذين وصل عددهم إلى مئة وأربعين ألف مسلم على سهل الاشكيرد-بايزيد من قبل الجنود المتطوعين الأرمن، ساعدهم على ذلك السكان الأرمن المحليون، وطبقاً لفليكس كوز فإن كل من الأرمن الروس والأرمن المحليين قد شاركوا في هذه الأعمال الوحشية^٢.

في آذار ١٩١٥ ارتكب الأرمن والقوات الروسية مجزرة قتل فيها حوالي (٣٠٠٠٠) مسلم في قارص واردةهان، وأزيلت بيوتهم من على وجه الأرض، تاركين نساءهم وأطفالهم من دون طعام أو مأوى، بينما كان يتعرض الرجال والنساء الآخرون على حد سواء للضرب والإهانة من جانب الأرمن، الذين كانوا على الأقل اسمياً تحت القيادة الروسية^٣.

ومن الجدير ذكره هنا أيضاً أن المذابح الأرمنية والروسية بحق الكُرد في شمال كُردستان لم تتوقف طيلة عام ١٩١٥، ففي قرية (ميرهيهو-Merhehu)٤، في ٤ آذار ١٩١٥ قام الأرمن المحليون بالتنسيق مع المتطوعين الأرمن في الجيش الروسي، بقتل (٤٢) رجلاً و(١٣) امرأة. وقد ذكرت التقارير العثمانية أن النساء اغتصبن وقُطعت صدورهن^٥. وبين السادس من تشرين الثاني والعاشر منه عام ١٩١٥، قام اللواء الروسي القوزاقي بتدمير القرى الكُردية، التي تقع بين بايزيد وديادين وقام بارتكاب مجزرة بحق السكان والأطفال، عن طريق الاستيلاء على جميع المواد الغذائية والأعلاف التي عثروا عليها في المنطقة^٦.

وبهذا يظهر أن أولى شرارات القتل والمذابح في الحرب العالمية الأولى قامت بها الفرق المتطوعة الأرمنية ضد الكُرد في مناطق الاشكيرد، وبايزيد، وجنوب وان،

1. Maria T.O'Shea, Op.Cit., P.88;

-ديفيد مكول، المصدر السابق، ص١٧٧-١٧٨ .

2. GUENTER LEWY, Op.Cit., P.117.

3. STANFORD J.SHAW, Op.Cit., VOL: II, P.919.

٤. هكذا وردت في المصدر، وربما هي قرية مير ميهو(محو) الذي كان على خلاف مع الأرمن، قبيل اندلاع الحرب العالمية الأولى، كما مر بنا.

5. GUENTER LEWY, Op.Cit., P.117.

6. STANFORD J.SHAW, Op.Cit., VOL: II, P.809.

وبالتحديد في باشقلا ودير، وليس العكس-كما شاع خطأ عند البعض- بان الكُرد هم من قاموا بالمذابح ما أن بدأت الحرب، كما انه لم يكن في نية الكُرد مقاومة الروس أصلاً، بل كانوا يرحبون بجيوشهم إلا أن تلك الأعمال أدت إلى تغيير مواقف الكُرد بشكل جذري، كما سيأتي الحديث عنها لاحقاً.

وهناك شهادات عديدة سجلتها مراكز الشرطة العثمانية آنذاك، ومن بين عديد الشهادات التي أدلى بها السكان الكُرد في تلك المناطق، التي طالتها المذابح نقتبس الشهادات الآتيتين:

شهادة تحت القَسَم: أدلى بها (محمد توفان أفندي) دونت هذه الشهادة بتاريخ ١٩١٦/٦/٤: وأدناه مقتطفات منها: "...إن الأرمن، في بداية الحرب قاموا وبمعية الروس في ١٩١٤/١١/٢٢ باحتلال قرى منطقة الدير، وقد قامت العصابات الأرمنية بقتل جميع الرجال في القرى الكُردية المحتلة، وأثناء مرورهم بها، وقتلوا آلاف الأطفال بالسيف، فضلاً عن قيامهم باغتصاب الشابات؛ فقد اغتصبوا أكثر من (٤٠٠) بنت كُردية، في حين قاموا بقتل النساء العجائز، وقبل احتلال الأرمن باشقلا، التي هي مركز إدارة المنطقة، جاؤا إلى هذه المدينة في ١٩١٤/١١/٣٠، وبدأوا أعمالهم الشنيعة، وأعلن الأرمن الذين كان يقودهم (اوزيب-Oseb)...الأحكام العرفية في الكنيسة، وسجنوا أكثر من (٢٠٠) مسلم، بعد أن مارسوا كل أنواع التعذيب عليهم في قسم الإسطبل في الكنيسة بهدف أخذ أموالهم. أما اللجان الأرمنية تحت قيادة (كاربيت أفندي-Garabet Efendi) الذي كان قاضياً في المحكمة، فدخلوا بيوت المسلمين واليهود وسرقوا كل شيء... وتم توزيع السلع المسروقة بين اللجان الأرمنية، وقد بقي العدو (١٣) يوماً في باشقلا وخلال هذه المدة قام الأرمن بكل التصرفات المشينة تجاه المسلمين، حتى إنهم فرقوا جموع المسلمين في الجوامع، فضلاً عن أن الطرقات كانت مليئة بجثث النساء، اللاتي قطعت صدورهن وفتحوا بطونهن، أما الأطفال فقطعوا أوصالهم، وهناك العديد من البنات التي اغتصبهن، والرجال الذين فقأ أعينهم، وليس بالإمكان سرد كل الأعمال الشنيعة التي قام بها الأرمن".^١

وهذه شهادة أخرى من أحد أهالي القرى التابعة لبايزيد، عن ما فعله الأرمن

1.AHMED RUSTEM BEY, THE WORLD WAR AND THE TURCO-ARMENIAN QUESTION, Berne, 1918, P.96; ERDAL ILTER, Op.Cit., P.95-97.

بالسكان الآمنين هناك بعد معركة ساريقاميش، يقول (فهيم بك بن قهرمان بك) وهو من سكان مرادية في بايزيد، وسجلت هذه الشهادة بتاريخ (١٠/٦/١٩١٦): "في شهر أيار ١٩١٥ احتلت الفرق الأرمنية الروسية، التي تضم في معظمها الأرمن، بايزيد و(٣٠٠) قرية في أبأغة (Abaga)، وهي المنطقة التي تعرف بالمرادية، حيث قاموا بذبح المسلمين الذين واجهوهم في الطريق، حتى أولئك الذين استسلموا لهم، وكما علمنا فإن مصيرنا حتى إذا ما استسلمنا سوف يكون مثل مصير إخواننا، ولذلك قررنا أن نهاجر مع أهالي القرى في المرادية إلى ارسيس، اتخذ (١٠٠٠٠) مسلم الذين نجوا من الاضطهاد الأرمني من منطقة أبأغة، من المرادية ملجأ لهم...وبعد ذلك سمعنا أن هؤلاء المسلمين الذين اتخذوا مرادية ملجأ لهم قد ذُبحوا، وخلال مسيرتنا اخبرنا صالح بك رئيس قرية كوموش أن الناس في قريته والقرى المجاورة قد ذبحتهم العصابات الأرمنية التي كان يرأسها آرام من وان، وحرقوا الأطفال وهم أحياء في الأفران، وفي الطريق لاحظنا مع صالح بك قرية ايكيش التي كانت تضم (٨٠) منزلاً وقد حُرقت جميعاً، وهناك في كل مكان جثث الرجال والنساء الذين قتلوا بطريقة مروعة، وقد انضم إلينا النساء والأطفال الذين كانوا قد نجوا من كوموس بالاخ وهي قرية جرت فيها المذبحة، وقد أخبرنا هؤلاء أن كل السكان في قرينهم قتلوا بدون رحمة".^١

كانت هذه الأحداث قد وقعت في بداية الحرب، عند اكتساح الجيوش الروسية المصاحبة للفرق الأرمنية المنطقة الكردية، وتدل هذه الأحداث على أن المذابح الأولى في شمال كردستان هي تلك التي أرتكبها الأرمن بحق الكرد، وليس العكس كما هو معروف في كتب التاريخ.

ب-انتفاضة الأرمن في وان (نيسان-أيار ١٩١٥) :

كانت ضمن خطة اللجان الأرمنية القيام بانتفاضة كبيرة في معظم المدن والأرياف التي يتواجدون فيها، في جميع مناطق الدولة العثمانية خاصة في شمال كردستان، ما أن يبدأ الجيش الروسي بالتحرك صوب الأراضي العثمانية، وحسب نالبانديان: "كان التوقيت الأنسب-بالنسبة إلى الثوار- لنشر حالة من التمرد العام، لتحقيق الهدف المباشر هو دخول تركيا الحرب"^٢، لذلك فبعد إعلان الدولة العثمانية التعبئة العامة،

1. ERDAL ILTER, Op.Cit., P.97-98.

2. Justin McCarthy and others, Op.Cit., P.180-181.

أعطت لجنة الطاشناق في شمال كُردستان، إدارة وان إلى اخريميان، وإدارة بتليس وموش إلى فاهان وبابازيان، للقيام بانتفاضة حالما تتقدم الجيوش الروسية^١.

استناداً إلى مصدر قريب من الانتفاضة في وان كان مجموع المسلمين في مدينة وان يقارب (١٨٠٠٠٠) نسمة، (٣٠٠٠٠) منهم فقط هم من الأتراك، والباقي كلهم من الكُرد^٢، وطبقاً لمصدر آخر كانت ولاية وان تضم (٢٠٠٠٠٠) كُرد، و(١٢٠٠٠٠) أرمنياً، و(٧٠٠٠٠) من النساطرة، وبضع الآلاف من الأتراك، واليزيديين، واليهود^٣، ومع بدء الأوضاع فيها بالاضطراب قام الأتراك بالهجرة منها، ولم يبق فيها إلا الكُرد المسلمون^٤؛ يمكن تطبيق الأمر نفسه على مجمل مناطق شمال كُردستان، أي ما أن اندلعت الحرب حتى هجرها الجميع من المسلمين إلا الكُرد سكانها الأصليين فبقوا، وبالتالي فان الذين قتلوا وذبحوا ودُمرت قراهم على يد الفرق الأرمنية والجيوش الروسي، في معظم مناطق شمال كُردستان كانوا من الكُرد، الذين وثقوا بالجيوش الروسي في بداية الحرب، ولم يكونوا يتوقعون هذا العنف من الأرمن.

تسارعت الأحداث في وان منذ شهر شباط ١٩١٥^٥، بعد انتشار أخبار الهزيمة الكارثية للجيوش العثماني في ساريقاميش، فبدأت حركات تمرد أرمنية صغيرة في نواحي وأفضيه وان مثل كواش، وحسب بعض المراقبين السياسيين الإيرانيين الذين كانوا مطلعين على النشاطات الأرمنية في المنطقة والدعم الروسي لها كانت خطة اللجان الأرمنية على النحو الآتي في وان: "عندما يبدأ الضباط الروس بالتعرض للحدود العثمانية يقوم الأرمن في داخل الولاية مجتمعين بحمل سلاحهم في زمن

1. Azmi SÜSLÜ, ARMENIANS AND THE 1915 EVENT OF DISPLACEMENT, Second Edition, ANKARA, 1999, P.70.

٢. فريديوف نانسن، من كتابه (أرمينيا والشرق الأدنى): الأرمن خلال الحرب العظمى، في: الفيكونت جيمس برايس وآخرون، المصدر السابق، ص ٩٤ .

3. RENÉ PINON, L'Indépendance de L'Arménie, La Voix de L'Arménie, Revue BI-MENSUELLE, No.24,15 Décembre 1918, Paris, P.866.

– أقرت هاتين الإحصائيتين، رغم وجود بعض الملاحظات عليها، بان عدد الكُرد كان يفوق الجميع في وان.

٤. فريديوف نانسن، المصدر السابق، ص ٩٤ .

٥. الوثيقة رقم (١٩٩٨)، شيفرة من انقرة لوزارة الحربية، ٢٥ شباط ١٩١٥، في: الوثائق، المصدر السابق، ص ١٩ .

محدد، ويقومون بالهجوم مرة واحدة على المراكز العسكرية الحيوية المساندة للجيش العثماني، ويسهّلون مهمة الجيش الروسي في التقدم واحتلال المنطقة^١. وفي هذه المناطق بالتحديد، وقبل وصول الانتفاضة إلى وان، بدأت المذابح الكرديّة على يد المتمردين الأرمن، حيث بدأ الأرمن بمهاجمة القرى الكرديّة، وكانوا يقتلون أي كردي يصادفونه وبدون تمييز سواء أكان صغيراً أم كبيراً ذكراً أم أنثى؛ فقد كانوا يقتلون الجميع بوحشية^٢، وذكرت تقارير عثمانية أن الأرمن قد أثاروا الكرديّ كثيراً، وأن الأرمن قاموا في منطقة ميركة واستوريجوا الواقعة على طريق وان على الحدود الإيرانية العثمانية، في بداية الحرب بقتل (٤٠) كردياً فيها^٣، وبعد أن أرسل الجيش العثماني في وان بعضاً من أفواجه العسكرية للقضاء على تلك التمردات الأرمنية الصغيرة، استغل الأرمن في مدينة وان الفرصة لإعلان انتفاضتهم في أواسط نيسان ١٩١٥^٤.

ألقي جودت بك حاكم وان وصهر أنور باشا، القبض على وجهاء الأرمن في وان بتاريخ ٤ نيسان ١٩١٥، وقام بإعدامهم جميعاً^٥، إلا أن أرام مانكويان، النائب السابق في مجلس المبعوثان العثماني، قد تمكن من الإفلات من قبضة جودت بك، وأصبح زعيم انتفاضة وان التي بدأت أحداثها فعلياً في ١٣ و ١٤ نيسان، بعد أن قتلت القوات العثمانية زعماء الأرمن الآخرين، وسيطر الأرمن على الحي الأرمني فيها وعلى أبرز مرافق المدينة، وتحصن جودت بك مع بعض من أفواجه العسكرية في القلعة القديمة لمدينة وان، على أمل أن تصلهم الإمدادات سريعاً^٦.

قام الأرمن في وان بحرق معظم الحي الإسلامي، وقاموا بإغلاق قنوات الماء التي تنقل الماء إلى الحدائق والحقول، وقاموا بتسميم أبار الماء لمنع المسلمين من الحصول على مياه للشرب، أما الطريق الذي كان يؤدي إلى الجامع الكبير المعروف باسم

1. Halil Metin, A.G.E., S.144.

2. A.E., S.145.

3. Par M.G., LA DÉFENSE HÉROIQUE DE VAN (ARMÉNIE), GEN_VE, 1916, P.25-26.

4. Halil Metin, A.G.E., S.147.

5. Recep Maraşlı, A.G.E., S.213.

٦. جستن مكارثي، المصدر السابق، ص ١٩٣-١٩٤؛

-Yusuf HALAÇOĞLU, Op.Cit., P.55.

(الجامع الأحمر-Kizil Cami) ويمرّ من خلال الحي الأرمني، فكان سكانه يقذفون المسلمين الذين كانوا يذهبون إلى الجامع بالحجارة، وأخيراً صعّدوا هجومهم عندما قاموا بالاستيلاء على الجامع، وتحويله إلى سجن للمسلمين الذين بقوا أحياء بعد المجزرة، وأطلقوا عليه اسم (اسير جامي-Esir Cami) جامع السجناء^١.

وكان انترانيك باشا قد قطع الطريق قبل ذلك على الجيش العثماني، عندما احتل مواقع مهمة في باشقلا جنوب وان^٢، وفي هذه الواقعة كان انترانيك قد ضمن استسلام بعض الزعماء الكرّدي، الذين كان لديهم أكثر من (١٨٠٠) خيال تحت قيادتهم، طلب الروس منه أن يسلمهم أولئك الأسرى، لذا ما إن قاموا بإطلاق سراحهم حتى بدأوا بالانتقام عن طريق مهاجمة القرى الأرمنية في المنطقة، مما سبب إحراجاً كبيراً بالنسبة لانتراينيك، الذي لجأ فيما بعد إلى قتل جميع الأسرى قبل أن ينتهز الروس الفرصة لأخذهم، ومن ثم يطلقوا سراحهم، كما كان انترانيك يهاجم في طريقه القرى الكرّدية، الواقعة على الطريق عند عبوره الحدود إلى عمق الأراضي العثمانية في شمال كرّديستان^٣، يقول الضابط الروسي (يليسيف-Yeliseyev) عن هجمات انترانيك: "تقدمت قواتنا في ملاحقة فرقة (المتطوعين) سيئة الصيت التي يقودها انترانيك، تحركت من اتجاه إيران وقامت بالانتقام بكل مرارة من الكرّدي والأترّك، رأينا آثارهم، فجميع القوات الروسية في منطقة وان، التي كانت تتقدم نحو الجنوب دخلت إلى الكتل الوعرة في الجبال...لم يبقَ أي من السكان...الجميع غادروا مع القوات ولم تبقَ سوى جثث القتلى من الكرّدي والأرمن والتي عكرت مزاجنا..."^٤.

وحسب ما ذكرته التقارير العثمانية كان عدد الثوار الأرمن، الذين بدأوا الانتفاضة وسيطروا على وان حوالي (٣٠٠٠٠) مسلح^٥، وكان القائد العسكري والسياسي للثوار الأرمن في وان هو أرام مانكوليان، وتمكن من الصمود أمام ضربات القوات العثمانية،

1. STANFORD J.SHAW, Op.Cit., VOL: II, P.804.

٢. الوثيقة رقم (٢٠٠٧)، إلى مديرية الأمن العام، ٢٢ أيار ١٩١٥، في: الوثائق، المصدر السابق، ص٥٣؛

-Antranik Çelebyan, A.G.E., S.179-180.

3. STANFORD J.SHAW, Op.Cit., VOL: II, P.786.

4. Ibid, P.952.

5. Justin McCarthy and others, Op.Cit., P.206.

حتى دخلت فرقة (اتحاد أراارات) بقيادة (فارتان) إلى المدينة في منتصف شهر أيار، وقد كان عدد مسلحيها حوالي (٤٠٠٠) مسلح، تمكنوا من السيطرة على باقي أجزاء المدينة^١، كما كانت لفرقة (نزاربيكوف-Nazarbegov) الأرمنية، الذي أصبح فيما بعد وزير الحرب في جمهورية أرمينيا، دوراً كبيراً في التنكيل بالمسلمين في وان^٢.

وفي أثناء تقدم الجنود الأرمن نحو وان وعند دخولها كانوا يحملون أعلاماً مكتوب عليها (الحرية للأرمن)، و(الخلاص لأرمنستان)، وكتبت على قبعاتهم كلمة (انتقام)^٣.

إن دخول الفرق الأرمنية إلى مدينة وان وعدم وصول الإمدادات إلى واليها جودت بك، أضعفت الحماية العسكرية فيها كثيراً، مما اضطره إلى الانسحاب منها ومغادرة وان بشكل نهائي في ليلة ١٦/١٧ من أيار ١٩١٥، وسقطت معظم أنحاء مدينة وان بعد ذلك بيد الأرمن^٤. وقام السفير الألماني في استانبول بإخبار وزارة الخارجية الألمانية بتلك الحوادث والمذابح، في البرقية التي بعثها في ٢٠ أيار ١٩١٥ التي جاء فيها: "أعلن الأرمن العصيان في ولاية وان، وبدأوا بالهجوم على القرى المسلمة وعلى القلعة، خسرت القلعة (٣٠٠) من أفرادها، وبعد أيام عديدة من قتال الشوارع سقطت المدينة في أيدي العصاة، وفي ١٧ أيار ١٩١٥ احتل الروس مدينة وان، وانحاز الأرمن إلى جبهة الأعداء وبدأوا بقتل المسلمين، عندها بدأ (٨٠٠٠٠) من المسلمين بالهرب من المدينة باتجاه بتليس"^٥.

حين أخلى العثمانيون وان هاجمت العصابات الأرمنية على الطرق أولئك الذين استطاعوا الفرار، فقتلت نحو (٤٠٠) من مجموعة واحدة بين ارجيش وعادلجواز، وجد لاجئون آخرون أن عصابات ارمنية وقرويين أرمن مسلحون قد سدوا طريقهم، وكانوا يقتلون جميع المسلمين الذين يمرون قريباً منهم^٦.

وما أن استولى الأرمن على المدينة حتى قاموا بقتل جميع الكرد، الذين لم يستطيعوا الهروب، وقاموا بسوق (٣٠٠٠) من الكرد القرويين، واقتادوهم إلى زيغي خارج وان

1. Recep Maraşli, A.G.E., S.213.

2. STANFORD J.SHAW, Op.Cit., VOL: II, P.910.

٣. ارمني قوميتة لرينك امال وحركات اختلاليةسى، المصدر السابق، ص ٢٠٥ .

4. Yusuf HALAÇOĞLU, Op.Cit., P.55.

5. Ibid, P.54.

٦. جستن مكارثي، المصدر السابق، ص ٢٠٤ .

وذبحوهم، وبالمقابل قامت العشائر الكردية بالانتقام من القرويين الأرمن الذين وجدوهم^١. يقول مكارثي: "إن الأرمن قتلوا الكرد، كما أنهم هاجموا الكرد في وان أيضاً، مما اجبر الكرد الآخرين على العودة إلى عاداتهم القديمة في (السلب والنهب)، وذلك بسبب إن سلطة الحكومة كانت ضعيفة، ولذلك هرب الأرمن تاركين قراهم، ويذكر بان القرويين الكرد الموجودين في وان تعرضوا إلى القتل وبإعداد كبيرة جداً"^٢.

مع تقدم الجيش الروسي وتراجع الجنود العثمانيين من وان شارك في الهجوم ضد المسلمين -الكرد- عدد من الأرمن المحليين الذين كانوا إلى ذلك الحين بعيدين عن القتال، واتحدوا مع مجموعات أعضاء الفرق الأرمنية، وقد تعرضت قرى المسلمين في منطقة (باثيرى) لهجوم الأرمن المحليين ومجموعات أرمنية وصلت قبل تقدم الجيش الروسي، لم يكن لدى القرويين المسلمين الأقرب إلى (باثيرى) سوى القليل من الوقت، ليهربوا، ووفقاً لأقوال الذين تمكنوا من الفرار دمرت العديد من القرى في ذلك الوقت، وأزهقت أرواح العديد منهم، وتعرض اللاجئون للهجوم في طريقهم إلى الجنوب، بحيث أن الجثث كانت متناثرة على طول الطريق^٣.

سيطر الأرمن المنتصرون على المدينة، واحرقوا ما تبقى من أحياء المسلمين ومن المنشآت الحكومية والإسلامية، وبعد مضي بضعة أيام، أي في العشرين من أيار ١٩١٥ دخل الروس إلى وان، وقبيل وصولهم قام الأرمن باستحداث إدارة خاصة بهم في المدينة برئاسة أرام مانوكيان^٤، ويذكر بأنه كان لأرام نفسه دور كبير في تلك المذابح التي حصلت في وان^٥.

كما رحب الأرمن بالجنرال (نيكولايف-Nikolayev) وقدموا له مفتاح المدينة، وبعد يومين أعلن نيكولايف في احتفال تشكيل حكومة إقليم وان الأرمنية وعين أرام

1. Justin McCarthy, (Seminar on Turkish-Armenian Relations Organized by the Democratic Principles Association 15 March 2001 /Istanbul), Via at:

(<http://www.mfa.gov.tr/grupa/ad/adf/pres.by.prof.mccarthy.htm>).

2. Justin McCarthy, THE OTTOMAN PEOPLES AND THE END OF EMPIRE, LONDON, 2001, P.110.

3. Justin McCarthy and others, Op.Cit., P.236.

- للمزيد عن أحوال الكرد والمسلمين خلال انتفاضة وان، ينظر:

-Hüseyin Çelik, Op.Cit.

4. Justin McCarthy and others, Op.Cit., P.215-216.

5. ERDAL ILTER, Op.Cit., P.98.

مانوكيان حاكماً عليها، وأرسل القيصر الروسي تهانيه لهم^١.

استمرت المجزرة ضد المسلمين-الكرد- في وان والقرى المحيطة بها، مع بعض الاستثناءات، كان الناجون من وان هم فقط أولئك الذين استطاعوا الفرار مع الجيش العثماني في المقام الأول، دمرت قرى زفيه، وملا قسيم، وشيخ قره، وشيخ عينة، وزورياد باكس، وخضر، وعمق واينس، وورندز، وحرويل، ودير، وزيوانا، وقرقر، وقرى كثيرة أخرى لم تحدد بالاسم، في وان يبدو أن الزعماء المدنيين والدينيين وأسرههم كانوا أول من كان على قائمة الاغتيال، لكن الأرمن أبادوا مسلمي وان بشكل كبير قبل أن يتمكنوا من تنظيم أي مقاومة بزمان طويل، ولم تكن أعمال التعذيب البشعة بحق وجائهم إلا نتاج كراهية شديدة، فقد دمّر الأرمن كل شيء إسلامي في وان، فقد أحرقوا وهدموا جميع المساجد، ودمروا الحي المسلم كاملاً، حين انتهت مهمة الأرمن والمعركة بين العثمانيين والأرمن، بدت وان اقرب إلى خرائب قديمة منها إلى مدينة، لم يبق في مدينة وان العريقة برمتها إلا بضعة مبانٍ^٢.

حتى بعد وصول الروس عزم الأرمن على إبادة المسلمين الكرد في المنطقة، فيذكر أن قرى شمال وان قد أبيدت على أيديهم، وأن سكان قرى جنوبها التجأوا إلى الموصل وإيران وجلبهم من الكرد، أما الباقون فوثقوا بالروس إلا أنهم كانوا مخطئين في ذلك، فقد قتلوا وأبيدوا على يد الأرمن والقوزاق، بل حتى أن بعض الكرد العائدين لوان بعد نداءات الروس لهم وخاصة الرحل منهم قد قتلوا وأبيدوا على يد الفرق الأرمنية^٣.

واستناداً إلى تقارير عثمانية صدرت في برلين في ١ تشرين الأول ١٩١٥، قُتل ما لا يقل عن (١٨٠٠٠٠) مسلم في أثناء انتفاضة الأرمن في وان، وبحسب أحد الضباط الروس فإن عدد قتلى الكرد في منطقة وان وصل إلى (٤٠٠٠٠) قتيلاً، وطبقاً لقول بحري بيك الملاك من خوشاب، فان القرى العشرين التي كانت عائدة له قد مات من سكانها الذين عددهم (١٢٠٠٠) شخصاً بسبب المرض، خلال الأشهر الستة الأولى من الحرب أكثر من (٨٠٠٠) كردي^٤.

1. Justin McCarthy and others, Op.Cit., P.216.

٢. جستن مكارثي، المصدر السابق، ص ٢٠٣-٢٠٤.

3. Justin McCarthy and others, Op.Cit., P.238-241.

٤. فريديوف نانسن، المصدر السابق، ص ٩٤.

٥. م.س. لازاريف، المصدر السابق، ص ٤٤١.

تمكن الجيش العثماني من استعادة وان مرة أخرى في ٤ آب ١٩١٥، وعند انسحاب الجيش الروسي منها قام بنهب ما تبقى من المدينة، وحسب بعض المصادر فان مجموع الأرمن الذين هاجروا من وان مع القوات الروسية إلى القوقاز قد بلغ (٤٠٠٠٠٠) أرمني، ولم يكن كلهم من أرمن وان، بل من أرمن بتليس وموش والمناطق الأخرى أيضاً، كانوا قد قصدوها عند سيطرة أرام عليها^٢، وقد خسر العثمانيون مرة أخرى مدينة وان في نهاية شهر آب ١٩١٥، واستمرت عمليات السيطرة من الجانبين حتى تمكن الروس من احتلالها بشكل كامل في ٢٩ أيلول ١٩١٥^٣. وقد تحولت وان إلى مدينة مدمرة تماماً بعد تلك المعارك، وحتى الآن هناك وان القديمة المدمرة، التي تعود للحرب العالمية الأولى، ووان الجديدة التي بناها سكانها الكرّد بعد الحرب^٤.

وأخيراً يلخص محمد أمين زكي أوضاع الكرّد في بداية الحرب، وما آلت إليه على يد الأرمن والأتراك من بعدهم بقوله: "في أوائل الحرب العالمية العظمى، ألحقت العصابات الأرمنية المسلحة تسليحاً تاماً، أضراراً عظيمة بأرواح وأموال الأكراد، حيث كانت تلك العصابات في مقدمة طلائع الجيوش الروسية، التي اكتسبت بلاد (بايزيد) و(الشكرد) و(وان)، وليت الأمر كان قاصراً على هذا فقط، بل إن الترك أنفسهم لم يكونوا يحجمون عن تدمير بلاد الكرّد، والإسراف في قتلهم بأسباب وحجج واهية، وما زالوا دائبين على العمل للقضاء عليهم نهائياً، حتى إن احد قواد الترك الكبار وهو خليل باشا، كان يعترف مباهياً بما ارتكبه ضد الأمراء الوطنيين الكرّد وزعمائهم، من المظالم وأعمال القسوة والانتقام"^٥.

-
1. Justin McCarthy and others, Op.Cit., P.242.
 2. STANFORD J.SHAW AND EZEL KURAL SHAW, Op.Cit., P.316.
 3. Justin McCarthy and others, Op.Cit., P.242.
 4. Recep Maraşli, A.G.E., S.213.

٥. ينظر مؤلفه: المصدر السابق، ص ٢٥٥.

ج-الموقف الكردي :

يكاد المؤرخون والباحثون عن موقف الكرد في شمال كردستان، من الحرب ومن التحالفات التي شهدتها، أمثال لازاريف^١، وجليلي جليل^٢، وديفيد مكحول^٣، وستانفورد شو^٤، وجستن مكارثي^٥، وآخرون غيرهم، يجمعون على حقيقة واحدة وهي: أن الكرد عند اندلاع الحرب العالمية الأولى في جبهة القوقاز، كانوا في موقف معاد ومضاد للأتراك، وكان موقفهم يتأرجح ما بين الحياد والانحياز إلى روسيا، لأسباب عديدة منها مثلاً: إن الكرد لم يكونوا يتقنون بالأتراك، ولا يميلون نحوهم، وان حركاتهم العديدة في العهد الدستوري، وآخرها حركة ملا سليم البتليسي خير دليل على ذلك^٦، كما أن الكرد في ولايات بتليس، ووان، وأرضروم، لم يكونوا لينسون البطش الذي مارسه الأتراك ضدهم عند إخمادهم لحركة ملا سليم البتليسي، بل وما فعلوه بالبتليسي نفسه في بداية الحرب، عندما قاموا باعتقاله وإخراجه من القنصلية الروسية في بتليس وإعدامه فوراً وعلى الملأ، فضلاً عن أسباب أخرى مثل الضرائب والتجنيد العسكري. أما بخصوص روسيا فقد كانت حينذاك أقرب الدول الكبرى إلى الكرد، سواء من ناحية إتصال حدودها مع حدود الكرد في شمال كردستان، أو إيوائهم للملا سليم البتليسي في قنصليتهم في بتليس، مما أثر بشكل كبير على توجه مشاعر الكرد نحوهم، كما انه لا يجب إغفال دور كل من عبد الرزاق بدرخان وكامل بدرخان في تحسين صورة روسيا بنظر الكرد قبل اندلاع الحرب العالمية الأولى. هذه الأسباب أدت إلى ميل الكرد نحو روسيا أكثر من الأتراك، ولكن رغم ذلك فان هذا لا ينفي بطبيعة الحال وجود بعض الاستثناءات بين الكرد، في أنهم قد لازموا جانب الأتراك، وخاصة عند إعلان الجهاد ضد الكفار الأجانب.

ليست هناك معلومات وافرة يمكن الاعتماد عليها عن حجم المشاركة الكردية في

١. ينظر مؤلفه: المصدر السابق، ص ٤١٧ .

٢. ينظر: جليلي جليلي وآخرون، المصدر السابق، ص ٨٩-٩٠ .

٣. ينظر مؤلفه: المصدر السابق، ص ١٧٦-١٧٧ .

4. STANFORD J.SHAW, Op.Cit., VOL: I, P.422-424.

5. Justin McCarthy and others, Op.Cit., P.219-220.

٦. اندلعت في كردستان حركات عدة بعد الانقلاب الدستوري في تموز ١٩٠٨، منها حركة إبراهيم باشا الملي، وأحداث الشيخ سعيد الحفيد، وحركة عبد السلام البارزاني.

الجيش العثماني النظامي، وذلك لان الجميع في الجيش العثماني كان يتم تعريفهم على أنهم عثمانيون، أو مسلمون، أو أتراك، حتى وان كانوا ينتمون إلى قوميات وعناصر أخرى، يقول المؤرخ الكردي محمد أمين زكي عن الحجم الكردي في الجيش العثماني في الحرب العالمية الأولى ما يلي: "قدم الشعب الكردي لأتون هذه الحرب الضروس جيشين؛ هما الجيش الحادي عشر ومقره معمورة العزيز، والجيش الثاني عشر ومقره الموصل، ومائة وخمسة وثلاثين بلوكاً سواريماً من الجيش الاحتياطي، أي أربع فرق ولواءً، علاوة على بعض وحدات حاميات الحدود وكامل الآيات الجندرية ورجال الأمن، وقدم كذلك معظم أفراد جيشين آخرين، وهما الجيش التاسع في ارضروم والعاشر في سيواس"^١. ولا يختلف ما أورده محمد أمين زكي عن حجم الكرد في الجيش العثماني عن ما أورده لازاريف والمؤرخون الآخرون^٢.

أما عن حال الجندي الكردي في الجيش العثماني فكان لا يختلف عن حال الجنود الأرمن كثيراً، بل وربما كانت أحواله في بعض القطعات العسكرية أسوء بكثير من حال الجنود الأرمن، فقد ذكر الطبيب والمبشر الامريكي (هنري ريكس-Henry H.Riggs)، الذي تواجد في خربوط أثناء الحرب العالمية الأولى، بان حال الجندي الكردي في الجيش العثماني لم يكن يختلف عن الجندي الأرمني، بل كان الضباط الأتراك في مرات عديدة يعاملونهم أقسى بكثير من معاملتهم لأقرانهم من الجنود الأرمن، وذلك لان الكرد، كما كانوا يقولون جهلاء ولا يعرفون اللغة التركية، ويضيف بأنه رأى احد الجنود الكرد المساكين يضرب حتى الموت بسبب فراره من الجيش ستّ مرات^٣.

ذكر كارو ساسوني أن معظم الكرد في الجيش الثالث قد أُبيدوا في معركة ساريقاميش، وقد نقل عن أنور باشا بعد خسارته في تلك المعركة قوله: "إذا نظرنا إلى مصادمات ساريقاميش من الخارج نحسب أننا مهزومون، ولكن حقيقة نحن منتصرون؛ لأن ساريقاميش من الغابات وحتى ارضروم، وعلى طول الطريق، وعلى مسافات بعيدة تركنا جثث عشرات الآلاف من شباب الكرد"^٤، ويدعم ديفيد مكدول هذه الحقيقة

١. ينظر مؤلفه: المصدر السابق، ص ٢٥٢ .

٢. ينظر مثلاً: م.س.لازاريف، المصدر السابق، ص ٤١٦-٤٢٠ .

3. Henry H.Riggs, DAYS OF TRAGEDY IN ARMENIA: Personal Experiences in Harpoot 1915-1917, Michigan, 1997, P.43-44.

4. Garo Sasuni, A.G.E., S.155-156.

بقوله: "لقد لاقى الآلاف من المجندين الكُرد حتفهم في الجيش الثالث، المرابط في ساريقاميش وعلى الجبهات الأخرى...".^١

أما بخصوص الدعايتين التركية والألمانية بين العشائر الكُردية في محاولة منهما لتشكيل فرق غير نظامية منها لدعم الجيش العثماني النظامي والقتال إلى جانبه في المعارك فلم تأتي بنتائج ملموسة^٢، على الرغم من أن الحكومة العثمانية تمكنت قبل بداية الحرب من تشكيل (١٦) فوجاً كُردياً في بايزيد وحدها، إلا أن القوة العسكرية الكُردية لم تكن ذا فائدة ملموسة للأتراك العثمانيين في بداية الحرب، فمثلاً لم يبقَ من بين (١٨٠٠٠) فارس كُردٍ كانوا موجودين في صفوف الجيش الثالث سوى (٢٨٠٠) شخص، من جانب آخر وجّه أبرز قادة الكُرد في شمال كُردستان، أمثال عبد الرزاق بدرخان وكامل بدرخان، بل وحتى القائد الحميدي المشهور كورحسين باشا، نداءً إلى الكُرد يدعونهم فيه إلى: تغيير الجبهة، وتوجيه سلاحهم ضد الدولة العثمانية^٣.

وقد أثبتت المعارك الأولى بين روسيا والدولة العثمانية في جبهة القوقاز هذا الأمر، عندما انسحب الكُرد من المعارك ولم يقاتلوا بجانب الجيش العثماني، فمنذ الشهور الأولى من الحملة على جبهة القوقاز، وبعد معركة كيبريكي بدأت القطعات الكُردية تتشتت عائدة إلى بيوتها، ونظراً للموقف الأرمني والكُرد من الأتراك في بداية الحرب، كتب ف.أ. غوردليفسكي: "كان على السلطات التركية في سنوات الحرب التحرك في أرمينيا الغربية وكردستان كأنما في أرض دولة معادية...".^٤

وقد لوحظت حالات انتقال تشكيلات كُردية، غير نظامية، من ضمن الجيش التركي إلى الجانب الروسي، ففي خلال الأسابيع الأولى من الحرب انتقل إلى الجانب الروسي عدد من الزعماء الكُرد وقادة الحميدية ومن ضمنهم: رسول بيك وحميد بيك من قره كليس، ومحمد بيك من ديادين، وعلي بيك رئيس ادامين، وقد بلغ عدد قواتهم (٤٠٠٠) فارس، وفي المعارك قرب بايزيد استسلمت القطعات الكُردية إلى الروس

١. ينظر مؤلفه: المصدر السابق، ص ١٨١ .

٢. للتفاصيل عن الدعاية التركية والألمانية بين الكُرد قبل الحرب العالمية الأولى ينظر: كمال مظهر

احمد، المصدر السابق، ص ١٣٠-١٦٤ .

٣. م.س. لازاريف، المصدر السابق، ص ٤١٦ و ٤٣٥ .

٤. جليلي جليل واخرون، المصدر السابق، ص ٩٠ .

بدون مقاومة تقريباً^١، يقول مكارثي عن هذا الأمر: "برهن أعضاء العشائر الكردية بمن فيهم أعداء سابقين للحكومة على غرار سمكو[شكاك]عن نيتهم في مواجهة الروس إن كانوا يخسرون، إلا انه حين بدا الاجتياح الروسي محتملاً جداً، اختفى المقاتلون الكرّد وفرقة الخيالة العشائرية الخفيفة بكل بساطة، إذ غاب أي اثر لوجود الجنود غير النظاميين الكرّد، والسكان الكرّد في وان ما أن بدت الهزيمة وشيكة..."^٢.

ومما يجدر ذكره هنا أن معظم المقاتلين في تشكيلات بهاء الدين شاکر، في البداية كانوا من الكرّد الذين جُنّدوا محلياً، ولذلك عندما قام بهاء الدين شاکر بالتصرف ضد التقدم الروسي عبر الحدود العثمانية، وذلك بتحريك تشكيلاته من شرق ارضروم وغرب الخط بين ارتفين والتوا، فان العديد منهم عادوا إلى بيوتهم ليدافعوا عن عوائلهم ضد الروس، هذا العمل أدى بالجيش العثماني إلى الانسحاب إلى ارضروم وحفر الخنادق والدفاع عنها^٣.

إذا كان الأمر هكذا فماذا حدث بعد ذلك لكي يقوم الكرّد بتغيير موقفهم في الحرب؟ والقتال بجانب الأتراك مرة أخرى ضد الجيوش الروسية، وقد أشاد المؤرخون الأتراك بعد ذلك، على غرار المؤرخ التركي(حسين قوجة) بالدور الذي أدّته القوات الحميدية في التصدي للجيوش الروسية منذ عام ١٩١٥ وحتى العام ١٩١٨، حيث يقول: "إن أفواج الحميدية كانوا موفقين في حروب العصابات، التي خاضوها ولمدة طويلة ضد الجماعات الأرمنية، حيث أتقنوا السيطرة على الممرات، واستخدموا طريقة الهجوم بشكل مفاجئ، واستخدموا تكتيك (الكر والفر) مباشرة أثناء حروبهم مع العدو"^٤، وحسب رأي هؤلاء المؤرخين كانت الأفواج الحميدية قد وقفت بوجه الهجمات الروسية والأرمنية، وساهمت في عدم حصول (كارثة روم أيلي ثانية)، في المنطقة التي تضم الأراضي الشرقية في الأناضول^٥.

الجواب في سبب التغيير السريع في الموقف الكردي من الروس والتوجه نحو الأتراك يكمن في تلك المذابح التي ارتكبتها الفرق الأرمنية والجيوش الروسية ضد الكرّد في

١. م.س.لازاريف، المصدر السابق، ص٤٣٦ .

2. Justin McCarthy and others, Op.Cit., P220.

3. STANFORD J.SHAW, Op.Cit., VOL: I, P.422-423.

4. MUSTAFA AKYOL, A.G.E., S.46.

5. A.E., S.46-47.

مناطق بايزيد، والاشكيرد، ووان، وعلى طول الحدود الروسية العثمانية والحدود الإيرانية العثمانية، فان هذه المذابح قد كلفت الكُرد الكثير من الأرواح، الذين لم يقاتلوا بجانب الدولة العثمانية واستقبلوا الفرق الأرمنية والجيش الروسي ظناً منهم إنهم يقاتلون الأتراك من جبهة واحدة وعدوهم واحد، إلا أنهم لاقوا العكس، بل رأوا إن الأرمن يقومون بإبادة الكُرد، وذلك لخلق أرضية مناسبة لاندماج (أرمنستان الغربية)- الولايات الست- حسب قولهم بأرمنستان الشرقية-الروسية- وتأسيس دولة أرمنستان الكبرى.

لقد كان استخدام القوة والبطش ضد الكُرد يدخل منذ البداية في المخططات العسكرية الأرمنية، والذين قاموا بدورهم بالتأثير على الروس، فقد قال أمر سرية الاستطلاع الأشورية الرابعة ومترجم نائب القنصل في أرمية مثلاً، بان الروس المقتنعين بحلفائهم المخلصين من الأرمن والأشوريين كانوا يشعرون بان الكُرد غير متمدنين، وغير متحضرين، ولا يفهمون سوى لغة القوة، وكان يجب أن يعاملوا بكل وحشية، وذكر ضباط روس خدموا في ساحة القتال ضد الكُرد بنفس الأسلوب: بان الكُرد هم شعب غير متحضر، ولا يعرفون إلا القوة، وهم لا يطيعون سوى القوي. وكتب ضباط روس آخرون عن الإساءات المستمرة الصادرة عن الأرمن في الجيش الروسي بحق الكُرد، الذين كانوا يعانون أصلاً من البرد والجوع، والتي كانت أحكاماً فعلية بالموت، إذ اشتكى الكُرد أنفسهم مراراً وتكراراً إلى القادة الروس من ظلم وتعدي الأرمن الخادمين في جيشهم، الذين كانوا يقومون بقتل ونفي الكُرد، ويستولون على أراضيهم ويغتصبون نساءهم، ويسرقون ماشيتهم، ويمارسون الابتزاز بحقهم، كان القادة العسكريون الروس يرسلون تقاريرهم بانتظام إلى سانت بطرسبرغ بأن وجود الوحدات الأرمنية في جيش الاحتلال الروسي كان يثير العداء بشكل غير ضروري للسكان الكُرد المستقرين، مما يدفعهم إلى مقاومة الحكم الروسي، وعليه يتوجب عدم استخدام الأرمن في العمليات العسكرية، التي تنفذ في المناطق التي يسكنها الكُرد بشكل رئيسي¹.

ونتيجة لهذه الأعمال، والتي سبقت الإشارة إليها أيضاً، بدأ الكُرد من جديد بتغيير ولائهم نحو العثمانيين على حد قول ستانفورد شو، وقد سببوا بعد ذلك

1. STANFORD J. SHAW, Op.Cit., VOL:II, P.805-806.

صعوبات جمة للقوات الروسية المحتلة لمناطقهم في شمال كردستان^١. فضلاً عن ما مرّ ذكره بخصوص المذابح التي طالت الكُرد في بداية الحرب، ذكرت تقارير كل من (عبد الرزاق بدرخان، وكامل بدرخان، وبوريس شاخوفسكي) الذين كانوا مشاركين في هذه الحرب، ويقاثلون بجانب الروس ويقومون بإعمال الدعاية لها بين الكُرد، وكانوا شهود عيان عما فعله الأرمن بالكُرد في بداية الحرب، بأن انحياز الكُرد إلى جانب الأتراك في الحرب كانت بسبب الأعمال الأرمنية المؤذية والمدمرة. وفيما يلي نبذة صغيرة عن تقرير كل من عبد الرزاق بدرخان وبوريس شاخوفسكي، عن الموقف الكُردي في بداية الحرب وعمليات القتل الأرمنية ضدهم، وسيأتي الحديث لاحقاً في موضوع مستقل عن تقرير كامل بدرخان:

سبق ذكر نشاطات عبد الرزاق بدرخان، في مجال الدعاية لروسيا بين الكُرد، ومحاولة كسب الدعم الروسي للقضية الكُردية من جانب آخر، وفي أثناء الحرب العالمية الأولى قاد عبد الرزاق بنفسه مجموعة من الكُرد وحارب الجيش العثماني في معارك عدة، ويذكر بنفسه أنه كان يتوقع نجاحاً كبيراً بين الكُرد لتوجيه سلاحهم ضد الأتراك، والوقوف مع الجيش الروسي الذي احتل الأراضي الكُردية في شمال كردستان، إلا أن أعمال القتل الأرمنية، ومشاركة الجنود الروس في عمليات القتل في مناطق عدة، وتهاونهم بشأن تلك الأعمال الأرمنية ضد الكُرد قد أضعفت مساعيه كثيراً، وجعل الكُرد لا يثقون به وبوعوده أبداً.

ففي تقرير له يعود تاريخه إلى أواخر العام ١٩١٥، يلخص عبد الرزاق بدرخان تاريخ أسرته، التي عملت جاهدة منذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر، في سبيل نيل الحقوق القومية الكُردية، ليتطرق بعد ذلك إلى دوره في الحرب وما رآه بأعينه من المذابح الأرمنية للكُرد، بل كاد هو نفسه أن يقتل على أيدي تلك الفرق^٢.

يقول عبد الرزاق: "حين سمعت بمجيء درو[أحد قادة الفرق الأرمنية إلى منطقة بايزيد] مع ثلاثمائة من رجاله إلى كيفيري-شاميانة، أقنعت الكُرد بالاطمئنان إليه، لأنني كنت معتقاً بأن لا خوف من الأرمن الموالين للروس، ولكنهم ذبحوا الملا الذي خرج إليهم بالخبز والملح ذبح النعاج؛ ثم دخلوا القرية وقتلوا ثماني نساء مع أطفالهن

1. Ibid, P.810

٢. عبد الرزاق بدرخان، المصدر السابق، ص ٢٣-٢٥ .

بحرايهم، مما جعل كُرد أباغة يلاحقون درو وعصابته حتى جرحوه، واجبروهم على الخروج من القرية"^١.

كثيراً ما يُوجّه النقد إلى الفرسان الحميدية، على أنهم كانوا اليد الطولى للأتراك في ضرب الأرمن، في حين ذكر عبد الرزاق بدرخان انه ما أن أعلنت الحرب، حتى أبدى خمسة من رؤساء الحميدية رغبة الانضمام إلى الروس وهم: (سردار بك، مجيد أغا، عثمان أغا، حسين بك، وعزيز جانكير أغا)، إلا أن أعمال الأرمن وقتلهم لابن عم أحد هؤلاء، فضلاً عن قتلهم لآخرين قد أثر عليهم، وجعلهم يحاربون مرة أخرى مع الأتراك، يقول عبد الرزاق بخصوص هؤلاء: "أن القادة الخمسة أعربوا لي عن تدمرهم، ورأوا أن هذه الأعمال تناقض وعودهم"^٢.

وعن مذابح الأرمن للكُرد في باشقالا، ورد الفعل الكُردى ضدهم يقول عبد الرزاق: "قبل سفر الكولونيل نالكاييف لأول مرة إلى باشكالي، لم يلحق الكُرد أي أذى بالأرمن، ليس هذا فحسب، بل حموهم من هجمات العصابات التركية، التي كانت ترتكب النهب والسلب والقتل بين الناس، ولكن الأرمن سلبوا بعض بيوت الكُرد، وقتلوا بعضهم بعد احتلال باشكالي، مما كان سبباً لأن يثار الكُرد لأنفسهم من الأرمن، حين سنحت لهم الفرصة بعد سيطرة الترك على المدينة، مما دفع الأرمن إلى الهجرة إلى روسيا مجبرين. ومن ناحية أخرى فإن الأرمن الذين كانوا قد التحقوا بالقوات الروسية ارتكبوا مجزرة أثناء خروجهم من كوتور، راح ضحيتها (٢٧٠) شخصاً بين رجل وامرأة وطفل، وأسروا الفتيات الكُرديات كما احرقوا القرى وسلبوا مواشيها، لقد وصف لي هذه المجازر مفصلاً كل من المير (كنياز ج.ج) جارابخادزي، والباروجيك ايفانوف (من فرقة المشاة الخامسة)، والكابتن بلاتونوف (من الفرقة الثامنة)، وأشخاص آخرون ممن رأوا تلك المجازر؛ ثم يضيف بأنه وعند مروره بجولفا: "رأينا البيوت تحترق في قرى الفرسان وسط النيران، التي سببتها العصابات الأرمنية"^٣.

يتابع عبد الرزاق بدرخان في تقريره في موضع آخر الأعمال الأرمنية ضد الكُرد بالقول: "كان الأرمن سبباً في تدمير بعض القرى الكُردية بقذائف المدافع، يجب أن نقول الحقيقة، إن الكُرد الجلاليين، أنصاف الغرباء والمقاتلين كانوا يكمنون في المغاور،

١. المصدر نفسه، ص ٣٩.

٢. المصدر نفسه، ص ٤١.

٣. المصدر نفسه، ص ٤٣-٤٥.

ويمطرون الجنود الروس بوابل من الرصاص، وحين كانت الفرصة تسنح للمترجمين الأرمن العاملين عند الضباط الروس، كانوا يلقون تبعة تلك الأعمال على القرويين الكرّديّ البؤساء، الذين لم يكن لهم في كل ذلك أيّ ذنب... كان أغلب الضباط الروس يميلون إلى الأرمن أكثر من ميلهم نحو الكرّديّ، بسبب الوشائيات الكاذبة التي كان المترجمون الأرمن يشنون بها، وفي أغلب الأحيان كان الروس يبخسون الكرّديّ حقهم بسبب عدم إدراكهم، وهذا ما كان يدفعني إلى تكرار القول للجنرالات بان العلاقات الروسية الكرّدية تستوجب وجود مترجمين من الكرّديّ السنيين من يريفان وقارص، والحقيقة أقول: كانوا يقبلون اقتراحي ولكنهم لم يعملوا به مطلقاً، لو اهتم الروس بما كان بين الكرّديّ والجورجيين من أواصر المحبة والمودة لكان ذلك كافياً لأن يتخذوا مترجميهم ممن كان يعرف التركية من هؤلاء^١.

ينتقل عبد الرزاق بدرخان إلى الحديث عن الأعمال الأرمنية في بعض القرى الكرّدية الأخرى، ويذكر بأنهم تحركوا من قرية جويوقلي باتجاه قرية ملا حسن، وكانت الجبال تواجههم وكان ثمة ألفا عائلة كرّدية فرت من قراها وخيمت هناك: "جايني مئة من رجالها حين سمعوا خبر مجيئنا، وقدموا لي رسالة زودهم بها الجنرال تروخين حين كان هناك، تقضي بالا يقاتلهم احد؛ ثم سلموا أسلحتهم، إلا أن الأرمن كانوا استغلوا غياب الجنرال تروخين، وهاجموا تلك العوائل، واجبروها على الفرار بعد أن انتهكوا أعراض النساء والفتيات، مما دفع بسبع وعشرين فتاة وامرأة من العوائل المرموقة على الانتحار، كان من بين الرجال المائة الذين جاؤوا إلينا أقرباء أيوب خان بك، شقيق سعيد بك، وهؤلاء كانت قرية ميندان لهم، هاجمهم الأرمن المقيمون في هذه القرية، واستباحوا نساءهم، وقتلوا رجالهم، وسلبوا أموالهم وممتلكاتهم"^٢.

ويختتم عبد الرزاق بدرخان تقريره بذكر هذه الحادثة، بالقول: "خرجنا من وان بصعوبة بالغة-عندما كان أرام يحكمها - حتى وصلنا إلى افزينة في منطقة كوروندشت، حيث اخبرنا الشرطة الأرمن بان شيخ هذه الديار قد ساند الأرمن، ولم يسمح بقتلهم وقد بادر ارمنيو هذه المنطقة برد الجميل لهم، فأعلنوا عن تضامنهم مع الكرّديّ، حين قدوم الروس، ورجوهم ألا يغادروا ديارهم، لقد بقي الكرّديّ في أماكنهم

١. المصدر نفسه، ص ٤٦ .

٢. المصدر نفسه، ص ٥١-٥٢ .

امتثالاً لرغبة ووعود الأرمن، ولكن العصابات الأرمنية المسلحة حين دخلت منطقة كورونديشت، بدأت في قتل الكرد، دون الامتثال لرغبة ورجاء إخوانهم الأرمن، أرشدتنا الشرطة إلى منزل كان فيها ما يقارب ستين جثة، بينما وجدت في القرية المقابلة ثمانمائة جثة أخرى، راح الكرد المرافقين لي يدفنونها وفق شرائع دينهم^١.

هذه بعض الحالات التي أشار إليها عبد الرزاق بدرخان في تقريره الذي رفعه إلى الجهات العسكرية الروسية العليا في تفليس، عن أعمال الفرق الأرمنية الوحشية ضد الكرد عند اكتساح الجيوش الروسية لشمال كردستان، التي كانت سبباً مؤثراً في تغيير وجهة الكرد في الحرب، كما أن هذا التقرير وتقارير أخرى في هذا المجال-أشير سابقاً إلى بعض منها- تذكر بأن المذابح الأولى في الحرب العالمية الأولى هي تلك التي قام بها الأرمن ضد الكرد وليس العكس.

لقد دعمت تقارير بوريس شاخوفسكي، الذي شغل في أثناء الحرب منصب رئيس قسم العلاقات مع الكرد لدى مقر قيادة جيش القوقاز، تقرير عبد الرزاق بدرخان عن سبب تغيير الكرد لوجهتهم في الحرب، فيتحدث شاخوفسكي عن زعماء الكرد من الحميدية الذين انضموا إلى جانب روسيا في بداية الحرب، إلا أنهم بسبب أعمال الفرق الأرمنية ضدهم غيروا ولاههم، ويضيف أنه عندما اندلعت الحرب ضد تركيا انحاز رسول بك شمسدينوف، وأخوه حميد بك، وأبناء أيوب باشا في ناحية قره كليس، إلى الجيش الروسي مع أفواجهم الحميدية مع العديد من الشخصيات الأخرى، التي كانت أسماؤهم مدونة ضمن الوثائق الروسية، وقد كان هناك زعماء آخرون يأملون اقترب الجيش الروسي من مناطقهم لكي ينظموا إليه^٢، بل حتى أن كور حسين باشا كان ينتظر الروس للانتقال إلى جانبهم^٣، إلا أن الجرائم-كما يقول- التي قام بها الأرمن ضد الكرد بغير وجه حق، وتبعهم في هذا الأمر الجيش الروسي الذي مارس نفس الأعمال ضد الكرد، كانت سبباً كافياً إلى عدم تغيير الكرد وانحيازهم إلى الروس بعد ذلك، ولم يقوموا بتسليم أنفسهم بعد هذه الأحداث إلى الجيش الروسي، لأنهم كانوا يقتلون ما أن يسلموا أنفسهم، كما أن هؤلاء الأرمن كانوا يقومون بالتعدي على شرف الكرد^٤.

١. المصدر نفسه، ص ٥٣

٢. ئەفراسياو هه ورامى، سه رچاوه پيشوو، ل ٣٨ .

٣. هه مان سه رچاو، ل ٨٤-٨٥ .

٤. هه مان سه رچاو، ل ٣٨ .

ثم يقول شاخوفسكي: " بعد تلك المذابح التي ارتكبتها الأرمن بحق الكرّديين [في بداية الحرب] دفع هؤلاء الكرّديين إلى التفكير بسياساتهم، وقد تركوا انحيازهم إلينا، وانحازوا بعد ذلك إلى الأتراك وقاتلوا بجانبهم، كما أن زعماء الحميدية الذين كانوا قد أبدوا رغبتهم في القتال إلى جانبنا ضد الأتراك، فروا إلى كردستان، بعد أن قتل الأرمن بعضاً منهم، وأهانوا آخرين، وأرسلوا الرسالة التالية إلينا: كنا نعتقد أن الروس يحكمون الأرمن، ولكن الآن تبين لنا أن الأرمن يتحكمون في الروس"، وقد ذكر شاخوفسكي أن الكرّديين بعد ذلك قد سببوا صعوبات جمة للجيش الروسي في شمال كردستان، ولكن رغم ذلك يذكر انه لم يتغير موقف الكرّديين كثيراً من الروس، وكانوا يراسلونهم على أنهم مرحب بهم في كردستان ولكن بشرط أن لا يصاحبهم الأرمن^١.

أما عن سبب برودة موقف القيادة الروسية من الكرّديين، فرأى شاخوفسكي أنه يكمن في التأثير الكبير لسادة الأرمن في تفليس، الذين عملوا من خلال زوجة المحافظ المحلي داشكوف القوية والطاعنة في السن، وفي مقر قيادة القوقاز وفي بطرسبرغ، وعلى أساس تقارير من تفليس اتجهوا فقط لتأييد الأرمن، وأشار شاخوفسكي في أحد تقاريره أن الروس لم يعيروا أي اهتمام للكرّديين^٢.

١. هيمان سهرچاؤ.

٢. م.س. لازاريف، المصدر السابق، ص ٤٦٢-٤٦٣.

الفصل الخامس

عمليات التهجير والتطورات الأخيرة للمسألة الأرمنية ١٩١٥-١٩٢٠

- أولاً-تهجير الأرمن والكرد من شمال كردستان.
- أ-تهجير الأرمن.
- ب-التهجير الكردي.
- ج-استيطان الأتراك ومسلمي البلقان في شمال كردستان.
- ثانياً-الاحتلال الروسي لشمال كردستان ١٩١٦-١٩١٧ .
- أ-العمليات العسكرية.
- ب-تقرير كامل بدرخان ٢٩ أيلول ١٩١٧ .
- ثالثاً-الكرد والأرمن في العام الأخير من الحرب.
- رابعاً-الكرد والأرمن في مؤتمر السلام في باريس.
- أ-النشاط السياسي الأرمني.
- ب-النشاط السياسي الكردي.
- خامساً-موقف الدول الكبرى من المسألتين الأرمنية والكردية.
- أ-روسيا (السوفيتية).
- ب-فرنسا.
- ج-الولايات المتحدة الأمريكية.
- د-بريطانيا.
- سادساً-نشوء الحركة الكمالية وتطورها في شمال كردستان ونهاية المسألة الأرمنية.

أولاً-تهجير الأرمن والكرد من شمال كردستان

اتبع القادة العسكريون منذ أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين أسلوب إخلاء المناطق الداخلة ضمن خط المواجهات الحربية من السكان وخصوصاً من الأقليات المشكوك في ولائها، من خلال الترحيل القسري على أنها إجراء ضروري تفرضه ظروف الحرب. وهذا الأمر كان أسلوباً مارسته الدول الاستعمارية في إفريقيا، وبصفتها تكتيكاً عسكرياً غالباً ما كان مصطحباً بدرجة عالية من الأعمال الوحشية؛ لأن الترحيل كان يتم بشكل سريع ودون أي مقاومة تذكر. فالبريطانيون خلال (الحرب البويرية-Boer War)^١، والألمان في صراعهم مع قبائل الـ(هيريرو-Herero)^٢ في جنوب غرب إفريقيا مطلع القرن العشرين قاموا بتطبيق عقوبات جماعية بهذه الطريقة. أما حروب البلقان فقد تمخضت عنها عملية تطهير عرقي واسعة. وخلال الحرب العالمية الأولى أخلى الألمان خطوط الجبهة في بلغاريا وفرنسا من الناس في المناطق التي احتلوها، لأنهم كانوا يتوقعون أنهم غير مواليين. وفي ذلك الوقت، بدأت عمليات الترحيل القسرية رافقتها أعمال لا إنسانية وحشية قاسية - كما حدث في بلغاريا - والتي كانت تهدف إلى بث الذعر في نفوس السكان، ودفعهم للهرب أو على الأقل تخويفهم، كما

١. الحرب البويرية(١٨٩٩-١٩٠٢):وهي الحرب التي وقعت بين بريطانيا وجمهورية البوير(الترانسفال والأورانج)اللتان ترجع أصولهما إلى المستعمرين الهولنديين، حيث كانت بريطانيا قد سيطرت على معظم أجزاء جنوب إفريقيا ماعدا أراضي هاتين الجمهوريتين خلال القرن التاسع عشر، وانتهت هذه الحرب بانتصار بريطانيا وبزوال جمهوريتا البوير. ينظر:عبد الوهاب الكيالي وآخرون، المصدر السابق، ج٢، ص١٠٣-١٠٤ .

٢. الهيريرو: في عام ١٩٠٤ انتهزت قبائل (شعب) الهيريرو في جنوب غرب إفريقيا، الذين كانوا يعانون من الحكم الاستعماري الألماني السيئ الصيت، فرصة انشغال الجيش الألماني بتمرد آخر في المنطقة، فأعلنوا تمردهم وقتلوا حوالي (١٠٠) جندي ألماني، رد الألمان عليهم بقسوة بالغة فقد قتلوا ما يتراوح بين ٧٥ و٨٠٪ من السكان الهيريرو، الذين قدر عددهم بين (٦٠٠٠٠) إلى (٨٠٠٠٠) حسب المصادر القريبة. ينظر: آ. ادو بواهن، تاريخ إفريقيا العام، المجلد السابع (إفريقيا في ظل السيطرة الاستعمارية ١٨٨٠-١٩٣٥)، بيروت، ١٩٩٠، ص٢٢٥-٢٢٦؛ هـ. أ. ل. فيشر، المصدر السابق، ص٤٠٤-٤١٢ .

قامت روسيا أيضاً بعمليات ترحيل قسرية للسكان، ففي ٢٥ تموز ١٩١٤ أصدر رئيس الأركان أوامره بإخلاء (رعايا العدو من الذكور الذين بلغوا سن الخدمة العسكرية) قرب الحدود الروسية، فقد أرسل السكان من ذوي الأصل النمساوي والألماني الذين- يستطيعون بدنياً حمل السلاح- إلى روسيا الوسطى، كما نفوا اليهود أيضاً. في كانون الثاني ١٩١٥ وعلى طول الجبهة القوقازية، أصدر نائب الملك داشكوف أوامره بترحيل الآلاف من المسلمين (المتصلين) من قارص وياطوم، ودفعهم مئات الأميال باتجاه الشمال نحو روسيا الوسطى^١.

رأت حكومة الاتحاديين من جانبها أيضاً، وعلى رأسهم وزير الحربية أنور باشا^٢، ورئيس الوزراء طلعت باشا^٣، بعد الخسارة في معركة ساريقاميش وانتفاضة الأرمن في وان، ضرورة إيجاد حل ليس للمسائلتين الأرمنية والكردية فحسب، بل في إعادة تنظيم الخارطة القومية في شمال كردستان، وكان هذا الحل برأيهم تهجير الأقوام غير المخلصة والمشكوك في ولائها للأتراك من المنطقة، وإسكانهم في غرب الأناضول على أن تتراوح نسبة نفوسهم ما بين (٥٪) إلى (١٠٪) من مجموع سكان تلك المناطق. أما المرحلة الثانية من خطتهم فكانت تتضمن جلب وإسكان الأتراك والأقوام المسلمة الأخرى، التي كانت قد هاجرت من البلقان هرباً من التنكيل المسيحي في حروب عامي ١٩١٢-١٩١٣.

كان تطبيق هذه السياسة على أرض الواقع ضرباً من الخيال إذا جاز التعبير، خاصة إذا ما علم أن الظروف المزرية التي كانت تمر بها الدولة العثمانية وخصوصاً

1. DAVID GAUNT, Op. Cit., P. 64-65.

٢. أنور باشا (١٨٨١-١٩٢٢): ضابط وسياسي تركي بارز، أدى دوراً متميزاً في انقلاب تموز ١٩٠٨، شكّل مع طلعت باشا وجمال باشا قيادة ثلاثية ذات نزعة قومية طورانية حكمت تركيا ما بين (١٩١٣-١٩١٨)، أتهم بالتخطيط للمذابح الأرمنية في عام ١٩١٥، حاول أن ينظم حركة إسلامية ضد حكم مصطفى كمال باشا، إلا أنه فشل، وقتل على إثرها. ينظر: عبد الوهاب الكيالي، المصدر السابق، ج١، ص ٣٧٥.

٣. طلعت باشا (١٨٧٤-١٩٢١): هو محمد طلعت أحمد، أحد الزعماء الثلاثة في جمعية الاتحاد والترقي العثمانية، عمل وزيراً وصدراً أعظم، استقال من منصب الصدارة عام ١٩١٧، من المتهمين بالتخطيط للمذابح الأرمنية، هرب إلى أوروبا بعد الحرب العالمية الأولى، اغتاله الأرمن في برلين عام ١٩٢١. ينظر: مسألة إبادة الأرمن أمام المحكمة، ترجمة: غسان نعيان، مراجعة: ماموستا جعفر، ط٢، السليمانية، ٢٠٠٨، ص ٩-٣٧.

- HASAN BABACAN, MEHMED TALAT PAŞA, ANKARA, 2005, S.10-36.

في جبهتها القوقازية، إلا أن رؤساء الاتحاديين آثروا أن يطبقوها، إذا ما كانت ستصب في مصلحة الدولة العثمانية ومصلحة الأتراك بالدرجة الأساس، وعلى حد تعبير أحد الضباط الأتراك بهذا الشأن عندما قال: "إذا كنا نحن الأتراك ننزف دماً حتى الموت في هذه المعركة، من أجل وجود الإمبراطورية العثمانية فلا يوجد شعب آخر في هذه الإمبراطورية يقوم بذلك"^١، وهناك من يرى أن أساس فكرة التهجير والمذابح كان قد ولدها الألمان عند زعماء الاتحاديين نتيجة لخبرتهم السابقة في هذا المجال^٢.
لقد مرّت ما يعرف بخطة أنور وطلعت الأصلية بثلاثة مراحل، لجعل شمال كردستان منطقة مؤيدة ومخلصة للأتراك، وهذه المراحل هي:

المرحلة الأولى تهجير الأرمن: في البداية كان على أنور وطلعت تهجير الأرمن قبل غيرها من العناصر والشعوب، وبأسرع وقت ممكن نتيجة لتطورات الحرب، وهناك سببان لتهجير الأرمن قبل غيرهم، الأول: الخيانة العلنية التي أظهرها الأرمن ما إن بدأت الحرب، حسب وجهة نظرهما، خصوصاً وأن أنور باشا كان القائد الأول للجيش في ساريكاميش، وكان مطلعاً عن قرب على الأعمال الأرمنية في هذا المجال، وكان يرى في الأرمن سبباً رئيسياً في هزيمته في ساريكاميش، وكانت قد حدثت إنتفاضات ارمنية مماثلة بعد سقوط مدينة وان، في كل من: بتليس، وموش، وأرضروم، وزيتون، وسيواس، وقيصري، والاسكندرونة، وأورفا^٣، ثانياً: كان عدد نفوس الأرمن أقل بكثير

1. Report From the Administrator in Erzurum (Scheubner-Richter) to the Reichskanzler

(Bethmann Hollweg), Presently in Munich, 4 December 1916, Via at: (<http://www.armenocide.net>).

2. Viscount Bryce, Op.Cit., P. 39; Secil KARAL AKGUN, Ottoman Armenian Intricate Relations with Western Powers before and during the Peace Settlements of the First World War, REVIEW OF ARMENIANS STUDIES, no:18, 2008, P.48-49;

– نعيم اليافي وخليل الموسى، نضال العرب والأرمن ضد الاستعمار الأرمني، اللانقوية، ١٩٩٥، ص ٥٠-٥٢.

٣. الوثيقة رقم (٢٠٠١)، شيفرة إلى وكالة القيادة العامة في دار السعادة (استانبول) ٢٩ شباط ١٩١٥، في: الوثائق، المصدر السابق، ص ٣٣-٣٤؛ الوثيقة رقم (٢٠١٢)، إلى وكالة القيادة العامة، ٢٢ تموز ١٩١٥، في: المصدر نفسه، ص ٧٩؛ الوثيقة رقم (٢٠١٣)، إلى قيادة الجيش الثالث، ٤ اب ١٩١٥، في: المصدر نفسه، ص ٨٣؛ ارمنى قوميتة لرينك امال وحركات اختلاليةسى، المصدر السابق، ص ١٦١-١٦٢.

-Mim Kemal ÖKE, Op.Cit., P.110;

من الكُرد، بحيث يمكن التعامل معهم بسرعة مقارنة بالكُرد. أما المرحلة الثانية من الخطة فتضمنت: تهجير الكُرد بعد أن ينتهوا من الأرمن، وإسكانهم في ولايات غرب الأناضول، وذلك بسبب ما ثبت لديهم من عدم إخلاصهم أيضاً، في معارك الدولة العثمانية الأولى في جبهة القوقاز، أما السبب الثاني في تهجير الكُرد أن زعماء الاتحاديين رأوا على ما يبدو أن منطقة شمال كُردستان- الأناضول الشرقية- قد تحولت إلى منطقة كُردية خالصة بعد تهجير الأرمن منها، وهذا ما أثار مخاوفهم من استغلال الكُرد لهذه الظروف الجديدة، والقيام بانتفاضة يصعب على الحكومة العثمانية السيطرة عليها وقمعها، مما سيؤدي إلى تشكيل الكُرد لكيان سياسي لهم في تلك المنطقة.

أما المرحلة الثالثة من الخطة فكانت إسكان الأتراك والعناصر المسلمة البلقانية المخلصة للاتحاديين في شمال كُردستان، وإيجاد تشكيلة أثنية (قومية) تتماشى مع تطلعاتهم الطورانية.

أ- تهجير الأرمن :

كانت من أحد أبرز المآسي التي شهدتها الحرب في شمال كُردستان هي قيام الحكومة العثمانية بتهجير الأرمن، الذين بقوا في ولايات بتليس، وأرضروم، ومعمورة العزيز- خربوط- إلى الصحراء السورية، وقد رافقت عمليات التهجير وقوع مذابح للأرمن وخاصة للرجال منهم، كما شهدت تلك العمليات وفاة عدد كبير منهم نتيجة الجوع، والمرض. فبعد المعارك الأولى، جاءت مبادرة مهمة من وزارة الحرب؛ فقد كتب ضابط الأركان (عصمت) برقية سرية للغاية إلى (طلعت باشا) يوضح فيها مخاوف الجيش من إستفحال انتفاضة الأرمن في وان جاء فيها: " كما نعلم فإن هناك على مشارف وان وفي مدينة وان نفسها مركزاً لعمليات التمرد الأرمنية المستمر، أعتقد أنه يتوجب علينا إزاحتهم من وكر التمرد وتشيتيتهم، أبلغنا الجيش الثالث أن الروس قاموا في ٧ نيسان [١٩١٥] بإجبار القرويين المسلمين على عبور حدودنا وهم عراة. من أجل وقف هذا الأمر والأمر الذي ذكرته للتو، أود أن أقول ما يلي: فإما أن نقوم بترحيل الأرمن المذكورين مع عوائلهم بالقوة إلى روسيا، أو يتوجب علينا إجبارهم على الرحيل إلى الأجزاء الموعلة من الأناضول، اطلب منك اختيار أحد الخيارين، إن لم تكن هناك أي خطورة أمنية، فإنني أرغب بإرسال قُطاع الطرق مع عوائلهم خارج منطقة

التمرد، وأرحب بفكرة استبدالهم بسكان مسلمين"^١.
بادرت الحكومة العثمانية في يوم ٢٤ نيسان ١٩١٥، بإرسال قطعات الجيش إلى معظم المناطق التي شهدت انتفاضات أرمنية في اغلب مدن الأناضول، وقامت بإيقاف عمل اللجان الأرمنية، التي كانت تعمل بحرية لحد يوم ٢٤ نيسان، وإقفال مراكزها، وكذلك قامت باعتقال قادة اللجان، والمليشيات، والمنظمات الأرمنية العسكرية، وجميع المحرضين على حركات التمرد؛ ثم قامت بإعدام هؤلاء القادة الأرمن، ولهذا ما زال الأرمن يستذكرون يوم ٢٤ نيسان من كل سنة باعتباره وكما يسمونه هم ذكرى يوم (المجزرة الأرمنية)^٢.

يبين مولانا زاده رفعت^٣ في كتابه (تركية انقلابك ايچ يوزي-الوجه الخفي للانقلاب التركي) طريقة تشكيل (الوحدات الخاصة) أي: أدوات فرق الإبادة العسكرية بين عامي ١٩١٤-١٩١٨، فيذكر: "طالما بدأ الروس الهجوم بعد نكبة ساريقاميش يتقدمهم فدائيوا الأرمن الخارجون على القانون وقد تسببوا في إثارة الفتن هنا وهناك، وانتهى بهم الأمر إلى الاستيلاء على وان وإجبار واليها جودت بك على الهرب، فقد قرر حزب الاتحاد والترقي في جلسته السرية الطارئة إبادة الأرمن، وعدم ترك أرمني واحد على قيد الحياة، فور صدور هذا القرار دارت مباحثات بين القادة الترك حول طريقة تنفيذه، وأحيل الأمر إلى لجنة تنفيذية، كان من بين أعضائها الثلاثة الدكتور بهاء الدين شاكر، والدكتور ناظم، ووزير التربية شكري، سميت لجنة التنفيذ الثلاثية"^٤.

هددت دول الحلفاء في تصريح يعود تاريخه إلى ٢٤ أيار ١٩١٥، الحكومة العثمانية

1. DAVID GAUNT, Op.Cit., P.67.

2.Halil Metin, A.G.E., S.147; M.Kalman, Bati-Ermenistan..., S.99.

٣. مولانا زادة رفعت: من أبرز الأعضاء الكرد في جمعية الاتحاد والترقي، انشق عنهم في عام ١٩٠٩، انتمى إلى جمعية الحرية والائتلاف عام ١٩١١، وكاد يشارك مع الجنرال شريف باشا كمنسوب عن الكرد في مؤتمر السلام ١٩١٩، هرب من تركيا بعد سيطرة الكمالين على الحكم فيها واستقر في مدينة حلب، ومن هناك هاجم النظام الكمالي بمقالاته ومؤلفاته. ينظر: مالميسانز، القومية الكوردية ود.عبد الله جودت...، ص ٥٠-٥١ .

٤. نقلاً عن: هايكازن غازاريان، المصدر السابق، ص ٣٧ . للتفاصيل عن دور هؤلاء الأطباء الأتراك في المذابح الأرمنية، ينظر: وهاكن ن. دادريان، دور الأطباء الأتراك في المذابح الأرمنية أثناء الحرب العالمية الأولى، ترجمة: الكسندر كشيبيان، اللاذقية، ١٩٩٥ .

من القيام بأي عمل من شأنه أن يؤدي إلى حدوث المذابح للأرمن، وجاء في نص التصريح: "منذ شهر قام السكان الأتراك والكرد بالاتفاق مع عملاء الحكومة التركية، وفي الغالب بمساعدتهم بارتكاب مجازر ضد الأرمن، وبصورة خاصة المجازر التي أرتكبت في أواسط شهر نيسان في: أرضروم، وترجان، وبتليس، وموش، وساسون، وزيتون، وفي كل كليكيا، وفي ضواحي وان تمت إبادة سكان أكثر من (١٠٠) قرية وبصورة جماعية، كما أن الحكومة التركية في صدد اضطهاد السكان الأرمن العزل في العاصمة، وأمام هذه الجرائم الجديدة ضد الإنسانية التي يرتكبها الأتراك. تعلن دول الحلفاء بصورة علنية للباب العالي أنها تتحمل شخصياً مسؤولية أعضاء الحكومة، وكذلك جميع أولئك الذين شاركوا في هذه المجازر"، إلا أن حكومة الاتحاديين نفت من جانبها قيامها بأي عمل يصب في هذا المجال^١.

أصدرت الحكومة العثمانية بعد ثلاثة أيام، أي: في ٢٧ أيار ١٩١٥ (قانون توطين الأرمن)، والذي دعا إلى ترحيل المدنيين الأرمن لحين انتهاء الحرب، إلى السهل السوري ذي الوحدات السكنية المتباعدة عن بعضها وإلى المنطقة الصحراوية. على أن لا تتجاوز نسبتهم في المناطق المرحلة إليها ما بين (٥-١٠٪)، كما جاء في القانون أيضاً أن عملية الترحيل تقع على عاتق السلطات المدنية. وقد أبقى الاتحاديون فقط الحرفيين والمهنيين الأرمن في مناطقهم؛ لحاجة الجيش العثماني إليهم^٢.

ذكر طلعت باشا للسفير الأمريكي (هنري مورغنتاو-Henry Morgenthau) (١٩١٣-١٩١٦)، عن سبب اتخاذ الحكومة التركية قرار تهجير الأرمن بالقول: "...إن المسائل التي نتضاد بها مع الأرمن هي ثلاث نقاط: الأولى جعلوا من أنفسهم أغنياء على حساب ضرر الكرد، الثانية: أرادوا أن يحكمونا وقاموا بإنشاء دولة، ثالثاً: قاموا بمساعدة أعدائنا؛ فقد ساعدوا الروس في قوقازيا، ونستطيع أن نقول: إن خسارتنا في ساريقاميش تعود بقدر كبير للأعمال التي قام بها الأرمن، ولهذا قررنا أن نبقيهم بدون قوة حتى تنتهي الحرب"^٣.

إن عمليات الترحيل والمذابح بحق الأرمن وقعت في المدة المحصورة بين شهري

1. RÉPONSE AU MÉMOIRE DE LA SUBLIME-PORTE EN DATE DU 12 FÉVRIER 1919, CONSTANTINOPLE, 1919, P.4-5.

2. DAVID GAUNT, Op.Cit., P.68; V.Yeghiayan ve L. Fermanian, A.G.E., S.33-34.

3. Recep Marasli, A.G.E., S. 214.

أيار وأيلول من عام ١٩١٥^١، وهناك اختلاف واضح وكبير بين المصادر التاريخية والمؤرخين المختصين بالمذابح الأرمنية، حول عدد الضحايا الأرمن في تلك المحنة، فالأرمن يقولون أن حوالي المليون ونصف المليون أرمني قتلوا في تلك المذابح^٢، ولكن هذا الرقم يكاد يرفضه اغلب الباحثين والمؤرخين، وهناك من يقتنع بالرقم (٨٠٠٠٠٠)^٣، ولكن الرقم المقبول بين مجموعة اكبر من الباحثين والمؤرخين هو الرقم (٦٠٠٠٠٠)^٤، وأما الأتراك فلا يقبلون حتى بهذا الرقم أيضاً، أمثال المؤرخ التركي (صلاحي سونيل) ويقولون: إن العدد الإجمالي للقتلى الأرمن في الحرب العالمية الأولى كان بين (٣٠٠٠٠٠-٤٠٠٠٠٠)^٥، وحسب المؤرخ التركي (يوسف حلاج أوغلو) إن عدد قتلى الأرمن بلغ (١٨٠٠٠) أرمني خلال عمليات هجوم العصابات عليها، حسب ما دونته الوثائق العثمانية^٦.

1. DAVID GAUNT, Op.Cit., P.305.

٢. يقول المؤرخ الأرمني دادريان إن ما بين (١٢٠٠٠٠٠-١٥٠٠٠٠٠) أرمني مات، أما المؤرخ والقانوني كازاريان فيقتنع بالرقم (١٥٠٠٠٠٠) أرمني، في حين أن هناك من المؤرخين الأرمن من تطرف أكثر في ذلك، وذكر أن (٢٠٧٠٠٣٧) أرمني مات في عمليات التهجير في عامي ١٩١٥-١٩١٦، للمزيد ينظر:

-GUENTER LEWY, Op.Cit., P.240.

3. MAJ. GEN. JAMES G. HARBORD, CONDITIONS IN THE NEAR EAST: REPORT OF THE AMERICAN MILITARY MISSION TO ARMENIA, WASHINGTON, 1920, P.7.

٤. مثل توينبي، وجستن مكارثي، ودونالد كواترت، وكيفوركيان، وكورباجي، وفاركوس، تبنى بعض المؤرخين الأرمن كذلك هذا الرقم بعد قيامهم بدراسات وأبحاث بهذا الخصوص ينظر:

-GUENTER LEWY, Op.Cit., P.240;

- دونالد كواترت، الدولة العثمانية، تعريب: أيمن أرمنازي، الرياض-المملكة العربية السعودية، ص ٣٢٥ .

5. SALAHI SONYEL, THE GREAT WAR..., P.122.

6. Yusuf HALAÇOĞLU, Op.Cit., P.84.

- من المهم هنا الإشارة إلى أن الباحث التركي (كمال جيچك) يناقش في كتابه (التهجير الإجباري الأرمني ١٩١٥-١٩١٧) أغلب الروايات المشهورة، التي نشرها القناصل الأجانب والمبشرون وكذلك الأرمن، عن أحوال المهجرين الأرمن، وعدد القتلى، ويقارن بين تلك الروايات، ويبتعد بعضاً منها، ليبنى بعد ذلك نظريته وهي: انه شابت تلك الروايات مبالغة واضحة، من حيث ظروف المهجرين، وعدد القتلى من الأرمن. ينظر:

-KEMAL ÇIÇEK, ERMENILERIN ZORUNLU GÖÇÜ 1915-1917, ANKARA, 2005, S.88-247.

١. من المهم القول هنا إن ارنولد توينبي كان قد صدر له كتاب بخصوص المذابح الأرمنية قبل ذلك في

إن من أبرز الوثائق والمدونات التي استند إليها الحلفاء بعد ذلك، لاثهام الأتراك بعمليات إبادة جماعية للأرمن في عام ١٩١٥، هو كتاب (المعاملة الأرمنية في الدولة العثمانية – The Treatment of Armenians in the Ottoman Empire) للورد البريطاني جيمس برايس، والذي يسمى أيضاً بـ(الكتاب الأزرق)، ولكن الحقيقة إن الذي جمع معلومات هذا الكتاب ووثقها، حقيقةً هو الباحث والسياسي البريطاني (ارنولد توينبي–Arnold J. Toynbee)^١، وقد اعتمد على حوالي (١٥٠) شهادة أشخاص أرمنيين كان أغلبهم ينتمون إلى حزب الطاشناق كما قال بنفسه^٢. أما الكتاب الثاني الذي وثق هذه المذابح فهو كتاب (هنري باربي–Henry Barby) المراسل الفرنسي في الجيش الروسي، الذي يحمل عنوان (في بلاد الرعب: أرمنيا الشهيدة– Au Pays de l'Épouvante: L'Arménie Martyre)، فضلاً عن مؤلفات الدكتور الألماني لوبوسيس ولاستر (Laster)، وكذلك مذكرات السفير الأمريكي هنري مورغنتاو، التي تحمل عنوان (قتل أمة–The Murder of a Nation)^٣. ومن المفيد هنا القول إن أغلب المعلومات التي أوردها هنري مورغنتاو في كتابه هذا، كان قد استقاها من تقارير القنصل الأمريكي في خربوط (ليسلي دافيس–Leslie A. Davis) ومن تقارير بعض رجال الدين الأرمن^٤.

بعيداً عن تفاصيل تلك الهجرة الأرمنية وما رافقتها من مذابح، والتي لم تبخل

عام ١٩١٥، ويعتمد في توثيقه على شهادات الأرمن، العنوان الكامل للكتاب هو:

- ARNOLD J. TOYNBEE, ARMENIAN ATROCITIES: THE MURDER OF A NATION, with a speech delivered by: LORD BRYCE, London-New York, 1915.

2. TAHA NIYAZI KARACA, A.G.E., S.197; SERHAT KUNAR, POUR LA SECURITE - LE CALME - LA PA_X DE L'HUMANITE"LES REALITES HISTORIQUES ET LE PROBLEME ARMEN_EN"LES TURCS,KURDES ET CAUCASIENS MUSULMANS MASSACRESPAR LES ARMENIENS, Via at: (www.imprescriptible.fr/proces/proces-du-genocide/.../Ermeni-Sorunu.pdf).

3. RÉPONSE AU MÉMOIRE DE LA SUBLIME-PORTE EN DATE DU 12 FÉVRIER 1919, Op.Cit., P.5-8.

٤. للتفاصيل عن تقارير القنصل الأمريكي في خربوط ليسلي، ينظر:

- Ara Sarafian, UNITED STATES OFFICIAL RECORDS ON THE ARMENIAN GENOCIDE 1915-1917, U.S.A, 2004.

المصادر التاريخية في بحثها، بل يمكن عدّها أحد أكثر المواضيع التاريخية المبحوث عنها، فقد قام الأرمن منذ عام ١٩١٥ وعلى حدّ قول المؤرخ التركي (أورخان محمد علي) بوضع (٢٦٠٠٠) كتاب وبمختلف اللغات العالمية حول التطهير العرقي الذي تعرضوا له أيام الحرب العالمية الأولى في عام ١٩١٥، ولذلك لا يستطيع الباحث في الوقت الحاضر إضافة شيء جديد فيما يخص هذا الموضوع، ولكن السؤال هنا هو: ما الدور الحقيقي للكرد في تلك المذابح؟

١- دور الكرد في المذابح الأرمنية عام ١٩١٥ :

يحمل هذا العنوان معنيين مختلفين، الأول: هو الدور الكردي في قتل الأرمن، والثاني: الدور الكردي في إنقاذ الأرمن، لأن عند النظر إلى المصادر الأرمنية والأجنبية التي تدور في فلكها، والمعتمدة أصلاً على شهود عيان من الأرمن أنفسهم، وغالباً كانوا ينتمون إلى اللجان الأرمنية وتقارير رجال دينهم، سيُغلب المعنى الأول وهو الدور الكردي في قتل الأرمن، أما إذا نُظِرَ إلى واقع الحرب العالمية الأولى في شمال كردستان، بشقيها الشرقي، التي وقعت فيها المذابح الكردية في بداية الحرب على يد الفرق الأرمنية، والغربي التي أفتت فيها الحكومة العثمانية بإقامة المجازر للأرمن، وترحيلهم من مناطقهم لحل المسألة الأرمنية من أساسها، والنظر كذلك إلى التقارير الكردية القليلة التي تركوها في هذا المجال آنذاك، فسيُغلب هنا المعنى الثاني، وهو: الدور الكردي في إنقاذ الأرمن من مذابح عام ١٩١٥ وليس العكس، وتُبدد هذه النظرة الشاملة لشمال كردستان الدور الكردي السلبي، كما صوّرتها الدعاية الأرمنية المؤثرة بشكل كبير على الرأي العام الأوروبي والأمريكي آنذاك، بل وربما يتقدم الدور الكردي الايجابي بمراحل طويلة على دورهم السلبي، إذا كان لهم دور سلبي.

قلما تجد كتاباً يبحث في هذه المذابح إلا ويقوم باتهام الكرد، وإنهم كانوا مشاركين في تلك المذابح، سواءً أكانوا من المؤرخين الأجانب أم من المؤرخين الكرد أنفسهم، بل حتى أن البرلمان الكردي نفسه الذي أسسه حزب العمال الكردستاني (P.K.K) في بروكسل في المنفى في تسعينات القرن العشرين، أعترف في عام ١٩٩٧ بدوره

١. ينظر بحثه: القضية الأرمنية، مجلة الإيمان (مجلة العلم والإيمان)، العدد (٤١)، هولير، مايس-حزيران-تموز ٢٠١٠، ص ٨٣.

بمشاركة الكُرد بتلك المذابح^١، ويبدو أن هذا الاتهام للكُرد كان مبنياً فقط على ما ورد في المصادر الأرمنية والمتأثرة بها، مثل المصادر التي مرّت الإشارة إليها سابقاً، والتي يرد فيها اسم الكُرد كثيراً، مثل قول أحدهم: "الكُرد المعمدين من قبل [السلطان] عبد الحميد"^٢، ويقول آخر واصفاً الكُرد بأبشع الصفات: "أن الكُرد يصرخون من أجل الدم"^٣، وهلمّ جراً.

في تلك المذابح أيضاً مثل الأحداث التي وقعت في تسعينات القرن التاسع عشر، استخدم اسم الكُرد بشكل مبهم وبعبارات عامة، مثل مقولة: العصابة الكُردية هاجمت تلك القافلة الأرمنية، وقامت بسلبهم أولاً؛ ثم قتلتهم جميعاً، وبعد ذلك بقرت بطونهم؛ ثم أحرقوهم وأخيراً فتشوا في رماد جثثهم عن القطع النقدية، التي ربما كان الأرمني قد ابتلعها سابقاً، هنا يتم الحديث بشكل عام ويستخدم مصطلح (العصابات الكُردية)^٤.

يدخل في صميم الإجابة عن هذا السؤال، وكذلك في ترجيح الدور الإيجابي للكُرد آنذاك تقسيم الكُرد في تلك المذابح قبل كل شيء، وحسب القرييين منها إلى قسمين، الأول: هي العشائر الكُردية التي كانت تعيش بأعداد كبيرة في شمال كُردستان، والثاني: هم الكُرد العاملون في أجهزة الدولة العثمانية مثل: جهازي الشرطة، والجيش، وذلك لمعرفة هوية هؤلاء الكُرد الذين يرد اسمهم في الوثائق وشهادات الأرمن آنذاك.

بخصوص العشائر الكُردية يكاد يجمع المشاركون في تلك الأحداث، مثل كارو ساسوني، وعبد الرزاق بدرخان، وكامل بدرخان، وشاخوفسكي، وضباط روس آخرين، على أن ما كان يميز دور العشائر الكُردية في مذابح عام ١٩١٥ هو عدم مشاركتها في تلك الأحداث، بل والأكثر من ذلك أن معظم الأرمن الذين أنقذوا من المذابح، كانت على

1. Recognition of Armenian Genocide by Kurds, Via at: (http://www.armeniapedia.org/index.php?title=Recognitionof_Armenian_Genocide_by_Kurds).

2. DANS LHORREUR DES MASSACRES DARMENIE, Revue LECTURES POUR TOUS, 1 SEPTEMBRE 1916, P.1743.

3. Jacques de Morgan, The HISTORY OF THE ARMENIAN PEOPLE From the Remotest Times to the Present Day, Translated by: ERNEST F. BARRY, n.p, 1918, P.311.

4. J. NAAYEM, LES ASSYRO-CHALDÉENS ET LES ARMENIENS: massacres par les Turcs, PARIS, 1920, P.97-99; DANS LHORREUR DES MASSACRES DARMENIE, Op.Cit., P.1744-1747; Une "première" en 1915 Le génocide arménien, Revue HISTORIA, No. 405, 1980, P.94-98.

أيدي تلك العشائر الكردية، فمثلاً يقول كارو ساسوني: "وأنا شخصياً وفيما يتعلق بهذا الموضوع [أي: المذابح] تعرفت وثبتت هذه الحقيقة، فإن كثيراً من رؤساء العشائر الكردية وفي الأعوام ١٩١٥-١٩١٧، وضعوا الأرمن تحت حمايتهم، وألبسوهم ملابس كردية، وأخفوهم، وبسبب ذلك، تعرض هؤلاء الرؤساء الكرد فيما بعد إلى عقوبات الحكومة العثمانية"^١.

حتى أن كور حسين باشا والذي أطلق عليه الأرمن والبريطانيون في بداية تسعينات القرن التاسع عشر لقب (الوحش)- كما مرّ- ألفت الحكومة العثمانية القبض عليه في منتصف عام ١٩١٥، وذلك لعلاقاته بالأرمن وقيامه بإنقاذهم من بطش الأتراك^٢.

إن الاسم الوحيد من الإقطاعيين الكرد الذي ارتبط بالمذابح الأرمنية في عام ١٩١٥، هو (موسى بك) فالمؤرخ الضليع في تاريخ الكرد أثناء الحرب العالمية الأولى (لازاريف)، لم يورد إلا اسم موسى بك، فقد ذكر: "السلح الرئيسي لإبادة الأرمن-في عام ١٩١٥- هو قطعات القوات التركية النظامية، وأجهزة الشرطة المحلية الإدارية، غير أنه إلى جانب مطاردة الأرمن المهجرين عبر المناطق الكردية، فإن السلطات هنا وهناك نجحت في تحريض الإقطاعيين الكرد ضد الأرمن، ففي وادي موش مثلاً هلك أرمن كثيرون على يد موسى بك"^٣، وقد ثبت أن موسى بك كان يحارب الفرق الأرمنية المصاحبة للجيش الروسي، وكان يساعد الجيش العثماني في عمليات ترحيل الأرمن، ولكن السبب في ذلك هو عمليات الإبادة الأرمنية للكرد في بداية الحرب، وعلى حد قول شاخوفسكي فإن: "موسى بك من أبرز القادة الكرد المشهورين في منطقة موش، وقاتل بشراسة ضد قطعاتنا في بتليس، ولهذا طلب أمر قطعاتنا منه أن يتعاون معنا، ولكنه ردّ عليه بأنهم يحترمون الروس، ولكن كيف يسلمون أنفسهم إليهم، وهم لا يأتونون على حياتهم عندهم، كنا نتصور [يقول: موسى بك] أن روسيا هي دولة كبيرة لها دستورها وقوانينها التي تأخذ الجميع في ظلها، ولكن الآن نرى أن الأرمن هم من يعطون الدستور

1. Garo Sasuni, A.G.E., S.153.

2. Ugur Ü. Üngör, Op.Cit., P.84; G. Sbordone, Document italien, Les événements qui précéderent le décret du 20 Mai (2 Juin) 1915, Notes communiquées à Henry BARBY: par M. Sbordone, agent consulaire d'Italie, à Van, L'INCIDENT D'ETÉLEN, Via at :<http://www.imprescriptible.fr/>.

٣. ينظر مؤلفه: المصدر السابق، ص ٤٤٠ .

للروس^١. وسيأتي الحديث لاحقاً عن بعض الإقطاعيين والأغوات الكرّد، الذين قاموا بعمليات إنقاذ كبيرة للأرمن أيام المذابح الأرمنية في عام ١٩١٥. كل هذا لا ينفي أن بعض القبائل الكرّدية قد هاجمت عدة قوافل من الأرمن أيضاً، وذلك انتقاماً منهم لذويهم الذين قتلهم الأرمن في: وان، والاشكيرد، وبايزيد، وديادين في بداية الحرب؛ وعلى حد قول ستانفورد شو ففي كل الأحداث التي كانت تقع بين الكرّد والأرمن، كان الأرمن على الأرجح هم المعتدون أولاً^٢، وقد تسوّغ تقرير للكونكرس الأمريكي يعود لعام ١٩٩٦، هجوم بعض القبائل الكرّدية على الأرمن في أثناء عمليات الترحيل عندما قال: "...ويجب أن نتذكر أن هذه القبائل عانت كثيراً من الأرمن والروس..."^٣.

هذا فيما يخص دور العشائر الكرّدية في المذابح الأرمنية، أما الموظفون الكرّد في سلك الشرطة والجيش العثماني، فيبدو أنهم هم المقصودون بـ(العصابات الكرّدية) وليست العشائر، فيذكر كارو ساسوني أن هؤلاء الكرّد قد أدوا دوراً سيئاً في فاجعة نيسان ١٩١٥^٤، ولكن عند النظر بدقة إلى المصادر التي تناولت هذه المذابح وهؤلاء الكرّد يتبين أن الكرّد الذين شاركوا في تلك المذابح بصفة موظفي شرطة وعسكريين عثمانيين، كانوا من السجناء والمجرمين الذين أخلى الأتراك سبيلهم من سجون بتليس وموش ومناطق أخرى بعد الخسارة في ساريقاميش والانتفاضة الأرمنية في وان، وليس كلهم من الكرّد، وحسب بعض المصادر كان عددهم لا يتجاوز (١٢٠٠٠) شخصاً، هم من شاركوا في تلك المذابح بعد أن أخلت الحكومة العثمانية سبيلهم، وقامت بتدريبهم ضمن فرق خاصة، إلى جانب الفرق الشركسية واللأزية التي تقع على عاتقها المسؤولية الكبرى في تنفيذ هذه الجرائم، وقد ذكر الباحث (ديفيد كانط- David Gaunt) جانب من ذلك بقوله: "كان اللأزيون والشركس الخلفية العرقية

١. ئەفراسياو هه ورامى، سه رجاوهى پيشوو، ل ٨٦ .

2. STANFORD J. SHAW, Op.Cit., VOL: II, P.906.

3. THE HISTORY OF THE ARMENIAN GENOCIDE: HEARING BEFORE THE COMMITTEE ON INTERNATIONAL RELATIONS HOUSE OF REPRESENTATIVES ONE HUNDRED FOURTH CONGRESS SECOND SESSION, U.S. GOVERNMENT PRINTING OFFICE, WASHINGTON, 1996, P.20.

4. Garo Sasuni, A.G.E., S.154.

٥. محمد خليل أمير، المصدر السابق، ص١٩٦؛ حول هذه الفرق ينظر كذلك: وهاكن ن. دادريان، المصدر السابق، ص١٨-١٩ .

المفضلة، من أجل استخدامهم كسفاحين، والذين قاموا بأعمال تخريبية وارتكبوا مذابح في عمليات الترحيل"^١، ويضيف المؤرخ دونالد كواترت، بأنه كان للاجئين المسلمين الذين أخرجوا من ديارهم في المناطق الأوربية، خلال الحروب البلقانية دوراً في المذابح الأرمنية^٢.

قال مولانا زادة رفعت بهذا الخصوص: "أما المنفذون-أي منفذو الجرائم ضد الأرمن- فهم مجرمون متعطشون للدماء، أُخلي سبيلهم من السجون، وأُطلق عليهم اسم الوحدات الخاصة، إضافة إلى عدد من الخارجين على القانون، لقد فعل هؤلاء كل ما يمكنهم من المساوئ والجرائم، التي تبقي وصمة عار في جبين تركيا، زد عليها بحر الدم الذي اغرقوا الأرمن فيه مما لا يمحي مدى التاريخ، لقد حملت مسؤولية كل هذه الجرائم التي ارتكبتها الوحدات الخاصة على كاهل الشعب التركي، هذه الصفحات السوداء كتبها قادة الاتحاد (الدكتور بهاء الدين شاکر، والدكتور ناظم، ووزير التربية شكري بك)، الذين يعتبر تبرير موقفهم مخالفاً للضمير والحق"^٣. وقد وجد كاموران كوران وثائق تعدد إدانات بحق (١٣٩٧) شخصاً لجرائم ضد الأرمن جُلبهم من المسؤولين الكبار في الحكومة العثمانية آنذاك، وتذكر الطبيبة الأمريكية (تاسي دلبيو اتكنسون-Tacy W. Atkinson) أنها كانت شاهدة على عملية هجوم الكرد على أحد القوافل الأرمنية في خربوط، وقيامهم بقتل الرجال، وخطف النساء وقالت: "يأنهم على الأرجح الكرد الذين أُطلق سراحهم من السجن..."^٤، ويضيف ارنولد توينبي بهذا الخصوص أن قوافل الأرمن المهجرة وعند

1. DAVID GAUNT, Op.Cit., P.58

٢. ينظر، مؤلفه: المصدر السابق، ص ٣٢٥ .

٣. نقلاً عن: هايكارن غازاريان، المصدر السابق، ص ٣٧-٣٨ . بخصوص مخططات قادة الاتحاد في تهجير الأرمن، وإقامة المذابح لهم ينظر كذلك:

-Vahakn N. Dadrian, The Naim-Andonian Documents on the World War I Destruction of Ottoman Armenians: The Anatomy of a Genocide, International Journal of Middle East Studies, Vol. 18.No. 3.Aug., 1986, P.311-360.

٤. جستن مكارثي، المصدر السابق، ص ٢١٢ .

5. Tacy Atkinson, The German-The Turk and the Devil Made a Triple Alliance: Harpoot Diaries 1908-1917, Foreword by: J. Michael Hagopian, Princeton-New Jersey, 2000, P. 83; James L. Barton, TURKISH ATROCITIES: Statements of American Missionaries on the Destruction of Christian Communities in Ottoman Turkey 1915-1917, Michigan, 1998, P. 41-42.

وصولها إلى الجبال كانت يقطع طريقها قطعاً الطرق الذين أطلقت الحكومة سراحهم من السجون، لاعتبارات خاصة يفهمها الطرفان^١.

كما يظن المرء عند النظر إلى بشاعة هذه الجرائم أن من غير الممكن أن يقوم شخص عادي بمثل هذه الجرائم، إلا إذا كان هذا الشخص فعلاً مُدرباً على تلك الأعمال وله سوابق في ذلك، ولا يتمتع بأي حس إنساني، وقد أيقن زعماء الاتحاديين في اجتماعاتهم السرية بهذا بخصوص هذا الأمر، وخلصوا إلى نتيجة مفادها: انه فقط إن هؤلاء السجناء والمجرمون الذين كانوا يقبعون في السجون لمدة طويلة، ولديهم خبرة في ذلك، هم وحدهم يستطيعون القيام بمثل تلك الأعمال، لذلك فقد أخذت الحكومة العثمانية سبيلهم، وجندتهم في الفرق الخاصة، التي كانت لها اليد العليا في تنفيذ المذابح ضد الأرمن، وكانت تضم هذه الفرق أغلب القوميات المسلمة التي كانت تعيش في الأناضول^٢.

٢- عمليات الإنقاذ الكردية للأرمن في مذابح عام ١٩١٥ :

لقد جرت في أثناء ترحيل الأرمن والمذابح التي تعرضوا لها عمليات إنقاذ كبيرة على يد الكرد لهم، وليس من الكرد القاطنين في درسيم فقط، بل من جميع الطوائف والقبائل الكردية الأخرى، وإذا جاز القول فإن الكرد كانوا الطرف الأبرز في نقل أخبار المأساة الأرمنية إلى العالم اجمع، وذلك بإنقاذهم لهؤلاء الأرمن الذين تحدثوا للساسنة والإعلاميين عما حل بهم، وفي كل عملية شارك فيها الكرد بقتل الأرمن-حسب المبشرين المسيحيين والقناصل الأجانب- نجد منقداً كردياً، فأغلب الروايات الأرمنية التي ملئت صفحات كتب مثل (معاملة الأرمن في الدولة العثمانية)، والكتب الأخرى تظهر أن الراوي الأرمني نفسه، وبعد ما يقوم بالهجوم على الكرد في مرات عديدة، يذكر هو نفسه أن إنقاذه كان على يد عائلة كردية أو شيخ دين كردي، أو أغا كردي وهلم جرا^٣. يقول حسن هشييار الذي عاصر أحداث تلك المرحلة التاريخية بهذا الصدد: " إن الذين يدعون بأن الكرد قد قاموا

١ . ينظر مؤلفه: المصدر السابق، ص ٦٠ .

٢ . للتفاصيل عن مناقشات زعماء الاتحاديين بشأن من يجب تجنيدهم لتلك العمليات ينظر: هايكازن غازاريان، المصدر السابق، ص ٤١-٥١ .

٣ . ينظر مثلاً:

-KRIKOR CAYJIKAN, Martyred Armenia and the Story of my life, U. S. A., 1920, P. 151.

- سيأتي الحديث عن بعضهم الآخر لاحقاً ضمن محاور هذا البحث.

بقتل الأرمن، لماذا لا يقولون كيف نجوا هم من المجازر، وينكرون الجميل! علماً أن أغلب علماء الدين من الكرد قد حرموا قتلهم، وخاصة الشيخ سعيد بيران الذي أفتى بتحريم قتلهم، وقال: إن من يقتل أرمنياً كمن قتل مسلماً، وزاد على ذلك القيام بالتستر عليهم وإيوائهم من شر الترك، وحرّم كل عمل يسيء إليهم^١.
فقد كان الكرد يقومون بإنقاذ الأرمن على الرغم من عمليات الملاحقة التركية، والأحكام التي كانت تصدر بحقهم، والتي وصلت في بعض الأحيان إلى الحكم بالموت، فأفاد القس الأرمني تيرافيستيان إلى الكاردينال غيفورك الخامس: "إذا دافع أي واحد من الأكراد عن جاره الأرمني فإن الحكومة كانت ترسل رجال الجندرمة؛ ليقتلوه بأيديهم"^٢.

بل حتى أن الطالب الأرمني (سوغومون تهليريان) الذي قام باغتيال طلعت باشا في برلين عام ١٩٢١، أنقذته أسرة كردية أثناء عمليات التهجير والمذابح في عام ١٩١٥، وكان قد بقي عندهم أكثر من (٢٠) يوماً بعد أن نجا من إحدى المذابح بأعجوبة، وقامت تلك الأسرة الكردية بالاعتناء به؛ ثم ألبسته الملابس الكردية، لكي لا يتعرف عليه أحد حتى وجد طريقه إلى القوقاز الروسية^٣.

ذكر كُرديفسكي أحد المعاصرين لتلك العمليات في شمال كردستان أنه رأى بعضاً منها، حيث قال: "كان للأرمن في كل مكان أصدقاء بين الأكراد، ينقذونهم عن الملمات من بين أيدي الترك، كان الأمر كذلك أثناء مذابح الأرمن في خواتيم القرن التاسع عشر، والآن-يقصد سنوات الحرب العالمية الأولى- فإن الأمر كذلك أيضاً، فكثيراً ما ارونني أكراداً أنقذوا أرامنة"^٤. كما يذكر هنري ريكس: "أن الكرد قد قاموا بدور حيوي في إنقاذ الأرمن، أكثر مما فعلته البعثات التبشيرية الأمريكية"^٥. ويقول المؤرخ

1. HESEN HIŞYAR, DITIN Û BIRHATINEN MIN 1907-1985, Beyrut, 2000, L.156-157.

- من المفيد هنا التنويه إلى أن (خليل كالمو) قام بترجمة أغلب صفحات مذكرات حسن هشيار إلى اللغة العربية تحت عنوان (من مذكرات مقاتل...مذكرات ومشاهدات للمناضل حسن هشيار)، ونشرها في الموقع الإلكتروني (كهemia كوردا):
(http://www.gemyakurda.net/modules.php?name=News&file=article&sid=26376).

٢. نقلاً عن: م.س. لازاريف، المصدر السابق، ص ٤٤٤ .

٣. ينظر:مسألة إبادة الأرمن أمام المحكمة، المصدر السابق، ص ٦١-٦٣ و ص ٩٩-١٠٠ .

٤. كمال مظهر احمد، المصدر السابق، ص ٢٩٥ .

5.Henry H. Riggs, Op.Cit., P. vii-viii.

والسياسي الكردي مصطفى باشا ياملكي: "إذا كان قد نجا في الأناضول...قليل من الأرمن فان هذا عائد إلى أن ثلاثة أرباعهم قد أنقذوا بفضل اختفائهم لدى الأكراد..."^١.

وفي أثناء البحث والمتابعة عن هذا الموضوع، تظهر حقائق أخرى عديدة، وفيها يظهر مدى الغبن الذي لحق الكرد في تلك المرحلة التاريخية، فمثلاً يتهم الباحث (ديفيد كانط) بالاعتماد على تقارير بعض المبشرين المسيحيين، أبناء وأحفاد إبراهيم باشا الملي بأنهم بعد ما كانوا قد ساعدوا الأرمن في مذابح عام ١٨٩٤-١٨٩٦ وحموهم، إلا انه في العام ١٩١٥ رضخوا إلى الضغوط التركية وبعد شرائهم طابوراً من الأرمن قاموا بإيادة الرجال وأخذ النساء والأطفال^٢. إلا أن عبد الإله خليل إبراهيم باشا، وهو من أحفاد إبراهيم باشا الملي، قد أدلى بشهادته للباحثة الأرمنية السورية (نورا أريسيان)، في مدينة راس العين في كردستان سورية في عام ١٩٩٩، وقال عن هذه الواقعة: "هناك مثل كردي يقول عند المليّة: مرة مذبحه المسيحية ومرة مذبحه المليّة...ففي فرمان ١٩١٥ استطاعوا[أي: عائلة عبد الإله] إنقاذ قليل من الأرمن، واتوا بالأطفال وربوهم وحافظوا على دينهم ولم يتزوجوهم، أما أعمامي فساعدوا الأرمن وحموا الآلاف منهم، وكان أبناء العم[من عائلة باشا نفسه] يشترون قوافل الأرمن بالنقود ويطلقون سراحهم، وهذه العوائل موجودة تشهد على هذا، ففي المناطق التي كانت تحت سيطرتهم لم يحصل شيء ونتمنى أن يأخذ الأرمن حقهم"^٣.

هنا يجب أخذ الحيطة والحذر خاصة فيما يخص تقارير المبشرين ورجال الدين

١. كمال مظهر أحمد، المصدر السابق ص ٢٩٦ . من المهم الإشارة هنا إلى أن مصطفى باشا ياملكي، هو من كرد مدينة السليمانية التي تقع في كردستان العراق الحالية، وكان قد ترأس المحكمة العرفية الخاصة للتحقيق في المذابح الأرمنية في استانبول، بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى، ويذكر انه عندما كان رئيساً للمحكمة العليا أصدر الحكم بالإعدام غيابياً على مصطفى كمال باشا، وكان الأتراك يطلقون عليه (نمرود مصطفى). ينظر: المشانق العربية والمجازر الأرمنية من خلال جلسات محاكمات زعماء حزب الاتحاد والترقي أمام المحاكم العسكرية التركية الاستثنائية بين عامي ١٩١٩-١٩٢٠، ترجمة: الكسندر كشيديان، حلب، ١٩٩٢، ص ٢٩ وما بعدها؛ احمد عثمان أبوبكر، كردستان في عهد السلام (بعد الحرب العالمية الأولى)، أربيل، ٢٠٠٢، ص ٢٥٨ .

2. DAVID GAUNT, Op.Cit., P.306-307.

٣. ينظر مؤلفها: غوائل الأرمن في الفكر السوري: موقف المفكرين السوريين من الإبادة الأرمنية، قدم له: جورج جبور، دمشق، ٢٠٠٢، ص ١١٤-١١٥ .

الأرمن، لأن فيها مقداراً كبيراً من المبالغة، وأحياناً الكراهية والحقد وللاستدلال على ذلك فإن كتاب إيف ترنون المعنون (ماردين) والذي مرّت الإشارة إليه سابقاً، مليء بمثل تلك التقارير، ولكن على الرغم من ذلك كان من بين هؤلاء المبشرين المسيحيين من أنصف الكرّد في تقاريره ولكنهم قلة، وسيأتي الحديث عن بعضهم لاحقاً.

ولكون عمليات إنقاذ الكرّد للأرمن كانت كثيرة وأخذت صوراً وطرقاً شتى لا نستطيع أن نسردها هنا جميعاً؛ لطولها، ولكن سنقتصر على ذكر بعضها؛ لتوضيح الصورة، وتقريب ومعايشة واقع تلك المرحلة التاريخية، وبيان عقوبة من يحفظ أرمنياً ويحميه على يد حكومة الاتحاديين، وفيما يلي بعضاً من تلك المواقف:

في منطقة ساسون لقي ما يصل إلى نحو (١٢٠٠٠) أرمني ملاذاً لدى الكرّد، ونقل ألبيك الكردي حسن تحذيراً إلى الأرمن في ساسون عن نية الأتراك بتهجيرهم في مرحلة هجوم القوات الروسية على موش، مما ساعد بالنتيجة على أن تبدأ غالبية الأرمن المحليون بالتخفي في الجبال، وعندما سيطرت القوات الروسية على منطقة ناغوريا الأرمنية اكتشفت أن العوائل الأرمنية قد اختبأت في كثير من البلدات الكرديّة، وبحسب إفادات شهود عيان لم يحصل هنا أي تلميح للفوارق القومية أو الدينية، ففي رسالة من الفارين الأرمن من قرية خاتسو ذكروا بأن كرّد قبيلة محمد أغا اخفوا عندهم الأرمن لمدة طويلة، وقاوموا بالسلاح محاولات الجندرمة والجنود الأتراك لتهجيرهم، وأنهم برغم جوعهم تقاسموا مع الأرمن آخر قطعة من الخبز، وباعوا مقتنياتهم^١.

وبالحديث عن كرّد محمد أغا الذين كانوا يسكنون في جبال ساسون، والذي يعد أحسن الأمثلة حول عمليات الإنقاذ تلك، فقد قاموا بإحدى أكبر عمليات إنقاذ للأرمن أثناء المذابح، وهذا يظهر جلياً من نص الرسالة التي كتبها الأرمن-الذين أخذهم محمد أغا في حمايته- إلى الروس لكي ينقذوهم من الأتراك، ونشر (هنري باربي) نص تلك الرسالة في كتابه السابق الذكر، وتحمل تاريخ أب ١٩١٦، وعلى الرغم من تهكم الكاتب بالكرّد وقيامه بكتابة مقدمة هي أقرب إلى السخرية من بيان موقف الكرّد الإنساني، ولكن هذه الوثيقة هي خير دليل على ما قدمه الكرّد للأرمن في أثناء عمليات الترحيل والمذابح، وان هنري باربي نفسه لم يكن ليذكر عمق العلاقة بين الكرّد والأرمن، التي أفسدها الأتراك واللجان الأرمنية، بل حتى أن العنوان (دعوة مثيرة)

١. م.س. لازاريف، المصدر السابق، ص ٤٤٣-٤٤٤.

الذي وضعه باربي لتلك الرسالة ينم عن التهكم. وفحواها هي طلب مجموعة كبيرة من الأرمن، كان محمد أغا قد أخذهم في حمايته منذ بدء التهجير والمذابح الأرمنية في ساسون من الروس الإسراع في احتلال تلك المناطق، لأنه لم يبق لدى الكرد طعام يتقاسمونه مع الأرمن، فضلاً عن التهديدات المستمرة للجيش العثماني لهم، ولولا دفاع محمد أغا عنهم لهلكوا جميعاً. وهناك من يقول إن مجموع الأرمن الذين أنقذهم محمد أغا لوحده وصل إلى حوالي (١٠٠٠٠) أرمني، كما سهل لهم الطريق بعد ذلك؛ للوصول إلى بر الأمان خلف الحدود الروسية^١.

وهناك أمثلة أخرى عديدة أوردها الباحث الأرمني الضليع في المسألة الأرمنية (ريتشارد هوفنسيان)، عن عمليات إنقاذ الكرد والأتراك للأرمن في تلك المدة، ويورد العديد من الأمثلة حول إنقاذ الكرد لهؤلاء الأرمن، وفي بعض هذه الأمثلة دفع الأرمن بعض النقود للكرد لكي يأخذوهم إلى المناطق الآمنة، أما بعضها الآخر فكانت ذات دوافع إنسانية بحتة، ومن بين الأمثلة العديدة التي أوردها هوفنسيان نورد فقط مقتطفاً لأحدها: "...استمر هاروتيان في سرد قصته، فتحدث عن وجود عائلة كردية محترمة أوته، وعندما بدأت المذابح أخذته والدته إلى بيت في منطقة محلية للأغا [الكردية] وقد قامت بتقديم دعوى مع زوجته التي كان اسمها (قدرت خاتون)، لكي يسمح لهاروتيان أن يبقى هناك، وأن ينام في السرير وعلى كل حال فإن قدرت خاتون قالت إنها لا تحتاج إلى شيء [من أم هاروتيان الأرمنية]، وأن هذا النوع من النساء لا تأخذ شيئاً بالمقابل من الأرمن، فإن الأرمن الثلاثة هم من باغدسار وبنت صغيرة بقوا في بيتها، وعاملتهم قدرت خاتون معاملة جيدة جداً حتى إنني [يقول هاروتيان] لم اشعر بفراق والدتي، وقبل أن تغادر والدتي قالت لها قدرت خاتون: ابنك هو ابني، وإذا رجعت فإنه سوف يكون لك، وإذا لم ترجعوا فإنني سوف أعطني به...".

يقول هوفنسيان بعد كل تلك المواقف الإنسانية في نهاية بحثه بأنه يأمل بدراسات

1. HENRY BARBY, Au Pays de l'Épouvante: L'ARMÉNIE MARTYRE, PARIS, 1917, P.103-107.

- ينظر نص هذه الرسالة في الملحق رقم (٩).

2. Henry H. Riggs, Op.Cit., P.viii.

3. Richard G. Hovannisian, Intervention and Shades of Altruism During the Armenian Genocide, Via at: (www.teachgenocide.org).

إضافية توضح لنا الظروف التي سادت عام ١٩١٥، فهناك آلاف من الأتراك والكرد آخرين، كانوا يعارضون اضطهاد الأرمن، وان قسماً من هؤلاء حاول التدخل، كما أن شهادة الضحايا تؤكد على طيب هؤلاء الناس وسط القسوة والمعاناة، وهذا يعني أن الروح الإنسانية لا يمكن أن تنطفئ^١.

كما كان هناك عدد من الإداريين العثمانيين، الذين كانوا يرجعون في أصولهم إلى القومية الكردية لم يرتضِ عمليات ترحيل ومذابح الأرمن، ومن الأمثلة على هؤلاء: رشيد باشا، وسليمان نظيف، اللذين وقفا ضد تلك العمليات، فيورد لوبوسيس عن شاهد ألماني هذه الرواية عن والي ملاطية رشيد باشا، بعدما يعدد جرائم والي ملاطية السابق نابي بك: "...أما خلفه رشيد باشا الذي جاء من القسطنطينية نهاية حزيران فكان كردياً واعياً، ويمتاز بطيبة قلبه بصورة مدهشة حقاً، فقد حاول ومنذ أول يوم من وصوله وتحمله المسؤولية، القيام بكل ما يستطيع فعله؛ لمساعدة الأعداد الكبيرة من الأرمن المحتجزين...، فقد أجل رحيل الأرمن من ملاطية أسبوعاً بعد أسبوع، وذلك لأنه كان يأمل في أن يستطيع النجاح في الحصول على أمر مناقض، وقد عمل كثيراً بهذا الاتجاه وذلك من أجل تهيئة كل التحضيرات لتنفيذ أمر الإبعاد بطريقة إنسانية، إلا انه كان في النهاية مجبراً على أن يخضع لضغوطات الحكومة المركزية..."^٢. ولا تختلف قصة سليمان نظيف الذي عارض بدوره تلك العمليات عن قصة رشيد باشا^٣.

وأخيراً نكتفي بإيراد المثال التالي عن (ارام ديكران-Aram Dikran) الموسيقار الكردي الشهير من الأصل الأرمني، والذي يعطي الفكرة الآتية: وهي أنه من غير الممكن تصديق ما ورد في تلك المؤلفات التي اتهمت الكرد، بالاعتماد على هذه المشاعر الإنسانية التي أوردها أرام عندما تحدثت لمجلة (اوزكور-Özgür)، وفيما يأتي مقتطف من حديثه:

"...أنت بالأصل لست كردياً، ولكن المعروف هو أنك موسيقار كردي، والشعب يعرفك

1.Ibid.

2. JOHANNES LEPSIUS, RAPPORT SECRET DU Dr JOHANNES LEPSIUS SUR LES MASSACRES D'ARMÉNIE, Via at: (<http://www.imprescriptible.fr/documents/lepsius/p1c2sp4.htm>).

3. DAVID GAUNT, Op.Cit., P. 306.

على هذا الوجه، لماذا تغني باللغة الكردية؟ هل تستطيع أن تشرح هذا؟
- كان أبي دائماً يقول لنا (كان أبي من منطقة ساسون، وكانت والدتي سليفانلية، وقد هربت أفراد عائلتي من تركيا في عام ١٩٢٣ وذهبوا إلى سوريا وفي عام ١٩٦٦ عدنا إلى أرمستان) كان أبي يقول: (لا تحسبوا أنفسكم مختلفين عن الكرد أبداً، ولا تتبعدوا عنهم، فإنهم ساعدونا كثيراً، وكنا جيران منذ أمد بعيد، ولا يوجد بيننا أي عداوة، حيث لم نر منهم سوى الخير)، وبسبب الأعمال الجيدة والخيرة للكرد كان أبي دائماً يكتب أشعاراً باللغة الكردية، حيث كان يريد دائماً أن يقدم لهم خدمة، وكما ذكرت فيما مرّ فإن أيامنا الطوة والمرة قد قضيناها سوية مع الكرد، وقد تشاركنا معاً مصائبنا، ولهذا اختلطت حياتنا مع بعض، وعلى هذا الأساس يعرف عني بأنني فنان كردي، وقد وصلت إلى مرحلة ليست باستطاعتي السيطرة عليها، فإن لساني وأوتار عودي والحاني، هي التي تبحث عن اللغة الكردية، بعد ذلك تجدها وتقوم بغنائها^١.

كما يجب أن لا يغرب عن البال بأنه كان للكرد في درسيم النصيب الأكبر في إنقاذ الأرمن في تلك المحنة، وهناك من يقول: إن درسيم وحدها أنقذت حوالي (٢٠٠٠٠) أرمني^٢، وهناك من يرفع الرقم إلى (٣٠٠٠٠)^٣، وعندما يتحدث القنصل الأمريكي في خربوط ليسلي عن دور درسيم في إنقاذ الأرمن يصورها وكأنها كانت بمثابة غرفة عمليات إنقاذ الأرمن، يجمع الكرد الأرمن فيها، وبعدها يقومون بتهريبهم من باقي المناطق ومن هناك عن طريق أرزنجان يُرسلون إلى القوقاز الروسية^٤.

أما عن العدد الكلي للأرمن الذين أنقذهم الكرد في أيام الحرب العالمية الأولى فليست هناك إحصائيات دقيقة أو دراسات مستقلة بهذا الشأن، إلا أن هناك ما يشير إلى أن الرقم كان كبيراً، فيذكر الكاتب الانكليزي كيلنك الذي تجول في تركيا وروسيا،

1. Recep Maraşli, A.G.E., S. 275.

2. Garo Sasuni, A.G.E., S.153.

3. M.KALMAN, Belge ve tanıklariyla..., S. 112.

4. REPORT OF LESLIE A. DAVIS, AMERICAN CONSUL, FORMERLY AT H TURKEY, ON THE WORK OF THE AMERICAN CONSULATE AT HARPUT SINCE THE BEGINNING OF THE PRESENT WAR. THIS REPORT IS PREPARED THE REQUEST OF MR. WILBUR J. CARR, DIRECTOR OF THE CONSULAR SERVICE, in: Ara Sarafian, Op.Cit., P. 664-666.

في سنوات الحرب والسنوات التي أعقبتها مباشرة في كتابه الموسوم (مغامرات في تركيا وروسيا) الذي طبع في لندن عام ١٩٢٤: "إن الأكراد أنقذوا الألوف من الأرمن"^١.

ويذكر بلهج شيركو أن عدد الأرمن من الذين أنقذهم الكرد يصل إلى (٥٠٠٠٠)^٢، أما حسن هشار فقد ذكر في مذكراته (١٦٥٠٠٠)^٣، ليرتفع هذا الرقم عند عالم الكرديات السوفيتي (ك.أتشاشيان)؛ إذ ذكر أن الكرد في الحرب العالمية الأولى أنقذوا حياة حوالي (٢٠٠٠٠٠) أرمني^٤.

ربما أن سرد قصص وحكايات الأرمن الذين أنقذهم الكرد لا ينتهي حتى ضمن كتاب مستقل، فهناك كثير من الروايات الأخرى، التي أوردتها المصادر التاريخية والمستندة على حقائق لا يمكن نكرانها^٥، وفي هذه المرحلة يمكن للمرء العودة إلى بداية هذا الموضوع، والتأكد هنا من الدور الكردي في إنقاذ الأرمن وليس العكس، وإذا جاز القول هنا فان عمليات إنقاذ الكرد للأرمن-وبناءً على هذه المعطيات- هي: "أكبر عملية إنقاذ شعب على يد شعب آخر في العصر الحديث".

١. محمد خليل امير، المصدر السابق، ص ٢٦٢ .

٢. ينظر مؤلفه: المصدر السابق، ص ٦٥ .

3. HESEN HIŞYAR, jéderé beré, L. 162.

٤. م.س. لازاريف، المصدر السابق، ص ٤٤٤ .

٥. للمزيد ينظر: كمال مظهر احمد، المصدر السابق، ص ٢٩٩؛ باسيل نيكيتن، المصدر السابق، ص ١٥٧-١٥٨؛ عبد الرقيب يوسف، ئايينى مهسيحى ل كوردستانى، كوفارا دهوك، ژمارا (٤)، تهباخا ١٩٩٨، ص ٤-٩؛

-Garo Sasuni, A.G.E., S.153; Vahan Janjigian, BEDROS DER BEDROSSIAN- Oufatzi, Translated by: Tamar Der-Ohannessian, New York, 2005, P. 63-68 and 236.

- فضلاً عن ذلك فانه يوجد في الكتب والتقارير التي مرّت الإشارة إليها سابقاً، مثل: كتاب المعاملة الأرمنية لجيمس برايس، والوثائق الأمريكية لارا سارفيان، وكتاب جوهان لوبوسيس، والبحث الذي أجراه هوفانسيان عشرات الحالات الأخرى، التي أنقذ فيها الكرد الأرمن سواء أكان ذلك في مناطق دياربكر وخربوط، أم على الحدود الروسية العثمانية.

ب- التهجير الكردي :

لم تمض إلا اشهر قليلة على التهجير الأرمني والمحنة القاسية التي مروا بها، حتى حدث الشيء نفسه للکرد ولكن بشكل أكثر قساوة، ليس بسبب الهجمات التي لا تشير إليها الوثائق القريبة، ولكن بسبب أن التهجير الكردي حدث في فصل الشتاء وأخر العام ١٩١٦، مما نتج عنه أكبر كارثة لهم في العصر الحديث، كارثة لا تتحدث عنها المصادر التاريخية القريبة وخاصة الأجنبية (الأوربية والأمريكية) منها، مع العلم أنها كانت حتى الأمس القريب-أي: تلك المصادر- تنقل تفاصيل المحنة الأرمنية، بل وتضخم الأمر في مرات عدة في نفس المنطقة في شمال كردستان، وذلك لسببين أولهما لأنهم كرد، وثانياً لأنهم مسلمون.

هناك نقاش واتهامات متبادلة بين الأتراك ومؤيديهم، والاتجاه المضاد لهم بخصوص من يتحمل مسؤولية التهجير الكردي، ففي حين تذكر الوثائق العثمانية التي اعتمد عليها المؤرخون الأتراك والمؤيدون لهم، على أن التهجير الكردي بدأ لأول مرة على يد الجيش الروسي والفرق الأرمنية المصاحبة له، وذلك لان الكرد لم يكونوا يتقنون بهؤلاء لما لقوه في بداية الحرب على أيديهم، لذلك فكما كان الجيش الروسي يتقدم في شمال كردستان كان الكرد يهربون منهم، وينسحبون غرباً. أما الاتجاه المضاد للأتراك ومن بينهم العديد من المؤرخين الكرد، فيطرحون الرأي القائل: بان الأتراك بعد أن انتهوا من المسألة الأرمنية، اتجهوا لحل المسألة الكردية، خاصة بعد تأكدهم من عدم إخلاص الكرد لهم، لا في الحرب ضد الروس ولا في المساهمة في حل المسألة الأرمنية، لذلك كان لا بد للقادة الأتراك من القيام بنفس الشيء ضد الكرد لخلق أرضية مناسبة لتترك الأناضول الشرقية-شمال كردستان- وجعلها أرضاً مواتية.

بنظرة عامة إلى تلك المدة يبدو أن طروحات كل اتجاه فيه شيء من الصحة، حيث

١. ينظر مثلاً:

- RÉPONSE AU MÉMOIRE DE LA SUBLIME-PORTE EN DATE DU 12 FÉVRIER 1919, Op.Cit., P. 11; TURKKAYA ATAÖV, THE ARMENIANS in the Late Ottoman Period, Ankara, 2001, P.102-108; GUENTER LEWY, Op.Cit., P. 120-122; STANFORD J. SHAW, Op.Cit., VOL: II, P.809.

٢. ينظر مثلاً: بله ج شيركو، المصدر السابق، ص ٥٩-٦١: جليلي جليل وآخرون، المصدر السابق، ص ٩٢.

يظهر أن الجانبان يتحملان المسؤولية، فالجيش الروسي والفرق الأرمنية تتحمل جزءاً مهماً من التهجير الكردي من جهة بأن كونت الظروف لمثل هذا التهجير، في حين الأتراك يتحملون الجزء الأكبر من هذا التهجير.

فالبنسبة للروس وللفرق الأرمنية فإنهم كانوا سبباً رئيسياً في هروب الكردي من مناطقهم، والتوجه نحو الأناضول الغربية في بداية عام ١٩١٦ عند الهجوم الروسي الكبير الذي وصل إلى مشارف درسيم-وسياتي الحديث عن هذا الاحتلال الروسي لتلك المناطق لاحقاً- فقد أشارت التقارير العثمانية إلى أن الهجوم الروسي في بداية العام ١٩١٦، كان السبب المباشر في زحف وهجرة الكردي المسلمين نحو الغرب هرباً من الموت الذي كان سيحل بهم مثلما حل بإخوانهم الكردي ممن قتلوا في المناطق الأخرى، وكان خوفهم بشكل خاص هو من الفرق الأرمنية، التي كانت بمثابة عامل رئيسي في هروبهم، وعززت الحجة التركية القائلة بأن القرويين المسلمين تركوا ديارهم بسبب خوفهم من قيام العصابات الأرمنية بإساءة معاملتهم وذبحهم. كتب ضابط الأركان الألماني كوز أن أولئك الذين لم يتمكنوا من الهرب أُسيئت معاملتهم باستمرار على يد الروس والأرمن ثم قُتلوا. ذكر القنصل الألماني في سيواس (كارل ورث- Carl Werth) والعائد من جولة إلى كل من أرضروم وارزنجان أن "أغلب اللاجئين هربوا من الأرمن الذين قاموا بنهبهم وذبحهم، وماتوا على الطريق بسبب البرد والجوع"^١، ويعترف كارو ساسوني بأن الهجوم الروسي على المنطقة الكرديّة قد تسبب في هجرة كُردية كبيرة، وأن الكرديّين بقوا في مناطقهم بقوا تحت رحمة الفرق الأرمنية وفرسان القوزاق، ولم يكن حالهم بأفضل من حال المهاجرين منهم^٢.

ولكن بعد ذلك أصدر الاتحاديون بداية شهر أيار ١٩١٦ قرارات لتهجير الكردي إلى عمق الأناضول الغربية^٣، وصهرهم بالأتراك وتثقيفهم بالثقافة التركية، كتب أحد قادة لجنة الاتحاد والترقي ما يلي: "يجب أن نطهر بلادنا من العناصر غير التركية"^٤، وأخذ عن ضباط الأتراك في خربوط قولهم: "لن نترك أي كردي في هذه المنطقة، سوف نرحلهم كما رحلنا الأرمن"^٥، وذكر شاهد عيان وطبيب في اورفه قال في تقريره: "إن

1. GUENTER LEWY, Op.Cit., P. 121.

2. Garo Sasuni, A.G.E., S.156-158.

3. Ugur Ü. Üngör, Op.Cit., P.84-85.

٤. نقلاً عن: جليلي جليل وآخرون، المصدر السابق، ص ٩٢ .

5. Henry H. Riggs, Op.Cit., P.183.

الشبان الأتراك لا يضمون فقط الأرمن والكرد، وإنما العرب لخطتهم بالإبادة الجماعية^١، كما نقل عنهم قولهم بأننا-أي: الأتراك- سنقتل الأرمن أولاً؛ ثم اليونانيين؛ ثم الكرد^٢، وقد ورد في مذكرات مصطفى كمال باشا بأنه عندما زار مدينة هازو في الحرب العالمية الأولى أخبره محافظها بأن عليهم إبادة الكرد لأنهم لا يتقون بهم^٣.

وكثيراً ما سمع الناس في شمال كردستان من الأتراك ومن ضباطهم المثل الآتي: "لقد انتهينا من ال(زو) وبقي ال(لو)"، أي: لقد انتهينا من الأرمن وبقي الكرد^٤، ويعقب كارو ساسوني على هذا المثل بأن الحكومة العثمانية لم تستطع من كسر شوكة الكرد، كما فعلت بالأرمن على الرغم من إلحاقها ضرراً اقتصادياً كبيراً بهم^٥.

كانت كل هذه إشارات حول قيام الاتحاديين بإتباع نفس سياسة التهجير، التي طبقت على الأرمن تجاه الكرد، وبدأ الأتراك ومنذ منتصف عام ١٩١٦ بإصدار القرارات والمراسيم بخصوص ترحيل الكرد من شمال كردستان إلى الأناضول الغربية وبلاد ما بين النهرين في ظروف قاسية جداً؛ فلم تعلن لجنة الاتحاد والترقي أبداً عن خطتها، ولكنها باشرت عملياً بتنفيذها جزئياً، وقد استطاعت أن تفعل ذلك من خلال سياسة الأرض المحروقة، التي اتبعتها وتهجير السكان المدنيين، وتدمير كل شيء عند انسحابها حتى تمنع الروس من أي عون^٦؛ أي أن الجيش الروسي والفرق الأرمنية كانت قد بدأت عمليات تهجير الكرد، وعاد الأتراك وأكملوا المهمة بشكل قاس جداً بعد ذلك.

في ٤ أيار ١٩١٦ أرسل طلعت باشا برقيات سرية إلى أورفا، وماراش، وعبتاب ذكر فيها: "أن اللاجئين الكرد لن يرجعوا إلى أماكنهم، وستعطيهم أموالهم المتروكة لجنة

1. DOMINIK J. SCHALLER and JÜRGEN ZIMMERER, Lat Ottoman genocides: the dissolution of the Ottoman Empire and Young Turkish population and extermination policies-introduction, Journal of Genocide Research, 10(1), 2008, March 7-14, P.7.

2. Arnold Joseph Toynbee, Turkey: A Past and a Future, Via at: (<http://www.gutenberg.org/>).

3. Ugur Ü. Üngör, Op.Cit., P.82.

٤. صبري سلمان، تاريخدن بر صحيفه: مشاهده ايتديكم وقايع، مجلة كردستان، العدد (٥)، ١٦ نيسان ١٩١٩، ص٥١.

5. Garo Sasuni, A.G.E., S.156.

٦. ديفيد مكدول، المصدر السابق، ص١٨٢؛

-Hilmar Kaiser, The Ottoman Government and the End of the Ottoman Social Formation, 1915-1917, Via at:(<http://www.hist.net/kieser/ghet/Essays/EssayKaiser.html>).

المهجرين"، وكان الاتحاديين قد سمحوا فقط لعشائر الفرسان الحميدية بالبقاء في شمال كردستان^١.

وعندما بدأت عمليات الإبعاد انتبه طلعت باشا وأشرف شخصياً على فاعلية مشروع تهجير وتترك الكُرد، ففي شهر كانون الثاني ١٩١٦ طلب معلومات خاصة حول الكُرد الذين يعيشون في أكثر من عشر ولايات، وقد كتب طلعت طالباً معرفة ما يلي: "ما عدد القرى الكُردية هناك؟ وأين تقع؟ كم يبلغ عددهم؟ هل يحتفظون بلغتهم الأم وحضارتهم الأصلية؟ كيف هي علاقاتهم مع القرويين الأتراك ومع القرى الأخرى؟"، في شهر نيسان ١٩١٧ بدأ طلعت باشا يتفحص الأمر ثانية، ومرة أخرى بدأ يسأل عن: "المناطق التي أبعد الكُرد إليها؟ وكيف تم ذلك؟ وهل بدأ المبعدون الكُرد يتحدثون اللغة التركية"، إن هذه الأمثلة من المراسلات تعد دليلاً واضحاً على طبيعة عمليات الإبعاد، وتمثل هجوماً واسع النطاق على الثقافة واللغة الكُرديتين، وقد عرّف الكُرد على أنهم (شعب) ولذلك فإنهم يمثلون تهديداً لهم^٢؛ ثم أصدرت الحكومة العثمانية قرارات أخرى تتعلق بتهجير الكُرد، ومن ضمنها: فصل شيوخ ورؤساء الكُرد عن عشائرهم ونفيهم بعيداً عن أهاليهم وذويهم إلى أنقرة، وعدم السماح للكُرد المهجرين بالعودة إلى مناطقهم بعد انتهاء الحرب، وتفريق الكُرد في المناطق المهجرة بحيث لا تزيد نسبة كثافتهم السكانية ما بين (٥ إلى ١٠٪) من مجموع سكان المناطق المهجرة^٣.

يقول كارو ساسوني كان هدف الأتراك من تهجير الكُرد هو تحقيق أمرين:

- ١- الحيلولة دون الاتحاد مع الجيش الروسي والأرمن؛ لكونهم عنصر خطر.
- ٢- خوف الأتراك من كون المنطقة صارت منطقة كُردية خالصة بعد ترحيل الأرمن، وبالتالي صارت نواة لتأسيس دولة كُردية في المستقبل^٤.

لقد أبعد الكُرد إلى مدن قونية، وأنقرة، وأضنة، وأورفا، والموصل، ويصف الطبيب (جاكوب كونزler - Jakob Kunzler) الذي ترأس احد المستشفيات في أورفا

1. Recep Maraşli, A.G.E., S. 237-238.

2. Ugur Ü. Üngör, Op.Cit., P.86-87.

٣. بدرخاني محمد عثمان، خوليا بروارنة تشبثات، جريدة كردستان، العدد (٥)، ١٦ نيسان ١٩١٩، ص ٥٥-٥٦. من المفيد هنا القول إن كل من السيدين (رفيق صالح وصديق صالح)، أصحاب مؤسسة زين للطباعة والنشر في السليمانية، قد زوداني بـ(١٩) عدداً من هذه الجريدة مشكورين.

4. Garo Sasuni, A.G.E., S.155.

خلال الحرب العالمية الأولى ظروف الكُرد المرحلين بقوله: " لا توجد أي صحيفة أوروبية كتبت تقريراً بيّنت فيه أن الشبان الأتراك، الذين أرادوا إبادة الأرمن أنهم قاموا بإبعاد الكُرد أيضاً...من بيوتهم ووطنهم، وقتلهم مثل الأرمن، فقد أتهموا الكُرد أيضاً بأنهم عنصر غير موثوق وقد انضموا إلى جانب الروس. ففي شتاء عام ١٩١٦ أُجبروا الكُرد على إخلاء مناطق: جبجاقور، وبالو، وموش، وكذلك ولايتي ارضروم وبتليس وكان على (٣٠٠٠٠) كُرد أن ينزحوا إلى الجنوب...إن المعاملة التي عاملوا بها الكُرد أثناء ترحيلهم تختلف عن المعاملة التي عاملوا بها الأرمن، حيث إنهم لم يعانون كثيراً في الطريق، ولم يسمح لأحد بان يؤذيهم، إلا أن الشيء المرعب جداً هو أن عملية الترحيل حدثت في الشتاء، فعندما كان المرحلون الكُرد يصلون إلى قرية تركية في المساء فإن سكانها كانوا يغلّقون أبوابهم بسبب الخوف، وكان على هؤلاء الكُرد التعساء أن يقضوا الليل تحت الأمطار والثلوج، وفي صباح اليوم التالي كانوا يحفرون قبوراً جماعية للكُرد المتجمدين، كما أن معاناة أولئك الذين وصلوا أخيراً إلى بلاد الرافدين لم تنته، ففي المدن التي وصلوا إليها، والتي فيها منازل ارمنية مدمرة تقريباً كانت الحكومة تحاول تخفيف معاناتهم، وذلك بتوزيع الخبز وهذا أمر مختلف جداً في القرى، حيث إن السكان المحليين كانوا يخافون من الكُرد وكانوا يحاولون حماية تجهيزاتهم^١. ويذكر بعض المراقبين القريبين من تلك الأحداث أن الحكومة التركية لم تجرؤ على التعرض لقوافل المهجرين الكُرد، وذلك لخوفهم من أن يولد ذلك عصياناً كُردياً عاماً أو كبيراً.

يمكن أن نرى من توضيح كونزler أن على الكُرد أن يعانون أيضاً نفس المصير الذي عانى منه الأرمن، وإجبارهم على مسيرات الموت في الشتاء تشبه كثيراً مسيرات الأرمن والتي كان لها نفس الصوت، إذن فإن هدف سياسة الشبان الأتراك تجاه الكُرد كانت حسب رأي كونزler تقوم على أساس الإبادة الجماعية، وكان أيضاً في نية الاتحاديين أن لا يدعوا العناصر الكُردية تفكر بالرجوع إلى وطن أجدادهم، وكان

1. JAKOB KÜNZLER, IN THE LAND OF BLOOD AND TEARS: EXPERIENCES IN MESOPOTAMIA DURING THE WORLD WAR 1914-1918, Edited with sPreface by: Ara Ghazarian, Foreword by: Vahakn Dadrian, Introduction by: Hans-Lukas Kieser, MASSACHUSETTS, 2007, P.67-68; DOMINIK J. SCHALLER and JÜRGEN ZIMMERER, Op.Cit., P.8.

- عن ظروف المهجرين الكُرد ينظر كذلك: زنار سلوي، المصدر السابق، ص ٥٥ .
2. Henry H. Riggs, Op.Cit., P.183-185.

عليهم أن تشملهم سياسة التتريك شيئاً فشيئاً^١.

يذكر حسن هشيار انه بتلك الممارسات الوحشية للأرمن البعيدة عن الدين، والحقوق، والإنسانية، بدأت رحلة الموت والمجهول للسكان الكرّد وخاصة في خريف عام ١٩١٦، تلك السنة التي كان البرد فيها قارصاً وشديداً حتى قبل قدوم الشتاء مما زاد من سوء أوضاع هؤلاء المهاجرين حتى بات كل شيء من ظروف الأرض، والسماء، والهواء ضدهم والموت يلاحقهم، وعندما كانوا يصلون إلى القرى في طريق سيرهم، يشاهدون أمثالهم من المهاجرين تعج بهم الساحات، وهم يرزحون تحت المطر والبرد بدون حماية ومأوى، يبحثون عن الحطب هنا وهناك ليشعلوا النار لصغارهم حيث الهواء بارد جداً، والنار التي أمامهم لا تدفئهم، ولم يكن باستطاعة أهل القرى مساعدتهم وإيوائهم في البيوت، بل كان يسمح لهم بالمبيت في زرائب الأغنام وإسطبلات الدواب، يبيعون كل شيء من الدواب، والأغطية، والبسط، وحتى الأطفال، والصبايا، للعائلات الميسورة والمتوسطة الحال كخدم لهم أو كزوجات، ولم تقم البلديات والسلطات المحلية بأي واجب تجاههم ولم تقدم لهم أية مساعدة، بل على العكس من ذلك كانت تجبر قوافل المهاجرين أحياناً أن تسير أمام الجيش المنسحب من جبهات القتال لفتح الطرقات بسبب تراكم الثلوج^٢.

لقد قابل القرويون الأتراك المبعدين الكرّد بشيءٍ من الرعب؛ لأنهم لم يكونوا يعرفون شيئاً عن رجال القبائل الكرّدية، ولذلك كانوا يخشونهم، ويخشون الأمراض التي من الممكن أن يحملوها، ففي هذه المدن استقروا في المناطق الأرمنية، التي هُدمت ولم يكن لديهم أي وسائل للعيش، وكما هو معروف فإن معظم الكرّد هم من الرعاة ولم يكونوا يعلمون شيئاً عن الزراعة، ولهذا السبب كانوا لا يحبون حياة المدينة، لذلك فإن ظروفهم لم تتحسن حتى عندما استقروا في المدن والمناطق الأخرى، كما أنه مات أيضاً المئات من المهاجرين الكرّد نتيجة لجشع الموظفين الأتراك، وعدم صرفهم الأموال التي أرسلت إليهم من استانبول لهذا الغرض^٣، ويذكر سافرستيان أن من الصعب فهم أن القبائل الكرّدية، التي كانت تعيش في شمالي الموصل، وبوتان صو، وأرمينيا، قد عانت بدرجات اقل مما عاناه الأرمن خلال الحرب العالمية الأولى^٤.

1. DOMINIK J. SCHALLER and JÜRGEN ZIMMERER, Op.Cit., P.8.

2. HESEN HIŞYAR, jéderé beré, L.169-171.

3. Ugur Ü. Üngör, Op.Cit., P.86-89.

٤. ينظر مؤلفه: المصدر السابق، ص ١٠٥ .

ويتحدث جاكوب كونزler عن شتاء ١٩١٧-١٩١٨ ويقارن بين الكُرد والأرمن في أورفا، حيث يذكر بأن المهاجرين الكُرد من الذين كانوا ما يزالون يعيشون في المدينة قد أبلت المجاعة بلاءً مرعباً وسطهم؛ فقد مات الكثير منهم من الجوع، وقد دفن أكثر من (٧٠) شخصاً في مدة قصيرة، والحقيقة أن عدداً قليلاً من الأرمن ماتوا في الشتاء بسبب المجاعة في أورفا إذا ما قارنا ذلك مع الكُرد؛ فالأرمن معروفون بأنهم أناس حُرْفِيون، ولديهم ممارسة وخبرة في مختلف المهن، أما الكُرد فإن معظمهم لم يكونوا على دراية كافية بالمهن والحرف؛ لكي يستطيعوا العمل والعيش، كما أنهم كانوا مهنيين بالموت حتى من دون المجاعة، ولم يكونوا يعرفون إدارة أمورهم مثل الأرمن، ويضيف بأن قاضي أورفا الذي كَفَّل معيشة اثنين من نساء الكُرد في بيته، كثيراً ما حاول إعطاء المواعظ للأتراك لمساعدة المهاجرين الكُرد ولكن دون نتيجة تذكر^١.

أما عن ظروف المبعدين إلى ولاية الموصل، فيتحدث عنهم الطبيب الأرمني استارجيان في مذكراته بأن هجرة كُردية كبيرة إلى ولاية الموصل حصلت بعد الهجوم الروسي في عام ١٩١٦؛ ثم يذكر بهذا الشأن: "...فالأكراد المهاجرين الجدد كانوا محرومين من أود المعيشة اليومية، فسرت بينهم الأمراض المعدية وفي انتظارهم شبح الموت الذي كان يحصد منهم زرافات زرافات بسبب نقص الغذاء، فكانت ترى وجوها مريضة عليها سحنة الموت الأصفر، وبحالة يرثى لها لا بل تقشعر لها الأبدان، هؤلاء الناس الذين اضطروا إلى أكل موتاهم، الأم كانت تنتظر موت ابنتها حتى تتغذى بلحمها، وابنها ينتظر موتها ليقتات من جثتها، والأخ ينتظر هو الآخر موت أخيه ليأكل دماغه أو دماغ أخته، وليعيش بضعة أيام أخرى بعمر هذه الحياة، هذه كانت الحياة المأساوية في شمال العراق من سنة ١٩١٥ وسنة ١٩١٦، وبصفتي طبيب الحكومة المسؤول فعشرات من جثث الأكراد، كنت أخذها من أيدي الجياح وادفنها في حفر خارج المدينة"^٢.

أما عبد العزيز قصاب-الذي شغل منصب متصرف لواء الموصل في عشرينات القرن العشرين- فذكر أيضاً في مذكراته أنه لم يسبق له أن رأى مثل ما رآه في شوارع الموصل من المهجَّرين من وان الذين تجاوز عددهم الثمانون ألف شخص حسبما قيل، وكيف كانوا يقاتلون بعضهم البعض على لقمة عيش من الخبز، ويضيف: "كنت أرى كل صباح ومساءً مأموري البلدية ومعهم الحملون يجمعون الجثث الهزيلة اليابسة، التي

1. JAKOB KUNZLER, Op.Cit., P.76-77.

٢. مذكرات الدكتور استرجيان، ترجمة: كاريكين وارتانيان، طرابلس-لبنان، ٢٠٠٤، ص ٥٦.

استحالت إلى هياكل عظمية، يجمع كل واحد منهم خمساً منها ليرميها في سلتته، وكأنها قطع خشب صغيرة"^١.

وطبقاً لمراقبي مسرح الأحداث فإن مصير اللاجئين لم يكن سوى مأساة كارثية قصيرة، وقد ذكر القنصل النمساوي في ساسون في ٧ نيسان ١٩١٧ أن العديد من اللاجئين كانوا يعانون بشكل كبير. أما الطبيب الأميركي هنري ريكس في خربوط، فقد وصف الحالة التعيسة للاجئين الذين وضعوا داخل المنازل التي كانت جاهزة بعد أن هجرها الأرمن المرحلين: "كان الازدحام يفوق كل ما هو معقول، ومع ذلك كان من المستحيل إيجاد مكان للجميع دون وضعهم في مساكن صغيرة، في بعض المنازل المخصصة لعائلة واحدة كان هناك ما يزيد على خمسين أو ستين شخصاً، أما في الليل فتصبح الأرضية مغطاة بالكامل بالناس المستلقين على الأرض من أجل النوم قليلاً، مستلقين على الأرض بشكل قريب، بعضهم من بعض، بحيث كان كل ستة أشخاص يستخدمون بطانية واحدة كغطاء، وفي بعض الأحيان يفوق الأمر ذلك بحيث ليس من المستغرب أن يتفشى المرض بشكل مخيف، فالجوع والحرمان أنهكا الناس، فيجتمعون سوياً كما كانوا لينال منهم المرض ويقضي على العديد منهم"^٢.

بعد هذه الهجرة الكردية الكبيرة إلى الأراضي الغربية والجنوبية فإن الجميع قد تخوف منهم فسدوا أبوابهم أمام صرخاتهم، ولم يلبي أحد نداءات الإنقاذ لهؤلاء الكرد، وذلك لأن الهجرة الكردية قد سببت تفشي أمراض معدية في المنطقة؛ كما كانت أعدادهم الكبيرة تقض مضاجع الجميع، لذلك وجد الكرد أن أبواب الجميع مسدودة في وجوههم، الغرب الذي يراهم متوحشين واستحقوا ما نالوه، وأن حكم الله قد نفذ عليهم بسبب ما فعلوه بالأرمن حسب اعتقادهم^٣، أما الأتراك فلم تكن نظرتهم إلى الكرد بأكثر شفقة من الغرب، تلك كانت ظروف الهجرة الكردية؛ بل حتى أنه في أمر المساعدات الإنسانية المقدمة من الغرب للاجئين الأرمن والكرد كان هناك تفريق بين القوميتين، إذ يعطون الطعام والكسوة للأرمني ويتغافلون عن جاره الكردي الذي يموت من الجوع^٤.

كما امتلأت صفحات الجرائد والمجلات الكردية التي كانت تصدر في استانبول بعد

١. مذكرات عبد العزيز القصاب، إعداد وتحقيق: خالد عبد العزيز القصاب، بيروت، ٢٠٠٧، ص ١٥٢ .

2. GUENTER LEWY, Op.Cit., P. 120-121.

3. Henry H. Riggs, Op.Cit., P.177-178.

4. MAJ. GEN. JAMES G. HARBORD, Op.Cit., P.9-10.

انتهاء الحرب العالمية، وخصوصاً مجلتي (كُردستان) و(ژين) بمقالات عديدة تتناول الأحوال السيئة للاجئين الكُرد في الأناضول، وازدياد حالات الوفاة بينهم يوماً بعد يوم، دون تلقي أي اهتمام لا من جانب الحكومة العثمانية، ولا من جانب الإرساليات التبشيرية المسيحية التي كانت تهتم بالمسيحيين فقط^١.

أما عن عدد الكُرد المهجرين من مناطقهم وعدد الذين ماتوا منهم فتكاد المصادر تُجمع على أن عددهم بلغ (٧٠٠٠٠٠) مهاجر كُرد، استناداً إلى ما ورد في سجلات دائرة المهجرين التابعة لوزارة الداخلية العثمانية آنذاك^٢، ولكن إحصائية وزارة الاقتصاد العثمانية تذكر في سجلاتها أن عدد المبعدين الكُرد من شمال كُردستان تجاوز المليون شخص^٣.

وتذكر نفس المصادر أن حوالي نصف عدد المارّ من المبعدين قد ماتوا في الطريق بسبب الجوع والمرض، وهناك أمثلة مادية يمكن أن تلقي الضوء على نسبة الوفيات وسط المبعدين، فقد قابل الأمير جلادت حفيد بدرخان بك مجموعة من المبعدين الكُرد، وقد سألهم عن عدد الناجين من المبعدين أثناء مسيرات الموت، اندهش من الإجابة حين أجابه قائد المجموعة بأن من مجموع (٧٨٧) شخصاً أبعدهم الحكومة العثمانية من قريتهم نجا منهم (٢٣) فقط^٤، ويقول عبد العزيز قصاب انه في العام ١٩١٨ التقى في

١. ينظر مثلاً: محمد، داخلية ناظري جمال بك أفندي حضرتلرينه اچيق مكتوب، مجلة كُردستان، العدد (٥)، ١٦ نيسان ١٩١٩، ص ٤٥-٤٧؛ محمد عثمان بدرخاني، كورد مهاجرلرلى نه اوله جق، مجلة كُردستان، العدد (٦)، ١ ايار ١٩١٩، ص ٦٢-٦٣؛ عبدالرحيم رحى حكاريلى، كُرد مهاجرلرلى نه حالده؟، مجلة ژين، العدد (٨)، ٢٢ كانون الثاني ١٩١٩، ص ٤-٧؛ ممدوح سليم بكى، هاوار!-امداد!، مجلة ژين، العدد (١٩)، ٥ حزيران ١٩١٩، ص ١-٤. في:

- M. EMIN BOZARSLAN, JIN: GOVARA KURDI-TURKI, KÜRDÇE-TÜRKÇE DERGI 1918-1919, Cild: II, UPPSALA-SWEDEN, 1985.

٢. الأمير جلادت بدرخان، حول المسألة الكوردية: قانون إبعاد وتشتيت الأكراد، ترجمة: دلاور الزنكي، أربيل، ١٩٩٩، ص ١٣؛ بله ج شيركو، المصدر السابق، ص ٦٠-٦١؛ وليد حمدي، الكُرد وكُردستان في الوثائق البريطانية: دراسة تاريخية تحليلية، لندن، ١٩٩١، ص ٢٢؛ ارشاك سافراستيان، المصدر السابق، ص ١٠٨؛ جليلي جليل وآخرون، المصدر السابق، ص ٩٢؛ - Naci Kutlay, A.G.E., S.237.

- يذكر ناجي قوتلاي أن (٧٠٠٠٠٠) شخصاً من الكُرد ماتوا خلال عمليات التهجير.

3. Ugur Ü. Üngör, Op.Cit., P.91.

4. Ibid, P.91-92.

منطقة زيبار شمال مدينة الموصل، بأحد أعيان مدينة وان سابقاً ويدعى الحاج رفعت أفندي، وقد كان في طريقه للرجوع إلى وان بعد أن أصدرت الحكومة العثمانية قراراً بعودة المهجرين إلى أماكنهم الأصلية، وقال له الحاج رفعت أفندي: "إن عدد جماعته عند قدومه إلى الموصل كان ستة آلاف شخص، مات أكثرهم جوعاً، ولم يبق منهم إلا هو وزوجته وخادمه فقط"^١. أما كارو ساسوني فيقول بهذا الصدد: "في الحقيقة حين جرت أعمال التهجير عام ١٩١٦ فإن القليل من الكرد استطاعوا بلوغ مدن قونية، وأنقرة، وأضنة"^٢، وكتبت جريدة مشاك الأرمنية أن الأعمال الإرهابية التي امتدت إلى جنوب بحيرة وان وغربها، حيث كان يعيش فيها قبل الحرب حتى (٨٠٠) ألف كردي قد أفرغت تماماً من سكانها وسويت مئات البلدات الكردية بالأرض، وقد انقرضت قبائل كاملة بسبب أوبئة الكوليرا، والطاعون، والتيفوئيد، بل حتى أن بعض مسؤولي السلطات التركية، قالوا إن ما يصل إلى ثلاثة أرباع سكانها الكرد قد هلك في بعض المناطق^٣، ويكتب حلمي يلدرم شعبان واده الموشي ما إن بدأت الحرب العالمية الأولى رُحلت (٣٧٠٠) أسرة كردية إلى روم أيلي والأناضول، قتل معظم هؤلاء أما في الطريق، أو على أيدي الجنود الترك أو لقوا حتفهم من اثر ظروف الجو السيئة^٤، أما (ايرنست كريستوفل-Ernst Chistoffel) المتواجد في ملاطية، فقد قال عنهم "هلك الآلاف منهم على الطريق"، وبناءً على حكمه للوفيات العامة إبّان الحرب في الأقاليم الشرقية العثمانية، يخمن مكارثي أن أكثر من نصف اللاجئين في شرق الأناضول قد لقوا حتفهم^٥.

يقول محمد أمين زكي: "...إن الجيش الثاني الذي كان معسكراً بدياربكر في السنة الثالثة من سني الحرب العامة، أقدم في خريف ١٩١٧ على إجلاء جميع سكان بلاد دياربكر، وموش، وبتليس، بحجة توفير المون وادخارها لنفسه من أقوات الأهالي وأرزاقهم الضرورية، وهكذا أجلى البعض منهم إلى ولاية الموصل، والآخرين سيقوا إلى جهات أخرى كاطنة[أضنه] وحلب في أيام الشتاء والزمهرير، فمات هؤلاء البائسين من شدة البرد

١. ينظر مذكراته: المصدر السابق، ص ١٦١ .

2. Garo Sasuni, A.G.E., S.155.

٣. م.س. لازاريف، المصدر السابق، ص ٤٤١ .

٤. ماليسانث، القومية الكردية ود.عبد الله جودت...، ص ٦٣ .

5. GUENTER LEWY, Op.Cit., P. 121.

ووطأة الجوع والأمراض في الطريق، ولم يبق منهم في قيد الحياة سوى عدد قليل، ويمكن أن يقال: انه لم ينج من الموت احد من الأطفال، وقد وصل بهم الأمر إلى أن من كان بالموصل من هؤلاء المهاجرين البائسين، اضطر لأكل جثث الموتى على قارعة الطرق".^١

للمرء هنا أن يتساءل أين كان كل من: جميس برايس، وارنولد توينبي، ولويسيس، ومورغنتاو، وهنري باربي، وفائز الغصين، وغيرهم كثيرون كانوا قد أرحوا للتهجير الأرمني ومذابهم قبل ذلك ببضعة أشهر، لماذا لم يؤرخ هؤلاء إن كانوا منصفين، ولو بمقدار (١٪) تلك المأساة الكرديّة مقارنة بالمأساة الأرمنية؟ هنا تظهر ازدواجية الغرب في هذه المسألة بشكل واضح؛ ينقل روهاث الاكوم عن المبشر ارنست لاهمان قوله للغرب إن: "الشعب الكردي يحتضر هناك مثل الأرمن"^٢.

لذلك فان هناك مشكلة واضحة تظهر في التطبيق التاريخي للمأساتين الأرمنية والكرديّة آنذاك، وهي التركيز على ضحية واحدة من بين ضحيتين أو ثلاث ضحايا، فان الباحث (كرستيان كيرلج- Christian Gerlach) وهو أحد الأصوات المناقشين لهذا الرأي يذكر أن المجتمعات العنيفة مثل المجتمعات في أواخر عهد الدولة العثمانية أو ألمانيا النازية، تتصف بعنف جماعي ضد العديد من التجمعات العرقية، أو الدينية، أو السياسية، بدلاً من مجاميع واحدة، وفي حالة الدولة العثمانية يؤكد كيرلاج أن معظم الباحثين في مجال الإبادة الجماعية يفضلون التركيز على مجموعة ضحية واحدة بمعزل عن الأخرى، وذلك لجعل مصير هذه المجموعة ذو معنى أكبر، يقول ستانفورد شو في هذا الصدد: "إن هؤلاء اللاجئين المسلمين [الكردي] كانوا يكابدون نفس النوع من المعاناة والموت، اللذين ذاق ويلهما المرطلون الأرمن في الاتجاه المعاكس، ولكن على الرغم من أن العديد من المسلمين، كانوا قد مروا في هذه المشكلة، إلا أن الغرب المسيحي لم يكرس ألامه حول أحداث هذه الكارثة الإنسانية الخالدة...".^٣ وباختصار

١. ينظر مؤلفه: المصدر السابق، ص ٢٥٥-٢٥٦ .

٢. ينظر مؤلفه: المذابح في أرمينيا، بومباي، ١٩١٧ . من المفيد هنا القول: إن فائز الغصين كان في تلك المدة متواجداً في دياربكر، ونقل أحداث كثيرة عن المذابح الأرمنية التي جرت هناك، أحداث يقول إن غالبها سمع بها، وأن قليلاً منها فقط رآها بأمر عينيه، وقد استند الباحثون والمؤرخون بعد ذلك على هذا المؤلف، لإدانة الكرديّة بتهمته اشتراكهم في المذابح الأرمنية!

٣. نقلاً عن: احمد محمد احمد، أكراد الدولة العثمانية، دهوك، ٢٠٠٩، ص ٣٩٠ .

4. DOMINIK J. SCHALLER and JÜRGEN ZIMMERER, Op.Cit., P.9-10.

5. STANFORD J. SHAW, Op.Cit., VOL: II, P.1004.

فان مجاميع اللوبي الأرميني ومنظمات حقوق الإنسان، والباحثين المتعاطفين مع النضال الأرميني من أجل العدالة كانوا ناجحين في المنافسة العالمية من أجل الضحايا، ومن أجل الاعتراف الدولي فان الإبادة الجماعية للأرمن أصبحت رمزاً عالمياً للشعر وللسوء الحظ، بالمقابل هناك ما يماثلها في نفس المدة من السوء والشر أو أسوء منها ولكن دون جدوى^١.

ج-استيطان الأتراك ومسلمي البلقان في شمال كُردستان :

كانت نية الاتحاديين حتى قبل الحرب إسكان اللاجئين المسلمين من ألبانيا والبوسنة والأجزاء الأخرى من البلقان في شمال كُردستان، حيث اختيرت لهم أمكنة في دياربكر وأضنه وسيواس، أما الشركس فكان من المقرر توزيعهم في اورفه ودياربكر، في حين أرسلوا شعب الشيشان للاستقرار في عينتاب^٢.

بدأ تنفيذ هذه العملية في صيف عام ١٩١٥ حيث جيء ب: البوسنيين، والأتراك البلغار، والألبان للاستقرار في تلك المناطق من شمال كُردستان، وقد اختاروا أفضل الأماكن في دياربكر للأتراك، حتى يقال إن علامة وضعت في أذان كل مواطن من الأتراك لكي يُميزوهم عن السكان الآخرين، وقد استمرت هذه العملية حتى ما بعد الحرب العالمية الأولى^٣.

ولكن يبدو أن عملية التتريك تلك لم تحقق النجاح المرجو في تحويل شمال كُردستان وخاصة دياربكر إلى منطقة تركية خالصة، حيث يقول الباحث(أوغور او. اونكور-Ugur Üngör) عن هذا الأمر: " يبدو أن عملية التتريك كانت قد بلغت في تقديرها جمعية الاتحاد والترقي، فعلى العكس من ذلك فقد لاحظنا بعد (٩٠) عاماً من عمليات الإبعاد، أن معظم البوسنيين، والألبان، والترك، المستوطنين في دياربكر، قاموا بتكريد أنفسهم بدلاً من تتريك الكُرد الموجودين في دياربكر، ففضلاً عن الأهمية الديموغرافية للكُرد، فان العلاقات الاقتصادية، والإثنية، والمصاهرات، ساهمت كثيراً في هذه النتيجة"^٤.

1. DOMINIK J. SCHALLER and JÜRGEN ZIMMERER, Op.Cit., P. 10.

2. DAVID GAUNT, Op.Cit., P. 65-66;

- زنار سلوبي، المصدر السابق، ص ٥٤-٥٥ .

3. Ugur Ü. Üngör, Op.Cit., P.90-93.

4. Ibid, P.94.

ثانياً-الاحتلال الروسي لشمال كُردستان ١٩١٦-١٩١٧

أ-العمليات العسكرية :

بالعودة إلى العمليات العسكرية في جبهة القوقاز فقد قاد الجيش الروسي في بداية عام ١٩١٦ هجوماً كاسحاً على مدن وبلدات شمال كُردستان، ففي ١٦ شباط سقطت أرضروم، وسقطت موش في اليوم نفسه، وبتليس في ٣ آذار، واضطر العثمانيون إلى التخلي عن طرابزون في ١٦ نيسان، وفي تموز تقدم الروس واستولوا على بايبورت في ١٧ من الشهر نفسه ثم على ارزنجان في ٢٥ تموز. انشغل الروس بقية عام ١٩١٦ في عمليات تطهير المناطق التي استولوا عليها، وكانت الناحية المضيئة الوحيدة لدى العثمانيين هو استرداد الجيش العثماني الثاني بقيادة مصطفى كمال باشا لموش وبتليس في آب ١٩١٦، لكن العثمانيون خسروا بتليس ثانية في وقت لاحق، وبهذا خسر الأتراك مسرح العمليات الحربية في شمال كُردستان كله^١.

صاحبت هذه العملية بدورها تنكيلاً بالكُرد المسلمين الذين وقعوا في أيدي الجيش الروسي والفرق الأرمنية، ففي شهر كانون الثاني ١٩١٦ قام الروس بمساعدة حراس من المتطوعين في موضع متقدم باحتلال دياربكر، ويذكر المبشر الاميركي (غريس كتاب-Grace Knapp): " أن المسلمين الذين لم يستطيعوا الهرب تعرضوا للقتل"، كما قضى المراسل الخاص لصحيفة (مانشستر غارديان-Manchester Guardian) (ام. فيليبس برايس-M. Philips Price) في شهر تشرين الثاني ١٩١٦ بضعة أسابيع مع المتطوعين الأرمن الروس في منطقة بحيرة وان، لاحظ خلالها عمليات قتل بحق العديد من القرويين الكُرد، وقد لاحظ أن هذا الأمر حدث؛ لأن المتطوعين الأرمن كانوا لا يميزون على الإطلاق بين الأشخاص المقاتلين والأشخاص غير المقاتلين، ويقال إن أحد أسباب الحل النهائي لوحدات المتطوعين الأرمن هو أنها كانت تقوم بقتل الأشخاص

1. No.252, CONSIDKNTIEL, Le Cairo Le 4 Juillet 1916, Le: HASAN DILAN, Op. Cit., VOL: I, P.141-144;

- جستن مكارثي، المصدر السابق، ص١٩٥؛ ابراهيم الداقوقي، أكراد تركيا، بيروت، ٢٠٠٣، ص١٤٩ .

غير المقاتلين في الأراضي المحتلة، وطبقاً لشهادة مجهولة الهوية لأحد السكان المحليين ولشهود عيان كتب الميجر نوئيل قائلاً: "أن الروس الذين كانوا معهم قاموا بقتل وذبح أي مسلم من السكان المدنيين من الذين يقع في أيديهم وبدون أي تمييز".^١

يذكر (اي.تي.الن-Allen E.T.) وهو مبشر أمريكي كان في أورمية في سنوات الحرب العالمية الأولى، في تقرير له إلى المفوضية الأمريكية في طهران، بتاريخ ١٢ حزيران ١٩١٨ أنه: "شهد عام ١٩١٦ تقدماً روسيا إلى الجنوب والغرب نحو كردستان، كانت القوات الروسية متفوقة بشكل كامل على القوات المشتركة التركية والكردية، كان يرافقهم جنود أرمن، وبلا شك ارتكبت أعمالاً وحشية بحق الكرد، فقد ارتكبت مجازر بحق شعبيهم، وهدمت منازلهم عندما هربوا أمام الجيش الروسي، مات العديد بسبب العواصف الثلجية في الجبال، وهلك العديد بسبب الحرارة المفرطة في سهل الموصل خلال فصل الصيف...".^٢

حتى في رواندوز البعيدة الواقعة في كردستان العراق حالياً، والتي لا يوجد فيها أرمني واحد، قاد الروس هجوماً عليها بقيادة الجنرال جيورنوزوبوف عن طريق إيران في ربيع عام ١٩١٦، ولم يكن الكرد في هذه المنطقة يهتمون كثيراً بمجيء الروس في البداية، بل أن قسماً منهم رحبوا بمقدمهم، لكونه أدى إلى انحسار ظل الاتحاديين، ولكن الأرمن الذين كانوا من عناصر الجيش الروسي ارتكبوا مجزرة فيها، فقتلوا خمسة آلاف كردي ودمروا مئات البيوت، فمن بين حوالي ألفي منزل في المدينة لم يسلم سوى (٢٠) منزلاً من الهدم، وقاموا بشنق رئيس إحدى العشائر الكردية، وهو رشيد آغا هركي، ولم يستمر الجيش الروسي في احتلاله لمدينة رواندوز أكثر من شهرين فكان على قواته أن تتسحب إلى إيران.^٣

1. GUENTER LEWY, Op.Cit., P.118.

2. No. 402, Teheran Persia, June 12, 1918: OUTLINE OF EVENTS IN THE DISTRICT OF URUMIA AND THE SYRIAN CONNECTION THEREWITH SINCE THE BEGINNING OF THE WAR, in: Ara Sarafian, Op.Cit., P. 605.

- للتفاصيل عن أعمال الأرمن والروس في بتليس أثناء الحرب العالمية الأولى، حسب ما دونتها الوثائق العثمانية ينظر:

-Rahmetli Babamin, A.G.E., S. 294-333.

٣. كمال مظهر احمد، المصدر السابق، ص ١٧٠ و ٢٩١؛ جرجيس فتح الله، المصدر السابق، ص ٨٦؛ فاضل رسول، كردستان والسياسة السوفيتية في الشرق الأوسط، ترجمة: غسان نغسان، مراجعة: ماموستا جعفر، السليمانية، ٢٠٠٨، ص ١٤٦ .

ولكن منذ بدء الهجوم على شمال كُردستان في بداية العام ١٩١٦، حدثت تطورات هامة على الجبهة والإستراتيجية الروسية بشكل عام تجاه الكُرد والأرمن، فقد عيّنوا نيكولا نيكولايف قائداً للجبهة في القوقاز، والذي أعطى الضوء الأخضر للأمير شاخوفسكي لإقامة العلاقات مع الكُرد الباقين في المناطق التي احتلوها من جانبهم، وحاول أيضاً التأثير على الكُرد الذين كانوا ما يزالون تحت السيطرة العثمانية، بهدف دفعهم للقيام بانتفاضة في تلك المناطق^١، وحسب مصدر قريب فان الكُرد الذين كانوا قد بقوا في المناطق التي احتلها الجيش الروسي في شمال كُردستان احتموا في الجبال، كان عددهم حوالي (١٠٠٠٠٠) كُرد^٢، والذين لم يكن حالهم بأفضل من حال الكُرد الذين هاجروا تلك المناطق خوفاً من التنكيل الأرمني^٣.

لقد كانت مسألة تطبيع العلاقات مع الكُرد في المناطق المحتلة من شرق الأناضول مسألة صعبة وبشكل خاص للسلطات العسكرية الروسية، فقد كتب الأمير شاخوفسكي في منتصف كانون الأول عام ١٩١٥ إلى مقر قيادة جيش القوقاز يعلمهم بأن: "أكراد ولايتي بتليس ووان، الذين ما يزال لا توجد لنا معهم مشكلة يتعاطفون معنا، ويبدو كما لو انه يريدون الآن إقامة علاقة معنا، ولكن تهديّة أكراد المنطقة بالقوة العسكرية تعتبر الآن مهمة صعبة جداً، وذلك لأنهم تعرضوا إلى عمليات انتقامية رهيبية من جانبنا وهم غاضبون أشد الغضب علينا...وما يزال من الممكن مصالحة هؤلاء الأكراد معنا، إلا أن استخدامهم ضد الأتراك أراه بحسب رأيي مهمة مستحيلة تقريباً"، وفي رأي شاخوفسكي أن أحد الأسباب الرئيسية لهذه الصعوبة هو تدهور العلاقات المتبادلة بين الأرمن والكُرد^٤، ويضيف في هذا الصدد قول الكُرد لهم عندما كانوا يحاولون الاتصال بهم: "نحن لا نخاف من الروس ونحن معهم قلباً وروحاً، ولكننا نخاف من الأرمن، لأنهم سيقتلوننا، ويعتدون على شرفنا، وانتم الروس لا تعترضون طريقهم"^٥، ولذلك رأى شاخوفسكي بأن روسيا إذا ارادت

١. ئەفراسياو هه ورامى، سه رچاوهى پيشوو، ل١٤-١٥ .

2. RÉPONSE AU MÉMOIRE DE LA SUBLIME-PORTE EN DATE DU 12 FÉVRIER 1919, Op.Cit., P.11-12.

3. Garo Sasuni, A.G.E., S.156-157.

٤. م.س.لازاريف، المصدر السابق، ص٤٦١ .

٥. ئەفراسياو هه ورامى، سه رچاوهى پيشوو، ل٨٦ .

نجاح علاقاتها مع الكُرد من جديد، فإن من الضروري اتخاذ الإجراءات التالية: معاملتهم معاملة عادلة، وعدم الانتقاص من حقوقهم قياساً بالأرمن^١.

على الرغم من التوجس الكردي من الروس لعلاقاتهم القوية مع الأرمن، فقد تمكن شاخوفسكي بالتنسيق مع كامل بدرخان إشعال ودعم عدة انتفاضات كُردية في ربيع عام ١٩١٧، في المناطق التي كانت تحت سيطرة العثمانيين مثل: بوتان، ودرسيم^٢.

أما الأمر الثاني الجديد والمهم الذي طرأ على الساحة في شمال كُردستان آنذاك، فهو تدهور العلاقات بين الروس والأرمن، وذلك لاختلاف أهداف كل منهما، فقد رأى الروس أن الأرمن يهدفون في المناطق المحتلة، والتي أصبحت خالية من السكان تماماً بدءاً من ولاية طرابزون، ومروراً ببايزيد، وأرضروم، ووان، وانتهاءً ببنتليس، وارزنجان، إلى تهيئة الأرضية المناسبة لقيام دولتهم، وفهم الروس بأن المجازر الأرمنية المستمرة بحق الكُرد والأتراك حتى في المناطق الخاضعة للحكم الروسي كانت تقوض الحكم الروسي في المنطقة؛ فقد كان الروس بدورهم يريدون إقامة مستوطنات روسية قوقازية في تلك المنطقة، لكي تكون جزءاً من الإمبراطورية الروسية ولا تكون نواة لدولة أرمنية، حتى قبل الهجوم الروسي الكبير في شمال كُردستان في أوائل عام ١٩١٦^٣، حث الجنرال يودينيش نائب الملك داشكوف، على منع حدوث هذا الأمر عندما قال: "كان الأرمن يبيتون النية من أجل توطين اللاجئيين لإستغلال الأراضي، التي هجرها الكُرد والأتراك، هذا أجده أمراً غير مقبول، لأنه بعد الحرب سيصبح من المتعذر استرجاع الأرض التي احتلها الأرمن أو إثبات أن الأرض التي احتلوها لا تعود لهم، لذلك فإنني أجد من المستحسن جداً أن نوطن الأراضي الحدودية (بالعناصر) الروسية، فعندما يكون وادي الاشكيرد، وديادين، وبايزيد، ضمن الحدود الإمبراطورية الروسية، يمكنهم الاستيطان مع المهاجرين من كوبان ودون، وهكذا نؤسس قوات قوقازية حدودية"^٤.

لذلك بادر الروس على الفور بحل الفرق الأرمنية التي كانت مصاحبة للجيش الروسي حتى في هجوم عام ١٩١٦، ففي بداية تلك السنة أخرج الجيش الروسي من بينه وكان معه ثلاثة آلاف أرمني متطوع بالقوة، وسرحوا وحدة انترانيك بالقوة أيضاً، وعدّ

١. م.س. لازاريف، المصدر السابق، ص ٤٧٩-٤٧٠.

٢. ئەفراسياو هه ورامى، سه رچاوهى پيشوو، ل ٣٩.

3. STANFORD J. SHAW, Op.Cit., VOL: II, P.911-912.

4. Ibid, P.912.

الجنود الأرمن الباقون غير مهمين في الجيش الروسي القوقازي^١. ظلت الخلاف على أشدها بين الأرمن والروس واخذ كل طرف يكيل الاتهامات والتهديد للطرف الآخر، حتى اندلاع ثورة آذار ١٩١٧، وأقام الأمير(جورج لفوف-Georg Lvov) في موسكو حكومة برجوازية مؤقتة لتسير شؤون الحرب، وقد أدى هذا الانقلاب إلى هبوط معنويات الجيش الروسي كثيراً في شمال كردستان، وبدأت هذه الجبهة تفقد قيمتها في الحرب^٢.

تنازلت الحكومة الروسية المؤقتة في نهاية أيار ١٩١٧ للأرمن عن شمال كردستان، وكلفت الأرمن بإدارة جميع الأراضي المحتلة في تلك الجبهة، وفضلت الأرمن على غيرهم من العناصر الإسلامية هناك في العلاقات، وفي هذه الوثيقة التي وقع عليها القائم بأعمال القوميسار العام (في الأقاليم التركية المحتلة بموجب قانون الحرب) الجنرال بي.افيريانوف، ومعاونه يا.خ.زافرييف، جاء فيها أن الحكومة المؤقتة: "ترى أن ولايات: وان، وبتليس، وأرضروم هي ولايات أرمنية منذ القدم"، وانه ينبغي اتخاذ إجراءات (لإعادة توطين) هذه المناطق بالأرمن وتهيئة الحياة لهم هناك، وجاء في التعليمات أيضاً: "وما يتعلق بالأتراك، والأكراد، واللأز، فمع انه لا يوجد هدف لخلق أي نوع من العراقل بالنسبة للباقيين منهم في المناطق المذكورة، أو الذين دخلوا ضمن حدود روسيا، ونقدم لهم المساعدة القانونية بالحماية، فانه ينبغي بالرغم من ذلك، ولأغراض ضمان امن الجيش وتلافي التعقيدات القومية الممكنة، عدم السماح في المستقبل وحتى ورود تعليمات خاصة، بإعادة توطين أي من أولئك الذين نزحوا مع القوات التركية"^٣.

ورحل الجنود الروس جميعاً من إقليم وان بحلول صيف ١٩١٧، واستلم الأرمن في وان الحكم وشكلوا لجنة قصيرة حكومة أرمنية ثانية هناك، كانت الحكومة كاملة ولها وزارات دولة وعملة خاصة بها (أوراق نقدية روسية تحمل كتابات ارمنية فوق الكتابات الروسية)، كانت الدولة الصغيرة تقع على ضفاف بحيرة وان وامتدت إلى أرجيش شمالاً، كما رجع العديد من الأرمن إلى وان، وقدرت قوات الدولة الأرمنية في وان

1. Mim Kemal ÖKE, Op.Cit., P. 111.

2. SALAHI SONYEL, THE GREAT WAR..., P.157.

٣. م.س.لازاريف، المصدر السابق، ص٤٩٢-٤٩٣؛ ديفيد مكول، المصدر السابق، ص١٨٤ .

بـ(٢٠٠) جندي من الخيالة و(٢٠٠٠) من المشاة ولكن لا يمكن عددهم قوة عسكرية مهمة، لعددها القليل^١؛ وصار الوضع على هذه الشاكلة حتى اندلاع ثورة أكتوبر ١٩١٧ وسيطرة الشيوعيين على الحكم في روسيا.

ب- تقرير كامل بدرخان ٢٩ أيلول ١٩١٧ :

يظهر من خلال هذا التقرير أن المشكلة الأرمنية مع الكرد لم تكن مشكلة اجتماعية أو حتى اقتصادية بالأساس، كما أظهرتها التقارير الأرمنية قبل الحرب، بل كان أساس تلك المشكلة هو الصراع على الأرض وعلى هويتها، وبخلاف الكرد الذين كانوا يتقبلون الأرمن ويتنازلون لهم مرات عديدة بخصوص مسألة تقسيم الأرض بين الشعبين، كما فعل الشيخ محمد صديق، أو إقامة حكم شراكة بينهم على هذه الأرض كما حدث في حركة الملا سليم البتليسي، فإن الأرمن كانوا يريدون أراضي شمال كردستان (أرمينيا الغربية) من غير أن يكون فيها الكرد بشكل تام، وخلافاً للمسيحيين الآخرين في الإمبراطورية العثمانية وخصوصاً مسيحي البلقان الذين كانت لهم نفس الإشكالية مع مسلميها، ولكن مسيحي البلقان كانوا يقومون بإرهاب مسلميها لكي يهاجروا من تلك المناطق، على الرغم من حدوث بعض المذابح هنا وهناك، ولكن ما يميز الأرمن عنهم هو أنهم لم يكونوا يريدون طرد الكرد من شمال كردستان ليقينهم من عودتهم إليها مرة أخرى نتيجة لعددهم الكبير، بل كانوا يريدون إبادة الكرد قدر المستطاع، حتى وان عاد الباقون إلى أماكنهم فإن كثافتهم السكانية سوف تكون غير ذي أثر في معادلتهم السياسية، كما يدعم تقرير كامل بدرخان الفكرة القائلة بأن التباعد الأرمني الكردي في العصر الحديث كان سببه الأرمن لا الكرد، كما كان يدعي بها الساسة الأرمن. مثل هذه الأمور يبدها كامل بدرخان في تقريره الذي كشف شيئاً كثيراً، وتفصيلات عديدة عن مجمل تطورات العمليات العسكرية في شمال كردستان من جهة، والعلاقات الكردية الأرمنية الروسية من جهة أخرى.

يعود تاريخ التقرير الذي كتبه كامل بدرخان في بتليس وعليه توقيع الأمير شاخوفسكي إلى ٢٩ أيلول ١٩١٧^٢، والتقرير موجه إلى أمر إحدى القطعات العسكرية

1. Justin McCarthy and others, Op.Cit., P.243-244.

٢. يذكر لازاريف أن تاريخ التقرير يعود إلى ١٢ تشرين الأول ١٩١٧، ينظر مؤلفه المصدر السابق، ص ٤٩٢. ولكن نص التقرير الذي أورده الباحث افرسياو هورامي عليه تاريخ ٢٩ أيلول ١٩١٧. ينظر مؤلفه: هيمان سهرچا، ل ٢٣.

الروسية المقدم (شاردي لي)، وكان هدف كامل بدرخان من هذا التقرير هو بيان أسباب تباعد الكُرد من الروس أثناء الحرب العالمية، وعدم تمكن الروس من كسب الكُرد إلى جانبهم، وإذا ما أزالنا روسيا هذه الأسباب سنتجح في تحقيق نتائج جيدة بين الكُرد في صراعها مع الأتراك العثمانيين، والسبب الأساسي كما بينه كامل بدرخان هو الأرمن وانحياز الروس إليهم بشكل تام في الحرب^١.

في بداية التقرير وبعد أن ألقى كامل بدرخان بعض الضوء على تقسيمات المجتمع الكُردية وعلاقتهم مع الأرمن، وخيانة الأرمن لهم في حركة ملا سليم البتليسي، يقول: "إن المقولة القائلة إن الكُرد قد توارثوا معاداة الأرمن - من أجدادهم - هي غير صحيحة، وإن العداوة مع الأرمن قد بدأت بعد معاهدة برلين"، وذلك لأن الأرمن طالبوا بالحكم الذاتي في شمال كردستان؛ ثم يضيف أن الكُرد والأرمن قد عاشوا جنباً إلى جنب في كردستان بسلام، وكان الأذى الوحيد الذي يلحق بهم هو عندما كان بكوات الكُرد يدخلون في صراعات نظراً لارتباط الفلاح الأرمني بالبك الكُردية، فكانوا يتعرضون إلى الأذى مثل الجميع، ولكن من جهة أخرى كان هذا البك الكُردية يقدم الحماية الكاملة للأرمني، أما السبب الرئيسي في تدهور العلاقات الكُردية الأرمنية فيقف وراءه الأتراك واللجان الأرمنية^٢.

يذكر كامل بدرخان أن الكُرد لم يكن لهم عند بدء الحرب أي تحركات ضد الأرمن، فكيف يقومون بشيء ضد نساءهم وأطفالهم، ولكن ما إن بدأت الحرب حتى تغير كل شيء، وذلك بعد هجوم الفرق الأرمنية على الكُرد وقيامهم بإبادتهم، ولم يكونوا يفرقون بين الرجال، والنساء، والأطفال، لذلك اضطر الكُرد إلى الدفاع عن أنفسهم والوقوف بوجههم، كما دخلت الدولة التركية في الأمر بعد انتفاضة الأرمن في وان وقررت على إثرها إبادة الأرمن^٣.

١. لهذا التقرير أهمية كبيرة؛ لكونه واحداً من تقريرين فقط، فضلاً عن تقرير عبد الرزاق بدرخان، يبين الدور الكُردية في الحرب العالمية الأولى كما شاهدها الكُرد بأنفسهم، وتكاد المصادر التاريخية تغفل أمر هذا التقرير، ولا تتطرق إليه إلا نادراً جداً، ولكن هذا التقرير لوحده يلقي الضوء على مجمل الدور الكُردية في الحرب العالمية الأولى، ويبين سبب تبدل التحالفات الكُردية، وعلاقة الكُرد بالأرمن أثناء الحرب، وقد ترجم افرسياو هورامي نص هذا التقرير إلى اللغة الكُردية ونشرها في كتابه السابق الذكر.

٢. ئەفراسياو هورامى، سەرچاوهى پيشوو، ١٢-١٣ .

٣. هه مان سەرچاو، ل ١٣ .

وقد تطرق كامل بدرخان بعد ذلك إلى موقف الكُرد من الروس في بداية الحرب، والذي كان جيداً حسب ما ذهب إليه، فقد تصور الكُرد أن الروس سيتعاملون معهم بوداً وإيجابية كما تعاملوا معهم في حروبهم السابقة في المنطقة؛ لذلك فما بدأت الحرب حتى التحق بصفوف الكُرد المؤيدين لروسيا عدد كبير من الفرسان الحميدية برئاسة رسول بك، وأيوب بك، ولكن الروس أهانوا هؤلاء الرؤساء ونهبت أموالهم وممتلكاتهم، لذلك صدّ هذا الموقف الروسي من رؤساء الحميدية كثيراً من الكُرد ومنعت الالتحاق بالروس؛ فقد بدؤوا يتخوفون من الالتحاق بالجانب الروسي، بل حتى أن الزعيم الكُردي لعشيرة هرتوش القوية المدعو حسن بك الذي كان قد سلم نفسه في وقت سابق إلى الروس، تعرض لإهانة كبيرة على أيديهم، وعندما سنحت لحسن بك فرصة الهرب من الروس، تحول بعدها إلى عدو ضروس للجيش الروسي، أما عن سبب هذا السلوك الروسي تجاه الكُرد في بداية الحرب فيعزوه كامل بدرخان إلى التحريض الأرمني، حيث تعرض الكُرد إلى الظلم والإهانة تحت تحريض الأرمن للروس، وبسببهم لم تقم القيادة الروسية في بداية الحرب بإقامة العلاقات مع الكُرد، ومن الضروري حسب اعتقادهم إبادة الكُرد في المناطق المحتلة، بل الأكثر من ذلك فقد زرع الأرمن بذرة معاداة الكُرد، أينما تواجدوا وحلوا بين ضباط الروس وجنودهم، عند ذاك لم يكن من الكُرد على الرغم من أوضاعهم الحرجة إلا القتال وبكل جرأة حتى الموت ضد الروس؛ ثم يختصر كامل بدرخان الموقف الكُردي في الحرب من الروس بقوله:

" أن الكُرد الذين كانوا يخافون أن يقتلوا وتنهب أموالهم، وتعرض أعراضهم إلى الهتك على أيدي الأرمن والجنود وبتحريض الأرمن، لذلك لم يكونوا (هؤلاء الكُرد) يريدون تسليم أنفسهم والانضمام إلى الجانب الروسي- وكانوا ينسحبون أمام زحف الجيش الروسي- في مناطقهم- لأنهم إن لم يفعلوا فسيتعرضون إلى الإبادة الجماعية على يد الأرمن"^٣.

رغم ذلك يقول كامل بدرخان: وجد الكثير من الأرمن ملجأً لهم بين الكُرد-يقصد في أثناء عمليات التهجير والمذابح التي تعرض لها الأرمن- في حين لا يظن أحد أن كُردياً واحداً تمكن من الخلاص على يد الأرمن؛ ثم يعقب على المذابح الأرمنية مرة أخرى

١. ههمان سهرچاو، ل١٣-١٤ .

٢. ههمان سهرچاو، ل١٤ .

بالقول: إن هناك أمراً مهماً يجب التنويه إليه، وهو أنه في المناطق التركية الخالصة التي لا يتواجد فيها الكُرد أُبِيدَ الأرمن فيها بشكل تام أو شبه تام، أما في المناطق التي يتواجد فيها الكُرد، فقد احتُمى عدد كبير منهم في المناطق الكُردية، حتى إن أخي حسين بك^١ دافع عن المسيحيين القاطنين بين الجزيرة وميديات، ووقف بوجه تركيا ومنع القوات التركية المرابطة هناك من تحقيق هدفها وهي (إبادة الأرمن)^٢.

حتى بعد تغيير السياسة الروسية تجاه الكُرد عندما تولى الأمير (نيكولا نيكولافيج) المنصب العسكري الأعلى في القوقاز، لم تثمر عن نتائج ملموسة في هذا الجانب، نتيجة للكره الذي تأصل لدى الكُرد ضد الروس بعد تلك الأعمال الوحشية والمميتة، التي ارتكبتها الروس ضدهم في بداية الحرب حتى انقلاب آذار ١٩١٧ .

يأتي بعد ذلك كامل بدرخان ليتحدث عن دوره في الحرب وما لاقاه من الأرمن، الذين كانوا العقبة الرئيسية بوجه نجاح السياسة الروسية تجاه الكُرد في الحرب العالمية الأولى، ويذكر انه في بداية الحرب: "أمرني الجنرال ميشلوفسكي أن أتوجه بأمر من حاكم القوقاز (فارنتسوف داشكوف) إلى مقر اباتسيف حتى اكتسب تأييد الكُرد إلى جانب روسيا، وتحريضهم على القيام بثورة ضد تركيا، ولما وصلت إلى (قره كليس) بدأت بإعمالي وكان نجاحي ملموساً، لكن الأرمن الذين كان همهم الوحيد إبادة الكُرد واحتلال المنطقة، لكي يهيؤوا الأرضية لتأسيس أرمينيا، أغاروا على السكان الآمنيين والأبرياء وقاموا بنهبهم، فقاموا بالتجاوز عليهم وحتى أنهم قتلوا الأطفال أيضاً، هذا النهب والقتل الجماعي الذي قام به الأرمن من جهة، والجنود الروس من الذين حرضهم الأرمن من جهة أخرى ما تزال مستمرة، إن هؤلاء الكُرد الذين سلموا أنفسهم حرموا من جميع الحقوق والعدالة وتعرضوا للإبادة، فبدلاً من الدعم الذي كانوا يتوقعونه من روسيا، تعرضوا إلى أكبر عملية تهجير، وظلم، وبلا رحمة..."^٣.

وبعد صعوبات جمة وضعها الأرمن في طريقه وطريق الأمير شاخوفسكي في محاولةً منهما لكسب الكُرد إلى جانب الروس كان الأرمن قد سدوا أذانهم من كل اقتراح

١. هنا يورد اسم أخيه حسين بك ولا يعرف بالتحديد هل هذه الحادثة كانت قبل الحرب أم بعدها،

لأنه من المعروف -وكما مر- أن سلطات الاتحاديين اغتالت حسين بك في عام ١٩١٣ .

٢. هـمان سهرچاو، ل١٤-١٥ .

٣. هـمان سهرچاو، ل١٥-١٦ .

لتقريب وجهات النظر ومحاولة كسب الكُرد، كما حصل في وان عندما كانت تحت السيطرة الأرمنية، ويذكر كامل بدرخان أن مهمتهم في كسب الكُرد عند سيطرة الجيش الروسي على بتليس وموش في عام ١٩١٦ أصبحت أشبه بالمستحيلة نتيجة لقتل المسلحين الأرمن عدداً كبيراً من الكُرد، الذين لم يسعفهم الوقت أو يحالفهم الحظ للهروب مع الأتراك عند انسحابهم من المنطقة، مع العلم أنه في أثناء عمليات تهجير الأرمن في بتليس وإقامة المذابح لهم، لم يشترك كُرد بتليس فيها فحسب، بل ساعدوهم كثيراً وفعّلوا ما باستطاعتهم لتخليصهم من الأتراك، ويضيف: "إن سكان هذه المنطقة رحبوا بي بحرارة وتلقوا خطاباتي حول مستقبل كُردستان بإحساس كبير، أبلغني الكُرد هناك أنه في حالة حماية أسرهم وأموالهم من الغارات الأرمنية، وعدم تعرضهم إلى عمليات القتل الجماعي التي لا تعرف الرحمة على يد الأرمن، كما حصل في موش وأماكن أخرى، فإنهم مستعدون أن يقفوا إلى جانبنا، لكننا لم نستطع أن نقدم لهم هذا الوعد، على أية حال تمكن الأمير شاخوفسكي من أن يتقدم بضع خطوات مهمة، فقد قرر عدد من كُرد بتليس تسليم أنفسهم كاختبار للوعد، وتوجهوا إلى قراهم وسلموا أسلحتهم، وفي نفس الوقت حصلت اغلب تلك القرى على وعد بتأمين الحماية، هؤلاء الكُرد كانوا يحافظون على وعدهم لغرض تأمين حمايتهم...ولكن مرة أخرى كانت العاقبة وخيمة، قبل أن يتمكن الكُرد من رص صفوفهم تعرضوا إلى حملات من الأرمن، الذين نهبوهم ولم يجد هؤلاء مكاناً يلجئون إليه، إن الأرمن الذين لم يعاقبوا بسبب أفعالهم كانوا يتجولون بحرية، لذلك بعد خروجنا من بتليس مباشرة اضطر قسم كبير من الكُرد إلى الاحتماء بالجبال للحفاظ على أرواحهم، ولم نستطع فعل شيء في بتليس، ولم نتمكن من الاتصال بالجنوب"^١.

ويذكر كامل بدرخان أنهم وصلوا إلى وان في أول تموز ١٩١٦، ومن هناك اتجه شاخوفسكي إلى بتليس، وهناك رأى أن اغلب كُرد منطقة (جوفري وبورشين) قد التجأوا إلى الجبال للاحتباء بها من الهجمات الأرمنية^٢.

يتهم كامل بدرخان الأرمن بأنهم كانوا السبب في احتلال الأتراك لبتليس مرة أخرى، فيذكر أنه عندما سيطر الروس على بتليس وكان معهم جاء الكُرد لمقابلته، وقد أرسل كُرد خيزان وشيروان وفوداً يمثلونهم لكي يتحدثوا معه، هذه الوفود كانت مؤلفة من

١. ههمان سهرجاو، ل١٨-١٩ .

٢. ههمان سهرجاو، ل١٩ . هنا صح المثل الكُردى الشهير القائل: "أنه ليس للكُرد من أصدقاء سوى الجبال".

وجهاً تلك العشائر، لكن مسلحين تابعين لـ (انترانيك وثاماناسك) القوا القبض عليهم وقتلوهم، لذلك التجأ كُرد خيزان وشيروان إلى الأتراك: " وقالوا لهم إننا مستعدون أن نقاتل الجانب الأيسر من الجيش الروسي، لأن الأرمن يقاتلون ضمن هذه الجبهة لكي يأخذوا بثأرهم، وهكذا تمكنوا من أن يجبروا جبهة اليسار على التراجع، وانتقموا من الأرمن بلا شفقة وكبدوهم خسائر كبيرة جداً"، على الرغم من ذلك يقول كامل بدرخان إن جهوده لم تذهب سدى، فان جميع كُرد بوتان وحتى هرتوش قد أبدوا استعدادهم للوقوف بجانبه واستقبال الجيش الروسي ولكن بشرط أن لا يأتي الأرمن معهم، وعليه فإن الروس يلقون الدعم من كل مكان في كُردستان، ولكن بدون الأرمن^١.

أدى قيام ثورة آذار ١٩١٧ إلى فشل خطة شاخوفسكي لكسب الكُرد بشكل تام، وبدأ الأرمن يهاجمون الكُرد بحجة أن تلك الأراضي هي للأرمن وحدهم، وأن الكُرد قبل ذلك كانوا قد هاجموا الجيش الروسي، ومن بين أعمالهم أنهم أغاروا على كُرد خورشيد بك صاحب بدري قهلا وسوري في ٢٠ أيار ١٩١٧، وقد شاركت مجموعتين من الأرمن في هذه الغارة التي راح ضحيتها حوالي (٥٠٠) من الكُرد وكان جميعهم من الشيوخ، والنساء، والأطفال^٢.

وأخيراً يذكر كامل بدرخان أن الكُرد لم ينقرضوا في المناطق المحتلة، وان هناك العديد منهم باقون، رغم أن الكثير من سكانها قد غادروها خوفاً من الأرمن، ولكن الكُرد الباقون يعيشون في ظروف مزرية، ففضلاً عن فقرهم يتعرضون إلى هجمات الأرمن باستمرار ويعيشون في حالة مليئة بالرعب والفقر ولا تبدي أي جهة مساعدة لهم، لذلك وتحت ظل هذه الظروف لا يمكن أن تتوقع مساعدة من الكُرد للروس في تلك الجهات، فان الكُرد يتهمون القوات الروسية بأنهم يكرهون الكُرد وينتقمون منهم بتحريض من الأرمن الذين أطلق لهم الروس العنان في كُردستان يفعلون ما يشاؤون، ولكن رغم ذلك لو اتبع الروس سياسة حكيمة تجاه الكُرد وعقدوا معاهدة سلام بين الأرمن والكُرد، وأوقفت اللجان الأرمنية عمليات قتل الكُرد وشعر الكُرد في مناطق الاحتلال الروسي بالحماية والأمان، ففي ظل توافر مثل هذه الشروط يمكن كسب الكُرد في معركتهم ضد الأتراك^٣.

١. هيمان سهرچاو، ل ٢٠ .

٢. هيمان سهرچاو، ل ٢٢ .

٣. هيمان سهرچاو، ل ٢٢-٢٣ .

ثالثاً- الكُرد والأرمن في العام الأخير من الحرب

لم تؤدِ ثورة أكتوبر ١٩١٧ التي حدثت في الدولة الروسية إلى تغيير الأوضاع فيها رأساً على عقب فحسب، بل شملت مجمل جبهاتها العسكرية في أوروبا وفي القوقاز أيضاً، فقد وضع ثوار الروس البلاشفة^٢ نصب أعينهم الانسحاب من جميع المشاريع الاستعمارية التي ربطت روسيا القيصرية بالدول الأوربية الكبرى، فقامت بإيقاف الحرب من جانبها وعقدت معاهدات سلام مع كل من ألمانيا، والنمسا، والدولة العثمانية، لتنتهي دورها بشكل تام في الحرب، ولتعود إلى حدودها الطبيعية التي كانت عليها قبل اندلاع الحرب العالمية الأولى، هذا من جهة، ومن جهة أخرى عملت روسيا البلشفية على كشف جميع المعاهدات السرية، التي عقدتها دول الحلفاء سابقاً بينها مثل: معاهدة سايكس-بيكو-سازانوف والتي عقدت في عام ١٩١٦^٣.

أما بخصوص تأثير الثورة البلشفية على جبهة روسيا في القوقاز وشمال كردستان فقد كانت بداية النهاية للمسألة الأرمنية كما صرح به كارو ساسوني نفسه^٤، وبالمقابل فان نجاح تلك الثورة أنقذت الدولة العثمانية في الشرق كما ذهب إلى ذلك مكارثي^٥.

١. قامت الثورة البلشفية بالتحديد في ٢ تشرين الثاني، ويقابل هذا اليوم حسب التقويم الروسي القديم يوم ٢٥ تشرين الأول (أكتوبر)، ولهذا السبب تسمى هذه الثورة بـ(ثورة أكتوبر). ينظر: هـ.أ.ل. فيشر، المصدر السابق، ص ٥٢٧ .

٢. البلاشفة (Bolsheviks): وتعني (الأكثرية) وهم أعضاء في حزب سياسي ثوري روسي قاده لينين وكانوا يتبعون أفكار كارل ماركس الشيوعية. قاد هذا الحزب انقلاب أكتوبر ١٩١٧، وغير اسمه سنة ١٩١٨ إلى الحزب الشيوعي الروسي. ينظر: الان تد، ديمقراطيات ودكتاتوريات سادت اوربا والعالم بين ١٩١٩ و١٩٨٩، ترجمة: مروان ابو جيب، بيروت، ٢٠٠٤، ص ٢٠ .

٣. للتفاصيل عن تلك الثورة، ينظر: جون ريد، عشرة أيام هزت العالم: وصف شاهد عيان لثورة أكتوبر الروسية ١٩١٧، ترجمة: فواز طرابلسي، ط ٢، بيروت، ١٩٦٦؛ إيريك هوبزباوم، عصر النهايات القصوى: وجيز القرن العشرين ١٩١٤-١٩٩١، الجزء الأول: عصر الكارثة، ترجمة: هشام الدجاني، دمشق، ١٩٩٧ .

4. Garo Sasuni, A.G.E., S.184.

٥. ينظر مؤلفه: المصدر السابق، ص ١٩٥ .

بادرت روسيا البلشفية إلى عقد هدنة مع الدولة العثمانية في جبهة شمال كردستان بتاريخ ٥ كانون الأول ١٩١٧، سميت بهدنة (ارزنجان)؛ لأنها عقدت في مدينة ارزنجان والتي كانت تقع على نقطة التماس بين الجيش الروسي والجيش العثماني، وبموجبها انتهت الحرب بين الطرفين، وكانت أهم فقرة في هذه الهدنة هي المادة (١١) منها، التي جاء فيها أن الدولة العثمانية مسؤولة عن تصرفات الكرد بشكل كامل، وكان سبب إدراج الروس لهذه المادة يعود إلى تصريحات الأتراك العثمانيين بعد كل حادثة تقع في شمال كردستان، إلى اتهام الكرد وإلقاء اللوم عليهم، ففي كل مجزرة جماعية أو هجرة تحدث في الدولة العثمانية كانت السلطة الرسمية تلقي باللائمة على العصابات، والتجمعات، والإقطاعيين الكرد^١، حتى إن طلعت باشا نفسه كان قد ألقى جزءاً كبيراً من المذابح الأرمنية على عاتق (العصابات الكردية) في تصريحات له لبعض الصحافيين الألمان^٢، وسار على خطاه بعض المؤرخين الأتراك مثل صلاحى سونيل الذي ألقى بجزء كبير من تلك المذابح على كاهل الكرد، بل إنه برأ الأتراك من أية مسؤولية عن ما جرى للأرمن في تلك المذابح^٣؛ وتلافياً لمثل هذه التصريحات ألزمت روسيا البلشفية الدولة العثمانية في نطاق هذه الهدنة، بتحملها كافة المسؤوليات والتبعات عن أي اعتداء يتعرض له الأرمن على الأراضي العثمانية، ولكن الأرمن من جانبهم وبإجماع شبه كامل بين أحزابهم ولجانهم رفضوا بنود تلك الهدنة، وبادروا إلى تشكيل حكومة أرمنية في المناطق التي كانت تحت الاحتلال الروسي في شمال كردستان^٤.

قبل انسحاب الجيش الروسي بمدة قصيرة من شمال كردستان أُقيمت حكومة مؤقتة في تفليس، أطلقت على نفسها المفوضية السياسية عبر القوقاز، وأعلنت هذه الحكومة المؤقتة أنها ليست دولة مستقلة وإنما هي جزء لا يتجزأ من روسيا، فهي تمثل الحكومة المركزية في موسكو إلى أن تنتهي الحرب الأهلية، وقد أطلقت هذه الحكومة على نفسها مصطلح (المفوضية) وقد أعلنت عنها في ١٢/٣١/١٩١٧، وألقت على عاتقها تشكيل الجيش الأرمني في شمال كردستان، كما عيّنت العقيد يودينيش، ذا الأصول الجورجية في منصب قائد أركان الحرب في هذه المفوضية^٥.

1. M.Kalman, Bati-Ermenistan..., S. 160.

٢. م.س. لازاريف، المصدر السابق، ص ٤٤٢ .

3. SALAHY SONYEL, THE GREAT WAR..., P.122.

4. M.Kalman, Bati-Ermenistan..., S. 160.

5. Kirzioglu M. Fahrettin, Op.Cit., P.1-3.

انسحب الجيش الروسي من جميع جبهات القتال والأراضي، التي احتلتها جيوشها في الحرب ومنها جبهة شمال كردستان، وسلم الضباط الروس القيادة في المناطق المنسحبة إلى الجنود الأرمن الذين أخذوا مكانهم^١، وقد اتفق الحلفاء بعد ذلك على ملئ الفراغ الذي سببه الانسحاب الروسي من خلال منح مناطق القوقاز، وأرمينيا، وجورجيا، وكردستان إلى بريطانيا كمناطق نفوذ^٢.

اتفقت دول الحلفاء على تعيين انترانيك باشا قائداً على رأس الجيش الأرمني في شمال كردستان، الذي سيرتفع عدده حسب اعتقادهم إلى حوالي (٢٠٠٠٠) أرمني، بعدما يُجند الأرمن في الدول الأوروبية وأمريكا في هذا الجيش الذي سيعملون على بنائه من جديد. لقد استلم انترانيك برقية من رئيس الهيئة الشعبية (بوغوص باشا) وكان باسم الجنرال (شور-Shor) أرسلت إليه من لندن وكان مضمونه كالتالي: "إلى الجنرال انترانيك: إنني ادعوك أنت وجميع جنودك بتجميع قواكم، والاتجاه إلى مناطق ارضروم، ووان، وبتليس لحمايتها وان معداتكم ومستلزماتكم سنوفرها لكم. بوغوص نوبار"^٣.

و بمجرد اختيار الحلفاء لانترانيك باشا من قبل الحلفاء وقعت خلافات شديدة بين زعماء الطاشناق، الذين لم يكن دورهم بأقل من دور انترانيك في الحرب، وأبرزهم كان: (افديس اهارونيان، ارام مانكويان، روبن در-ميناسان)، إلا أن الأمر كان قد حسم بنظرهم، وفعلاً سافر انترانيك إلى جبهة شمال كردستان لكي يقود الجيش الأرمني هناك، ويعمل على تأسيس دولة ارمنية فيها^٤.

وهكذا أصبحت بريطانيا المساند الرئيسي -مرة أخرى- للحركة الأرمنية بعد الانسحاب الروسي، وطلبت بريطانيا من الأرمن الروس إرسال جنود ومتطوعين منهم إلى جبهة القوقاز، كما طلبت من الولايات المتحدة إرسال متطوعين أرمن إلى نفس المنطقة، وكانت هي بدورها تقوم بتسليح الأرمن للقتال في تلك الجبهة^٥.

1. Mim Kemal ÖKE, Op.Cit., P.114;

- جمال باشا السفاح، المصدر السابق، ص٣٤٩-٣٥٨ .

٢. ديفيد مكول، المصدر السابق، ص١٩٣ .

3. Antranik Çelebyan, A.G.E., S.211-212.

4. A.E.

5. Mim Kemal ÖKE, Op.Cit., P.115.

وقد بادر الأرمن من جانبهم إلى إعطاء معلومات مكثفة عن الأوضاع في شمال كردستان-أرمينيا الغربية- وأنها مهياة تماماً لقيام الدولة الأرمنية، ففي تقرير تقدم به (م.ك. هوفاغيان-M.K. Hovaghian) بتاريخ ١٩١٧/١٢/٣١ إلى دول الحلفاء تضمن المعلومات التالية:

- ١- طرابزون: تتضمن (٦٠٠٠٠) نسمة، بقي منهم (١٩٠٠٠)، (١٥٠٠٠) منهم يونانيون، و(٤٠٠٠) أرمن.
 - ٢- أرضروم: تتضمن (٨٠٠٠٠) نسمة، ولم يبق سوى (٢٦٠٠٠)، منهم (٢٠٠٠٠) تركي، و(٦٠٠٠) أرمني.
 - ٣- وان: كان يبلغ عدد سكانها (٦٠٠٠٠) نسمة، بقي (٢٠٠٠٠) وكلهم من الأرمن.
 - ٤- بتليس: كان يبلغ عدد سكانها (٤٠٠٠٠) نسمة، بقي منهم (١٥٠٠٠) كلهم من الأرمن.
 - ٥- موش: كان يبلغ عدد سكانها (٣٥٠٠٠) نسمة، بقي منهم (١٥٠٠٠) كلهم من الأرمن.
 - ٦- ارزجان: كان يبلغ عدد سكانها (٣٥٠٠٠) نسمة، بقي منهم (١٢٠٠٠)، (٢٠٠٠) منهم أتراك، و(١٠٠٠٠) أرمني^١.
- ويتابع هوفاغيان تقريره بالذكر أنه لم يبق سوى الأرمن وبعض الكرد الرحل في القرى، والمدن الصغيرة، أما العدد الكلي للسكان فقد ارتفع إلى حدود مليون نسمة^٢.
- وأما الوضع السياسي في تلك المناطق فيجيب هوفاغيان بنفسه قائلاً: "في كل الأقسام التي احتلها الروس أعطوا كل المسؤوليات الإدارية إلى الأرمن، وقد عينوا حاكماً أرمنياً في أرضروم، وحاكماً آخر في وان. الطموحات الحالية تميل إلى إعلان استقلال أرمينيا التركية، التي سوف تقوم على أساسها جمهورية من دون أن يكون هناك إرباك مع أرمينيا الروسية، ويجب أن نذكر بان هناك (٢) مليون من الأرمن^٣".
- من الجدير بالذكر أنه في هذه الوثيقة والوثائق العثمانية كذلك التي تناولت الأوضاع

1. No. 143, ANNEXE A LA DEPECHE POLITIQUE, No. 204 DU 31 DECEMBER 1917,

En: HASAN DILAN, Op.Cit., VOL: V, P.148 .

2. Ibid.

3. Ibid, P.149.

في شمال كُردستان، كان يُعرف العثمانيون تحت مصطلحي (الأتراك، والمسلمين)، وفي الحقيقة كانوا من الكُرد، لأنه من المعروف أن كل المناطق التي احتلها الجيش الروسي ما عدا طرابزون لم يكن يتواجد فيها الأتراك، فقد انسحبوا منذ بداية الحرب إلى استانبول أو إلى عمق الأناضول الغربية، وكما مرّ بنا فإن عدد الكُرد الذين بقوا في تلك المنطقة التي احتلها الروس في شمال كُردستان كان يبلغ حوالي (١٠٠٠٠٠) أغلبهم كانوا يهتمون في الجبال، فضلاً عن هذا كله فإن الذي قام بإخراج الأرمن من شمال كُردستان ومهد الطريق للجيش العثماني للسيطرة عليه من جديد، كانت القبائل الكُردية وخاصة قبائل درسيم الكُردية، كما سيأتي الحديث عنها لاحقاً. ويشير الميجر نوئيل إلى هذه الحقيقة بالقول: "إن الأتراك لشرفهم بالإدارة المركزية، قد رفضوا دائماً الاعتراف بوجود الملة الكُردية، وفي جميع التقارير الرسمية يحاد عن كلمة (كردية) ويستعاض عنها بكلمة مسلم...".^١

أما بخصوص العلاقات الكُردية الأرمنية في تلك المدة، وعند انسحاب الجيش الروسي من شمال كُردستان وتسليم الإدارة والجيش فيها إلى الأرمن، فربما لم يحدث تقارب بين الكُرد والأتراك على مر تاريخهما الطويل، كما شهدتها أواخر العام ١٩١٧ حتى منتصف العام ١٩١٨؛ وذلك لأنهما شعرا أن لديهما عدواً مشتركاً وأن كل طرف يحتاج الآخر^٢، فقد شهدت تلك المدة تعاوناً وثيقاً بين الكُرد والأتراك لطرد الأرمن من شمال كُردستان، وكان الكُرد سباقين في ذلك؛ إذ كانت قبائلهم وفرسانهم أول الداخلين مثلاً إلى ارزنجان وأرضروم وطرردوا الأرمن منها؛ ثم كان يتبعهم الجيش العثماني الذي كان يُبنى من جديد في تلك المنطقة^٣، وحسب ما ذكره كارو ساسوني، المتواجد في ارزنجان مع الفرق الأرمنية فإن الكُرد الجياع في الجبال كانوا ينتظرون بفارغ الصبر وصول الجيش العثماني بعد أن تسلم الأرمن إدارة شمال كُردستان^٤.

كانت أول المصادمات بين الطرفين في ارزنجان، وكان أمر الإدارة والجيش فيها الضابط الروسي ذو الأصول الأرمنية (موريل-Morel)- كان بالأصل من أرمن

١. ينظر تقريره: المصدر السابق، ص ٢٨ .

2. Garo Sasuni, A.G.E., S.160;

- م.س. لازاريف، المسألة الكُردية ١٩١٧-١٩٢٣، ترجمة: عبدي حاجي، بيروت، ١٩٩١، ص ١٢٢ .

3. Kirzioglu M. Fahrettin, Op.Cit., P.20-22.

4. Garo Sasuni, A.G.E., S.157.

فرنسا- وقائد أحد اللجان الأرمينية المدعو (مراد السيواسي)^١، لقد أدرك الأرمين بأنه لا محال من الحفاظ على جبهة طويلة، تبدأ حدودها من طرابزون لتمر بأضروم وارزنجان ولتنتهي في وان، بمجموعة من الجنود الأرمين بلغ عددهم حسب بعض المصادر (٤٠٠٠) مقاتل أرمني فقط^٢، لذلك بادر الأرمين إلى الدخول في مفاوضات مع الكرد في محاولة لكسبهم وتكوين جبهة قوية في المنطقة ضد أي اعتداء يأتي من جانب الجيش العثماني، مع وجود طرف آخر وصوت ثان داخل الأرمين يدعوا إلى الثأر من الكرد، ولكن ساسوني الحاضر في تلك الاجتماعات يقول: إن الرأي الداعي إلى إقامة المفاوضات مع الكرد كان هو الصوت الغالب. ولكن هذه المفاوضات التي حضرها حوالي (٤٠) شخصية كردية، والتي عقدت في بلدة خينيس في بداية كانون الثاني ١٩١٨ لم تأت بأي نتيجة ولم تؤد إلى تعاون الكرد مع الأرمين، وحسب رأي ساسوني نفسه فإن السبب يعود إلى عدم اكتمال النضج السياسي لدى الكرد!^٣

أما نوري درسيمي الذي كان موجوداً في درسيم آنذاك، فيذكر رأياً مخالفاً لرأي كارو ساسوني ويقول: بأن خلافات عميقة حدثت بين مراد السيواسي والزعيم الكردي علي شير الذي كان مع سيد رضا أبرز الزعماء الكرد في درسيم، فقد كان علي شير يريد حكومة كردية في درسيم إلا أن مراد لم يكن يقبل بهذا الأمر، ولا يعرف بالتحديد هل أن علي شير كان حاضراً في مؤتمر خينيس أم لا، وهناك احتمال كبير في أن يكون علي شير من ضمن الرؤساء الكرد المشاركين في المؤتمر.

على العموم وصلت مفاوضات مراد السيواسي مع علي شير إلى طريق مسدود، وحسب البيان الذي أصدره علي شير بشأن أسباب عدم الاتفاق مع الأرمين، والذي جاء فيه: "كان مراد باشا قد خطط لحدود أرمستان الكبرى فقط، وأنه ليس من المحبذ عنده التحدث عن حرية كردستان واستقلالها"^٥.

بعد عدم تمكن مراد السيواسي من تقوية جبهته عن طريق كسب الكرد إلى جانبه،

1. Recep Maraşli, A.G.E., S.314; Kirzioglu M. Fahrettin, Op.Cit., P.8-9.

٢. ينظر: ديفيد مكدول، المصدر السابق، ص ١٨٤ .

3. Garo Sasuni, A.G.E., S.157.

٤. نوري درسيمي، درسيم له ميژووي كوردستاندا، وهركيراني: ئهحمهه فهتاح دزهيي، ههولير، ٢٠٠١، ص ١٤٠-١٤١ .

٥. ههمان سهرجاو، ل ١٤١ .

وتيقنه من سقوط أرزنجان بيد العثمانيين عاجلاً أم آجلاً. أراد أن ينتقم من الكُرد في أرزنجان، فقد أشارت تقارير عثمانية عديدة في تلك المدة إلى الأعمال التي قام بها مراد ضد المسلمين في أرزنجان وإقامة المذابح بحقهم، وفي هذا الصدد أشار تقرير عثماني إلى أن مراد السيواسي قد جمع (٦٥٠) رجلاً لغرض أعمال الصيانة في إحدى الطرق إلا أنه قادهم إلى مصير مجهول. وبحسب تقارير عثمانية معتمدة على شهود عيان قامت دوريات أرمنية في ١٨/١/١٩١٨ بأمر من مراد السيواسي، بدعوة السكان المسلمين في أرزنجان إلى الاجتماع في ساحة الكنيسة؛ ثم أمر بقتلهم جميعاً، وأجبرت عصابات أرمنية أخرى السكان فيها على الخروج من منازلهم وقادتهم إلى بيت وحيد بك، وما أن حل الليل حتى قام الأرمن بإضرام النار في ذلك البيت والذي كان يحوي حوالي (١٥٠٠) شخص فمات أغلبهم، أما الذي قفز بنفسه من نوافذ البيت فقتله بالرصاص الجنود الأرمن الذين كانوا يطوقون المنزل، وقد وصلت مجموع المنازل التي دمرها الأرمن في أرزنجان حسب تلك التقارير إلى (١٠٠٠) منزل^١.

خاطب وهيب باشا قائد الجيش الثالث العثماني الجنرال يودينيش، عن مذبحه أرزنجان في تقرير يعود تاريخه إلى منتصف شهر كانون الثاني ١٩١٨ بقوله:

"إن الأعمال الوحشية التي تأكدنا منها هنا وهناك، في المناطق التي يحتلها الجيش الروسي، تواصلت على نطاق واسع في ضواحي أرزنجان، منذ أن غادر المقر العام للجيش الروسي في القوقاز في المدن المذكورة، فالأعمال الوحشية التي ارتكبتها الأرمن ضد المسلمين تعدت حدود قتل المسلمين الذين يواجهونهم في المناطق المهجورة، ولكن في الوقت الحاضر تفاقم ذلك كثيراً، حيث نجد في بعض القرى حالات النهب للممتلكات وكذلك أعمال الحرق، ففي ١٢/١/١٣٣٤ (١٩١٨) حُرقت قرية زكي بالكامل، وهي قرية تبعد مسافة (١٨) كم جنوب شرق أرزنجان، ويذكر أن القرية أُحُرقت بالكامل بعد أن تعرض سكانها إلى أبشع الجرائم ومن كل الأنواع، كما أن قرية كوسكا التي تبعد مسافة (٣) كم جنوب غرب أراسا هاجمتها قبل أسبوع عصابة أرمنية

1. Au Général Odishe Lidze: Commandant de L'armee russe du Caucase, Sou-Chéhir, le 11 Fevrier 1334 (1918), en: DOCUMENTS RELATIFS AUX Atrocités commises par les Arméniens SUR LA POPULATION MUSULMANE, CONSTANTINOPLE, 1919, P.14-15.

– الوثيقة رقم (٢٠٢٦)، برقية لاسلكية روسية: نسخة إلى حضرة الجنرال ليونتان اوزداشيليدزه قائد مجموعة الجيوش الروسية في القفقاس، في: الوثائق، المصدر السابق، ص ١٣٩-١٤١ .

تضم (٢٠) شخصاً، وقد اغتصبوا النساء المسلمات في أثناء ذلك فضلاً عن حرق القرية...أرجو من سيادتكم التفضل بمنع هذه الأعمال بصورة نهائية، وأحيط سيادتكم علماً أنني سوف أكون ملزماً بكل الجهود التي تبذل من أجل الحفاظ على اسم الإنسانية والمدنية لإنقاذ حياة المسلمين وممتلكاتهم، إن مغادرة المقر العام للجيش في ارزنجان وإخلاء الجنود الروس هذه المنطقة يعني وضع هذه المنطقة تحت هيمنة العصابات الأرمنية...^١.

وفي تقرير آخر يعود إلى ١٩١٨/٢/٨ ذكر وهيب باشا للجنرال (برجيفالسكي-Prjevalski)، قائد أركان الجيش الروسي في القوقاز أربع عشرة حادثة قام بها الأرمن في ارزنجان، والبلدات والقرى التابعة لها، وفيما يأتي مقتطفاً من هذا التقرير: "... يؤلني أن أحيط سيادتكم علماً ببعض الأحداث التي وصلتني، والتي تبرهن أيضاً الأعمال الشنيعة، والمروعة، والمؤلة التي يرتكبها الأرمن بصورة مستمرة على الأراضي الإسلامية ضد السكان المسلمين ضمن رقعة الأراضي العثمانية التي احتلتها الجيوش الروسية، ومن دون شك فإن سيادتكم مقتنع تماماً بأن هناك ضرورة مطلقة تفرضها المشاعر الإنسانية والمدنية على وضع حد لهذه الحالة، وإنني متأكد من ذلك:

١- إن ابن كارا محمد، وهو من الزازا[فالكرد في درسيم يعرفون بكرد الزازا] المقيم في ارزنجان مع أربعة من أصدقائه، قد قطع الأرمن أوصالهم بواسطة طاحونة وذلك في بداية الشهر الجاري.

٢- كان الكردي محمد أغا ضحية لعدوان الأرمن في ارزنجان، وذلك في منطقة تسمى ديميرجلر، كما اختطفوا امرأة مسلمة تسكن المنطقة نفسها..."، بعد ذلك يعدد وهيب باشا مجموعة كبيرة من الجرائم، التي قام بها الأرمن في ارزنجان، وذكر في هذا التقرير وتقارير أخرى للروس، إذا لم توقف مفوضية القوقاز هذه الأعمال التي تقوم بها اللجان الأرمنية فإنها ستحتل تلك المناطق حفاظاً على أرواح المسلمين فيها^٢.

1. Lettre adressee par Le commandant ottoman au Général Odishe Lidze, en: DOCUMENTS RELATIFS AUX Atrocités..., P.4.

2. Au Général Prjevalski: Commandal de L,armee russe du Caucase, en: DOCUMENTS RELATIFS AUX Atrocités, P.6-7; No. 47, Au Général Prjevalski: Commandal en chef des Armée Russe du Caucase, 29.1.1918, Le: DOCUMENTS, Op.Cit., P. 162-163.

أراد وهيب باشا اغتنام فرصة الخلاف بين الكُرد والأرمن لاستمالة الكُرد، فأعلن مجدداً موافقة الدولة العثمانية على مطالب الكُرد القومية بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى، كما أعلن عفوهُ عن التحاق علي شير مع قواته بالجيش الروسي، وإطلاق سراح القائدين الكُرديين علي شان وحيدري اللذين كانا محجوزين لديه، بل قام بدعوة كافة زعماء الكُرد ومن ضمنهم علي شير والمحجوزين إلى وليمة كبرى في مقر قيادته، وبدلاً من أن يقوم مراد باشا بتعديل شروط تفاوضه مع الكُرد قام بتحريض الأرمن ضد الكُرد، لنهب قراهم وقتل سكانها، وهذا ما دفع الكُرد للتعاون مع القوات العثمانية أثناء هجومها على ارزنجان^١.

كانت نية وهيب باشا كسب كُرد درسيم، وذلك لأنهم كانوا أقل سكان شمال كُردستان ضرراً من آثار الحرب العالمية الأولى، وذلك راجع وبنسبة كبيرة إلى منطقتهم الحصينة جداً، التي تمتاز بجبالها الشاهقة والوعرة، ولكن كل محاولات وهيب باشا لكسب سيد رضا إلى جانبه الذي يعد الزعيم الأقوى في درسيم باءت بالفشل، ولكن الأتراك تمكنوا من إقناع سيد رضا بعد ذلك بالمشاركة في تلك العملية العسكرية عن طريق مجموعة من الزعماء الدرسيين، الذين أكدوا لسيد رضا أنه إذا لم يتحرك في غضون أسبوع فسيقوم الأرمن بإبادة الكُرد فيها، خاصة بعد انتشار أخبار بعض عملياتهم في المنطقة، ولهذا قاد سيد رضا القبائل الكُردية في درسيم والمعروفة بقبائل (ئوفجك) وعبروا جبال مونزودا في ٢٦ شباط ١٩١٨، وتمكنوا بعد معركة ضد الأرمن من دخول ارزنجان والسيطرة عليها مما مهد الطريق للجيش العثماني من الدخول من جانبه إلى المدينة^٢، ويجب التنويه هنا إلى أن الجيش العثماني كان قد عبر الخط الدولي الفاصل الذي حددته معاهدة ارزنجان منذ ١٣ شباط ١٩١٨ ولكن دون أن يحقق نتائج ملموسة^٣.

وأثناء انسحاب الأرمن من ارزنجان باتجاه أرضروم دمر الأرمن في طريقهم الريف الكُرد، وأبادوا سكانه، وقد سوَّغ موريل هذا الهجوم على الريف الكُرد بأنهم تعرضوا إلى هجمات من تلك القرى في الطريق إلى أرضروم، ولكن لم

١. ابراهيم الداقوقي، المصدر السابق، ص ١٥١ .

٢. نوري دهرسي، سهرچاوهی پيشوو، ل ١٤٣-١٤٤ .

3. No.57, Au Commandement de la 3ème Armée, 13. 2. 1918, Le: DOCUMENTS, Op.Cit., P. 197-198.

يتأكد من صحة ما ذكره موريل^١.

يتحدث نوري درسيمي عن تلك المدة بالقول: "في خضم ذلك أرسل الثوار الكردي قوة مهمة، وذلك لحماية الكردي في ارزنجان ونصبوا أنفسهم في مقدمة الحرب [أي الجيش] فرح الأتراك بهذا التحرك الكردي دون شك، ومع انضمام بعض القبائل الكردية الأخرى تمكنوا من إبعاد الأرمن من بعض الأماكن القريبة منهم، ولكن لما علم الأرمن بالتحضيرات التركية وتقدمهم نحو ارزنجان، قاموا بإخلائها ونهبوا القرى الكردية التي كانت تقع على الطريق وأبادوا سكانها، أدى هذا العمل الأرمني إلى تقريب الكردي كثيراً من الأعداء [يقصد بهم هنا: الأتراك]"^٢.

أما فيما يخص أرضروم فكان انترانيك قد وصل إليها مع الدكتور زافريف في ١٧ شباط ١٩١٨، لتشكيل الجيش الأرمني الجديد من المتطوعين الجدد، الذين كان من المقرر أن يأتوا من البلدان الأوروبية وأمريكا^٣، ولكنه لم يتمكن من الصمود فيها، فلم تبادر دول الحلفاء إلى مساعدته من جهة، كما أن المتطوعين الأرمن لم يصلوا إلى تبليس من جهة أخرى لكي يُجندوا للحرب، بل حتى أن العديد من المتطوعين الأرمن في ارزنجان وأرضروم كانوا قد يأسوا من القتال وبدؤوا بالهروب من الجبهة، وفي ٢٢/٣/١٩١٨ تمكنت القوات العثمانية من الدخول إلى أرضروم واستردادها من الأرمن، ومما يؤخذ على انترانيك قوله عند الانسحاب: "لقد أرسلنا عشرة إلى خمسة عشر ألف شخص، الله يلعن أولئك الرؤساء الأرمن، الذين فضلوا الجلوس في الخلف بدلاً من حماية الشعب الأرمني والدولة الأرمنية"^٤، وكذلك قوله: "إنني وحيد بقيت وحيداً تحت أسوار مدينة أرضروم، انقلوا هذا الشيء إلى الأجيال القادمة بهذه الطريقة"^٥.

1. HALIL KEMAL TURKOZU, ARMENIAN ATROCITY According to Ottoman and Russian Documents, ANKARA, 1986, P.44-45; Sâmiha Ayverdi, Türkiye'nin Ermeni Mes-elesi, Istanbul, 2005, S. 102.

٢. نوري درسيمي، سهراوهي پيشوو، ١٤٢١-١٤٢٣.

٣. انتشرت أفراح عارمة بين الأرمن وحلفائهم في أوروبا وأمريكا عند وصول انترانيك إلى أرضروم، وكتبت مقالات عديدة في جرائد ومجالات مشهورة تبارك هذا النصر للأرمن. ينظر:

-Commentaires de la presse sur la nouvelle la reprise d'Erzeroum, La Voix de L,Arménie, Re-vue BI-MENSUELLE, No. 8, 15 Avril 1918, Paris, P. 278.

4.Kirzioglu M. Fahrettin, Op.Cit., P.10-11 and P.16-24.

5. Recep Maraşli, A.G.E., S.316.

يذكر نوري درسيمي أن القوات الكردية بقيادة سيد رضا كانت أول قوة تدخل أرضروم، وتطرد انترانيك باشا منها، إلا أن سيد رضا انسحب بعد ذلك إلى درسيم، وتابع فتح المناطق الأخرى القائد التركي كاظم قره بكر تصاحبه مجموعة كبيرة من القوات الكردية غير النظامية، ويعقب درسيمي على مساعدة الكرد وخصوصاً كرد درسيم في استعادة الدولة العثمانية لسيطرتها على معظم مناطق شمال كردستان بل حتى قارص، واردةهان، وباطوم، بقوله: "بهذه الطريقة استنفاد الأتراك من الصراع [الخلاف] الكردي الأرمني، وعندما كتب هذه الحادثة أشعر بأسف كبير، وأمل من المثقفين الكرد والأرمن أن يحفظوا أنفسهم من مثل هذه الأمور"^١.

بعد ذلك استعاد الجيش العثماني ساريقاميش في ٥ نيسان، ووان في ٧ نيسان، وباطوم في ١٥ نيسان، وقارص في ٢٥ نيسان، وهكذا استرجع العثمانيون جميع الأراضي التي كانوا قد خسروها للروس في عام ١٨٧٧.

تشير التقارير العثمانية والروسية كذلك إلى أن القوات الأرمنية في شمال كردستان كانت تقوم بعمليات وحشية ضد السكان المسلمين فيها قبل انسحابها منها وفي أثناءه وعلى طريقها، ويذكر الضابط الروسي (تيوردو خليبوف-Twerdo Khlebof) أنه لم يسلم من الأرمن حتى سواق العربات الكردية الذين كانوا قد نقلوا أغراض الأرمن المنسحبين من ارزنجان إلى أرضروم^٢، وجاء في تقرير لكاظم قره بكر قائد الجيش الثالث العثماني يعود تاريخه إلى ١٤ كانون الأول ١٩١٨، يتحدث فيه عن الأعمال الأرمنية في الأراضي التي سيطر عليها، وطرد الأرمن منها: "عند استرداد الأراضي التي كان الأرمن قد استولوا عليها...شاهدنا البشاعة الأرمنية التي لم تترك حتى الأطفال الرضع، والمرضى، والشيوخ في فراش الموت، ناهيك عن الشباب الذين قبضوا عليهم وقطعوهم بحراهم وقلعت عيونهم...إن الجرائم الأرمنية في ارزنجان، وماماخاتون، وأرضروم، وقارص والقرى المحيطة بها كانت فواجع وحشية كبيرة جداً، بحيث إن أصحاب أقسى القلوب سيبكون حينما يرون تلك المشاهد الظالمة، التي

١. نوري دهرسيمي، سهرچاوهی پيشوو، ل ١٤٤٠ .

٢. جستن مكارثي، المصدر السابق، ص ١٩٥؛ سروه اسعد صابر، كوردستان من بداية الحرب العالمية الأولى إلى نهاية مشكلة الموصل ١٩١٤-١٩٢٦: دراسة تاريخية سياسية وثائقية، اربيل، ٢٠٠١، ص ٥٩ .

3. Kirzioglu M. Fahrettin, Op.Cit., P.33; Sâmihâ Ayverdi, A.G.E., S. 102.

ارتكبت بحق المسلمين والأتراك آنذاك...^١، أما قائد الجيش التاسع في قارص شوقي باشا فقد كتب بتاريخ ٨ كانون الأول ١٩١٨، تقريراً عن تلك المذابح قال فيه: "منذ بداية السنة [أي سنة: ١٩١٨] واعتباراً من بدء الجيش بالتقدم إلى الإمام وحتى اتفاقية باطوم [التي عقدت في ٣ حزيران ١٩١٨] كان الأرمن لا يفرقون بين طفل وامرأة، وكل من يستطيعون القبض عليه من المسلمين كانوا يقومون بقتلهم بصورة جماعية، وبشكل لا يتحمله ولا يتصوره عقل بشر...حتى انسحابهم إلى حدودهم الحالية...^٢. ويذكر ديفيد مكحول بهذا الخصوص: "عندما تقهقرت القوات الأرمنية والروسية فإنها ذبحت كل مسلم وقع بين أيديها"^٣.

وفقاً لأحد المراقبين الأجانب الذي تابع تلك المذابح قائلاً: "تعد المذابح التي ارتكبتها المسلمون بحق المسيحيين اعتداءً شنيعاً لا يمكن غفرانه؛ في حين تعد المذابح التي يرتكبتها المسيحيون بحق المسلمين عملاً يمكن التعاطف معه والصفح عنه"، وفي عام ١٩٢٢ وصف ارنولد توينبي الجرائم التركية العثمانية بـ"إنها بلا شك مبالغ فيها في أعمال الشجب الغربية الشعبية، وان نفس الجرائم التي ارتكبتها المسيحيون الشرقيون القريبون منهم غالباً ما تمر بصمت تقريباً"^٤.

لا بد هنا من الوقوف عند موقف كُرد درسيم من الأرمن عند انسحاب الجيش الروسي من المنطقة، فربما تشكل هذه الحادثة المفارقة الأولى والفريدة من نوعها في تاريخ علاقات كُرد درسيم والأرمن والأتراك، فطوال القرون العديدة من حكم الأتراك لم يحدث أي تقارب بين كُرد درسيم والأتراك، بل أن هناك من يقول إن أمل الديرسميين الوحيد في المنطقة هو أن لا يشاهدوا تركيا واحداً فيها، إذن من الذي قرب بينهم وبين الأتراك؟ وهو نفس السبب الذي قرب بين الكُرد الآخرين (السنة) والأتراك وهم الأرمن، وقد أثبتت أحداث الحرب العالمية الأولى صواب هذا الرأي، ولأول وآخر مرة في تاريخ

1. Mülgâ Birinci Ksfkas Kolordusu Kumandani Mirlivâ Kâzim Paşa'nin 1 Kânûn-i Evvel [1] 334 tarihli raporundan, İçinde: OSMANLI BELGELRİNDE ERMENİLERİN SEVK ve İS-KNI, T.C., ANKARA, 2007, S. 438.

2. Vesâik: Kars, da Dokuzuncu Ordu Kumandani Şevki Paşa,dan mevrûd 25 Teşrîn-i Sâni [1] 334 tarihli telgrafnâmeden, İçinde: OSMANLI BELGELRİNDE..., S.437-438.

٣. ينظر مؤلفه: المصدر السابق، ص ١٨٤ .

4. GUENTER LEWY, Op.Cit., P.116.

كرد درسيم يقاتلون بجانب الأتراك، وكان السبب نفسه هو خلافات الأرمن مع كرد درسيم حول أرمنستان وكردستان، ويجب هنا أن لا يغرب عن الذهن أن درسيم- وطوال حقبة المسألة الأرمنية- كانت هي العون والملاذ الأول والأساسي للأرمن في شمال كردستان، وهي التي قامت بإنقاذ ما بين (٢٠٠٠٠) إلى (٣٠٠٠٠) أرمني بين عامي ١٩١٥-١٩١٦، وهذا يثبت أيضاً أن الأرمن في المنطقة لم يكونوا يريدون لأحد أن يشاركهم في تلك الأراضي، حتى ولو كان الديرسميون أنفسهم الذين أنقذوا حياة الآلاف منهم.

ويفتخر المؤرخ (فيرات) الذي ينتمي إلى عشيرة خورمك العلوية الكردية في درسيم، من بين أقرانه من المؤرخين في تركيا بأن عشيرته هي من قامت بتحرير الأناضول الشرقية-شمال كردستان- من الأرمن أواخر الحرب العالمية الأولى^١.

في هذه الأثناء وعندما كان الجيش العثماني يتقدم ويسترجع ولاياته المحتلة سابقاً من روسيا، أُعلن عن توقيع معاهدة بريست ليتوفيسك في ٣/٣/١٩١٨، واستناداً على بنودها كان على الجيش الروسي إخلاء المناطق الشرقية المحتلة من قبلها -شمال كردستان- وعلى روسيا التعهد بإعادة الألوية الثلاثة كذلك: اردهان، وقارص، وباطوم إلى الأتراك، وقد جاء ذلك في مادته الرابعة والتي نصت على أن:
١-تقوم الدولة الروسية بإخلاء المدن الشرقية من الأناضول، وتعمل ما بوسعها لأجل تحقيق ذلك.

٢-الإخلاء المباشر للألوية الثلاثة: اردهان، وقارص، وباطوم.

٣- لن تتدخل روسيا في شؤون هذه الألوية الثلاثة، من ناحية الحقوق العامة والحقوق الدولية، ولها الحق في الدخول تحت الحكم العثماني^٢.

قطع مجلس مفوضية القوقاز جميع علاقاته مع روسيا البلشفية بعد ذلك، وأعلن في ٢٢ نيسان ١٩١٨ (الجمهورية الديمقراطية في القوقاز) وعين تشانكالي الجيورجي

١. مارتن فان بروينسن، الاغا...، ج٢، ص٥٨٥-٥٨٦. يقول بروينسن بهذا الخصوص: "قال معظم مصادرني الشفوية أن جميع وحدات المليشيات القبلية قد شاركت. إلا أن فيرات يقول بأن وحدات الحميدية السابقة-التي كانت كلها سنية- لم تشارك مطلقاً وتركت (الواجب المقدس في الدفاع عن ارض الأباء التركية) للوحدات العلوية، وبوجه خاص لقبيلته هو، قبيلة خورمك". ينظر: المصدر نفسه.

2. Recep Maraşlı, A.G.E., S. 317-318.

الأصل أول رئيس لها، وكانت تضم الكيانات الثلاثة (أذربيجان، وجورجيا، وأرمينيا)^١. تمكن الجيش العثماني من القضاء على هذه الجمهورية خلال مدة قصيرة نتيجة غياب أي دعم خارجي لها، وظهور خلافات شديدة بين أعضائها، فقد أراد الجورجيون التخلص من النفوذ الأرمني الاقتصادي وسرعان ما تدهورت العلاقات بينهما، كما برزت خلافات بين أرمينيا وأذربيجان حول حدود كل منهما داخل الجمهورية الفدرالية، وعندما وجه العثمانيون قواتهم إلى دول ما وراء القوقاز أصيبت الفيدرالية بالتمزق في ٢٢ أيار ١٩١٨، ورحب الأذريون بالعثمانيين كإخوان لهم في الإسلام وفي اللغة، وحصل الجورجيون على غطاء بتحالفها مع ألمانيا، وترك الأرمن في مواجهة العثمانيين لوحدهم^٢. ظلت أرمينيا جمهورية مستقلة وأعلنت عن استقلالها بشكل تام في ٢٨ أيار ١٩١٨، وكانت تأمل من تدخل الحلفاء خصوصاً بريطانيا وأمريكا وسيلة لخلاصها، لكن ذلك لم يحصل فلم تقدم بريطانيا أو أمريكا مساعدة عسكرية لهم^٣، وقد فرضت الدولة العثمانية بعد ذلك اتفاقية (باطوم) على جمهورية أرمينيا في ٣ حزيران ١٩١٨، وتقضي بالاعتراف المتبادل بين الطرفين على أن أراضي جمهورية أرمينيا لم تكن لتتعدى أراضي ولاية يريفان السابقة وما حولها حسب تلك الاتفاقية^٤، وبحلول أيلول ١٩١٨ كانت معظم أرجاء ما وراء القوقاز قد سقطت في يد العثمانيين^٥.

إلا أن انتصارات الأتراك العثمانيين في القوقاز كانت وهمية^٦، فقد كانت الحرب قد وصلت إلى نهايتها بانتصار الحلفاء، لذلك في ٨ تشرين الأول ١٩١٨ استقالت حكومة الاتحاد والترقي التي قادت الدولة العثمانية في الحرب^٧، وشكل احمد عزت باشا حكومة جديدة في ١٤ تشرين الأول، وقد وافقت هذه الحكومة على قبول شروط هدنة

١. بول اميل، المصدر السابق، ص ٥٧ .

٢. مالكولم ياب، المصدر السابق، ص ٣٢٢ .

٣. فريديوف نانسن، المصدر السابق ص ١٠٦-١٠٨ .

4. M.Kalman, Bati-Ermenistan..., S. 164;

- م.س. لازاريف، المسألة الكردية ١٩١٧-١٩٢٣ ...، ص ٢١ .

٥. مالكولم ياب، المصدر السابق، ص ٣٢٢ .

٦. م.س. لازاريف، المسألة الكردية ١٩١٧-١٩٢٣ ...، ص ٢٤ .

7. M.Kalman, Bati-Ermenistan..., S. 165.

مودروس وذلك في ٣٠ تشرين الأول ١٩١٨، التي وقعها الأدميرال أو قائد الأسطول الانكليزي (س.كالثروب)، مع ممثل الحكومة العثمانية وناظر البحرية (السيد رؤوف)، في مدرعة (اكمنون)، وبموجبها استسلمت الدولة العثمانية للحلفاء، وقد فرض عليها الحلفاء انسحاب جيوشها من المناطق التي احتلتها في القوقاز مؤخراً، كما قام الحلفاء باحتلال المضائق التركية واستانبول العاصمة بعد ذلك^١.

وأخيراً لا بد هنا من التطرق إلى عدد قتلى الكُرد خلال سنوات الحرب العالمية الأولى، والتي تشير بعض الدلائل إلى أنها لا تقل عن عدد قتلى الأرمن بل ربما تفوقها، فطبقاً لجستن مكارثي فان معدل وفيات المسلمين في شرق الأناضول وحده: " يفوق كل تلك الكوارث الكبيرة في تاريخ العالم، مثل: حرب الثلاثين سنة والموت الأسود"^٢. وذكر المؤرخ جرجيس فتح الله أن معاناة الكُرد في الحرب العالمية الأولى تفوق الوصف^٣.

لقد دعا عضو مجلس المبعوثان العثماني احمد رضا في مذكرة مؤرخة في ١٧ آذار ١٩١٩ إلى تحقيق دولي بالجرائم التي ارتكبتها ضد السكان المسلمين العصابات الأرمنية، (قبل) عملية ترحيل المجتمع الأرمني^٤.

هذه الإشارات تدل على أن هناك عدداً كبيراً من الكُرد قد قتلوا في الحرب العالمية الأولى، سواء الذين قتلوا على يد الفرق الأرمنية المصاحبة للجيش الروسي، أم من الكُرد الذين كانوا ضمن الفرق العسكرية للجيش العثماني، أم من الكُرد الذين ماتوا في أثناء هروبهم من الجيش الروسي والفرق الأرمنية، وقيام الحكومة العثمانية بعد ذلك بترحيلهم إلى عمق الأناضول الغربية وبلاد الرافدين.

أما بخصوص الأرقام فلا تشير الوثائق القريبة إلى إحصائيات دقيقة لعدد قتلى الكُرد في الحرب، ويتم تعريفهم في بعض المصادر تحت خانة الأتراك والمسلمين، لذلك فان إخراج مجموع قتلى الكُرد من بين تلك الأعداد هي مسألة معقدة، إلا أن الغالبية من المسلمين الذين قتلوا في الولايات الست-كما مرّ سابقاً- كانوا من الكُرد، لكون

١. بيار مصطفى سيف الدين، السياسة البريطانية تجاه تركيا وإثرها في كردستان، عمان، ٢٠٠٧، ص ١٩.

2. Hikmet ÖZDEMİR, Ermenilerin Uyruluk Sorunu..., S. 104-105.

3. GUENTER LEWY, Op.Cit., P.241.

٤. ينظر مؤلفه: المصدر السابق، ص ٨١.

5. GUENTER LEWY, Op.Cit., P.117.

الأتراك كانوا ذا نسب قليلة جداً، وأن غالبيتهم قد هاجروا من المنطقة بعد بدء الحرب العالمية مباشرة.

ورد في المذكرة التي رفعها الباب العالي إلى الدول الكبرى بتاريخ ١٢/٢/١٩١٩: "أن العصابات الأرمنية قامت بمجزرة وقتلت ما لا يقل عن مليون من المسلمين، قبل اتخاذ إجراءات الإبعاد وخاصة بعد غزو جيوش القيصر المناطق الشرقية"^١، وذكر الضابط البريطاني وولي في تقرير له بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى، معتمداً على مقالة نشرت في مجلة كُردستان أن عدد الكُرد الذين قتلوا في ولايتي وان وبتليس بلغ (٤٠٠٠٠٠) كُرد^٢، ولكن المطالعة الدقيقة لصفحات مجلة كُردستان، لا تشير في مقالاتها إلى العدد (٤٠٠٠٠٠)، بل جاء الرقم (٥٠٠٠٠٠) في مقالة لـ(محمد عثمان بدرخاني) كانت تحت عنوان (تشبثات) نشرت في العدد الخامس الصادر بتاريخ ١٦ نيسان ١٩١٩، وربما توهم الضابط وولي بين الرقمين^٣، ومادام الحديث عن مجلة كُردستان من المهم الإشارة إلى مقالة (ابن الرشيد) التي كانت بعنوان (نظرة للوضع العامة للكُرد) ونشرت في العدد الثامن منها الصادر بتاريخ ٣ حزيران ١٩١٩، حيث ذكر ابن الرشيد في موضعين من مقاله هذا إلى عدد الكُرد الذين قتلوا أو ماتوا في الحرب العالمية الأولى، ففي بداية مقاله يقول: أن الكُرد أعطوا (مليون) شهيد، ولكن مع استمرار الحرب في بلادهم وسوء أوضاع بلادهم التي وصفها بأنها بلاد (خربة)، وصل عدد الذين ماتوا من الكُرد إلى (مليون ونصف المليون) كُرد^٤.

1. RÉPONSE AU MÉMOIRE DE LA SUBLIME-PORTE EN DATE DU 12 FÉVRIER 1919, Op.Cit., P.10.

2. Samuel A. Weems, ARMENIA SECRETS OF A "CHRISTIAN" TERRORIST STATE: The Armenian Great Deception Series, Vol: 1, United States of America, 2002, P.29; SA-LAHI SONYEL, THE GREAT WAR..., P.160;

- احمد عثمان أبوبكر، المصدر السابق، ص ٢٠١ . من الجدير بالذكر هنا الإشارة إلى أن هذا المصدر (كُردستان في عهد السلام)، هو كتاب وثائقي مهم، فقد قام مؤلفه بترجمة اغلب الوثائق البريطانية التي تعود للمدة ما بين (١٩١٨-١٩٢٠) إلى اللغة العربية ونشرها بين دفتي هذا الكتاب، ولكن احمد عثمان لم يرقم بترتيبها مثل اغلب الكتب الوثائقية الأخرى، من حيث ترقيم الوثائق ووضعها حسب التسلسل التاريخي، لذلك سنتعامل مع هذا المصدر الوثائقي بعد ذلك مثلما تعاملنا مع المصادر غير الوثائقية الأخرى.

٣. ينظر مقاله: خوليا پروانة تشبثات، العدد (٥)، ١٦ نيسان ١٩١٩، ص ٥٥-٥٦ .

٤. ينظر مقاله: وضعت عموميء اكراده برنظر، العدد (٨)، ٣ حزيران ١٩١٩، ص ٩٢-٩٧ .

ويذكر الضابط الإيراني حسن أرفع الذي كان ضابطاً في الجيش الإيراني آنذاك، وصار رئيساً لأركانها في الحرب العالمية الثانية: "إن هؤلاء المتطوعين الأرمن، من أجل الثأر لمواطنيهم الذين قتلوا بيد الكرد قد ارتكبوا أبشع أنواع الجرائم؛ فقد قتلوا في أعوام ١٩١٥-١٩١٨ أكثر من ستمئة ألف كردي في الولايات الشرقية من تركيا^١، وقد اخذ بهذا الرقم كل من الباحث المختص بالمسألة الأرمنية كاموران كوران معتمداً على حسن أرفع^٢، وكذلك الباحث (جودت ارگول-Cevdet Ergül)^٣، ويقدر روبرت اولسن عدد القتلى الكرد في الحرب بأكثر من (٥٠٠٠٠٠) قتيل^٤، واستناداً إلى إحد المنشورات الأمريكية-التركية الصادرة في عام ١٩٩٧ تذكر أن أكثر من (١٠٠٠٠٠٠) مسلم فقدوا حياتهم في القتال الداخلي في شمال كردستان^٥، أما المؤرخ الكردي محمد أمين زكي فيذكر أن عدد قتلى الكرد في الجيش العثماني بلغ حوالي (٣٠٠٠٠٠)^٦، أما عدد قتلى الكرد من المدنيين فيقول انه لا يقل عن نصف مليون شخص^٧.

ويذكر جمال باشا بخصوص عدد قتلى الكرد في الحرب العالمية الأولى قوله: "حقاً لقد أثارت الآثام التي ارتكبت-ضد الأرمن- خلال النفي في سنة ١٩١٥ السخط الشديد، ولكن ما ارتكبه الأرمن في غضون ثورتهم ضد الأتراك والأكراد، لا يقل عنها قسوة، بل يفوقها فظاعةً وغدراً... فلنفرض جدلاً أن الحكومة العثمانية نفت مليوناً ونصف مليون من الأرمن من ولايات الأناضول الشرقية [شمال كردستان] وان زهاء

1. HASSAN ARFA, The Kurds: An historical and political study, LONDON, 1966, P.26.
2. KAMURAN GÜRÜN, Op.Cit., P.276.
3. Cevdet ERGÜL, II. ABDÜLHAMID, IN DOGU POLITIKASI ve HAMIDIYE ALAYARI, Izmir, 1997, S. 86 .

٤. ينظر مؤلفه: سه رچاوهی پیتشو، ل ٤١ .

5. GUENTER LEWY, Op.Cit., P.115.

٦. للمزيد عن ظروف الجنود الكرد وعدد قتلهم في الجيش العثماني خلال سنوات الحرب العالمية الأولى، ينظر: ئيسماعيل گويلداش، جه معييه تي ته عاليي كوردستان، وهركيراني: زريان رۆژه لاتی، سلیمان، ٢٠١١، ل ٢٠٥-٢٣٣ .

٧. ينظر مؤلفه: المصدر السابق، ص ٢٥٤ و ص ٢٥٨ . يقتنع الباحثان (ديفيد مكبول وماركريت ماكميلان) بالرقم الذي أورده المؤرخ الكردي محمد أمين زكي، عن عدد قتلى الكرد في الحرب العالمية الأولى وهو الرقم (٨٠٠٠٠٠). ينظر: ديفيد مكبول المصدر السابق، ص ١٨٨:

- Margaret MacMillan, PARIS: SIX MONTHS THAT CHANGED THE WORLD, Foreword by: Richard Holbrooke, New York, 2003, P. 445.

(٦٠٠) ألف منهم قد مات، أو قتل في الطريق، أو سقط ضحية الجوع والتعب، فهل يدري احد كم قتل من الأكراد والأترك في ولاية طرابزون، وأرضروم، ووان، وبتليس، بصورة تقشعر منها الأبدان بأيدي الأرمن عندما زحف الجيش الروسي على تلك الولايات؟! إني لأقر بان عدد من قتل من الأكراد والأترك ليربو كثيراً على مليون ونصف مليون...^١، ويعقب المؤرخ التركي ميم كمال اوكه، على هذا الرقم بأنه مؤكد عن طريق معلومات إحصائية جمعت من الوثائق التي تم كشفها منذ أن أجرى جمال باشا تقديره للرقم^٢.

بالاستناد إلى تلك الإشارات فان عدد القتلى من الكرد المدنيين كان يفوق النصف مليون شخص، بل وربما يقترب من المليون قتيل في مجموع سنوات الحرب العالمية الأولى، إذا ما أخذ بنظر الاعتبار عدد قتلى الكرد في المذابح التي أقامها الأرمن للكرد في بداية الحرب وفي نهايتها، وأيضاً إذا اخذ مجموع قتلى الكرد الذين ماتوا أثناء عمليات التهجير، حيث ذكرت أغلبية المصادر -كما مر بنا- أن عدد المهجرين الكرد كان (٧٠٠٠٠٠) كردي، مات نصفهم في الطريق، فبالاستناد إلى هذه الأدلة فان الرقم المار ذكره ربما يكون قريباً إلى الصحة، كما أن الأرمن يحملون مسؤولية كبيرة في ارتفاع عدد القتلى الكرد؛ فقد قاموا بمذبحتين للكرد في بداية الحرب ونهايتها، وكانوا كذلك السبب الرئيسي في هجرة الكرد من: وان، وبتليس، وأرضروم، وموش، مما أدى إلى هذه الكارثة الكبيرة التي حلت بالكرد.

١. ينظر مؤلفه: المصدر السابق، ص ٣٤٦-٣٤٧.

2. GUENTER LEWY, Op.Cit., P.115.

رابعاً-الكرد والأرمن في مؤتمر السلام في باريس

دخل الكُرد والأرمن في معركة دعائية أحدهما ضد الآخر بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى، وقد بدأها الأرمن أولاً بمطالبتهم بالولايات الست؛ لأنها تعد-حسب نظرهم- من صميم الوطن الأرمني، والتي سيبحث في شأنها مؤتمر السلام في باريس، وأن عاصمتهم ستكون مدينة ارضروم التاريخية، وبالتالي فإن من حق الأرمن الحصول على هذه الأرض، ليس لكونها أرضهم التاريخية فحسب-كما كانوا يقولون- بل مكافأة لهم لما حل بشعبهم من مذابح وتهجير في الحرب العالمية الأولى، وإن العالم المتمدن مطالب بهذا الأمر دفاعاً عن الإنسان الأرمني، وتضحياته، وكرامته.

كان الرد الكُردي قوياً وعنيفاً جداً ضد تلك المطالب الأرمنية، ولأول مرة في تاريخ المسألة الأرمنية يرد الكُرد على الأرمن بخصوص أحقية عودة تلك الولايات الست، هل هي للكُرد أم للأرمن؟ فقد اختلف مؤتمر السلام في باريس عن المؤتمرات التي سبقته مثل: مؤتمر بريلين عام ١٨٧٨ ولندن ١٩١٣، وذلك لأن الكُرد ولأول مرة كان لديهم صوت في هذا المؤتمر، وإن لم يكن مسموعاً ومؤثر في الدول الكبرى، ولكن التاريخ حفظ على أقل تقدير هذا الموقف للكُرد.

أ-النشاط السياسي الأرمني :

دأبت الأحزاب والجمعيات الأرمنية حتى قبل انتهاء الحرب العالمية الأولى بأشهر على القيام بحملة دعائية كبيرة في أوروبا وأمريكا، بهدف كسب الرأي العام العالمي إلى قضيتهم، وقاموا بإصدار الصحف، ونشر المقالات في الصحافة العالمية المشهورة وعقد الندوات، وإرسال التقارير إلى المسؤولين السياسيين الكبار في أوروبا وأمريكا؛ لتهيئة الأرضية المناسبة لتأسيس دولتهم في شمال كُردستان وكليكييا(قلقليا)، التي كان على مؤتمر السلام البت فيها، وفي كل ذلك حاولوا أن يبرهنوا للعالم الأمور التالية:

١-إن الأرمن هم أرقى امة في أسيا الصغرى، بل ربما في جميع أنحاء الدولة العثمانية.

٢- لهم تاريخ قديم على تلك الأرض يمتد إلى مئات السنين قبل ظهور عيسى عليه السلام.

٣- يعود الفضل إليهم في أي رقي شهدته تلك المنطقة، بحيث لا مجال هناك للمقارنة بين الأرمن وبين أي من القوميات الأخرى التي تعيش في تلك المنطقة وخاصة الكرد والأتراك.

٤- لقد عانى الأرمن بما فيه الكفاية على يد الأتراك والكرد منذ ظهور الدولة العثمانية، وآخرها كانت مذابحهم في عام ١٩١٥ .

٥- على الرغم من ذلك فما زال الأرمن هم أصحاب النسبة السكانية العالية في الولايات الست.

٦- لذلك فعلى الدول الكبرى (رؤساءً وشعوباً) دعم قيام دولة أرمنية في الأناضول. وبعيداً عن ما تناوله الأرمن بشأن الأتراك في صحفهم وتقاريرهم وندواتهم فقد رأوا في الكرد العقبة الرئيسية في الظفر بالولايات الست؛ لأنهم القوة البشرية الوحيدة، على الرغم من ويلات الحرب، التي بقت في تلك الولايات، ولذلك حاولت الأحزاب الأرمنية الاستخفاف بشأن الكرد كثيراً في تلك التقارير والندوات، وإنهم-أي: الكرد- غير مؤهلين للحكم نتيجة لجهلهم بتلك الأمور، وارتفاع نسبة الأمية بينهم، التي أدت إلى جهلهم بكل ما يربط الإنسان بالحضارة المتقدمة في أوروبا وأمريكا، بل حتى وصل بهم إلى التشكيك بالقدرة العقلية للكرد عند الأوربيين وفي محافظهم، وكأن الإنسان والفرد الكردي غير قابل ألبته للتمدن، وتشكيل دولة، والمشاركة في الحضارة.

ومن بين العديد من الصحف الأرمنية، ربما برزت مجلتهم المعنونة (صوت أرمينيا- La Voix de L'Arménie) التي أصدرها الأرمن في باريس في الأشهر الأخيرة من عام ١٩١٨، لكي تكون قريبة من مصدر القرار في مؤتمر السلام، وكثيراً ما رددت وأكدت تلك المجلة في مقالاتها على أنها تمثل صوت الأموات (أموات الأرمن الذين قُتلوا أيام المذابح)، وأن هذا الصوت لا بد له من أن يُسمع لدى الدول المنتصرة، حتى يساندوا تشكيل دولة أرمنية في الأناضول، لكي تنزل السكنية على الموتى الأرمن في قبورهم وليعرفوا أن دمهم لم يذهب سدى^١.

كثيراً ما تناولت تلك المجلة الكرد في مقالاتها وعلى صفحاتها السياسية، ومن بين

1. RENÉ PINON, Op.Cit., P. 866.

أكثر مقالاتها حديثاً عن الكُرد وموقعهم في الدولة الأرمنية المستقبلية، يبرز مقال(استقلال أرمينيا – Indépendance de L'Arménie)، لكتابه الفرنسي (ريني بينون-René Pinon) الذي نُشر في العدد(٢٤) الصادر بتاريخ ١٥ كانون الأول ١٩١٨، حيث يقارن فيها كاتب المقال بين الكُرد والأرمن، ولأي منهما الحق في حكم الولايات الست، حتى وان كان صاحب النسبة السكانية الأقل في المنطقة^١.

يتحدث كاتب المقال عن ظهور دول جديدة في أوروبا وآسيا بعد الحرب العالمية الأولى، ومطالبة أكثر من قومية بتأسيس دول خاصة بها، ومنهم الأرمن الذين ينادون بوجودهم القومي وعليهم أن يعيدوا تاريخهم المجيد، لذلك على الدول الكبرى أولاً أن تلتزم بمسؤوليتها تجاه هذه الأمة وان تدعم استقلالها، وما عانتها من ويلات، وما قدمته هذه الأمة لدول التحالف في جبهات القتال في فرنسا، وفلسطين، والقوقاز، فإنهم حاربوا معهم من اجل الشعوب المضطهدة، وبعد أن تطرق كاتب المقال إلى التاريخ القديم والعريق للأرمن في المنطقة وصمودهم أمام الأقوام الإسلامية الأخرى وعلى رأسهم الكُرد، قال إن المشكلة التي على الدولة الأرمنية المستقبلية مواجهتها هي: المشكلة الكُردية-الأرمنية التي هي بحاجة إلى حل^٢.

وبعد إيراد بعضاً من الإحصائيات السكانية في ولاية وان وبتليس وبيان صعوبة تشكيل وإدامة الدولة الأرمنية في تلك المنطقة ما لم تكن مدعومة من دول الحلفاء، بسبب موقعهم الجغرافي بين الأتراك والكُرد، قال كاتب المقال: "في أرمينيا المستقلة[شمال كُردستان] لا يمكن أن تكون الدولة إلا أرمنية، وذلك لان الأرمن مع النساطرة، ومع المجموعات المسيحية الأخرى، قد أُضطهَدوا وارتكبت بحقهم مجازر عديدة، ويجب عدم السماح للقتلة (الذين هم الأتراك والكُرد) الاستفادة من جرائمهم، وليس من الممكن نسيان الأرامل، والإخوة، والأطفال، الذين كانوا ضحاياهم، فضلاً عن ذلك فان الأرمن هم العنصر الوحيد القادر بكل حيوية أن ينظم، ويحقق حكومة حرة، وتمدنة..."^٣.

يأتي بعد ذلك صاحب المقال؛ ليفرد حيزاً كبيراً من مقالته تلك عن الكُرد وعلاقة الأرمن بهم، حيث ذكر أن الكُرد يعدون أكثر تخلفاً من الأرمن، لأن معظمهم من الرعاة،

1. Ibid, P.863.

2. Ibid, P.864-865.

3. Ibid, P.866-867.

وان عاداتهم وتقاليدهم لم تتغير منذ أزمنة بعيدة، فهم جبليون ويتسمون عادة بكونهم عصابات، ومعروفين بالتهب، وكانوا دائماً الأدوات الطيبة للسلطان عبد الحميد الثاني وطلعت باشا ضد الأرمن، وقد استغلوا هذا الدور بدرجة كبيرة للإثراء، وهم على هذا الأساس موجودون حقاً بأعداد كبيرة في تلك المنطقة، وان البعض من هؤلاء الكُرد وخاصة بعد انقلاب ١٩٠٨ بدأوا بالانفتاح على الأفكار التقدمية، أما البقية منهم فما زالوا بدائيين، وليست لديهم أية ثقافة^١.

ثم يستمر صاحب المقال ليتحدث عن اللغة الكُردية بالقول: "يتكلم الكُرد لهجات عديدة قريبة للغة الأرمنية، وهي خشنة جداً وفقيرة جداً، ولا يمكن أن تترجم إلا عدداً محدداً من الأفكار البسيطة، وعلى الرغم من اقتراضها للعديد من المفردات من اللغات الفارسية، والعربية، والتركية، والأرمنية، تبقى فقط لغة للرعاة وللعصابات، ولكن ليس للشعب المتمدن وليست لديهم حروف خاصة للكتابة، فإنهم... يستخدمون الالفباء العربية عندما يكتبون، وهذا يحصل نادراً بسبب تفشي الأمية بينهم، أما شيوخهم فكانوا يتحدثون ويكتبون بالتركية على الأكثر والعربية أو الفارسية. إذن ما هو وجه المقارنة بينهم وبين الأرمن، الذين هم أناس مرنون وغير خشنين، ويتكيفون للحياة المدنية، ويثبتون نجاحهم بذلك، فالأرمن شعب، أما بالنسبة للكُرد فلا يمكن أن نعدهم شعباً؛ لان تطوره السياسي لم يتجاوز نطاق القبائل أو العشائر... ولا توجد على الإطلاق دولة كُردية مستقلة، تحتضن كل الكُرد... وقد كانوا دائماً رعية ويخضعون بصورة سيئة لآسيادهم المتعاقبين، وكانوا مطيعين لشيوخهم... ويجب أن لا يغيب عن عيوننا أن هؤلاء الكُرد لا يمكن أن يعرفوا نفس النظام السياسي كالأرمن"^٢. أما ما هو موقع الكُرد في الدولة الأرمنية الجديدة؟ فيرجح كاتب المقال أن أفضل نظام يضمن حقوقهم في تلك الدولة، هو تطبيق نظام (الملل) العثماني عليهم، ذلك النظام الذي طبقه العثمانيون على الشعوب غير المسلمة في الدولة العثمانية، ويعترف كاتب المقال المار في نهايته أن الكُرد والأرمن قادرين على العيش معاً ضمن دولة أرمنية، وأن الأتراك هم السبب المباشر في تدهور علاقات الشعبين^٣.

لم تكن فكرة التقارير والندوات الأرمنية الأخرى لتخرج عن هذا الإطار، وهو تأكيد

1. Ibid, P.867.

2. Ibid, P.867-868.

3. Ibid, P.869-870.

تفوق العرق الأرمني وسُمّوه على جميع الأعراق في المنطقة وخصوصاً الكُرد^١، لأنهم أصبحوا العقبة الوحيدة أمامهم للظفر بالولايات الست، بعد هزيمة الدولة العثمانية في الحرب؛ وهنا يتساءل المرء: ماذا بقي ولم تفعله الأحزاب الأرمنية بالكُرد في المحافل الدولية؟ بل حتى وصل بهم الأمر إلى التشكيك بقدرتهم العقلية، وبعدم قبولهم للتمدن أو قدرتهم عليه، وبلغتهم التي ذكروا أنها لا تتعدى لغة العصابات وإنما ليست لغة المدنية؟ مَنْ الذي يقوم هنا بتحديد اللغة المدنية واللغة غير المدنية؟ وهل أن هناك لغة في العالم يمكن القول بأنها لا تتقبل المدنية أو لا تتطور؟ وخاصة لغة مثل اللغة الكُردية، التي أحبها المستشرقون الروس أمثال مار، وفلجيفسكي، وباسيلي نيكيتين، لغزارة مفرداتها، ولتطور فلكلورها بشكل وصفه فلجيفسكي بأنه الفلكور الزائد عن الحد، في إشارة منه إلى ضخامته، وأنه لم يدرس ولم يبحث فيه بعد بالشكل المطلوب^٢. لذلك لم تكن السياسة الأرمنية آنذاك تختلف عما اتبعه القوميون الأتراك بعد ذلك بشأن الكُرد، فقد صرح الباحث التركي إسماعيل بيشكجي في مؤلفه الشهير (كُردستان مستعمرة دولية)، بأن أبرز سياسات الدولة التركية الحديثة هي سرقة الثقافة الكُردية وتحويلها لصالح الثقافة التركية، ففي مجال الموسيقى الشعبية والفلكور، يذكر أن الأتراك يسرقون أولاً ثمار الفن الشعبي الكُردى والموسيقى الكُردية؛ ثم يعرضون المسروقات على إنها من الفلكور والموسيقى التركية، وبعدها يحرمون الفلكور والموسيقى الكُردية ويعلمون دونما ذكر لاسمها إنها: "لغة بدائية ينبغي أن تختفي كلياً"^٣.

لقد هيأت الأحزاب واللجان الأرمنية الأرضية المناسبة في مؤتمر السلام بباريس لقبول الدول الكبرى لاقتراحاتهم بهذا الخصوص، وكان من الطبيعي أن يكون الوفد الأرمني السباق للحضور والدعاية والإعلان لمسألته، مقارنة بجميع وفود الشعوب الأخرى، وقد قدم الأرمن إلى هذا المؤتمر مذكرتين عن طريق بوغوص نوبار باشا

١. الأعداد الأخرى من مجلة (صوت أرمينيا) التي تطرقت إلى الكُرد في بعض مقالاتها هي الأعداد التالية:

-No. 8, 15 Avril 1918; No. 9,1 Mai 1918; No. 23,1 Décembre 1918; No. 25-26,1-15 Janvier 1919.

٢. ينظر: باسيلي نيكيتين، المصدر السابق، ص ٣٦٣-٤٣٣؛ هوكر طاهر توفيق، الالفباء الكوردية...، ص ١٩-٢٠.

٣. ينظر مؤلفه: كُردستان مستعمرة دولية، ترجمة: زهير عبد الملك، السويد، ١٩٩٨، ص ٢٦٠.

وممثل الجمهورية الأرمنية في القوقاز (أهارونيان-A. Aharonian) في ١٢ شباط ١٩١٩، وقد سلمت المنكرتان إلى رئيس المؤتمر (جورج كليمنصو-Georges B. Clemenceau) وأدرجتا تحت أسم (المسألة الأرمنية قبل مؤتمر السلام - The Armenian Question Before The Peace Conference).^١ كما أن أهارونيان نفسه سُمح له بأن يتحدث كي يشرح مضامين تقريره أمام مندوبي الدول الكبرى في مؤتمر السلام.^٢

تطرقت المذكرة الأولى إلى التاريخ الطويل والعريق للأرمن في المنطقة، والمعاناة والاضطهاد الذي لاقاه الأرمن طيلة العهد العثماني، كما أن سياسة الدول الكبرى بخصوص الإصلاحات لم تضع حداً لمأساة هذا الشعب^٣، وأن خسائرهم خلال الحرب العالمية الأولى زادت عن المليون شخص. وتحت عنوان (أرمينيا الكاملة) تتناول المذكرة الأرمنية إحصائيات عدد قتلى الأرمن، والذين يعيشون الآن في أرمينيا وخارجها، وأنه في عام ١٩١٤ كان هناك في الولايات الست (١٤٠٠٣٠٠) أرمني، مقابل (٩٤٣٠٠٠) تركي، و(٤٨٢٠٠٠) كُردي^٤، ولم يقل عدد الأرمن وحدهم في المنطقة، بل قل عدد المسلمين أيضاً نتيجة لتلك المعارك التي اجتاحت المنطقة في الحرب العالمية؛ وكان مغزى ذلك هو أن المُعدِّين للمذكرة الأرمنية أرادوا أن لا يدعوا المجال أمام الدول الكبرى للقول: إن الأرمن قد انقرضوا في الولايات الست، فكيف ستشكل دولة أرمنية في تلك المناطق دون وجود شعب؟! وتتعترف المذكرة بقلّة عدد الأرمن بعد الحرب في المنطقة ولكن المُعدِّين دافعا عن ذلك بقولهما: "إن العدد لوحده لا يُعد العامل المحدد في تثبيت حدود دولتنا المستقبلية، ليس فقط حقوق الموتى ودرجة الحضارة للشعوب التي تؤخذ بنظر الاعتبار، وإنما الحقيقة الحيوية يجب أن لا تغيب عن مخيلة الأرمن، باعتبارها العنصر الوحيد في أرمينيا القادر على إقامة دولة حرة ومتمدنة، إن المسلمين

1. THE ARMENIAN QUESTION Before The Peace Conference: A Memorandum Presented Officially by the Representatives of Armenia to the Peace Conference at Versailles, on February 26th, 1919.

- من الجدير بالذكر هنا أن هذا التقرير كتب باللغتين الفرنسية والانكليزية، وقد اعتمدنا على النسخة الانكليزية.

٢. ينظر: م.س. لازاريف، المسألة الكردية ١٩١٧-١٩٢٣...، ص ١٥٠.

3. THE ARMENIAN QUESTION Before The Peace Conference...، OP.cit, P.3-4.

4. Ibid, P.7.

والسكان غير الأرمن، الموجودين ضمن حدود أرمينيا سوف يتمتعون بالحريات، كما سيضمنها المبادئ التي سيتبناها مؤتمر السلام^١.

تتحدث المذكرة الأرمنية بعد ذلك عن الكرد بالقول: إن أكثر الشعوب أهمية بالنسبة للدولة الأرمنية المستقبلية هم الكرد- لكونهم القوم الأكثر كثافة الباقي في المنطقة- فإن الكرد ينقسمون إلى قسمين، الأول: هم الكرد الحضريون والثاني: هم الكرد البدو أو الرحل، وان معظمهم من الجبليين أي: الذين يسكنون الجبال، وكان الأتراك يستخدمونهم للنهب والتدمير كوكلاء رئيسيين لتنفيذ المذابح ضد السكان المسيحيين، إن مستوى تطورهم السياسي لا يزال في المرحلة العشائرية، وهناك جزء مهم من هؤلاء الكرد يعيشون في البلاد، التي تعرف بتعبير أدق بكردستان في الأجزاء الجنوبية في محافظات دياربكر ووان وهكاري، ومن الممكن فصل تلك المناطق عن الدولة الأرمنية، ومن الممكن بقاء الكرد الحضريين في أرمينيا وذلك تحت حماية القوانين والمساواة؛ ثم يضيف المُعدان أن الأهم من ذلك كله يجب ملاحظة أن عدداً كبير جداً من هؤلاء الكرد يرجعون بأصولهم إلى العنصر الأرمني، الذين من السهولة تهذيبهم والإبقاء على النظام بينهم وبين الأرمن بعد إزالة التأثير التركي عليهم، ومن ثمّ سيتعرف الكرد من خلال الأرمن على المدنية الحديثة. وفيما يخص الكرد الرحل فيجب وضع قوانين خاصة لهم، للسيطرة على تجاوزاتهم، ولتنظيم ظروف ترحالهم من مكان لآخر^٢.

أما ما هي حدود الدولة الأرمنية المستقلة التي اقترحها الوفد الأرمني؟ فقد أدرجها مُعدّي المذكرة في النقاط الثلاثة التالية:

1. Ibid. P.7-8.

2. Ibid, P.8.

- من المهم الإشارة هنا إلى أن نائب القنصل البريطاني في وان (جي. مولينيوكس سيل)، ذكر في عام ١٩١١ وأثناء زيارة له إلى درسيم، بأن الأسقف الأرمني فيها كان قد قام بدراسة مطولة ومفصلة عن كرد درسيم، وأكد في دراسته أن أصولهم هي أرمنية، ولكن نائب القنصل البريطاني يشكك في ذلك، ويسأل عن الدليل والأرضية الذي استند عليه الأسقف الأرمني عن كون اصل هؤلاء الكرد في درسيم هو أرمني لا كردي؟ ينظر:

-L. Molyneux-Seel, A Journey in Dersim, The Geographical Journal, Vol. 44 . No. 1 . Jul., 1914, P. 49 .

١-الولايات السبع: وان، وبتليس، ودياربكر، وخربوط، وسيواس، وأرضروم، وطرابزون، (طبقاً لنصوص إجراءات الإصلاح في شباط ١٩١٤). باستثناء المناطق التي تقع إلى جنوب نهر دجلة، وإلى غرب خط (اوردو-Ordu)-سيواس.

٢-سناجق كليكا الأربعة: ماراش، وخوزان (سيس)، جبل بيركت، واضنة، بما فيها الأسكندرونة.

٣-جميع أراضي جمهورية أرمينيا في القوقاز، بما فيها محافظة يريفان، والجزء الجنوبي من الحكومة السابقة في تفليس، والجزء الجنوبي من الحكومة السابقة لآليزابيتول، ومحافظة قارص، ما عدا المنطقة الواقعة شمال اردهان^١.

بعد ذلك يخوض المُعدان في تفاصيل لا حصر لها من الإحصاءات، حسب وجهة نظرهم للأرمن وللمسلمين، ولحدود الولايات في العهد العثماني، وتلاعب الإدارة العثمانية بها، وهاجمت المذكرة أيضاً العرب السوريين الذين طالبوا بضم كليكا إلى الدولة السورية المستقبلية، وذلك لقلّة العنصر العربي في كليكا، وان تلك المنطقة تاريخياً هي مرتبطة بأرمينيا، وضمن ملحق تحت عنوان ملاحظات تكميلية(كليكا) ذكر المعدان بخصوص هذا الأمر أن مصطلح سوريا لم يكن مصطلحاً سياسياً في أي وقت تاريخي، ولا توجد هناك مملكة اسمها مملكة سوريا في التاريخ وان اسم سوريا جاء من اسم أحد قواد اسكندر المقدوني سلوقس الذي أسس مملكة امتد حكمها بين (٣١٢ ق.م-٦٤ ق.م)، وتحت عنوان (المطالب الأرمينية) أدرج الوفد الأرميني خمسة مطالب لإقامة الدولة الأرمينية هناك منها: اعتراف الدول الكبرى بها، ودعمها مادياً ومعنوياً، والمطالبة بالتعويض، وطرد ومعاقبة الذين اشتركوا في المذابح، وقد أرفق مُعدا التقرير إحصائيات عن سكان الولايات الست، وسكان أرمينيا في القوقاز وكليكا، كما أرفقا بالمذكرة خارطة بيّنا فيها الحدود الدقيقة للدولة الأرمينية المستقبلية^٢.

أما المذكرة الثانية التي قدمها الأرمن إلى مؤتمر السلام في باريس فكان فحواها مثل فحوى المذكرة الأولى، وقد ركزت بشكل أعمق على الدور الأرميني في الحرب العالمية، وبيان الظروف التي مرت بها المنطقة بعد انتهاء الحرب مع انسحاب روسيا من الولايات الست، وضرورة إسراع دول الحلفاء في تقديم الدعم للدولة الأرمينية في القوقاز؛ لمواجهة الصعاب وتشكيل أرمينيا الكبرى^٣.

1. THE ARMENIAN QUESTION Before The Peace Conference..., Op.cit., P.8-9.

2. Ibid, P.17-20.

3. Ibid, P.65-69.

يظهر من خلال الإطلاع على مضامين المذكرة الأرمنية المرفوعة إلى مؤتمر السلام أن الأرمن لم يستفيدوا من التاريخ؛ فقد عرضوا حدوداً واسعة لدولتهم، لها موانئ على البحرين الأسود والأبيض، متعددين بذلك على جميع القوميات الأخرى في المنطقة، والتي لها أيضاً تاريخ طويل هناك وفي مقدمتهم الكرد، كما أن الدول الكبرى من جانبها - التي لها مصالح في المنطقة - رأت أنه من غير الممكن تأسيس أرمينيا على تلك الشاكلة التي يطالب بها الأرمن، كما أظهرت التقارير الانكليزية والأمريكية بعد ذلك - والتي سيأتي الحديث عن بعضها لاحقاً - زيف جميع الإحصائيات السكانية التي قدمها الأرمن في مذكرتهم تلك، وربما كان من الأسلم للأرمن في المنطقة الإسراع بتشكيل تحالف مع الكرد لضرورة الحفاظ على تلك المنطقة، وتشكيل دولتين كردية وأرمنية، التي أخذها منهما الأتراك لأنفسهم بعد ذلك، وهي ما تزال تابعة لهم.

ب- النشاط السياسي الكردي :

اختلفت الأوضاع عما كانت عليها في عام ١٨٧٨ عندما عُقد مؤتمر برلين، حيث كان الوجود الأرمني حاضراً بقوة فيه، ولم يكن هناك أي أثر للوجود أو النشاط الكردي، فبعد انتهاء الحرب العالمية الأولى أسس الكرد جمعيات سياسية قومية بحثت لأول مرة عن نوع من الاستقلال للشعب الكردي، سواء أكان تحت مظلة الخلافة الإسلامية في استانبول، أم الاستقلال التام مثلما فعلت جميع شعوب العالم.

لقد برز دور جمعيتين كرديتين في مجال الوقوف ضد المطالبات الأرمنية بالولايات الست، الأولى هي جمعية (تعالى كردستان) برئاسة الشيخ عبد القادر النهري، وكانت للعائلة البدرخانية برئاسة أمين عالي بدرخان دوراً متميز فيها، وكان مقرها العام في استانبول، ولسان حالها هي مجلة كردستان. أما الجمعية الثانية فهي جمعية (استقلال كردستان) وتسمى كذلك بـ (العصبة الكردية) برئاسة عارف باشا المارديني، وقد قام أحمد ثريا بدرخان بدور فعال في تلك الجمعية التي كانت مقرها في مدينة القاهرة بمصر^١.

قام رئيس جمعية تعالى كردستان وأعضاؤها منذ الوهلة الأولى بعد انتهاء الحرب

١. للتفاصيل عن دور الجمعيتين الكرديتين في الحياة الحزبية السياسية ينظر: عبد الستار طاهر شريف، الجمعيات والمنظمات والأحزاب الكردية في نصف قرن ١٩٠٨-١٩٥٨، ط٢، السليمانية، ٢٠٠٧، ص٤٤-٧٨؛ علي تتر توفيق، المصدر السابق، ص١٥٦-١٧٧.

بزيارة المسؤولين البريطانيين في استانبول، وتقديم تقارير حول أحقية الكُرد بالولايات الست-شمال كُردستان- من النواحي التاريخية، والسياسية، والسكانية^١، ولكن برزت من بين جميع أنشطتهم لسان حال الجمعية (مجلة كُردستان)^٢، التي يخال عند الاطلاع عليها أنها مجلة تُعنى فقط بالمسألة الأرمنية ودور الكُرد فيها، فلا يكاد عدد منها يمر، إلا ويُشار فيها إلى تلك المسألة، سواء للرد على الأرمن بخصوص عايدية الولايات الست وتاريخ الكُرد فيها؛ أم الدفاع عن موقف الكُرد في الحرب العالمية الأولى، وتفنيذ الاتهامات الموجهة إليهم بخصوص اشتراكهم في المذابح الأرمنية؛ أم الرد على الأرمن الذين كانوا يتهمون الكُرد بالجهل وأنهم لا يفقهون من المدنية الحديثة شيئاً.

انتقد (محمد) وهو احد المدرسين في دار الخلافة العليا الادعاءات الأرمنية التي كانت تطالب بالولايات الست، التي خلت من الأرمن تماماً في الحرب العالمية الأولى^٣، وطبقاً لـ(محمد عثمان بدرخاني) فان الأرمن: "يقومون بحيل وأعيب شتى من اجل إسقاط حقوق الكُرد فيها، وبهذا يؤثرون على أحاسيس ومشاعر الملايين من المسلمين هناك"، ويضيف بأنه تظهر في كل يوم على صفحات الجرائد الأرمنية مقالات مدعومة بالخرائط، والإحصائيات، والبيانات، بخصوص كون تلك الولايات أرمنية، ولكن الأرمن هم أنفسهم على يقين-كما يقول- بأن تلك المعلومات غير صحيحة، وعليهم الكف عن تلك الدعوات؛ لأنها ستجر البلاد إلى حرب لا تحمد عقباه^٤. وحسب (جانو الارضروملي)، ورداً على بطريك الأرمن (زوان)، الذي ذكر في أحاديثه للصحافة الأرمنية أن ارضروم ستكون عاصمة للدولة الأرمنية، فكان ردّ (جانو) عليه بأن: "أرضروم ستكون مقبرة لأرمنستان، وليست مقراً لسلطنتها"^٥.

ونشرت المجلة ثلاث مقالات بقلم كاتب يدعى(كاكه حمه) وكان من أشد المنتقدين

١. ينظر: احمد عثمان ابوبكر، المصدر السابق، ص ١٧٠-١٧٣ .

٢. كان رئيس تحرير مجلة كُردستان هو اوراسي زاده محمد شفيق، وصاحب امتيازها محمد ميهري.

٣. ينظر مقاله: داخلية ناظري جمال بك أفندي حضرتلرينه اچيق مكتوب، المصدر السابق، ص ٤٥-٤٧ . من المفيد هنا القول إن حياة أغلب هؤلاء الكتاب الذين كتبوا في مجلة كُردستان غير معروفة لحد الآن.

٤. ينظر مقاله: خوليا پروانة تشبثات، العدد نفسه، ص ٥٥-٥٦ .

٥. ينظر مقاله: ارمنستانك پايتخت وقوهء عسكريهسى، العدد (٦)، ١ أيار ١٩١٩، ص ٦٥-٦٦ .

للأرمن وحلفائهم الأوربيين، إذ يقول: إن الأرمن لا يكفون عن ترديد مقولة إن الولايات الست هي أرمنية، مع علمهم أن غالبية سكانها من الكرد، وكانت مكافأة الكرد بإنقاذ الأرمن خلال الحرب العالمية الأولى نعتهم بأبشع الصفات والأسماء وعلى حد وصفهم- أي: الأرمن وحلفائهم الأوربيين-: "أن الكرد شعب ظالم، وغدار، ووحشي"^١. ورد الكاتب (ابن الرشيد) على اتهامات الأرمن للكرد بأنهم لا يعرفون إلا مهنة الرعي، بالقول: إن الكرد بينهم تجار كثيرون يتاجرون بين كردستان وطرابزون و حلب، كما أن الشعير الذي يزرع في حقول ملازكرد وارجيش خير دليل على روعة الزراعة الكردية، وكان السجاد الكردي من أبرز مميزات الاقتصاد الكردي الحديث^٢. أما الكاتب (أمين فيضي) فذكر أن عدد الأرمن لم يقل في الولايات الست بل ازداد، خلافاً للدعاية الأرمنية التي تُردّد دائماً هذا الأمر، فحينما كان المسلمون والكرد يقاتلون في جميع أنحاء الدولة العثمانية وعلى حدودها المترامية، كان الأرمن يسكنون وينعمون في بيوتهم ويمتهنون المهن التي أغنتهم كثيراً^٣.

فضلاً عن هذا كله اشتكت جمعية تعالي كردستان، على صفحات مجلتها مرات عدة للحكومة العثمانية بضرورة التصدي والوقوف بحزم بوجه الدعاية الأرمنية، التي لم تكف عن ترديد المقولة: إن الولايات الست هي ولايات أرمنية، لأن ذلك من شأنه أن يُوترّ كثيراً العلاقات بين الكرد والأرمن في تلك المناطق وفي العاصمة استانبول نفسها، كما قامت مجلة كردستان بنشر بعض البرقيات، التي أتمتها من شمال كردستان تستنكر الادعاءات الأرمنية، حسب ما جاء فيها، بالولايات الست التي ذكر أصحابها أنها تمثل كردستان، وكان قد وقع على هذه البرقيات وجهاء ورؤساء العشائر الكردية، وعقبت مجلة كردستان على تلك البرقيات بأنها ستعمل جاهدة من

١. ينظر مقالاته على التوالي: عقدهء حيات-فديهء نجات اوله ماز، العدد(٧)، ٢١ ايار ١٩١٩، ص٧٥-

٧٦: امريقا هيئتك وظيفه سى، العدد(١٢)، ٢٦ اب ١٩١٩، ص١٤١-١٤٢؛ اوريهنت نيوز غزته سنه، العدد (١٣)، ١٣ ايلول ١٩١٩، ص١٥٠-١٥٣ .

٢. ينظر مقاله: وضعيت عموميهء اكراد برنظر...، ص٩٢-٩٧ .

٣. ينظر مقاله: ارمنى ازمامش چوغالمشدر، مجلة كردستان، العدد (١٥)، ١٢ تشرين الثاني ١٩١٩، ص١٧٩-١٨٠ .

٤. ينظر مثلاً: تبليغ رسمى، مجلة كردستان، العدد (٥)، ١٦ نيسان ١٩١٩، ص٥٣؛ پروستو، العدد (٦)، ١ ايار ١٩١٩، ص٥٨ .

اجل الوقوف ضد تلك الادعاءات، فمثلاً نشرت مجلة كُردستان في عددها الخامس الصادر بتاريخ ١٦ نيسان ١٩١٩، برقيتين جاءتا من كُردستان، الأولى من ملازكُرد، والثانية من معمورة العزيز، وفيما يلي نص البرقية الواردة من ملازكُرد:

(تلغراف) المصدر : ملازكُرد الرقم ٥٧

"يطلق على مناطق معمورة العزيز، دياربكر، بيتليس، وان، وأرضروم، والأراضي المجاورة لها اسم كُردستان، وهذا ليس إدعاءً من قبلنا نحن، بل هي حقيقة بديهية أكدها المؤرخون والعلماء الأوربيون، إذ إن العرق الكُردى سكن هذه المناطق منذ ثلاثة آلاف سنة، وان الجمعيات التي تشكلت، وداستير حقوق القوميات كلها تعمل على إيقاف الدماء التي أزهقت منذ أربع سنوات، وان جميع المساعي في المؤتمرات الأوربية نصت على ضمان وكفالة المحافظة على حقوق القوميات، ومع ذلك فإننا نستنبط من العديد من المنشورات والكتابات بأنه سيُغير اسم وطننا الأم التاريخي إلى اسم أرمنستان، متجاهلين أعدادنا المليونية تلبيةً لرغبات أعداد قليلة من الأرمن، الذين جاؤوا إلى هذا الوطن عن طريق اللجوء[الهجرة]... لذلك نطلب ممن يدافع عن حقوق الإنسان ومن المطبوعات العثمانية أيضاً بذل المساعي وإظهار الحقيقة، والدفاع عن كُردستان، والحفاظ على القوميات ذي النسب القليلة من التلاشي.(حسن رئيس عشيرة شاديلي، حسني رئيس عشيرة آلان، يوسف رئيس عشيرة ابزولي، عمر رئيس عشيرة بوستان، محمد علي رئيس عشيرة خسران)".^١

كما أشارت الوثائق البريطانية إلى أن مثل تلك الاحتجاجات الكُردية قد وصلت أيضاً إلى ساستها في استانبول من شمال كُردستان، حيث وصلت إليهم برقية من أرضروم بتاريخ ١٨ نيسان، ومن دياربكر في ٢٥ نيسان ١٩١٩.^٢ وعلى هذا الأساس لم يكن الكُرد غافلين عن الممارسات السياسية الأرمنية بخصوص الولايات الست، عكس ما كانت عليه أثناء عقد معاهدة سان ستيفانو وبرلين عام ١٨٧٨ .

لم تكن نشاطات جمعية (استقلال كُردستان) في القاهرة بأقل من دور جمعية (تعالى كُردستان) في استانبول في الدفاع عن الهوية الكُردية للولايات الست أمام المطالبات الأرمنية بها، وقد امتازت تقارير تلك الجمعية إلى السلطات البريطانية، ومؤتمر السلام

١. ينظر: تلغراف، مخرج: ملازكُرد نومر ٥٧، العدد (٥)، ١٦ نيسان ١٩١٩، ص٤٧-٤٨ .

٢. ينظر نص التلغرافين في : احمد عثمان ابوبكر، المصدر السابق، ص١٩١-١٩٢ .

في باريس، وشريف باشا المندوب الكردي في المؤتمر^١، بطابعها العنيف واستخدمت في تقاريرها أسلوب التهديد المباشر للأرمن، ولعل من ابرز تقارير جمعية استقلال كردستان في هذا المجال ذلك التقرير الذي تحت عنوان (كردستان أو أرمنستان: شهداء أم طغاة) والذي أرسلته مباشرة إلى مؤتمر السلام في باريس عن طريق شريف باشا، وقد طبعوا آلاف النسخ من هذا التقرير، الذي كتب باللغة الفرنسية، وقامت الجمعية بتوزيعها في أوروبا وفي الدولة العثمانية، وفي هذا المجال نورد نص الرسالة التي أرفقها رئيس الجمعية عارف باشا المارديني بهذا التقرير إلى شريف باشا، وجاء فيها: "...دحضاً للمطالب الباطلة، الواردة في ادعاءات الأرمن المضحكة، بعثنا بالآلاف من صور ما أعلنه من الكراسيات والبيانات... وإننا لن نتنازل عن شبر واحد من أراضي الولايات السبع^٢: (ارضروم، ودياربكر، ووان، وبتليس، وخربوط، والموصل) التي تشكل كردستان للأرمن مطلقاً... وفي الوقت الذي لا يشكل الأرمن من سكان هذه الولايات سوى خمسة بالمئة، فان سيادة خمس وتسعين بالمئة من المسلمين على هذه الولايات حقيقة لا تحتاج إلى برهان، ومن اجل الدفاع عن حمى وطننا المقدس فإننا مستعدون للموت بصورة جماعية، وليفكروا بكل بساطة هم [يقصد: الأوربيون] وأحبائهم الأرمن في هذا الأمر إذا كانوا يريدون البقاء أحياء..."^٣.

مرت الإشارة فيما سبق إلى تقرير (كردستان أو أرمنستان) الذي يتكون من (٢٣) صفحة، تناولت فيه جمعية استقلال كردستان تاريخ العلاقات الكردية الأرمنية، وفندت فيها جميع المطالبات الأرمنية بخصوص الولايات الست، التي تعد إرثاً كردياً، وكذلك الإحصائيات السكانية التي كان الأرمن يعتمدون عليها ويقدمونها للمحافل الدولية، وقد اعتمدت جمعية استقلال كردستان بدورها على الإحصائيات الواردة في دائرة المعارف

١. للتفاصيل عن حياة شريف باشا ودوره في مؤتمر السلام في باريس، ينظر: روهات الاكوم، شريف باشا: سنوات عاصفة لديبلوماسية كوردي، ترجمة: شكور مصطفى، دهوك، ٢٠٠٤؛ صالح محمد حسن (عزت بادي)، شريف باشا: حياته ودوره السياسي ١٨٦٥-١٩٥١، دهوك، ٢٠٠٥.

٢. في نص الرسالة جاءت الإشارة إلى الولايات السبع، إلا أن كاتب التقرير بعد ذلك عدّد ست ولايات لا سبعاً، وربما سقط اسم ولاية سيواس سهواً أثناء الطبع.

٣. ينظر: ماليسانز، بدرخانيو...، ص ٩٢-٩٣؛

-Şaban İba, Sevd'en Lozan'a Kürt Sorunu ve Kemalist Hareket, Istanbul, 2008, S. 198-199.

الفرنسية، والبريطانية، وكذلك الإحصاء الفرنسي في عامي ١٨٩٢ و ١٨٩٩، فضلاً عن إحصائيات أخرى عديدة، وفيها تذكر جمعية استقلال كُردستان أن عدد نفوس المسلمين في الولايات الست، التي يشكل الكُرد فيها الغالبية العظمى، كانت تفوق نسبة نفوس الأرمن بإضعاف، ويفند كذلك كل ما ورد في المذكرة الأرمنية المقدمة إلى مؤتمر السلام المر ذكره، كما أن التقرير المارّ هاجم روسيا في مرات عدة؛ لكونها كانت السبب الرئيسي في تطور العلاقات الكُردية الأرمنية سوءاً وسلباً، وأخيراً أملت الجمعية الكُردية من مؤتمر باريس للسلام في أن تأخذ تلك الملاحظات محمل الجد؛ لأنهم يثقون بعادتها^١.

الأرمذ في مذكرة شريف باشا المقدمة إلى مؤتمر السلام :

عند مقارنة تقرير جمعية استقلال كُردستان بما ورد من معلومات في مذكرة شريف باشا التي قدمها إلى مؤتمر السلام في باريس يظهر أن شريف باشا نفسه قد استقى العديد من معلوماته من هذا التقرير، وخصوصاً فيما يتعلق بالإحصاءات السكانية في الولايات الست.

قدم شريف باشا مذكرة إلى مؤتمر السلام في باريس بتاريخ ١٢ آذار ١٩١٩، تحمل عنوان (مطالب الشعب الكُردية) وقد قامت مجلة كُردستان بنشر نص تلك المذكرة باللغة التركية العثمانية^٢، وكان نص التقرير الأصلي باللغتين الفرنسية والانكليزية^٣. في بداية المذكرة تصدى شريف باشا -وهو يتطرق إلى العلاقات الكُردية الأرمنية- إلى مطالبة بعض الأوساط الأرمنية بالولايات الست، وعدّها أمراً لا يستند

1. KURDISTAN ou ARMENIE, Op.Cit.

٢. ذكرت أغلب المصادر أن شريف باشا كان قد قدم مذكرته، إلى مؤتمر السلام في باريس بتاريخ ٢٢ آذار ١٩١٩، ولكن في نص المذكرة التي نشرتها مجلة كُردستان في أربع حلقات حملت التاريخ ١٢ آذار ١٩١٩ .

٣. ينظر نص مذكرة شريف باشا في الأعداد الأربعة التالية من مجلة كُردستان: العدد (٩)، ٢٤ حزيران ١٩١٩، ص ١٠٩-١١٢؛ والعدد (١٠)، ١٣ تموز ١٩١٩، ص ١٢٢-١٢٣؛ والعدد (١١)، ٢ آب ١٩١٩، ص ١٣٣-١٣٤؛ والعدد (١٢)، ٢٦ آب ١٩١٩، ص ١٤٤-١٤٤ .

٤. لقد ذكر الباحث فؤاد حمه خورشيد مصطفى انه حصل على النص الأصلي من تقرير شريف باشا، الذي كان مكتوباً باللغة الانكليزية وترجمه الباحث المر ذكره إلى اللغة العربية، ينظر مؤلفه: القضية الكُردية في المؤتمرات الدولية، أربيل، ٢٠٠١، ص ١١٥ . وهناك اختلاف يسير في بداية التقرير الذي أورده فؤاد حمه خورشيد مع التقرير الذي نشرته مجلة كُردستان.

على أي حقيقة، وتظهر آثار معارضته الشديدة وموقفه المتشدد في هذا الموضوع في العبارات "مطالب الامبريالية-الأرمنية من دون حدود" في مدخل المذكرة^١، ثم يتناول شريف باشا عراقا الشعب الكردي في المنطقة منذ التاريخ القديم على أن الكرد هم من رسموا الملامح التاريخية لتلك الولايات الست التي يطالب بها الأرمن، وحدد شريف باشا حدود كردستان في مذكرته على النحو الآتي:

"إن حدود كردستان تركيا [يقصد: الدولة العثمانية] من وجهة النظر الانثروبولوجية، تبدأ في الشمال من: زيفن، عند الحدود القوقازية وتستمر باتجاه الغرب إلى ارضروم، ارزنجان، كه مه، عرب كير، بهسمي وفك، وتتبع في جهة الجنوب: خط حران، تلال سندنهار، تل اصفر، أربيل، كركوك، سليمانية، كلمان، سنه، وفي الشرق تبدأ من رواندوز، باش قلا، وزير قلا، أي امتداد حدود فارس حتى جبل أرارات"^٢.

هنا تكمن المعضلة في تاريخ العلاقات الكردية الأرمنية، إذ إن الشعبين في مذكرتيهما إلى مؤتمر السلام، طالبا بنفس الأراضي، أي: الولايات الست، فإن الجانب الأرمني لم يتنازل عن شبر من تلك الأراضي، وكذا الجانب الكردي وما زال كل منهما يضعها ضمن خارطته الكبيرة.

لقد دافع شريف باشا من جانبه، وبالاعتماد على مصادر التاريخ القديم، عن الأصل الكردي في كردستان وانتقد الأرمن في مطالبتهم بالولايات الست، وقد أشار إلى بعض الإحصائيات الأجنبية التي تؤيد وجهة النظر الكردية في أن الكرد منذ القدم وحتى الآن يشكلون أصحاب النسبة السكانية العالية من بين جميع العناصر الأخرى في الولايات الست، وخاصة عند مقارنتهم بالأرمن. ومن بين الملاحظات المثيرة في تقرير شريف باشا، عند احتساب النسب السكانية، هو استناده على العدد الكبير من الفرسان الحميدية، ويعدد قبائلهم في شمال كردستان، ويعطي شريف باشا الفكرة القائلة: إن مجرد كثرة القبائل الكردية وكثرة عدد أفرادها التي انضوت تحت لواء الفرسان الحميدية تعطي الجواب المقنع بأن الكرد لم يكونوا إلا أصحاب النفوس الأكثر عدداً في شمال كردستان^٣.

١. نقلاً عن: روهات الاكوم، المصدر السابق، ص ١٢٨ .

٢. نقلاً عن: فؤاد حمه خورشيد، المصدر السابق، ص ١١٥ .

٣. ما بعد (٢)، مجلة كردستان، العدد (١٠)، ١٣ تموز ١٩١٩، ص ١٢٢-١٢٣ .

إن ابرز ما يمكن ملاحظته في مذكرة شريف باشا، لا تكمن في المعلومات التي أوردها سواء تلك التي تثبت عراقة الشعب الكردي في المنطقة، أو في الإحصائيات التي تثبت أن الكرد كانوا يفوقون جميع العناصر الأخرى من حيث عدد النفوس، ولكن لا ترد في تلك المذكرة جملة واحدة عن الأتراك، من حيث واقع الظلم الذي فرضوه على الكرد في المنطقة عبر تاريخهما الطويل، وان تطرق إلى التاريخ الكردي التركي في بعض المرات، لأن القضية آنذاك بالنسبة للكرد كانت هي الخروج من كنف الأتراك، وليس الانشغال بالأرمن حسبما تطرقت إليه اغلب المصادر التاريخية، ويظهر من خلال الإطلاع على نص مذكرة شريف باشا أنها موجهة من أولها إلى آخرها ضد مطالبات الأرمن في شمال كردستان، ويظهر وكأن الكرد كانوا قد انتهوا فعلياً من الأتراك، وهنا توجي مضامين المذكرة أن المشكلة الكبيرة والمعقدة التي واجهت الكرد بعد الحرب العالمية الأولى ليس الأتراك، على حد علم الكرد آنذاك، وإنما الأرمن الذين طالبوا بالولايات الست، وكانوا يلقون دعماً كبيراً من حلفائهم الأوربيين.

وتعطي تلك التقارير الكردية كلها، المرفوعة إلى الساسة الأجانب وخاصة البريطانيين منهم، وأيضاً مقالاتهم المنشورة في صحافتهم آنذاك، فضلاً عن مذكرة شريف باشا الفكرة الآتية: "أن الكرد كانوا قد استخلصوا إلى واقع انتهاء الحكم التركي للكرد وكردستان، وإنهم كانوا قد حازوا الاستقلال فعلياً أو اقتربوا منه وكان قاب قوسين منهم، وأن المشكلة الأساسية التي واجهت الكرد بعد الحرب كانت المسألة الأرمنية التي كانت العقبة الأكبر أمام تحقيقهم استقلال دولة كردستان".

خامساً- موقف الدول الكبرى من المسألتين الأرمنية والكردية

مع توصل الحلفاء بعد انتهاء الحرب إلى إصدار القرار التالي: "أن الحلفاء والدول المنضمة إليهم قد اتفقوا على أن أرمينيا، وسوريا، وميسوبوتاميا، وكردستان، وفلسطين، وشبه الجزيرة العربية يجب فصلها تماماً عن الإمبراطورية التركية"^١، إلا أنه لم يكن هناك مجال للمقارنة بين حظوظ كل من أرمينيا وكردستان بشأن استقلالهما عند الدول الكبرى، ويلاحظ في نص القرار المار الذكر ورود اسم أرمينيا قبل أسماء جميع الكيانات الأخرى، فإن الدول المنتصرة في الحرب بجانب روسيا البلشفية كلها كانت متفقة على إعطاء الولايات الست للأرمن في البداية، ولكن واقع ما بعد الحرب في تلك الولايات أوجدت فيها أكثرية كردية مطلقة اصطدمت بآمال تلك الدول، وبتعهداتها للأرمن، وتنازلت إلى تقسيم الولايات الست بين الأرمن الذين حصلوا حسب معاهدة سيفر والتحكيم الأمريكي على الجزء الأكبر منها هي: أرضروم، وان، بتليس وجزء من سيواس، والكرد الذين ترك لهم خربوط ودياربكر، رغم أن أغلب الإحصائيات دلت على أن عدد الأرمن لم يكن يتجاوز في تلك الولايات ما نسبته (٥٪) من مجموع السكان فيها. وفيما يأتي باختصار مواقف تلك الدول من المسألتين الأرمنية والكردية:

أ-روسيا (السوفيتية)^٢:

اتخذت روسيا السوفيتية بعد انقلاب أكتوبر عام ١٩١٧، موقفاً مضاداً للطموحات الكردية في الاستقلال، مقارنة بالطموحات الأرمنية في المنطقة، فنشرت بتاريخ ٣

١. احمد عثمان ابو بكر، المصدر السابق، ص ١٢ .

٢. من المهم الإشارة إلى أن مصطلح السوفيت وتعني (مجلس محلي)، أطلق رسمياً على الدولة الروسية في عام ١٩٢٢ بعد انتهاء الحرب الأهلية فيها، وياتت تعرف تلك الدولة الحديثة التي بنيت على أنقاض ممتلكات روسيا القيصرية السابقة اسم (اتحاد الجمهوريات السوفيتية الاشتراكية)، ويات يعرف بعد ذلك بالاسم المختصر (الاتحاد السوفيتي)، ولكن مصطلح السوفيت كان متداولاً في روسيا منذ عام ١٩٠٥ . ينظر: الان تد، المصدر السابق، ص ١٠٣-١١١؛ عبد الوهاب الكيالي وآخرون، المصدر السابق، ج ١، ص ٣١ .

كانون الأول ١٩١٧ مرسوماً بعنوان (نداء إلى العمال المسلمين في الشرق)، يدعوهم فيه إلى النضال في سبيل حريتهم ضد الامبريالية، خاطبت في هذا النداء عدداً من الشعوب الإسلامية في الشرق، كما أنها ذكرت الأرمن في مقطع خاص رغم أنهم ليسوا بمسلمين، وأما الكرّد فلم يأت النداء على ذكرهم، كما صرح هذا النداء برفض روسيا السوفيتية أي نوع من السياسات التي تؤدي إلى تقسيم تركيا، التي سيظل قسم من الأرمن فيها تحت السيادة التركية، ولكن الأرمن يجب أن يمنحوا حق تقرير المصير، هذا المطلب الذي سيؤدي في حال توفر الظروف الملائمة إلى قيام دولة أرمنية مستقلة^١، كما أصدرت روسيا السوفيتية في ١١ كانون الثاني ١٩١٨ مرسوماً سمي بـ(أرمينيا التركية)، التي ألحقت أغلب فقراتها بمعاهدة بريست ليتوفيسك، وأعلنت هذه الوثيقة عن تأييد الحكومة الروسية لحق الأرمن في أرمينيا التركية، في حق تقرير مصيرهم بما في ذلك الاستقلال التام، وتضمنت عدداً من الإجراءات الملموسة التي من شأنها تجسيد مثل هذا الحق، منها: انسحاب جميع الجيوش من هذه الأراضي، وتشكيل الميليشيا الأرمنية، وعودة المهاجرين واللاجئين الأرمن، وإنشاء أجهزة السلطة المنتخبة بصورة ديمقراطية^٢. ولم تبدِ روسيا السوفيتية أي ميل تجاه الكرّد. ومما يجب ذكره في هذا المجال أن روسيا كانت أول دولة تدخل في علاقات مع الحركة الكمالية، التي تخوفت منها دول الحلفاء كثيراً^٣، فضلاً عن أنها وقفت ضد أي نوع من الاستقلال الكردي في شمال كردستان، لمعرفة المسبقة بأن هذا الكيان ستخضع إدارته لبريطانيا^٤.

-
١. ينظر: فاضل رسول، المصدر السابق، ص ١٥٣-١٥٥؛ ميهفان محمد حسين رشيد البامرني، سياسة الاتحاد السوفيتي تجاه الحركة القومية الكردية التحريرية في كردستان الجنوبية ١٩٤٥-١٩٦٨: دراسة تاريخية تحليلية، اربيل، ٢٠٠٨، ص ٢٩-٣٠.
 ٢. م.س. لازاريف، المسألة الكردية ١٩١٧-١٩٢٣ ...، ص ٣٢.
 ٣. بيار مصطفى سيف الدين، المصدر السابق، ص ٣٣-٣٤؛ قادر سليم شمو، موقف الكورد من حرب الاستقلال التركية ١٩١٩-١٩٢٢، دهوك، ٢٠٠٨، ص ٢١٨-٢٢٣.
 ٤. فاضل رسول، المصدر السابق، ص ١٥٦-١٥٧.

ب-فرنسا :

أرادت فرنسا أن تنأى بنفسها عن المسألة الأرمنية منذ بداية الحرب العالمية، وتترك تفاصيلها للدول الأوروبية الأخرى المتحالفة معها، أولاً لروسيا؛ ثم لبريطانيا، فرغم الدعم المعنوي الكبير من الفرنسيين للمسألة الأرمنية في أغلب اجتماعاتهم السياسية، التي كان الفرنسيون يتناولون فيها المسألة الأرمنية، منها مثلاً قول أحد ساستهم ويدعى (لويس مارتين-Louis Martin) في اجتماع يعود تاريخه إلى ١٢/١١/١٩١٦، مع بعض الأرمن انه: "عندما تدق ساعة الإصلاح الشرعي فان فرنسا لن تنسى المحاكم المروعة للأرمن"^١، ولكن يبدو عند النظر إلى السياسة الفرنسية تجاه المسألة الأرمنية بعد ذلك أن فرنسا أرادت الابتعاد عنها قدر الإمكان، وخاصة الابتعاد عن الأرمن الكريكورين، الذين كانوا يشكلون الأغلبية المطلقة من الأرمن في شمال كردستان، وهذا ما ظهر جلياً في اتفاقية سايكس-بيكو-سازانوف عام ١٩١٦، فبعد محاورات مطولة بين الأطراف الثلاثة وافقت فرنسا على ضم الأرمن الكاثوليك فقط، المتدينين والبعيدين عن المشاكل إلى نفوذها عكس الأرمن الكريكورين^٢، حيث منحت مناطق (الموصل، وعبتاب، وأورفة، وماردين، وهكاري، وكليكا) إلى فرنسا، ومنحت المناطق الباقية من شمال كردستان إلى روسيا^٣.

وبعد انتهاء الحرب العالمية انشغلت الأوساط السياسية الفرنسية في شمال كردستان، بمحاولات تشكيل كيان سياسي للأشوريين بعيداً عن المناطق الأرمنية، وصبت أغلب مساعي السياسة الفرنسية في هذا المجال^٤، وهذا لا ينفي دخولها في مناقشات مع الجانب البريطاني، في مرات عدة، حول المسألتين الأرمنية والكردية، وإعطائها بعض الطول المحايدة إلى حد ما، نتيجة للكثرة العددية الكردية، التي ظهرت للعيان بشكل واضح في شمال كردستان، ومن بين تلك المواقف التي تجدر الإشارة

1. A. P. HACOBIAN, ARMENIA AND THE WAR, LONDON-NEW YORK, 1917, P.50-51.

2. Richard G. Hovannisian, The Allies and Armenia 1915-1918, Journal of Contemporary History, Vol. 3, No. 1, Jan., 1968, P.160-161.

٣. ديفيد مكدول، المصدر السابق، ص١٩٥-١٩٦؛ فارس عثمان، الكرد والارمن: العلاقات التاريخية، دمشق، ٢٠٠٨، ص ٧٠ .

٤. ينظر: احمد عثمان أبو بكر، المصدر السابق، ص٢٢-٢٥ و ص٨١-٨٢ .

إليها هي تلك المناقشات التي دارت بين وزارة الخارجية البريطانية والفرنسية في كانون الأول ١٩١٩، وكان الممثل الفرنسي فيها هو بيرتليو، حيث قدم مذكرة إلى اللورد كيرزن الممثل البريطاني في ٢٣ كانون الأول ١٩١٩ تحدث فيها عن هاتين المسألتين بقوله: إن مسألة تنظيم مستقبل كُردستان تشكل معضلة معقدة مثل المسألة الأرمنية، وأن من المستحيل إلحاق كُردستان بأرمينيا، وليس هذا لكون أن الأرمن يشكلون أقلية عديدة فقط، وإنما يعود ذلك أيضاً إلى أنه ليس من العدل أولاً فعل ذلك، ولأنه من المستحيل عملياً إخضاع الكُرد لجيرانهم الأرمن الأقل عدداً منهم دائماً، إن الكُرد يمكن أن يتقبلوا المدنية، حسب بيرتليو وكان صلاح الدين الشهير المغوار واحداً منهم، إن موقع كُردستان الجغرافي وطبيعة أرضها وخصائص سكانها تجعل منها بلداً قائماً بذاتها^١، إلا أن بيرتليو نفسه عارض تقسيم تركيا في مؤتمر القاهرة الذي عقد في شباط ١٩٢٠ عندما كان ممثلاً عن الجانب الفرنسي فيها، وكانت له آراء متضاربة بخصوص مستقبل كُردستان^٢.

لقد كانت فرنسا، وخصوصاً الرأي العام الشعبي فيها، من المؤيدين بشدة لقيام الدولة الأرمنية في الأناضول، ولم تدخل المسألة الكُردية في حساباتها، إلا بعد اصطدامها بالواقع السكاني في الولايات الست، الذي طغا عليها العنصر الكُرد بعد انتهاء الحرب، ولكن يبدو أن فرنسا حتى قبل ذلك، ومن خلال الإطلاع على مواقفها السياسية، أرادت الابتعاد قدر الإمكان عن المسألة الأرمنية، ربما لصعوبة حلها مقارنة بالمسائل الأخرى في المنطقة، التي ستتطلب جهداً عسكرياً ومادياً، وكذلك لأن فرنسا نفسها كانت لها أطماع في الأناضول، بأن ضمت إليها اغلب المناطق التي يسكنها الأرمن الكاثوليك.

١. احمد عثمان أبو بكر، المصدر السابق، ص ٧٩ .

٢. المصدر نفسه، ص ٩٠-٩١ .

ج-الولايات المتحدة الأمريكية :

ربما أن هناك قلة من الشعوب استبشرت بالبند الأربعة عشرة للرئيس الأمريكي (ودرو ولسن-Woodrow Wilson)(١٩١٣-١٩٢١) مثل الكُرد^١، التي أعلنها بعد الحرب العالمية الأولى، ومضمونها حق تقرير المصير لجميع الشعوب^٢، ولكن الولايات المتحدة الأمريكية هي أيضاً بدورها كانت تفرق في حساباتها بين المسألتين الأرمنية والكردية، وانه ليس هناك حتى مجال المقارنة بين المسألة الكردية بنظيرتها الأرمنية، وحقوق كلا الشعبين في الولايات الست، رغم اعتراف ساستها وضباطها، الذين زاروا المنطقة بعد انتهاء الحرب العالمية أن الولايات الست هي ذات أغلبية كردية واضحة. وفي هذا المجال يجب التنويه إلى أن الولايات المتحدة الأمريكية كانت إحدى اكبر الدول الداعمة للمسألة الأرمنية منذ الربع الأخير من القرن التاسع عشر، وكانت هي بجانب الألمان قد نقلوا المسألة الأرمنية في الحرب العالمية الأولى إلى العالم اجمع، عن طريق تقارير قنصلها ومبشرها في شمال كردستان، فمن احد أهم المصادر التي اعتمد عليها الحلفاء، ومن بعدهم الباحثون والمؤرخون لتجريم الأتراك والكُرد، في المذابح الأرمنية في عام ١٩١٥، كانت مذكرات سفيرها في استانبول هنري مورغنتاو السابق الذكر.

يبدو أن تقارير المبشرين الأمريكيين وكذلك تقارير قنصلها في خربوط ليسلي كانت قد

١. ربما لا تخلو مقالة في مجلة كردستان، إلا وتحدثت عن تلك البنود الأربعة عشرة للرئيس الأمريكي وان كان عابراً، ينظر مثلاً نص التلغراف من معمورة العزيز الذي يستبشر بتلك البنود: مخرج: معمورة العزيز- نومرو ٢١٦٣: كردستان تعالی جمعیتی ریاستنه، مجلة كردستان، العدد (٥)، ١٦ نيسان ١٩١٩، ص٤٨-٤٩. حول هذا الأمر ينظر كذلك: ئيسماعيل كويلداس، سه رچاوه پيشوو، ل٣٣٢-٢٧.

- من المهم في هذا الصدد الإشارة إلى حادثة الشيخ محمود الحفيد، عندما قبض عليه البريطانيون اثر حركة قام بها ضد الاحتلال البريطاني لمدينة السليمانية في النصف الأول من عام ١٩١٩، فعندما زاره الحاكم المدني في العراق ولسن، يذكر ولسن بنفسه، انه كان هناك طلسم مربوط بذراع الشيخ محمود، وفيه نسخة من القرآن الكريم وعلى الورقة الأولى البيضاء منها، مكتوب بالكردية بعض من بنود مبادئ الرئيس الأمريكي ولسن الأربعة عشرة، التي تؤكد على حق تقرير المصير لكافة الشعوب، وكان الشيخ قد قرأها على ولسن الذي يقول أنها تركت في نفسه أثراً كبيراً. ينظر: ديفيد مكدول، المصدر السابق، ص٢٥٣؛ بيار مصطفى سيف الدين، المصدر السابق، ص٦٠.

٢. ينظر نص تلك البنود في: هـ. أ. ل. فيشر، المصدر السابق، ص٧٤٧-٧٤٩.

أثرت كثيراً في موقف السياسة الأمريكية تجاه الكُرد سلباً، حتى بعد ورود تقارير تنصف الكُرد من جانب ساستها، أمثال (وليم كريسون-William P.Cresson)سكرتير السفارة الأمريكية في بيتروكراد، حيث وجه كريسون تقريراً إلى وزير الخارجية في ١٥/٤/١٩١٧، تحدث فيه عن العلاقات بين الكُرد والأرمن، بهذا الوصف: "يجب أن نضع في ذهننا أن السكان الأرمن حتى السنوات الأخيرة كانوا يعيشون في المناطق الحدودية التركية بصورة ودية مع جيرانهم المسلمين، وطبقاً للمصادر الموثوقة (وبصورة خاصة لينج وسايكس)، فإن الوضع المزري الحالي جاء منذ انعقاد مؤتمر برلين عام ١٨٧٨"، وقد تضمن التقرير أيضاً رأياً مختلفاً حول الاشتراك الفعلي بالحرب بين الأرمن والكُرد، الذين يسكنون في المناطق الشرقية من بلاد الأناضول، فقد ذكر في التقرير ما يأتي: "فيما يتعلق بقرار الدول الذي وجهته إلى الباب العالي بلغة أشعلت دم القبائل الكُردية الصابرة، وذلك لأنه تجاهل معظم حقوقهم الأساسية، وقد أدى هذا القرار إلى توحيد مصالح رعايا الباب العالي، لأول مرة في التاريخ مع حكومة القسطنطينية، وإن تجاهل حقوق الكُرد جعلهم في موقف معارض لجيرانهم المسيحيين..."^١.

بعد انتهاء الحرب العالمية حصل إجماع بين الدول المنتصرة على أن تتولى الولايات المتحدة الانتداب على الدولة الأرمنية، التي ستتشكل في الأناضول إن رغبت بذلك، كانت الولايات المتحدة الأمريكية من جانبها تبحث في أمر الانتداب هذا، ونتيجة لظهور خلافات بينها وبين كل من بريطانيا وفرنسا حول مصير المناطق التي انتزعت من الدولة العثمانية قامت الولايات الأمريكية المتحدة بإرسال لجننتين إلى الدولة العثمانية لمعرفة رأي سكانها من الانتداب والاستقلال، اللجنة الأولى هي التي عرفت في التاريخ الحديث بـ(لجنة كراين-King Crane)، التي أرسلت إلى سوريا والبلاد العربية في آب ١٩١٩، وعندما كانت تلك اللجنة في استانبول اتصلت بها بعض الأطراف الكُردية وبعض الصحفيين بشأن الولايات الست، فمن بين وثائق تلك اللجنة يظهر العنوان التالي (بعض المندوبين من الألوية الشرقية)، وقد جاء فيه ما يلي: "من بين آخر الذين ظهروا أمامنا كانوا ممثلي الحزب الديمقراطي الكُرد^٢، الذين دعوا إلى تأسيس حكومة كُردية في تلك المناطق، التي يشكل فيها الأكراد الأكثرية العظمى من السكان،

1. Seçil KARAL AKGÜN, Op.Cit., P. 48.

٢. للتفاصيل عن هذا الحزب، ينظر: علي تتر توفيق، المصدر السابق، ص١٧٨-١٨٤ .

فقد طالب ممثلو الأكراد هؤلاء بـ: ولايات خربوط، وديار بكر، ووان، وبتليس، وبايزيد، وكل الموصل، ومن جهة أخرى فإن الأكراد (رغبوا في الحكم الذاتي -الاونومي- تحت الانتداب البريطاني كجزء من العراق)..كانت كُردستان وطنهم الخاص بهم، وكانوا على استعداد للاعتراف بأرمينيا خارج نطاق منطقتهم^١. ومن جهته فقد طلب الصحفي المعروف ومحرر صحيفة (الوقت) أحمد أمين (بالمالمان)، من أعضاء تلك اللجنة عدم إعطاء تلك الأراضي للأرمن، التي يؤلف الأتراك والكُرد أكثرية السكان فيها، وحسب رأيه يجب على الكُرد الأعداد فيها للإدارة الذاتية^٢.

أما اللجنة أو البعثة الثانية التي أرسلتها الولايات المتحدة الأمريكية إلى الدولة العثمانية فهي بعثة الجنرال (جيمس هاربورد-James G. Harbord)، هذه البعثة كانت قد أرسلت خصيصاً إلى الولايات الست، فقد قامت بزيارة أغلب المدن فيها، بدءاً من ديار بكر وحتى ارضروم في صيف ١٩١٩، وانتهت البعثة من كتابة تقريرها في تشرين الأول ١٩١٩، وأوصى هاربورد في تقريره بأن الولايات المتحدة الأمريكية إذا أرادت الحصول على الانتداب على أرمينيا فانه لا بد من انتدابها جميع الأناضول بما فيها العاصمة استانبول والمضائق، لأنه من الصعب جداً، حسب هاربورد، أن ينجح أي انتداب في المنطقة إذا لم توضع ضمن انتداب واحد فقط، وقد أبدى الكُرد والأتراك رغبتهم بانتداب أمريكا للأناضول كما أشار في تقريره، كما ذكر أن الكُرد هم أصحاب النسبة السكانية العالية في الولايات الست مقارنة بأي عنصر آخر^٣، ومن الملاحظات التي أبدتها بعثة هاربورد أيضاً، ضرورة عدم إعطاء الحكم في أرمينيا للأرمن، بعد أن تُخطط حدودها، وذلك خوفاً من عمليات الانتقام، التي ما تزال تجري في يريفان بحق المسلمين والكُرد هناك، حيث يقول في هذا الصدد:

"...إن المشاعر بخصوص الأرمني هنا، عبّر عنها وفق القول الوارد في الشرق الأدنى(إن الأرمني من الناحية القانونية لا يمكن أن يكون على خطأ، ولا يمكن أن يكون من الناحية الأخلاقية على صواب)، حتى أن البعثة الأمريكية لا تحب الأرمني، عندما يقوم بأعماله بذكاء، كما أن الأرمني لا يمكن أن يكون بريئاً من الدم، كما إن

١. احمد عثمان ابوبكر، المصدر السابق، ص ١٣ .

٢. م.س. لازاريف، المسألة الكُردية ١٩١٧-١٩٢٣ ...، ص ١٥٦ .

3. MAJ. GEN. JAMES G. HARBORD, Op.Cit., P.4-17.

ذاكرته هي طويلة وانتقامه مستحق، وانه قادر على ذلك إذا ما توفرت له الفرصة...^١. كما التقى المستر هوهلر، سكرتير في دائرة المندوب السامي البريطاني في استانبول، مع الجنرال ماكوي مساعد الجنرال هاربور، في منتصف تشرين الأول ١٩١٩، وتطرق ماكوي مع هوهلر في نقاشه حول الأوضاع في شمال كردستان إلى انه "بقي عدد قليل جداً من الأرمن في الولايات التي تزعم، بحسب الصحافة، إقامة أرمينيا الجديدة فيها، وان الأكراد وحدهم بقوا هناك"^٢.

هنا يبدو أن التقارير الأمريكية ذكرت بشكل واضح أن الكرد هم أصحاب النسبة السكانية الأكبر في الولايات الست بعد الحرب العالمية الأولى، ولكن السياسة الأمريكية لم يتخلوا عن الأرمن في هذا المجال أبداً، وان لم يكن الدعم الأمريكي لهم دعماً عسكرياً أو مادياً، إلا أن الأرمن تلقوا دعماً معنوياً كبيراً من الولايات المتحدة الأمريكية، التي حكم رئيسها، عندما اختير لكي يكون حكماً في حقوق الولايات الست إلى تركيا أو إلى أرمينيا، هنا حكم على عانديتها إلى أرمينيا ما عدا خربوط، ودياربكر، وجزء من سيواس، ولم يرد ذكر الكرد في قرار التحكيم للرئيس ودر ولسن، كما سيأتي الحديث عن هذا الموضوع لاحقاً.

د-بريطانيا :

كانت الأحزاب والمنظمات الأرمنية منذ بداية تسعينات القرن التاسع عشر قد أسست مراكز لها في بريطانيا، وحاولت التأثير على قرارات وتوجهات الحكومات البريطانية المتعاقبة بهدف تبني مسألتهم في الدولة العثمانية، لذلك أولت سياسة بريطانيا الخارجية اهتماماً كبيراً بها. فكانت المسألة الأرمنية متواجدة على الدوام على صفحات أبرز الصحف البريطانية، كما أفرد البرلمان البريطاني مرات عدة جلسات خاصة لبحث تلك المسألة فقط. وقد وجد الأرمن على الدوام أصدقاء لهم في معظم الحكومات البريطانية، وكذلك في مجلس العموم واللوردات البريطانيين، ولعل أبرز أصدقاء الأرمن من البريطانيين الذين ترد أسماءهم في هذا المجال هم: جيمس برايس، وكلاستون، وارنولد توينبي. وعلى هذا الأساس كانت بريطانيا شعباً وحكومة مساندة وداعمة بقوة

1. Ibid, P. 18.

٢. احمد عثمان ابوبكر، المصدر السابق، ص ٤٠-٤١ .

لتأسيس كيان أرمني في الولايات الست، ولكن السياسة البريطانية اصطدموا بواقع مرير لم يتوقعوه بهذا الشكل بعد انتهاء الحرب العالمية، وهو انه لم يبق في الولايات الست إلا العنصر الكردي، الذي أصبح من أكبر العوائق أمام تأسيس دولة أرمنية فيها.

وظهر واضحاً مدى حظوظ كل من أرمنستان وكردستان لدى بريطانيا، والفرق بينهما في الجلسة الأولى، المخصصة للدولة العثمانية في مؤتمر باريس للسلام التي عقدت في ٣٠ كانون الثاني ١٩١٩، حيث جرت مناقشة واسعة للمشروع الذي تقدم به الجانب البريطاني في المؤتمر، واتضح في تلك الأثناء جانباً مثيراً للفضول، فقد تبين أن عبارة (كردستان) لم تكن موجودة في المشروع الأول الذي تقدمت به بريطانيا، وقال (لويد جورج - Lloyd George) رئيس وزراء بريطانيا حرفياً بعد إدخاله تعديلاً على مشروع الوفد البريطاني: "إن مما يؤسف له أنه أغفل بلداً واحداً داخل في عداد تركيا، لأنه ظن أن ميسوبوتاميا وأرمينيا تغطيان عليه، لكنه أبلغ بأن الأمر ليس كذلك، وهذا ما يتعلق بكردستان، التي تقع بين ميسوبوتاميا وأرمينيا، ولهذا فإنه يقترح أن لم تكن ثمة اعتراضات بضم (كردستان) أيضاً إلى المشروع"، ولم يلق ذلك أي اعتراضات^١.

بمجرد معرفة هذه القضية يتضح جانب مهم عن السياسة البريطانية تجاه المسألتين الأرمنية والكرديّة، ففي المشروع الذي قدمته إلى مؤتمر السلام في باريس، كما هو معروف كان اسم أرمينيا يأتي في المقدمة، كما مر سابقاً، واسم كردستان لم يكن مكتوباً وموجوداً في المشروع البريطاني أصلاً، فأين تكمن حظوظ كردستان بعد ذلك، أمام حظوظ أرمنستان المدعومة من كل الأطراف الدولية؟!

في اجتماع عقده بعض السياسة البريطانيين برئاسة كلادستون في مدينة وستمنستر في ١٩/٦/١٩١٩، لبحث المسألة الأرمنية وحدود أرمنستان، وقد كان حاضراً في الاجتماع جيمس برايس، وانترانيك باشا، و(١٨) مندوباً من الولايات المتحدة الأمريكية، وقد عقد هذا الاجتماع تحت اسم (أرمينيا والحل)^٢، تحدث في

1. Margaret MacMillan, Op.Cit., P. 444;

- م.س. لازاريف، المسألة الكرديّة ١٩١٧-١٩٢٣ ... ص ١٤٥-١٤٦؛ مالكولم ياب، المصدر السابق، ص ٣٣٠.

2. ARMENIA THE SETTLEMENT, REPORT OF PUBLIC MEETING TO EXPRESS SYMPATHY WITH THE ARMENIAN CAUSE, HELD AT THE CENTRAL HALL, WESTMINSTER, ON THURSDAY, JUNE 19TH, 1919, LONDON, 1919, P.16.

البداية جيمس برايس عن حدود أرمينيا الكبرى، وذكر تفوق العنصر الأرمني مدنياً على جميع العناصر في الدولة الأرمنية التي ستؤسس في الأناضول، وان المشكلة الوحيدة التي يخشى منها تأتي من الكرد، فان الكرد كما هو معروف شعب لا يعرف الهدوء، ولكن بعد ذلك كله فإن الاضطراب التي سببها الكرد خلال (٦٠) أو (٧٠) سنة الماضية، كان بتحريض من الأتراك، ومتى ما زال النفوذ التركي سوف لا يوجد هناك أي سبب لحدوث أي اضطرابات، كما أن الكرد سوف يستقرون، واعتقد، يقول برايس: "أن قوة عسكرية صغيرة سوف تمنع أي اضطراب بين الكرد وجيرانهم المسيحيين، وفي بعض المناطق التي يشكل فيها الكرد الأغلبية فإنهم بطريقة أو بأخرى يتمتعون باستقلاليتهم، وان هذه المسائل كلها سوف تُسوى إذا ما قامت كل الدول بتكريس جهودها على إتباع طرق معينة لحسم المسائل"^١، ثم تحدّث في الاجتماع عدد من الشخصيات الأخرى وكان من بينهم (اثليستان ريلي - Athelstan Riley)، الذي تطرق إلى الكرد على النحو الآتي: "...في المقام الأول ليس للكرد أي شيء يبيعه، وفي المقام الثاني يعد الكردي سارقاً محترفاً، وهكذا كان على مر القرون، فقد عرفنا ذلك وعرفنا ذلك أكثر مع الانسحاب المشهور لعشرة آلاف إغريقي^٢، فانه سارق وفرد من أفراد العصاة، ولا يمكن في أي حال من الأحوال أن يعم النظام والسلام في أرمينيا والدول المجاورة لها، إلا إذا أصبحت هذه الأرض تحت حكومة قادرة على أن تفرض النظام على الكرد..."^٣.

وفي ختام الاجتماع قرئ القرار الآتي والذي حظي بموافقة الجميع: في الوقت الذي أعرب المجتمعون عن قناعتهم بان تركيا تدرك أن دولة ارمينية حديثة سوف تقام بعد قرون من المعاناة، وسوف تقوم هذه الدولة بفضل المساعدة الودية لعصبة الأمم، وإنها

1. ARMENIA THE SETTLEMENT, Op.Cit., P.19-21.

٢. ربما لا يخلو تقرير بريطاني أو فرنسي أو أي تقرير آخر صادر من إحدى الدول الكبرى آنذاك عن تاريخ الكرد، إلا وكان يستشهد قبل كل شيء، ليدل على أن الكرد سراق وقتلة، على كلام القائد العسكري والمؤرخ اليوناني زينفون، الذي تحدث في كتابه (رحلة العشرة آلاف)، عن تعرضه إلى هجمات من قوم دعاهم زينفون بالكاردوخيون في القرن الخامس قبل الميلاد عندما انسحب من كردستان بعد هزيمته أمام الفرس آنذاك. للتفاصيل عن الكرد في كتاب زينفون، ينظر: فـرهـاد پيربـال، كورد لهـديـى...، ل٧٥-٩٤ .

3. ARMENIA THE SETTLEMENT, Op.Cit., P. 36.

ستحتضن كل الأرمن المتواجدين في حدود المملكة الأرمنية القديمة، بما فيهم الأرمن الذين يسكنون كليكا في الجنوب وعبر القوقاز في الشمال (حيث توجد حالياً جمهورية أرمنية مستقلة)؛ لذلك اتفق المجتمعون على أن حدود الدولة الأرمنية ستكون هي نفس الحدود التي حددتها المذكرة الأرمنية إلى مؤتمر السلام في باريس^١.

ولكن الواقع الذي نشأ في الولايات الست نتيجة ظروف الحرب العالمية قد أقنعت بريطانيا بتقسيمها بين كل من الكرد والأرمن، أما ابرز الأسباب التي كانت وراء هذا التغيير في السياسة البريطانية فيمكن في:

١- نشوء وظهور الحركة الكمالية في تلك المنطقة، والتخوف من تحالف الكرد معها بسبب المسألة الأرمنية، ففي هذا الصدد مثلاً كتب (كالثروب-Calthorpe) المندوب السامي البريطاني في تركيا في نهاية تموز ١٩١٩ إلى وزير خارجية بريطانيا اللورد (كيرزون-Curzon) يقول إن الشائعات حول تشكيل (أرمينيا الكبرى) قد تدفع بعشرة آلاف كردي، يقطنون بين بايزيد وقره كليس للانضمام إلى الأتراك، ومحاربة الأرمن تحت راية الإسلام^٢.

٢- غلبة العنصر الكردي في تلك الولايات بشكل واضح، حسب بعض التقارير البريطانية، التي تناولت المسألتين الأرمنية والكردية بطريقة محايدة، عكست الواقع الحقيقي في شمال كردستان للساسنة البريطانيين.

ومن بين تلك التقارير البريطانية التي أنصفت الكرد في هذا المجال تبرز تقارير السير ارثر هيزرل وهو من كبار المسؤولين في وزارة الهند البريطانية، وكذلك تقارير كل من الضابطين البريطانيين وولي ونوبيل.

ففي تقرير للكابتن سي.ال. وولي، الذي زار جنوب غرب كردستان، يعود تاريخه إلى ٧ تموز ١٩١٩، يذكر أن الكرد في الولايات الست يشكلون الأغلبية المطلقة من السكان فيها^٣. وقد أشار هيزرل في تقرير له بتاريخ ١٧/٨/١٩١٩، معتمداً على تقرير الكابتن وولي أيضاً، إلى المسألتين الأرمنية والكردية بهذا الشكل:

"إن المسألة الأرمنية هي المسألة الكردية، وهي تتطلب بإلحاح صياغة سياسية

1. Ibid, P. 26.

٢. م.س. لازاريف، المسألة الكردية ١٩١٧-١٩٢٣ ...، ص ١٨٢ .

٣. أحمد عثمان ابوبكر، المصدر السابق، ص ٢٠٠-٢٠١ .

محددة... لكن المسألتين لا يمكن فصلهما. إن الصعوبة العملية تكمن في أن الرأي العام في العالم المتمدن، المشرب حقاً بأنباء المذابح مدة نصف قرن يطالب بخلق دولة أرمنية مستقلة، ولكن هذا على ضوء الظروف السائدة يناقش مع واقع الحال ومع مبادئ حق تقرير المصير المقبولة. وواقع الحال هو أن عدد الأرمن قليل جداً في أي مكان فيما عدا كليكا وان يكن هذا نتيجة للمذابح وهكذا يتعين لوجه العدالة إغضاء الطرف عن هذه القلة على ضوء ذلك. ويظل الواقع واقعاً ويذهب الأكراد إلى هذا القول، ولا يستطيع أحد أن يلومهم عليه، وذلك من عدم إمكان خضوع أكثرية كبيرة لأقلية صغيرة...^١.

ربما كانت تقارير الميجر (نوئيل)، الذي كان من أبرز المساندين لتشكيل دولة كردية على جميع أراضي الكرد، هي التي أجبرت الساسة البريطانيين، ليس على تغيير سياستهم تجاه الكرد بشكل عام، وإنما على إعادة التوازن بين المسألتين الأرمنية والكردية، ولعل من أبرز تقاريره في هذا المجال هو التقرير المعنون (ملاحظة في الوضعية الكردية-Note on the Kurdish Situation)، الذي كتبه في تموز ١٩١٩، وأفرد في تقريره هذا، الكثير من المعلومات والأفكار حول العلاقات الكردية الأرمنية، وما هو الدور الكردي في المذابح الأرمنية؟ وبالمقابل ما الدور الأرمني في المذابح الكردية خلال الحرب العالمية الأولى؟

فتحت عنوان (المميزات المليّة-القومية-) يقول نوئيل: "لسوء الحظ إن الكردية (الكردية) في أوربا، يلاحظ كرجل وحشي، وبربري، والذي جل عمله في الحياة هو ذبح الأرمن، ويشكل فهم كيف إن هذه الفكرة الكاذبة تماماً أصبحت شائعة من إن جميع السواح الأوربيين لأجل الملاحظة في كردستان، قد رجعوا وهم في فكر مساعد جداً للأكراد مع هذا، بسبب فعالية الصحف التبشيرية والجمعية الأرمنية القوية جداً في انكترا، فإن فكرة عامة مضادة للأكراد رائجة في أوربا...^٢.

وعن صلة الكرد بالأرمن يذكر نوئيل أن الكرد والأرمن إلى عام ١٨٦٠، كانوا قد رتبوا أن يعيشوا معاً تحت شروط ودية، كما يشهد بذلك الأرمن أنفسهم، ولكن سياسة السلطان عبد الحميد الثاني ومن بعده الاتحاديين هي التي أوجدت أسباب البغض

١. المصدر نفسه، ص ٣٤٢-٣٤٣.

٢. الميجر نوئيل، المصدر السابق، ص ١٦.

والحقد بينهم، أما المذابح الأرمنية في عام ١٨٩٥ و عام ١٩١٥، قد قام بها تماماً من قبل السلطة العثمانية، ولما كنت في ديار بكر، يذكر نوبيل: سألت بصورة خاصة الرؤساء المسؤولين للطوائف المسيحية المتعددة عن علاقاتهم مع الكرد أنفسهم، فأجابوني بتأكيد أنه إذا انتفى التأثير التركي المخرب في المنطقة، فإنه لا يوجد سبب لعدم تعايش الشعبين بسلام معاً، كما أن أحداث الحرب العالمية أثبتت أن الكرد لم يرضخوا للأوامر التركية بشأن المذابح، لذا فقد أنقذوا العديد من الأرمن وخاصة في درسيم؛ ثم يقول نوبيل: "إن الحقيقة التي لم تعرف بكفاية لنظر أوروبا، هي أن الأرمن والممل النصرانية الأخرى، تحت ستار القطعات الروسية في سني الحرب الثلاثة الأولى، عند إشغال الروس للولايات الشرقية، قد اقترفت سلسلة من المذابح بالأمة (المحمدية)، التي إن لم تكن في كل حادثة باتساع ما قاسته الأرمن في ١٩١٥، ولكنها تعادلها وحشية وقساوة، في منطقة رواندوز التي زرتها هذا الشتاء وجدت إن بلدة رواندوز بنفسها قد أمحيت تماماً ليس من قبل الروسيين بل من قبل الجيش النصراني المنتقم الذي رافقهم... أن كل من له اختبار عام عن هذه البلاد، يدرك بكمال الوضوح، انه لو أطلقت يد الأرمن لأظهروا أنفسهم وحشيين وسفاكي للدماء، إن لم يكن أكثر فمثل الأكراد"^١.

وتحت عنوان (الخطأ العام في فهم الأكراد) يقول إن الكردي بعيد عن أن يكون ذابحاً للنصارى، كما أراد الأرمني أن يعرفه للعالم بهذه الصورة، بل إن الكرد هم من حافظوا عليهم من الأتراك، وانه ثبت خطأ مقولة أن الكردي لا يمكن أن يعيش بدون الأرمن لجهله بأمور الاقتصاد، فان من الكرد الآن من هم تجار وصناع وأصحاب دكاكين^٢، وبيبين في موضع آخر خوف الكرد من الأرمن بقوله: "...إن الكردي يعرف جيداً بان الأرمن سيذبحه إذا ساعدته الفرصة، إن الخوف بالاتحاد مع الغرور الجنسي والبغض الشديد للأرمن، يعطي الكردي ميلاً شديداً للمحاربة، عوض التسليم للسيطرة الأرمنية، إن الكردي بصورة عامة مع وجود المستثنيات، ليس بالمسلم المتعصب كثيراً، ومن جهة أخرى إن للإسلامية عليه بعض القوة..."، كما أن الاعتراف بمطالب الأرمن في الولايات الست سيخضع كل عشرة من الكرد لواحد من الأرمن^٣. بعدها يهاجم

١. المصدر نفسه، ص ١٨-٢١ .

٢. المصدر نفسه، ص ٢٣ .

٣. المصدر نفسه، ص ٣٢-٣٤ .

نوئل تقارير وإحصائيات الأرمن، التي قدموها إلى مؤتمر السلام، ويؤكد أنها بعيدة عن الحقيقة، كما يذكر أن الإحصائيات التركية التي أجريت قبل الحرب العالمية هي أكثر حيادية وبفارق كبير عن الإحصائيات التي قدمها الأرمن إلى مؤتمر السلام، وأن الإحصاء التركي لم يقلل عدد المسيحيين، لأنه كان يشكل أساساً لوضع الضرائب التي كانت من أهم منابع الواردات من المسيحيين، وأن ولايات وان، وبتليس، ودياربكر، ومعمورة العزيز، يشكل الكُرد فيها ما نسبته (٨٠٪) تقريباً^١.

وأخيراً يقترح نوئل تطبيق المقترح الذي تقدم به في وقت سابق، نائب الحاكم المدني البريطاني في العراق الكولونيل ولسن، وهو تقسيم تلك المنطقة بين الكُرد والأرمن، على أن تُعطى للأرمن ولايتا طرابزون وأرضروم، وتوضع تحت الحماية الأمريكية، في حين تعطى للكُرد الولايات الأربع الباقية، وان، وبتليس، ومعمورة العزيز، ودياربكر، وتديرها بريطانيا، وإذا استحال تطبيق هذا الحل فالخيار الوحيد الباقي هو إرجاع السلطة التركية عليها من جديد، على أن تكون تحت مراقبة أوروبية^٢.

مع ورود مثل تلك التقارير إلى الساسة البريطانيين، وكذلك الخوف من تعاضم الحركة الكمالية في الولايات الست، وتحالف الكُرد معهم، ضغطت بريطانيا على الأرمن لكي يتفقوا مع الكُرد في مؤتمر السلام بباريس ويقدموا مشروعاً مشتركاً^٣، للوقوف بوجه الحركة الكمالية، وفعلاً نالت بريطانيا ما أرادت عندما قدم الوفدان الكُردي والأرمني في مؤتمر السلام مذكرة إلى رئيسها بتاريخ ٢٠ تشرين الثاني ١٩١٩، وأدناه نص تلك الاتفاقية:

" سيادة الرئيس، نحن الموقعين أدناه الممثلين للشعبين الأرمني والكُردي، لنا الشرف أن نبلغ مؤتمر السلام إن شعبينا لهما نفس المصالح، ويرميان إلى نفس الأهداف، ويدركان حريتهما واستقلالهما، وبالأخص للأرمن وانعتاقهم من السيطرة القاسية للحكومة العثمانية أي تحررهم من نير الاتحاد والترقي. ونحن موحدون جمعياً في الطلب من مؤتمر السلام، أن يقرر استناداً على قاعدة مبادئ خلق أرمينيا موحدة مستقلة وكُردستان مستقلة، مع المساعدة من إحدى الدول العظمى..."^٤.

١. المصدر نفسه، ص ٣٦.

٢. المصدر نفسه، ص ٥٤.

٣. ينظر: ديفيد مكدول، المصدر السابق، ص ٢١٧.

٤. احمد عثمان ابوبكر، المصدر السابق، ص ١٨٧-١٨٨.

استبشرت بريطانيا كثيراً بهذا الاتفاق، الذي ربما لم يكن أحد يتوقعه، حيث علق المندوب السامي البريطاني في استانبول (دي روبيك-De Robeck)، على هذا الاتفاق بأنه: "من أسعد البشائر... وليس بوسعي تخيل شيء أفضل من هذا لأجل سلامة وسعادة جميع الأطراف الداخلة في إطار هذه المسائل، وإنني افترض أن هذا الاتجاه يلاقي التشجيع وكل عناية متوجبة"، كما أرسل اللورد كيرزن من جانبه توجيهات إلى دي روبيك، طالباً منه تقديم كل تشجيع ممكن في تقوية الصداقة الأرمنية-الكردية^١. لقد كان الهدف الأساسي لتلك السياسة البريطانية هي فقط الوقوف بوجه الحركة الكمالية، ولأول مرة في تاريخ السياسة البريطانية تجاه الكرد، يقوم الساسة البريطانيون بالضرب على وتر الشعور القومي الكردي، وذلك لأنه إلى جانب الصداقة الأرمنية الكردية، رأت بريطانيا أنها السبيل الأفضل للوقوف بوجه الدعاية الكمالية في الولايات الست، والتي اعتمدت في كسب الكرد إلى جانبهم على شعارين هما الوحدة الإسلامية، والإخوة الكردية-التركية، ولكن في نهاية المطاف صبت السياسة البريطانية في مصلحة الأرمن بدرجة كبيرة، كما سيأتي الحديث عنها لاحقاً.

أما بخصوص الكرد والأرمن فقد أثبتت الأحداث بعد ذلك عدم إيمان كلا الطرفين بهذا الاتفاق، رغم استبشار الكرد والأرمن به في بداية إعلانه، فلم تمض إلا أيام قلائل حتى اختلفت الأحزاب الأرمنية نفسها فيما بينها، وتبرأ العديد من الأرمن من هذا الاتفاق بعد ذلك^٢. من جانبهم كان إعلان هذا الاتفاق والنقاشات التي جرت بعده سواء بين الكرد والأتراك في استانبول، أو بين أعضاء جمعية تعالي كردستان، السبب الرئيسي في انشقاق الجمعية الكردية، وقيام البدرخانين مع مجموعة من الشخصيات الكردية الأخرى بتشكيل جمعية أخرى عرفت في تاريخ الكرد الحديث بـ(جمعية التشكيلات الاجتماعية) ترأسها أمين عالي بدرخان، وأدت تلك التطورات بشريف باشا إلى أن يعلن استقالته في نيسان ١٩٢٠، من رئاسة الوفد الكردي في مؤتمر السلام بباريس^٣.

١. المصدر نفسه، ص ٦٦-٦٧.

٢. ينظر:

-Garo Sasuni, A.G.E., S.165.

٣. للتفاصيل عن هذا الانشقاق الكردي ينظر:

-Şaban Iba, A.G.E., S. 201-205;

- صالح محمد حسن، المصدر السابق، ص ١٨٢-١٨٩؛ كريس كوجيرا، كورد له سهدهى نۆزدهو بيبست دا، وهگيراني: هههه كهريم عارف، چاپى دووهم، سليمانى، ٢٠٠٤، ل ٣٧-٣٤.

سادساً-نشوء وتطور الحركة الكمالية في شمال كردستان ونهاية المسألة الأرمنية

كثيراً ما حيرت نجاح الحركة الكمالية في شمال كردستان أغلب الساسة والمراقبين آنذاك، وحتى الباحثين والمؤرخين بعد ذلك، أسئلة دارت في خلد هؤلاء، مفادها: ما هي الظروف التي نشأت فيها الحركة الكمالية؟ ثم كيف تطورت وانتشرت بسرعة كبيرة، حتى سيطرت على جميع الأناضول في غضون سنتين أو أكثر بقليل؟ وكيف أثرت شعارات تلك الحركة على الكرد في شمال كردستان، القاعدة الأولى للحركة الكمالية؟ ثم لماذا تحالف الكرد معها؟ هل كان في نية الكرد التخلص من الأرمن بمساعدة الأتراك؛ ثم الالتفاف عليهم وإعلان استقلال كردستان أم العكس هو الصحيح؟ ربما إن طرح مثل هذه الأسئلة لا تنتهي، وكل سياسي، وباحث، ومؤرخ، يعزو نجاح الحركة الكمالية إلى سبب مختلف، ولكن في خضم كل من طرح الحركة الكمالية على بساط البحث في محاولة لكشف أسباب نجاحها يظهر أن المسألة الأرمنية كانت من أهم أسباب نجاحها بين الكرد، إن لم يكن هو السبب الوحيد الذي دفع بالكرد إلى التحالف معها، في زمن لم يجد الكرد صديقاً لهم غير الجبال والأتراك.

تعود سمعة مصطفى كمال باشا بين الكرد إلى الحرب العالمية الأولى، عندما تمكن من استرجاع بتليس من الروس لبعض الوقت في عام ١٩١٦، كما مر سابقاً، وقد أطلع عن قرب على مشاعر العداوة بين الكرد والأرمن، وكانت شمال كردستان هي المنطقة الآمنة لكي يبدأ حركته منها، فبعد انسحاب الجيش الروسي منها، وإعطائها كمناطق نفوذ للبريطانيين، التي لم تقم باحتلالها مثل باقي المناطق التي حددتها لها اتفاقية سايكس-بيكو-سازانوف عام ١٩١٦، ولهذا كان الكرد في شمال كردستان أشبه ما يكونون مستقلين فيها، والتهديد الوحيد الذي تخوف منه الكرد هي الجمهورية الأرمنية في يريفان التي تدعمها بريطانيا.

يكن سبب نجاح مصطفى كمال باشا في الظفر بتحالف الكرد معه إلى أعمال جمهورية يريفان والسياسة البريطانية في المنطقة، فما أن أعلنت الدولة العثمانية

استسلامها في الحرب حسب بنود معاهدة مودروس، حتى قام الجيش العثماني بالانسحاب من القوقاز، والتحصن في حدوده التي كان عليها قبل اندلاع الحرب العالمية في عام ١٩١٤، وعلى أثرها قامت القوات التابعة لجمهورية يريفان باحتلال المناطق، التي انسحب منها الجيش العثماني مثل باطوم، وقارص، ولكنها لم تتمكن من الدخول إلى مراكز تلك المدن نتيجة للمقاومة، التي أبدتها مجالس الشورى الوطنية والإسلامية، التي كانت قد تأسست بعد انسحاب الجيش العثماني منها^١، وقد واكبت عملية احتلال جيش جمهورية يريفان لتلك المناطق مذابح بحق السكان المسلمين والكرد فيها، مما أدت إلى هجرة واسعة لسكانها إلى ارضروم والمناطق القريبة من الحدود^٢.

في ١٣ نيسان ١٩١٩، قام البريطانيون باحتلال مركز ولاية قارص^٣، ذي الأغلبية الكردية، وحل البريطانيون مجلسها الإسلامي(الوطني)، وألقت القبض على (١٢) من أعضائها، وتمكن علي رضا وهو كردي كان عضواً في مجلس قارص، من الهرب إلى الدولة العثمانية، ومن هناك على الحدود قاد عمليات (كرد وفر) ضد القوات الأرمنية والبريطانية فيها^٤.

سلم البريطانيون السلطتين المدنية والعسكرية في قارص إلى الأرمن، إذ كان من المتوقع أن يصبح الإقليم جزءاً من الجمهورية الأرمنية الجديدة^٥، وقد عينَ الجنرال الأرمني الطاشناق (كاركانوف-Karganof) والياً على حكومة قارص، وبعد انتهاء حكومة الشورى في قارص دخلت منطقة ساريقاميش تحت النفوذ الأرمني أيضاً^٦، ولتبدأ في تلك المناطق من جديد معاناة المسلمين والكرد على يد الأرمن، الذين قاموا

1. Mecbure Eroglu, ARMENIAN ISSUE: According to the Russian Documents In the Archive of the Institute of Turkish Revolution History, Ankara, 1999, P. 24-27.

٢. للتفاصيل عن الأعمال الأرمنية في تلك المناطق التي احتلوها بعد هدنة مودروس، ينظر:
-ERMENILER TARAFINDAN YAPILAN KATLIAM BELGELERI, II, T.C. BAS-BAKANLIK DEVLET ARSSVLERI GENEL MUDURLUGU Osmanli Arsivi Daire Baskanligi Yayn Nu: 50, ANKARA, 2001, S.747-794.

3. Recep Maraşli, A.G.E., S.344.

4. Mecbure Eroglu, Op.Cit., P. 26 and 32-33.

٥. جستن مكارثي، المصدر السابق، ص ٢٣٣. ومن المفيد ذكره هنا ان مكارثي يقول في نفس الصفحة إن البريطانيين كانوا قد احتلوا قارص في ١٩ نيسان ١٩١٩.

6. Recep Maraşli, A.G.E., S. 344.

بعمليات قتل ونهب، والاستيلاء على الأراضي في تلك المناطق، مما دفع العديد منهم إلى الهروب إلى شمال كردستان والتمركز في مدن ارضروم وبايزيد واولتو وغيرها^١. وقد قام الأرمن حسب رئيس مركز الجمعية الإسلامية الوطنية في جنوب غرب القوقاز الدكتور (عزت اوكتاي-Esad Oktay)، بالهجوم على قارص وباطوم، بعد انسحاب الجيش العثماني منها في ١/٨/١٩١٩، وقامت الحكومة الأرمنية وبصورة متمعمة بإرسال وحدات عسكرية لإبادة الكرد في الكري وكاراكورت، أما الكرد الذين هاجروا من ضواحي يريفان فقد كانوا استقروا في قرى ساريقاميش، واولتو، ويني سليم، وقرى أخرى أخلاها الأرمن سابقاً، طلبت الحكومة الأرمنية منهم مغادرة تلك القرى أيضاً، ولكن الكرد الذين لم يتمكنوا من إيجاد ملجأ آخر لهم لم يخلوا تلك القرى ضمن المدة الزمنية التي أعطيت لهم، وعلى إثرها قام أحد القادة الأرمن بذبح جميع هؤلاء الكرد، وان الأعمال الوحشية الأرمنية، حسب قوله، استمرت في شهر حزيران وتموز ضد الكرد والأتراك، وتركت هذه العملية أكثر من (٤٠٠٠٠) متشرد، إن الموسوغ الوحيد لهذه الأعمال الوحشية حسب الأرمن هو أن الكرد الذين كانوا يدينون بالولاء إلى حكومة قارص المجلس الوطني امتنعوا عن انتخابات النواب الأرمن، وهي الانتخابات التي جرت من أجل الجمعية في يريفان، وان هذا الامتناع تم التأكيد عليه بوكالات الأنباء الأرمنية في ٦/٦ و٧/٤، وقد وصل عدد القتلى إلى عشرات الآلاف وأكثر من (١٥٠٠٠) ألف بقوا مشردين، وبدأت الهجرة بعد ذلك إلى ارضروم^٢. ومن جانبه ذكر كاظم قره بكر في عدد من تقاريره أن المسلمين في المناطق التي انسحب منها الجيش العثماني بعد هدنة مودروس قد بقوا دون حماية تقريباً، وقد عملت الفرق الأرمنية التابعة لايريفان، حسب قوله، على إبادتهم وارتكبت بحقهم جرائم وحشية وبشعة لا يمكن وصفها^٣.

اشدتت العمليات العسكرية الأرمنية، في القوقاز أثناء شهر حزيران ١٩١٩ والتي فر بسببها الآلاف من المسلمين إلى الحدود العثمانية، لقد وقع قتال بين الأرمن والكرد نتيجة لذلك في المنحدرات الشمالية-الشرقية لجبل أرارات، وفي أيلول دمرت القوات

١. ينظر الوثائق المرقمة الآتية: (٢٠٣٨)، (٢٠٣٩)، (٢٠٤٠)، (٢٠٤١)، (٢٠٤٢)، (٢٠٤٣)، (٢٠٤٤)، (٢٠٤٥)، في: الوثائق، المجلد الثالث، المصدر السابق، ص ٢٠٣-٢٣٤.

2. Kirzioglu M. Fahrettin, Op.Cit., P.70-71.

3. Ibid, P. 89-92.

الأرمنية القرى الكردية الواقعة بين أرارات وبايزيد^١.

تحدث الجنرال هاربور في تقريره عن هؤلاء الكرد، الذين كانوا قد هربوا من الأرمن في قارص، بقوله: "...فقد دعا الكرد هذه البعثة والدموع تملأ عيونهم لحمايتهم من الأرمن، الذين طردوهم من قراهم، وقد طلبوا من البعثة السماح لهم بالعودة إلى منازلهم، بسبب موسم الشتاء القاسي، الذي يقترب منهم، وقد ذكر أحد الكرد أن العديد من أبناء شعبهم ذبحهم الأرمن غير النظاميين، الذين كانوا بمصاحبة الروس البلشفية تحت أقصى الظروف عندما تقطعت أوصال الجيش الروسي بعد انهيار الإمبراطورية، وهناك دعوات مماثلة من السكان في أرضروم، الذين أشاروا إلى الأبنية المحروقة، التي مات فيها المئات من الأتراك..."^٢.

ويلقي المؤرخ لازاريف على عاتق حزب الطاشناق الذي تسلم الحكومة في يريفان مسؤولية كبيرة عن تدهور العلاقات بين الكرد والأرمن بعد انتهاء الحرب، فيذكر أنهم قاموا بملاحقة السكان الكرد والأتراك في الأراضي التي كانت تحت إشرافهم، وسلّموا الأراضي التي أخذوها منهم إلى المتنفذين من أعضاء الحكومة والبرلمان، فأعمال النهب والمجازر الدموية ضد السكان المسلمين، التي جرى التسوية لها بالثأر عن الماضي قد أثارت شكاوى كثيرة انتشرت على نطاق واسع^٣.

لقد كان للاحتلال البريطاني لولاية قارص، ذي الأغلبية الكردية، وتسليمها للأرمن أكبر الأثر في فشل السياسة البريطانية في شمال كردستان، ويبدو أن الكرد منذ تلك اللحظة وخاصة في الولايات الحدودية مثل وان، وأرضروم، وبايزيد، وحتى بتليس قد فقدوا أي أمل في البريطانيين الذين كانوا وعلى الدوام منذ ظهور المسألة الأرمنية يحاولون إقامة دولة أرمنية على أراضٍ عدّها الكرد تدخل في صميم بلادهم كردستان.

١. ديفيد مكدول، المصدر السابق، ص ٢١٤ .

2. MAJ. GEN. JAMES G. HARBORD, Op.Cit., P. 18.

٣. ينظر، مؤلفه: المسألة الكردية ١٩١٧-١٩٢٣ ...، ص ١٢٧ . تذكر جويس بلو في بحثها (اللغة والثقافة في تكوين الهوية الكردية)، أن مجيء نظام حكم قومي بقيادة حزب طاشناق في أرمينيا بعد انهيار الاتحاد السوفيتي في بداية تسعينات القرن العشرين أحدث تحولاً جذرياً في حياة الكرد، بتهجير أكثر من (٢٠٠٠٠) منهم، كانوا حتى ذلك الحين يتعايشون سلمياً مع جيرانهم الأرمن الذين أجبروهم على النزوح إلى مدن روسية. ينظر: فالج عبد الجبار وآخرون، المصدر السابق، ص ١٦٧ .

كما كان لاحتلال اليونان لأزمير في أيار ١٩١٩، وهجرة عدد كبير من المسلمين منها تأثير كبير على تحالف الكُرد مع الحركة الكمالية^١، لقد كان من المتعذر تجنب رد الفعل الكُردى على حد وصف المؤرخ الانكليزي ديفيد مكدول، كما تفرق بسرعة الآلاف ممن كانوا يعيشون في وهم الأفكار القومية نتيجة التهديد المسيحي المتزايد، ولم تجد الحكومة العثمانية صعوبة في إثارة التضامن الإسلامي بمفهومه الشامل: "لقد انتشرت أخبار عن مجزرة للمسلمين على يد اليونان، وطلب من الأكراد أن يجروا مقارنة بين أزمير ودياربكر، فالانكليز سوف يأتون أولاً ويحتلون المدينة، والتي سوف تكون مقدمة لوصول القوات الأرمنية، كل هذه الإجراءات أعطت تأثيرها الطبيعي"^٢.

استغل مصطفى كمال باشا تلك الظروف السلبية والمتوترة الناشئة بين الكُرد والأرمن أحسن استغلال، فعند وصوله إلى سيواس في أيار ١٩١٩، استقبله بحفاوة الكُرد هناك^٣؛ ثم ما لبث أن قام بتوحيد (لجان الاستقلال التركية-الكردية) وتعرف أيضاً باسم (لجان الدفاع عن حقوق الولايات) التي كانت قد أنشأت في بداية العام ١٩١٩ في خربوط، واروفا، وماردين، ودياربكر، وأرضروم، وجزيرة بوتان، وقد كان للكُرد الدور الأكبر في تلك اللجان^٤، وذكر مصطفى كمال في مذكراته: "يبدو أن التخوف من إلحاق الولايات الشرقية بأرمينيا هو الدافع لتشكيل لجان الدفاع"^٥، وقد كانت الدعاية الأساسية التي اعتمدت عليها تلك اللجان هو الادعاء بتحويل كردستان إلى أرمنستان، وكان وراء هذه الدعاية كاظم قره بكر، والهدف منها على ما يبدو كسب ود الكُرد واستخدامهم ضد الأرمن^٦، وفي هذا الصدد ذكر قره بكر أنه كان بالإمكان حل المسألة القومية الكردية في شمال كردستان بسهولة، وذلك من خلال إفهام الكُرد، عن طريق باشاواتهم أن كردستان ستصبح أرمنستان، وقال في كتابه (حربنا الاستقلالية) أنه: "كان واضحاً أن الدعايات الجارية بشأن استقلال كردستان لن

١. للتفاصيل عن الاحتلال اليوناني لأزمير والأعمال التي رافقتها، ينظر:

-SALAH R. SONYEL, MINORITIES AND THE DESTRUCTION..., P. 366-369;

M.Kalman, Bati-Ermenistan..., S.174-179.

٢. نقلاً عن: ديفيد مكدول، المصدر السابق، ص ٢٠٩ .
٣. إبراهيم الداقوقي، المصدر السابق، ص ١٥٥-١٥٦ .
٤. ديفيد مكدول، المصدر السابق، ص ٢٠٧ .
٥. احمد عثمان ابوبكر، المصدر السابق، ص ٢١٨ .
٦. قادر سليم شمو، المصدر السابق، ص ٥٣ .

تتوقف بسهولة، لذا بدأت بتغيير رأي جميع الكُرد من خلال إعلاني بأننا لن نقوم بإلحاق الأذى بشعبنا الكُردي، واستخدمت عبارة (يراد جعل كُردستان أرمنستان) كسُمِّ مضاد^١.

أما الزعيم الحميدي الكُردي خالد بك جبراني، الذي كان من أقوى الزعماء الكُرد آنذاك المتحالفين مع مصطفى كمال باشا، وهو الذي أسس التنظيم الكُردي المشهور (ازادي) في ارضروم في عام ١٩٢٣، فقد ذكر: انه بعد انتهاء الحرب العالمية كان خَوْف الكُرد من ذوي النفوذ رفيعي المستوى بأرمنستان، وانه يتوجب عدم الانخداع بعهود الانكليز بشأن تشكيل كُردستان، كما أن الكُرد ليس بإمكانهم تأسيس دولة وحماية وجودها بمفردهم حسب قولهم، وما أن تُؤسس دولة كُردية ستُعطى لأرمنستان، لذلك يجب إفهام الكُرد أن سلامتهم تكمن في عيشهم كإخوة مع الأتراك، وتحريك عواطفهم الدينية والوطنية بهذا الشأن والاتجاه^٢.

ومُد وصول مصطفى كمال باشا إلى شمال كُردستان لم يتردد بمراسلة الزعماء والأغوات الكُرد، يدعوهم إلى توحيد الجهود للدفاع عن وطنهم وإخراج المحتل منها، وان الشيء المشترك في جميع تلك الرسائل هو تخويف الكُرد من الأرمن، وإنهم وبمساعدة الانكليز سيحولون بلادهم إلى أرمنستان، فوجه رسائل إلى كل من (الحاج مصطفى بك رئيس العشيرة في موتكي)، و(حضرة الشيخ عبد الباقي الكفروي زاده في بتليس)، و(حضرة عبد الرحمن اغا السيوركلي) و(حضرة درويش عمر أغا) و(حضرة رسول أغا الموساشلي) و(حضرة جميل جتوبك من رؤساء كارزان)، يقول فيها: "إنني مطلع عن كتب على وفائكم، ببذل المحامد الممتازة التي أظهرتها ذواتكم الفاضلة في خدمة الجيش العثماني، والروابط القبلية التي أبدتها تجاه مقام الخلافة المعلى والسلطنة طيلة الحرب العالمية، إنه لمعلوم لذواتكم العارفة كيف أن الخلافة والسلطنة العثمانية، ووطننا المقدس، يتعرض إلى الأذى [الإهانة] ويجري الإصرار-من جانب الأجانب- على إعطاء ولايتنا الشرقية هدية للأرمن"^٣.

١. ينظر: ماليسانج، عائلة جميل باشا...، ص ٨٨ .

٢. المصدر نفسه.

٣. نقلاً عن: اسماعيل بيشكجي، النظام في الأناضول الشرقية...، ج ٢، ص ٦٨-٦٩؛ ينظر كذلك: كونتر دشنر، أحفاد صلاح الدين الأيوبي: الكُرد الشعب الذي يتعرض للخيانة والغدر، ترجمة: عبد السلام برواري، ط ٢، دهوك، ٢٠٠٠ ص ٩٦؛ م.أ. هسرتيان، كُردستان تركيا بين الحربين، ترجمة: سعد الدين ملا وبافي نازي، بيروت، ١٩٨٧، ص ٢٠-٢١ .

من المعروف أن مصطفى كمال عقد أول مؤتمر لأنصاره في أرضروم^١، بتاريخ ٢٣ تموز ١٩١٩، يقول حسن هشييار المؤتمر الأول للكماليين عُقد في أرضروم، فقط لكي يكسب مصطفى كمال باشا الزعيم الحميدي الكردي خالد بك جبراني لقوته ومكانته في المنطقة^٢، وكان يرأس جمعية (الدفاع عن الأناضول) فرع أرضروم رائف بك، وقد كان كردياً، وهو الذي أفسح المجال لمصطفى كمال لكي يأخذ مكانه في مؤتمر الجمعية ويلقي خطبته، التي أوجع فيها بشكل واضح مخاوف الكرد من الأرمن بقوله: "...لقد أبدت حكومة استانبول من العجز والمذلة، بحيث تجرأ الأرمن لإقامة دولة لهم في ولاياتنا الشرقية العزيزة، بينما احتل اليونانيون كافة مناطق تراقيا، واحتلت الدول المؤتلفة بقية مناطق الأناضول، من أجل قتل كل أمل لهذا الشعب في الحياة والكرامة والاستقلال"^٣.

إن السلطات التركية في الأناضول بقيادة مصطفى كمال باشا لم تستطع القيام بحرب علنية واسعة ضد الكرد، في ظروف التدخل الأجنبي، ولهذا انحصرت مهمتها في تلك المرحلة لا في قمع الحركة الكردية، وإنما في الحفاظ على حكمها في كردستان، واستخدام الإقطاعيين الكرد في مقاومة الحركة الأرمنية^٤.

في نهاية سنة ١٩١٩ أبدت نحو (٧٠) قبيلة كردية، ناهيك عن الأعيان المدنيين تأييدها لمصطفى كمال، تلك القبائل التي كانت تعيش في المناطق التي بدا فيها التهديد اكبر، أي في الحدود الشرقية والجنوبية للأناضول، ومن أبرزها كانت قبائل الملان، والجلالي، والحيدرآلي في الشرق^٥، ومن أبرز الزعماء الكرد الذين ساندوا الحركة الكمالية واشتركوا في حروبها، ضد أعدائها في الشرق وفي الغرب هم: خالد بك جبراني، وبرو حسكي تيلي، وموسى بك، وكور حسين باشا، وجلهم كانوا من الحميدية^٦.

١. من المفيد هنا القول إن كمال مصطفى باشا كان قد عقد مؤتمرين لتشكيل جبهة موحدة ضد الانكليز وحلفائهم، الأول هو مؤتمر أرضروم عقده في تموز ١٩١٩، والثاني عقده في سيواس في بداية أيلول من السنة نفسها.

2. HESEN HIŞYAR, jéderé beré, L. 215.

٣. إبراهيم الداقوقي، المصدر السابق، ص١٥٨-١٥٩ .

٤. م.أ. هسرتيان، المصدر السابق، ص١٨ .

٥. ديفيد مكول، المصدر السابق، ص٢١٦ .

6. Recep Maraşlı, A.G.E., S. 278-280 Ve 289-291.

لم تتمكن قوات جمهورية يريفان من الوصول إلى أبعد من قارص، رغم وصول نفوذها إلى بعض المناطق القريبة من ساريقاميش وبايزيد، لذلك بادرت إلى إتباع نفس سياسة الكماليين تجاه الكُرد، وهي إرسال رسائل اطمئنان وودٍّ إلى زعماء العشائر الكُردية، وبدأت تلك السياسة منذ أواخر العام ١٩١٩ واستمرت حتى نهاية شهر أيار ١٩٢٠. وكانت بعض تلك الرسائل تشدد على الأخوة الكُردية الأرمنية وضرورة اتحاد الشعبين في مواجهة الأتراك، وبعضها تحمل في طياتها تهديداً مُبطناً للكُرد إذا لم ينحازوا للأرمن، في معركتهم ضد الكماليين.

أرسل أحد وجهاء الأرمن والمدعو (حاجادور آغا-Haçador Aga) منذ شهر تشرين الأول ١٩١٩، رسائل إلى الشخصيات العشائرية الكُردية المعروفة أمثال: السيد حميد، السيد علي ميرزا، احمد حاسو آغا، يوسف آغا، يدعوهم فيها إلى الوحدة، وقد جاء فيها: "إن خلق العلاقات الحسنة مع صاحب الدولة، ونصبح في حال من الحميمية والأخوة مع الكُرد جميعاً لمن أكبر آمالنا وأهدافنا، إن الصداقة إن لم تكن اليوم فغداً، ستحقق بيننا وبين الكُرد حتماً، لماذا لم ترجح الأمة الكُردية، التي نعرفها في غاية من علو الجناح والأصالة طريق الاتفاق معنا؟ إن الضباط والأمراء المنخرطين جميعاً في صفوف جبهتنا هذه سنشكلها مع أمراء الكُرد والعشائر الكُردية والأمة الكُردية، لفي أهبة الاستعداد والرغبة في التلاحم والتضامن"^١، ولكن حاجادور آغا المارُّ ذكره تلقى الرسالة الصريحة الآتية من جانب الزعماء الكُرد: "تسلمت رسالتكم، وما يجب أن يعلم انه فيما كان الأرمن يواصلون حياتهم بمنتهى السعادة في حضان الإسلام لم يتورعوا عن ارتكاب أي نوع من جلي أو خفي، من السيئات في سبيل مقاصدهم الأصلية، ومنها فرارهم من الجبهة مسلحين في هذه الحرب، والالتحاق بصفوف الجيش الروسي، ولا شك أنكم لن تنكروا ذلك، إذن، لم يبق أي مكان للاتفاق بين الكُردية

1. Garo Sasuni, A.G.E., S.161.

٢. كثيراً ما يرد اسم حاجادور آغا في العديد من الوثائق العائدة إلى تلك المدة، على أنه أدَّى دوراً كبيراً في محاولة لاستمالة زعماء العشائر الكُردية إلى جانب قوات جمهورية يريفان، للوقوف ضد الحركة الكمالية في شمال كُردستان، ينظر:

-Mecbure Eroglu, P.24-31.

٣. ينظر: إسماعيل بيشكجي، النظام في الأناضول الشرقية...، ج ٢، ص ٧٦؛

-Recep Maraşlı, A.G.E., S. 346.

المسلمة والأرمن، الذين يظهرون خلاف ما يبطنون، لن تقف الأمة الكردية أبداً إلى جانب الأرمن، الذين يرون من المباح، كلما سنحت لهم فرصة، محو الإسلام، وطعن نفوس المسلمين بالمعاول والحرايب والعدوان على المقدسات العثمانية، بصورة مغايرة تماماً للشعار الإنساني، فان الأمة الكردية التي يربو عدد نفوسها على عشرة أضعاف الأرمن لن تخضع إلى حماية الأرمن، ومن المحال أن تخضع^١.

كان لفشل الدعاية الأرمنية بين الكرد تأثير سيء على الأرمن، الذين وجهوا بعد ذلك رسائل تهدد وتوعد الكرد، إذا لم ينسقوا مع القوات الأرمنية التابعة لايريفان، وهذا ما ظهر جلياً في البيان المؤرخ في ١٥/٣/١٩٢٠، الذي أصدره القائد العسكري الأرمني في اغدير، حيث خاطب الكرد بالشكل الآتي:

"أيها الكرد نحن الأرمن والكرد، الذين نعيش معاً كإخوة وجيران لآلاف السنين، قبل أن يأتى الأتراك بيننا، كان أجدادنا (كريفاً)، وهذه هي حقيقة لا ينكرها أحد كما لا ينكرها التاريخ، إلا أن الأتراك جاؤا من الخارج وزرعوا بذور الشغب والفتنة بيننا، وجعلوا الواحد منا يقف ضد الآخر، وإنهم كانوا السبب في اضطراب امننا نحن الاثنين، وكانوا السبب في إراقة دماء العديد من الأبرياء من بيننا، وذلك فقط من أجل مصالحهم، ولهذا السبب ادعوكم واقترح أن لا يراق أي دم بصورة عبثية، وان كلمتي الأخيرة هي الخضوع للحكومة-في يريفان- وإطاعتها ولا تضيعوا مصالحكم، كما لا يريد الخالق أن تراق دماء الأرمن والكرد، واقترح عليكم قبل أن يبدأ جيشي بعملياته إرسال مبعوثين من جانبكم من أجل التفاوض والوصول إلى اتفاقية، وإلا فإنني وعلى الرغم من كوني لا أريد ذلك، فإنني سوف اتصرف بكل قسوة في الحرب القادمة...، ثقوا بي بأن رفضكم لن تكون نتائجه جيدة لكم"^٢.

لم تكن السياسة الأرمنية مخفية على الكمالين في شمال كردستان، ففي ٢١/٥/١٩٢٠ أرسل كاظم قره بكر رسالة إلى دائرة القائد العسكري في يريفان، ذاكراً له المذابح التي ارتكبتها الأرمن بحق المسلمين في جمهورية يريفان وفي قارص، بعد أن وثقوا هم العديد منها فضلاً عن الأجانب أيضاً، كما استنكر تلك الدعاية الأرمنية على الحدود بين الجانبين خاصة بعد وصول شريف باشا، الذي نعتته قره بكر

١. نقلاً عن: إسماعيل بيشكجي، النظام في الأناضول الشرقية...، ج٢، ص٧٦.

2. Kirzioglu M. Fahrettin, Op.Cit., P. 104-105.

بـ(الخائن) والأرمن في باريس إلى نوع من الاتفاقية، وفي الأخير ذكر قره بكر بان محاولات مثل تلك مصيرها الفشل، وذلك لان الكُرد لن ينفكوا أبداً عن الاتحاد العثماني^١.

معاهدة سيفر ونهاية المسألة الأرمنية :

ما زال الكُرد حتى الآن يستشهدون ببند معاهدة سيفر، التي وقعت بين الدولة العثمانية والحلفاء في ١٠ آب ١٩٢٠، على أنها الوثيقة الدولية الوحيدة التي اعترفت بحقهم في تأسيس دولة كُردستان، ولكن يظهر أن دولة كُردستان التي أقرتها سيفر، هي تطبيقاً للنظرة البريطانية المتأثرة بالدعاية الأرمنية بخصوص الواقع في شمال كُردستان ليس أكثر^٢.

أفرد القسم الثالث من معاهدة سيفر منها تحت عنوان (كُردستان)، وكانت بنود كُردستان تشمل البنود الثلاثة الآتية (٦٢، ٦٣، ٦٤)، فقد حدّدت حدود كُردستان وفق تلك البنود في ولايتي معمورة العزيز (خربوط)، وديار بكر فقط، وإذا ما أراد السكان الكُرد في ولاية الموصل ضمن مدة زمنية محددة، ووفق آليات تحددها بعد ذلك بعض اللجان المختصة الانضمام إلى دولة كُردستان فعلى تركيا عدم الاعتراض عليها، وطبقاً لبنود سيفر أيضاً، ألحقت ملاطية وسيواس بالدولة التركية، أما مناطق ومدن ماردين، وجزيرة بوتان، واورفة، وعنتاب، فلم تضم إلى دولة كُردستان، وبقيت تحت الاحتلال الفرنسي^٣.

أما فيما يخص الأرمن فقد اعترفت الدول الكبرى بالدولة الأرمنية على رقعة واسعة، وخصصت لها خمس مواد وهي من (٨٨-٩٢)، وكانت الدولة الأرمنية، حسب سيفر تضم فضلاً عن أراضي جمهورية يريفان في القوقاز، الولايات الأربع التالية: (طرابزون، ارضروم، وان، بتليس)، وأحالت سيفر إلى رئيس الولايات المتحدة الأمريكية حسب المادة (٨٩)، لترسيم الحدود بين تركيا وأرمينيا، ضمن أراضي الولايات الأربع

1. Ibid, P.105-107.

٢. ينظر: كمال مظهر احمد، المصدر السابق، ص٣٤٥؛ بيار مصطفى سيف الدين، المصدر السابق، ص٣٧-٣٨ .

٣. ينظر نص البنود المتعلقة بالكُرد في: بله ج شيركوه، المصدر السابق، ص٦٨-٦٩ .

السابقة الذكر^١. وقد قام الرئيس ولسن فعلاً بتعيين الحدود المذكورة في قرار تحكيمه الذي حمل تاريخ ٢٢ تشرين الثاني من العام ١٩٢٠، حيث بدأت من نقطة على البحر الأسود وامتدت إلى ارزنجان، وموش، وبتليس، وبحيرة وان، التي أدخلت جميعها ضمن الدولة الأرمنية، وهي بذلك تكون مطابقة لخطوط النار بين القوات الروسية والتركية خلال سنوات الحرب^٢، كما تجاهل الرئيس الأمريكي ولسن في قرار تحكيمه أي إشارة إلى الكُرد وإلى حقوقهم في تلك الولايات^٣، حيث كان قراره متناقضاً مع مبادئه المنادية بتقرير الشعوب مصيرها، فمن غير أن يستشير السكان المعنيين بالمنطقة، ومن غير أن يحدد تشكيلهم العرقي خصّ الدولة الأرمنية التي كان ينبغي لها أن توضع تحت الانتداب الأمريكي فعلاً بأقاليم ذات أكثرية كُردية ساحقة: موش ارزنجان، بنغول، بتليس، وان، قاقيزمان (اكري)، اغدير، ارضروم، التي تشكل على نحو ظاهر أكثر من نصف شمال كُردستان^٤.

من الجدير التنويه إليه هنا هو أن الكُرد حتى قبل إعلان معاهدة سيفر في آب ١٩٢٠، كانوا قد استبشروا باسم الرئيس الأمريكي، ليكون حكماً في مسألة الحدود، عندما تداولت الصحف اسمه عقب اتفاقية سان ريمو في نيسان من العام نفسه، وفي هذا الصدد أرسلت جمعية التشكيلات الاجتماعية في ١٧ حزيران ١٩٢٠، بتوقيع رئيسها أمين عالي بدرخان، وسكرتيرها ممدوح سليم، إلى الرئيس ودر ولسن، تعبير عن استحسان الجمعية لتعيينه حكماً لغرض حسم موضوع الحدود الكُردية-الأرمنية، وهي كما يأتي: "صاحب السيادة: استقبل الشعب الكُرد بفرح النبا السار، بأن سيادتكم تكرمون بالاضطلاع بدور الحكم المقرر في رسم الحدود الكُردية-الأرمنية، ويتيق بإعلانكم المبادئ الأربعة عشرة بشأن مستقبل القوميات، ويتوقع الشعب الكُرد

١. ينظر نص البنود المتعلقة بالأرمن في: مروان المدور، المصدر السابق، ص ٤٦٠-٤٦٤؛ شوارش طوركيان، القضية الأرمنية والقانون الدولي، ترجمة: خالد الجبيلي، ط ٢، اللانذقية، ٢٠٠٠، ص ٢١٥-٢١٦.

٢. كمال مظهر احمد، المصدر السابق، ص ٣٤٧-٣٤٨.

٣. ينظر نص قرار الرئيس الأمريكي الذي يتكون من (٢٣) صفحة:

-THE FRONTIER BETWEEN ARMENIA AND TURKEY AS DECIDED BY PRESIDENT WOODROW WILSON, NOVEMBER 22, 1920.

4. Kendal, Op.Cit., P. 43.

قرار حكمكم، الذي يخلصه من النفوذ الغريب من أية جهة كانت، وفي يدك الآن التي ألقاها عليك التاريخ"^١. ولكن يظهر أن كل شيء كان قد حسم للأرمن في شمال كردستان.

أظهرت معاهدة سيفر ماذا تعني كردستان أمام أرمنستان لدى الدول الكبرى، فإن الكرد وعلى حد وصف مارتن فان بروينسن قد أُعطيت لهم (غرفة) لإنشاء دولتهم عليها^٢، ويظهر أن الزعماء العشائريين الكرد في شمال كردستان كانوا أكثر حنكة من السياسيين الكرد في استانبول، الذين وثقوا بوعود الحلفاء لهم حول تأسيس دولة كردستان، وأدرك هؤلاء الزعماء العشائريين بصورة لا تقبل الشك أن الحلفاء كانوا بالدرجة الأساس أصدقاء الأرمن، لا الكرد، وكان الاحتمال الأكبر أن يكون مصطفى كمال الشخص القادر على حماية الأراضي الكردية من المطالبات الأرمنية^٣.

لم تكن (كردستان المستقلة)، المنصوص عليها في معاهدة سيفر سوى بلاد بتر منها ثلثا إقليمها، في كردستان الدولة العثمانية فقط، ثلثا أراضيها الخصبة، ومناطقها المخصصة للتربية التقليدية للماشية، مشتملة - أي كردستان المستقلة - على المناطق الفقيرة في خربوط، درسيم، سيرت، هكاري مع دياربكر كعاصمة، وولاية الموصل كمركز اقتصادي، وستعني بريطانيا بالنفط، وقد علق السياسي والمؤرخ الكردي كندال على معاهدة سيفر بقوله: "أفلا يحق للمرء ضمن هذه الشروط أن يندهش من أن أجيالاً كاملة من القوميين الكرد استطاعت أن تستند على هذه المعاهدة الجائرة، بحجة أنها تركز الاعتراف بالحق القومي للقضية الكردية؟... فقد كانت مذلة للشعب الكردي بقدر ما هي للشعب التركي"^٤، أما المؤرخ الكردي محمد أمين زكي فقد انتقد السياسة الكرد، الذين قاموا بالتنسيق مع الأرمن بعد سيفر في النضال ضد الدولة التركية، لأن الأرمن وحلفاءهم الأوربيين كانوا هم المستفيدين الوحيدين من سيفر وليس الكرد حسب اعتقاده، وهم الذين قادوا الكرد إلى هذا المأزق^٥.

١. احمد عثمان ابوبكر، المصدر السابق، ص ٢٩٠-٢٩١ .

٢. فؤاد حمه خورشيد، المصدر السابق، ص ٥٩ .

٣. مارتن فان بروينسن، الأفا...، ج ٢، ص ٥٩٢-٥٩٣ .

4. Kendal, Op.Cit., P. 43-44.

5. Ibid, P.44.

٦. ينظر، مؤلفه: المصدر السابق، ص ٢٦١-٢٦٢ .

بدأت قوات أرمنية مسلحة، تابعة لجمهورية يريفان، بشن الغارات من هذه القاعدة على شمال كردستان، في محاولة للاستيلاء بالقوة على الأقاليم الموعودة بها في سيفر، حينما اتضح آنذاك أن الأتراك ما كانوا ليتخلوا عنها طواعية على الإطلاق، في تشرين الأول ١٩٢٠ زحف كاظم قره بكر قائد الجبهة الشرقية ضد الأرمن وردهم إلى ما وراء حدودهم، كما سيطرت القوات الكمالية على الأقاليم التي خسرتها الدولة العثمانية في حربها مع روسيا في عام ١٨٧٧، وأجبرت حكومة يريفان على قبول معاهدة سلام وقعت في الكسندربول في ليلة ٢-٣ تشرين الثاني ١٩٢٠، تخلت فيها عن جميع مطالباتها بأراضي الأناضول، ولكن لم يتم تصديق تلك المعاهدة، لأنه سرعان ما ضمت روسيا السوفيتية جمهورية يريفان نفسها، التي قامت بدورها بعقد معاهدة مع الكماليين في موسكو في آذار ١٩٢١، التي ثبتت الحدود بين الطرفين إلى يومنا هذا^١. وقد كان للكرد دور كبير في رد الهجمات الأرمنية، وضم الولايات الأخرى إلى تركيا الكمالية، ويذكر في هذا الجانب الدور الكبير للكرد في جيش قره بكر، سواء أكانوا جنوداً نظاميين أم كانوا من قوات العشائر هناك^٢.

ذكر نورالدين زازا أن قوات مصطفى كمال المتطوعة كانت أصلاً من كرد قارص، وأرضروم، وبتليس^٣، وأشار حسن هشار إلى اجتماع موسع عقده الجنرال الكردي الحميدي خالد بك جبراني في عام ١٩٢٠، مع قادة ألوية الميليشيات الكردية، لطردهم الأرمن من تلك الولايات وإرجاع الأهالي إليها، وخطب فيهم قائلاً: " أنتم ترون الآن بعد انسحاب الجيوش الروسية من ولاياتنا، فقد أهدوها إلى عدد من قطاع الطرق من الأرمن، ونحن قد ورثناها عن أجدادنا، فنحن أولى بها وعلينا استعادتها، وأن ولاية قارص وأرتفين قد ألحقها الروس إلى أراضيهم في حرب عام ١٨٧٨، وعليكم أن

1. STANFORD J. SHAW AND EZEL KURAL SHAW, Op.Cit., P.356-357;

- كمال مظهر احمد، المصدر السابق، ص ٢٩٩؛ ديفيد مكدول، المصدر السابق، ص ٢٢٨؛ مارتن فان بروينسن، الاغا...، ج ٢، ص ٥٧٧ .

2. Garo Sasuni, A.G.E., S.161-163;

- إبراهيم الداوقوي، المصدر السابق، ص ١٦٤ . يذكر الداوقوي هنا أن جيش كاظم قره بكر كان معظمه من الكرد.

٣. ينظر، مذكراته: حياتي الكردية أو صرخة الشعب الكردي، ترجمة: روني محمد دملي، اربيل، ٢٠٠١، ص ٥ .

تعرفوا أن إعادة تلك الولايات تقع مسؤوليتها على عاتقكم أولاً وأخيراً، وليس على الأتراك"، وأضاف حسن هشييار أن المقاتلين الكُرد بدءاً من أواخر آب ١٩٢٠ قاموا باستعادة تلك الأراضي من الأرمن، وأن هذا العمل البطولي، حسب قوله، في إعادة أراضي الكُرد إليهم، يعود بالدرجة الأساس إلى الجنرال خالد بك جبراني^١.

1. HESEN HIŞYAR, jéderé beré, L.217-218.

الخاتمة

من خلال الاطلاع على فصول علاقة الكُرد بالمسألة الأرمنية، بدءاً من ظهورها في عام ١٨٧٧ حتى انتهائها في عام ١٩٢٠، يمكن الخروج ببعض الاستنتاجات المهمة، وهي: أظهرت الوثائق الأجنبية للدول الثلاث (البريطانية، والروسية، والفرنسية)، انه لغاية ظهور المسألة الأرمنية في عام ١٨٧٧، لم يكن بين الكُرد والأرمن صراعاً أو خلافاً مستديماً موعلاً في القدم بين الشعبين، بل أن العلاقات الجيدة بينهما في العديد من مدن وقرى شمال كُردستان كثيراً ما حيرت القناصل والساسة الأجانب في الدولة العثمانية، وغالباً ما كان يرد في تقاريرهم عن تلك العلاقة " أن العلاقة كانت جيدة بين الشعبين حتى ظهور المسألة الأرمنية". هذه الحيرة تولدت عندهم، لأن أصل المسألة الأرمنية كان يتلخص ظاهراً بـ " حماية الأرمن من الكُرد والشركس"؛ ثم تبين أن هذا الادعاء حول الخطر الكُردى، (الشعب الجاهل، والأُمى، والمتعطش للدماء، وللسلب والنهب، والمعروف عنه تاريخياً اضطهاده للمسيحيين في المنطقة)، على الأمة الأرمنية (المثقفة، والمتمدنة، والمتحضرة) لم يكن إلا هالة دعائية كان القصد منها أرمينياً: تأسيس دولة أرمنستان على تلك الأراضي وإخراج الكُرد منها، ودولياً: لم تكن ظهور المسألة الأرمنية إلا مجرد ساحة معركة أخرى بين الدول الكبرى، لتأكيد الهيمنة والسطوة على العالم.

تعاملت الدول الكبرى، بناءً على تقارير أرمنية في بداية حقبة المسألة الأرمنية، مع الكُرد على أنهم ليسوا من سكان البلاد الأصليين، ولا يوجد هناك فرق بينهم وبين الشركس أو اللاز في المنطقة، وقد أثرت طبيعة حياتهم العشائرية المبنية على الترحال كثيراً في هذا الجانب، وعدت هذه الملاحظة من الأسباب المهمة التي تجاهل الآخرون بسببها الكُرد في مشاريع الإصلاحات الأرمنية الأولى. وفي الجهة المقابلة يبدو أن السلطان عبد الحميد الثاني قد فطن إلى تلك السياسة، فقد كان أحد أهم نتائج تشكيكه للفرسان الحميدية هو استقرار تلك القبائل، وان لم تكن بصورة كاملة، في المدن والأرياف التي كانوا يعدونها ملكاً وراثياً لهم ولأجدادهم منذ مئات بل الآف السنين.

في علاقة الأتراك بكل من الأرمن والكرد ظهر أن الكرد لم يكونوا يتحالفون مع الأتراك ضد المسألة الأرمنية إلا من باب التقاء المصالح، فقد بينت وقائع المسألة الأرمنية أن الكرد كانوا أكثر معرفة بالأتراك من الأرمن بأشواط كثيرة، وذلك لأن الكرد وطيلة أربعة قرون كانوا يدافعون عن استقلال إماراتهم، ذات الحكم الذاتي ضد التدخلات التركية فيها، ونلمس هذا الشيء بكل وضوح في أفكار الشاعر الكردي أحمدى خاني (١٦٥٠-١٧٠٧) عندما قال: "إن الطرفين [العثماني والصفوي] قد جعلوا الأكراد هدفاً لسهام القضاء، وكان الأكراد أقفال على الثغور وكل طائفة منهم سد راسخ. ومن كثرة ما تتلاطم أمواج بحر الروم [العثمانيين] وبحر التاجيك [الفرس] وتصطبغ يتلطح الأكراد بالدماء، لأنهم كالبرزخ يفصلون بين الفريقين". أما الأرمن فلم يحاربوا الأتراك قط في العصر الحديث حتى ظهور المسألة الأرمنية، وكثيراً ما نبه الكرد الأرمن إلى أن عدوهم الأول هم الأتراك، كما حدث في حركة ملا سليم البتليسي، ولكن الأحزاب الأرمنية كانت ترى الكرد عدوها الأول دائماً عدواً للأرمن، ولم يكونوا يلتفتون إلى المواقف الكردية الايجابية إطلاقاً، وان التقارب بين الكرد والأتراك لم يحدث في أي عهد من العهود، كما حدث بعد أن ظهرت المسألة الأرمنية، فالأرمن هم من كانوا نقطة التجاذب الكردي-التركي ليس إلا.

هنا يكمن الفرق الجوهرى بين نظرة الكرد والأرمن في ملاحظة مثيرة، وهي أن الكرد دائماً وأبداً كانوا يريدون من الأرمن أن يكونوا إخوة لهم في الدولة الكردية المستقبلية (كردستان)، بل حتى في التنازل لهم عن عدد من المناطق ذي الأثرية الأرمنية، ولكن الأرمن لم يكونوا يقبلون أن يكون في الدولة الأرمنية (أرمنستان) إلا الأرمن وحدهم، وقد أثبتت أفعال الأرمن في الحرب العالمية الأولى صواب هذا الرأي.

إن الفرق بين السلوك الأرمني والسلوك الكردي خلال حقبة المسألة الأرمنية، يكمن في أن الحجة الكردية هي أقوى من الحجة الأرمنية، فقد أكدت أغلب المصادر انه إذا كان هناك اعتداء من أحد الكرد على الأرمن فكان وراءه السياسة التحريضية التركية أو لا تتعدى مشكلة اجتماعية مثل مسألة الثأر. ولكن بالمقابل لم يدفع أو يحرص أحد الأرمن إلى قتل الكرد إلا الأحزاب الأرمنية نفسها، بل أن أعمالها العنيفة جداً ضد الكرد جعلت روسيا تتخذ موقفاً متشدداً منها في الحرب العالمية الأولى.

١. نقلاً عن: جان دوست، الدر الثمين في شرح مم وزين، دهوك، ٢٠٠٦، ص ٢٣.

من الخطأ حقاً الظن أن الأرمن كانوا فقط الضحية في المسألة الأرمنية، فربما كانت الخسائر الكردية أكثر من مثيلتها لدى الأرمن، صحيح أن الإنسان يتأسف أشد الأسف من أن لا يرى الآن في شمال كردستان إلا بضعة آلاف من الأرمن، الذين تواجدوا في المنطقة إلى جنب الكرد منذ الآلاف السنين، ولكن في الجانب الآخر لم يكن عدد القتلى الكرد في الحرب العالمية الأولى أقل من عدد قتلى الأرمن، بل ربما تفوقها. وكانت المسألة الكردية بدورها ضحية للمسألة الأرمنية، فان من ابرز نتائجهما هو سيطرة الكماليين على تلك المنطقة، الذين حاولوا تسوية المسألة الكردية ومحو الهوية الكردية من أرض كردستان، من خلال عشرات الحملات العسكرية المعروفة والتي ما تزال مستمرة لغاية اليوم.

"التغلب على الأحقاد"، هذا النداء الذي أطلقه كل من الباحث الكردي سيامند زيد عثمان، والمخرج السينمائي الكردي الراحل يلماز كونا، والسياسي والمثقف الأرمني جيرارد ليارديان^١، هو الذي يجب أن يأخذ مكانه في علاقة الكرد بالأرمن وبالعكس، بدلاً من الاتهامات المتبادلة بالمسؤولية عن هذا الحدث أو ذاك. من المهم بل من الواجب أخذ الدروس والعبر مما حدث، ولكن لكثرة تبادل الاتهامات، خاصة من جانب الأرمن، وتعليق ذنب المذابح الأرمنية برقبة كل كردي يولد حديثاً، مثلما هي في الديانة المسيحية، التي تذكر بان (الإنسان يولد وهو يحمل خطايا أبيه آدم عليه السلام)، لا تصب في مصلحة الطرفين، خصوصاً وقد تبين أن فصول المسألة الأرمنية لم تكن سوى بؤرة من بؤر صراع القوى العظمى في العالم، وظهر جلياً أن الاتهام الموجه للأرمن ليس بأقل من ذاك الاتهام الموجه للكرد.

١ . ينظر: جيرارد ليارديان، المصدر السابق، ص ١٧ .

الملاحق

- ١- ملحق رقم (١): رسالة بطريرك الأرمن (بدرماتوس-Peder Matteos) في استانبول إلى الأرمن في الدولة العثمانية بمناسبة سقوط بدرخان بك أمير بوتان بتاريخ ٩ كانون الأول ١٨٤٧ .
- ٢- ملحق رقم (٢): الجلسة التي عقدها مجلس العموم البريطاني لبحث قضية موسى بك في ٢٥ تموز ١٨٨٩ .
- ٣- ملحق رقم (٣): الأغنية التي ألفها الكردي في موش عن موسى بك وكولي.
- ٤- ملحق رقم (٤): مذكرة العقيد البريطاني نورتون المعنونة بـ(الإصلاحات لأرمينيا الكردية) في آذار ١٨٩٥ .
- ٥- ملحق رقم (٥): مقابلة سعد الدين باشا مع الأرمن في وان بتاريخ ١٩ آذار ١٨٩٦ .
- ٦- ملحق رقم (٦): كلمة المشير عثمان باشا في موش بتاريخ ١١ آب ١٩١١ .
- ٧- ملحق رقم (٧): برقية من الأحزاب الأرمنية(الطاشناق، والهنجاق، والرامكافار) إلى الحكومة العثمانية بتاريخ ٢٥/٤/١٩١٣ .
- ٨- ملحق رقم (٨): النص الكامل لمنشور عبد الرزاق بدرخان إلى الكردي في تشرين الأول ١٩١٣ .
- ٩- ملحق رقم (٩): الرسالة التي أرسلها الأرمن، الذين أنقذهم محمد أغا إلى الروس مع مقدمة لهنري باربي.
- ١٠- ملحق رقم (١٠): الخرائط.

ملحق رقم (١)

رسالة بطريك الأرمن (بدرماتوس-Peder Matteos) في استانبول إلى الأرمن في الدولة العثمانية بمناسبة سقوط بدرخان بك أمير بوتان بتاريخ ٩ كانون الأول ١٨٤٧

تبليغ لكل الكنائس المقدسة من بطريك الأرمن في استانبول، من مكان إقامة السلطان
العثماني:

منذ مئات السنين يتعرض شعبنا الأرمن لظلم الكُرد واستبدادهم، وهذا هو اليوم
الذي قضى فيه على وحشية واستبداد الكُرد السلطان العثماني العظيم، صاحب المثل
الأعلى في الحفاظ على شعبه، من مختلف مشاربهم وأعراقهم ودياناتهم، والذي لا
يقايض شعبه بأي ثمن، والذي جعل في يومنا هذا من الكُرد وجبروتهم وطغيانهم
خراباً، وهزمهم شر هزيمة؛ فقد كان الأرمن تحت سيطرتهم يبكون، ويئنون، ويتألون،
دون أن يستطيعوا أن يخرجوا صوتاً، وكان أولادنا فرأس لرغباتهم الشريرة، وصرنا
كإسرائيل عندما كانت تحت سيطرة أهل مصر، إلى أن جاء لطف الله علينا، وأنقذنا،
وخلصنا هذا السلطان العظيم، من الأسر والبؤس، التي لم تكن لنا طاقة لتحمله،
وأرض ارمنستان التي حباها الله، بوافر نعمته وخصوبة تربتها وأراضيها، جعلها
الكُرد مرتعاً لحيواناتهم ووكراً لفضارتهم وجرائمهم، ولكن الله لم ينسانا وقد عمل بهم
كما عمل بالطاغية البابلي، خالق العبودية والوثنية عندما ضربه بسهمه من السماء
وأرداه في (هايق ناهابت)، وبإيماننا به جعل لنا سبيلاً للخلاص من الكُرد. وعندما
رأى الله ما حل بأرضنا، التي لا مثيل لها بأيدي الطواغيت رحم بحالنا، وأرسل إلينا
برغبته ومشيبته الإلهية ملكاً عظيماً مميزاً وهو السلطان عبدالمجيد الشهم، والذي
شملنا بعطفه ورحمته، وخلصنا من الطغاة، وقرر أن يصنع لنا حريتنا بيديه، إن الرب
عظيم ومقدس ويده اليمنى القوية لا يمكن التصدي لها، وبعد سماعه لدعوات الأطفال
في جوقة المُرتلين في الكنيسة، وتضرع الراهبات اللائي نذرْنَ أنفسهن للعبادة،
وبكائهن الخالص لله أسقط الله رعباً وخوفاً في قلوب أعدائهم، وجعلهم يتأوهون من
شدة الرعب، الذي يدخلهم فيه، وجعل قادتهم أمثال خان محمود وبدرخان ينهزمون
أمام جيوش السلطان العظيم، ويستسلمون صاغرين منكسرين لقادة السلطان

1. M.Kalman, Bati-ErmenistanS.26-27.

الشجعان الناصرين، وهذا كله منة من الله على السلطان العظيم.

وهكذا تحرر الأرمن من هذا البؤس والأسر والشقاء، ونأمل فيما يأتي من الأيام أن نُسعد، ونحيى حياتنا الجميلة، في ظل حماية ملكنا الرؤوف والرحيم صاحب الفضائل الإنسانية، وان ما فعله السلطان من أجلنا أمر لا يصدق فقد عاملنا بكل عطف واحترام، وأظهر لنا وللشعب الأرمني محبة لا مثيل لها، وقد شاركنا فرحتنا، ونحن بدورنا كنا دائمي الدعاء والتضرع له، في سبيل النصر والغلبة للمستضعفين أمثالنا، وقد قام أيضاً بأفراحنا وإسعادنا أكثر، في يوم الجمعة المصادف (٢٧) تشرين الثاني، عندما شاركنا الفرحة وأمرنا، ونحن في حضرته، إلى إرسال الأمر الآتي إلى بطريكيتنا : (قد خص الله مملكتي بهذا النصر المؤزر، نتيجة لدعواتكم وصلواتكم المستمرة من أجل انتصارنا في المعركة، وقد سمع الله منكم دعاءكم وأعزنا بالنصر المبين، وهذا النصر المظفر كان أمانة الله عليّ، كي استمر في حماية أتباعي وشعبي والمحافظة على سلامتهم وراحتهم، التي كنت أرجوها دائماً من الله، وأقول للبطريارك بلغ شعبك إنني سعيد لكوني بينكم، ونحن متحدون ومتعاونون معاً، وأنا أكاد أحس بمشاعركم تجاهي، ومحبتكم لي وسعادتكم لكونكم تابعين لي، وأرجو من الله العلي القدير أن يحفظكم).

أنظروا إلى الحمية التي أظهرها فخامة السلطان لرعيته، من كل الشعوب والديانات، وجاعلاً هذا اليوم يوم حرية، أريد منكم أن تدعو من الله أن يحفظ لنا السلطان، وأريدكم أن تحيوه قائلين: فليعيش المنتصر ومحب الخير والإنسانية، والملك المعظم القوي، الإمبراطور عبدالمجيد خان، ولتعيش الأم القوية العادلة والدة السلطان، وليعيش أبناء السلطان، وكل أفراد عائلته، وليكن السلطان القوي يد الله اليمنى، وليحفظ الله السلطان ومعاونيه المحترمين، وقادة جيشه ووزرائه المحترمين، وليكن السلطان لانقاً في إنسانيته لإنسانية وسلام صاحبنا ومخلصنا عيسى الرب. وليكن سلطاننا مقدساً للأبد، أمين، (٩) كانون الأول ١٨٤٧ استانبول.

ملحق رقم (٢)

الجلسة التي عقدها مجلس العموم البريطاني لبحث قضية موسى بك

بتاريخ ٢٥ تموز ١٨٨٩

- **سأل المستر سمرز:** فيما إذا كان من الصحيح أن رجل العصاية الكردي موسى بك، عندما كان في طريقه إلى استانبول استقبله بمظاهر الشرف والتعاطف الموظفون المسلمون القادة في بتليس وموش وأرضروم وطرابزون؟ وفيما إذا وصلت الباخرة التي نقلت موسى من طرابزون إلى استانبول، وفيما إذا كان كل من الجنرالات حسن وبحري باشا على متنها، أرسلوهم السلطان؛ لكي يبلغوا موسى بك التحيات السلطانية؟ وفيما إذا قرر أخذ موسى بك إلى قصر يلدز كيوكز؟ وفيما إذا أصدر السلطان إرادة تدعو إلى كل ما يهمله الأمر للمجيء؟ وفيما إذا كان هنالك مرسوم يقضي بأن يقدم (١٢) أرمنياً مهاجراً عريضة إلى السلطان يعبرون فيها عن إستعدادهم لإثبات أن الجرائم التي حدثت كان قد ارتكبتها موسى بك؟ وفيما إذا أُلقي القبض على مقدمي العريضة هؤلاء، وأُدعوا في السجن لما قاموا به؟

- **السير فيركسن(منسق الشؤون الخارجية):** لم تكن لحكومة صاحبة الجلالة أي معلومات بالطريقة التي تم فيها استقبال موسى بك في القصور المذكورة، حيث إن موسى بك قام بتوجيه عريضة إلى السلطان، ذكر فيها أن الإضطهاد وأعمال العصابات، التي تُعزى إليه ليست لها أي أساس من الصحة، وأنه جاء إلى هنا لإثبات براءته من هذه التهم، وأنه على استعداد للوقوف مع المشتكين أمام المحكمة ويتحمل الحكم. وقد صدرت إرادة ملكية تتضمن تعليمات إلى وزير العدل تتضمن بإبلاغ المعنيين بالأمر من المشتكين بأن يقدموا كل التهم أمام المحكمة وبطريقة أصولية، وإذا كانت هناك أية قضية تقدم ضد موسى بك فيجب النظر فيها بأقصى درجات العدالة والإنصاف، وقد نصت الإرادة على أن تُصدر تعليمات إلى حاكم بتليس، بأنه إذا كان هنالك أي أشخاص موجودون، يريدون تقديم شكواهم ضد موسى بك، وأن يأتوا إلى استانبول. لقد تم إنكار إلقاء القبض على الوفد الأرمني،

1. Annexe au No:44, Séance de la Ghambre des Gommunes du 25 -7- 1889, THE GASE OF MOUSSA BEY, IN: (B.Ş.D.D.O.A.A), VOL: I, P.53-54.

ولم يتلقى سفير صاحبة الجلالة أي تقرير بهذا الخصوص.

- **أما المستر مور فقد سأل:** فيما إذا كان يستطيع أن يقدم أية معلومات للتحقيق المقترح، بخصوص التهم الموجهة ضد موسى بك، وفيما إذا كان هناك أي شرط، يتعلق بحضور أولئك الذين قدموا التقارير من الذين يعرفون اللغة التركية واللغات الأخرى؟

- **السير فيركسن:** طبقاً للمعلومات المتوفرة عند حكومة صاحبة الجلالة لم يتم إتخاذ أي قرار لحد الآن حول ما إذا كانت المحكمة ستستمع لهذا الموضوع ولكن يعتقد أن المحكمة ستكون علنية، كما أن حكومة صاحبة الجلالة لم تعلنها بعد، أما بخصوص هذا الشرط المتعلق بحضور الذين قدموا التقرير، والذين يعرفون اللغة التركية واللغات الأخرى فإن هذه المسائل تتعلق بالإدارة الداخلية للإمبراطورية العثمانية.

محلّف رقم (٣)

الأغنية التي ألفها الكرّد في موش عن موسى بك وگولّى^١

GULE U HECI MUSA BEG	گولّى وحهجى مووسا بهك
Gulê digo Hecî Musa Bego qurban	گولّى دگۆ چهجى مووسا بهگۆ قوربان
Ez gunê me, Ez gunê me	ئەز گونەمە، ئەز گونەمە
Ez axçik im, ez File me	ئەز ئاخجیکم، ئەز فلهمە
Ez Pûlik im, bêfayde me	ئەز پوولیکم، بی فایدەمە
Ez ne Liyqê Hecî Musa Begê xwe me	ئەز نە لایقێ چهجى مووسا بهگۆ خودەمە
Gulê digo Hecî Musa Begê qurban	گولّى دگۆ چهجى مووسا بهگۆ قوربان
Tu min serjê kî bi dûzanan	تو من سەرژێکی ب دووزانان
Tu goşxtê min rakî bi kelpetanan	تو گوشتی من راکى ب کەلپەتانان
Ez tu car nayê ser dîne Musulmanan	ئەز تو جار ناییم سەر دینى موسولمانان
Gulê digo Hecî Mûsa Begê qurban	گولّى دگۆ چهجى مووسا بهگۆ قوربان
Ez Gulê me, Gula dîn im	ئەز گولّى مە، گولا دینم
Ez'ê rabim dawa xwe li nav xwe bilefinim	ئەزى رابم داوا خودە ل ناڤ خودە بلەفینم
Rêka Istanbula şewîfî bigirim, bikudînim	رێکا ئستانبولاً شەوتى بگرم، بکودینم
Ez'ê textê Sultan Resad bigirim, bihezînim	ئەزى تەختى سولتان رەشاد ^٢ بگرم، بەژینم
Ez'e heft duwêlê ecnebî bi xwe	ئەزى هەفت دوێلى ئەجنەبى ب خودە

1.Recep Maraşli, A.G.E.,S.283-284.

– من الجدير بالذكر أن الفقرات الثلاثة الأولى جمعها الباحث محمد أمين بوز أرسلان، والفقرة الأخيرة جمعها المؤرخ (ناجي قوتلاي). كما حولها السيد إسماعيل طه شاهين إلى الحرف العربي مشكوراً.
٢. وردت في هذا البيت اسم السلطان رشاد (١٩٠٩-١٩١٨)، مع العلم ان الحادثة وقعت في عهد السلطان عبد الحميد الثاني (١٨٧٦-١٩٠٩)، ويبدو أن هذا البيت قد ضم إلى الشعر لاحقاً في عهد السلطان رشاد.

û Hecî Mûsa Begê bihîsinim

وحه جی مووسا به گی به سینم

Hacî Musa tu Kurmancî ez File me

حه جی مووسا تو کورمانجی ئەز فله مه

Ez aşiqê dînê xwe me

ئەز ئاشقی دینی خوهمه

Min nekuje ez gune me

من نه کوژه ئەز گونهمه

Tu serê min kurkî bi gzzana

تو سه ری من کورکی ب گزانا

Gostê min bidî ber kerpetana

کوشتی من بدی بهر کهرپه تانا

Ez serê xwe nadim ser balgyê mêrê

ئەز سه ری خوهمه نادم سهر بالگی می ری

Musulmana

موسولمانا

ملحق رقم (٤)

**مذكرة العقيد البريطاني (نورتون-Norton) المعنونة بـ(الإصلاحات
لأرمينيا الكردية) بتاريخ آذار ١٨٩٥**

- ١- إنشاء إقليم تحت اسم أرمينيا الكردية: إن تلك المناطق التي يسكنها الكرد والمسيحيون من رعايا جلاله السلطان الإمبراطورية صعبة الفصل لأن السكان متداخلون فيما بينهم، من أمثال: وان، وهكاري، وديرسم، وبتليس، وبعض الأجزاء الأخرى من الأقاليم، إذ يقوم الكرد والشركس بمنع السكان الدافعين للضرائب من التمتع بثمار أعمالهم غير المؤذية، ويجب تشكيلها ضمن ولاية كبيرة واحدة، تحت سيطرة حكومة يُختار لها موظف متمكن لها، يطلق عليه اسم نائب الملك، أو حاكم عام لأرمينيا الكردية.
- ٢- مجالس إدارية: (مجالس) تتمتع بسيطرة أقل، وتتطلب ضباطاً قانونيين أقل، ومحكمة بجلسات دورية من أجل تحييد النفوذ المحلي، يكون عدد الحكام الفرعيين أقل تحت سيطرة مجالس الإدارة، فمثل هذه المجالس سيكون لها عدد أعضاء أقل، ويكون عدد الضباط القانونيين أقل، وبرواتب أفضل وتسليم السجن بقرار من محكمة متنقلة، بجلسات دورية من أجل تحييد النفوذ المحلي.
- ٣- ضمان نفقات الحكومة المحلية: إن جميع العائدات (عدا الضرائب الست غير المباشرة)، تدفع إلى الخزانة في مقعد الحكومة الذي سيختار من أجل أرمينيا الكردية، إذ سيساهم هذا المصدر بنفقات الحكومة المحلية، قبل إجراء المدفوعات إلى بيت المال الإمبراطوري.
- ٤- ضريبة شرطة خاصة: تجبى ضريبة شرطة خاصة، من كل وحدة إدارية وفرض مقدار قليل من المال وضريبة على الأغنام.
- ٥- منع إطلاق سراح السجناء عن طريق الرشوة: ستكون السجنون تحت سيطرة سلطات الشرطة، وكذلك بالنسبة لجميع السجناء، ولا يسمح لأي من مفتشي القضاء

1.No. 440, Colonel Norton to Foreign Office, GROSVENOR CLUB, BOND STREET March 27, 1895, (Inclosure in No. 440:Memorandum on Reforms for Kurdish Armenia), IN: (B.Ş.B.D.O.A), VOL: III, P.591-594.

بإصدار أمر إطلاق سراح أي مدان حتى يكمل فترة حكمه، يجب تنفيذ عقوبة الإعدام دون أي تأخير لا ضرورة له، وإجراء الترتيبات لتنفيذ أحكام الأشغال الشاقة، والتي يتوجب تطبيقها في بناء الطرق الضرورية جداً في البلد.

٦- يقوم مَفُوضُ الإصلاحات بالإشراف على تنفيذ الفقرة (٥٩) من معاهدة برلين، ويخول مفوض أوروبي للإصلاحات في حينه وكيلاً سياسياً وقيماً في (شيف ليو- chef-lieu) من إقليم أرمينيا الكُردية، ويكون مسؤولاً عن الحفاظ على كفاءة قوة الجندرية، وان يطلع الدول الموقعة على معاهدة برلين، وبشكل مستمر على أن الرعايا المسيحيين للسلطان هم محميون من اعتداءات الكُرد والشركس.

٧- قيام اثنين من الضباط الفرعيين بمساعدة المفوض: سيكون لهذا المفوض رتبة رئيس مفوضي الإصلاحات، ويساعده في أداء واجباته كمفتش شرطة اثنان من الضباط الأوربيين، يلقبون بمفوضين مساعدين للشرطة والإصلاحات في أرمينيا الكُردية.

٨- تقسيم أرمينيا الكُردية إلى سناجق أو حكومات فرعية: يقسم الإقليم بأكمله إلى نحو اثني عشر سنجقاً، وكل سنجق يقع تحت إدارة متصرف، ويمثل أيضاً منطقة شرطة أو دائرة ولكل منها نسبة صحيحة من الشرطة المسلحة.

٩- يخضع الإقليم بأكمله إلى مراقبة الشرطة، واثنان عشر ضابطاً أوروبياً، يعملون كمفتشين شرطة في السناجق: إن المفتش الأوربي لقوة الشرطة هذه سوف يقيم في مركز الحكومة لكل سنجق، ويتأكد من أن رواتب الشرطة تدفع بشكل جيد، وتخفف لضريبة الشرطة بشكل عادل، وان جميع رعايا جلالته الإمبراطورية سوف ينعمون بالحماية من قاطعي الطرق، والمجرمين عن طريق القيام بدوريات منتظمة، ومواقع عسكرية مرابطة في جميع أنحاء البلد، وسيكون هناك أيضاً مسؤول عن كفاءة قوته العسكرية، وأن يتأكد بان الضباط والجنود يعرفون واجباتهم جيداً، وبأنهم يتلقون الأرزاق والأعلاف لحيواناتهم، والملابس، والأسلحة، وبأنهم منضبطين بطريقة ملائمة، وكذلك على الجندرية الخيالة أن يهتموا بشكل صحيح بخيولهم.

ملحق رقم (٥)

مقابلة سعد الدين باشا مع الأرمن في وان بتاريخ ١٩ آذار ١٨٩٦

يقول سعد الدين باشا: كنت قد ذهبت البارحة لرد زيارة القنصل الإيراني، واليوم ذهبت أيضاً إلى القنصل الانكليزي، وكان في أطراف القنصلية ما يقارب (٤٠٠) من القرويين الأرمن، وكنت قد أوصيتهم في وقت سابق بالعودة إلى بيوتهم، لكنهم طلبوا مقابلي أولاً، وقد وافقت على ذلك، وبداية كان كلهم في حال يرثى لها،... ووجهت عدة أسئلة إلى مختاريهم، فأجابوا على أسئلتي بالشكل الآتي:

- هل لديكم أراضٍ؟
- نعم لدينا أراضٍ مزروعة...
- نعم وماذا تفعلون هنا؟
- نجلس فقط.
- إذا لم تعملوا في أراضيكم فأنكم ستموتون جوعاً السنة القادمة...
- نموت من الجوع، ولكننا لن نتحرك من هنا!
- ولماذا لا تغادرون؟
- لأننا نخاف من الكرد، وحرى بالدولة بأن تلقى بنا إلى البحر، ولا تعيدنا إلى هناك.
- وهل يعقل هذا؟ فإن الدولة قد أرسلتني إلى هنا، وإنني حذرت الكرد، فلا تخافوا، وعودوا إلى قراكم.
- إذا لم يؤدب الكرد فلم يتخلوا عن مهاجمتنا.
- وكيف تريدون أن يؤدبوا؟
- وكيف لنا أن نعلم؟ فإن الدولة أدرى بشؤونها.
- نحن قمنا بتأديبهم، وأنتم بحاجة للتأديب أيضاً.
- نحن ماذا فعلنا؟
- من الذي قام بقتل (١٤) شخصاً من الكرد؟
- نحن لا نعلم.

- أنتم لا تعلمون ولكننا نعلم، كم عمرك؟-سأل سعد الدين باشا أحد الأرمن الحاضرين:-

- بين الخمسة والخمسين والستة والخمسين عاماً.

- هل والدك حي؟

- كلا.

- ماذا حدث له؟

- لقد توفي.

- ومن الذي قتله؟

- لقد مات بأمر الله تعالى.

- هل قتله أحد؟

- كلا.

- وهل يوجد من أجدادك من مات مقتولاً؟

- كلا.

- وما دام الكُرد إلى هذا اليوم لم يقتلوا أحداً من قبل، فماذا حصل: هل جنّ جنونهم لكي يقوموا بقتلكم؟

- لا نعلم.

- إذا أنت كنت لا تعلم فأنا أقول: أنت تعلم أن قريبتكم قد أصبحت مرتعاً للأشقياء، وكنتم تخبئون الأشقياء فيها مع أسلحتهم، وإذا ما رأيتم الكُرد في أي مكان كنتم تقومون بقتلهم، حتى أنكم قتلتم أربعة من الشخصيات المهمة لديهم-من أغواتهم-، وقد ضربتم عشرة من صغارهم، هم أيضاً قاموا بضرب اثني عشر شخصاً منكم، ماذا كان بوسعهم أن يفعلوا (نترجاكم أن لا تؤذوننا)، أن يقولوا لكم ذلك، وهل هذا ما كنتم ترغبونه؟

- نحن لا علم عندنا بما تقول.

- إذن فلماذا تقولون إذا ما بقي الكُرد هناك فإننا لن نذهب إلى قرانا، وهل تريدون منا أن نخرج الكُرد من تلك المنطقة؟ ولا تتعدى قراكم الأربعة قرى، أما الكُرد فيسكنون (٤٠٠) قرية، وهل علينا ولأجل أربعة قرى تهجير (٤٠٠) قرية؟!

- نحن لا نعرف، اقتلونا ولكن لا ترسلونا إلى هناك.

ملحق رقم (٦)

كلمة المشير عثمان باشا في موش بتاريخ ١١ آب ١٩١١

أيها الأرمن: إنكم خائنون للدولة وكذبة أشرار، ولستم على حق في شكواكم الأكراد؛ فإن الأكراد لم يضبطوا أراضيكم، ولم يعتدوا عليكم، وكل ما تقولونه دعاوى فارغة، وتهم كاذبة باطلة، لقد كانت هذه الأراضي لكم، ولكننا نحن العثمانيين قد أتينا ببضع مئات من الرجال إلى هنا، وحاربناكم وضبطنا منكم هذه الديار بالسيف، وحملنا الأهالي على الإسلام، فإذا كنتم رجالاً فحاربوا، واستردوا دياركم، إنكم أيها الأرمن شعب أصاب قسطاً وافراً من العلم والمدنية والرقي، ويمكنكم أن تحافظوا على حقوقكم بقوة ألسنتكم وأقلامكم، ولما لكم من الدهاء والذكاء، أما العنصر الكردي فجاهل وغير متمدن، لذلك ليس له قوة بغير السلاح، فبسلاحه يمكنه أن ينال حقوقه، أنتم تتركون بلادكم وتفرون إلى الدول الأجنبية، مدعين أن الأكراد يؤذنونكم ويظلمونكم. إنكم تكذبون؛ فانتم المذنبون، وإنكم عنصر ضار، والأكراد لا يمسونكم بضرر إذا لبثتم ساكتين سالتين، إنكم تطلبون إلغاء (العساكر الحميدية) لكي يخلو لكم الجو فتمرحون ما تشاؤون، فاعلموا أن العساكر الحميدية ستبقى دائماً لسحق رؤوسكم. تأتون دائماً إلى مدارسكم بمعلمين من لابسى القبعات، وتوكلون إلى الأجانب إدارة مدارسكم، فانتم آفة الوطنية وخائنو الأمة، والحكومة ستريكم التربية اللازمة. إن بعض الذين يأتون إلى هنا من الولاة ومأموري الحكومة، يخافون منكم حتى إن بعضهم يتنازلون إلى تقبيل أيدي قساوستكم، أما فأعلموا يقينا إنني لا أخاف.

١. المشير عثمان باشا والأرمن، جريدة التقدم (الطبية)، العدد (٢٣١)، ١١ آب ١٩١١، في: الكسندر كشيبيان، المصدر السابق، ص ٦٩-٧٠ و ص ٣٧٩.

ملحق رقم (٧)

برقية من الأحزاب الأرمنية (الطاشناق، والهنناق، والرامكافار) إلى الحكومة العثمانية بتاريخ ٢٥/٤/١٩١٣

نتيجة للسياسة الحمقاء والتحريضية والإجرامية المتبعة إزاء السكان الأرمن فان ولايتنا مثلها مثل باقي الأقاليم التي يسكنها الأرمن في طريقها السريع نحو الدمار، فإذا كنا قد لزمنا الصمت حتى الوقت الراهن، فذلك بسبب الحرب التي كانت تعني سلامة الإمبراطورية، إلا أن التزامنا الصمت لمدة أطول سيكون عملاً مضرًا بالمصالح العامة للسكان الأرمن في الإمبراطورية. وفيما يخص إقليمنا والسلطات المحلية والجندرمة والشرطة والمحاكم، ففي حقيقة الأمر أنها جميعاً تعمل بكل وسيلة قانونية وغير قانونية، من أجل هدف واحد هو سحق وإضعاف وإبادة القوة الكلية للشعب الأرمني. فالقوانين تطبق فقط من أجل كسب ود المجرمين الكرد وضرب السكان الأرمن. تتظاهر قوات الجندرمة والشرطة بأنها لا ترى عصابات الكرد المسلحين الغازية للطرق، قاموا بمصادرة مسدس وجد مع احد الأشخاص من الأرمن. فالمسؤولون في حكومتنا غير مكترثين للمحرضين من الأتراك والكرد، الذين سلحوا القرويين الكرد بالقوة والتهديد، وحرصوهم ضد الأرمن بالأكاذيب الكبيرة، ولكن هؤلاء هم نفس المسؤولين الذين ملأوا السجون بالأرمن الذين شوهدوا في القرى، فالمحاكم لم تصدر مذكرات اعتقال ضد الفاعلين الحقيقيين للجرائم المرتكبة ضد الرجال المحترمين من أمثال (رافائيل-Raphael)، و(يريزيان-Yerezian) والقس (ماردروس-Marderos)، ولكن منذ أشهر وهم يعذبون القرويين الأبرياء داخل السجون، من الذين ليس لهم أي علاقة بعملية اغتيال قاطع الطريق حجي يعقوب-هو كُردي- وقاموا باحتلال قراهم عن طريق مجموعة من الجنود فارهبوا المنطقة بأسرها. ونتيجة لهذه الملاحقات السياسية فقد بلغ عدد الهاربين الأرمن إلى مئة شخص، وهذا العدد يزداد بشكل يومي، وهكذا خلقوا وضعاً غير طبيعي في هذه الولاية. إن كابوس الهجوم المسلح والمصائب المستقبلية تمنع عدداً كبيراً من القرويين من حرث الأرض وزراعتها، والأمر الذي سيقود إلى

1. No. 378, British Vice-Consulate His Excellency Sir Grad A. Lowther, Van, May 10th, 1913, IN:(M.D.B.D.A), P. 611-612.

كارثة مجاعة جديدة. وفي حصول كل هذا الأمر تحت نظر الوزارة وتحت نظر سعادتك، فإننا نؤدي الواجب ونعده حقنا في المطالبة بضمانات لإصلاحات فورية، من اجل الأرواح والممتلكات للسكان الأرمن ضد عدد صغير من الكُرد (دهره بهكي)، الذين يعدون مصاصي دماء للسكان الكُرد أيضاً، وضد المسؤولين العاجزين والفاستدين الذين يحمونهم ويشجعونهم. فإذا لم تقم سعادتك بوضع حد لهذا النظام المدمر عن طريق الوسائل الحاسمة فان الأناضول لن تتمكن من التخلص من الكوارث التي حلت برومليا.

ملحق رقم (٨)

النص الكامل لمنشور عبد الرزاق بدرخان إلى الكردي

في تشرين الأول ١٩١٣

السلام على النبي (صلى الله عليه وسلم) رسول الله...
بعد أن أجبرت الحكومة العثمانية على التنازل عن طرابلس الغرب لصالح إيطاليا، وهزمت أمام قوى البلقان الأربع^١، وخسرت سبعة ملايين مواطن والولايات الأوربية، نزولاً إلى جوار القسطنطينية، وجزر ايجة، وكريت، كلها وهي مناطق تفوق بمواردها الأناضول بأشواط. إلى جانب ذلك أعطت الحكومة المذكورة أفضلية لـ(لبنان) ولرفأين في سوريا، وفي ولاية دمشق وعُين (حسين حلمي باشا) لإنفاذ هذه الإصلاحات.
أما بالنسبة إلى الكويت، وشط العرب، والسكك الحديدية المتاخمة لبغداد، فقد أوكلت إلى بريطانيا...؛ ثم ناقشت القوى العظمى مسألة تقاسم الأراضي التركية في آسيا، وبما أن الجيش والخزينة العثمانيين قد دمرا بالكامل، قبلت الحكومة بحماية من انكلترا بالشروط التالية، بهدف ضمان استقلال ما تبقى من أراضيها:

- ١- ستدير انكلترا والقوى الأخرى الشؤون الداخلية كافة.
- ٢- سيخضع الجيش العثماني لأوامر الضباط الألمان.
- ٣- سيدير مسؤولون أوروبيون جميع التنظيمات، من: محاكم، وميزانية الدولة، والشرطة، والدرك وغيرها.
- ٤- ستنعم الولايات الست التي تشكل (أرمينيا) وهي: (وان، وبتليس، وأرضروم، وسيواس، وخربوط، ودياربكر) بميزات خاصة للأرمن.
- ٥- سينتقل مجلس السفراء في لندن وباريس، الذي تفحص وضع قوى البلقان الأربع المنتصرة، واتخذ القرارات بشأنها، إلى دراسة قضية إعادة هيكلة أرمينيا، والميزات

1. No. 384, Inclosure in Mr. Consul Monahan's No. 69 of, 31st , October 1913: A summary translation from the Armenian newspaper Haratch, IN:(M.D.B.D.A), P.623-625; Justin McCarthy and others, Op.Cit., P. 282-285.

٢. يقصد بالدول الأربعة هنا دول العصبة البلقانية التي تأسست في العام ١٩١٢، وهي: (صربيا، وبلغاريا، واليونان، والجبل الأسود).

الأرمنية، ومعاملة الأرمن كقوة خامسة- أي بجانب الدول الأربعة البلقانية المنتصرة على الدولة العثمانية - وبالتالي اتخاذ القرارات المناسبة.

لقد وافقت الحكومة التركية على البنود المذكورة آنفاً، كما درست أوروبا إمكانية إحالة (يافا) ومرفأ القدس إلى فرنسا، مع إعطاء تعويضات مماثلة لكل من القوى الأخرى، وبالتالي أصبح جلياً أن أوروبا هي وحدها، التي تقرر مصير أقسام العالم الأخرى إلى جانب أمريكا. وإن صادق المجلس في (لندن) على امتيازات الأرمن لكونهم القوى المنتصرة الخامسة فستكون الخيبة من نصيب الكرد. لا بد من الإشارة إلى أن الحكومة العثمانية، التي ألفت جيشاً من سبعمئة ألف إلى ثمانمئة ألف جندي، خسرت (٣٥٠٠٠٠) شخص بين قتيل وجريح، فيما سجن (٣٠٠٠٠٠) آخرين، وفقدت ثمانين في المائة تقريباً من الأسلحة والذخائر، ونضبت محتويات خزانة الدولة، وجردت السلطنة من جميع وسائل الدفاع عن النفس. وبما أن ما تبقى من الأراضي ستقسم على الأرجح، باتت تركيا مثل المغرب وبلاد فارس، واضطرت إلى القبول بالحماية البريطانية، وبوجود دولة أرمنية تتمتع بالامتيازات عوضاً عن دمارها الكامل. إن امتنعت الحكومة عن التفريط بالكرد، ستفقد القسطنطينية وآسيا الصغرى، فكما يقال (هل يجوز تصحيح خطأ ما باللجوء إلى آخر؟!). لذلك رفعت تركيا يدها عن كردستان وخضعت لأهواء أوروبا.

نحن الكرد المعروفون من أغلبية الأوربيين، وفي جميع أوساط المثقفين، نحن من تصفهم المعاجم كعشائر شبه متوحشة نعيش على السرقة، وكعادة لا يعترف بنا كأمة لها الحق في الحضارة على غرار الأرمن. بالطبع لن يصغي أحد إلى برقياتنا، وخطاباتنا، وممثلينا، وفي ظل الظروف الراهنة نستذكر المثل الفارسي التالي (بسلحنا المرفوع ستبقى الأمة محمية). مع ذلك لا نقول إننا سنرفض قرارات القوى الست، لكن سكان الولايات المجموعة تحت اسم (أرمينيا)، وسكان المناطق الأخرى هم من الكرد الذين يشكلون نسبة ثمانين في المئة، وهم يمتلكون معظم الأراضي، وبالتالي لا بد من أن تكون لحقوقهم ومصالحهم الصدارة. والآن بما أن الحكومة تخلت عنا فان كان ثمة من أمة تستحق امتيازات فهي الأمة الكردية. وإضافة إلى ذلك تجدر الإشارة إلى أن المسيحيين الأشوريين الذين يشاطرون الكرد تقاليدهم، وعاداتهم، وشيم عشائرتهم، والذين انضموا إلينا وباتوا حلفاءنا لن يقبلوا يوماً أن تعطى الامتيازات للأرمن مع تجاهل الكرد والأشوريين.

هذه المرة، ويهدف تحقيق هدفنا والحصول على حقوقنا المشروعة لن نقوم بإعمال النهب والثأر (كما في السابق)، ولن نوذّي مسلماً أو أرمنياً أو يهودياً، بل سنتسلح إلى جانب شركائنا في الوطن، وهم الأشوريون وسنقول للقوى العظمى: (لن نقول: إننا لن نقبل بقراراتك، بما أن الحكومة العثمانية التي كانت حتى الآن من القوى العظمى، وباتت كالمغرب وبلاد فارس؛ سنقبل بعون الله بحكم الأوربيين، ولكن بما أن الكرد والأشوريين هما أمتان منفصلتان فلا بد من أخذ مصالحهما في الحسبان، وما أن نتوصل إلى اتفاق بهذا الشأن سنساعد نحن أنفسنا أوريا على إنفاذ قراراتها).

إن فشل الكرد في الحصول على حقوقهم وامتيازاتهم- أؤكد لكم من الآن إن الخطوة الأولى التي ستتخذ- هي: جمع الأسلحة، وتجريد الكرد من السلاح، وزوال الشيوخ، والعلماء، والبكوات، والاغوات، وبعد ذلك كيف سيتمكن الكرد الاميين (الجهلة) من حماية حقوقهم لا من الأرمن الأثرياء ولكن السفلة.

يا أيها الكرد! أترغبون في إثارة مشاعر الحقد تجاه أنفسكم، وان تروا دينكم، وأمتكم، وأرض أجدادكم، مجرد ركام؟ فاعرفوا أن الكرد، والأسیاد، والعلماء، والشيوخ، والنبلاء، والمتقفين، ورجال الدولة، والبكوات، والاغوات، والفقراء، والأثرياء قد أنشأوا لجنة وأقسموا على حماية الدين والأمة وأرض الأجداد بالدماء. وكى لا نخضع للأرمن يجدر القيام بما يلي: من يحب دينه وأرض أجداده ملزم بالتسلح ومساعدة المقاتلين. وإلى جانب ذلك فإن الكرد والمسلمين والمسيحيين وكل من يشاطرنا الرأي من إخواننا المواطنين، وخاصة المسؤولين، والضباط العسكريين، مدعوون للانتساب إلى لجنتنا. كما لا بد من أن نلحظ أن (٦٥٠٠٠) ضابط ومسؤول هم عاطلون عن العمل في (روميليا)، وان أعطينا الولايات الست للأرمن ستبقون أيها الضباط والمسؤولين جائعين مشردين مع عائلاتكم في الشوارع، وستستنزف الهجرة قدرات الأمة، وعلى غرار ما سيحصل في روميليا، وكريت، وأقاليم مسلمة أخرى فقدت، ستدمر مساكننا وأماكن عبادتنا وسوف تـدنس.

ملحق رقم (٩)

الرسالة التي أرسلها الأرمن، الذين أنقذهم محمد أغا، إلى الروس

مع مقدمة لهنري باربي

دعوة مثيرة أب ١٩١٦

في مناطق عديدة هناك عدد من العوائل الأرمنية استطاعت أن تفلت من الإبادة الجماعية، وذلك بفضل الحماية غير المتوقعة من عدة عشائر كردية، الذين يمثلون استثناءً للقسوة المعتادة لهذا العرق، فإن هؤلاء الكرد اظهروا لهم مشاعر إنسانية، إلا أن وجود هؤلاء اللاجئين هو أيضاً أمر مؤقت، لان المجاعة تعذبهم كما أن الحكومة التركية تطارد الناس، الذين ينقذونهم ويقومون بذبحهم أو تسليمهم، وهكذا وجدت دليلاً في رسالة حيث أن مجموعة من هؤلاء البؤساء، الذين لجئوا إلى الجبال منذ أشهر رثوا حال قيادة الجيوش الروسية، الذين كانوا يحتلون بتليس وهذه الرسالة جلبها أحد الكرد من الذين كانوا يحمونهم، وفيما يلي ترجمة لهذه الرسالة:

"نحن الموقعون أدناه بعد هروبنا من المذابح والنار لجئنا إلى الجبال ومنذ (١١) شهراً نحن وسط العشائر الكردية حيث نعيش، ولكننا نشكو من الجوع وعدم توفر الملابس، وأحوالنا مزينة للغاية، وهؤلاء الكرد هم الذين تحملوا المخاطر من أجل إنقاذنا وبقائنا أحياء، وفي الحقيقة عندما تعلم الحكومة التركية بلجوئنا كانت ترسل موظفيها...إلى الأغوات الكرد لإعطائهم المال، أو لقتلنا، أو لتسليمنا، إلا أن الكرد رفضوا ذلك، وبعد ذلك أرسلوا-أي الأتراك- الملالي؛ ثم أرسلوا الشيوخ وباسم القران بدأوا يقدمون النصح إلى الذين يحموننا لكي يقتلوننا، إلا أنهم لم ينجحوا في ذلك، وعندما رأوا أن نصائحهم وأوامرهم غير مجدية قامت السلطات التركية بجمع ألف من الكرد من عشائر أخرى، ووضعوهم على رأس الجندرية وأرسلوهم ضدنا، وفي هذه المرة دافع أغوات العشائر عنا، كما أن احد الشيوخ هو حامل هذه الرسالة (محمد أغا) لم يخضع للتهديد، وقد جرى هنالك قتال انتصر فيه رجال العشائر، ونجحوا في دفع المعتدين.

1. HENRY BARBY, Op.Cit., P.103-107.

٢. هذا العنوان مع المقدمة القصيرة تعود لهنري باربي.

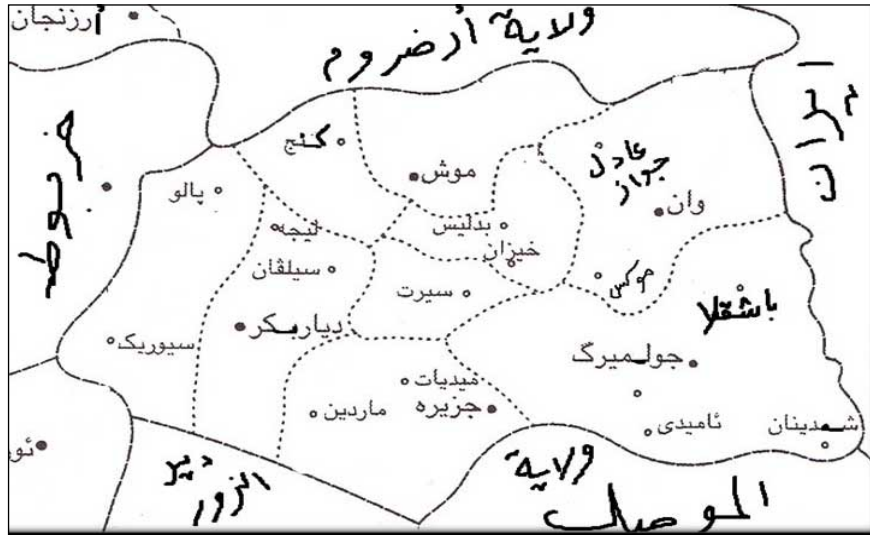
إن الأنظار تتجه نحو الأفق، ومنتظر جميعاً بكل قلق وصولكم -وصول القطعات الروسية- ومنذ شهرين استوليتم على بتليس، ونحن هنا نتصور جوعاً ولا يمكننا أن نأتي إليكم، وينبغي عليكم التقدم بحدود (١٠) إلى (١٢) ساعة سيراً، لكي تتمكن من الالتحاق بكم، إن المجاعة قاسية جداً، كما أن الكُرد لم يبقَ لهم شيء من الخبز، ولم يبقَ لديهم ما يمكن أن يعطوننا إياه، وقد قمنا ببعض الأعمال بهذا الخصوص، وهو أن يقوم المتمكن منا-أي: القوي- بحمل الضعفاء من بيننا ونقلهم إلى القرى الأخرى، وذلك للبحث عن قطعة خبز...ولكن حتى هذا البحث كان عبثاً، أما الصدقة فقد استوفيت، ولا أحد لديه شيء يعطينا، وانه أمر مرعب أن نرى الأطفال، وهم يعانون ويموتون من الجوع، والآن فإن الأب، والابن، والطفل، والأخ، والأخت، يدرك الواحد الآخر، ولا يفكر الواحد منا بالآخر، وإنما يفكر فقط بأن ينجو بنفسه، ويبحث لوحده عن قطعة من الخبز، الذي لا يمكن العثور عليه، وأمام مثل هذا الوضع الخطير قررنا إرسال مندوبين اثنين إلى سعادتكم، الأول هو: محمد أغا الذي ساعدنا كثيراً في الهروب من يد الحكومة التركية، أما الشخص الثاني فهو أرمني ويدعى (اراكل افي ديسان)، ليطلب منكم باسم هؤلاء الأطفال الصغار أن تخلصوننا من مجاعتنا وان نطمئنا إليكم مع عوائلنا، ومنذ (١١) شهراً نعيش في هذه الحالة المستميتة، ويعزونا الأمل بوصول جيشكم المنتصر، ونتوسل إليكم باستقبال محمد أغا بشرف وبحفاوة، وإلا سوف نتعرض إلى مذبحه-على يد المتربصين- وان الأغوات-الكُرد- يأملون بمكافئة نتيجة تصرفهم معنا، ونعلمكم أن محمد أغا أوى في عائلته، عائلة مرافقه (افي ديسان)، والتي تضم (١٢) شخص، وكان يطعمهم على نفقته، وكان عليه أن يبيع كل ممتلكاته من أجل ذلك، وأخيراً وجد نفسه في الظرف التي نعيش نحن فيه الآن.

ونقدم لكم قائمة بأسماء عوائلنا الذين انقذهم الكُرد، مع وجهة سفرهم إلى القرى (٦٠) عائلة من كارخو، (٥٠) عائلة من سيليز، (٥٥) زيردوا، و(٣٠) اردوا، و(١٠٠) هرورك وزود وزومان، و(٤٥) عائلة من كودزك، ومن ناحية أخرى فإن (٤٠٠) عائلة من قرية هازو تم أنقاذها أيضاً، ووجدوا لهم ملجئ في قرية آسي الكُردية، الذين أكرمهم وعاملوهم بمنتهى الإنسانية، مثلما تمت معاملتنا من محمد أغا وقراه، وهنا أيضاً هنالك عدد من الأرمن من قرى بعيدة تبعد مسافة يومين أو ثلاثة سيراً على الأقدام.

وأخيراً نختم رسالتنا هذه متمنين لكم من أعماق قلوبنا النصر، وباسم أرمن قرية
هازو، وباسم أرمن القرى المذكورة آنفاً نوقع. (بوغوص ساركسيان- بطرس ازاديان-
ايبوا كيكوان- اوان نونيان- الأب المبجل مانوا افاكيان) كارخوفي ١١-٢٤ نيسان
١٩١٦."



شمال كُردستان (الأناضول الشرقية) في القرن التاسع عشر



ولاية كُردستان العثمانية في القرن التاسع عشر



الحدود الإدارية للولايات الست



خارطة ارمينيا التي قدمها الوفد الأرمني الى مؤتمر السلام في باريس عام ١٩١٩



خارطة كُردستان التي قدمها شريف باشا الى مؤتمر السلام في باريس عام ١٩١٩



خارطة «كُردستان» في معاهدة سيفر ١٠ آب ١٩٢٠



الخارطة التي أرفقها الرئيس الأمريكي وودرو ويلسون بقرار تحكيمه في تشرين الثاني ١٩٢٠

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: الوثائق المنشورة:

أ- البريطانية:

١- باللغة الانكليزية.

٢- باللغة العربية.

٣- باللغة الكُردية.

ب- العثمانية (التركية):

١- باللغة الانكليزية.

٢- باللغة الفرنسية.

٣- باللغة التركية الحديثة.

٤- باللغة التركية القديمة.

٥- باللغة العربية.

ج- الفرنسية.

د- الروسية:

١- باللغة الانكليزية.

٢- باللغة الفرنسية.

٣- باللغة الكُردية.

هـ- الامريكية.

ثانياً: التقارير:

أ- الانكليزية.

ب- الفرنسية.

ج- العربية.

د- الكُردية.

ثالثاً: الصحف الكُردية القديمة:

أ- بالحروف اللاتينية (المنشورة على شكل كتاب).

ب- بالحروف العربية (المنشورة على شكل كتاب).

ج- گوڤارا هتاوى كُرد، استانبول، ١٩١٣-١٩١٤ .

د- گوڤارا كوردستان، استانبول، ١٩١٩-١٩٢٠ .

رابعاً: المذكرات والرحلات:

أ- الانكليزية.

ب- التركية.

ج- الفرنسية.

د- العربية.

هـ- الكُردية.

١- بالحروف اللاتينية.

٢- بالحروف العربية.

خامساً: الرسائل الجامعية:

أ- الانكليزية.

ب- العربية.

سادساً: الكتب:

أ- العربية.

ب- الانكليزية.

ج- التركية.

د- الفرنسية.

هـ- الكُردية.

سابعاً: الأبحاث والمقالات:

أ- الانكليزية.

ب- الفرنسية.

ج- العربية.

د- الكُردية.

هـ- المنشورة على الانترنت:

١- الانكليزية.

٢- الفرنسية.

ثامناً - الموسوعات والمعاجم.

- NIENNES, VOL :II (1894-1895), TÜRK TARİH KURUMU, ANKARA, 1989.
- 3-....., DOCUMENTS DIPLOMATIQUES OTTOMANS: AFFAIRES ARME-
NIENNES, VOL :III (1895-1896), TÜRK TARİH KURUMU, ANKARA, 1999.
- 4-....., DOCUMENTS DIPLOMATIQUES OTTOMANS: AFFAIRES ARME-
NIENNES, VOL :IV (1896-1900), TÜRK TARİH KURUMU, ANKARA, 1999.
- 5-HALİL KEMAL TURKOZU, ARMENIAN ATROCITY According to Ottoman and Rus-
sian Documents, INSTITUTE FOR THE STUDY OF TURKISH CULTURE, ANKARA,
1986.
- 6-Kirzioglu M. Fahrettin, ATROCITIES COMMITTED BY THE ARMENIANS IN KARS
AND ITS VICINITY 1918-1920: Originals of (7) Booklets published in Turkish and
French on the Armenian Atrocities and Outrages in Erzincan-Kars-Revana-Nahçıvan-
Ahikelek and Borçali, KÖKSAV, Ankara, 1999.

٢- باللغة الفرنسية:

- 1- DOCUMENTS, ANKARA, 1982.
- 2-DOCUMENTS RELATIFS AUX Atrocités commises par les Arméniens SUR LA POP-
ULATION MUSULMANE, PUBLICATION DU CONGRÉS NATIONL, CON-
STANTINOPLE, 1919.

٣- باللغة التركية الحديثة:

- 1- ERMENILER TARAFINDAN YAPILAN KATLIAM BELGELERİ, II,
T.C.BASBAKANLIK DEVLET ARSIVLERİ GENEL MUDURLUGU Osmanlı Arsivi
Daire Başkanlığı Yayın Nu: 50, ANKARA, 2001.
- 2-ERMENİ KOMİTELERİ (1891-1895), T.C .BAŞBAKANLIK DEVLET ARŞVLERİ
GENEL MÜDÜRLÜĞÜ Osmanlı Arşivi Daire Başkanlığı Yayın Nu: 48, ANKARA, 2001.
- 3-OSMANLI BELGELERİNDE ERMENİ-FRANSIZ İLİŞKİLERİ 1879-1918, Cild: I, T.C.
BAŞBAKANLIK DEVLET ARŞİVLERİ GENEL MÜDÜRLÜĞÜ Osmanlı Arşivi Daire
Başkanlığı Yayın Nu: 58, ANKARA, 2002.
- 4-OSMANLI BELGELERİNDE ERMENİLERİN SEVK ve İSKNİ,T.C BAŞBAKANLIK
Devlet Arşivleri Genel Müdürlüğü, ANKARA, 2007.

٤- باللغة التركية القديمة:

- ١- ارمنی قومیتیه لرینک امال وحرکات اختلالیه سی:اعلان مشروطیتدن اول وصوره، استانبول،
١٣٣٢(١٩١٦).

٥- باللغة العربية:

١- الوثائق، المجلد الثالث، انقره، ١٩٨٦ .

٢- عثمان علي، الكرد في الوثائق العثمانية، مؤسسة موكرياني للبحوث والنشر، اربيل، ٢٠١٠ .

ج- الفرنسية:

- 1- HASAN DILAN, FRANSIZ DIPLOMATIK BELGELERINDE ERMENI OLAYLARI 1914-1918- LES EVENEMENTS ARMENIENS DANS LES DOCUMENTS DIPLOMATIQUES FRANÇAIS 1914-1918, VOL: I, TÜRK TARİH KURUMU, ANKARA, 2005.
- 2-....., FRANSIZ DIPLOMATIK BELGELERINDE ERMENI OLAYLARI 1914-1918- LES EVENEMENTS ARMENIENS DANS LES DOCUMENTS DIPLOMATIQUES FRANÇAIS 1914-1918, VOL: II, TÜRK TARİH KURUMU, ANKARA, 2005.
- 3-....., FRANSIZ DIPLOMATIK BELGELERINDE ERMENI OLAYLARI 1914-1918- LES EVENEMENTS ARMENIENS DANS LES DOCUMENTS DIPLOMATIQUES FRANÇAIS 1914-1918, VOL: V, TÜRK TARİH KURUMU, ANKARA, 2005.

د- الروسية:

١- باللغة الانكليزية:

- 1- Mecbure Eroglu, ARMENIAN ISSUE: According to the Russian Documents In the Archive of the Institute of Turkish Revolution History, KÖKSAV, Ankara, 1999.

٢- باللغة الفرنسية:

- 1-ASPIRATIONS ET AGISSEMENT RÉVOLUTIONNAIRES DES Comités Arméniens, avant et après la proclamation DE LA CONSTITUTION OTTOMANE, ISTANBUL, 1917.
- 2-Général Russe MAYEWSKI: Consul Général de Russie à Van puis à Erzeroum, LES MAS-SACRES D'ARMÉRIE, n.p 1916.

٣- باللغة الكردية:

- ١- ئەفراسياو هه ورامى، كورد له ئەرشیفی روسیا و سۆقیهت دا، پێداچوونه وهی کوردیه کهی: مستهفا غهفور، دهزگای توێژینه وه ویا لادنه وهی موکریانى، هه ولێر، ٢٠٠٦ .

ه- الامريكية:

- 1- Ara Sarafian, UNITED STATES OFFICIAL RECORDS ON THE ARMENIAN GENOCIDE 1915-1917, Gomidas Institute, U.S.A, 2004.

ثانياً-التقارير:

أ- الانكليزية:

- 1- ARMENIA THE SETTLEMENT, REPORT OF PUBLIC MEETING TO EXPRESS SYMPATHY WITH THE ARMENIAN CAUSE, HELD AT THE CENTRAL HALL, WESTMINSTER, ON THURSDAY, JUNE 19TH, 1919, LONDON, 1919.
- 2-C.F.DIXON JOHNSON, THE ARMENIAN QUESTION: ITS MEANING TO GREAT BRITAIN, n.p, n.d.
- 3-....., THE ARMENIANS, NORTHGATE-BLACKBURN, 1916.
- 4- MAJ.GEN.JAMES G HARBORD, CONDITIONS IN THE NEAR EAST: REPORT OF THE AMERICAN MILITARY MISSION TO ARMENIA, WASHINGTON, 1920.
- 5-THE ARMENIAN MASSACRES 1894-1896 British Media Testimony, Edited and with an Introduction by: ARMAN J.KIRAKOSSIAN, Foreword by: LORD SHANNON, University of Michigan-Dearborn, 2008.
- 6-THE ARMENIAN QUESTION Before The Peace Conference: A Memorandum Presented Officially by the Representatives of Armenia to the Peace Conference at Versailles, on February 26th, 1919.
- 7-THE FRONTIER BETWEEN ARMENIA AND TURKEY AS DECIDED BY PRESIDENT WOODROW WILSON, NOVEMBER 22, 1920.
- 8-THE HISTORY OF THE ARMENIAN GENOCIDE: HEARING BEFORE THE COMMITTEE ON INTERNATIONAL RELATIONS HOUSE OF REPRESENTATIVES ONE HUNDRED FOURTH CONGRESS SECOND SESSION, U.S.GOVERNMENT PRINTING OFFICE, WASHINGTON, 1996.

ب- الفرنسية:

- 1- LES ARMÉNIENS ET LA QUESTION ARMÉNIENNE, CONFÉRENCE FAIT PAR M.ANATOLE LEROY-BEAULIEU, PARIS, 1886.
- 2-RÉPONSE AU MÉMOIRE DE LA SUBLIME-PORTE EN DATE DU 12 FÉVRIER 1919, CONSTANTINOPLE, 1919.

ج- العربية:

- ١- الميجور نوئيل، ملاحظة في الوضعية الكوردية، تقديم: د.عبد الفتاح علي البوتاني، جامعة دهوك، مركز الدراسات الكوردية وحفظ الوثائق، ٢٠٠٩ .

د- الكردية:

- ١- كوردستان يا ئهرمه نستان: شههیدهکان یا ملهورهکان، لهفرانسیه وه وهرگیرانی وپیشهکی وپهراوینووسی: د.نهجاتی عهبدوللا، بنگه‌ی ژین، سلیمانی، ٢٠٠٩ .

ثالثاً- الصحف الكُردية القديمة:

أ- بالحروف اللاتينية (المنشورة على شكل كتاب)^١:

- 1- M.EMIN BOZARSLAN, KÜRD TEAVÜN VE TERAKKı GAZETESİ, GOVARA KURDI-TIRKI , KÜRDÇE-TÜRKÇE DERGI 1908-1909, WEŞANXANA DENG, UPSALA-SWEDEN, 1998.
- 2-.....JIN: GOVARA KURDI-TIRKI , KÜRDÇE-TÜRKÇE DERGI 1918-1919, Cild: II, WEŞANXANA DENG, UPPSALA-SWEDEN, 1985.

ب- بالحروف العربية (المنشورة على شكل كتاب):

- ١- رۆژی کورد ١٩١٣: گۆفاری جقاتی (هێقی)ی قوتابیانى کورد ١٩١٣-ئەستەموول، نامادەکردن ولێکولینەوهی: عەبدوڵلا زەنگەنە، پێشەکی: د.ئیسماعیل شوکر، بنگەى ژین، سلیمانی، ٢٠٠٥ .
- ٢- کوردستان یەكەمین رۆژنامەى کوردی ١٨٩٨-١٩٠٢، کۆکردنەوه وپێشەکی: د.کەمال فوئاد، چاپی سییەم، تاران، ٢٠٠٦ .
- ٣- محمود زامدار، کوردستانی دایک، حکومەتى هەریمی کوردستان-عێراق، وهزارەتى رۆشنبیری، ههولیر، ١٩٩٨ .

ج- گوڤارا (مجلة) هتاوی کُرد، استانبول، ١٩١٣-١٩١٤^٢:

- ١- باب ناجو، فاعتبروا يا أولي الأبصار، العدد (٢)، ٤ كانون الأول ١٩١٣ .

د- گوڤارا (مجلة) کوردستان، استانبول، ١٩١٩-١٩٢٠^٣:

- ١- أبن الرشيد، وضعية عموميهء اكراده برنظر، العدد (٨)، ٣ حزيران ١٩١٩ .
- ٢- أمين فيضي ارمنى از المامش چو غالمشدر، العدد (١٥)، ١٢ تشرين الثاني ١٩١٩ .
- ٣- بدرخانى محمد عثمان، خوليا پروانه تشبثات، العدد (٥)، ١٦ نيسان ١٩١٩ .
- ٤-.....، كورد مهاجرلرى نه اوله جق، مجلة كُردستان، العدد (٦)، ١ أيار ١٩١٩ .
- ٥- تبليغ رسمى، العدد (٥)، ١٦ نيسان ١٩١٩ .
- ٦- تلغراف، مخرج: ملازكُرد نومره ٥٧، العدد (٥)، ١٦ نيسان ١٩١٩ .
- ٧- جانو الارضروملي، ارمنستانك پايتخت وقوهء عسكريهسى، العدد (٦)، ١ أيار ١٩١٩ .

١. من الجدير بالذكر هنا ان الباحث محمد أمين بوز ارسلان قد نشر هاتين المجلتين على صورتها الاصليتين، مع تحويلهما إلى الحرف اللاتيني.

٢. متوفرة في مكتبة الباحث.

٣. جميع الاعداد (١٩) بحوزة السيد رفيق صالح صاحب مؤسسة ژين للطباعة والنشر في السليمانية، وقد زودني بها مشكوراً.

- ٨- صبري سلمان، تاريخدن بر صحيفه: مشاهده ايتديكم وقايع، العدد (٥)، ١٦ نيسان ١٩١٩ .
- ٩- كاكه حمه، امريكا هيئتك وظيفه سى، العدد(١٢)، ٢٦ اب ١٩١٩ .
- ١٠-.....، اوريهنت نيوز غزتهسنه، العدد (١٣)، ١٣ ايلول ١٩١٩ .
- ١١-.....، عقدهء حيات-فديهعجات اوله مان، العدد(٧)، ٢١ ايار ١٩١٩ .
- ١٢- كورد هيئت مرخصه سى رئيسى شريف باشا حضرتلرينك صلح قونفرانسنه تقديم ايتديكى محظرهنگ صورت مترجمه سيدر، العدد (٩)، ٢٤ حزيران ١٩١٩ .
- ١٣-.....، ما بعد (٢)، العدد (١٠)، ١٣ تموز ١٩١٩ .
- ١٤-.....، ما بعد (٣)، العدد (١١)، ٢ آب ١٩١٩ .
- ١٥-.....، ما بعد (٤)، العدد (١٢)، ٢٦ آب ١٩١٩ .
- ١٦- (كوردستان)، پروتستو، العدد (٦)، ١ ايار ١٩١٩ .
- ١٧- محمد، داخلية ناظري جمال بك أفندي حضرتلرينه اچيق مكتوب، العدد (٥)، ١٦ نيسان ١٩١٩
- ١٨- مخرج: معمورة العزيز- نومرو ٢١٦٣: كُردستان تعالى جمعيتى رياسته، العدد (٥)، ١٦ نيسان ١٩١٩ .

رابعاً-المذكرات والرحلات:

أ- الانكليزية:

- 1- EDWIN MUNSELL BLISS, TURKEY AND THE ARMENIAN ATROCITIES, EDG-WOOD PUBLISHING COMPANY, ASSE NEW YORK, 1896.
- 2-G.B.NORMAN, ARMENIA AND THE CAMPAIGN OF 1877, CASSELL-PETTER-GALPIN, LONDON, n.d.
- 3- Henry H .Riggs, DAYS OF TRAGEDY IN ARMENIA: Personal Experiences in Harpoot 1915-1917, Gomides Institute Ann Arbor, Michigan, 1997.
- 4-J .RENDEL HARRIS AND HELEN B .HARRIS, LETTERS FROM THE SCENES OF THE RECENT MASSACRES IN ARMENIA, JAMES NISBET- CO., LIMITED, LONDON, 1897.
- 5-JAKOB KÜNZLER, IN THE LAND OF BLOOD AND TEARS: EXPERIENCES IN MESOPOTAMIA DURING THE WORLD WAR 1914-1918, Edited with sPreface by: Ara Ghazarian, Foreword by: Vahakn Dadrian, Introduction by: Hans-Lukas Kieser, ARMENIAN CULTURAL FOUNDATION, MASSACHUSETTS, 2007.
- 6-JAMES CREAGH, ARMENIANS-KOORDS AND TURKS, SAMUEL TINSLIY-CO, SOUTHAMPTON, 1880.
- 7-KRIKOR CAYJIKAN, Martyred Armenia and the Story of my life, U .S .A., 1920.
- 8-ROUBEN Der MINASIAN, ARMENIAN FREEDOM FIGHTERS: THE MEMOIRS OF ROUBEN DER MINASIAN, TRANSLATED AND EDITED BY: JAMES G .MANDAL-

IAN, Hairenik Association, BOSTON, 1963.

9-Tacy Atkinson, The German-The Turk and the Devil Made a Triple Alliance: Harpoot Diaries 1908-1917, Foreword by: J. Michael Hagopian, Gomides Institute, Princeton-New Jersey, 2000.

10-Vahan Janjigian, BEDROS DER BEDROSSIAN- Oufatzi, Translated by: Tamar Der-Ohannessian, New York, 2005.

ب- التركية:

1- Garo Sasuni, KÜRT ULUSAL HAREKETLERI ve ERMENI-KÜRT İLİŞKİLERI (15.yy'dan Günümüze), Orfeus, Stockholm, 1986.

2- SAMI ÖNAL, Sadettin Paşa'nın Alnilari: Ermeni-Kürt Olaylari (Van, 1896), Remzi Kitabevi, Istanbul, 2003.

ج- الفرنسية:

1- Giuseppe Campanile, Histoire Du Kurdistan, Traduite: Thomas Bois, Libnan, 1953.

2- HENRY BARBY, Au Pays de l'Épouvante: L'ARMÉNIE MARTYRE, PARIS, 1917.

د- العربية:

١- جمال باشا السفاح (مذكرات)، ترجمة: علي احمد سليمان شكري، تحقيق: عبد المجيد محمود خالد، الدار العربية للموسوعات، بيروت، ٢٠٠٤ .

٢- ديليو. أي. ويكرام وادگار. تي. أي. ويكرام، مهد البشرية: الحياة في شرق كردستان، ترجمة: جرجيس فتح الله، ط٤، دارا ناراس للطباعة والنشر، أربيل، ٢٠١٠ .

٣- رحلة المستر جيمس برانت إلى المنطقة الكردية عام ١٨٣٨، ترجمة: حسين احمد الجاف، دار الثقافة والنشر الكردية، بغداد، ١٩٨٩ .

٤- رحلة اوليا جلبي في كردستان عام ١٠٦٥هـ-١٦٥٥م، ترجمة: رشيد فندي، دهوك، ٢٠٠٨ .

٥- زنار سلوي، مسألة كردستان: ٦٠ عاماً من النضال المسلح للشعب الكردي ضد العبودية، تنقيح وتقديم: د.عز الدين مصطفى رسول، ط٢، بيروت، ١٩٩٧ .

٦- السلطان عبد الحميد الثاني، مذكراتي السياسية ١٨٩١-١٩٠٨، ط٢، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٧٩ .

٧- صالح بدرخان (مذكراتي)، ترجمة: روشن بدرخان، دمشق، ١٩٩١ .

٨- عبد الرزاق بدرخان، بقعة ضوء (مذكرات)، ترجمة وإعداد جليلي جليل، ترجمة النص الكردي: حيدر عمر-علي جعفر، منشورات مجلة هاقبيون، برلين، ٢٠٠٠ .

٩- مذكرات الدكتور استرjian، ترجمة: كاريكين وارتانيان، مكتبة السائح، طرابلس-لبنان، ٢٠٠٤ .

١٠- مذكرات عبد العزيز القصاب، إعداد وتحقيق: خالد عبد العزيز القصاب، المؤسسة العربية

للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠٠٧ .

١١- نورالدين زازا، حياتي الكوردية أو صرخة الشعب الكوردي، ترجمة: روني محمد دملي، دار
ناراس للطباعة والنشر، اربيل، ٢٠٠١ .

ه- الكردية:

١- بالحروف اللاتينية:

1- HESEN HIŞYAR, DITIN ü BIRHATINÉN MIN 1907-1985, Beyrut, 2000.

٢- بالحروف العربية:

١- سهفه رنامه‌ی هینری بئندهر: کوردستان-میزۆبوتامیا-ئیران، وهرگێرانی: ئه‌بویه‌کر
خۆشناو، به‌ریتویه‌رایه‌تی خانه‌ی وهرگێرانی سلیمانی، ٢٠٠٦ .

٢- د. نوری ده‌رسیمی، ده‌رسیم له‌ میژووی کوردستاندا، وهرگێرانی: ئه‌حمه‌د فه‌تاح ده‌هی،
ده‌زگای چاپ و بڵاوکردنه‌وه‌ی موکریان، هه‌ولێر، ٢٠٠١ .

خامساً- الرسائل الجامعية:

أ- الانكليزية:

1- Dana Renee Smythe, Remembering the Forgotten Genocide: Armenia in the First World,
MA Thesis University East Tennessee State, the faculty of the Department of History,
2001.

2-Ugur Ü. Üngör, A Reign of Terror: CUP Rule in Diyarbekir Province 1913-1923, MA The-
sis University of Amsterdam, Department of History, 2005.

ب- العربية:

١- جاوان حسين فيض الله الجاف، الكُرد وموقفهم من جمعية الاتحاد والترقي ١٨٨٩-١٩١٤:
دراسة تاريخية، رسالة ماجستير، مقدمة إلى قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة بغداد، ٢٠٠٩ .

٢- غسان وليد مصطفى الجوادي، المسألة الأرمنية في الدولة العثمانية ١٨٧٨-١٩١٨: دراسة
تاريخية، أطروحة دكتوراه مقدمة إلى قسم التاريخ، كلية التربية، جامعة الموصل، ٢٠١٠ .

٣- محسن حمزة حسن حسين، الأزمة البلقانية ١٨٧٥-١٨٧٨: دراسة في السياسة العثمانية
والدبلوماسية الأوربية، أطروحة دكتوراه، مقدمة إلى قسم التاريخ، كلية التربية، جامعة الموصل،
٢٠٠١ .

٤- نجلاء عدنان حسين العكلي، الدولة العثمانية والمشكلة الأرمنية ١٨٩٤-١٩١٦، رسالة ماجستير
مقدمة إلى قسم التاريخ، كلية التربية، جامعة المستنصرية، بغداد، ٢٠٠٣ .

سادساً-الكتب:

أ-العربية:

- ١- إبراهيم الداوقني وآخرون، عشائر كُردستان، كاوا للنشر والتوزيع، أربيل، ص ٢٠٠٢ .
- ٢- إبراهيم الداوقني، أكراد تركيا، المدى، بيروت، ٢٠٠٣ .
- ٣- احمد عبد الرحيم مصطفى، في أصول التاريخ العثماني، دار الشروق، بيروت، ١٩٨٢ .
- ٤- د. احمد فؤاد رسلان، ارمينيا: الامة والدولة، دار الأمين، مصر، ١٩٩٧ .
- ٥- د. احمد محمد احمد، أكراد الدولة العثمانية، دار سبيريذ للطباعة والنشر، دهوك، ٢٠٠٩ .
- ٦- ارشاك بولاديان، الأكراد: من القرن السابع إلى القرن العاشر الميلادي، ترجمة: مجموعة مترجمين، دار التكوين للنشر والتوزيع، دمشق، ٢٠٠٤ .
- ٧- ارشاك سافرستيان، الكُرد وكُردستان، ترجمة: احمد محمود الخليل، دار الزمان، دمشق، ٢٠٠٨ .
- ٨- ارنست أ. رامزور، تركية الفتاة وثورة ١٩٠٨، ترجمة: صالح احمد العلي، قدم له وراجعته: نقولا زيادة، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٦٠ .
- ٩- اريك هويسباوم، الامم والنزعة القومية، ترجمة: عدنان حسن، مراجعة وتحرير: د.مجيد الراضي، المدى، سوريا، ١٩٩٩ .
- ١٠- إسماعيل بيشكجي، النظام في الأناضول الشرقية: الأسس الاجتماعية-الاقتصادية والبنى القومية، ترجمة: شكور مصطفى، ج١، دار ناراس للطباعة والنشر، اربيل، ٢٠٠٠ .
- ١١-.....، النظام في الأناضول الشرقية: الأسس الاجتماعية-الاقتصادية والبنى القومية، ترجمة: شكور مصطفى، ج٢، دار ناراس للطباعة والنشر، اربيل، ٢٠٠٠ .
- ١٢-.....، كُردستان مستعمرة دولية، ترجمة: زهير عبد الملك، APEN، السويد، ١٩٩٨ .
- ١٣- ألبرت حوراني وآخرون، الشرق الأوسط الحديث، الجزء الأول: طلائع الإصلاح وتبدل العلاقات مع أوروبا ١٧٨٩-١٩١٨، ترجمة: اسعد صقر، طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، ١٩٩٦ .
- ١٤- الأمير جلادت بدرخان، حول المسألة الكوردية: قانون إبعاد وتشتيت الأكراد، ترجمة: دلاور الزنكي، أربيل، ١٩٩٩ .
- ١٥- الان تد، ديمقراطيات ودكتاتوريات سادت اوربا والعالم بين ١٩١٩ و١٩٨٩، ترجمة: مروان ابو جيب، الحوار الثقافي، بيروت، ٢٠٠٤ .
- ١٦- انكه لهارد، تاريخ الإصلاحات والتنظيمات في الدولة العثمانية، ترجمة: أ.د.محمود علي عامر، دار الزمان، دمشق، ٢٠٠٨ .
- ١٧- ايف ترنون، ماردين: دراسة تحليلية لإبادة عام ١٩١٥، ترجمة: لطيفة عرنوف، دار نعمان للثقافة، لبنان، ٢٠٠٨ .
- ١٨- ب.ليرخ، دراسات حول الكُرد الإيرانيين وأسلافهم الكلدانيين الشماليين، ترجمة: عبدي حاجي،

- دار سبيريذ للطباعة والنشر، دهوك، ٢٠٠٨ .
- ١٩- باسيل نيكيئين، الكُرد: دراسة سوسيوولوجية وتاريخية، تقديم: لويس ماسينيون، ترجمة: نوري طالباني، دار سبيريذ للطباعة والنشر، دهوك، ٢٠٠٨ .
- ٢٠- بديع الزمان سعيد النورسي، أثار بديعية، ITTIHAD YAYINCILIK، استانبول، ١٩٩٩ .
- ٢١- بله ج شيركوه، القضية الكُردية: ماضي الكُرد وحاضرهم، مطبعة السعادة، مصر، ١٩٣٠ .
- ٢٢- البروفسور بول اميل، تاريخ أرمينيا، ترجمة: شكري علاوي، مكتبة الحياة، بيروت، د.ت.
- ٢٣- بيار مصطفى سيف الدين، السياسة البريطانية تجاه تركيا وإثرها في كوردستان، دار دجلة، عمان، ٢٠٠٧ .
- ٢٤- توماس بوا، تاريخ الأكراد، ترجمة: محمد تيسير خان، دار الفكر، دمشق، ٢٠٠١ .
- ٢٥- بيير رونوفن، تاريخ القرن العشرين، ترجمة: دنور الدين حاطوم، ط٢، دار الفكر، بيروت- دمشق، ١٩٨٠ .
- ٢٦- دجان شرف، القضية الأرمنية في السلطنة العثمانية، مركز الدراسات الأرمنية، بيروت، ١٩٩٧
- ٢٧- جرجيس فتح الله، يقظة الكُرد: تاريخ سياسي ١٩٠٠-١٩٢٥، دار نأراس للطباعة والنشر، اربيل، ٢٠٠٢ .
- ٢٨- جستن مكارثي، الطرد والإبادة مصير المسلمين العثمانيين ١٨٢١-١٩٢٢، ترجمة: فريد الغزي، قدمس للنشر والتوزيع، دمشق، ٢٠٠٥ .
- ٢٩- جليلي جليل وآخرون، الحركة الكردية في العصر الحديث، ترجمة: د.عبدي حاجي، دار الرزاي، بيروت، ١٩٩٢ .
- ٣٠- جليلي جليل، انتفاضة الأكراد ١٨٨٠، ترجمة: سيامند سيرتي، رابطة كاوا للمثقفين اليساريين الاكراد، بيروت، ١٩٧٩ .
- ٣١-..... من تاريخ الإمارات في الإمبراطورية العثمانية، ترجمة: محمد عبدو النجاري، الاهالي، بيروت، ١٩٨٧ .
- ٣٢-..... نهضة الأكراد الثقافية والقومية في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، ترجمة: بافي نازي وولاتو، رابطة كاوا للثقافة الكُردية، بيروت، ١٩٨٦ .
- ٣٣- جمال خهزندهار، مرشد الصحافة الكُردية، بغداد، ١٩٧٣ .
- ٣٤- د.جمال رشيد احمد، ظهور الكُرد في التاريخ: دراسة شاملة عن خلفية الأمة الكُردية ومهداها، ج١، دار نأراس للطباعة والنشر، اربيل، ٢٠٠٣ .
- ٣٥- جورج فرم، تاريخ الشرق الأوسط من الأزمنة القديمة إلى اليوم، شركة المطبوعات، بيروت، ٢٠١٠ .
- ٣٦- جيرارد جالديان، المأساة الكُردية، ترجمة: عبد السلام النقشبندي، دار نأراس للطباعة والنشر، اربيل، ٢٠٠٧ .

- ٣٧- خيرى ارسوي وايسون قاماجي، تاريخ الشراكسة (الأبازية)، ترجمة: فؤاد احمد كامل، مراجعة: الصفصافي احمد مرسى، المجلس الاعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٦ .
- ٣٨- دونالد كواترت، الدولة العثمانية، تعريب: أيمن أرمنزي، مكتبة العبيكات، الرياض، ٢٠٠٤ .
- ٣٩- ديفيد مكول، تاريخ الأكراد الحديث، ترجمة: راج ال محمد، دار الفارابي، بيروت، ٢٠٠٤ .
- ٤٠- روبرت أولسن، المسألة الكردية في العلاقات التركية الايرانية، ترجمة وتقديم: محمد أحسان رمضان، دار نارس للطباعة والنشر، اربيل، ٢٠٠١ .
- ٤١- رونالد سترومبيرج، تاريخ الفكر الأوربي الحديث ١٦٠١-١٩٧٧، ط٣، دار القارىء العربي، القاهرة، ١٩٩٤ .
- ٤٢- روهات الاكوم، شريف باشا: سنوات عاصفة لديپلوماسي كوردي، ترجمة: شكور مصطفى، دار سبيريز للطباعة والنشر، دهوك، ٢٠٠٤ .
- ٤٣- زي.هرشلاغ، مدخل إلى التاريخ الاقتصادي الحديث للشرق الأوسط، ترجمة: مصطفى الحسيني، دار الحقيقة، بيروت، ١٩٧٣ .
- ٤٤- ساطع الحصري، البلاد العربية والدولة العثمانية، ط٣، بيروت، ١٩٦٥ .
- ٤٥- سروه اسعد صابر، كردستان من بداية الحرب العالمية الأولى إلى نهاية مشكلة الموصل ١٩١٤-١٩٢٦: دراسة تاريخية سياسية وثائقية، مؤسسة مكرياني للطباعة والنشر، اربيل، ٢٠٠١ .
- ٤٦- د.سعد بشير اسكندر، قيام النظام الإماراتي في كُردستان وسقوطه: ما بين منتصف القرن العاشر ومنتصف القرن التاسع عشر، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ٢٠٠٥ .
- ٤٧- د.سعد عثمان هروتي، كُردستان والإمبراطورية العثمانية: دراسة في تطور سياسة الهيمنة العثمانية في كُردستان ١٥١٤-١٨٥١، مؤسسة موكرياني للبحوث والنشر، اربيل، ٢٠٠٨ .
- ٤٨- السعيد رزق حجاج، الأكراد والأرمن في العصر الحميدي، مطبعة الامانة، القاهرة، ١٩٩١ .
- ٤٩- سليمان صالح، الشيخ علي يوسف وجريدة المؤيد: تاريخ الحركة الوطنية في ربع قرن، مصر، ١٩٩٠ .
- ٥٠- شاوارش طوركيان، القضية الأرمنية والقانون الدولي، ترجمة: خالد الجبيلي، ط٢، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية، ٢٠٠٠ .
- ٥١- شرفخان البديسي، شرفنامه في تاريخ الدول والإمارات الكُردية، ترجمة: محمد علي عوني، مراجعة وتقديم: يحيى الخشاب، ج١، ط٢، دار الزمان، دمشق، ٢٠٠٦ .
- ٥٢- صالح زهرالدين، الأرمن شعب وقضية، الدار التقدمية، بيروت، ١٩٨٨ .
- ٥٣- صالح محمد حسن (عزت بادي)، شريف باشا: حياته ودوره السياسي ١٨٦٥-١٩٥١، دار سبيريز للطباعة والنشر، دهوك، ٢٠٠٥ .
- ٥٤- د.صلاح محمد سليم هروري، الأسرة البدرخانية: نشاطها السياسي والثقافي ١٩٠٠-١٩٥٠، دار سبيريز للطباعة والنشر، دهوك، ٢٠٠٤ .

- ٥٥-.....، امارة بوتان في عهد الامير بدرخان ١٨٢١-١٨٤٧: دراسة تاريخية سياسية، مؤسسة موكرياني للطباعة والنشر، اربيل، ٢٠٠٠ .
- ٥٦- د.كونتر دشنر، أحفاد صلاح الدين الأيوبي: الكُرد الشعب الذي يتعرض للخيانة والغدر، ترجمة: عبد السلام برواري، ط٢، مطبعة خبات، دهوك، ٢٠٠٠ .
- ٥٧- ف.ف.مينورسكي، الأكراد ملاحظات وانطباعات: الأكراد أحفاد الميديين، ترجمة وتعليق: د.معروف خزندهار ود.كمال مظهر احمد، رابطة كاوا للثقافة الكردية، بيروت، ١٩٨٧ .
- ٥٨- د.عبد الستار طاهر شريف، الجمعيات والمنظمات والأحزاب الكوردية في نصف قرن ١٩٠٨-١٩٥٨، ط٢، دار سردم للطباعة والنشر، السليمانية، ٢٠٠٧ .
- ٥٩- د.عبد الله العليايوي، كُردستان في عهد الدولة العثمانية من سنة ١٨٥١-١٨١٤: دراسة في التاريخ السياسي، السليمانية، ٢٠٠٥ .
- ٦٠- د.عثمان علي، دراسات في الحركة الكُردية المعاصرة ١٨٣٢-١٩٤٦: دراسة تاريخية وثائقية، تقديم: محمد الهماوندي، التفسير، اربيل، ٢٠٠٣ .
- ٦١- علي تتر توفيق، الحياة السياسية في كوردستان ١٩٠٨-١٩٢٧، ترجمة: تحسين إبراهيم الدوسكي، مراجعة: د.عبد الفتاح علي البوتاني، دار سبيريز للطباعة والنشر، دهوك، ٢٠٠٧ .
- ٦٢- عيسى ابراهيم قاسم، الميران في امارة بوطان، دار الينابيع، دمشق، ٢٠٠٧ .
- ٦٣- فارس عثمان، الكُرد والارمن: العلاقات التاريخية، دار الينابيع، دمشق، ٢٠٠٨ .
- ٦٤- د.فاضل رسول، كُردستان والسياسة السوفيتية في الشرق الاوسط، ترجمة: غسان نغسان، مراجعة: ماموستا جعفر، مكتب الفكر والتوعية في الاتحاد الوطني الكردستاني، السليمانية، ٢٠٠٨ .
- ٦٥- فالح عبد الجبار وآخرون، الاثنية والدولة: الأكراد في العراق وإيران وتركيا، ترجمة: عبد الإله النعيمي، معهد الدراسات الاستراتيجية، بغداد- بيروت، ٢٠٠٦ .
- ٦٦- فؤاد حسن حافظ، تاريخ الشعب الأرمني منذ البداية حتى اليوم، القاهرة، ١٩٨٦ .
- ٦٧- د.فؤاد حمه خورشيد مصطفى، القضية الكُردية في المؤتمرات الدولية، مؤسسة موكرياني للطباعة والنشر، أربيل، ٢٠٠١ .
- ٦٨- الفيكونت جيمس برايس وآخرون، مختارات من بعض الكتابات التاريخية حول مجازر الأرمن عام ١٩١٥، ترجمة: خالد الجيلي، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية-سوريا، ١٩٩٥ .
- ٦٩- قادر سليم شمو، موقف الكورد من حرب الاستقلال التركية ١٩١٩-١٩٢٢، دار سبيريز للطباعة والنشر، دهوك، ٢٠٠٨ .
- ٧٠- د.ك.ل.استارجيان، تاريخ الأمة الأرمنية، مطبعة الاتحاد الجديدة، الموصل، ١٩٥١ .
- ٧١- كاميران عبد الصمد احمد الدوسكي، كُردستان العثمانية في النصف الأول من القرن التاسع عشر، دار سبيريز للطباعة والنشر، دهوك، ٢٠٠٢ .

- ٧٢- كرسام اهارونيان، القضية الأرمنية أمام الرأي العام العربي، بيروت، ١٩٦٥ .
- ٧٣- د.الكسندر كشيبيان، صفحات وثائقية من جريدة (التقدم) الطليبية عن الأحوال الأرمنية والعربية في الدولة العثمانية، منشورات الجمعية الخيرية العمومية الأرمنية، حلب، د.ت.
- ٧٤- د.كمال مظهر احمد، كُردستان في سنوات الحرب العالمية الأولى، ترجمة: محمد الملا عبد الكريم، ط٢، دار افاق عربية للطباعة والنشر، بغداد، ١٩٨٤ .
- ٧٥- البرفسور م.أ. هسرتيان، كُردستان تركيا بين الحربين، ترجمة: د.سعد الدين ملا وبافي نازي، رابطة كاوا للثقافة الكردية، بيروت، ١٩٨٧ .
- ٧٦- م.س.لازاريف، المسألة الكُردية ١٨٩١-١٩١٧، ترجمة: اكبر احمد، مركز كردستان للدراسات الاستراتيجية، السليمانية، ٢٠٠١ .
- ٧٧-.....، المسألة الكُردية ١٩١٧-١٩٢٣، ترجمة: د.عبدي حاجي، دار الرزاي، بيروت، ١٩٩١ .
- ٧٨- ماجد محمد زاخوي، الفرسان الحميدية، دار سبيريز للطباعة والنشر، دهوك، ٢٠٠٨ .
- ٧٩- مارتن فان برونسن، الأغا والشيخ والدولة: البنى الاجتماعية والسياسية لكُردستان، ترجمة: امجد حسين، ج١، معهد الدراسات الاستراتيجية، بغداد- بيروت، ٢٠٠٧ .
- ٨٠-.....، الأغا والشيخ والدولة: البنى الاجتماعية والسياسية لكُردستان، ترجمة: امجد حسين، ج٢، دراسات عراقية، بغداد- بيروت، ٢٠٠٧ .
- ٨١-.....، المجتمع الكُردى: العرق القومية ومشاكل اللجوء، ترجمة: صدقي عز الدين البيرموسي، دهوك، ١٩٩٨ .
- ٨٢- مالكولم ياب، نشوء الشرق الأدنى الحديث ١٧٩٢-١٩٢٣، ترجمة: خالد الجبيلي، الاهالي، سوريا، ١٩٩٨ .
- ٨٣- مالميسانز، القومية الكُردية ود.عبد الله جودت في مطلع القرن العشرين، ترجمة: شكور مصطفى، دار ناراس للطباعة والنشر، اربيل، ٢٠٠٠ .
- ٨٤-.....، بدرخانيو جزيرة بوتان ومحاضر اجتماعات الجمعية العائلية البدرخانية، ترجمة: شكور مصطفى، حكومة اقليم كردستان العراق، وزارة الثقافة، اربيل، ١٩٩٨ .
- ٨٥- مالميسانج، عائلة جميل باشا الدياربكري والنضال القومي الكُردى، ترجمة: فيض الله خان ودلشا يوسف، مراجعة: فدان ادم، ط٢، مؤسسة بير للطباعة والنشر، ديار بكر، ٢٠٠٧ .
- ٨٦- مجموعة باحثين، الأقليات والقوميات في السلطنة العثمانية بعد ١٥١٦، منشورات الجمعية التاريخية اللبنانية، لبنان، ٢٠٠١ .
- ٨٧- مجموعة مؤلفين، مختارات من بعض الكتابات التاريخية حول مجازر الأرمن عام ١٩١٥، ترجمة: خالد الجبيلي، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية، ١٩٩٥ .
- ٨٨- محمد ابو عزة، عصر السلطان عبد الحميد، المنارة، بيروت، ١٩٩٧ .

- ٨٩- محمد الملا احمد، جمعية خوييون والعلاقات الكردية-الأرمنية، كاوا للنشر والتوزيع، اربيل، ٢٠٠٠ .
- ٩٠- محمد امين زكي بك، خلاصة تاريخ الكرد وكردستان من أقدم العصور التاريخية، ترجمة وتعليق: محمد علي عوني، شركة نوابغ الفكر، القاهرة، ٢٠٠٩ .
- ٩١-..... مشاهير الكرد وكردستان (١-٢)، ترجمة: السيدة كريمته، ط٢، دار الزمان، دمشق، ٢٠٠٦ .
- ٩٢- محمد خليل أمير، علاقة الأكراد بمذابح الأرمن، د.م، د.ت.
- ٩٣- د.محمد رفعت الإمام، الأرمن في مصر ١٨٩٦-١٩٦١، جمعية القاهرة الخيرية الارمنية العامة، القاهرة، ٢٠٠٣ .
- ٩٤- محمد علي بك إبراهيم باشا، أمير أمراء كردستان إبراهيم باشا الملي ١٨٤٥-١٩٠٨، دراسة وتحقيق: د.عبد الفتاح علي البوتاني وعلي صالح الميراني، الاكاديمية الكوردية، أربيل، ٢٠٠٩ .
- ٩٥- محمود رئيف افندي، التنظيمات الجديدة في الدولة العثمانية، تقديم وتحقيق: خالد زيادة، منشورات جروس-برس، لبنان، د.ت.
- ٩٦- مروان المدور، الأرمن عبر التاريخ، ط٢، دار نوبل، دمشق، ١٩٨٠ .
- ٩٧- مسألة إبادة الأرمن أمام المحكمة، ترجمة: غسان نعبان، مراجعة: ماموستا جعفر، ط٢، منشورات مكتب الفكر والوعي في الاتحاد الوطني الكردستاني، السليمانية، ٢٠٠٨ .
- ٩٨- المشانق العربية والمجازر الأرمنية من خلال جلسات محاكمات زعماء حزب الاتحاد والترقي أمام المحاكم العسكرية التركية الاستثنائية بين عامي ١٩١٩-١٩٢٠، ترجمة: د.الكسندر كشيشيان، دار طلاس، حلب، ١٩٩٢ .
- ٩٩- موسيس خوريناتسي، تاريخ الأرمن: من البداية حتى القرن الخامس الميلادي، ترجمة: نزار خليلي، اشبيلية للدراسات والنشر والتوزيع، دمشق، ١٩٩٩ .
- ١٠٠- موضوعات من الكردولوجيا السوفيتية، ترجمة: د.اسماعيل حصاف، مؤسسة موكرياني للبحوث والنشر، اربيل، ٢٠٠٨ .
- ١٠١- موفق بني المرجة، صحوة الرجل المريض أو السلطان عبد الحميد الثاني والخلافة الإسلامية، ط٩، مؤسسة الريان-دار البيارق، عمان، ١٩٩٩ .
- ١٠٢- مير بصري، أعلام الكرد، رياض الريس للكتب والنشر، لندن-قبرص، ١٩٩١ .
- ١٠٣- ميهفان محمد حسين رشيد البامرني، سياسة الاتحاد السوفيتي تجاه الحركة القومية الكوردية التحريرية في كوردستان الجنوبية ١٩٤٥-١٩٦٨: دراسة تاريخية تحليلية، مؤسسة موكرياني للبحوث والنشر، اربيل، ٢٠٠٨ .
- ١٠٤- ن.أ.خالفين، الصراع على كردستان: المسألة الكردية في العلاقات الدولية خلال القرن التاسع عشر، ترجمة: د.احمد عثمان ابو بكر، مطبعة الشعب، بغداد، ١٩٦٩ .

- ١٠٥- نخبة من الباحثين والعلماء، جريمة الصمت: جريمة إبادة الجنس الأرمني، ترجمة: هوري عزازيان، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية، ١٩٩٥ .
- ١٠٦- نعيم اليافي و خليل الموسى، نضال العرب والأرمن ضد الاستعمار الأرمني، اللاذقية، ١٩٩٥ .
- ١٠٧- دنورا أريسيان، غوائل الأرمن في الفكر السوري: موقف المفكرين السوريين من الإبادة الأرمنية، قدم له: جورج جبور، الفرات للنشر والتوزيع، دمشق، ٢٠٠٢ .
- ١٠٨- ه.أ.ل. فيشر، تاريخ أوروبا في العصر الحديث ١٧٨٩-١٩٥٠، ترجمة: احمد نجيب هاشم ووديع الضبع، ط٦، دار المعارف، مصر، ١٩٧٢ .
- ١٠٩- د. هاشم صالح التكريتي، المسألة الشرقية: المرحلة الأولى ١٧٧٤-١٨٥٦، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، جامعة بغداد، ١٩٩٠ .
- ١١٠- هايكارن غازاريان، وثائق تاريخية عن المجازر الأرمنية عام ١٩١٥، ترجمة: نزار خليلي، سلسلة دراسات ووثائق المجازر الأرمنية (٤)، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية-سوريا، ١٩٩٥ .
- ١١١- هراج داسبنديان، القضية الأرمنية: عرض تاريخي مقتضب للقضية الأرمنية، ترجمة: جوزف كالوستيان، بيروت، ١٩٨٤ .
- ١١٢- د. هلكوت حكيم، كتابات مع الأحداث، دار تاراس للطباعة والنشر، أربيل، ٢٠٠٩ .
- ١١٣- هنري باركي وآخرون، القضية الكردية في تركيا، ترجمة: هفال، مؤسسة موكرياني للبحوث والنشر، أربيل، ٢٠٠٧ .
- ١١٤- هنري لايارد، البحث عن نينوى، ترجمة: مخائيل عبد الله، دار سرطون للنشر، د.م، ١٩٩٨ .
- ١١٥- هوكر طاهر توفيق، الالفباء الكردية بالحروف العربية والحروف اللاتينية نشؤها وتطورها، دار سبيريذ للطباعة والنشر، دهوك، ٢٠٠٥ .
- ١١٦-..... دور الصحافة الكردية في تطوير الوعي القومي الكردي ١٨٩٨-١٩١٨، دار سبيريذ للطباعة والنشر، دهوك، ٢٠٠٤ .
- ١١٧- وديع جويده، ثورة الشيخ عبيد الله النهري، في: جرجيس فتح الله، مبحثان على هامش ثورة الشيخ عبيد الله النهري، ط٢، دار تاراس للطباعة والنشر، أربيل، ٢٠٠١ .
- ١١٨- يوسف ابراهيم الجهماني، تركيا والأرمن، دار حوران للطباعة والنشر، دمشق، ٢٠٠٠ .
- ١١٩- يوسف ملك، كردستان أو بلاد الأكراد، مراجعة وتقديم: د. عزالدين مصطفى رسول، ط٢، منشورات مكتب الفكر والتوعية في الاتحاد الوطني الكردستاني، السليمانية، ٢٠٠٦ .

ب- الانكليزية:

- 1- A .P .HACOBIAN, ARMENIA AND THE WAR, HODDER AND STOUGHTON, LONDON-NEW YORK, 1917.
- 2-A.O .SARKISSIAN, HISTORY OF THE ARMENIAN QUESTION TO 1885, THE UNIVERSITY OF ILLINOIS PRESS, URBANA, 1938.
- 3-A.R.Ghassemlou and Others, People Without a Country, Translated by: Michael Pallis, Zed

- Press, London, 1980.
- 4-AHMED RUSTEM BEY, THE WORLD WAR AND THE TURCO-ARMENIAN QUESTION, Berne, 1918.
 - 5-ANTRANIC AZHDERIAN, THE TURK AND THE LAND OF HAIG OR TURKEY AND ARMENIAN: DESCRIPTIVE-HISTORICAL AND PICTURESQUE, NEW YORK, 1898.
 - 6-ARMAN J.KIRAKOSSIAN, British Diplomacy and the Armenian Question: From the 1830s to 1914, Gomidas Institute Books, Princeton and London, 2003.
 - 7-Christopher J .Walker, ARMENIA: The Survival of a Nation, second edition, n.p, 2005.
 - 8-DAVID GAUNT, Massacres Resistance, Protectors: Muslim-Christian Relation in Eastern Anatolia During World War I, GORGAS PRESS, New Jersey, 2006.
 - 9-Dikran Mesrob Kaligian, Armenian Organization and Ideology under Ottoman Rule 1908-1914, Transaction Publishers, New Brunswick and London, 2009.
 - 10-Dr .ERDAL ILTER, ARMENIAN AND RUSSIAN OPPRESSIONS1914-1916: TESTIMONIES OF WITNESSES, KÖKSAV, ANKARA, 1999.
 - 11-FREDERICK DAVIS GREENE, ARMENIAN MASSACRES OR THE SWORD OF MOHAMMED, INTERNATIONAL PUBLISHING CO., PHILADELPHIA & CHICAGO, 1896.
 - 12-,THE ARMENIAN CRISIS IN TURKEY: THE MASSACRE OF 1894 ITS ANTECEDENTS AND SIGNIFICANCE, NEW YORK-LONDON, 1895.
 - 13-GUENTER LEWY, The ARMENIAN MASSACRES in OTTOMAN TURKEY: A Disputed Genocide, THE UNIVERSITY OF UTAH PRESS, Salt Lake City, 2005.
 - 14-H .M .Knadjian, The Eternal Struggle A Word Picture of Armenia's Fight for Freedom, CALIFORNIA, n.d.
 - 15- HASSAN ARFA, The Kurds: An historical and political study, OXFORD UNIVERSITY PRESS, LONDON, 1966.
 - 16-J .CASTELL HOPKINS, THE SWORD OF ISLAM OR SUFFERING ARMENIA: ANALS OF TURKISH POWER AND THE EASTERN QUESTION, THE BRADLEY-GARRETSON CO., LTD, Brantford and Toronto, 1896.
 - 17-Jacques de Morgan, The HISTORY OF THE ARMENIAN PEOPLE From the Remotest Times to the Present Day, Translated by: ERNEST F .BARRY, n.p, 1918.
 - 18-JAMES CIMENT, The Kurds: State and Minority in Turkey-Iraq and Iran, facts On File-Inc, New York, 1996.
 - 19-James L .Barton, TURKISH ATROCITIES: Statements of American Missionaries on the Destruction of Christian Communities in Ottoman Turkey 1915-1917, Gomidas Institute, Michigan, 1998.
 - 20-JEREMY SALT, Imperialism- Evangelism and Ottoman Armenians 1878-1896, Bilkent University, FRANK CASS, London, 1993.

- 21-Justin McCarthy and others, *The Armenian Rebellion at Van*, The University of Utah Press, Salt Lake City, 2006.
- 22-Justin McCarthy, *THE OTTOMAN PEOPLES AND THE END OF EMPIRE*, ARNOLD, LONDON, 2001.
- 23-KAMURAN GÜRÜN, *THE ARMENIAN FILE*, YAYLACIK MATBAACILIK, ISTANBUL, 2007.
- 24-Krikor Behesnilian, *Armenian Bondage and Garnage: Being the Story Christian Martyrdom in Modern Times*, London, 1903.
- 25-Louise Nalbandian, *The Armenian Revolutionary Movement*, California 1963.
- 26- Margaret MacMillan, *PARIS: SIX MONTHS THAT CHANGED THE WORLD*, Foreword by: Richard Holbrooke, Random House, New York, 2003.
- 27- Maria T .O'Shea, *TRAPPED BETWEEN THE MAP AND REALITY: Geography and Perceptions of Kurdistan*, Routledge, New York & London, 2004.
- 28-Mim Kemal ÖKE, *THE ARMENIAN QUESTION*, TÜRK TARİH KURUMU, ANKARA, 2001.
- 29-MUSA ŞAŞMAZ, *BRITISH POLICY AND THE APPLICATION OF REFORMS FOR THE ARMENIANS IN EASTERN ANATOLIA 1877-1897*, TÜRK TARİH KURUMU, ANKARA, 2000.
- 30-OHAN GAIDZAKIAN M .D., *Illustrated Armenia and the Armenians*, BOS ETON, 1898.
- 31-PETER BALAKIAN, *THE BURNING TIGRIS: The Armenian Genocide and America's Response*, Perennial, New York, 2004.
- 32-SALAHİ R .SONYEL, *MINORITIES AND THE DESTRUCTION OF THE OTTOMAN EMPIRE*, TURKISH HISTORICAL SOCIETY PRINTING HOUSE, ANKARA, 1993.
- 33-....., *THE OTTOMAN ARMENIANS: VICTIMS OF GREAT POWER DIPLOMACY*, Oxford, LONDON, 1987.
- 34-....., *THE GREAT WAR AND THE TRAGEDY OF ANATOLIA: TURKS AND ARMENIANS IN THE MAELSTROM OF MAJOR POWERS*, TÜRK TARİH KURUMU, ANKARA, 2001.
- 35- Samuel A .Weems, *ARMENIA SECRETS OF A "CHRISTIAN" TERRORIST STATE: The Armenian Great Deception Series, Vol: 1*, United States of America, 2002.
- 36-SAMUEL M .ZWEMER, *THE MOSLEM WORLD, VOL:I*, KRAUS REPRINT CORPORATION, New York, 1920.
- 37-STANFORD J .SHAW AND EZEL KURAL SHAW, *HISTOPY OF THE OTTOMAN EMPIRE AND MODERN TURKEY, VOL:II Reform- Revolution- and Republic: The Rise of Modern Turkey 1808-1975*, CAMBRIDGE UNIVERSITY PRESS, 1988.
- 38-STANFORD J .SHAW, *THE OTTOMAN EMPIRE IN WORLD WAR I, VOL: I*, TÜRK TARİH KURUMU, ANKARA, 2006.

- 39-....., THE OTTOMAN EMPIRE IN WORLD WAR I, VOL:II, TÜRK TARİH KURUMU, ANKARA, 2006.
- 40-TURKKAYA ATAÖV, THE ARMENIANS in the Late Ottoman Period, THE TURKISH HISTORICAL SOCIETY, Ankara, 2001.
- 41-Viscount Bryce, THE TREATMENT OF ARMENIANS IN THE OTTOMAN EMPIRE, London, 1916.
- 42-W .J . WINTLE, ARMENIA AND ITS SORROWS, LONDON, 1896.
- 43-W .S .MONROE, TURKEY AND THE TURKS, L .C .PAGE, BOSTON, 1907.
- 44-Yusuf HALAÇOĞLU, FACTS ON THE RELOCATION OF ARMENIANS 1914-1918, TURKISH HISTORICAL SOCIETY, ANKARA, 2002.
- 45- Prof .Dr Azmi SÜSLÜ, ARMENIANS AND THE 1915 EVENT OF DISPLACEMENT, Second Edition, SİSTEM OFSET Printing House, ANKARA, 1999.

ج-التركية:

- 1- ALIŞAN AKPINAR, EUGENE L.ROGAN, AŞİRET MEKTEP DEVLET, Aram Yayincilik, ISTANBUL, 1996.
- 2-Antranik Çelebyan, ANTRANIK PAŞA , Ermeniceden Türkçeye Çeviren: Mariam Arpi-Nairi Arek, Pêrî Yayinlari, Istanbul, 2003.
- 3- Arsen Avagyan ve Gaidz F .Minassian, ERMENİLERİTTİHAT ve TERAKKI: İŞBİRLİĞİNDEN GATISMAY, Aras Yayincilik, Istanbul, 2005.
- 4-Avyarov, Osmanli-Rus ve Iran Sava_lar_ında Kürtler 1801-1900, Osmanlicadan Tercüme eden: Muhammed(Hoko) Varli(Xani), Basım yili, SIPAN, Ankara, 1995.
- 5-BENGI KÜMBÜL, TERCÜMAN-I HAKİKAT GAZETESİNE GÖRE: OSMANLI ERMENİLERİ 1914-1918, MÜDAFAA-I HUKUK YAYINLARI, Antalya, 2006.
- 6-Bilâl N .şimşir, KÜRTÇÜLÜK 1787-1923, ISTANBUL, 2007.
- 7-Cevdet ERGÜL, II .ABDÜLHAMİD'İN DOĞU POLİTİKASI ve HAMİDİYE ALAYARI, 2.basım, Bilgi, Izmir, 1997.
- 8-Hagop şahbazyan, Kürt-Ermeni Tarihi, Ermenice_den Çeviren: Ferit M. Yüksel, İkinci Basım, Kalan Yayinlari, Ankara, 2005.
- 9- HASAN BABACAN, MEHMED TALAT PAŞA, TÜRK TARİH KURUMU, ANKARA, 2005.
- 10-Halil Metin, TÜRKİYENİN SİYASİ TARİHİNDE ERMENİLER VE ERMENİ OLAYLARI, MİLLİ EĞİTİM BASİMEVİ, ISTANBUL, 1997.
- 11-Hikmet ÖZDEMİR Ve digerleri ,ERMENİLER: SURGUN VE GOC, TÜRK TARİH KURUMU, ANKARA, 2005.
- 12-Hikmet ÖZDEMİR Ve digerleri, 80. YILINDA 2003 PENCERESİNDEN LOZAN SEMPOZYUMU, TÜRK TARİH KURUMU ANKARA, 2005.
- 13-KEMAL ÇİÇEK, ERMENİLERİN ZORUNLU GÖÇÜ 1915-1917, TÜRK TARİH KURUMU, ANKARA, 2005.

- RUMU, ANKARA, 2005.
- 14-KEMAL SÜPHANDAG, BÜYÜK OSMANLI ENTRİKASI HAMIDIYE ALAYLARI ARAŞTIRMA-INCELEME, Komal, ISTANBUL, 2006.
- 15-M .Malmısaij, TÜRKİYE VE SURIYE,DE KÜRTÇE KİTAP YAYIMCILIGININ DÜNÜ VE BUGÜNÜ, Vate Yayınevi, İstanbul, 2006.
- 16-M.Kalman, Bati-Ermenistan (Kürt İlişkileri) Ve Jenosid, Zel Yayıncılık, İstanbul,1994.
- 17-....., Belge ve tanıklariyla DERSİM Direnişleri, nûjen yayinlari, ISTANBUL, 1995.
- 18-MAYÉVSRIY V .T., 19. Yüzyıld Kürdistan_in Sosyo- Kültürel Yapisi: KÜRT-ERMENİ İLİŞKİLERİ, Osmanlıcaya tercüme eden: MEHMET SADIK, SIPAN, İstanbul, 1997.
- 19- Malmısaij, Abdurrahman Bedirhan Ve İlk Kürt Gazetesi Kurdistan Sayı: 17 ve 18, Sweden, 1992.
- 20-MUSTAFA AKYOL, KÜRT SORUNUNU YENİDEN DÜŞÜNMEK, DOĞAN KİTAP, ISTANBUL, 2006.
- 21-Naci Kutlay, İTTİHAD TERAKKİ ve KÜRTLER, Ankara, 1992.
- 22-NURŞEN MAZICI, ULUSLARARASI REKABETTE ermeni sorunu'nun kökeni 1878-1920, 3 Baskı, Beybûn,POZİTİF YAYINLARI, İstanbul, 2007.
- 23-Rahmetli Babamin, BİTLİS'TE ERMENİLER VE ERMENİ MEZALİMİ, BİTLİS, 1996.
- 24-Ramazan ÇALIK, Alman Kaynaklarına Göre II .Abdülhamid Döneminde Ermeni Olayları, T.C .KÜLTÜR BAKANLIĞI KÜLTÜR ESERLERİ, Ankara, 2000.
- 25-Recep Maraşlı, Ermeni Ulusal Demokratik Hareketi ve 1915 Soykırımı, Pêrî Yayinlari, İstanbul, 2008.
- 26-şaban İba, Sevd'en Lozan'a Kürt Sorunu ve Kemalist Hareket,ÖZGÜR ÜNİVERSİTE .İstanbul, 2008.
- 27-Sâmiha Ayverdi, Türkiye'nin Ermeni Meselesi, Kubbealti Neşriyâti, İstanbul, 2005.
- 28-TAHA NİYAZI KARACA, ERMENİ SORUNUNUN GELİŞİM SÜRECİNDE YOZGAT'TA TÜRK ERMENİ İLİŞKİLERİ, TÜRK TARİH KURUMU, ANKARA, 2005.
- 29-V .Yeghiayan ve L .Fermanian, RAFAEL LEMKİN'in Ermeni Soykırımı Dosyası, Türkcesi: Ali Çakiroğlu, belge yayinlari, İstanbul, 2009.
- 30-ZEKERİYA TURKMEN, VİLAYAT-I SARKIYE (DOĞU ANADOLU VİLAYETLERİ) İSLAHAT MUFETTİSLİĞİ 1913-1914, TÜRK TARİH KURUMU, ANKARA, 2006.

د- الفرنسية:

- 1- ANDRÉ MANDELSTAM, LE SORT DE L'EMPIRE OTTOMAN, LIBRAIRIE PAYOT ET Cie, PARIS, 1917.
- 2-J .NAADEM, LES ASSYRO-CHALDÉENS ET LES ARMÉNIENS: massacres par les Turcs, BLOUD-GAY, PARIS, 1920.
- 3-L'Abbè Eugène GRISELLE, UNE VICTIME PANGERMANNISME L'Arménie Martyre,

BLOUD-GAY, PARIS, 1916.
4-Par M .G ., LA DÉFENSE HÉROÏQUE DE VAN (ARMÉNIE), EDITION DE LA
(DROSCHAK), GENEVE, 1916.

هـ- الكُردية:

- ١- پ.ی. ئەفیریانۆف، کورد لهجهنگی روسیا لهکههڵ ئیران وتورکیادا، وەرگیران: ئەفراسیاو هه‌ورامی، ب‌لاوکراوه‌کانی مه‌کته‌بی بیرو ه‌وشیاری، سلیمانی، ٢٠٠٤ .
- ٢- ئەسکه‌نده‌ر غۆریانس، شو‌رشی شیخ عوبه‌یدول‌لای نه‌هری له به‌لگه‌نامه‌ی ئەرمه‌نی دا، وەرگیرانی: محمه‌د حه‌مه باقی، کۆری زانیاری کوردستان، هه‌ولێر، ٢٠٠٧ .
- ٣- ئیسماعیل گوێلداش، جه‌معیه‌تی ته‌عالیی کوردستان، وەرگیرانی: زریان پۆژه‌ه‌لاتی، بنگه‌ی ژین، سلیمانی، ٢٠١١ .
- ٤- دیوانی حاجی قادری کۆیی، لیکۆلینه‌وه و لیکدانه‌وه‌ی: سه‌ردار حمید میران وکه‌ریم مسته‌فا شاره‌زا، پێداچوونه‌وه‌ی: مسعود محمد، بغداد، ١٩٨٦ .
- ٥- رۆبه‌رت ئۆلسن، راپه‌ڕینی شیخ سه‌عیدی پیران، وەرگیران: ئەبو‌به‌کر خو‌شناو، چاپی دووهم، ده‌زگای چاپ وپه‌خشی سه‌ردم، سلیمانی، ١٩٩٩ .
- ٦- رۆهات ئەلاکۆم، کورده‌کانی ئەسته‌مبولی کۆن، وەرگیرانی: ئەحمه‌د تاقانه، ده‌زگای چاپ و ب‌لاوکردنه‌وه‌ی موکریانی، هه‌ولێر، ٢٠٠٥ .
- ٧- د.عبدال‌ل‌لا غه‌فور، سنووری کوردستان، چاپی سی‌یه‌م، ده‌زگای چاپ و ب‌لاوکردنه‌وه‌ی موکریانی، هه‌ولێر، ٢٠٠٦ .
- ٨- د.فه‌هاد پیریال، رۆژنامه‌گه‌ریی کوردی به‌زمانی فه‌ره‌نسی، هه‌ولێر، ١٩٩٨ .
- ٩- کورد له‌دیددی پۆژه‌ه‌لاتناسه‌کانه‌وه، ده‌زگای چاپ و ب‌لاوکردنه‌وه‌ی ئاراس، هه‌ولێر، ٢٠٠٦ .
- ١٠- فه‌یسه‌ل ده‌باغ، کوردستان له‌چاپکراوه‌ عوسمانلییه‌کاندا، ده‌زگای چاپ و ب‌لاوکردنه‌وه‌ی ئاراس، هه‌ولێر، ٢٠٠٤ .
- ١١- کریس کوچیرا، کورد له سه‌ده‌ی نۆزده‌ه‌ بیست دا، وەرگیرانی: حه‌مه که‌ریم عارف، چاپی دووهم، سلیمانی، ٢٠٠٤ .
- ١٢- د.مارف خه‌زنه‌دار، میژووی ئەده‌بی کوردی، به‌رگی دووهم: سه‌ده‌کانی چوارده‌م- هه‌ژده‌م، ده‌زگای چاپ و ب‌لاوکردنه‌وه‌ی ئاراس، هه‌ولێر، ٢٠٠٢ .
- ١٣- ملا محمودی بایه‌زیدی، عادات ورسوماتنامه‌ی ئەکه‌رادیه، شه‌گوه‌استن: رشید فندی، سبیریز، ده‌وک، ٢٠٠٦ .
- ١٤- ماللیسانژ، جه‌معیه‌تی ته‌عاون و ته‌رقی ی کورد رۆژنامه‌گه‌ی، وەرگیران: زریان پۆژه‌ه‌لاتی، پێداچوونه‌وه‌ی: سدیق صالح، بنگه‌ی ژین، سلیمانی، ٢٠٠٧ .

١٥- محمەد بايراقدار، ئيدريس بتليسى، وەرگيران: شکور مستهفا، ٢، دەزگای چاپ وپلاوکردنه وهی ئاراس، ههولير، ٢٠٠٩ .

سابعا-الابحاث والمقالات:

أ-الانكليزية:

- 1-DOMINIK J .SCHALLER and JÜRGEN ZIMMERER, Lat Ottoman genocides: the dissolution of the Ottoman Empire and Young Turkish population and extermination policies-introduction, Journal of Genocide Research, , 10(1), March 7-14, 2008.
- 2-Fatih Ünal, REFLECTIONS OF THE SECOND PROCLAMATION OF THE OTTOMAN PARLIAMENTARY SYSTEM ON EASTERN ANATOLIA AND ITS EFFECT ON THE ARMENIAN-KURDISH RELATIONS, REVIEW OF ARMENIAN STUDIES, VOI .4 .No .10 .2006.
- 3- James Eldin Reed, American Foreign Policy: The Politics of Missions and Josiah Strong 1890-1900, Church History, Vol .41, No .22, Jun., 1972.
- 4-Janet Klein, CONFLICT AND COLLABORATION: RETHINKING KURDISH-ARMENIAN RELATIONS THE HAMIDIAN PERIOD 1876-1909, Int J .Turkish Studies, Vol: 13, Nos .1-2 .2007.
- 5-L .Molyneux-Seel, A Journey in Dersim, The Geographical Journal, Vol .44 .No .1 .Jul., 1914.
- 6-Leon Dominian, The Peoples of Northern and Central Asiatic Turkey, Bulletin of the American Geographical Society, Vol .47, No .11, 1915.
- 7- Richard G .Hovannisian, The Allies and Armenia 1915-1918, Journal of Contemporary History, Vol .3 .No .1 .Jan., 1968.
- 8-Roderic H .Davison, The Armenian Crisis 1912-1914, The American Historical Review, Vol .53 .No .3 .3 Apr 1948.
- 9-Roy Douglas, Britain and the Armenian Question 1894-7, The Historical Journal, vol: 19, No .1 .Mar 1976.
- 10-Secil KARAL AKGUN, Ottoman Armenian Intricate Relations with Western Powers before and during the Peace Settlements of the First World War, REVIEW OF ARMENIANS STUDIES, no:18, 2008.
- 11-Vahakn N .Dadrian, The Armenian Question and the Wartime Fate of the Armenians as Documented by the Officials of the Ottoman Empire's World War I Allies: Germany and Austria-Hungary, International Journal of Middle East Studies, Vol .34 .No .1 .Feb., 2002.
- 12-..... The Naim-Andonian Documents on the World War I Destruction of Ottoman Armenians: The Anatomy of a Genocide, International Journal of Middle East Studies, Vol .18 .No .3 .Aug., 1986.